

ISSN: 2321-7928

الرقم الدولي:

# مجلة الهند

مجلة فصلية محكمة

المجلد: 7 العددان: 1-2

يناير - يونيو 2018م

العدد الخاص

عن حياة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله تعالى  
(الجزء الثاني)

مدير التحرير

د. أورنك زيب الأعظمي

المشارك في التحرير

د. هيفاء شاكري

نائب مدير التحرير

محمد عمران علي ملا

تصدر عن

مولانا آزاد آئيديل إيجوكيشنال ترست

بولفور، بنغال الغربية

المراسلات المتعلقة بالاشتراك في الطباعة والنشر توجه إلى:

عنوان البريد:

مولانا آزاد أنيديل إيجوكيشنال ترست،

بولفور، بنغال الغربية

رقم البريد: 731235

#### الهيئة الاستشارية

أ. د. فيضان الله الفاروقي (الهند)	أ. د. بشري زيدان (مصر)
د. صالح البلوشي (عمان)	السيد محمد دأنش الأعظمي (البحرين)

#### هيئة التحرير

د. أورنك زيب الأعظمي (مدير التحرير)	د. هيفاء شاكري (المشارك في التحرير)
د. محمد عمران علي ملا (نائب مدير التحرير)	د. محمد معتصم الأعظمي (عضو)

عنوان البريد الإلكتروني:

(1) [aurang11zeb@yahoo.co.in](mailto:aurang11zeb@yahoo.co.in)

(2) [azebazmi@gmail.com](mailto:azebazmi@gmail.com)

موقع المجلة: [www.azazmi.com](http://www.azazmi.com)

الاشتراك السنوي:

500 روبية (للطلاب) 1000 روبية (للأساتذة والمكتبات)

نشرها وطبعها محمد عمران علي ملا نائب مدير مجلة الهند، مولانا آزاد أنيديل  
إيجوكيشنال ترست، بولفور، بنغال الغربية، رقم البريد-731235

## في هذا العدد

### الصفحة

7	د. أورتك زيب الأعظمي	الافتتاحية
		مقالات وبحوث:
9	- العلامة عبد الحيّ الحسني	مولانا عبد الحميد الفراهي (المعروف بحميد الدين الفراهي)
11	- العلامة سيد سليمان الندوي ترجمة: د. صنوبر جيلاني	الشيخ عبد الحميد الفراهي
26	- د. محمد فضل الله شريف	إسهامات الشيخ عبد الحميد الفراهي خلال إقامته في مدينة "لؤلؤ" حيدر آباد
39	- أ. د. أبو سفيان الإصلاحي ترجمة: أبو سعد الأعظمي	الأستاذ الإمام الفراهي في رسائل شبلي النعماني
59	- عمرو الشرقاوي	المعلم عبد الحميد الفراهي وجهوده في الدراسات القرآنية
68	- د. محمد أشرف حسين	العلامة عبد الحميد الفراهي (إطالة على مساهمته في الدراسات القرآنية)
76	- د. حسن يشو	الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في خدمة القرآن وعلومه دراسة نظرية تحليلية تطبيقية

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

187	د. محمد عناية الله أسد سبحاني ترجمة: د. محمد أجمل	منهج الفراهي منبر علمي متميز
209	د. محمد يوسف الشربجي	الإمام عبد الحميد الفراهي ومنهجه في تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"
242	د. محمد قاسم العادل	منهج الإمام الفراهي في تفسير القرآن كما اتبعه في تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"
268	د. محمد فاروق خان ترجمة: د. عرفات ظفر الأعظمي	الإمام الفراهي يمتلك نظرة ثاقبة
279	الأستاذ نسيم ظهير الإصلاحي الغازي ترجمة: د. أورنك زيب الأعظمي	منهج الإمام الفراهي لتفسير القرآن الكريم
291	الدكتور فيسور أطفاف أحمد الأعظمي ترجمة: نايب حسن القاسمي	الإمام عبد الحميد الفراهي ونظريته لنظم القرآن
312	الدكتور فيسور أطفاف أحمد الأعظمي ترجمة: د. محمد فضل الله شريف	شواهد على وجود النظم في القرآن الكريم
334	الشيخ خالد مسعود الباكستاني ترجمة: د. أورنك زيب الأعظمي	الإمام الفراهي ومنهجه لتحقيق الحديث والسنة
347	الدكتور فيسور أطفاف أحمد الأعظمي ترجمة: آصف إقبال	الشيخ عبد الحميد الفراهي وأراؤه عن الحديث النبوي
381	د. صالح سعيد الزهراني	سياسة البلاغة عند عبد الحميد الفراهي
447	د. محمد إقبال فرحات	منهجية الإمام الفراهي في بحث المسائل العقديّة
482	الشيخ نظام الدين الإصلاحي ترجمة: عمر رضا	الإمام الفراهي والحكومة الإلهية



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

494	- أ.د. ظفر الإسلام الإصلاحي ترجمة: د. محمد معتصم الأعظمي	الإمام عبد الحميد الفراهي والعلوم الجديدة
505	- د. محمد معتصم الأعظمي	نظرة تأملية في إنتاجات المعلم عبد الحميد الفراهي الشعرية
		كتابات الإمام الفراهي:
521	- المعلم عبد الحميد الفراهي	خطبة "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"
527	- المعلم عبد الحميد الفراهي ترجمة: د. هيفاء شاكري	تفسير سورة الإخلاص
549	- المعلم عبد الحميد الفراهي ترجمة: د. أورتك زيب الأعظمي	ترتيب ونظام القرآن الكريم
555	- المعلم عبد الحميد الفراهي ترجمة: د. أورتك زيب الأعظمي	أفكار أثناء ترجمة معاني القرآن
562	- د. محمد أجمل الإصلاحي ترجمة: سميراء أجمل	تعليقات الإمام عبد الحميد الفراهي الخطية على كتاب "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي
595	- المعلم عبد الحميد الفراهي ترجمة: د. ظفر الإسلام خان	سلسلة نسب الرسول ﷺ وبعض المباحث الهامة
		قراءة في الكتب:
616	- د. محمد أجمل الإصلاحي	كتاب "مفردات القرآن" للفراهي وأهميته في علم غريب القرآن
665	- محمد شفاء الرحمن	منهج الإمام الفراهي في كتابه "تعليقات في تفسير القرآن الكريم"
687	- د. عرفات ظفر الأعظمي	قراءة في رسائل في علوم القرآن (المجموعة الثانية لرسائل الإمام عبد الحميد الفراهي)

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

701	-د. محمد عناية الله أسد سبحاني	مع الإمام الفراهي في كتابه: القائد إلى عيون العقائد
		مقدمات للكتب:
714	- البروفيسور عبید الله الفراهي	تعليقات في تفسير القرآن الكريم
717	- الشيخ بدر الدين الإصلاحي	التكميل في أصول التأويل
719	- الشيخ بدر الدين الإصلاحي	القائد إلى عيون العقائد
725	- الشيخ بدر الدين الإصلاحي	في ملكوت الله
		أخبار وتقارير:
727	إعداد: د. محمد معتصم الأعظمي	تدشين الجزء الأول للعدد الخاص
		قصائد ومنظومات::
730	- أبو النعمان عبد الرحمن المثنوي	مقطوعات على وفاة الإمام عبد الحميد الفراهي

### الافتتاحية

نشرنا الجزء الأول من العدد الخاص عن حياة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهي (1863-1930م) في مارس 2018م وتم تدشينه بيدي أبرز الكاتبين عن الإمام الفراهي البروفيسور أطفاف أحمد الأعظمي في ندوة دولية عقدت في رحاب كلية شبلي الوطنية في 24-25 مارس 2018م وحضرها كاتبان من دولة قطر اختصاصهما الفراهي وأعماله ألا وهما الدكتور محمد إقبال والدكتور حسن يشو. أحدهما أستاذ مشارك بينما الآخر أستاذ مساعد في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر. والدكتور محمد إقبال نجل الأستاذ أحمد حسن فرحات الذي قام بتحقيق كتاب "جمهرة البلاغة" للإمام عبد الحميد الفراهي. نشر هذا العدد وأشاد به علماء العرب والهند. الحمد لله على هذا.

احتوى هذا الجزء على حوالي أربعين مقالة وبحث ومقدمة، وذيلناها بقصيدة كتبها الأستاذ عبد الرحمن الكاشغري في ذكرى الإمام الفراهي. والجزء بين أيديكم ثاني أجزاء هذا العدد الخاص وهو يشتمل على 35 مقالة وقراءة ومقدمة وذيلناها كذلك بخبر لتدشين الجزء الأول للعدد الخاص عن الإمام الفراهي وثلاث مقطوعات كتبها الشيخ أبو النعمان عبد الرحمن المثنوي بعد وفاته رحمه الله تعالى.

يحتوي هذا الجزء كسابقه على مقالات عربية نشرت في مختلف المجلات وهي الآن ليست بمتناول أيدي الباحثين كما يشتمل على ترجمات عربية لمقالات نشرت بالأردنية في مختلف مجلات الهند وباكستان. وهذه المقالات ستعين الباحثين الذين لا يعرفون اللغة الأردنية فإنها كتبت من قبل الكتاب البارزين المتضلعين من أفكار الإمام الفراهي.

والجدير بالذكر هنا أننا بدأنا نشر رسالة الدكتور حسن يشو التي أعدها للدكتوراه والتي كانت غير مطبوعة فنشرها في هذه المجلة سيبلغها عامة الباحثين المشتغلين

## العدد الخاص.....مجلة الهند

بحياة وأعمال الإمام الفراهي. هذه حلقة أولى لتلك الرسالة وسننشر البقية في الجزء الثاني. نشكر الدكتور حسن الذي تفضل علينا برسالته بعد إعادة النظر. والمهم هنا أننا ننشر في هذا الجزء أربع كتابات للإمام الفراهي أولها خطبته لتفسير "نظام القرآن" التي لما قرأها العلامة تقي الدين الهلالي اغرورقت عيناه لفصاحتها وحقيقتها، وأما الثلاث الباقية فهي التي كتبها الإمام الفراهي باللغة الأردوية فترجمتها العربية ونشرها في هذا الجزء سيبلغها الباحثين العرب. وهذه الكتابات الثلاث أولها تفسير سورة الإخلاص التي كتبها الإمام الفراهي لأحد أصدقائه، والثانية "ترتيب ونظام القرآن الكريم" والثالثة "أفكار أثناء ترجمة معاني القرآن". ونشرت الكتابتان الأخيرتان في مجلة "الإصلاح" التي أصدرت لنشر وترويج أفكار الإمام الفراهي ثم نشرنا في مجموعة مقالات قرآنية انتقاها البروفيسور اشتياق أحمد الظلي من بين المقالات القرآنية التي نشرت في هذه المجلة ونشرها معهد علوم القرآن بعلي كره (الهند). أخذناهما من المجموعة الثانية. وأما سورة الإخلاص فأولاً نشر على حدة ثم نشر في مجموعة تفاسير الفراهي التي ترجمها الشيخ أمين أحسن الإصلاحي إلى الأردوية ثم نشرت من باكستان والهند كلتيهما.

وبدأنا من هذا الجزء نشر المقالات والبحوث التي كتبت ردًا على الاعتراضات التي أثارها العلماء الهنود، وأبرز من قام بالرد على هذه الاعتراضات من علماء مدرسة الإصلاح الأستاذ نسيم ظهير الإصلاحي الذي يدرس التفسير والحديث في هذه المدرسة التي تمثل أفكار الإمام الفراهي الدينية والعلمية والأدبية. نشكر الأستاذ نسيم ظهير على أن منحنا مقالاته وبحوثه للترجمة والنشر. وفي هذا الجزء نشرنا واحدًا من الردود التي قام بها الأستاذ نسيم ظهير وسننشر البقية في الجزء الثالث لهذا العدد الخاص إن شاء الله تعالى.

نشكر الله عز وجل على أن وفقنا لنشر وترويج أفكار الإمام الفراهي الذي يعد من أكبر علماء الإسلام وأبرز مفسريه.

د. أورك زيب الأعظمي

مولانا عبد الحميد الفراهي  
(المعروف بحميد الدين الفراهي)

- العلامة عبد الحي الحسني<sup>1</sup>

الشيخ الفاضل: عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج علي، الأنصاري الفراهي الأعظمكره، المعروف بحميد الدين الفراهي، أحد العلماء المشهورين.

ولد في جمادى الآخرة سنة ثمانين ومئتين وألف في قرية "فريمه" من قرى مديرية "أعظمكره"، واشتغل بالعلم أياماً على المولوي محمد مهدي والعلامة شبلي النعماني، ثم سافر إلى لكهنؤ وأخذ عن العلامة عبد الحي بن عبد الحليم وشيخنا فضل الله بن نعمة الله، ثم سار إلى لاهور وتأدب على مولانا فيض الحسن السهارنبوري، ثم تعلم الإنجليزية ونال الفضيلة في العلوم الغربية أيضاً [وامتاز في الفلسفة الحديثة]، ثم ولى التدريس بمدرسة الإسلام بكراتشي فدرّس بها زمناً، ثم ولى بمدرسة الكلية بعليكره ثم باله آباد، ثم سافر إلى حيدرآباد وتصدّر بدار العلوم وأقام بها مدة من الزمان، ثم اعتزل عنها ولأزم بيته ببلدة أعظمكره [عاكفاً على المطالعة والتأليف، وأسّس في سرائ مير قريباً من قريته مدرسة دينية سمّاها "مدرسة الإصلاح" من أكبر مقاصدها تحسين طريقة تعليم العربية والاختصاص في علوم القرآن. انتخب رئيساً للجنة دار المصنفين الإدارية].

وهو من كبار العلماء، له خبرة تامة بالعلوم الأدبية، وقدرة كاملة في الإنشاء والترسل، وتودد إلى معارفه وأصحابه مع جودة فهم، ووفور ذكاء، وزهد وعفة، وشهامة نفس وانجماع، لاسيما عن بني الدنيا وعدم اشتغال بما لا يعنيه، [راسخ في العلوم العربية والبلاغة، متعمق فيها، متضلع من أشعار الجاهليين، وأساليب بيانهم، واسع الاطلاع على الصحف السابقة، حسن النظر في كتب اليهود

<sup>1</sup> مؤلف "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" المعروف بـ"الإعلام بمن في الهند من الأعلام".

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

والنصارى، عاكف على التدبر في القرآن، والغوص في معانيه وأساليبه، يعتقد أنّ القرآن مرتّب البيان، منسّق النظام، ويذهب إلى ربط الآيات بعضها ببعض، وقد بنى على ذلك تفسيره "نظام الفرقان"<sup>1</sup>.

وله ديوان الشعر الفارسي، ومنظومة في اللسان الدري لأمثال سليمان، ومنظومة بالأردو في الإعراب سمّاها "تحفة الإعراب"، ورسالتان في النحو والصرف، ورسائل بالعربية في تفسير القرآن، منها الإمعان<sup>2</sup> في أقسام القرآن، والرأي الصحيح في من هو الذبيح، وبعض أجزاء من تفسيره المسّوّى "نظام الفرقان وتأويل القرآن بالقرآن"<sup>3</sup> منها تفسير سورة التحريم، والعصر، والذاريات، والشمس، والقيامة، والتين، والكافرون، والذهب. [وجمهرة البلاغة، وديوان شعر عربي. ومنها ما لم يطبع إلى الآن.

مات في التاسع عشر من جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وألف في مدينة متّها ودفن بها].

<sup>1</sup> العنوان الصحيح هو "نظام القرآن".

<sup>2</sup> العنوان الصحيح بدون لام التعريف أي "إمعان في أقسام القرآن"

<sup>3</sup> العنوان الصحيح هو "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالقرآن"

## الشيخ عبد الحميد الفراهي

- العلامة سيد سليمان الندوي<sup>1</sup>

ترجمة من الأردوية: د. صنوبر جيلاني<sup>2</sup>

قد عزيّنا من قبل كبار العلماء الذين ولدوا وترعرعوا قبل تغير الزمان ولكننا ننعي اليوم أول عالم في بداية هذا العصر الحديث، ننعي عالماً جامعياً كان مثلاً رائعاً للأخلاق الحسنة، والزهد والتقوى، وكان نموذجاً للثقافة القديمة، ومثالاً حياً للعصر الحديث لاطلاعه على العلوم الحديثة، وكان خبيراً بمتطلبات عصره، وكان أول من كتب وتحدث في الفلسفة الكلامية بعد البحث، والتمحيص، والدراسة، أما الذين كتبوا في هذا المجال قبله فكانوا يرددون كل ما قاله الآخرون، وإن كانوا يزعمون أنهم مؤسسون لعلم الكلام. وهناك كثير من العلماء الذين تعلموا اللغة الإنجليزية وآدابها بعد تكميل العلوم العربية وآدابها ونالوا شهادات البكالوريوس والماجستير والدكتوراه في اللغة الإنجليزية ولكن كانوا على مصداق قول الشاعر:

جو لکھا پڑھا تھا نیاز نے سو وہ صاف دل سے بھلا دیا

ترجمة: قد نسي الآن نیاز ما قد تعلمه من قبل

وغلبت صبغتهم الجديدة على صبغتهم القديمة، وزال أثرها كاملاً ولكن اليوم نذكر هذه الشخصية العظيمة الفذة التي لا مثال لها. والحق أن صبغته القديمة ازدادت بأثر صبغته الجديدة، ولا يكاد الناس يعرفون أنه تخرج من كلية على جره الإسلامية ونال شهادة البكالوريوس من جامعة إله آباد، وفي الحقيقة فإن بساطة شخصيته كانت تبهر عيون الناس ويقصر إدراكهم أن يفهموا أنه عالم كبير عظيم المرتبة.

<sup>1</sup> عالم كبير لعلوم الإسلام وتاريخه

<sup>2</sup> باحثة ما بعد الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة المليّة الإسلامية، نيودلهي

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

مولده: ولد الفراهي في قرية "فريها" من قرى مديرية أعظم جره بالولاية الشمالية بالهند وكانت هذه القرية تقع قبل محطتين من أعظم جره، وكان الأستاذ يكتب مع اسمه "الفراهي" نسبة إلى هذه القرية، وكان الأستاذ شبلي النعماني ابن عمه الأستاذ الفراهي، ولد العلامة شبلي النعماني في سنة 1275هـ/1857م، وولد الأستاذ حميد الدين الفراهي في 1280هـ/1863م، والفرق بين عمرهما ست سنوات فقط. وكان الشيخ الحاج رشيد الدين الشقيق الأصغر للفراهي، وهو من الطلاب القدماء من كلية على جره الإسلامية وكان معروفاً بين طلاب عصره.

كان الاسم الحقيقي للفراهي "حميد الدين" ولكنه كان يظن هذا الاسم كبيراً له بالنسبة للمعنى، فكان يكتب اسمه "المعلم عبد الحميد" على كتبه ومؤلفاته، وكان يحب أن يقال له "المعلم" ولا يحب لنفسه لقباً غيره.

التعليم: بدأ الفراهي دراسته في بيته وحفظ القرآن الكريم أولاً ثم قرأ كتب الفارسية الابتدائية على الأستاذ مهدي حسين الذي كان يسكن في قرية "جتارا" وكانت اللغة الفارسية لغة الدراسات الإسلامية في ذلك العصر. وكان الفراهي، منذ نعومة أظفاره ومستهل عمره، على دأب نادر في اكتساب العلوم واللغات، فنبغ في مدة قليلة في اللغة الفارسية وآدابها، وكان العلامة شبلي النعماني يقرأ في تلك الفترة الكتب العربية على الأستاذ العلامة محمد فاروق الجرياكوتي وكان العلامة يعدّ من كبار العلماء في عصره، ومع تمكنه في اللغة العربية كانت له مكانة مرموقة في اللغة الفارسية وآدابها، وقد ترعرع الأستاذ الفراهي في هذه البيئة العلمية والأدبية التي يسودها جوّ من الصلاح والتقوى والعلم والفضل واستفاد منها. كان العلامة الفراهي قد نظم قصيدة في مدح السلطان عبد الحميد خان على منوال الشاعر الكبير خاقاني، وكان عمره ستة عشر عاماً وكانت قافيتها جوهر وكيفر وغيرهما، ورديفها آئينه.

بي جلوه رخ تو بود مضطر آئينه      خار افگند به پيرهن از جوهر آئينه

وله كذلك:



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

گیشوئ همچو شب تو بیارای هم بصبح فرمائی تو بیاورد ز خاور آئینه  
گستاخ دیده است برائی تو لا جرم چشم سپید یافت بدین کیفر آئینه  
آئینه واگذار و بیاورد دیده ام چشمم بود ز آئینه بهتر آئینه  
در بزم انس خویش چرا جائ دادہ تا می شود برابر تو اکثر آئینه  
کی با ضمیر شاه شود همسر آئینه کی روی همچو ماه تر همسر آئینه

كانت هذه القصيدة مشتملة على ثمانية وثلاثين بيتًا، وتعجب الناس بعد قراءة هذه القصيدة الرائعة التي امتازت بأسلوبها وبلغتها العذبة، وروعة بيانها. يقول العلامة شبلي النعماني عن هذه القصيدة أنه عرضها على العلامة فاروق الجرياكوتي، وسأله عن كاتها فأجاب العلامة بأنه لا يعرف القائل ولكنها تبدو من أبيات القدماء بسبب أسلوبها و لغتها. فقال العلامة شبلي: هذا كلام حميد، فتعجب العلامة فاروق بمثل هذا الكلام الرائع.

وكان الله سبحانه وتعالى قد منح الفراهي ذهنًا قويًا وقادًا، وكانت له ملكة قوية في فهم المسائل، وكان يقدم حلولًا بسيطة للمسائل بفراصة بصيرته، وكان يقدم أفضل الدلائل والبراهين في المناقشة أو المناظرة حتى للرأي غير الصحيح، حتى يصبح المعارض عاجزًا أمامه ودلائله المفحمة. ويظن أن هذا هو الرأي عند الفراهي، ولكنه كان يبتسم بعد ذلك ويقول هذا ليس بصحيح، والحق هكذا. وبعد انتهاء دراساته الفارسية، قرأ على أخيه العلامة شبلي النعماني اللغة العربية وأدائها، فأكمل عنده التعليم المتوسط، ولما قام العلامة شبلي النعماني برحلة علمية داخل شبه القارة الهندية، خرج معه الفراهي أيضًا ومكث معه في لکناؤ، وهناك درس على العلامة أبي الحسنات عبد الحي الفقه الإسلامي، وخلال هذه الفترة اتصل بالأديب الكبير العلامة عزيز الدين عزيز اللكنوي (البروفيسور في كلية كينك لکناؤ ومؤلف كتاب قيصر نامه)، وكان العلامة عزيز الدين من أكابر الأساتذة والشعراء الفحول في اللغة الفارسية، واستفاد الفراهي من جلسات

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

العلامة عزيز الدين كثيرًا، وربطت بين هذين الأخوين (العلامة شبلي والعلامة الفراهي) وبين العلامة عزيز الدين علاقة ودية راسخة ورجع الأستاذ الفراهي من لکناؤ وخرج إلى لاهور وقرأ الأدب العربي على العلامة الشهير فيض الحسن السهارنبوري، وكان العلامة فيض الحسن السهارنبوري عالمًا شهيرًا وأديبًا كبيرًا في عصره ويدرس في كلية العلوم الشرقية التي كانت حديثة العهد في ذلك الوقت، وكان العلامة فيض الحسن ذائع الصيت، كان الطلاب يقدمون إليه من جميع أنحاء الهند للاستفادة من علمه وفضله ولكن الأستاذ الفراهي درس عليه الأدب العربي خارج الكلية وفي أثناء إقامته في لاهور نشأت علاقة ودية بينه وبين العلامة وحيد الدين سليم الباني بتي، وبقيت هذه العلاقة إلى أن فرق الموت بينهما ودب في قلب الأستاذ وحيد الدين سليم دبيب الشوق للالتحاق بالجامعة العثمانية حيدرآباد بسبب هذه العلاقة الراسخة. أكمل الفراهي دراسة الأدب العربي سنة 1300هـ/1884م، وعمره عشرون سنة، وأتى في حقل الأدب العربي بالعجائب ويمكن القول أنه فاق أساتذته، وديوانه باللغة العربية خير دليل على ذلك.

دراسة اللغة الإنجليزية: إن تعلم اللغة الإنجليزية في ذلك الوقت كان يعد كفرًا عند علماء المسلمين، وكان العلامة الفراهي أول من تعلم اللغة الإنجليزية من علماء الهند، بدأ دراسة اللغة الإنجليزية في بيته، ثم دخل في مدرسة كرنل كنج إله آباد. ثم التحق بكلية على جره الإسلامية، وكان السير سيد أحمد خان عميدها، وكان السيد آرنولد مديرها والبروفيسور فيها، أما العلامة شبلي النعماني فكان من كبار أساتذة الكلية، وكان العلامة أطفاف حسين حالي مقيمًا فيها، فبدأ العلامة الفراهي يستفيد من الجلسات العلمية و الأدبية التي كانت تعقد فيها، ويشترك فيها كبار الأساتذة والعلماء بالكلية وكان الجو العلمي موجودًا، وكان السيد آرنولد يدرس الفلسفة، فاستفاد الأستاذ الفراهي منه في دراسة الفلسفة الحديثة. في ذلك الوقت كان من اللازم لكل طالب في الكلية أن يدرس اللغة العربية والفارسية ولكن السير سيد أحمد خان كتب عنه إلى عميد الكلية السيد بك:

"إن هذا الطالب يقدر على العلوم العربية والفارسية مثل أساتذة الكلية، لذلك يجب أن يعفى عن حصص اللغة العربية والفارسية فعفي. بدأ يكتب ويؤلف في فترة طلب علمه، شجعه أساتذته على الكتابة والتأليف، ألف العلامة شبلي النعماني كتابًا موجزًا عن السيرة النبوية لطلاب الدراسات الإسلامية في كلية على جره بناء على طلب من السير سيد أحمد خان، وكان اسم هذا الكتاب "تاريخ بدء الإسلام"، ترجم العلامة الفراهي هذا الكتيب من اللغة العربية إلى الفارسية بناء على طلب السير سيد أحمد خان، وقد نشر هذان الكتابان في نفس الفترة. وكان السير سيد أحمد خان قد حصل على جزء من طبقات ابن سعد عن وفود النبي ﷺ، ولم يكن قد نشر بعد، ترجم الفراهي هذا الجزء إلى اللغة الفارسية، ونشرها السير سيد أحمد خان، ومن يقرأها يظن أنّ مؤلفها كاتب من العصر الساماني بسبب نثرها الرائع. وفي سنة 1869م تقريبًا حصل الفراهي على شهادة الليسانس من جامعة إله آباد، ولكنه لم يكمل دراسته للماجستير في اللغة العربية (مكاتيب شبلي، 2/رسالة، رقم: 1)، وفي سنة 1869م حاول أن يحصل على وظيفة المعلم في مدرسة الإسلام بكراتشي، وأعطاه السير سيد أحمد خان الشهادة لذلك (المصدر نفسه، رسالة، رقم: 2)، وفي تلك الفترة كان الأستاذ آرنولد يريد أن يترجم كتابًا وجيزًا عن قواعد اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية، وقد اختار لذلك العلامة الفراهي (المصدر نفسه، رسالة، رقم: 3).

الوظيفة: أكمل الفراهي دراسته، وفي سنة 1897م عيّن مدرسًا في مدرسة الإسلام بكراتشي التي تعتبر مؤسسة عريقة لتعليم اللغة الإنجليزية لدى المسلمين، مبناها رائع وأساتذتها بارعون وكانت مشهورة في السند، أقام هناك حتى عام 1906م، في عام 1900م كان الأمير عبد الرحمن حاكم كابل يريد أن ينشئ قسمًا للترجمة، وكان يريد أن يترجم فيها مقدمة ابن خلدون من بين التراجم الأخرى، وقد اقترح العلامة شبلي لهذه الترجمة اسم الفراهي ولكن المشروع لم يكتمل لسبب ما، وبقي الفراهي في كراتشي، وكان شغله الشاغل التدريس والتأليف، ونشر ديوانه الفارسي في سنة 1903م، ثم اتجه إلى نقد المباحث العلمية على إصرار من العلامة شبلي النعماني كما

## العدد الخاص . . . . . مجلة الهند

يظهر من رسائل شبلي (الجزء الثاني) وبدأ الفراهي ينظر في نظم القرآن وبلاغته، فكتب "جمهرة البلاغة"، وقد نشر شبلي خلاصة هذا الكتاب في ديسمبر 1905م في مجلة "الندوة". وفي سنة 1904م أراد اللورد كرزن أن يقوم بزيارة منطقة السواحل العربية والخليج العربي لتكوين العلاقات السياسية مع الزعماء العرب، فتم اختيار الفراهي كمترجم وسافر مع اللورد كرزن، فكان الخطاب الذي ألقى أمام الزعماء العرب نيابة عن اللورد كرزن باللغة العربية، من تأليف الفراهي. وفي سنة 1906م قدمت الحكومة مساعدة مالية كبيرة لتدريس العربية في كلية على جره، ولكنها اشترطت أن يكون الأستاذ أوروبياً، فانتدبت الكلية المستشرق الألماني جوزيف هورفيتس، وعين الفراهي أستاذاً مساعداً، وقدم إلى علي جره ولكنه لم يبق فيها لفترة طويلة، وفي هذه الفترة كان مشغولاً في التأليف، وكان يدرس هورفيتس اللغة العربية، ويتعلم منه اللغة العبرانية. ومع ذلك كان مشغولاً في تأليف تفسير القرآن ومقدمته. قدربطت بين الفراهي وبين الحلقات العلمية بكلية على جره روابط عميقة بسبب أخيه شبلي أولاً، ثم بسبب علمه وفضله، ونشأت بينه وبين النواب صدر يار جنك حبيب الرحمن الشيرواني علاقة ودية، وقد كتب النواب في رسالة إلي بعد وفاته: "لقد كنت على اتصال به منذ فترة طويلة، وفي البداية التقيت به بواسطة شبلي رحمه الله، ثم التقيت به في علي جره حين كان بروفيسوراً، ثم في حيدرآباد، وفي علي جره كان شغله الشاغل تدبر القرآن مع التدريس، كان يقضي وقته في تدبر القرآن من الساعة الثالثة إلى الساعة التاسعة صباحاً، وكان يوضح نتائج بحثه عند اللقاء، وكان يدرس الكتب السماوية الأخرى، وكان ينظر إلى حل المطالب القرآنية بهذه الدراسة، و قد غادر على جره وهو على هذا الحال". وكان الفراهي يرسل أجزاء تفسيره إلى العلامة شبلي، وكان شبلي يبين رأيه عن هذه الأجزاء في رسائله، وفي البداية لم يكن مقتنعاً من وجهة نظره المتعلقة بنظم القرآن والترتيب وكان يعتقد أن محاولته بدون جدوى، ولكن عندما رأى أجزاء متعددة من تفسيره، أيد وجهة نظره، وبدأ يشيد به ويشجعه، وفي النهاية بدأ يستشيريه في حل مشكل القرآن (يوجد تفصيل هذا كله في الجزء الثاني من مكاتيب شبلي). يكتب شبلي في رسالة:

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

"قرأت أجزاء تفسير سورة أبي لهب، وجمهرة البلاغة بإمعان، وأهنتك على تقديم هذا التفسير، على المسلمين أن يكونوا ممنونين لك، ولكن بعض أجزاء البلاغة عادية، ويمكن التأمل في الرد على أرسطو. (يونيو 1905 م).

وفي أثناء إقامته بكلية على جره أَلَفَ "أقسام القرآن" وحل قضية لماذا أقسم الله سبحانه وتعالى في القرآن المجيد، ففي البداية كتب الإمام الرازي عن هذه القضية في التفسير الكبير، وبعده كتب الإمام ابن القيم "التبيان في أقسام القرآن"، ولكن العلامة الفراهي قدم هذه القضية بشكل منفرد لم تقدم بها منذ ثلاثة عشر قرناً من عهد الإسلام، وقد نشر شبلي خلاصة كتابه مسروراً في مجلة "الندوة" أبريل 1906 م، ونشر الكتيب باسم "أقسام القرآن" في اللغة العربية مستقلاً، وقد نشر هذا الكتاب باسم "إمعان في أقسام القرآن" بعد البحث وتأنيده بالأدلة في علي جره،<sup>1</sup> والحق أن ما كتبه جميع الباحثين الذين يدعون التحقيق في هذه القضية، لم يكتبوا إلا بعد الاستفادة من الفراهي. وقد نشر تفسير أبي لهب وسورة القيامة بعده عام 1906 م، وقد اعتبر العلماء جميع بحوثه مهمة جداً، ومدحه السيد رشيد رضا (صاحب تفسير المنار).

وفي كثير من الأحيان كان الفراهي يبقى في لكاناؤ عند أخيه، وذلك بعد 1904 م، أثناء سفره إلى كراتشي أو على جره، وبعد 1905 م كان يدعو شبلي بإصرار شديد، ويجعله يملك معه في الندوة ليستفيد منه الطلاب، وقد أقام الفراهي في ندوة العلماء عدة مرات ودرس الطلاب الفلسفة الجديدة ودروس القرآن الكريم، وكنت من الطلاب الذين استفادوا من دروسه القيمة. كان أبو الكلام آزاد يقيم مع شبلي في ذلك الوقت، وكان مساعد رئيس التحرير لـ "الندوة"، وقد استفاد من صحبة الفراهي وحصل على إفادات جديدة للتفسير، وقد ظهر الأثر على أوراق الهلال فيما بعد، وعيّنته ندوة العلماء كعضو في المجلس الإداري واستمر كذلك حتى وفاته.

أقام الفراهي في علي جره لمدة سنتين، وبعد 1908 م عيّن بروفيسوراً في اللغة العربية في جامعة إله آباد، وبقي مشغولاً في التصنيف والتأليف بجانب التدريس

<sup>1</sup> قامت دار المصنفين بنشرها من مصر في قشيب جيد وبلغنا عن قريب

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

في الكلية، ونشر تفسير سورة التحريم من إله آباد، ثم بدأ يترجم مواعظ سليمان من اللغة العبرانية إلى الفارسية شعراً، وفي أثناء إقامته في إله آباد فكر شبلي والفراهي في إنشاء مدرسة في سرائ مير، فأُسست هذه المدرسة في بستان بالقريّة. وأراد شبلي أن يكلفه بمسؤولية المدير.

كتب شبلي في رسالة إليه في 19 أبريل سنة 1910 م: "هل يمكن لك أن تبقى لفترة قليلة في مدرسة سرائ مير، وربما أنا سأتي أيضاً، فنصلح إدارتها ونظامها ويجب أن تكون هذه المدرسة مثل "گروکل" مدرسة دينية خالصة، ويجب أن يكون الهدف الحياة البسيطة والقناعة، والخدمة الدينية. وقد تطورت بتوجيهات العالمين، وكنا يعتنيان ويهتمان بها. وقد أقام الفراهي في إله آباد حتى عام 1913 م. وكان في حيدرآباد دكن مدرسة قديمة باسم دار العلوم، والتي لعبت دوراً بارزاً في ترويج العلوم والفنون، وكانت ملحقة بقسم الدراسات الشرقية لجامعة مدراس، ولكن أنني هذا الإلحاق في 1908 م. فأصبح المسؤولون عن إدارة التعليم قلقين بشأن المدرسة، فأنشأ النواب عماد الملك رحمه الله رئيس قسم التعليم السابق، والسيد ألما لطيفي، رئيس قسم التعليم في ذلك الوقت، السيد حيدري وغيرهم لجنة لأهل العلم، وكان شبلي عضواً في اللجنة. وقد قدم لها اقتراحاً بإنشاء جامعة للعلوم الشرقية، وقد نشر هذا الاقتراح في الندوة على الفور، وكان نهج شبلي أن تكون هذه المؤسسة جامعة للعلوم العربية مع مزيج من العلوم الجديدة، وهذه الخطة ظلت تحت التفكير والمناقشة لفترة طويلة. وعيّن الفراهي عميد المدرسة، وكان قد غادر من إله آباد إلى حيدرآباد في 1914 م. وانشغل هناك بوضع مخطط لهذه الجامعة الجديدة، وكان عليه أن يدير المؤسسة جنباً إلى جنب مع التدريس، وحاول أن يطورها بجانبها الظاهري والباطني، ولكن السيد ألما لطيفي لم يتفق معه، وبعد سنة أو سنتين أخذ السيد راس مسعود المسؤولية مكان السيد ألما لطيفي، فبدأ يعمل معه.

وقد ترجم النواب عماد الملك القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية حتى النصف بطلب من شبلي، ولكن كانت توجد فيها نقائص، فاستفاد النواب عماد الملك من

الفراهي، وبدأ الفراهي يذهب كل صباح إلى بيت النواب عماد الملك ليفكر في الترجمة، ويقوم الفراهي بتغييرات في ترجمة أجزاء القرآن، ولكن للأسف اختلطت هذه الأجزاء مع الأوراق الأخرى، وقلت مرارًا وتكرارًا لخلفه النواب مهدي يار جنك أن يبحث عنها. ولكنه اعتذر بأنه لم يجدها. وكان شبلي يكتب المجلد الأول لسيرة النبي في ذلك الوقت، وكان يستشار في قضايا اليهود والنصارى المناظرية واستدلالات القرآن الكريم، ورسائل شبلي (73.57) خير شاهد على ذلك. وكان الباب الذي يتعلق بإقامة إسماعيل وذبحه في السيرة النبوية (الجزء الأول) مأخوذ من المصادر التي وفرها الفراهي. وقد نشر الفراهي هذه المعلومات باسم "الرأي الصحيح في من هو الذبيح" بالإضافة والتحقيق فيما بعد. وكان العلامة حميد الدين الفراهي مولعًا بالوحدة، وكان من ورعه أنه كان يتجنب الأمراء والأكابر، وكانت مدينة حيدرآباد مركزًا لأهل العلم والفن في ذلك الوقت، ومركزًا لكسب المال والجاه، ولكن لم يتغير حال الفراهي فيها، ولم يذهب قط، إلا إلى الأشخاص الذين يلائمونه. وفي ذلك الوقت تطور الخلاف بين شبلي وبين الأعضاء الآخرين من ندوة العلماء وكان هذا خلاف قديم بين المحافظين والليبراليين. وقدّم شبلي استقالته من منصب "العميد" في دار العلوم بندوة العلماء في أواخر 1913م، ثم فكر في إنشاء دار المصنفين ودار التكميل، ولكن هذا الاقتراح مازال في قلبه أو على صفحة القرطاس، وكان يبحث عن المكان المناسب لإنشائه، وفي هذه الأثناء توفي السيد إسحاق أخو العلامة شبلي، (محامي المحكمة العليا). وكانت وفاته قد أقلقته، فعاد إلى أعظم جره.

وقد وقف الأستاذ شبلي أرضه ومنزله لهذا الغرض، وكان يريد أن ينشئ مؤسسة علمية كبيرة، يضم فيها مدرسة سرائ مير، مدرسته الثانوية، ودار المصنفين، وكان يكتب بين عزم ويأس إلى حميد الدين الفراهي: "ماذا أقول عن صحي، ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر، أتعافى ليومين وأمراض لأربعة، ولكن أتحدث مع الناس فيظنونون أنني بصحة جيدة، وفي الحقيقة فقد تدهور نظام جسدي كله، فأشعر بالبرد مع أن الوقت ظهر، وللأسف لم أستطع أن أكمل السيرة النبوية ولا

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

أرى أي شخص يستطيع أن يكمل هذا العمل، وإن تأسست دار المصنفين فمن غيرك يقوم بشأنها."

هذه الرسالة من أكتوبر 1914م، وكتب شبلي في 28 من أكتوبر:

"أخي العزيز، كان هذا وقت أن نجتمع في مكان واحد ونعمل شيئاً، ولكن حالي أنني أصبحت غير مبال، ويصعب علي تحمل قطع الروابط من الأصدقاء، والسيد سليمان الندوي أيضاً غير راض عن ظروفه الحالية،<sup>1</sup> وإن أشرت عليه فسيأتي على الفور ولكني أوقفه":

مرا گر تو بگذري اي نفس طامع بسي بادشاهي كنم در گدائي

ترجمة: أيا النفس الأمارة! لو تركتني لقمتم بالحكم حال كوني فقيراً.

وقد توفي العلامة شبلي بعدها بثلاثة أسابيع في 18 نوفمبر 1914م، ولما وصل الفراهي، كان لسان مصنف السيرة قد صمت، ولكن نظر إليه نظرة فيها معان وأمنيات كثيرة، يفهمها أهل النظر والبصيرة.

وكان العلامة الفراهي في كامل حواسه في ذلك الوقت الحاسم، وفي اليوم الثالث من وفاة العلامة شبلي جمع الفراهي تلامذة شبلي وأسس الجماعة النعمانية، وكان هدفها تكميل آثار الأستاذ شبلي التي كانت غير مكتملة. وقد أصبح شبلي المتكلم الندوي رئيس المدرسين في سرائ مير، والسيد مسعود علي الندوي أصبح مديرًا وتبرع أعضاء هذه الجماعة لتأسيس وإنشاء دار المصنفين، وقد أصبح مسعود علي الندوي مسؤولاً عن هذا العمل وقد مكث وحيداً في بيت شبلي لتكميل هذه الأعمال.

وذهبنا (أنا والعلامة الفراهي) إلى بهوبال بدعوة من الحاکمة النواب سلطان جهان بيغم رحمها الله، وقد طمأنتنا بالاستمرار في التعاون من قبلها، وأمرت بإعطاء التبرع بأسمائنا لتأليف السيرة، وهذا التبرع كان بمثابة أول سحابة غيث لإنشاء دار المصنفين".

<sup>1</sup> كونه أستاذًا مساعدًا في كلية دكن، بونه.



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وقد حول الفراهي بعد ذلك عند إقامته في حيدر آباد المكافئة المقررة 300 روبية شهرية باسم دار المصنفين بتأييد النواب عماد الملك، وكان هذا أفضل ضمان للإبقاء على دار المصنفين وكنت ناظمًا، وكان الفراهي رئيسًا، وأصبح هذا قانونيًا بعد التأسيس ووضع دستور العمل وقد بقي الفراهي في هذا المنصب حتى وفاته.

وقد أصبح هدف حياة الفراهي رسالتي شبلي المذكورتين أعلاه وقد أقام في حيدر آباد بسبب تغير دار العلوم حيدرآباد وإنشاء الجامعة العثمانية، ولكن كان قلبه مشغولاً في الأمور الأخرى.

وفي أثناء إقامته في حيدر آباد تخيل الفراهي جامعة تدرس فيها جميع العلوم العصرية باللغة الأردية، وأعدّ خطة كاملة للجامعة وهي أن يدرس التعليم الديني باللغة العربية وتدرس المواد الأخرى مع الفقه الإسلامي باللغة الأردية، وقد قبل راس مسعود والنواب السير حيدر نواز جنغ حيدري خطته المتعلقة بتعليم الجديد باللغة الأردية، ولكن رفضا تدرس تعليم علوم الدين باللغة العربية لجميع الطلاب، وقد أصبح هذا السبب الرئيسي لخيبة أمله من حيدر آباد، وفي سنة 1917م بدأ إنشاء الجامعة العثمانية وترجمة الكتب ووضع الاصطلاحات، وكان عضوًا لهذا المجلس وكان يقدم اقتراحاته في وضع الاصطلاحات. وبذل جهده في تحقيق أمل الجامعة العثمانية وإنجاز هذه الجامعة حتى افتتحت في 1919م.

وقد عين النواب صدر يار جنغ حبيب الرحمان خان الشيرواني نائب رئيس الجامعة وهو يكتب: "إن يد الفراهي كانت من الأيادي التي وضعت حجر الأساس للجامعة العثمانية"، ولكن ابتعدت هذه اليد من مكانها لبعض الأسباب، ولو أن السبب الظاهري كان لجو حيدر آباد الذي لم يكن جيدًا بالنسبة له، وأصبح صداع رأسه دائمًا وكان ينزعج كثيرًا بسبب صداعه، ولم يكن يقدر على القيام بأي عمل. ولكن كتب "مواعظ سليمان" ونشره وتم تأليف رسالته "أسباق النحو" باللغة الأردية، تبحث هذه الرسالة عن قواعد اللغة العربية بأسلوب سهل، ونشر من أنجمن ترقى أردو. ونشر ديوان أستاذه فيض الحسن باللغة العربية بعد التصحيح، وألف "الرأي الصحيح" وكتب بعض مقدمات التفسير وأقام حلقة

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

تدريس القرآن بعد المغرب، وكان الفراهي يخطب ويقدم الناس شكوكهم والفراهي يرد عليها. والأستاذ مناظر حسن الكيلاني الذي هو الآن بروفيسور في الجامعة العثمانية كان من خواص هذه الحلقة، وقد شاركت أنا أيضًا فيها هذا وأحيانًا كان يحضرها وحيد الدين سليم رحمه الله.

وقد مكث الفراهي في حيدر آباد حتى سنة 1919 م، ثم استقال من خدمته وكان أصحاب الحكومة يريدونه أن يبقى في حيدر آباد ولكن الأستاذ الفراهي لم يرض بذلك ورجع إلى موطنه متوكلًا على الله وترك وظيفته ألف روبية شهريًا. وإبان قيامه لم يشتغل باله إلا بالمشاغل العلمية وكانت حلقاته العلمية محدودة في حيدر آباد وكان رحيله من حيدر آباد شاقًا على أصحابه، لكنهم لم يقدرُوا على إجباره، ولم يحصل أي راتب تقاعد أو تعاون مالي من حيدر آباد. وحصل على اثنتين وثلاثين أو ثلاثة وثلاثين روبية كراتب تقاعد من جامعة إله آباد.

وأقام في موطنه "فريها" بعد عودته إلى أعظم جره، وأحيانًا كان يعتني بعمل أرضه الموروثة وكان يدرس طالبًا أو طالبين في منزله.

وكان يقضي معظم أوقاته في الصلاة والتسبيح وتلاوة القرآن الكريم ويتعمق في معانيه وكانت هذه الفرصة السانحة لكي يتجه إلى مدرسة الإصلاح سرائ مير.

مدرسة الإصلاح بسرائ مير: إن أكثر الناس في الدنيا لا يتأثرون إلا بالتشهير، وهذا نظام الدنيا، ولكن الأستاذ الفراهي كان بعيدًا عن التعلي والشهرة، ومع أن غيره قد ساهم في تأسيس مدرسة الإصلاح ولكن هو الذي تخيل شكلها ومنهجها وجعل المدرسين يؤيدون أفكاره، وقد تم تأسيس هذه المدرسة على أفكاره حيث نظر في شؤونها وأجراها على أمثل طريق اخترعه، وأحسن أسلوبه وأبدعه.

وما كان هدف مدرسة الإصلاح؟ وقد أسست مدارس دينية في أنحاء شتى في الهند ويزداد عددها كل سنة، وفي هذه الحالة ماذا يعني وقف الأستاذ الفراهي اثنتي عشرة سنة الأخيرة من حياته لمدرسته، والجواب لهذا السؤال المهم على لسان الأستاذ الفراهي بعبارة كتبها بنفسه أو كتبت برغبة منه وقد اطلع عليها فيما بعد:

"قد سيطر انحطاط المسلمين على كل مجالات حياتهم وهذا الانحطاط بسبب سوء تعليمهم الديني، عندما كانت علومهم الدينية على منهج سليم ارتقوا في كل مجال من مجال الحياة الدينية والعصرية ولكن ساء حال المسلمين بإهمال هذا الجانب المهم وبدأ انحطاطهم الفكري والديني وازداد شيئاً فشيئاً".

وقد وفق الله سبحانه وتعالى نخبة من العلماء وأكدوا أن المنهج التدريسي في المدارس الإسلامية ليس مفيداً، وأن التعليم في الإسلام يعني تنشئة الأطفال وإعدادهم للعالم والآخرة ورعاية نموهم رعاية شاملة لجميع جوانب النمو الجسدي والعقلي والروحي والخلقي وليس الحل لهذه المشكلة أن ندخل بعض التعديلات في المقررات الدراسية ولكن الحل الوحيد يقتضي لنا أن نبذل قصارى جهودنا في سبيل تدريس العلوم الدينية بمعناها الحقيقي وهذا سبيل التفقه في الدين وقد تم تأسيس مدرسة الإصلاح على هذه الأفكار العالية.

وادعت مدرسة الإصلاح أنها قد نالت الصراط المستقيم في العلوم الدينية واتخذته الهدف الأساسي، ذلك الهدف الأساسي والصراط المستقيم هو الذي ركّز عليه رسول الله ﷺ في حجة الوداع: "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله"، وقد ادعت مدرسة الإصلاح أن السبب الرئيسي لانحطاط المسلمين هو ترك الاهتمام لتدريس القرآن الكريم والانشغال في العلوم المتعلقة بالقرآن انشغالاً تاماً، وكتفوا بالتلاوة وحفظ الكلمات، وانطبقت عليهم شكوى الرسول صلى الله عليه وسلم: "يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً" (سورة الفرقان: 30)، ولكن قد كشفت مدرسة الإصلاح هذا السر العظيم وعكفت على طلب علوم القرآن والبحث عن معانيه ونظمه وأحكامه وحكمه.

وقد نالت مدرسة الإصلاح هذا السر العظيم بتوفيق الله سبحانه وتعالى وجعلت القرآن الكريم محوراً ومركزاً كمنبع الهداية والرفق لتدريس جميع العلوم الدينية، وأكدت على أن الإصلاح في التعليم الديني لا يأتي إلا بتوجيه المسلمين إلى دراسة القرآن دراسة جدية وركّز التعليم في هذه المدرسة على تدريس القرآن الكريم وهو

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

كمعين لا ينضب أو كمركز تدور حوله جميع المواد الأخرى كالأدب العربي، والفقه، والحديث الشريف، والتاريخ وغيرها.

وهذا بيان موجز لمدرسة الإصلاح وهذا الهدف الأساسي للفراحي وقد ترك له المرتب الكبير والمناصب العليا، ولذة العيش ووقف حياته لهذه المدرسة وفضّل حياة البساطة المملوءة بالقناعة والعيش البسيط على حياة الرغد والرفاهية.

تقع هذه المدرسة على مسافة محطة من بيت الفراحي وكان يقضي ثلاثة أيام فيها من كل أسبوع ومعه طعامه المطبوخ وكان يقيم هنا في حجرة صغيرة.

أسست هذه المدرسة على أساس التوكل على الله، فقد توكل الأستاذ على الله سبحانه وتعالى لجميع مصروفاتها وكان يقول: "سيعطينا الله" ونحن نشاهد أن الله أعطاه ولم يسأل قط لمدرسته وقد ذهب مرة إلى برما للمدرسة ولكن لم يسأل أي تاجر ولم يمد يده ولكن نجح ونال مراده.

قد أسس الأستاذ الفراحي مسجدًا واسعًا لمدرسته ثم أقام المدرسة ودار الإقامة والآن اكتملت دار الإقامة من ثلاثة أطراف وبقي طرف واحد، أقام مبنى لدار الكتب وكانت سقوف جميع المباني من الطين إلا سقف المسجد، وقد تبرع بمكتبته الخاصة لدار كتبها.

وكانت مصروفات المدرسة خمس أو ست مئة روبية شهريًا إلا مصاريف البناء، وقد منح بعض المخلصين أوقاتهم للمدرسة في أعظم جره، وبرما وكلكتة. ولكن المصاريف كانت أكثر منها وكان المسلمون في الولاية عشرهم وجلود ذبائحهم ونقودهم للمدرسة ولكن كان لا يكفي لجميع مصاريف المدرسة.

تقعت هذه المدرسة في ساحة قريبة من محطة سرائ مير ولا يوجد سكان بقربها ولكن توجد قرى المسلمين حولها. وهؤلاء القرويون يقومون بأعمال المدرسة كلها، فهم أعضاؤها وخدامها، إن النظافة والبساطة رمز المدرسة وبعض معلّمها من المدارس القديمة ومنهم من تخرجوا من ندوة العلماء وبعضهم من طلابها القدماء ومحمد شفيع خادم قديم في المدرسة ومتواضع جدًا، ويعتني بالأمور الإدارية والمالية للمدرسة من البداية حتى الآن.

## العدد الخاص . . . . . مجلة الهند

وهؤلاء المدرسون يقضون حياتهم في الأمانة والتواضع والإخلاص ولا نعرف عن هذا النوع من الصدق والأمانة في أي مؤسسة أخرى. وكان الأستاذ شبلي الندوي يكتسب أكبر مبلغ من الراتب وهو خمس وثلاثون روبية، بينما طلابه وأصحابه يحصلون راتبًا مضاعفًا منه في أمان أخرى.

وكان الأستاذ الفراهي لا يحب أن يكون العلماء متسولين ويريد أن يلغي عادة السؤال من المدارس الإسلامية ولهذا فقد قام بشراء الأراضي لمؤسسته وهذه الأراضي تعطى ربحًا سنويًا ولقد صنع فرص الربح الصناعي والتجاري في مدرسته من جهوده الوحيدة خلاف طريقة المدارس الإسلامية الأخرى وقد قام بشراء آلة طحن الدقيق مع بعض أصحابه المخلصين وقد حصلت المدرسة على الدخل اليومي. وقام بإدارة قسم لتصنيع الأحذية في المدرسة حيث يتم صنع الأحذية الجيدة وغيرها.

وكان الوضع التعليمي في هذه المدرسة أن جميع الأساتذة كانوا يحبون الأستاذ الفراهي حبًا جمًا وكان الأستاذ الفراهي يوضح لهم تحقيقاته القيمة في مباحث القرآن الكريم ومشاكل العلوم العالية ويوضح لهم طريقة تعليمه، وكان لا يريد أن يضع أوقات الطلاب في مباحث النحو والصرف، وقد ألف رسالتين في النحو والصرف وهذه الكتب محتوية على الأمثلة والتدريبات، وتدرس في مدرسة الإصلاح وهي كافية، وقد أخرج كل موضوع غير ضروري من المنهج، ودرس كتابًا أو كتابين في المنطق والفلسفة، وقد أكد على تدريس الأدب العربي، ويدرس الفقه في مدرسته كفقه إسلامي ويدرس الحديث من غير عصبية، ويعتبر القرآن الكريم هو مركز التعليم ومحوره.

وقد درس الأستاذ الفراهي الأساتذة المدرسة وطلابها القرآن الكريم مع وجهات النظر المختلفة حتى وفاته، ودرس معه بعض تيارات الفلسفة الجديدة، وقد استفاد بعض الطلاب المجتهدون من هذه الدروس استفادة كبيرة وكان منهم أمين أحسن الإصلاحي. وفي آخر أيامه اختار الأستاذ نخبة من الطلاب بدل التأليف والتصنيف، ورباهم وأحسن تربيتهم، وكان يبذل جهوده في تعليمهم، وكان يظنهم خير زاد في الدنيا والآخرة.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> نشرت هذه المقالة في مجلة "معارف" الصادرة عن دار المصنفين (بأعظم جره) وفي غيرها من المواضع. أخذناها من "حيات حميد" لجامعها عبد الرحمن ناصر الإصلاحي الجامعي

## إسهامات الشيخ عبد الحميد الفراهي

خلال إقامته في مدينة "لؤلؤ" (حيدر آباد)

-د. محمد فضل الله شريف<sup>1</sup>

هو عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج علي، حميد الدين، أبو أحمد الأنصاري، الفراهي، وكان اسمه الأولي "حميد الدين" وأما "الفراهي" فهو نسبته إلى قريته التي كانت مسقط رأسه، واسمها "فريها" وهي من قرى مدينة "أعظم كره" إحدى مدن الإقليم الشمالي في الهند

بدأ الفراهي تحصيله العلمي في منزله كدأب أبناء البيوتات الشريفة، إذ عيّن له مؤدب يسمّى الشيخ أحمد علي، فقرأ عليه القرآن الكريم، وحفظه وهو ابن عشر سنين أو نحو ذلك، ثم تعلم اللغة الفارسية في منزله أيضًا في مدة ستة أشهر، أخذها عن الشيخ محمد مهدي الذي كان من المؤدبين المشهورين في تلك الديار، وله ديوان شعر بالفارسية، وسرعان ما حصلت له بذكائه وتوقد ذهنه ملكة قوية في اللغة الفارسية، وامتلك ناصية البيان، فبدأ يقرض الشعر، ولم تمض مدة قصيرة حتى أخذ يجاري فحول شعراء الفارسية، وكذلك بدأ تعلم اللغة العربية، وله من عمره أربع عشرة سنة، فانتقل من قريته إلى مدينة أعظم جره، وقرأ فيها على ابن عمته العلامة شبلي النعماني الذي كان أكبر منه بست سنين، ثم توجه معه إلى مدينة لكناؤ، وأخذ الفقه عن الفقيه الشهير عبد الحي الأنصاري اللكناوي، كما أخذ المعقولات عن الشيخ فضل الله بن نعمة الله الأنصاري، ثم هداه الشوق إلى التلمذ على أديب العربية وشاعرها الفحل العلامة فيض الحسن السهارنفوري الذي كان مدرسًا في الكلية الشرقية بمدينة لاهور.

<sup>1</sup> أستاذ مساعد، كلية إيه كيه ايم الشرقية، (التابعة بالجامعة العثمانية)، غاتشي غوره  
حيدر آباد

بعدما تخرج في العلوم المتداولة من المنقول والمعقول وعلوم العربية، أقبل سنة 1300هـ - وهو ابن عشرين سنة - على اللغة الإنجليزية والعلوم الحديثة، فالتحق بثانوية "كرنل غنج" بمدينة "الله آباد" ثم بكلية "علي جره" التي تطورت فيما بعد إلى "جامعة علي جره" وكانت العربية والفارسية من المواد اللازمة لطلاب الكلية، ولكن الفراهي أعفى عنهما، بل كلف من المسؤولين ترجمة كتابين من العربية إلى الفارسية لإدخالهما في المقررات الدراسية في الكلية التي كان هو أحد طلابها.

وقد عني الفراهي في زمن دراسته في الكلية بالفلسفة الحديثة، ونال فيها درجة الامتياز مع اهتمامه بالإنجليزية والعلوم العصرية الأخرى، ثم درس سنتين علم القوانين الجارية (الحقوق) ولكنه كان يكره الاشتغال به، فنبذه ولم يكمل حصوله.<sup>1</sup>

اشتغاله في المناصب التدريسية والعلمية والإدارية: عيّن الشيخ الفراهي مدرساً للغة العربية في "مدرسة الإسلام" بمدينة "كراتشي" في عام 1314هـ، وظل يعمل فيها قرابة تسع سنوات.

ثم انتقل إلى "كلية علي جره" في سنة 1324هـ، وعيّن فيها أستاذاً مساعداً للعربية، ودرّس فيها لسنين، ثم انتقل من هناك إلى جامعة "الله آباد" حيث قام بتدريس اللغة العربية بمرتبة أستاذ نحو ست سنوات.

ثم اختارته "إمارة حيدرآباد الدكن" الدولة الأصفية في عام 1332هـ عميداً لدار العلوم التي كانت تعرف بـ"الكلية الشرقية" وكان الفراهي بجانب عمادته للكلية يدرّس في هذه الكلية في مرحلة الدراسات العليا، ويعد الفراهي أحد المؤسسين لـ"الجامعة العثمانية" الشهيرة في مدينة حيدرآباد، وإليه يرجع الفضل في جعل اللغة الأردية وسيلة لتدريس العلوم العصرية في هذه الجامعة، وقد مكث الفراهي في حيدرآباد زهاء خمس سنوات.

وكان أثناء إقامته في مدينة "حيدرآباد" يلقي الدروس في حلقة أسبوعية لتفسير

<sup>1</sup> الإمام عبد الحميد الفراهي، مفردات القرآن، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2002م. ص 17-18

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

القرآن الكريم، وكان لها دوي في المدينة، وكان يحضر تلك الدروس أعيان البلدة. وغادرها سنة 1338هـ إلى مسقط رأسه "فريها" حيث تولى إدارة "مدرسة إصلاح المسلمين" التي أنشأها "جمعية إصلاح المسلمين" في بلدة "سرائ مير" وقد عكف الفراهي على خدمة هذه المدرسة بكل صدق وإخلاص، ووضع لها مقررات تتميز عن مقررات جميع المدارس الدينية في الهند، وكان يلقي دروسًا في تفسير القرآن الكريم على أساتذة هذه المدرسة وطلابها الكبار.

كما اختير الفراهي في سنة 1332هـ رئيسًا لـ "دائرة المصنفين" في مدينة أعظم جره، وترأسها حتى الوفاة.

توفي رحمه الله وهو يتلو القرآن الكريم في مدينة "مُثُورا" في شمالي الهند في التاسع عشر من جمادى الثانية سنة 1349هـ، الحادي عشر من نوفمبر سنة 1930م.<sup>1</sup>

### إسهامات الشيخ الفراهي خلال إقامته في مدينة حيدرآباد (1914-1919م)

فيما يلي سنتحدث عما قام به الشيخ الفراهي من الخدمات أثناء إقامته بحيدرآباد: موقع مدرسة دارالعلوم: لم تستقر دارالعلوم منذ بدايتها إلى دمجها في الجامعة الإسلامية، نشأت في بيت من حي فتهر غتي (Pather Gatti)، بعد مضي مدة قصيرة مسّت الحاجة إلى أرض واسعة نسبيًا نظرًا لازدياد عدد الطلاب، فنقلت إلى تشار مينار قرب غلزار حوض (Gulzar Houz) في منطقة مجاورة للقوس الأسود، وهذا المبنى اليوم يحتفظ وجودها مع طمس آثارها باسم "دارالعلوم" الذي كان يمتلك ذلك البناء راجه شنبو برساد (غلام رسول مرحوم).

فلما قدم الإمام الفراهي مديرًا لمدرسة دارالعلوم كان مكتب الشيخ في نفس المبنى،

<sup>1</sup> الدكتور محمد فريد راوي بن عبد الله، الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، دار الشاكر للطباعة والنشر والتوزيع، ماليزيا، ص 49



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وعندما لم يبق كان دار العلوم الفردي فانقسمت إلى قسمين، قسم منها للكلية، وقسم منها للفوقانية،<sup>1</sup> ثم انتقل الجزء للكلية إلى كتّل مندي (Kattal Mandi)، والفصول استقرت في مكانتها<sup>2</sup>

التوظيف والراتب في مدينة حيدرآباد: قدم الشيخ إلى مدينة حيدرآباد على منصب مدير المدرسة، هنا نذكر المراسلات التي جرت بين الحكومة الهندية والدولة الأصفية، تذكر تلك المراسلات الفراهي باسم مدير للمكتب؛ لأن مدرسة دار العلوم معادلة بالكلية، ولهذا سميت في المراسلات الرسمية بـ"الكلية الشرقية" (Oriental College) كان راتب الشيخ الفراهي 550-1000 روبية شهريًا، هنالك نذكر بعض المراجع والمقتبسات التي تدل واضحًا على راتبه، وهو الأساس والبرهان في ذكر راتبه، ويتضح الراتب والشرائط للحصول على المنصب بوضوح وتفصيل بالمراسلة الجارية بين الحكومتين في بداية عهده:

"His Highness government wishes to obtain the loan of services of Moulvi Hameedud-Din Sahib, Arabic Professor of Muir Central College, Allahabad for appointment as Principal of the Daru ul Uloom (Oriental College), Hyderabad, for a period of the three years, the six months of which will be on probation.

Moulvi Hameed –ud- Din Sahib will be given a starting salary of H. S. Rs. 500/= raising to Rs. 1000/= by an annual increment of Rs. 50/= and the usual foreign service contribution will be paid by his Highness Government".<sup>3</sup>

ثم أرسلت رسالة أخرى قبل حكومة نظام إلى حكومة أترابرايش ردًا على استفسار وهو على النحو التالي:

<sup>1</sup> تذكره دار العلوم، ص 87

<sup>2</sup> الدكتور رضي الدين صديقي، إسلام آباد، 22/ مايو 1985م

<sup>3</sup> File No: p2/ C 30 of 1914 of the political & Private Secretary's office of H.E. the Nizam Govt. محيلاً إلى مقالته "مولانا حميد الدين فراهي حيدرآباد دکن میں قیام کے دوران"، ترتيب: سيد شكيل أحمد، ص 34.

"The Govt. of United provinces of Agra and Oudh have sanctioned the transfer of Molavi Hameed –Din, Arabic Professor in Muir Central College, Allahabad, to Hyderabad State for employment as the Principal of the Darul – Uloom (Oriental College) at Hyderabad for a period of three years (the first six months of which will be on probation) on the following terms:

- (a) Salary H.S. Rs. 500/- raising to Rs. 1000/= a month by an annual increment of Rs. 50/= under article 764 (II) of the civil Service regulation (New Rules).
- (b) Travelling Allownces admissible under the civil Service Regulations.
- (c) Usual contribution towards leave and pension".<sup>1</sup>

لم يضبط التاريخ على هذه الرسائل، ولكن تقديراتها تشير إلى أنها من المراحل الأولى من الإجراءات، ولكن بعد ذلك تم إصدار إشعار الإخطار من حكومة أتراباديش يونيو 1914م، ولكنها كوثيقة تاريخية أهميتها واضحة، ولذا تثبت كلماتها هنا.

الإقامة في مدينة حيدرآباد: تمتد فترة القيام للفراحي في مدينة حيدرآباد لأكثر من خمس سنوات، ولم يختص لمكتبه مكان، لأنه لم يستمر في مكان خاص، وخاصة عندما انتقلت الكلية إلى أمكنة مختلفة فتحول منزله كذلك، ولكن ما حصلنا على أي مصدر يخبر عنها شيئاً، تنمّ المصادر عن أنه كان يسكن في حي ملك فيت (Malak Pet).<sup>2</sup>

مشاغله في الكلية: بالإضافة إلى مهامه الإدارية العامة لدار العلوم كان الفراحي يدرّس في الصفوف العليا،<sup>3</sup> كذلك تعيين الموظفين والمعلمين في المدارس، وإشراف

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 43.

<sup>2</sup> الدكتور شرف الدين الإصلاحي، ذكر فراحي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم جره، ص: 277.

<sup>3</sup> امتياز أحمد أعظمي، خط قلبي، 26 يونيو 1981م.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

الطلاب، وإعداد الجداول للمقررات الدراسية، ونظام التطوير والقبول، والفحص، واستخدام القيود المنضبطة الشائعة في المجالات التعليمية والإدارية للمشاركة في تعزيز التعليم التربوي، والارتباط مع مسؤولي الأعلى، والمراسة، والمشاركة في الاجتماعات، كل هذه الأمور كانت مفوضة إليه. تظهر من ورقة المكتبات بمثل هذه المشاركات في الأمور المفوضة، أنه لم يحدد نفسه في الوظائف الأخرى أيضًا في إلقاء الدروس؛ بل ينفق جلّ أوقاته في المطالعة، ولكن كان الوضع مختلفًا في مدينة حيدرآباد، وقال العلامة السيد أبو الأعلى المودودي في مقابلة معه: "إن السيد المودودي قد قرأ عنده بانتظام، وأنه كان يلقي الدروس في الكلية كالمدير".<sup>1</sup>

تعيين الأساتذة والاهتمام بهم: عندما كان الشيخ يقتنع بمواهب الأساتذة وقدراتهم، كان يبذل جلّ عنايته للاستفادة من مواهبهم وجداراتهم، والترقية لهم، فالأساتذة الذين كانت تنتهي مدة إقامتهم، أو كانوا يقعدون على الوظيفة، فكان الشيخ يجتهد لتوسيع مدتهم التدريسية، فكان من أساتذة دار العلوم المولوي حبيب الرحمن السهارنبوري، وكان يدرس الفقه، والحديث والتفسير، قد جاء توسيعه لثلاث سنين قبل مجيء الشيخ إلى الكلية، فطالب الشيخ توسيع مدة تدريسه لثلاث سنين الأخرى.

كان البروفيسور عبد الواسع معين المدرسين في دار العلوم، وكان يعينه ويمده الرئيس الأسبق إلهي بخش، وهو قد قدم الطلب للتعيين على منصب الدراسة عند تعيين الشيخ الفراهي، فلم يظهر ولا برز إلى الأمام، وقد فوض الأمر إلى عبد الواسع وأعده على خلاف الفراهي، بأنه يرفع القضية إلى الحكومة في توسيع مدة تدريس المولوي حبيب الرحمن، وتعيين شير علي على منصب البروفيسور، فكذا أجريت الأعمال العدائية ضد تعيين البروفيسور جميل الرحمن، فقد حزن الشيخ على ذلك حزنًا شديدًا، ولكنه بقي على قراره، وعمل المولانا شير علي على دفاعه بكل جرأة وشجاعة وحماس.

<sup>1</sup> مجلة "تعليمات لاهور" الشهرية، عدد خاص عن العلامة المودودي، 4/4-5، سبتمبر-أكتوبر 1981م، ص 17.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

ذكرى ستين لدارالعلوم: ولم يمض على قدوم الشيخ الفراهي إلى مدينة حيدرآباد إلا أيام قلائل، إذ جعلت تحتفل دار العلوم بمرور ستين عامًا على إنشائها، وكان الاحتفال قد بدأ قبل قدوم الشيخ إلى مدينة حيدرآباد، ما ساهم الشيخ وما شارك في مهامه وأموره، ولم يكن يتوقع ذلك منه، ولكن الشيخ لم يكن يهتم بمثل هذه الأمور، فقد جاء إعداد الحفلة من قبل أبناء القديم للجامعة، لو كان أحد في مكان الشيخ لانتبهز مثل هذه الفرصة لعلو شأنه، وارتفاع مكانه، يشير إلى ذلك نصير الدين الهاشمي في كتابه: "تذكره دار العلوم" فقد رأينا في تلك الحفلة العظماء والكبار والصغار جميعًا، ولكن ما وجدت الشيخ الفراهي مع أن الناس انتظروه بفارغ الصبر، وإن كان قد استقبل الضيف الخاص النواب سالار جنغ كممثل رئيس دار العلوم، وإن كان الشيخ قد ورد في مدينة حيدرآباد جديدًا، ولكن النواب سالار جنغ ذكر اسمه في خطبته الرئيسية. نقتبس خطبته فيما يلي:

"هذا أمر مهم ومبعث للسرور والبهجة، أني أرى الاجتهاد في شأن الالتزام بالجديد والقديم في المقررات الدراسية في هذه المدرسة، فقد جاء تعيينه على مهام الرياسة المولوي حميد الدين، الذي بجابب معرفته للعلوم القديمة قد نال درجة بي إيه".<sup>1</sup> الاستقلال في التوظيف ديسمبر عام 1914م: كما يبدو من وثائق أعماله بأنه جاء تعيينه على الخدمة المستعارة لثلاث سنين، فتشملها مدة الاختبار، ولكن في نهاية فترة الاختبار لمدة ستة أشهر، قد تمت المراسلة من قبل السيادة الوظيفية لتعيين الشيخ استقلالًا، فقد أجابت الحكومة في يونيو، 1914م، فقد انتهت مدة الاختبار عام 1914هـ، وقد استقل على المنصب<sup>2</sup>

عضو المجلس الإداري للمكتبة الأصفية 1324هـ/ ديسمبر 1914م: كان رئيس دار العلوم المولوي إلهي بخش عضوًا في المجلس الإداري، فلما تقاعد عن هذا

<sup>1</sup> نصير الدين هاشمي، تذكره دار العلوم، مطبع أعظم استيم، غورنمنت ايجوكيشنل برنترس، مغل فور، حيدرآباد دكن، ص 44

<sup>2</sup> محيلاً إلى المقالة "مولانا حميد الدين فراهي حيدرآباد، دكن میں قیام کے دوران"، المصدر نفسه، ص 5

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

المنصب عيّن الشيخ الفراهي رئيس دار العلوم على هذا المنصب، وتمت كافة الإجراءات في يوم من أيام ديسمبر 1914م.

رئاسة لجنة امتحانات اللغات الشرقية 1324هـ / 1915م: كانت تعمل في الحكومة لجنة لاختبارات اللغات الشرقية، كان الشيخ الفراهي يرأس هذه اللجنة، فقد راجت وعمت اختبارات السنة الشرقية، كما جاء تأسيس المدارس الفوقانية للإعداد لهذه الاختبارات، إن هذا الاختبار أقيم لاختبارات "رشيدية" و"مولوي"، فقد جاء اعترافها معادلاً للصفوف الوسطي والعليا، كما جاء تعيين لجنة مكونة من أساتذة دار العلوم بحيدرآباد، والمتضلعين من العلوم والفنون لإعداد الضوابط للاختبار والفحص عن المقررات الدراسية، فقد تفوض المقررات بعد التغير اليسير إلى معتمد التعليم، وكان يرأسها المولوي حميد الدين.<sup>1</sup>

الأمراض - أكتوبر 1915م: نحن نعلم عن صحة الشيخ الجيدة، ولكنه أصيب بأمراض منذ صباه، وكان لا يهتأله بال، ولا يقر له قرار على الظروف غير المواتية، وأنه قد ذكر ذلك من أسباب استقالته، كما تشير المراسلات في ذلك الزمن بأنه قد أصابته الأمراض، وتستمر إلى أسبوع كامل.

وأنه قد تلحقه الأمراض الفصلية، بجنب ذلك أنه كان مصاباً بالأمراض الشديدة الدائمة، مثل الصداع في الرأس التي لم يفارقه إلى مماته، وقد طراه ولا يطيب له عيش.

إحياء اللجنة "ثمرة الأدب" 1324هـ: فقد جاء تأسيس هذه اللجنة باسمها من قبل طلبة دار العلوم عام 1311هـ، وهي لجنة منظمة ونشيطة، وكانت فعاليتها واسعة نطاقها، ولكنها انحطت على مر الزمان فلم يبق من رسمها إلا اسمها، فلما عيّن الفراهي كرئيس دار العلوم، قام بإحيائها، فقبل الدكتور الما لطيفي إشرافها، وجاء تعيين الشيخ كرئيس لها، والمولانا عبد القدير نائب الرئيس، فقد استمرت اللجنة تعمل إلى ست سنوات كاملاً، فلما انقضت مدتها اندمجت في

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 15.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

لجنة اتحاد الطلبة في الجامعة العثمانية، فقد انتقل مكتب "ثمر الألب" إلى الجامعة العثمانية، وكان من ميزات وخصائص هذه اللجنة أنها كانت تشرف وتصدر رسالة باسم "ثمر الألب" كان يرأسها الشيخ حميد الدين الفراهي، وتنتشر البحوث العلمية للأساتذة في الجامعة العثمانية.<sup>1</sup>

تكوين هيئة لدار العلوم عام 1915م: فلما قدم الشيخ إلى مدينة حيدرآباد، لم تمض مدة قليلة على تربيته على منصب الرئاسة لدار العلوم، إذ أعد مشروعاً على إشارة من مدار المهام سالار جنك باسم لـ"تكوين هيئة لدار العلوم" تهدف إلى شيئين مهمين، لا تجمع بين العلوم القديمة والجديدة فقط، بل تفي جميع الحاجيات للمسلم، وتهدف إلى جعل اللغة الأردية وسيلة للتعليم، وكان الشيخ الفراهي رئيساً لدار العلوم خلال مكوثه في مدينة حيدرآباد، ورئيساً لهذه اللجنة لـ"إصلاح المقررات الدراسية".

المراسلات في اللغة الأردية 1916م: كان الشيخ الفراهي يكتب الرسائل الرسمية في اللغة الأردية، وإن كان معظم الموظفين يستخدمون اللغة الإنجليزية.

المشروع الأول للجامعة العثمانية رجب 1335هـ - أبريل: 1917م: فقد أصدر نظام الدين مير عثمان علي خان مرسوماً لتأسيس جامعة أردية في مدينة حيدرآباد رجب 1335هـ، نحن نجد اسم الفراهي في الموظفين الأولين في إعداد المشروع الأول لهذه الجامعة، فقد فوض أمر الإعداد للمقررات الدراسية إلى مجلس يشرف على إعداد المقررات، نحن نرى اسم الفراهي في تلك القائمة على الرقم الرابع، كما نرى شخصين مهمين مع الفراهي في هذه القائمة وهما: أكبر حيدري، ورأس مسعود.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> تذكره دار العلوم، المصدر نفسه، ص 93-94.

<sup>2</sup> محيلاً إلى المقالة "مولانا حميد الدين فراهي حيدرآباد، دكن ميں قيام كے دوران"، المصدر نفسه، ص 14.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

مدير الجامعة العثمانية 1919م: إنما بدأت الجامعة العثمانية بكلية، كلية دار العلوم، يرأسها الشيخ الفراهي، فلما دمجت الكلية في الجامعة العثمانية، لم يذكر الدكتور رضي الدين ماذا عمل الشيخ الفراهي خلال تلك المدة، إلا أن المصادر تشير إلى أنه عمل كمدير لهذه الجامعة الجديدة لفترة وجيزة من الزمن فيقول الدكتور:

"كان المولوي حميد الدين يرأس الكلية في دار العلوم، فلما جاء تشييد الجامعة العثمانية ودمجت الكلية إليها، فقد مكث هناك لمدة قصيرة كمدير للجامعة".<sup>1</sup>

"دار العلوم" قسم الديانة في كلية الجامعة العثمانية 1919م: قد تخيل إليهم أن دار العلوم قد تصبح جامعة كبيرة، وجاء تعيينها كممثل كلية دينية، ثم دمجت في الجامعة العثمانية، كما جاء قرار لنقل الأساتذة المتصلين في دار العلوم، كما كُوت هيئة لإعداد المقررات الدراسية، نحن نرى اسم الفراهي جليًا في تلك القائمة، كما أصدر الملك المروسي 22/ رجب 1337هـ، وإن كان الشيخ يمكث في مدينة حيدرآباد<sup>2</sup>

الاعتزال عن الوظيفة في مدينة حيدرآباد: عيّن الشيخ الفراهي لثلاث سنوات، فلما انتهت المدة وسّع في مدتها إلى ثلاث سنوات الأخرى، فاستمر الأمر إلى الأيام، ولكن الشيخ الفراهي قد اعتزل عن المنصب، ورجع إلى قريته.

يجتمع الشيخ الفراهي مع نظام حيدرآباد 3/ مايو 1919م: كما ذكر الإصلاحي أنه لم يثبت أن الشيخ الفراهي حضر الملك إلا مرة واحدة، عندما عزم الشيخ على توديع مدينة حيدرآباد، أظهر نظام أمنيته للقيام، وطلبه إلى كك كوتي (King Kothi)، فرفض مولانا اللقيا، فلما أصر على ذلك، استعد لذلك، فشكا نظام إليه أنه لا

<sup>1</sup> رضي الدين صديقي، جامعته عثمانية، بهادر جنغ اكايمي، شارع سراج الدولة، بهادر آباد، كراتشي، مطبعة ايجوكينشل، 1984م ، ص 33.

<sup>2</sup> "مولانا حميد الدين فراهي حيدرآباد، دكن ميں قيام کے دوران"، المصدر نفسه، ص 14-15.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

يأتيه للقياد، فكيف يجتمع ملك مع ملك آخر، فتعجب نظام على هذه الإجابة، فأوضح الشيخ، بأن المملكة لها أقسام، مملكة للسلطة، ومملكة للعلم. فأنت ملك للسلطة، وأنا ملك للعلم.<sup>1</sup>

المشاغل العلمية في مدينة حيدرآباد: وكان الشيخ الفراهي قد شغل نفسه كمدير للكلية لتطوير الكلية وأعمالها الإدارية والتعليمية، كما بذل جلاً عناية لإقامة جامعة جديدة، فلم يسنح له الفرصة بأن يتم أمنياتها العلمية والكتابية، فلذا لم نجد خلال إقامته في مدينة حيدرآباد أعماله العلمية الكتابية، كما قد أصابه الأمراض المزمنة فلم يلتفت تمامًا إلى الكتابة، ولكن العلامة سيد سليمان الندوي يذكر بعض أعماله خلال إقامته في مدينة حيدرآباد.

فقد كتب "خرد نامه" أعني المواعظ العثمانية فقد أعده ونشره، ثم رتب رسالتين مهمتين على الأصول الجديدة للنحو والصرف، وقد جاء طبعها من قبل لجنة أردوية تقديمية، وأنه قد قام بنشر ديوان أستاذه العلامة فيض الحسن السهارنبوري بعد التصحيح. كما كتب التقديمات لـ"الرأي الصحيح" وغيره من الكتب الدراسية وغير الدراسية.<sup>2</sup>

سلسلة دروس القرآن الكريم في مدينة حيدرآباد: وكانت مدينة حيدرآباد في عهده الزاهر بالمكارم والمآثر مركزاً للثقافة والحضارة، كما لم يعوزها المحبون والمولعون بالأدب والنشاطات اللغوية، كان الشيخ الفراهي لا يميل إلى الأساليب المطردة في الوعظ والإرشاد ودرس القرآن الكريم، وإن دعاه أحد ليستمع منه فكان يقدم إليه المعاني من غير تكلف، كما ذكرنا من قبل سلسلة دروسه في لجنة "ثمرة الأدب" التي لم تكن مستقرة مستمرة في حدود دار العلوم، كما كان له درس في مسجد في كل يوم، فقد قال العلامة المودودي في ذلك:

<sup>1</sup> عبد القدوس هاشمي، إسلام آباد 28/ أبريل 1983م

<sup>2</sup> سيد سليمان ندوي: یاد رفتگان، مکتبة شرق، آرام باغ، کراتشي، 1955م، ص 145



"إني ذهبت للحصول على التعليم إلى مدينة حيدرآباد، كان الفراهي يلقي دورس القرآن، إني شاركت دروسه لأيام عديدة".<sup>1</sup>

فقد علم بذلك أن هذا الدرس كان يلقي بعد صلاة المغرب مباشرة كل يوم، كما كانت تعقد حلقة قرآنية ذكرها "نصير الدين هاشمي" في كتابه "دكن مين أردو":  
"كما تعقد حلقة في القرآنية يوم السبت، يقوم بالخطابة الأردية".<sup>2</sup>

خلاصة القول: إن الشيخ الفراهي عمل جاهداً في مدينة حيدرآباد لتطوير المعاهد العلمية، وخاصة أنه بذل جلاً عنايته كرئيس لدار العلوم في تطوير المناهج الدراسية والمقررات الدينية، وأنه قد أدخل تعديلات كثيرة، ووقّر تعليم اللغة الإنجليزية مع الاهتمام بالقديم والجديد، كما تحمل في المدينة مسؤوليات عديدة، وأنه عمل ممتازاً في توفير التعليم الديني.

<sup>1</sup> نصير الدين الهاشمي: دكن مين اردو، ص 516

<sup>2</sup> ذكر فراهي، المصدر نفسه، ص: 337

### المصادر المراجع

- 1- امتياز أحمد أعظمي، خط قلبي، مؤرخه 26 يونيو 1981 م.
- 2- رضي الدين صديقي، إسلام آباد، 22/ مايو 1985 م.
- 3- رضي الدين صديقي، جامعه عثمانية، طبعت: بهادر جنغ اكاديمي، شارع سراج الدولة، بهادر آباد، كراتشي، 1984 م.
- 4- سيد سليمان ندوي، ياد رفتكان، مكتبة شرق، آرام باغ، كراتشي، 1955 م.
- 5- سيد شكيل أحمد، مولانا حميد الدين فراهي حيدرآباد، "دكن ميں قيام كے دوران"، مكتبة إبراهيمية حيدرآباد-الهند، الطبعة الثالثة، 1345 هـ – 1936 م
- 6- شرف الدين الإصلاح، ذكر فراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، أترابرايش - الهند، 2001 م.
- 7- عبد الحميد الفراهي، مفردات القرآن، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2002 م.
- 8- عبد القدوس هاشمي، إسلام آباد 28/ أبريل 1983 م.
- 9- مجلة "تعليمات لاهور" الشهرية، عدد خاص عن العلامة المودودي، ستمبر - أكتوبر، 1981 م.
- 10- محمد فريد راوي بن عبد الله، الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، دار الشاكر للطباعة والنشر والتوزيع، ماليزيا.
- 11- نصير الدين هاشمي، تذكره دار العلوم، مطبع أعظم استيم، غورنمنت ايجوكيشنل برنترس، مغل فوره، حيدرآباد دكن.

## الأستاذ الامام الفراهي في رسائل شبلي النعماني

- أ.د. أبوسفيان الإصلاحي<sup>1</sup>

ترجمة من الأردوية: أبو سعد الأعظمي<sup>2</sup>

كان الإمام عبد الحميد الفراهي ابن خال وتلميذ العلامة شبلي النعماني، وهو كان يحبه أكثر من جميع تلامذته. كانت له جزء أكبر في إطارة صيته ونشر مآثره بين الأوساط العلمية عن طريق كتاباته ورسائله. تلقى الأستاذ الفراهي الدروس الابتدائية منه، فعرف ما كان فيه من ذكاء وحدة منذ صغره.<sup>3</sup> وقدم العلامة أمامه عدة أسئلة علمية وأدبية بما له من دراسات عميقة ومعارف جمة، وكذلك سألته أن يرشده إلى المصادر

<sup>1</sup> بروفييسور، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي كره الإسلامية، علي كره، الهند

<sup>2</sup> باحث، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي كره الإسلامية، علي كره، الهند

<sup>3</sup> راجع للتفصيل عن حياة الأستاذ الفراهي، آثاره وأفكاره الكتب التالية:

ا- علامه حميد الدين الفراهي لعنايت الله السيحاني الإصلاحي، مكتبة إصلاح، سرائي مير، أعظم جراه، نوفمبر 1978م

ب- حيات حميد (مرتبه) لعبد الرحمان ناصر الإصلاحي، مطبعة معارف، أعظم جراه، بدون تاريخ

ج- يادرفتكاه للعلامة سيد سليمان الندوي، (بدون مطبع وتاريخ)، ص: 110-132

د- كتابيات فراهي (ترجمة الشيخ حميد الدين الفراهي) للدكتور ظفر الإسلام الإصلاحي، إداره

علوم القرآن، علي جراه، 1991م، ص: 7-23

هـ- حميد الدين الفراهي، إمعان في أقسام القرآن، دار القرآن، الكويت، 1960م (إن الأستاذ سيد سليمان الندوي قد ألقى الضوء على حياة الأستاذ الفراهي وخدماته في مقدمة هذا الكتاب)

و- Coherence in the Qur'an, Mustansir Mir, USA, 1986

ز- ترجمان القرآن مولانا حميد الدين الفراهي للدكتور شرف الدين الإصلاحي، معارف 147\2، فروري 1991م ص: 85-109

ح- إن الدكتور شرف الدين الإصلاحي قد قام بعمل كبير على مشروع الأستاذ الفراهي تحت مؤسسة تحقيقات إسلامي، إسلام آباد، ويفوق هذا المشروع على جميع ما ظهر من البحوث والتحقيقات عن الأستاذ الفراهي، ولكن من الأسف أنه لم يأت إلى النور بعراقل عديدة. (قد طبع هذا المشروع العلمي باسم "ذكر فراهي" من الهند وكذلك من باكستان أيضاً).

## العدد الخاص . . . . . مجلة الهند

العربية الجديدة بالترجمة إلى اللغة الأردية.<sup>1</sup> كما أنه تبادل معه الآراء والأفكار في كثير من الموضوعات العلمية. ويتجلى من قراءة رسائل شبلي أنه راجعه عندما اعتبرت له معضلة علمية أو أدبية، واعترف دائماً بما له من مواهب علمية في كتاباته، فتبرهن هذه الرسائل على جوانب عديدة من شخصية الأستاذ الفراهي. تخص هذه المقالة المتواضعة بترتيب مجموعة من صور الأستاذ الفراهي في ضوء رسائل شبلي النعماني.

### اللغة الإنجليزية:

أولاً أنا أذكر الرسائل التي تدل على معرفته التامة في اللغتين العربية والإنجليزية وعلى يده الطولى في العلوم الغربية. فظهرت من هذه الرسائل أن العلامة شبلي كان يثق بمؤهلاته في الدراسات الإنجليزية إلى حد كبير. فيكتب إلى الكاتب محمد أمين<sup>2</sup> عن الإجابة على شكوك المستشرقين واعتراضاتهم: "ليس هناك في الهند سوى حميد الدين الفراهي-البروفيسور في كلية ميور- من يعطي الإجابات المقنعة لهذه الشكوك المخترعة من قبل الأوروبيين عن القرآن المجيد. إنه تخرج في اليسانس بعد قراءة الكتب على الشيخ عبد الحي الفرنجي المحلي والعلماء الكرام، ويخدم القرآن الكريم منذ ثماني سنوات. وقد طبعت له عدة رسائل عن إشكالات القرآن الكريم في اللغة العربية، تحير منها العلماء المصريون وعبروا عن إعجابهم".<sup>3</sup>

ويكتب إليه العلامة رسالة أخرى بهذا الصدد:

"ليس في المسلمين من له إتقان وبراعة في كتابة اللغة الإنجليزية، أما الآخرون من متبعي غير دين الإسلام فلا يستطيعون أن يؤديها بأحسن طريق، ويستطيع الأستاذ الفراهي أن يؤديها بطريق جيد".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> مكاتيب شبلي (رسائل شبلي) للسيد سليمان الندوي (ترتيب)، مطبعة معارف، أعظم جراه، 1971م، 16/2

<sup>2</sup> منشي جي كان مديراً لقسم التاريخ في أمانة بوفال، وله علاقة وطيدة مع العلامة شبلي النعماني.

<sup>3</sup> مكاتيب شبلي للسيد سليمان الندوي، (ترتيب)، مطبعة معارف، أعظم جراه، 1971م، 251-250/1

<sup>4</sup> رسالة إلى المنشي أمين، 254/1

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

واتضح من الرسالتين المذكورتين أعلاه أن الأستاذ الامام كانت له قدرة فائقة على اللغة الإنجليزية وآدابها، ولتوضيح المزيد عن هذا ننقل فيما يلي الرسالة التي تحتوي على وظيفة سيد سليمان الندوي:

"أنا أبحث عن الوظيفة لك، ولكن هل نجح أحد بهذه السرعة. وكان أحد ذوي قريبي حميد على تلك الموهبة الملائمة للعصر، ولكنه نال الوظيفة بعد زمن طويل".<sup>1</sup>  
برز مما سبق أن الأستاذ الفراهي كانت له مواهب ملائمة بحاجيات العصر فكان يملك ناصية اللغة الإنجليزية ويمهر في علم الكلام.

وإن العلامة كان متأسفًا على هجمات المستشرقين على الإسلام فأعدّ اقتراحات جيدة للرد على اعتراضات المستشرقين المفتريات، وإن تاريخ علم الكلام وسيرة النبي حلقتان من هذه الحلقات العلمية، وكان يحب أن يكتب عن علم الكلام الجديد لأجل القضايا الراهنة وبسبب النشاطات العدائية ضد الإسلام والمسلمين. ولكن المواد حول هذا الموضوع كانت كلها في اللغة الإنجليزية والاستفادة منها لم تكن سهلة بالنسبة له، فكتب إلى الأستاذ الفراهي:

"لك إمام باللغة الإنجليزية كما تبرع في اللغة العربية وأنت من ذوي قريبي، ولكن ما قمت بشيء على الرغم من هذه العلاقات، كم من مرة قلت لك أن تعدّ صورة جامعة للفلسفة الأوروبية فأكون منه على بصيرة. أنك تبالي أحدًا، والآن أنا مشغول بكتابة الفصل الذي مساعدتك فيه تكون فريضة دينية وقومية".<sup>2</sup>

وإن قصة السيد أرنولد (1864-1930م) دلت على قدرة الأستاذ على اللغة الإنجليزية، وهو يلتمس من العلامة شبلى النعماني أنه يريد نقل كتاب في قواعد اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية، فعرض العلامة اسم الأستاذ الفراهي لهذه الخدمة، وكتب إليه: "أن تتحمل مسؤوليتها، لأن الكتاب أقل حجم والاصطلاحات سهلة جدًا".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> رسالة إلى السيد سليمان الندوي، 68/2

<sup>2</sup> رقم الرسالة 16، 10/2

<sup>3</sup> رقم الرسالة 2، 2/2

وإذا سئل العلامة شبلي عن ترجمة المقدمة لابن خلدون من قبل عاصمة أفغانستان، وأعلنت العاصمة بعشر آلاف روبية لأداء هذه الخدمة، قدم الأمر أمام العلامة فرفض لأجل فساد صحته وكتب إلى الأستاذ الفراهي:

"إن أديت هذه الخدمة إلى النهاية فتعلّى عظمتك وتكون رفيعاً بين الناس، ويتيسر لك كثير من مرافق الحياة الدنيوية، لكن من الأسف أنت كسلان لا حركة ولا استجابة".<sup>1</sup> قبل الأستاذ الفراهي هذه الخدمة على طلب الأقرباء، ثم أراد رئيس كابل عبد الرحمان تأسيس دار الترجمة في كولكاتا، وفيه أربعة موظفين من اللغة الإنجليزية وستة عشر من الهند وأدى العلامة مسؤولية أمينه، لكن العلامة رفض الأمر فبقي هذا العمل غير تام.<sup>2</sup>

#### ترجمة القرآن إلى اللغة الإنجليزية:

قدم العلامة اقتراح ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية في حفلة ندوة العلماء المنعقدة بدلهي في سنة 1910م، لأن تراجم المستشرقين لا يوثق بها، وكان العلامة يبحث عن رجال لهم براعة في اللغة العربية والإنجليزية كليهما، ففضّل لهذا العمل الجليل الأستاذ الفراهي والنواب عبد الملك (1844-1936م) فبدأ النواب الترجمة ولكن لم يقدر على إتمامه لضعفه بعدما أكمل خمسة عشر جزءاً، وإن العلامة كان يريد أن يشكل لجنة تقدر على الاستعراض لهذا العمل، فكتب رسالة إلى الأستاذ الفراهي بهذا الصدد:

"منح سفير أفغانستان سردار إسماعيل خان خمسة آلاف روبية لهذا العمل، هو يتحمل أيضاً جميع الأموال التي تبذل بهذا الصدد، ولديك معرفة أكثر بالرجال الذين يؤدونه على المكافأة، وأخبرني عن كل تراجم القرآن الكريم الموجودة حتى الآن".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> رقم الرسالة 10، 7/2

<sup>2</sup> حيات شبلي للسيد سليمان الندوي، مطبعة معارف، أعظم جراه، 1943م، ص: 351

<sup>3</sup> رقم الرسالة 49، 33/2، 34

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وإن العلامة سأل الأستاذ الفراهي عن أسماء العاملين على المكافأة في هذه الرسالة، لأن الأستاذ الإمام كان يقدر على أن يدلّ العلامة شبلي على العلماء الذين كانوا يعرفون اللغة العربية والإنجليزية جيداً، وقد ألقى الفراهي نظره على ترجمة أربع أجزاء باللغة الإنجليزية.<sup>1</sup>

### اللغة الفارسية:

وقد برز مما مضى أن الأستاذ الفراهي تضلّع في اللغتين العربية والإنجليزية، والآن نحن نذكر مقتبسات من الرسائل التي تبرز قدرة الأستاذ الفراهي على اللغة الفارسية وأدائها، علماً بأن الأستاذ الفراهي كان شاعراً مجيداً لهذه اللغة وله مجموعة شعرية فيها باسم "ديوان حميد"،<sup>2</sup> وهذه المجموعة لما طبعت أول مرة، أرسلت نسخة منه إلى معالي الشيخ حبيب الرحمان خان الشيرواني (1866-1950م)، فكتب العلامة شبلي إليه:

"إن عدة قصائد لعزّيزي حميد الدين قد طبعت، وأنا أرسل نسخة إلى حضرتكم، أنا أتمس منكم دراسة القصيدتين الأخيرتين اللتين تشتملان على اللغة الفارسية الأصلية".<sup>3</sup> وبرز إتقان الأستاذ الفراهي لهذه اللغة من الرسالة التالية أيضاً، يلتمس العلامة فيها من تلميذه أن يرتب خطبة وداعية له باللغة الفارسية، لكي يقدمها بمناسبة مغادرة السيد آرنلد من على جراه إلى وطنه، فكتب إليه:

"إن السيد آرنلد يغادر إلى الولاية، وستقدم كلمات الشكر في على جراه، إحداها تلقى في اللغة الفارسية، وهي طلبت مني، لكنني لا أقدر على كتابة اللغة الفارسية جيداً، فأرسل خطبة على عنوان بروفييسور أبو الحسن في الكلية بعلي جراه"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> راجع للتفصيل: حياة شبلي، ص: 580-581

<sup>2</sup> قد طبع هذا الديوان الفارسي في سنة 1967م بالدائرة الحميدية، مدرسة الاصلاح، سرائي مير أعظم جراه. واسمه الجديد "نوائ بهلوي".

<sup>3</sup> رسالة إلى الشيرواني، 1/124

<sup>4</sup> رقم الرسالة 2، 17/24

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وأذكر فيما يلي رسالة أخرى تتعلق بمعرفة الأستاذ الامام بهذه اللغة ويتمنى فيها من الأستاذ أن يوفر عدة معلومات عن ملحمة المولانا الرومي (604-672):

"قد قلت لي في يوم من الأيام إنك قرأت مثنوي المولانا الرومي بإمعان النظر، ورتبت أصوله وقواعده، فأرسلها إلي إذا كانت متوافرة لديك"<sup>1</sup>

وكان العلامة عندما يكتب ترجمة المولانا الرومي، كتب هذه الرسالة إليه. وبرز منها أن العلامة كان يعتمد عليه في المباحث العلمية والفكرية إلى هذه النهاية.

لا مرأى في أن الأستاذ الفراهي له خبرات واسعة عن اللغة الفارسية القديمة والجديدة، وراجع العلامة للعثور على المفردات الغريبة الفارسية، ونعثر على هذه الناحية في رسائله المبعثرة، وإليك رسالة عن "شاهنامه" لفردوسي (932-1030 م):

"أكتب معاني الألفاظ تحتها في بعض الأماكن من أشعار فردوسي، وكان معظم ألفاظها مجهولة الآن."<sup>2</sup>

وهذه الرسالة أيضًا تدل على براعة الأستاذ الفراهي ومعرفته باللغة الفارسية، يكتب العلامة: "أكتب عدة أمثلة للتخيل في الشعر الفارسي حسب آراء أوروبا."<sup>3</sup>

كان العلامة شبلي النعماني عالمًا كبيرًا للغة الفارسية، وتأليفه الشهير "شعر العجم" دليل قوي على هذا، إلا أنه عندما وجد أي مشكلة خلال تحقيقاته ودراساته راجع تلميذه العزيز (الأستاذ الفراهي).

### دارالعلوم التابعة لندوة العلماء:

وما استطاع التاريخ أن ينسى إسهامات العلامة في تمكين حركة ندوة العلماء لبناء دار العلوم التابعة لها، فما ساهم العلامة فقط في وضع حجر أساسها ورفع قواعدها

<sup>1</sup> رقم الرسالة 25، 18/2

<sup>2</sup> رقم الرسالة 41، 28/2

<sup>3</sup> رقم الرسالة 25، 18/2



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

فحسب بل رواها بدم كبده لتعمّ الأمة المحمدية الثقافة الإسلامية، وكان له شغف بإدارتها ونظامها ومقرراتها الدراسية. ولذا نجد ذكرًا كثيرًا لندوة العلماء في "مكاتيب شبلي" وتصانيفه الأخرى في مواضع عديدة. وكان من أمنيّاته أن يستفيد طلاب دار العلوم من الأساتذة البارعين، فركز توجّهاته على هذه الناحية مرارًا وتكرارًا، وكتب رسائل عديدة عنها إلى الأستاذ الفراهي أيضًا لكي يدرّس الطلبة ما كنّا في رعاها لعدة أيام إذا وجد الفرصة، وإن الأستاذ الفراهي درّسهم الفلسفة الجديدة والقرآن الكريم كما كان العلامة يريد.<sup>1</sup> ومرة حضر على حسب وعده من الأستاذ فغضب عليه على عدم الوصول إليها كما نحن ندرس عواطفه الجياشة في الرسالة القادمة:

"كان فيما بيننا دويّ أنك تأتينا بعد نيل الإجازة، وستدرّس الدروس الأولية، وقد عهدت أيضًا أكثر من مرة، فينتظر جميع الناس بقدمك ---والآن لم توف بكل ما وعدتني بل آلمت ثقتي بك وأمل الطلبة والعمل الممي وفضّلت القيام بالبيت على هذا. وقلت: إن يذهب طالب إليك فأدرسه، أسفًا عليك"<sup>2</sup>

اتضح من الرسالة المذكورة أعلاه أن العلامة كان يشاق إلى شديداً، وأما اختيار هذا الأسلوب الشديد فلأجل استفادة الطلبة منه، فالعلامة أظهر سخطه الشديد بهذا الصدد كما نراه في الرسالة التالية: "لا حاجة إلى الرد على هذه الرسالة".

إن "الدروس الأولية في علوم الطبيعية" اشتمل على علم الطبيعة الجديد، أدخلها العلامة في مقررات "الندوة" الدراسية، وكان للفراهي قدرة فائقة على تدريسه لأجل معرفته بالإنجليزية والفلسفة معاً، فالتفت العلامة إلى الأستاذ الفراهي مراراً، وما زال يؤكده ويشجّعه على تدريس "الدروس الأولية". وإليك رسالة أخرى بهذه النسبة: "درس الدروس الأولية فقط ما كنّا لشهرين أو ثلاثة أشهر، ويكون بيتي المصنوع من الطين مناسباً لك، وحسب طبيعتك ----".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> معارف، أعظم جراه، 2-1/27

<sup>2</sup> رقم الرسالة 31، 22/2

<sup>3</sup> رقم الرسالة 32، 23/2

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وهناك رسالتان أخريان تتعلقان بهذا الموضوع، وهما تدلان على أن الفراهي قد درّس طلبة دار العلوم القرآن الكريم أيضًا، وإحدهما: "لا حرج في دراسة تصنيفاته في الدروس القرآنية".<sup>1</sup>

### مدرسة الإصلاح:

رجع العلامة شبلي إلى وطنه العزيز في مدينة أعظم جراه للقيام به، بعد التردد الكثير في علي جراه، والندوة ودار العلوم بحيدرآباد. وركز جهوده وعناياته على مدرسة الإصلاح ومدرسة شبلي الوطنية إلى آخر حياته. وجاءت فكرة الجامعة الإسلامية في ذهنه بعد مجيئه إلى هنا. وكانت حركة الآيين على ريتانها في هذه الأمانة، تؤثر عامة المسلمين سلبياً واضحاً، فكان العلامة يريد أن يؤطد الحركة الإصلاحية المحلية "الإصلاح" لحماية عقائد المسلمين من آثار هذه الحركة الضارة، وقد كتب إلى الأستاذ الفراهي:

"أأنت تستطيع أن تمكث لعدة أيام في مدرسة سرائي مير؟ لعلّي أتيها ونحن نصلح إدارتها ونظامها وينبغي لنا أن نجعلها مدرسة كاملة على منوال "كروكل" يعني أن تكون الحياة الساذجة والقناعة والخدمة الدينية من أهداف الحياة".<sup>2</sup>

وكتب إليه في رسالة أخرى:

"وإن القوم عجز عن تحمل نفقات مدرسة شبلي ومدرسة الإصلاح، وهذا رأيي أن نقدمهما على مستوى واحد، وتدرس العلوم الدينية والعصرية من مصدر واحد، ويكون التعليم كلياً على منهج "كروكل" وأنا أشعر بقلق وضيق من أحوال الندوة، يجدر بنا الآن أن نقيم في مديرية أعظم جراه ويناسب لنا أن نؤسس مكتبة جيدة هاهنا، إن كنت راضياً فأنا مستعد لهذا الهدف، والآن ههنا جرت مسئلة رئاستك، والآن إنها قد تقبل أيضاً لكن هذه الرئاسة والمكافاة لعدة أيام، فترجيحها دون خدمة قومية وبالنسبة إلى معاش قليل لا يناسب لك أبداً".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> رقم الرسالة 37، 26/2 أو 39، 27/2

<sup>2</sup> رقم الرسالة 50، 23/2

<sup>3</sup> رقم الرسالة 68، 46/2-47، وأشار السيد سليمان الندوي إلى رسالة حميد 67 عندما ألقى الضوء على هذه المسئلة في حيات شبلي (ص: 686) وهو غير صحيح.

إن الأستاذ الفراهي قد كان يعتبر رأي أستاذه العلامة شبلي كمحم من أحكامه، فبذل حياته الكاملة مستقيلاً من وظيفة حيدرآباد في إدارة مدرسة الإصلاح وتربية أساتذتها وقد جعلها مركزاً لتدريس القرآن الكريم، وتوفي بها في سنة 1930م خادماً لها ورافعاً كلمتها، ولو أن مدرسة الإصلاح قد أسسها الشيخ محمد شفيع رحمه الله ولكن الأستاذ الفراهي أدى خدمات جليلة لتشكيلها في صورة المعهد القرآني الكبير، فكان الفراهي مَسَس فكري لها وأنها تتبّع خطواته الفكرية.

#### **دار المصنفين بأعظم جراه:**

قد رسم العلامة شبلي النعماني دار المصنفين في سنة 1914م في جريدة الشيخ أبي الكلام آزاد (1888-1958م) "الهلال"، ويريد العلامة أن يبرز الباحثين الذين لهم أيادي طويلة في التاريخ الإسلامي وقدرة كاملة على تقديم الإجابات المُنقّعة والمفحمة لأعداء الإسلام (المستشرقين) وقد اصطفى العلامة شبلي الأستاذ الفراهي لإدارتها فكتب إليه:

"أنا جعلتك ممن يتولاها، فإن أسست دار المصنفين فمن يديرها سواك؟<sup>1</sup>

قد لبى الأستاذ الفراهي على هذه الدعوة كعادته، ولم يزل يؤدي واجب رئاسة المدرسة إلى وفاته، واجتهد في شؤونه التعليمية والإدارية اجتهاداً بالغاً، كما أنه قام بأعمال جليلة في تطوير دار المصنفين بأعظم جراه.

#### **سيرة النبي والأستاذ الفراهي:**

إن العلامة شبلي النعماني كان يراجع الأستاذ الفراهي خلال كتاباته وتحقيقاته بما أنه كان يعتمد على اطلاعه الواسع ورسوخه في العلم، وكذلك يستفسره عن المصادر والمراجع كما مضى.<sup>2</sup> واستفاد منه أيضاً في تأليف كتابه الشهير "معجم الشعراء".<sup>3</sup> ولم يخل كتابه الفذ المسمى بـ "سيرة النبي" من توضيحات وشروح للأستاذ الفراهي. وخاصة تلك المسائل التي تتعلق بالعلوم القرآنية، لأن الأستاذ

<sup>1</sup> رقم الرسالة 76، 54/3

<sup>2</sup> راجع للتفصيل، مكاتيب شبلي، 16، 41، 46

<sup>3</sup> راجع للتفصيل، رقم الرسالة 46، 31/2

الفراهي كان ممعن النظر ومدققه في المباحث القرآنية. اعترف بها الشرق والغرب كلاهما وجعل دراسات الأستاذ الفراهي للقرآن وعلومه موضوع تحقيقهم. توجد في رسائل شبلي اثنتان وعشرون رسالة أرسلت إلى الأستاذ الفراهي، وردت فيها تحقيقات نادرة عن سيرة النبي وذكر فيها موضوعات هامة من مفردات القرآن ومواضعه وغيرها، وفيها بعض من المباحث القيمة التي لا يمكن إتمامها بدون استفسار الأستاذ الفراهي، وذكر في رسالة ما واجهه من عراقيل في تحقيقاته هكذا:

"أنا أكتب سيرة النبي من البداية كي تعد مباحثها وتقدمها إلى المطبع، ولكن قد أواجه فيها عراقيل في بعض المواضع، وربما تأتي بعض المباحث التي تحوجني إلى أن استفسرك. وفي هذه الأيام أنا في أمس حاجة إلى تحقيق بعض الأشياء".<sup>1</sup> وإليك رسالة أخرى حول الموضوع:

"أرسل إليك مقالة في السيرة، فيها نقص، فأرسلها إلي بعد إتمامها وجعلها مبرهنة".<sup>2</sup> تتجلى من هاتين الرسالتين أن الأستاذ الفراهي له مساهمة بالغة في سيرة النبي، ولو استطعنا بالعثور على جميع الرسائل المرسله إلى الأستاذ الفراهي فنقف على استفادة العلامة من الفراهي في مباحث سيرة النبي. وكذلك توفر لنا إجابات العلامة التي قدمها في توضيح الأسئلة المتعلقة بسيرة النبي.<sup>3</sup> ولو يقارن بين سيرة

<sup>1</sup> رقم الرسالة 60، 40/2

<sup>2</sup> رقم الرسالة 37، 50/2

<sup>3</sup> قد قام شرف الدين الإصلاحي بجمع رسائل الفراهي من مواضع مختلفة، وستطبع من باكستان قريباً، فتكشف هذه الرسائل عن معلومات تكون جديدة، وكذلك تفيدنا بتلاميذه الذين استفادوا بشخصيتها العبقريّة في الهند. ومن الأسف أن الدكتور شرف الدين الإصلاحي لم يتمكن من إتمام هذا المشروع، إلا أن الدكتور حمد الله قد أدّى هذه الخدمة في الهند إلى حد، يشمل عمله هذا خمس عشرة رسالة، راجع للتفاصيل: مكاتيب فراهي للدكتور شرف الدين الإصلاحي، والدكتور حمد الله الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائي مير، أعظم جراه، سبتمبر 1991م، ص: 103

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

النبي وكتابات الفراهي في ضوء ما أودعها في هذه الرسائل من نكات، يتضح أن الأستاذ الفراهي كان يرسل إليها هذه الأفكار والآراء المذكورة في مؤلفاته.

قد ألقى الضوء بإيجاز على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في المجلد الأول من سيرة النبي، واعترف في حاشيته "أن حياة عائشة وخاصة اجتهاداتها العلمية تقتضي كتابًا مستقلًا، وهناك أكتفي بذكر حياتها الموجزة".<sup>1</sup> وعندما عبر عن آراءه عنها فكانت بين عينيه هذه الدسائس الضارة والخيانات العلمية المفتراة من قبل المستشرقين، وكتب إلى الفراهي ثلاث رسائل حول هذا الموضوع، استفسره فيها عن أمور كثيرة. ولا بد من أن يرسل الفراهي إجاباته ولكن يا للأسف لم تحفظ هذه الرسائل من براثن الأيام الظالمة، ولو حصلنا على هذه الرسائل لاتضحنا أمامنا عدة تعقيدات علمية. كتب في رسالة: "ما أتيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم من إجازة اختيار الأزواج، ثم اشترط عليه بالعدل، فهذا ما لا أفهم".<sup>2</sup>

وإليك رسالة أخرى:

"قد ذكر في طبقات ابن سعد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد اختار أربعة من بين أزواجه التسعة وفرق ما سواها ولو لم يطلقها، وربما يكتب أسماءها أيضًا. أظن أنها سيكون امتثالًا بالحصص في الأربعة ولكن لم أقف على نزول زمن الآية".<sup>3</sup> ويكتب في رسالة أخرى:

"تذكر آية التخيير، والاعتزال، ومظاهرة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خلافًا لآخرها، ولكنني أظن أن هذه كلها تتعلق بسلسلة واحدة، وهكذا يرى ابن حجر أيضًا، أكتب عن الحقيقة، وأهم شيء في هذا أن مظاهرة عائشة

<sup>1</sup> أنظر عن حياة عائشة رضي الله عنها بالإيجاز: سيرة النبي للعلامة شبلي النعماني، دار

المصنفين شبلي أكاديمي، أعظم جراه، يوفي، 2003م، 397-390/1

<sup>2</sup> رقم الرسالة 56، 37/2

<sup>3</sup> رقم الرسالة 57، 38/2

وحفصة رضي الله عنهما كيف كانت نوعيتهما بما أنه اضطر إلى استعانة الله والملائكة والمؤمنين الصالحين".<sup>1</sup>

وإنما يقدم جميع هذه المسائل إلى الأستاذ الفراهي بما أنه تتعلق بالدراسات القرآنية، وكان له شغف شديد بها، وقد بذل طول حياته في تتبع الأسرار والرموز القرآنية، وترك في الدراسات القرآنية من آثار علمية ما يخلد ذكره مدى الدهر.

#### من هو الذبيح:

يوجد في رسائل شبلي سبيع<sup>2</sup> تتعلق بمبحث الذبيح، سأل فيها عن قضايا هامة ونكات مهمة تبرهن على الذبيح الحقيقي. وللاستاذ الفراهي كتاب شهير في هذا الموضوع مسمى "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح".<sup>3</sup> وإن يُر كل ما كتب العلامة شبلي النعماني في كتابه "سيرة النبي" عن نسب إسماعيل<sup>4</sup> ويحلل في ضوء رسالة الأستاذ الفراهي فتبرز الحقيقة بأن جميع المواد العلمية المتعلقة بهذا الموضوع قد وقّرها له الأستاذ الفراهي. وللدلالة عليه نذر لك هذا المقتبس التالي:

"الآن استفيد بالمواد المتعلقة بالنسك وهو جيد ممتاز، إلا أن هناك إشكالات في بعض المواضع، سأكتب عنها، ولم أتمكن من الحصول على تلك الآية في التوراة التي أشرت إليها في صدد استغناء إبراهيم عليه السلام عن إسحاق عليه السلام".<sup>5</sup>

من هو الذبيح؟ قد صرح العلامة مستدلاً بستة دلائل من التوراة أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام ليس إسحاق عليه السلام، لأن القربان في الشرائع السابقة لا يقدم إلا البكر من أولاد الإنسان والبهائم،<sup>6</sup> وقد أدلى الأستاذ الفراهي أيضاً بهذا الرأي بعينه كدليل ثان في استدلاله على الذبيح في رسالته العربية، بأن إسماعيل

<sup>1</sup> رقم الرسالة 66، 45/2

<sup>2</sup> راجع للتفاصيل، رسائل 58، 59، 62، 63، 69، 71، 72

<sup>3</sup> قد ترجم أمين أحسن الإصلاحي هذا الكتاب في اللغة الأردية، ونشره الدائرة الحميدية،

مدرسة الإصلاح بمعونة كوه نور برنتنك بريس، لال كنوا، دهلي

<sup>4</sup> سيرة النبي للعلامة شبلي النعماني، مطبعة معارف، أعظم جراه، الطبعة الرابعة، بدون تاريخ، 129/1

<sup>5</sup> رقم الرسالة 70، 48/2

<sup>6</sup> سيرة النبي 139/1

عليه السلام هو في الواقع الان الوحيد لإبراهيم عليه السلام وقد أمره الله تعالى بقربانه.<sup>1</sup> وذكر العلامة الحجة الثانية في فضيلة إسماعيل عليه السلام،<sup>2</sup> وأتى الأستاذ الفراهي بنفس الرأي في استدلاله الثالث قائلاً إن إسماعيل عليه السلام كان محبوباً لدى أبيه وقد أمره بقربانه.<sup>3</sup> وأما الحجة الثالثة والرابعة اللتان استدلت بهما العلامة ولم يذكرهما الأستاذ الفراهي في كتابه<sup>4</sup> فالرسالة تشير إلى أن الأستاذ الفراهي قد أرسل هاتين الحجتين إليه. والحجة الخامسة للعلامة أن الرجل الذي يكون مقيداً لخدمة الرب خادماً لبيته تستعمل له كلمة "أمام الرب"<sup>5</sup> والأستاذ الفراهي أيضاً يقول هكذا في استدلاله التاسع بأن كلمة "أمام الرب" استعمل لإسماعيل عليه السلام، وهذه هي حقيقة القربان.<sup>6</sup> ويقول العلامة مستدلاً بحجته السادسة أن القربان لا يجوز إلا من كان بكرًا ومحبوبًا وكان إسماعيل عليه السلام يتصف بهاتين<sup>7</sup> وقد صرح الأستاذ الفراهي أيضاً هذا في استدلاله الثاني والثالث.<sup>8</sup>

#### موضع الذبح:

تضم رسائل شبلي اثنتين في هذا الموضوع، يكتب في إحداهما: "ما معنى موزة؟ التي حرفت في الإنجليزية"،<sup>9</sup> وأما الرسالة الثانية فهي تقول: "كتبت في الصفحة العاشرة أن مسكن إبراهيم كان في ناحية الصفا ثم أشرت إلى تكوين (1-8) ولكن ليس في تكوين ذكر صفا".<sup>10</sup>

<sup>1</sup> ذبيح كون هي؟ للشيخ حميد الدين الفراهي، الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، ط1، كوه نور برنتنك برس، لال كنوا، دهلي

<sup>2</sup> سيرة النبي، 1/134-135

<sup>3</sup> ذبيح كون هي؟، ص:43

<sup>4</sup> سيرة النبي، 1/135

<sup>5</sup> سيرة النبي، 1/136

<sup>6</sup> ذبيح كون هي، ص:67-68

<sup>7</sup> سيرة النبي، 1/136

<sup>8</sup> ذبيح كون هي، ص:38-41

<sup>9</sup> رقم الرسالة 62، 2/41

<sup>10</sup> رقم الرسالة 71، 2/49

وقد صرح العلامة مستدلًا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وبالتوراة أن موضع الذبح هو مروة،<sup>1</sup> وأتى الأستاذ الفراهي أيضًا بهذه الدلائل نفسها في استدلاله الرابع أن موضع الذبح هي مروة الموجودة عند بيت الله.<sup>2</sup>

#### مسكن إسماعيل عليه السلام:

كتب العلامة رسالتين إلى الأستاذ الفراهي يسأله عن مسكن إسماعيل عليه السلام، يقول: توجد هذه الصراحة في التوراة في تكوين (18:25) "و سكنوا من حويلة إلى آشور التي أمام مصر حينما تجئ نحو آشور أمام جميع إخوتهم نزل"، هذه السطور ترمز إلى أن إسماعيل وهاجر عليهما السلام لم يهجرة إلى العرب، فما تحقيقك في هذا الصدد؟ وهل نغض أبصارنا في التوراة كليًا؟<sup>3</sup> وأضاف قائلاً: "كتب راهب كتابًا مفصلاً في سنة 1884م عندما استفسر (السير) سيد أحمد عن فاران، وهو موجود عندي، لكن إجابته رديئة جدًا. ولكن صراحة المتخصصين الأوروبيين في طبقات الأرض عن فاران عويصة، فانظر في انسائيكلوبيديا وموسوعة بائبل وأرسل إلى أن عثرت على رأي دقيق.<sup>4</sup>

وإن يقارن بين سيرة النبي والرأي الصحيح فيمن هو الذبيح في إطار هذه المباحث تبرز الحقيقة بأن العلامة قد استفاد كثيرًا في هذا الموضوع من بحوث تلميذه. واستدل العلامة بنفس المقتسبات الواردة في التوراة التي استدلت بها الأستاذ الفراهي في كتابه بأن إقامة إسماعيل عليه السلام في العرب أمر حتمي. يقول العلامة: "وإن لم يعرف أصل العبارة بكونه مهمًا وترجمتها في اللغة العربية والأردية غير واضحة، إلا أنها تصرح أن بولوس أكبر خليفة لعيسى عليه السلام كان يسكن هاجر عليها السلام بكوه سيناء، وإن لم تسكن هاجر عليها السلام في

<sup>1</sup> سيرة النبي، 140/1-142

<sup>2</sup> ذبيح كون هي، ص: 44

<sup>3</sup> رقم الرسالة 59، 39/2

<sup>4</sup> رقم الرسالة 63، 43/2



العرب فكيف تصح تسميتها بكوه سينا للعرب،<sup>1</sup> وهذا هو الرأي الذي أتى به الأستاذ الفراهي في استدلاله الأول من كتابه.<sup>2</sup>

تمتاز رسالة الأستاذ الفراهي في هذا الموضوع بالتفرد، ففي بداية الكتاب جاء بثلاثة عشر دليلاً من التوراة وبما اعترف به علماء أهل الكتاب، ثم قدم ثلاثة عشر دليلاً من القرآن الكريم وحده واستفاد أيضاً مما روي من الأحاديث وأقوال السلف في الباب الثالث، وقدّم ملخص البحث في الأخير كي ينكشف الموضوع المحدد "من هو الذبيح؟" كلشكس في رابعة النهار وتنجلي ظلمة الشكوك والشبهات.<sup>3</sup>

### حقيقة مكة المكرمة:

ما هو الاسم الحقيقي والقديم لمدينة مكة؟ ما هي تحريفات أهل الكتاب في هذا الشأن؟ قد استفسر العلامة شبلي في هذا الأمر أيضاً الأستاذ الفراهي. فهناك ثلاث رسائل في رسائل شبلي تتعلق بهذا الموضوع، يكتب في رسالة: "قد جاءت كلمة وادي بكا في الزبور 84 الآية 6، ويظن بعض الأوربيين أنها في الواقع "بكة" الذي هو اسم مكة، ولكن في النسخ الحديثة أصبح شكله بكا، فابحث في هذا الأمر واكتب" 57 ويكتب في رسالة أخرى: "يملى وادي بكا هكذا فيحتمل أن يكون بكاء، ولذلك يراد به هكذا في نسخة، فانظر في النسخة العبرانية ما هو الصحيح؟<sup>4</sup> وكلمات هذه الرسالة هي كما تلي: "يقرأ بكة في اللغة العبرانية بـ"بخا" ومعناه بكاء فلذلك لا يعتقد النصارى الآية الواردة في الزبور متعلقة بمكة".<sup>5</sup>

وفي ضوء هذه الرسائل المذكورة أعلاه لا مانع في القول بأن كل ما سجل العلامة في هذا الموضوع من آراء وأفكار إنما هي في الواقع مستقاة من الأستاذ الفراهي.

<sup>1</sup> سيرة النبي، 134/1

<sup>2</sup> ذبيح كون هي، ص. 34-38

<sup>3</sup> قد تمت ترجمة هذا الكتاب في اللغة الإنجليزية، وستطبع قريباً، وتكشف هذه الترجمة الإنجليزية عن خيانة علمية للمستشرقين.

<sup>4</sup> رقم الرسالة 62، 41/2

<sup>5</sup> رقم الرسالة 72، 71/2

فقد كشف عن حقيقة مكة المكرمة في سيرة النبي هكذا: "كلمة مكة التي وردت في هذه العبارة هي مكة المكرمة التي نعرفها اليوم. ولكن إن تبدلت هذه الكلمة في اشتقاق دون العلم فتكون معناها بكاء وهذا هو كلمة بكاء العربية. وبما أن اليهود والنصارى لا يزالون يحاولون تقليل أهمية مكة وطمس معالمها فلذلك ترجم معظم المترجمين في العبارة المذكورة كلمة مكة بـ"بكاء"، ولكن يفهم كل رجل بالذات ما هو المراد بوادي بكاء في هذه الصورة.<sup>1</sup>

وتلاحظ هذه الآراء بعينها في ترجمة كتابه "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح"، يقول: "وبعد ذلك تنبه إلى كفر أهل الكتاب وإنكارهم ثم ذكر البلد بلفظ بكاء، معناه بلدة. وهذا هو اللفظ الذي أنطقه إبراهيم عليه السلام، فهكذا كشف الستار عن هذا التحريف الموجود في المزمور 84، حيث بدلت مكة بوادي بكاء.<sup>2</sup> وفي ضوء هذا المقتبس لا مانع في الاعتراف بأن تحقيقات الأستاذ الفراهي تتبلور في جميع هذه المباحث العلمية من "سيرة النبي". فيا ليتنا نفوز بالحصول على جميع هذه الرسائل المرتبطة بسيرة النبي المرسل من الأستاذ الفراهي كي نعرث فيه على قدر ما استفيد من آراء الأستاذ الفراهي بشأن معضلات القرآن.

#### صلح الحديبية:

قدّم العلامة بحثًا علميًا دقيقًا عن صلح الحديبية في سيرة النبي، واستعان بالأستاذ الفراهي في مواضع عديدة. ونظن أن الفراهي قد أرسل إليه آراءه القيمة التي أعانته في هذا البحث، ولكن من الأسف أن رسائل الفراهي في هذا الصدد لا يعثر عليها. يكتب العلامة شبلي إلى الفراهي عن هذا الموضوع: "هناك بحث هام قيم عن سورة البراءة أي متى أنزلت هذه السورة؟ ونجد زمن نزوله في الصحاح الستة بعد فتح مكة أي في السنة التاسعة للهجرة. ولكن يبدو أن الكفار حينما

<sup>1</sup> سيرة النبي، 150/1

<sup>2</sup> ذبيح كون هي، ص: 132

نقضوا ميثاق صلح الحديبية، حدثت هذه الحادثة. فيذكر في هذه السورة بوضوح ذلك الميثاق الذي وقع عند بيت الله الحرام، وكذلك يذكر فيه.....وهذه حقيقة ناصعة أن أي ميثاق آخر لم يعقد عند بيت الله الحرام غير الحديبية، وأصبح جميع سكان أهل مكة مطيعين بعد فتح مكة فأنتهى الميثاق الأول كلياً ثم لم يعقد ميثاق آخر، فإن نزلت هذه السورة في السنة التاسعة فبأي ميثاق يتعلق،<sup>1</sup> قد ألقى العلامة الضوء على هذه المباحث المذكورة أعلاه في سيرة النبي بغاية الدقة.<sup>2</sup>

#### **الإصدارات الجديدة والكتب النادرة:**

لا نبالغ إن نقول في ضوء هذه المباحث والمصادر أن العلامة شبلي النعماني يعتبر الأستاذ الفراهي رمزاً للبحث والتحقيق، وكان يعتمد على آرائه ويستدل بها وهذه الرسائل تبرهن عليها، فيفيد العلامة فيها الأستاذ الفراهي بالإصدارات الجديدة والمؤلفات النادرة والمخطوطات والألواح القيمة وغيرها. وربما طالب العلامة لتلميذه الأستاذ الفراهي كتباً نادرة من داخل البلاد وخارجها، وكذلك الأستاذ الفراهي أيضاً يزود أستاذه بمعلومات كثيرة عن الكتب النادرة والمخطوطات القيمة. وهذه الرسائل تدل على إخلاص النية وصدق العاطفة والشغف بالعلم الذي كان يمتاز بها الأستاذ والتلميذ.<sup>3</sup>

#### **التنفر عن السمعة:**

وكان للعلامة شبلي رغبة شديدة في أن تعرف عبقرية الأستاذ الفراهي ويظهر علوه الفكري وكذلك يتمنى أن يخرج الفراهي من زاويته الضيقة ويساهم في موكب الناس بنشر آرائه وأفكاره، لكن الأستاذ الفراهي كان صاحب الزهد والورع،

<sup>1</sup> رقم الرسالة 74، 51/2

<sup>2</sup> أنظر، سيرة النبي، 1/447-461

<sup>3</sup> راجع للتفصيل، رسائل، 4، 9، 18، 20، 30، 34، 36، 51، 62، 69، 70، 71، 73، 74

مخلصاً لله تبارك وتعالى فيأنف من أن تكون خدماته الدينية وتحقيقاته القرآنية وسيلة للصيت والسمعة. ولذلك لم يطلع أصحاب العلم والفضيلة حتى الآن على خدمات هذا الباحث الجليل ونابغة عصره حق المعرفة. جعل الأستاذ الفراهي هم حياته وغايتها التفكير والتدبر في الآيات القرآنية منعزلاً عن الناس. فإنه أثر الحياة الأخروية الأبدية على ملذات الدنيا الفانية وزخارفها، وإن يريد الصيت والسمعة فمجاله كان مفتوحاً أمامه دائماً بما كان له من كتب قيمة يتمكن بها من إثارة ضجة علمية في البلاد الإسلامية والاحتلال على قمة عالية من السمعة، لكنه التزم الصبر والتوكل والتواضع والسذاجة وتقيد بها في سائر حياته.<sup>1</sup>

عبر شبلي النعماني عن شخصيته المنزوية هكذا: "إن تساهم في موكب الناس فيمكن لك أن تعيش حياة رغدة بإتمام هذه الأعمال ولكنك لا تريد".<sup>2</sup> ويقول في رسالة أخرى: "هذا العمل يؤدي إلى الصيت والسمعة ويفتح مجالاً واسعاً في المستقبل لأن هذا العمل يتم برعاية الحكومة الإنجليزية"، ويمضي قائلاً: "ويريد السيد أن يؤسس قسمًا لترجمة الكتب الإنجليزية ويكون فيها العاملون أربعة من الإنجليز وستة عشر من المترجمين الهندوسيين، ويكون مقر هذا القسم في كولكاتا، وهو التمس مني أن أكون أميناً لهذا القسم ولكنني أنكرتها وأرجو أنك تنجح في الحصول على هذا المنصب إن أشفعك له، والقيام بهذه الأعمال برعايتك تكون مفيدة جداً، أكتب عن رأيك؟<sup>3</sup> ولكن الأستاذ الفراهي ما اعتنى بهذه السمعة بين الناس وحقق المنافع الدنيوية شاغلاً نفسه في أمور الآخرة وفي البحث عن حكمة القرآن الكريم وإبعاد نفسه عن ملذات الدنيا وزينتها. وهذه الخشونة والزهد اللذان اختارهما الأستاذ الفراهي في حياته، إن لم يحظيا بإشادة العلامة شبلي النعماني

<sup>1</sup> راجع للتفصيل، حيات حميد، (ترتيب: عبد الرحمان ناصر الإصلاحي الجامعي)، مطبعة معارف، أعظم جراه، بدون تاريخ، تشتمل هذه الكتيبة على مقالتين (1) مولانا حميد الدين، كتبه العلامة السيد سليمان الندوي (2) ومولانا فراهي، كتبه أمين أحسن الإصلاحي.

<sup>2</sup> رقم الرسالة 10، 7/2

<sup>3</sup> رقم الرسالة 13، 9/2

وتقديرهما قط، ولكن اليوم أصبح المتخصصون في علوم القرآن متحيرين ومتعجبين بعد العثور على تحقیقات الأستاذ الفراهي وإبداعاته في علوم القرآن. وهناك مواضع عديدة أخرى في رسائل شبلي النعماني تفيدنا عن حياة الأستاذ الفراهي العلمية. فتعتبر رسائل شبلي مرجعاً فيما بين المصادر والمراجع التي تدلنا على آثار الأستاذ الفراهي ومكانته العلمية. وبدونها لا يمكن إتمام جوانب عديدة لحياة الأستاذ الفراهي، لأنها تزودنا باتجاهه العلمي وميله الفكري وتمسكه بالكتاب العزيز كلياً. وهذه حقيقة ناصعة أن الأستاذ الفراهي قد ألقى عصاه لدى علوم القرآن ووقف حياته على تفسيره مستعملاً بكل ما في وسعه من علم ومال وقوة ونشعر بأثرها الواضح في حياته. وكان له براعة تامة في عدة من اللغات وخاصة في اللغة العربية والعبرانية وعثر على أسرارها ورموزها بالإضافة إلى الإمام التام بالعلوم المختلفة والفنون المتنوعة. ولذلك سمّاه العلامة شبلي بمفخرته، وقدم ميزاته العلمية وإبداعاته الفكرية في مجلة "الندوة"، وكان يتمنى أن يلقي على كاهله مسؤولية قيادة العلم والفن في المجالات المختلفة، وأن يستفيد كل من الأستاذة والطلبة من علمه، فرسائل شبلي تزخر بأبعاد كثيرة تزودنا بمعلومات قيمة عن حياة الأستاذ الفراهي. وهذا المقال في الواقع محاولة متواضعة للكشف عن هذه الحقيقة.

### المصادر والمراجع

1. إمعان في أقسام القرآن للمعلم عبد الحميد الفراهي، دار القرآن، الكويت، 1960م
2. حيات حميد (لمرتبه) عبد الرحمان ناصر الإصلاحي، مطبعة معارف، أعظم جراه، بدون تاريخ
3. حيات شبلي للسيد سليمان الندوي، مطبعة معارف، أعظم جراه، 1943م
4. ذبيح كون هي؟ للشيخ حميد الدين الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، ط1، كوه نور برنتنك بريس، لال كنوا، دهلي
5. سيرة النبي للعلامة شبلي النعماني، دار المصنفين شبلي أكيدمي، أعظم جراه، يو في، 2003م
6. علامه حميد الدين الفراهي لعنايت الله السبحاني الإصلاحي، مكتبة إصلاح، سرائي مير، أعظم جراه، نوفمبر 1978م
7. كتابيات فراهي للدكتور ظفر الإسلام الإصلاحي، إداره علوم القرآن، علي جراه، 1991م
8. مكاتيب شبلي (رسائل شبلي) لمرتبها السيد سليمان الندوي، مطبعة معارف، أعظم جراه، 1971م
9. مكاتيب فراهي للدكتور شرف الدين الإصلاحي والدكتور حمد الله الفراهي (ترتيب)، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائي مير، أعظم جراه، سبتمبر 1991م
10. ياد رفتكان للعلامة سيد سليمان الندوي، (بدون مطبعة ولا تاريخ)

## المعلم عبد الحميد الفراهي وجهوده في الدراسات القرآنية

- عمرو الشرقاوي<sup>1</sup>

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على  
أشرف المرسلين، وآله وصحبه أجمعين:

فإن الله سبحانه وتعالى امتن على أهل الإسلام بالعلماء الذين هم أئمة الهدى،  
وقيض لخدمة كتابه من اصطفاه من خلقه لورثة الكتاب، والقيام بحقه.

ومن العلماء الذين خدموا القرآن وعلومه، المعلم عبد الحميد الفراهي، وهو  
علامة كبير لم يأخذ حقه من الدرس والاعتناء، وقد جاء هذا المقال كمدخل  
توصيفي لجهود هذا العالم الفذ في مجال الدراسات القرآنية خاصة، والتي برع  
فيها، ووقف نفسه لخدمتها.

"ولما كانت هذه المشاغل تمنعني عن التجرد لمطالعة القرآن المجيد، ولا يعجبني  
غيره من الكتب التي مللت النظر في أباطيلها، غير متون الحديث، وما يعين على  
فهم القرآن، تركت الخدمة، ورجعت إلى وطني، وأنا بين خمسين وستين من  
عمري، فيا أسفًا على عمر ضيَّعته في أشغال ضُرُّها أكبر من نفعها! ونسأل الله  
الخاتمة على الإيمان"<sup>2</sup>

بهذه الكلمات تحدث العلامة عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج  
علي، حميد الدين، أبو أحمد، الأنصاري، الفراهي.

ينتسب الفراهي إلى إحدى قرى الإقليم الشمالي بالهند، والتي تدعى "فَريها"، وقد  
ولد بها يوم الأربعاء سادس جمادى الآخرة سنة 1280هـ في أسرة كريمة معروفة  
بنسبها وعلمها ومكانتها الاجتماعية.

<sup>1</sup> كاتب عربي للدراسات القرآنية

<sup>2</sup> مجلة الضياء، نقلًا عن مقدمة مفردات القرآن: 20

## العدد الخاص . . . . . مجلة الهند

بدأ الفراهي تحصيله العلمي في منزله، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، ثم تعلم الفارسية فأتقنها، في مدة وجيزة، وكتب بها، وقرض، ثم تعلم العربية وقرأ في مدينة أعظم كره على العلامة شبلي النعماني، وكان ابن عمته، كما حضر للعلامة الشهير اللكنوي، والعلامة فيض الحسن السهارنفوري.

ثم أقبل على تعلم اللغة الإنجليزية، والعلوم الحديثة، وكان ممن درسه المستشرق الإنجليزي توماس أرنولد، مؤلف كتاب "الدعوة إلى الإسلام"، وقد انتقد الفراهي هذا الكتاب بشدة، لكونه مثبطاً عن الجهاد، ودرس الحقوق، وتولّى عدة مناصب تعليمية وإدارية.

استقال الفراهي من مناصبه ليتفرغ لمطالعة القرآن المجيد، وتولّى إدارة مدرسة إصلاح المسلمين، وقد قامت هذه الجمعية في منطقة أعظم كره لإصلاح عقائد المسلمين وإزالة البدع المنتشرة وفض المنازعات والخصومات بين المسلمين، وأسست مدرسة أشرف عليها الفراهي.

كان الفراهي رحمه الله معروفاً بفرط الذكاء ونفاذ البصر وسرعة الإدراك ودقة الاستنباط، وقد برع في عدة علوم، وحصل عدة لغات، وكان ورعه وزهده في الدنيا، وقصده في العيش، وعزوفه عن السمعة، وحسن تعبده، مع جود وغنى نفس وتواضع، موضع إجماع من معاصريه.

اشتهر وعرف بعلم القرآن بما تتقاصر الهمم عن بلوغ شأوه فيه، وكان كتاب الله أحبّ الكتب إليه، والنظر فيه ألدّ من كل ما في الدنيا.

وقد تتلمذ له عدة من التلاميذ الأعلام، وبقيت له مصنفات تشهد بعلو كعبه، وسأقتصر منها على أهم مؤلفاته في الدراسات القرآنية:

1. أساليب القرآن، وقد أفرد هذا الكتاب لذكر وجوه الأساليب في القرآن وبيان دلالاتها ومواقع استعمالها.

2. إمعان في أقسام القرآن، وهو من أجل ما ألف في موضوعه<sup>1</sup>

<sup>1</sup> مطبوع بدار القلم.



3. التكميل في أصول التأويل.
  4. دلائل النظام، أَلَف هذا الكتاب لإقامة الحجة على وجود النظام (أي الوحدة الموضوعية) في كل سورة من سور القرآن الكريم، وبيان الطرق التي تهدي إلى نظام السورة.
  5. فاتحة نظام القرآن، مقدمة تفسيره (نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان).
  6. مفردات القرآن، وهو من أنفس كتبه وأجلها.<sup>1</sup>
  7. نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، وهو تفسيره الكبير – صدرت منه عدة أجزاء، (الفاتحة، البقرة، آل عمران، الذاريات، التحريم، القيامة، المرسلات، عبس، الشمس، التين، العصر، الفيل، الكوثر، الكافرون، المسد، الإخلاص).<sup>2</sup>
  8. رسائل في علوم القرآن في جزئين.
  9. الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح.
- ومن العجيب أن أغلب كتب هذا الإمام طبعت في الهند، ولا تيسر للباحثين إلا بصعوبة، ومصوراتها ليست بجيدة، فلو أن هيئة تبنت إعادة نشر كتب هذا الإمام لكان خيرًا عظيمًا للدراسين والباحثين.
- وبعد حياة حافلة، توفي رحمه الله – وهو يتلو القرآن الكريم – في 19 جمادى الآخرة عام 1349 هـ على إثر عملية جراحية أجراها.
- وقد امتدحه عدد من العلماء منهم: تلميذه أبو الكلام آزاد، والعلامة البشير الإبراهيمي، والشيخ محمد رشيد رضا.<sup>3</sup>
- لمحات من منهجه في الدراسات القرآنية:** للفراحي رحمه الله تعالى نظرات تفرد بها في الدراسات القرآنية، وهي دراسات حري أن يعتنى بها وبإبرازها،<sup>4</sup> وبيان المنهج

<sup>1</sup> طبع بدار الغرب الإسلامي بعناية الدكتور محمد أجمل الإصلاحي.

<sup>2</sup> طبع في دار الغرب الإسلامي، ويحتاج إلى تحقيق.

<sup>3</sup> لخصت هذه الترجمة من مقدمة تحقيق كتاب: مفردات القرآن للمؤلف، والتحقيق للدكتور محمد أجمل الإصلاحي.

<sup>4</sup> كتبت بعض الرسائل العلمية الجامعية في منهج الفراحي بيد أني لم أطلع عليها فلم أستحسن إثباتها.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

الذي استنّه الفراهي لنفسه، فقد كانت للفراهي انفرادات بمسائل كعادة العلماء من أهل التحقيق، وهي ليست انفرادات بالتشهي وإنما بالاستدلال والنظر، وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي صلوات الله وسلامه عليه.

فمن تحقیقاته، تحقیقه للمراد بالقسم في القرآن. وأن القسم في أصله ليس للتعظيم، وأن التعظيم من عوارض القسم، بل ربما يكون القسم لمحض الاستدلال، وأن أقسام القرآن ليست إلا للاستدلال والاستشهاد بالآيات الدالة، وقد ظهر أثر هذا جلياً في السور التي فسّرها وهي مشتملة على قسم، وكذلك تحقیقه في تعريف أسباب النزول، وهو كلام نفيس جداً. ظهر فيه إنعامه النظر في كلام السلف، وتحريره للمراد بالذبيح، والأحرف المقطعة، وغير ذلك مما هو مبثوث في كتبه.

ولأن المقام لا يتسع لدراسة هذه تحقیقات جميعها، فسألقي الضوء على ثلاثة من الجوانب التي اعتنى بها المعلم من الأبواب المتعلقة بالدراسات القرآنية، وهي: (نظرية النظام، تفسيره، مفردات القرآن).

1. نظرية النظام، ودلائلها عند الفراهي: <sup>1</sup> "النظام" أو "الوحدة الموضوعية"، إحدى أهم النظريات التي اشتهر بها المعلم الفراهي، وألّف فيها عدة مؤلفات للتنظير لها، ويرى المعلم أن القرآن كلام محكم منظم، وأنه لو تأخر ما تقدم أو تقدم ما تأخر لبطل النظام وفسدت بلاغة الكلام، وأن نظامه في معانيه كما هو في ترتيب آيه وسوره.

والنظام "تجلّى به محاسن السورة والحكمة التي هي تمام العلم والتقوى"، <sup>2</sup> وفهم الكلام لا يمكن إلا بمعرفة نظامه، ونظامه هو الهادي للانتفاع بالكتاب وتعلمه وتعليمه والعمل به وحث الناس عليه.

<sup>1</sup> شرح هذه النظرية الأستاذ محمد عناية الله أسد سيجاني في عدد من المؤلفات أهمها: إمعان النظر في نظام الآي والسور، ط. دار عمار، وقد وقع غفر الله له في بعض الأخطاء ككلامه عن الإسرائيليات مما ينبغي التنبيه له، وتكلم بما لا يليق عن الإمام ابن جرير، وبعض أئمة التفسير.

<sup>2</sup> دلائل النظام: 19

ويرى الفراهي أن منهجه هذا لم يسلكه أحد من المتقدمين، فإنهم عنوا بالمناسبات ولم يعتنوا بإبراز المناسبة التي بها ينتظم الكلام من أوله إلى آخره بحيث يصير شيئاً واحداً، فالكلام بنظامه لا بمحض أجزائه.

كما دفع الشبه التي قد ترد على نظريته تلك،<sup>1</sup> ويبيّن أن النظام قد يدق عن فهم الناظر، ولا يتبين له إلا بعد زمان، وإنعام نظر، وهذا باب عظيم من أبواب الحكمة.

وأما طريقة الوصول للنظم، فيمكننا أن نستنبطها من كلامه، فنقول أن منها:<sup>2</sup>

- حسن التدبر مع الإيمان بالآخرة.
- القنوع في الأقوال بوجه واحد صحيح ظاهر ينتظم به الكلام، والتأمل في جذر الكلمات القرآنية.
- الأخذ بطريق السلف في التدبر والتماس المطابقة بين القرآن والسنة الثابتة.
- مراعاة السياق.
- معرفة موقع الكلام من الوقائع والأحوال.

ويرى الفراهي أن الدلائل على وجود النظام، هي في الكتاب نفسه، فمنها: رعاية الفواصل، وترجيح الآيات، واتصالها على أسلوب ظاهر، وربط المعاني على وجه بيّن. وقد يشتهر النظام بالتناسب، ولذلك فرّق بينهما الفراهي قائلاً: "التناسب جزء من النظام، فإن التناسب بين الآيات بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئاً واحداً مستقلاً بنفسه، وطالب التناسب ربما يقنع بمناسبة ما، فربما يغفل عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام، فيصير شيئاً واحداً.

وربما يطلب المناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتصالها، فإن الآية التالية ربما تكون متصلة بالتي قبلها على بعد منها.

<sup>1</sup> الدلائل: 20

<sup>2</sup> من كتابه دلائل النظام، وينظر للأهمية: 28

فإن عدم الاتصال بين آيات متجاورة يوجد كثيرًا. ومنها ما ترى فيه اقتضابًا بيّنًا، وذلك إذا كانت الآية أو جملة من الآيات متصلة بالتي على بعد منها.<sup>1</sup>

ومراعاة النظام هو المنهاج الصحيح لتدبر القرآن، والنظام هو الحكم عند تضارب الأقوال، وهو المرجح عند تعدد الاحتمالات، وهو الإقليد الذي تفتح به كنوز حكمة القرآن، وفي الكشف عن نظام القرآن لا يلجأ الإمام الفراهي إلى مناهج أهل الفلسفة والمنطق أو المتصوفة، وإنما يعتمد على القرآن نفسه، وأصول التفسير المعتمدة.

2. تفسيره: كتب العلامة الفراهي تفسيرًا للقرآن وسمّاه (تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان)، وقد انطلق فيه من نظريته المتعلقة بالنظام، وقد اهتم غاية الاهتمام ببيان نظام السورة، أو وحدتها الموضوعية، ويرى أن النظام لو استبان للناس لجمعهم تحت راية واحدة، وكلمة سواء.

وفسّر رحمه الله تعالى بهذه الطريقة التي انطلق من القرآن نفسه لبيانها، عددًا من سور القرآن، ففسّر الفاتحة والبقرة والقصص واللمب وقد سبق في التعريف بمؤلفاته ذكر بعضها.

والأساس الذي مشى عليه الفراهي رحمه الله هو تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسير القرآن بالسنة، ثم تفسيره بكلام الصحابة والتابعين، يقول: "أول شيء يفسّر القرآن هو القرآن نفسه، ثم بعد ذلك؛ فهم النبي صلى الله عليه وسلم، والذين معه، ولعمري أحبّ التفسير عندي ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه."<sup>2</sup>

وأما اهتمامه باللغة فلا يخفى على ذي لب، وإنك لتعجب غاية العجب من هذا الرجل وفصاحته وبيانه، ولا ريب أن الرجل متضلع غاية التضلع من لغة العرب وبيانهم، وقد قال العلامة الكبير الهلالي لما سمع منه خطبة النظام: "اغرورقت عيناى منها لفصاحتها وحقيتها".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> الدلائل: 74

<sup>2</sup> فاتحة النظام: 7

<sup>3</sup> مقدمة النظام: 9

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وله نظرات في التفسير انتقدها عليه بعض العلماء، وقد ألف العلامة المعلمي اليمني رسالة في التعقيب على تفسير سورة الفيل للمعلم الفراهي،<sup>1</sup> وهو ممن استفاد من المعلم وأشاد بعلمه وتحقيقه، قال في مطلعها: "فإني قد كنت وقفت على بعض مؤلفات العلامة المحقق المعلم عبد الحميد الفراهي - تغمده الله برحمته - كإمعان في أقسام القرآن، والرأي الصحيح فيمن هو الذبيح، وتفسير سورة الشمس؛ وانتفعت بها وعرفت عبقرية مؤلفها، ثم وقفت أخيراً على تفسيره لسورة الفيل، فألفيته قد جرى على سنته من الإقدام على الخلاف إذا لاح له دليل، وتلك سيرة يحمد بها الإسلام، ويدعو إليها أولي الأفهام، غير أن الخلاف هنا ليس لقول مشهور، ولا لقول الجمهور، ولكنه لقول صرح به الجماهير، ولم ينقل خلافه عن كبير ولا صغير ... وقد بدا لي أن أعقب المعلم رحمه الله وأشرح ما يتبين لي من وفاق أو خلاف".<sup>2</sup>

3. منهجه في مفردات القرآن:<sup>3</sup> جعل الفراهي كتابه عن المفردات جزءاً من مشروعه القرآني العظيم المشتمل على اثني عشر كتاباً، وكان كتاب المفردات أول الكتب الثلاثة منها التي ألفها لتمهيد الطريق إلى فهم القرآن على الوجه الصحيح، وهي كتاب المفردات، وكتاب أساليب القرآن، وكتاب التكميل في أصول التأويل.

والقيمة الكبرى للكتاب في المنهج الذي سلكه المؤلف في دراسة الألفاظ، فإن هذا المنهج هو الذي هداه في تفسير بعض المفردات القرآنية إلى النتائج التي ينشر لها الصدر، وينجلي بها الغموض، فيتعين معنى النص، ويضيء السياق.

وهذا المنهج هو منهج المحققين من العلماء قديماً وحديثاً، وإذا أنعمت النظر في تعليقات العلامة شيخ العربية أبي فهر محمود شاكر على تفسير الطبري وطبقات ابن سلام ستجد أن هذا قريب جداً من منهج العلامة الفراهي وأنهما ينهلان من معين واحد.

<sup>1</sup> طبعت بتحقيق الدكتور محمد أجمل الإصلاحي، ضمن مجموع آثار العلامة المعلمي 8

<sup>2</sup> مجموع آثار العلامة المعلمي: 3/8 - 4.

<sup>3</sup> مستفاد من مقدمة الدكتور محمد أجمل الإصلاحي - حفظه الله - للكتاب.

## العدد الخاص.....مجلة الهند

وقد اهتم المعلم بالمفردات لأن المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى في فهم الكلام، وأن الطالب قد يتوهم من اللفظ ضد ما أريد، فيذهب إلى خلاف الجهة المقصودة، وأنّ الخطأ في معنى كلمة واحدة يصرف عن تأويل السورة بأسرها، فيتوجه المرء إلى سمت كلما مرّ فيه بُعد عن الفهم، إلى غير ذلك من الأسباب التي دعت إلى التأليف في المفردات.

"في كتاب المفردات يبحث عن الألفاظ المفردة، ويكشف عن معانيها بحيث أن تتضح لها الحدود واللوازم، وما يتصل بها، وما يفتقر عنها، وما يشابهها، وما يضادها، فيحيط العلم بدلالة الألفاظ المفردة".<sup>1</sup>

ومن مقاصد هذا الكتاب "الفرق بين معاني الألفاظ عند نزول القرآن وبين ما صارت بعد ذلك".<sup>2</sup>

ومما يمتاز به كتاب المفردات عن غيره من كتب غريب القرآن أنّ مؤلفه قد مهّد لتفسير الألفاظ بعدة مقدمات تناول فيها بعض القضايا المتعلقة بلغة القرآن، والأصول التي تهدي إلى الفهم الصحيح للمفردات وتسد مداخل الوهم والغلط فيها.

والمصدر الأول في تفسير المفردات هو القرآن الكريم سواء في تحقيق أصل المعنى أم وجوهه وأحواله المختلفة أم تبين الفروق الدقيقة بين الألفاظ التي يظن أنها مترادفة، وذلك بتدبر سياقاتها ومواقعها.

ونوّه المؤلف بأهمية كلام العرب القديم ودراسته وممارسته وتذوقه لتبين دلالة الكلمة ووجوهها وأحوالها التي كانت عليها إبان نزول القرآن الكريم، وقد دارس المؤلف كلام العرب مدارس دقيقة، وقيد على طرر الدواوين التي نظر فيها إشارات وتعليقاته.

<sup>1</sup> مفردات القرآن: 91

<sup>2</sup> مفردات القرآن: 53

## العدد الخاص.....مجلة الهند

وقد توصل في تحقيق بعض المفردات القرآنية إلى نتائج مهمة تختلف عما جاء في كتب اللغة والتفسير، وقد استفاد المؤلف بمعرفته للغة العبرانية في تحقيق بعض الألفاظ التي هي من المواد المشتركة بينها وبين العربية، والرد على المستشرقين الذين زعموا أنّ القرآن الكريم أخذ بعض الألفاظ من اليهود والنصارى.

وفي الختام أقول: على أن الإمام الفراهي رحمه الله لم يتيسر له تأليف كتبه على الوجه الذي أراده، فإنه لا يخفى على من نظر فيها قيمتها العلمية ومكانتها الجليلة بين كتب الدراسات القرآنية، فإنها ليست من نوع التأليف المكرر الذي قصد به التهذيب والتيسير، وإنما هي كتب أصيلة تحفل بنظرات جديدة وتحقيقات بارعة وفوائد نفيسة تخلو منها الكتب الأخرى، فكثير منها عُد من أفضل الكتب المصنفة في بابها. رحم الله العلامة الفراهي، وجمعنا به في عليين.

## العلامة عبد الحميد الفراهي

(إطلالة على مساهمته في الدراسات القرآنية)

-د. محمد أشرف حسين<sup>1</sup>

كان العلامة عبد الحميد الفراهي رحمه الله (1863-1930م) من العلماء الذين نذروا حياتهم لتجديد الإيمان واليقين وركزوا جهودهم على النهوض بالمسلمين في عصرنا الحاضر وتركوا من بعدهم آثارًا نافعة مباركة، ولهم مساهمات جبارة في مختلف مجالات العلوم والآداب والفنون. وهذه المقالة تختص بذكر ما قام به العلامة عبد الحميد الفراهي من السهمة في مجال الدراسات القرآنية.

احتلت الحكومة الإنكليزية الهند ليس على مستوى السياسة فحسب بل على مستوى العقل والذهن فقد وقرّ الإنجليز كافة التسهيلات لمبليغي النصراري لتبليغ دينهم وثقافتهم في أهالي الهند لاسيما فيما بين المسلمين وكانوا يجتهدون كثيرًا لتخليط عقائد علماء الإسلام وتخبيط عقولهم لكي يثور الشك في أذهانهم عن الدين ومبادئه وهكذا يبعدوهم عن حضارتهم وثقافتهم الغراء. هذا في جانب وفي جانب آخر وقرّروا وظائف وتسهيلات لمن دخل في دين النصراري أو اعتنق الحضارة الغربية فقام بنشرها في مختلف أرجاء الهند. ولهذا كله احتالوا التعليم فنشروه وعن طريقه حاولوا في نجاح ما كادوا. وهذا كله أسفر عن تأثر المسلمين بهؤلاء الأجانب حتى ابتعدت جماعة قليلة منهم عن الدين الإسلامي الخالص.

ونشأت جماعة من المسلمين الذين أرادوا أن يظهرُوا أساس الدين بالفلسفة الجديدة وتفكيرها واستبدلوا مفهوم القرآن برأيهم الخاص، وبعضهم أَلْفُوا تفسير القرآن في هذا الأسلوب. وتفسير القرآن للسير سيد أحمد خان أحد منها وأنه وضع

<sup>1</sup> مدرّس في إحدى المدارس الحكومية في بنغال الغربية



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

منهاجًا جديدًا يثير على الإنكار بسنة الرسول ﷺ ويرجّح التفسير بالرأي. رأى العلامة الفراهي بعينه ما رأى حينما التحق بكلية علي كره (جامعة علي كره الإسلامية حالياً) فلم يتبعه وأجهد فيما بعد أن يردّ على هذا الطريق الجديد المضلّ.

كان العلامة الفراهي من نوابغ المسلمين الذين لهم مؤهلات متعددة الجهات يستطيع بها أحد أن يفوز في حياته فقد حصل العلامة على مهارات في العربية والفارسية والإنكليزية حتى تضلع في الفلسفة الجديدة وفاق في بعض الأحيان باحثي الغرب فلذا يقال أنه لو أخذ أي فن من الأدب أو السياسة أو العمران أو المنطق أو الفلسفة لامتلك ناصيته وسما به من الثرى إلى الثريا، ولكنه كان يتطلع لنشر علوم الإسلام لاسيما القرآن. ولأجل هذا اطلع على أوضاع المسلمين السيئة بعمق لسنين معدودات ثم وضع منهاجًا جديدًا للحل الذي به تمكن من أن تنحل الفتن والمشاكل، وهو كان دائم البحث والفحص والاعتبار. إن العلامة قرر بعد طول التفكير أن انحطاط المسلمين ليس سوى لأجل تركهم القرآن وعلومه لأنهم كانوا غالبين في الأيام الخالية حينما كانوا يتبعون القرآن الكريم وما يهدي إليه. ولما بعدوا من ذلك الترياق المفيد دخل فيهم بدع مختلفة وتفرقوا شيعًا فوجب عليهم أن يأخذوا القرآن وهداه كاملاً ولكن ما فعلوا هذا فلهذه المناسبة أمر العلامة المرحوم المسلمين باتباع هدى الله عز وجل في كل أمر وقضية. ولا يخفى أنّ هدى القرآن هو وسيلة واحدة لحصول ذلك النجاح المفقود. فلذا أضاف العلامة قائلاً بأن الإنسان يكون صالحًا فائزًا وسعيدًا قدرما تزداد علاقته بالمصحف الشريف.

وحيث أن النبي صلى الله عليه وسلم تعلّم القرآن من لدن ربه الجليل عن طريق جبريل وعلم أمته فهو خير الناس بغير شك. ثم تعلم أصحابه القرآن عليه فهم خير الناس بعد النبي الأُمّي عليه أفضل الصلوات والتسليم فثبت أنّ تدريس القرآن خير العمل في العالم ومصدر الأعمال الصالحات والعبادات المختلفة "خيركم من تعلّم القرآن وعلمه". فنذر مولانا الفراهي نفسه وقواه لهذه الغاية المباركة.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وأما بعدما نشر تفسير سيد أحمد خان فُكر الشيخ أن أصوله لتفهِيم القرآن وتفسيره لتخرج الناس من جنان القرآن الكريم لأن السيد خان سلك مسلكه الخاص في هذا العمل مبتعداً عن طريق العلماء المتقدمين فشعر الشيخ بالحاجة الشديدة إلى وضع أصول التفسير التي يتبعها باحثو القرآن وإلا فهذا البلاء يتسع نطاقه يوماً فيوماً، وهذا وغيره من الأسباب قد أثار الإمام الفراهي على تدوين أصول التفسير ثم على تأليف كتب أخرى في هذا الموضوع.

ولا يشكّ اثنان أنّ في قلبه رغبة شديدة في هذا الفن فلهذا لم يزل العلامة ساعياً له منذ زمن طويل حتى ولو أعطي مناصب عديدة ممتازة بعد نهاية دراساته العليا في علي كره وغيرها من المدن ونال رواتب ضخمة ولكنه لم يمنعه هذا كله عن اشتغاله بالقرآن وعلومه وتشهد كتاباته طوال حياته بهذه الرغبة الموهوبة في هذا الفن وليس هذا فحسب بل حاول كل المحاولة أن يدخل القرآن في المنهاج الدراسي ويجعله مركزاً لكافة العلوم ومنبعاً لها.

ولقد اعتبر العلامة القرآن الكريم مصدر كل علم ديني حديثاً كان أو قديماً، منطقاً كان أو حكماً ولهذا قد جاء بتغييرات جذرية في المنهاج الدراسي للمدارس الإسلامية وبنى مدرسة دينية على فكرته الخاصة اسمها "مدرسة الإصلاح" وأدخل في كافة مراحل تعليمها القرآن وعلومه وما يفيد في فهم هذا الكتاب العزيز. واليوم نجد هذه المدرسة مدرسة ممتازة تعتني بدراسة القرآن والبحث فيه حتى تخرج فيها العديد من مفسري القرآن وباحثيه والمفكرين فيه ومنهم الشيخ أمين أحسن الإصلاح والشيخ صدر الدين الإصلاح والشيخ الأستاذ الطاف أحمد الأعظمي والدكتور عناية الله سبحاني وآخرون غيرهم.

ولقد ألّف العلامة الفراهي كتباً عديدة في علوم القرآن ومنها مفردات القرآن والرأي الصحيح فيمن هو الذبيح وأساليب القرآن والتكميل في أصول التأويل ودلائل النظام وجمهرة البلاغة وأكبرها وأجلّها تفسيره القيم "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان". والأصول التي وضعها العلامة في كتبه المذكورة تسهّل للطلاب أن يفهموا القرآن الكريم خير فهم وجيده.

وكان الشيخ الفراهي يرى أن معرفة مفردات القرآن أمر ضروري إلى حد بعيد لفهم القرآن فهمًا صحيحًا، فإن الخطأ في فهمها يؤدي إلى الخطأ في فهم مشتملات القرآن الأخرى فلذا يواجه الطلاب مشاكل شتى عند تعيين معناها. ولقد قدّم العلامة نماذج عديدة على دعواه هذه.

إن اللغة العربية أساليب خاصة كلغة أخرى فيكون معنى القرآن مجهولًا بدون معرفة أساليبها أيضًا فيجب على طالب القرآن معرفة أساليبها. وكتابه الصغير "أساليب القرآن" خير دليل على دعواه هذه فقد قام العلامة الفراهي بحلّ العديد من أساليب القرآن في ضوء اللغة العربية.

إن كتاب "التكميل في أصول التأويل" من كتبه المفيدة لفهم القرآن وتفهيّمه فقد ذكر فيه أصول تدبر القرآن وما يحتاج إليه خلال هذه العملية المباركة. لا شك أن هذا الكتاب جدير بأن يقرأه كل من يؤدّ التفكير في القرآن وسبر غوره وإخراج درر معانيه وحكمه. قال الشيخ الفراهي: ولو حصل العلماء على علوم القرآن ولكنهم حبسوها في استعمال الفقه فحسب فيجب علينا أن نستعمل القرآن كأصول الدين التي بها تدور العلوم الإسلامية فلا بد لنا من أن تدوّن أصول التأويل ولولا رتبت أصول التأويل لما نبلغ المعنى الأصلي لأنه يمكن أن يتشبهت كل منا بما فهمه غير مراعى لهذه الأصول فيصوّب أحدًا كما يفنّد الآخر بدون أي أصول ومبادئ ولعل ذلك هو السبب وراء نشوء الخلاف بين المسلمين وتفرقهم في الفرق والأحزاب فلا بد للوصول إلى صحيح معاني القرآن واتحاد الأمة من أصول محدّدة لفهم القرآن وتأويله، وبناء على هذا قام الشيخ الفراهي بتأليف هذا الكتاب الجليل.

يرى الشيخ الفراهي أن القرآن منظّم بيانه منسق كلامه فلكل سورة موضوع مركزي كما ترتبط آيات السورة فيما بينها وحتى أن السور القرآنية مرتبطة فيما بينها فالقرآن كمثال كلام موحد منسق منظّم. ولإثبات هذه النظرية البديعة قام الشيخ الفراهي بتأليف كتاب قيّم يسمّى "دلائل النظام".

## العدد الخاص.....مجلة الهند

وللعلامة الفراهي كتاب آخر مهم يعرف بـ"إمعان في أقسام القرآن". في هذا الكتاب أثبت العلامة بدلائل من كلام العرب الجاهلي ومن عهود الاستشهاد أن القسم ليس لأن المقسم به عظيم كما يفهمه العامة بل يقسم الله بشيء صغيراً كان أو كبيراً للاستشهاد به على ما يود إثباته في تلك السورة.

وللعلامة كتاب جميل في موضوع البلاغة القرآنية ألا وهو "جمهرة البلاغة". في هذا الكتاب فند العلامة نظرية أرسطو للمحاكاة واعتبر النطق ميزة بشرية أولى وعليه بناء البلاغة كما قال تعالى في سورة الرحمن: "الرحمن علّم القرآن خلق الإنسان علّمه البيان". فالنطق أول ميزة بشرية. هذا كتاب فريد لم يسبق مثله في العالم العربي وعلى هذا تم صدوره بعد تحقيق الأستاذ أحمد فرحات ونجله الدكتور إقبال. ولقد أثنى عليه علماء العرب كما أشاد به علماء الهند.

ومن بين كتبه الأخرى تفسيره "نظام الفران وتأويل الفرقان بالفرقان" الذي صدر بعض أجزاءه أصلاً وترجمة من الهند ثم من دار الغرب الإسلامي في بيروت. ولقد تناولوه العرب بكل احترام وتقدير. قام الشيخ الفراهي في هذا التفسير بشرح مفردات القرآن وتأويل آياته وإيضاح مجمل القرآن والإشارة إلى وجوه بلاغته فكأنه دليل على كافة دعواه وتطبيق لجميع أفكاره القرآنية المذكورة في مختلف رسائله. من خلال هذا الكتاب قام الشيخ الفراهي بإثبات أن وحدة القرآن لطريقة لتوحيد المسلمين. فكأن القرآن عروة وثقى لمنظمة ربانية لمن أراد أن يتحد ولمن أراد شكرًا.

وله كتاب آخر يتميز عن غيره من كتب العقائد عنوانه "القائد إلى عيون العقائد". وهذا الكتاب الصغير يتحدث عن فلسفة القرآن العقدية كما ينطق عن الإيمان وواجباته. ولقد تناول الشيخ الفراهي في هذا الكتاب كل ما يمكن الحديث عنه خلال العقيدة فبين حقيقة الإيمان والإسلام، الخير والشر، الصفات الربانية وأهمية الرسالة وما والاها. صدر الكتاب مرة ثانية من الدارة الحميدية بسرائير (أعظم كره).

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وكتاب "في ملكوت الله" الذي يتحدث عن مصائب الدنيا ونهوض الأقوام وسقوطها كتاب جليل وفريد من نوعه. فقد ألقى الشيخ الفراهي الضوء في هذا الكتاب على الخلافة والسياسة الإسلامية، ومن بين كتبه الأخرى المهمة كتابه "الرائع في أصول الشرائع" الذي ينطق عن أحكام الشرائع وأهدافها وتوضيح حكمها و"حجج القرآن" الذي يبين الدلائل على التوحيد لدلائل الآفاق والأنفس و"إحكام الأصول بأحكام الرسول" الذي يكشف القناع عن حجية أحكام الرسول صلى الله عليه وسلم وأنها مأخوذة من القرآن الكريم وكتاب "حكمة القرآن" الذي يدل على معنى الحكمة في القرآن هل المراد منها السنة أم شيء آخر، وما هو مفهومها وما هي حدودها وطريقة الوصول إليها.

وملخص القول أن العلامة الفراهي كان من نوابغ عصره فقد أعطاه الرب تعالى مواهب عديدة تميز بها عن غيره من علماء الإسلام، وله الباع الطويل في فهم معاني القرآن وتفهمها. ولقد نذر معظم أوقات عمره الغالي لهذا الأمر المبارك فألّف رسائل عديدة لفهم وتفهم معاني القرآن واستخراج درره وحكمه. وهذه الكتب بمثابة أسباب للوصول إلى قمة معاني القرآن وعلو حكمه. بناء على هذا فقد أشاد بها العلماء في زمنه وبعد وفاته حتى تقبلها العرب بقبول حسن فتهافتوا على دراستها والاستفادة منها حتى قام بعضهم بتحقيقها وتدوينها من جديد.

نسأل المغفرة لكاتب هذه الرسائل وندعو أن يعمّ نفعها سائر الناس ويسهل بها الطريق إلى الفهم الصحيح للقرآن الكريم. وبه التوفيق وعليه التكلان.

### المصادر والمراجع

- 1- إحكام الأصول بأحكام الرسول ﷺ، عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية، إعداد: د. عبيد الله الفراهي، الطبعة الأولى، 2011م ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن المجموعة الثانية، سرائر مير، أعظم كره، يو-بي، الهند.
- 2- أساليب القرآن، عبد الحميد الفراهي، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، المجموعة الأولى، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائر مير، أعظم كره، الهند، ط2، 1411هـ، 1991م.
- 3- إمعان النظر في نظام الآي والسور، د. محمد عناية الله أسد سبحاني، دار عمار، عمان، الأردن. ط1، 2003م.
- 4- إمعان في أقسام القرآن، عبد الحميد الفراهي، دار القلم، دمشق، ط1، 1415 هـ، 1994م.
- 5- تعليق على جمهرة البلاغة، د. أحمد مطلوبعضو المجمع العلمي العراقي، وأمينه العام، بغداد، نسخة إلكترونية.
- 6- تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائر مير، أعظم كره، يو-بي، الهند، الطبعة الأولى، 2008م.
- 7- التكميل في أصول التأويل، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، المجموعة الأولى، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائر مير، أعظم كره، الهند، ط2، 1411هـ، 1991م.
- 8- جمهرة البلاغة، عبد الحميد الفراهي، مطبعة معارف، أعظم كره، الهند، 1340هـ.
- 9- دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، المجموعة الأولى، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائر مير، أعظم كره، الهند، ط2، 1411هـ، 1991م.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

- 10- ذكر فراهي، د. شرف الدين الإصلاحي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، الهند، 2001م.
- 11- الرائع في أصول الشرائع، عبد الحميد الفرهي، إعداد د. عبید الله الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، الهند، الطبعة الأولى، 2011م،
- 12- في ملكوت الله، عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، يو-بي، الهند. 1395هـ
- 13- مجلة "الضياء" الشهرية التي كانت تصدر في لكناؤ، عدد رجب 1352هـ.
- 14- مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد الثالث، العدد (2)، جمادى الأولى، 1427هـ، يونيو، 2006م، عجمان، الإمارات العربية المتحدة.

## الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في خدمة القرآن وعلومه

### دراسة نظرية تحليلية تطبيقية

﴿1﴾

- د. حسن يشو<sup>1</sup>

#### مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

فإن خير ما تنصرف إليه الهمم العالية هو القرآن الكريم من حيث الأعلام المختصون بفنون أفنانه، والعلوم المتصلة بعلو شأنه، ويتشرف الباحثون في رياضه الغناء، ولا يشقى جليس الكتاب وأهل الله وخاصته. وإن شرف التفسير وأصوله وقواعده لا يخفى على الخادم لكتاب الله تعالى تعليماً وتأليفاً؛ إذ شرف العلم بشرف المعلوم؛ وهو القرآن الكريم. وما زال كتاب ربنا يحظى بهذه العناية إلى اليوم، بل هي عناية ممتدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ولا أدل على ذلك من المكتبة المورقة في علوم القرآن وتفسيره؛ لأنه كتاب هذه الأمة وسبب خيريتها؛ قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة آل عمران: 110]. فقد جعل الله القرآن سر وجودها، ورمز عزتها، ومحور عظمتها، ومكمن خلودها، فهو الهادي إلى سعادة الدارين، والدليل لاستتباب الأمن، واستقرار الوضع، والمرشد إلى الحياة الطيبة، والمنهاج القويم؛ قال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾

<sup>1</sup> أستاذ مساعد، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة قطر



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

[سورة الإسراء: 9]. وقد دعانا الله ﷻ إلى الاعتصام بحبله المتين، ونوره المبين؛ فقال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران: 103]. تمامًا كما أخبر المصطفى ﷺ على أنه المخرج من فتننا في آخر الزمان فقال: "ألا إنها ستكون فتنة، قلت: ما المخرج يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع به العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [سورة الجن: 1-2] من قال به صدق ومن عمل به أجر، ومن حكم به".<sup>1</sup>

فالقرآن الكريم هو أصل الأصول ودليل الأدلة، منه انبثقت الشريعة الغراء، والحنيفية السمحاء، فهو مصدر العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات، فبفضله انبجست عيون نضاجة من شتى أنواع العلوم والفنون كاللغة والنحو والصرف والغريب والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع والفروق وأسرار العربية وأفنان علومها الفياضة، وكذا علم التفسير وأصوله، وعلم القراءات والتجويد، وكان ملهمًا لمشاعر الشعراء والأدباء والمتأملين والحكماء.

<sup>1</sup> أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في تعليم القرآن، برقم (2906)، والدارمي في فضائل القرآن، برقم (3331)، هذا، وقد ضعفه الجلة من علماء الحديث وذلك من حيث رفعه للنبي ﷺ، ولكن صححوا وقفه على علي بن أبي طالب ﷺ. قال ابن قيم الجوزية: "وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي ﷺ قد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح". انظر فضائل القرآن لابن كثير: 5.

فإن الله ﷻ يرشدنا إلى تلاوة آيه وتدبرها وتدارسها، وتعليم أحكامه وتبليغها، وتطبيق قيمه وتعاليمه على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والأمة والإنسانية؛ فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة البقرة: 129]؛ إذ إن التلاوة للفظ، والتعليم للمعنى، والتركية للفعل، فلا ينبغي أن تخرج رسالة القرآن عن هذه الجادة، وكل العلوم تصب فيها، بما فيها أصول التفسير، وأصول الفقه والجمع بينهما كما يراه الإمام الفراهي في علم جديد يصطلح عليه بـ"أصول التأويل".

ولما كانت رسالة النبي ﷺ البيان لما أنزل إليه قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: 44]، فقد وجه أصحابه النبلاء إلى الطريقة المثلى في فهم كلام الله تعالى، واستكشاف مقاصده، واستخراج أحكامه وحكمه، فاستقرت مع الزمن ودونت فيما اصطالحوا عليه بعلم "أصول التفسير".

لقد هيا الله لخدمة كتابه العزيز رجالاً نبلاء، هم مصابيح الدجى، سخرُوا أنفسهم وأوقاتهم كلها فكانوا من أهل الله وخاصته أحق بها وأهلها! فخدموا مختلف العلوم المتصلة بالقرآن الكريم.<sup>1</sup> وقد تألق العصر الحديث ببعض المفسرين الخادمين لكتاب الله تعالى من أمثال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، والعلامة محمد رشيد رضا، والأستاذ سيد قطب، وكلهم مرموقون معروفون، وأما شخصيتنا هذه فهي منهم، لها إضافات نوعية ولله الحمد والمنة وفاقاً لما نبينه تباعاً في تضاعيف هذا الكتاب.. إنها الإمام عبد الحميد الفراهي الذي لخص القول فيه العلامة أبو الحسن الندوي فقال: "إنه جمع بين التدبر في القرآن

<sup>1</sup> يقول بدر الدين الزركشي: "واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه؛ لاستفرغ عمره ثم لم يحكم أمره". البرهان: 31/1. وقد أوصل هذه العلوم إلى سبعة وأربعين نوعاً! وهذا الإمام السيوطي يوصلها إلى ثمانين نوعاً؛ قال رحمه الله: "فهذه ثمانون نوعاً على سبيل الإدماج، ولو نوعتُ باعتبار ما أدمجته في ضمها لزادت على الثلاثمائة". الإتيقان: 23/1.

والاشتغال به، والتذوق الصحيح لفن البلاغة والمعاني والبيان في اللغة العربية، وبين التشبيح من دراسة بعض اللغات الأجنبية والصحف السماوية القديمة، وسلامة الفكر، ورجاحة العقل والتعمق.. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء".<sup>1</sup>

فأحببت أن أكتب في موضوع "أصول التأويل عند الإمام عبد الحميد الفراهي" وفاقاً لأهميته وحاجة المكتبة العربية والإسلامية إلى نظائره من الأبحاث، وآليت على نفسي من غير تردد أن أوسع من رقعة الموضوع، ومداركه، وبعد التعميش والبحث، والاستقراء والتحليل، أثرت أن تكون خلته الجديدة هي: "الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في خدمة القرآن الكريم وعلومه": فكان بحق أرحب وأوعب من ذي قبل؛ إذ بات التصميم الأول من فصول ما استقر عليه العمل عندي في اختياري الأخير بتوفيق من الله فله الحمد والمنة.

#### أسباب اختيار الموضوع:

- لي قصة طويلة مع هذه الشخصية المبرزة التي بذت - على اختلاف العلوم الإسلامية - أقرانها في العصر الحديث، ورسخت في فؤادي ومخيلتي بعد زيارتي لولاية كيرالا بالهند، والتدريس بها لمدة ثلاثة أسابيع، وكتبت "الرحلة إلى الهند: عبق التاريخ في الفردوس المفقود"،<sup>2</sup> وأكتب عن "أعلام إسلامية في شبه القارة الهندية"<sup>3</sup> وكانت لي وقفة مع الإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله وشمله برضاه؛ حيث بهر لي بعنايته العميقة والفائقة لنظام القرآن وتناسب آيه؛ وذلك بفضل تدبره الملهم لمعاني القرآن الكريم؛ إذ أسفر رحمه الله عن تركة علمية من فرائد الدهر، وأنفس ما قرأت، وهو هو من يفيض علماً، ويتدفق حكمة!
- وأنا عاشق - على كل حال - لتدبر القرآن الكريم؛ وقد ألفتته رحمه الله من رواد التدبر في العصر الحديث، ووجدت له تأملات قرآنية رائدة، وخواطر

<sup>1</sup> انظر تقديم الشيخ أبي الحسن الندوي لكتاب "إمعان في أقسام القرآن" للفراهي، دار القلم، دمشق.

<sup>2</sup> غير مطبوع لحد كتابة هذه السطور، ويقدم للطباعة قريباً إن شاء الله تعالى.

<sup>3</sup> غير مطبوع وهو قيد البحث لإتمام فصوله الأخيرة.

فريدة، ولطائف نفيسة، وهو ضمن أفضل من كتب في مفردات القرآن مع الإضافة والإبداع بعد الراغب الأصفهاني (ت 412هـ). ويمثل الإمام الفراهي في تصوري مدرسة قائمة بنفسها عبر منهجية جديدة لتفسير القرآن الكريم مبنية على التدبر، يكشف فيها نظام القرآن الكريم، وعمود كل سورة ترتبط به بقية أجزاء السورة؛ وهو مُبتغى الفراهي في كل دراساته القرآنية. ولما علمت أنه من أعلام شبه القارة الهندية ازداد حبي له؛ لأن له إضافات علمية في علوم القرآن والتفسير على الرغم من كونه ليس عربيًا!

- ثم إن القلة من أهل العلم والفضل في عالمنا العربي من انتبه إلى هذه الشخصية المرموقة؛ ومنهم العلامة محمد رشيد رضا رحمه الله الذي قد بعث إليه الفراهي بنسخ من "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" مع مقدمة كتبه هذا الموسوم بـ "فاتحة نظام القرآن" فاضطر عرفانًا بهذا العلم ومنزلته غير المكتشفة يومئذ أن يكتب كلمة في مجلة المنار (صفر 1327هـ) أثنى فيها على منهجه المبتكر؛ ومما جاء فيها: "وقد ألقينا على بعض هذه الرسائل لمحة من النظر، فإذا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير، يشترك مع طريقنا في القصد إلى المعاني من حيث هي هداية إلهية، دون المباحث الفنية العربية... وإن للمؤلف لفهمًا ثاقبًا في القرآن، وإن له فيه مذاهب في البيان... وإنه لكثير الرجوع باللغة إلى مواردها والصدور عنها ريان من شواردها".
- هذا، علاوة على أنّ هذا العلم لا زال بحاجة إلى المزيد من الكتابات المحررة التي تجمع بين بيان الأصل، والتمثيل له، والمناقشة.<sup>1</sup>
- هذا، وإن شخصية عبد الحميد الفراهي ما زالت مغمورة لم تعط حقها من البحث والدراسة، وبات رحمة الله عليه مجهولًا في كثير من الأوساط العلمية بيد أنه مكثّر من حيث التأليف وله قلمٌ سيّال متدفق في القرآن وعلومه!

<sup>1</sup> انظر مقال: نشأة علم "أصول التفسير" وصلته بالعلوم الأخرى، لعبد الرحمن حلي، نسخة إلكترونية على موقع رابطة أدباء الشام.

- كما أنّ الدراسات القرآنية، والكتابات في مجال مناهج المفسرين وإن بدأت تكثر في الآونة الأخيرة، لكننا نلاحظ ضحالتها فيما يتعلق بالمفسرين في شبه القارة الهندية على الرغم من إبداعهم، وشغفهم بكل ما يتصل بالقرآن الكريم.
- ثمّ إنني لم أعثر في حقيقة الأمر على بحث وافٍ يعالج مجمل الدراسات القرآنية لدى الإمام الفراهي وتفاصيلها، فعقدت العزم على خوض غمار هذا البحث متوكلاً على المولى جل في علاه.

#### أهمية البحث:

- إنّ التأليف المستقل في هذا العلم الأصيل تأخر كثيراً عن غيره من العلوم؛ ولعل السبب في ذلك اكتفاء العلماء المتقدمين بما كتب حوله في علوم القرآن، وأصول الفقه.<sup>1</sup> ومن هنا تأتي أهمية الكتابة اليوم في الموضوع.
- حيث تأتي مشاركتي من جِراء التقريب بين أقصى المغرب وأقصى المشرق؛ لبيان أصول التأويل عند الإمام عبد الحميد الفراهي ومنهجه في التفسير، وباقي جهوده في خدمة القرآن الكريم وعلومه، ولا سيما قد أفرد إمامنا الفراهي أصوله بالتأليف في مصنف لطيف يحمل إضافةً علمية لما فيه من جدة وابتكار، وتجديد لعلم أصول الفقه ووصله بأصول التفسير، وكأنّ هذا العلم بات خداجاً غير تمام؛ فانبرى فضيلته لتكميل مباحثه، وجبر كسوره فسماه: "التكميل في أصول التأويل"،<sup>2</sup> علاوة على كتابه "الرائع في أصول الشرائع"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> انظر ما كتبه صديقنا العزيز أ. د. مولاي عمر بن حماد في رسالته العلمية: علم أصول التفسير محاولة في البناء، دار السلام، القاهرة، ط1، 1431هـ.

<sup>2</sup> وهي رسالة لطيفة انعقدت خناصري على تحقيقها والتعليق عليها مع الدراسة وإخراجها في حلة تلي حاجة ماسة إلى تراثه العلمي الرصين، وتكون إضافة علمية إلى المكتبة العربية والإسلامية بفضل من الله ومثّة. وقد شاركت في مؤتمر عن الإمام الفراهي بعنوان: "التراث العلمي والفكري للعلامة عبد الحميد الفراهي" بورقة بعنوان: "نظرية الإمام الفراهي في التجديد الأصولي من خلال كتابه: "التكميل في أصول التأويل" في مدينة أعظم كره، بكلية شبلي النعماني الوطنية بولاية أنرابديش - الهند.

<sup>3</sup> من رسائل الإمام الفراهي، المجموعة الثانية.

وكانت أصوله تنتهي إلى أن "الحكمة الظاهرة في كل أمر ونهي هي الطاعة والعبودية والإخلاص لله؛ وهذا القدر ضروري وهو ابتداء لتزكية النفس وأما البصيرة في مصالحها.."<sup>1</sup>

- وحتى الكتابة في أصول التفسير اتسعت موضوعاتها، فتأتي الكتابات المفردة في بعض مسائله أعمق بحثًا، وأجود تحريرًا، وأكثر استيعابًا من الكتب الشاملة، وهذا أمر فرضه التخصص والتركيز بالإضافة إلى أن غالبها رسائل علمية تعرضت للإشراف والتحكيم.<sup>2</sup>
- وهنا تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تنبش في تراث ليس بالقديم لكنه مجهول لدى كثير من الناس، ويحيي موائًا، ويؤرخ لعالم فديّ لو أنسأ الله في عمره لكان له شأن عظيم؛ إذ إنه فتح مشاريع كثيرة، ومات قبل أن تستوفي حقها، وتستكمل حلقاتها، فبقيت غُفلاً وبياضًا تحتاج إلى تحرير وتسويد؛ فكان لزامًا علينا أن نشرئب إليه لإحياء ما اندرس من تركته العلمية النفيسة أعدّها من فرائد العصر الحديث بلا منازع.
- علاوة على أن الإمام الفراهي لم يكن مقلدًا، بل تفرد بدلائل النظام؛ قال رحمه الله: "وكنيت في هذا على بصيرة من ربي، غير متبع لأحد".<sup>3</sup> وكان أحق بها وأهلها، اضطلع بمسؤوليته على جدارة واستحقاق، امتلك ناصية البحث، برؤية واضحة، وثقة كاملة، وأريحية عالية، وملكة راسخة، فانقشعت أمامه سحب التعقيد واللبس، وانحلت أقفال كثيرة، وكان فضل الله عليه عظيمًا!

<sup>1</sup> الرايع في أصول الشرائع: 17.

<sup>2</sup> انظر بحث: جهود العلماء في أصول التفسير، د. إبراهيم بن صالح الحميضي: 20، نسخة إلكترونية.

<sup>3</sup> تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان: 15. ويقول بدر الدين الإصلاحي: "فأحس بشدة الحاجة إلى تأسيس هذا الفن، واجتهد فيه وبتوقيفه تعالى، قد أسسه على أصول راسخة، بنيت على قواعد اللسان وأساليب القرآن، تهدي إلى سواء السبيل، وتعين على فهم المعنى المراد، وتعصم من الزغ في التأويل وتحفظ عن التفسير بالرأي، وتكون كالمعيار والميزان لكل ما يؤخذ من القرآن". انظر دلائل النظام: 15، من تقديم بدر الدين الإصلاحي.

### الصعوبات التي اعترضتني:

لعل أهم الصعوبات التي اعترضتني أثناء التقييس والتفتيش، تمثلت في أنّ مؤلفات الإمام عبد الحميد الفراهي، ودراساته القرآنية، ومختلف أبحاثه العلمية، -أو معظمها على الأقل- ليست منشورة ولا محققة تحقيقاً علمياً وافياً، اللهم إلا ما حصلت عليه من المجموعة الأولى من رسائله التي طبعتها الدائرة الحمديّة عام 1389هـ، والمجموعة الثانية بنفس الدائرة الحمديّة، عام 2011م، وتفسيره: "نظام القرآن في تفسير الفرقان بالفرقان" بنفس الدائرة عام 2008م، ومفردات القرآن بتحقيق الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي،<sup>1</sup> وبعض رسائله في نسخها الإلكترونية كما نشير إليها في محالها من هذه الدراسة إن شاء الله تعالى.

### الدراسات المنجزة في الموضوع:

لم أجد سوى ما جمعته الدائرة الحميدية من بعض ترائه كدلائل النظام، وأساليب القرآن، والتكميل في أصول التأويل، وتفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان.. إلخ.

وأما فيما يتعلق بالدراسات المنجزة في الموضوع؛ فتكاد تكون منعدمة اللهم إلا ما ورد في تعاريج كتب لعلوم القرآن، أو إشارات هنا وهناك، وبعض المقالات والأبحاث التي لم تستوف الموضوع حقاً؛ ما حدا بنا للاستفاضة والاستقصاء؛ ويمكن الإلماع إلى بعض منها:

- تحقيق الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي لمفردات القرآن للفراهي مع شيء من الدراسة. وهذا زاد من حماسي لهذه الدراسة وغيرها من الأبحاث والتحقيقات لتراث الإمام عبد الحميد الفراهي.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ط1، 2002م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

<sup>2</sup> كنت عقدت العزم على إكمال البحث على تصميمه الأول: "أصول التأويل عند الإمام الفراهي" بكتابة بحث جديد تحت عنوان: "الإمام عبد الحميد الفراهي مفسراً" علاوة على العناية برسائله النفيسة والتعليق عليها. وقد فعل ربك خيراً؛ إذ شرح صدري فاهتديت للموضوع كما هو الآن في تصميمه الأخير: "الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في خدمة القرآن وعلومه": حيث توليت الجمع بين التصميمين فيكون مغنياً، ولله الحمد والمنة.

- كتاب "في علوم القرآن: عرض ونقد وتحقيق"، لشيخنا العزيز الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات، تناول فيه مسألة المناسبة والتناسب، وأعقبها بالحديث عن النظام عند الإمام الفراهي،<sup>1</sup> وله أيضًا بحث "معاجم مفردات القرآن: موازنات ومقترحات": تناول فيه مفردات الفراهي<sup>2</sup> مقارنة مع بقية المعاجم الأخرى كالراغب الأصفهاني وغيره، كما ترجم للفراهي في تحقيقه لكتابه: "جمهرة البلاغة" مع ابنه الكريم الدكتور محمد إقبال رعاهما الله.
- بحث أصول التفسير عند العلامة الفراهي (عرض ونقد) لزميلي العزيز الدكتور محمد إقبال فرحات.<sup>3</sup>
- بحث الإمام الفراهي ومنهجه في تفسير: "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" للدكتور محمد يوسف الشريجي.<sup>4</sup>
- وله أيضًا: بحث أصول التأويل بين الراغب الأصفهاني وعبد الحميد الفراهي.
- حميد الدين الفراهي: حياته ومنهجه في تفسير القرآن وأثر ذلك في الهند، للباحث سيد سعيد أحسن العابدي.<sup>5</sup>
- رسالة ماجستير لسالم العلوي بعنوان: "الفراهي وجهوده في تفسير القرآن الكريم".<sup>6</sup>

<sup>1</sup> انظر في علوم القرآن: عرض ونقد وتحقيق: 86-89. ط1، 1421هـ، 2001م، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان.

<sup>2</sup> انظر معاجم مفردات القرآن: موازنات ومقترحات: 26، و29-31، 35 وما بعدها. نسخة إلكترونية ناولنها الشيخ أبو أسامة أحمد حسن فرحات رعاها الله يدًا بيد: لأنها كانت أصل محاضراته حين كان أستاذًا زائرًا لنا بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة قطر؛ حيث أشاد بالإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله.

<sup>3</sup> نشرته مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد الثالث، العدد (2)، جمادى الأولى، 1427هـ، يونيو 2006م، عجمان، الإمارات العربية المتحدة.

<sup>4</sup> الإمام عبد الحميد الفراهي ومنهجه في تفسير "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"، د. محمد يوسف الشريجي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 20، العدد الثاني، 2004م.

<sup>5</sup> وأصلها رسالة دكتوراه قدمها الباحث إلى جامعة الأزهر عام 1971م.

<sup>6</sup> كانت تحت إشراف أ. د. عيادة الكبسي، ونوقشت بتاريخ: 24-11-2009م، في جامعة الشارقة، وكان د. محمد إقبال عضوًا في اللجنة العلمية لمناقشتها.



- جهود علماء الهند في تفسير القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري، للباحث محمد عزيز بن عبد المعين.<sup>1</sup>
  - مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن والسور، للباحث عادل بن محمد أبي العلاء.<sup>2</sup>
  - الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، للباحث محمد فريد راوي.<sup>3</sup>
- وعليه؛ فهذه الندرة في الدراسات المنجزة زادتني حماساً على أن يكون من أولوياتي في هذه المرحلة الإسهام في إحياء هذا الإمام، وبيان أصوله في التأويل، ومنهجه في التفسير، وجهوده في خدمة القرآن وعلومه.

#### المنهج المتبع:

لقد اخترت الدراسة الوصفية التحليلية النقدية؛ بحيث لم أكن أقتصر على مجرد العرض لأفكار الإمام الفراهي رحمه الله، بل تحليلها ونقدها بموضوعية وإنصاف لهذا الرجل العظيم.

وقد حضر المنهج الاستقرائي في تصفح جزئيات الموضوع عبر مختلف رسائل الإمام العلمية الوازنة.

وهي تطبيقية؛ لأنها اعتمدت بعض تطبيقات أصول التأويل في تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان للإمام الفراهي رحمه الله تعالى.

<sup>1</sup> وأصلها رسالة جامعية قدّمت إلى جامعة القاهرة عام 2003م. وقد ضمّنها مشاهير علماء الهند الذين أسهموا في خدمة القرآن والتفسير، ومنهم الإمام الفراهي.

<sup>2</sup> أصله بحث مقدم إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام 1425هـ. أورد فيه رأي الإمام الفراهي في علم المناسبة.

<sup>3</sup> ط. دار الشاكر، ماليزيا، ط1، 1436هـ، 2015م. وأصل البحث رسالة جامعية تقدم بها الباحث إلى كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية بعمان لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن. وقد اطلعت عليها بعد أن اكتملت حلقات بحثي وألفيته يتقاطع معي في كثير من المباحث، مع اختلاف في المادة العلمية، والمنهج، والأسلوب، ولكل وجهة هو مولها!

وقد سلكت في الكتاب المنهج العلمي؛ حيث ضببط النص القرآني بذكر الآية ورقمها من السورة، وخرجت الأحاديث الواردة في تضاعيف هذا البحث من مظانها، كما وثقت النقول والنصوص، وعلقت على ما يحتاج إلى تعليق، ثم إنني اعتمدت على كتب الإمام الفراهي بالقراءة المباشرة منها، والتعليق عليها بأسلوب علمي واضح وفق ما تقتضيه منهجية البحث العلمي والله الموفق للصواب.

**أهداف البحث:**

يبتغي صاحب هذه الدراسة بلوغ الأهداف الآتية:

- 1- التعريف بالإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله.
- 2- بيان جهود علماء الأمة في خدمة التفسير وأصوله.
- 3- بيان جهود علماء الهند في خدمة القرآن وعلومه.
- 4- إظهار جهود الإمام الفراهي في خدمة القرآن وعلومه.
- 5- إظهار أصول التأويل عند الإمام الفراهي رحمه الله.
- 6- جرد القواعد الحاكمة في التفسير والتأويل حسب الإمام الفراهي رحمه الله.
- 7- بيان ملاحظاته على أصول التفسير لدى الأقدمين ونقدها.
- 8- كشف جانب التجديد في أصول التأويل عند الإمام الفراهي رحمه الله.
- 9- إيضاح منهجه في كتابه: "مفردات القرآن".
- 10- بعض تطبيقات أصول التأويل في تفسيره (نظام القرآن).
- 11- بيان منهجه في التفسير الموسوم بـ "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان".
- 12- بيان مضامين كتبه على غرار: "جمهرة البلاغة"، و"حجج القرآن" و"القائد إلى عيون العقائد" وغيرها.

**حدود البحث:**

اخترت أن تكون الدراسة منصبة على علم من أعلام الهند في العصر الحديث؛ وهو الإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله، وانصبت على جهوده في خدمة القرآن

وعلموه عامة، وأصول التأويل عنده، مع التعرّيج على كل ما يتعلق بحدود هذه الدراسة وما يمت إليها بصلة متينة.

**أسئلة البحث:**

حين شرعت في البحث عنّت لي أسئلة رئيسة، يتم فصل البحث بالجواب عنها؛ ومنها: من هو الإمام عبد الحميد الفراهي؟ وما هي دراساته القرآنية؟ وما حقيقة أصول التفسير؟ وما حظ الإمام عبد الحميد الفراهي منها؟ وما قيمة كتابه: "التكميل في أصول التأويل"؟ وهل فيه تجديدٌ على صعيدي أصولي الفقه والتفسير؟ وما هي ملاحظاته على التفسير وعلموه؟ وما منهجه في مفردات ألفاظ القرآن؟ وما الذي يضيفه إلى المكتبة الإسلامية عامة، ومكتبة التفسير وأصوله خاصة؟ وهل يمكن أن يمثل مدرسة جديدة وفق أصول معلومة؟ وما دلائل النظام في تفسيره؟ وما طبيعة الكتب التي ألّفها كحجج القرآن وحكمة القرآن والقائد إلى عيون العقائد، وغيرها من الكتب، وأسئلة البحث التي انبرئت للإجابة عنها عبر هذا الجهد المتواضع.

**الخطة التفصيلية:**

بعد هذه المقدمة، تناولت الدراسة سبعة وعشرين فصلاً أساسياً:

**الفصل الأول:** ترجمة بالإمام عبد الحميد الفراهي.

**الفصل الثاني:** جهود علماء الهند في خدمة القرآن الكريم وعلموه.

**الفصل الثالث:** أصول التفسير وجهود علماء الأمة في خدمته.

**الفصل الرابع:** عناية الإمام الفراهي بأصول التفسير.

**الفصل الخامس:** استقراء قواعد التأويل عند الإمام الفراهي.

**الفصل السادس:** مصادر التفسير كما يراها الفراهي.

**الفصل السابع:** أسباب النزول.

**الفصل الثامن:** الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ.

**الفصل التاسع:** أصول التأويل كما يراها الفراهي.

**الفصل العاشر:** نظام القرآن.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

الفصل الحادي عشر: عمود السورة.

الفصل الثاني عشر: هل كان الإمام الفراهي بدعاً من القول بالنظام؟

الفصل الثالث عشر: الربط بين السورتين السابقة واللاحقة.

الفصل الرابع عشر: منهج الفراهي في التفسير.

الفصل الخامس عشر: منهج الفراهي في تعليقاته على نسخة القرآن الخاصة به.

الفصل السادس عشر: عناية الإمام الفراهي بمفردات القرآن ومنهجه فيه.

الفصل السابع عشر: الفروق اللغوية عند الإمام الفراهي.

الفصل الثامن عشر: جمهرة البلاغة ومحاولة التجديد فيها.

الفصل التاسع عشر: أقسام القرآن ودلالاتها عند الفراهي.

الفصل العشرون: حجج القرآن.

الفصل الواحد والعشرون: حكمة القرآن.

الفصل الثاني والعشرون: دلائل النظام.

الفصل الثالث والعشرون: أساليب القرآن.

الفصل الثاني والعشرون: القائد إلى عيون العقائد.

الفصل الثالث والعشرون: الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح.

الفصل الرابع والعشرون: ما تفرد به الإمام الفراهي.

الفصل الخامس والعشرون: أجوبة الفراهي على أسئلة مهمة.

الفصل السادس والعشرون: فوائد الإمام الفراهي.

الفصل السابع والعشرون: لطائف وحكم وأسرار.

وخاتمة أفرغت فيها نتائج البحث، وتوصيات.

وفي الختام أسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع بهذا العمل في هذه الحياة، ويدخر لي

فضله بعد الممات؛ إنه وليّ ذلك والقادر عليه؛ تيمناً بقوله ﷺ: "إذا مات ابن آدم

انقطع عمله إلا من ثلاث: ذكر منها أو علم ينتفع به".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> أخرجه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم (1631).

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وقد قال الأبي (ت 827هـ) في شرحه للحديث: "وكان شيخنا أبو عبد الله - يعني ابن عرفة - يقول: إنما تدخل التأليف في ذلك إذا اشتملت على فوائد زائدة وإلا فذلك تخسير للكاغد. ويعني بالفائدة على ما في الكتب السابقة عليه، وأما إذا لم يشتمل التأليف إلا على نقل ما في الكتب المتقدمة فهو الذي قال فيه إنه تخسير للكاغد".<sup>1</sup>

"اللهم من كان على هوى أو على رأي وهو يظن أنه على الحق، وليس هو على الحق، فرُدّه إلى الحق حتى لا يُضَلَّ به من هذه الأمة أحد، اللهم لا تشغل قلوبنا بما تكفلت لنا به، ولا تجعلنا في رزقك خولاً لغيرك، ولا تمنعنا خير ما عندك بشر ما عندنا، ولا ترانا حيث نهيتنا، ولا تفقدنا من حيث أمرتنا".<sup>2</sup>

"اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم".<sup>3</sup>

"اللهم فلا تخيب رجاء هو منوط بك، ولا تُصفر كفاً هي ممدودة إليك، ولا تذلل نفساً هي عزيزة بمعرفتك، ولا تسلب عقلاً هو مستضيء بنور هدايتك، ولا تُقْذِر عيئاً فتحتها بنعمتك، ولا تخرس لساناً عودته الثناء عليك، وكما كنت أولاً بالفضل فكُنْ آخرًا بالإحسان. الناصية بيدك، والوجه عانٍ لك، والخير متوقع منك، والمصير على كل حال إليك".<sup>4</sup>

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد إمام المفسرين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

<sup>1</sup> إكمال إكمال المعلم بفوائد مسلم: 345/4.

<sup>2</sup> انظر الإمام أحمد في طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى: 72/2.

<sup>3</sup> أخرجه مسلم في صلاة المسافرين برقم (770) عن عائشة أم المؤمنين، وابن ماجه في إقامة الصلاة برقم (1357)، وأبو داود في الصلاة برقم (767)، والنسائي في الكبرى في الصلاة برقم (1324)، والمجتبى في قيام الليل برقم (1625).

<sup>4</sup> البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي: 3.

الفصل الأول: ترجمة الإمام عبد الحميد الفراهي

تمهيد:

إن الترجمة للأعلام المرموقين عبادة نتقرب بها إلى الله ﷻ، وبفضلها تنزل الرحمات، ومن ورّخ عالماً فكأنما أحياه، ولما كانت هذه الدراسة قائمة على الإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله، لزم أن نخصص له الفصل الأول للتعريف به؛ إذ الحكم على الشيء فرع عن تصوره. تُرى، فمن هو الإمام عبد الحميد الفراهي؟ ما هي أهم المحطات في ترجمته العامرة؟ وما هي آثاره ومؤلفاته؟ هذا ما يجيب عنه هذا الفصل عبر المباحث الآتية:

المبحث الأول: مصادر ترجمته:

تم الاعتماد في ترجمة الإمام عبد الحميد الفراهي على المصادر الآتية:

- 1- نزهة الخواطر،<sup>1</sup> للشيخ عبد الحي الحسني (ت 1341هـ)، وقد زاد على الترجمة ابنه البار الداعية الكبير أبو الحسن الندوي رحمه الله.
- 2- ترجمة المؤلف، ضمن "مفردات القرآن" للفراهي،<sup>2</sup> تحقيق الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي.
- 3- الإمام حميد الدين الفراهي<sup>3</sup> رحمه الله، مقال لأبي الليث الإصلاحي الندوي رحمه الله.
- 4- ترجمة المؤلف؛ وهي التي صدر بها تلميذه أمين أحسن الإصلاحي رحمه الله كتاب "مجموعة تفاسير فراهي"، والتي ترجمها الإصلاحي إلى الأردية.
- 5- ذكر فراهي؛<sup>4</sup> للدكتور شرف الدين الإصلاحي رحمه الله.

<sup>1</sup> نزهة الخواطر: 248/8 - 249.

<sup>2</sup> نشرته دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002م، بيروت.

<sup>3</sup> نشرته مجلة "الضياء" الشهرية التي كانت تصدر في لکناؤ، عدد رجب 1352هـ ص: 253-260. وقد نقل السيرة الذاتية التي كتبها الإمام عبد الحميد الفراهي عن نفسه، وما كتبه عنه الشيخ تقي الدين الهلالي في مذكراته.

<sup>4</sup> نشرته الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، أعظم كره، الهند.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

- 6- ترجمة موجزة عن الإمام الفراهي،<sup>1</sup> كتبها الشيخ سليمان الندوي رحمه الله.
- 7- رسائل العلامة شبلي النعماني رحمه الله إلى المؤلف.<sup>2</sup>
- 8- الإمام الفراهي ومنهجه في تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" للدكتور محمد يوسف الشُّريجي.<sup>3</sup>
- 9- جمهرة البلاغة، للمعلم عبد الحميد الفراهي، بتحقيق الشيخين أحمد حسن فرحات، ومحمد إقبال فرحات.
- 10- الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، للدكتور محمد فريد الراوي.<sup>4</sup>
- 11- أعلام إسلامية في شبه القارة الهندية،<sup>5</sup> للدكتور حسن يشو.

المبحث الثاني: اسمه ونسبه وكنيته ومولده:

- هو عبد الحميد<sup>6</sup> بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج علي، حميد الدين، أبو أحمد<sup>7</sup>، الأنصاري<sup>8</sup>، الفراهي.<sup>9</sup>
- كونه أنصاريًا جاء على خلاف بين مترجميه؛ فهو إما نسبة إلى أسرته الأنصارية، وهي منتشرة في شبه القارة الهندية انتشارًا واسعًا، وإما نسبة إلى أنصار المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم.

<sup>1</sup> ألحقت بآخر كتاب "إمعان في أقسام القرآن"، طبعة المكتبة السلفية بالقاهرة.

<sup>2</sup> وهي منشورة ضمن مجموعة "مكاتيب شبلي"، المجلد الثاني، ص: 1-55.

<sup>3</sup> نشرها في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد (20)، العدد الثاني، 2004م.

<sup>4</sup> الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن: 33 وما بعدها.

<sup>5</sup> غير مطبوع حتى الآن، نسأل الله تعالى التوفيق والسداد في إخراجه قريبًا.

<sup>6</sup> وقيل حميد الدين هو اسمه الحقيقي غير أن الإمام الفراهي سَمَّى نفسه في أول مصنفاته

"عبد الحميد" عام 1381هـ. انظر حياة حميد للندوي: 2. وكذا ظهرت كتبه تباعًا باسم عبد

الحميد الفراهي؛ وهو ما حملني على اعتماده.

<sup>7</sup> كان رحمه الله يكتني نفسه أبا أحمد؛ كما ظهر في أول ديوانه العربي الذي سَمَّاه: "ديوان أبي

أحمد الأنصاري".

<sup>8</sup> نص على هذا النسب العلامة عبد الحي الحسني، غير أن الإمام الفراهي لم يكن يتداولها في

كتبه؛ وربما ورعًا من الافتخار بالأنساب والله أعلم!

<sup>9</sup> كل مؤلفاته كان يحب أن ينسب فيها إلى قريته (فريها)؛ وهي من قرى أعظم كره، من الإقليم

الشمالي في الهند، رحمه الله تعالى.

- كفى نفسه بأبي أحمد تيمناً باسم المصطفى ﷺ المبارك، ولم يكن من أبنائه من يسمّى أحمد.
  - ولد صباح يوم الأربعاء، 6 جمادى الآخرة، سنة 1280هـ، الموافق لـ 1862م، في قرية "فريها" من قرى مديرية "أعظم كره" في الإقليم الشمالي من شبه القارة الهندية من ولاية "أتراباديش".
  - إن أسرته هاجرت من المدينة المنورة إلى أفغانستان، وأقاموا زمناً في "فراه"، فلما نزحوا إلى الهند ونزلوا في هذه القرية سمّوها باسم موطنهم، وتحرفت على ألسنة الناس إلى "فريها".<sup>1</sup>
- المبحث الثالث: شيوخه ورحلاته العلمية:

- بدأ الشيخ عبد الحميد الفراهي تعليمه منذ ترعرعه في منزله العامر على غرار البيوتات الشريفة في عهده، شأنه في ذلك شأن أبناء العائلات الشريفة في الهند، فنشأ رحمه الله في رخاء ونعمة.
- كان أول ما فعله رحمه الله أن من الله عليه بحفظ القرآن الكريم على يد مؤدبه الأول الشيخ أحمد علي، فقد حفظه وهو ابن عشر سنين أو نحو ذلك!
- وبرع في الفارسية على يد شيخه ومؤدبه الشيخ محمد مهدي، وكان من علماء الفارسية وشعرائها، تلقاها عنه حتى نظّم فيها الشعر وهو ابن ستة عشر عاماً!<sup>2</sup>
- ثم اشتغل بطلب العربية وعلومها وهو ابن أربع عشرة سنة على يد ابن عمته العلامة المؤرخ الأديب شبلي النعماني<sup>3</sup> (ت 1332هـ)، وكان أكبر منه بست سنين.

<sup>1</sup> مجلة معارف، عدد: رجب، 1411هـ، ص: 88، مقال: "ترجمان القرآن مولانا حميد الدين الفراهي" للدكتور شرف الدين الإصلاحي.

<sup>2</sup> وسرعان ما حصلت له بذكائه وتوقد ذهنه ملكة قوية في اللغة الفارسية، وامتلك ناصية البيان، فبدأ يقرض الشعر، ولم تمض مدة قليلة حتى أخذ يجاري فحول شعراء الفارسية. فقال قصيدة صعبة الرديف - وهو ابن ست عشرة سنة - عارض بها قصيدة خاقاني الشرواني الملقب بحسان العجم (ت 595هـ)، فلما عرضها ابن عمته العلامة شبلي النعماني (ت 1332هـ) على أستاذه الشيخ فاروق العباسي - من كبار أدباء الفارسية - وسأله عن قائلها، قال: لا أدري، ولكن الظاهر أنها لبعض الشعراء المتقدمين.

<sup>3</sup> كان من أبرز أساتذته وكان مؤرخاً، أديباً ناقدًا، غزير العلم، واسع الاطلاع على العلم النقلية والعقلية، خلف من بعده تركة علمية دسمة تاريخية وأدبية منها: "سيرة النبي ﷺ" في ثمانية مجلدات، و"الفاروق" في سيرة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، و"النعمان" في سيرة أبي حنيفة النعمان، و"المأمون" .. وهلم جرا.



- كما تلقى العلم في حلقة الفقيه الحنفي المحدث العلامة الشيخ "أبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي"<sup>1</sup>، (ت 1304هـ) وتلقى أيضًا عن غيره من علماء عصره.
- ودرس على الشيخ فيض الحسن السهاري<sup>2</sup> (ت 1304هـ)، الأدب العربي وبعض العلوم العقلية إلى درجة أن الشيخ كان يخص الفراهي بمحبة خاصة جدًا؛ لفرط ذكائه، وحسن خلقه، وسمته الحسن، وهيبته، ما حمله على إهدائه بعض كتبه، كما أن الفراهي لفرط حبّ شيخه طبع ديوانه بالعربية على نفقته الخاصة.<sup>3</sup>
- ودرس العلوم العقلية على الشيخ فضل الله اللكنوي<sup>4</sup> (ت 1312هـ).
- واستفاد من شيخه فضل الله بن نعمة الله الأنصاري.<sup>5</sup>
- ثم عرّج بعد ذلك على اللغة الإنجليزية وهو ابن عشرين سنة.

<sup>1</sup> هو علامة الهند، وإمام المحدثين والفقهاء فيها، وكانت له رحلة علمية استفاد على إثرها من علماء الحرمين واستجاز منهم، وكان متبحرًا في العلوم النقلية والعقلية على دراية عميقة بعلوم الحديث وترك مؤلفات كثيرة اعتنى بها الشيخ عبد الفتاح أبو غدة.

<sup>2</sup> هو أحد أعلام العربية والأدب العربي في العصر الحديث في شبه القارة الهندية، وقد درسه في الكلية الشرقية بلاهور في قسم اللغة العربية، ولم يزل يعمل بها حتى توفاه الله تعالى، ولم يكن فيه أعلم منه في النحو واللغة والشعر وأيام العرب. له مصنفات جليلة منها: حاشية على تفسير البيضاوي، وأخرى على تفسير الجلالين، وثالثة على مشكاة المصابيح، وله شرح مبسط على ديوان الحماسة، وآخر مبسط على المعلقات السبع، وله ديوان شعري شتمل على غرر القصائد. توفي في 12، جمادى الأولى 1304هـ. انظر نزهة الخواطر: 8/1328.

<sup>3</sup> انظر تقديم المفردات للفراهي: 17.

<sup>4</sup> هو فضل الله بن نعمة الله الأنصاري اللكنوي قرأ على مشاهير لکنؤ، وكان عديم المثل في العلوم العقلية وله مؤلفات في المنطق وعلم الكلام. انظر نزهة الخواطر: 8/1325.

<sup>5</sup> هو الشيخ فضل الله بن المفتي نعمة الله الأنصاري اللكنوي، ولد ونشأ بلكناؤ واجتهد والده في تعليمه كل الاجتهاد، ولما برز في الفنون الحكيمه ولي التدريس في المدرسة الملكية "كينج كولج" بلكناؤ، فدرس وأفاد بها مدة عمره، وتوفي عام 1312هـ. انظر نزهة الخواطر: 8/1327-1328.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

- والتحق بكلية "علي كره" الإسلامية، وحصل على "الليسانس" في الفلسفة الحديثة من جامعة "الله آباد".
- وفي أثناء دراسته في كلية علي كره، طلب إليه ترجمة تفسير سيد أحمد<sup>1</sup> إلى اللغة العربية، فرفضها قائلاً: "لن أشارك في نشر هذا الإثم".
- وقد درس سنتين كاملتين علم القوانين الجارية (الحقوق)، ولكنه كان يكره الاشتغال به، فنبذه ولم يكمل تحصيله.<sup>2</sup>
- وخلاصة القول في مشواره التكويني ورحلته العلمية أنه قد كان لأسرته الكبيرة أثر عليه، فهو ابن خال الشيخ شبلي النعماني علامة الشرق ومؤرخ الإسلام. فقد حفظ الفراهي القرآن الكريم، ودرس اللغة العربية وبرّز فيها، علاوة على دراسته الفارسية والأردية والإنجليزية. وقد تعمق في العربية وعلومها ونحوها وصرفها وعلوم بلاغتها، بل وأدائها ومنطقها وفلسفتها، وقد تنقل بين العواصم العلمية ينهل من ينابيعها الصافية في لکناؤ، ثم لاهور، وعلي كره، وإله آباد، وقد توسع في الاطلاع على الفلسفة الحديثة بواسطة الدكتور توماس آرنولد،<sup>3</sup> ودخل صف المعلمين ودرّس بکراتشي، وقرض الشعر، وألّف المؤلفات العظيمة، لاسيما في مجال الدراسات القرآنية التي

<sup>1</sup> مؤسس الكلية.

<sup>2</sup> مجلة "الضياء": 7/2، ص: 260.

<sup>3</sup> هو توماس وولكر آرنولد ولد عام 1864 م، وتوفي عام 1930 م، وهو مستشرق بريطاني شهير، بدأ حياته العلمية في جامعة كمبردج، وتعلم العربية وانتقل للعمل في جامعة علي كره في الهند، حيث أمضى هناك 10 سنوات ألّف خلالها كتابه المشهور "الدعوة إلى الإسلام"، ثم عمل أستاذاً للفلسفة في جامعة لاهور، وفي عام 1904 م عاد إلى لندن ليصبح أميناً مساعداً لمكتبة إدارة الحكومة الهندية التابعة لوزارة الخارجية البريطانية، وعمل في الوقت نفسه أستاذاً غير متفرغ في جامعة لندن وكان عضو هيئة تحرير دائرة المعارف الإسلامية التي صدرت في ليدن بهولندا في طبعتها الأولى، عمل أستاذاً زائراً في الجامعة المصرية عام 1930 م، ويذكر أنه كان معلماً للمفكر الإسلامي الهندي الشاعر محمد إقبال. انظر المستشرقون، لنجيب العتيقي: 2/ 84-85، دار المعارف، ط4، مصر.

جدّد فيها، وكان أستاذ العربية بكلية علي كره وقد درس عليه العربية زميله المستشرق الألماني يوسف هارويز،<sup>1</sup> بينما هو درس عليه العبرية، والتحق مدرّسًا بجامعة إله آباد، وقد ساهم في تأسيس الجامعة العثمانية التي باتت صرحًا للعلوم ومعلمة للثقافة على عهد السلطان عثمان علي خان آخر ملوك حيدر آباد.

#### المبحث الرابع: المناصب التي اضطلع بها:

وبعدما قضى وطره من طلب العلم، واستقى من حياضه.. تستم بعض الوظائف والمناصب وفق الآتي:

- عُيّن معلمًا للعلوم العربية بمدرسة "الإسلام" بكراتشي (عاصمة السند آنذاك)، عام 1314هـ، فدرس فيها سنين عددًا، وقيل: قرابة تسع سنوات، وكتب وألّف وقرض وأنشد.
- عيّن أستاذًا مساعدًا للعربية بكلية "علي كره"<sup>2</sup> عام 1324هـ، برفقة المستشرق اليهودي الألماني "جوزف هوروفيتس"،<sup>3</sup> وبقي بها سنتين.

<sup>1</sup> أو جوزيف هوروفيتس؛ ولد عام 1874م، وتوفي عام 1931م، وهو مستشرق ألماني، كان أستاذ العربية في جامعة علي كره في الفترة من 1907م - 1914م. وقد تخرج عليه فيها عدد كثير من الفقهاء والعلماء، وكان متخصصًا بالعلوم الإسلامية في الهند. ثم انتقل بعدها إلى جامعة فرانكفورت وقد درس فيها في الفترة ما بين: 1915م - 1931م. وهو معدود من أشهر أستاذتها؛ وله تحقیقات وتعليقات على كتب التراث ومؤلفات منها:

- 1- المغازي للواقدي.
  - 2- الجزء الأول من طبقات ابن سعد (وهي أطروحته في الدكتوراه).
  - 3- المغازي الأولى ومؤلفوها (وقد نقلها إلى العربية د. حسين نصار).
  - 4- أصل ألف ليلة وليلة.
  - 5- الصلات العربية اليهودية في الجاهلية.. إلخ. انظر المستشرقون للعتيقي: 2/ 432-433.
- <sup>2</sup> وفي أثناء إقامته في علي كره ألف الفراهي كتابه (إمعان في أقسام القرآن)، ونشر تفسير سورتي القيامة والذهب.
- <sup>3</sup> وهو ناشر الجزء الأولين من "طبقات ابن سعد"، وصاحب كتاب "المغازي الأولى ومؤلفوها".

- ثم عيّن أستاذًا للعربية بجامعة "الله آباد" وقضى هناك ست سنوات.<sup>1</sup>
- كان عضوًا للجنة العربية للعلوم الشرقية.
- كان عميدًا لدار العلوم ويدرس الصفوف العليا بها (دراسات عليا).
- كان من مؤسسي الجامعة العثمانية بحيدر آباد.<sup>2</sup> وإليه يرجع الفضل في جعل اللغة الأردية لتدريس العلوم العصرية في هذه الجامعة.
- تولى إدارة مدرسة إصلاح المسلمين التي أنشأتها جمعية إصلاح المسلمين في بلدة "سرائي مير"؛ حيث تعهد بها الفراهي بوضع مقرراتها الدراسية متميزة وقد ألقى على أساتذتها دروسًا في تفسير القرآن الكريم.
- بعد وفاة شبلي النعماني 1332 هـ، أنشأوا مؤسسة "دار المصنفين" في مدينة أعظم كره، واختاروا الفراهي رئيسًا لها والعلامة سليمان الندوي مديرًا لها. وقد نقل الأستاذ محمد أكرم الندوي عن الشيخ إكرام قوله: "إن مجمع دار المصنفين أهم مركز لنشر العلوم الإسلامية اليوم".
- وقد كان "الفراهي" أنموذجًا مشرقًا للعالم المسلم، الجامع بين التبحر في العلوم العربية والدينية، والاطلاع الواسع على العلوم العصرية والطبيعية، ويظهر أثر هذه الثقافة الموسوعية العميقة فيما كتب من مصنفات قاربت الخمسين عددًا، أهمها وأعظمها ما كتبه حول القرآن المجيد وتأويله ونظامه، وكذلك ما كتبه حول الحديث الشريف والأدب العربي والفلسفة الأخلاقية والمنطق، علاوة على الكثير من الشعر الراقي في كل من اللسانين العربي والفارسي، وفي ذلك يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: "ولا يتأتى ذلك إلا لمن

<sup>1</sup> وقضى هناك نحو ست سنوات، أصدر خلالها تفسير سورة التحريم. واختير عضوًا في اللجنة العربية للعلوم الشرقية. ولما اقترح سنة 1331 هـ تأسيس جامعة عالمية في المدينة المنورة، كان هو والعلامة شبلي النعماني من بين العلماء الذين اقترحت أسماؤهم للتدريس فيها.

<sup>2</sup> وفي أثناء إقامته بحيدر آباد ألف كتابه (الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح)، ومقدمات من تفسيره (نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان). وكانت له حلقة أسبوعية لتفسير القرآن الكريم يحضرها العلماء والباحثون وطلبة علم القرآن، ويعرضون عليه أسئلتهم فيجيب عنها.

جمع بين التدبر في القرآن والاشتغال به، والتذوق الصحيح لفن البلاغة والمعاني والبيان في اللغة العربية، وبين التشبع من دراسة بعض اللغات الأجنبية والصحف السماوية القديمة، وسلامة الفكر ورجاحة العقل والتعمق.. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء".

- ولما عاد إلى وطنه وقد اعتبر عمله الإداري واشتغاله بقراءة مؤلفات في غير القرآن الكريم وتدبره مضیعة لحياته فقال في ترجمته الذاتية: "ولما كانت هذه المشاغل تمنعني عن التجرد لمطالعة القرآن المجید، ولا يعجبني غيره من الكتب التي مللت النظر في أباطيلها، غير متون الحديث وما يعين على فهم القرآن، تركت الخدمة ورجعت إلى وطني، وأنا بين خمسين وستين من عمري، فيا أسفًا على عمر ضيَّعته في أشغال ضررها أكبر من نفعها! ونسأل الله الخاتمة على الإيمان".<sup>1</sup>

- وقد لزم بيته وأسس مدرسة "الإصلاح"<sup>2</sup> التي تستهدف تحسين طرق تعليم العربية، وكان غاية في التواضع مع طلابها ومدرسيها يجلس للجميع ويشاركهم أطعمتهم في المطعم وهلم جرا.

<sup>1</sup> انظر مجلة "الضياء": 7/2، ص: 260.

<sup>2</sup> وكان ذلك بعد عودته من حيدر آباد إذ تولى إمامنا الفراهي إدارة مدرسة إصلاح المسلمين التي أنشأها جمعية إصلاح المسلمين في بلدة (سرائ مير)، وقد قامت هذه الجمعية في منطقة (أعظم كره) لإصلاح عقائد المسلمين وإزالة البدع المنتشرة، وفض المنازعات والخصومات بين المسلمين، ثم أسست الجمعية مدرسة إصلاح المسلمين - التي سُميت فيما بعد بمدرسة الإصلاح اختصارًا - لتخريج علماء ودعاة يحملون رسالتها، فيستمر عمل الدعوة والإصلاح. وقد أسند الإشراف على المدرسة إلى الفراهي، وهو في حيدر آباد، فلما رجع إلى وطنه باشر إدارة المدرسة، ووضع فكرتها التعليمية، ورسم لها منهجًا دراسيًا فريدًا يختلف عن مناهج المدارس الدينية الأخرى في نظامها، ومقرراتها الدراسية، وطريقة التدريس فيها. وفي السنوات الخمس الأخيرة من عمره قد وقف جزءًا كبيرًا من وقته وجهده على خدمة هذه المدرسة، فكان يقيم ثلاثة أيام من كل أسبوع في المدرسة، ويلقي دروسًا لتفسير القرآن الكريم على أساتذتها وطلابها الكبار. انظر حياة حميد: 38.

- ولما توفي العلامة شبلي النعماني سنة 1332هـ، واجتمع تلامذته لتنفيذ فكرة أستاذهم لإنشاء مؤسسة "دار المصنفين"، اختاروا العلامة الفراهي، رئيساً لها والعلامة سليمان الندوي مديراً.
- ثم انقطع بعد ذلك إلى تدبر القرآن ودرسه، وجمع علومه، ففضى فيه أكثر عمره حتى توفي رحمة الله في 19-6-1349هـ، الموافق: 11-11-1930م، في مدينة "متهورا" حيث كان يتطبيب من مرض ألمّ به.

#### المبحث الخامس: تضلعه من علوم العربية:

لقد تعلم الفراهي على أبجديات اللغة العربية منذ نعومة اظفاره؛ وقد حفظ القرآن الكريم كاملاً وما زال لم يجاوز العاشرة من عمره.

ثم قد جثا الركبتين إلى ابن عمته علامة الهند شبلي النعماني؛ فأخذ عنه غزير العلم ومبادئ العربية بنحوها وصرفها وشعرها ونثرها، حتى إن النعماني قد سقى ابن خاله حبّ العربية وسكّنها في عاطفته الجياشة فعشقها ولم ينفصل عنها مطلقاً حتى لفظ آخر أنفاسه.

وكذلك استفاد في عربيته من الأديب العلامة فيض الحسن السهارنفوري فدرس على يديه شعر العرب الجاهلي وأدبهم وقد سبر أغوارها فدرس أسرار بلاغة اللغة العربية وسحر بيائها، وقد أدرك أنّ كل ذلك في كتاب الله فعكف عليه دراسة وتدبراً وإمعاناً للنظر حتى فتح الله له فتوح العارفين.

وقد غرم بالعربية حتى رفض أن يكتب تفسيره وتعليقه وانتقاداته بغير لغته الأصلية كل ذلك كتبه بالعربية التي سكنت وجدانه فضلاً عن عقله؛ وحين سئل عن السر من وراء ذلك كان يقول: "أردت لكتبي الخلود" فله ذلك أيها الفراهي العظيم!

كان الإمام عبد الحميد الفراهي من أعلام العربية في الهند؛ بدليل كتابه "جمهرة البلاغة"<sup>1</sup> الذي نقض فيه الأساس الذي يقوم عليه فن البلاغة عند أرسطاطاليس وهو نظرية المحاكاة التي تأثر بها فن البلاغة وانتقد عبد القاهر الجرجاني مع

<sup>1</sup> هو تحت الطبع بتحقيق زميلي الشيخين أحمد حسن فرحات ومحمد إقبال فرحات.

اعترافه بجلالته واقتراح تأسيس فن البلاغة على قواعد جديدة في ضوء القرآن الكريم وكلام العرب الأقحاح.

يقول الدكتور محمد أجمل أيوب عن الفراهي ومكانته في علوم العربية،<sup>1</sup> وأهمية كتابه "جمهرة البلاغة": "أما العربية، فكان فيها إمامًا لا يشق له غبار، وكان له في كل علم من علومها من لغة، ونحو، وبلاغة، وعروض، تحقيقات واجتهادات واستدراكات على الأئمة.

ونكتفي هنا بالإشارة إلى كتابه "جمهرة البلاغة"، الذي نقض فيه الأساس الذي يقوم عليه فن البلاغة عند أرسطاطاليس، وهو نظرية المحاكاة، ويرى الفراهي أن فن البلاغة العربية تأثر بهذه النظرية، فجار عن قصد السبيل، وانتقد في ذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني مع اعترافه بجلالته، ودعا إلى تأسيس فن البلاغة على أسس منبثقة من القرآن الكريم، وكلام العرب الأقحاح.

ولما أرسل الفراهي فصولًا من جمهرة البلاغة إلى العلامة شبلي النعماني أعجب به إعجابًا جعله يلخص مباحثه المهمة، وبخاصة نقده لنظرية المحاكاة في مجلة "الندوة" التي كان يصدرها باللغة الأردية، مع أن النعماني نفسه يعدّ من أشهر النقاد والكتّاب، ومن الأركان الخمسة للأدب الأردني.

وقد نشر الكتاب بعد وفاة المؤلف، ونفذ قبل أن يصل إلى البلاد العربية ليأخذ مكانه من البحث والنقاش، فهو كتاب فريد في تاريخ البلاغة العربية".

وله ديوان شعر بالعربية<sup>2</sup> طبعه عام 1387هـ، وقد ذكره تقي الدين الهلالي في مذكراته فقال: "وللشيخ ديوان شعر، سمعته منه، بليغ في استنهاض همم المسلمين وبث الحياة في قلوبهم، وذكر عداء الإفرنج لهم، وذكر حرب طرابلس والحرب الكبرى، والرجل فصيح في التكلم..".

<sup>1</sup> في تحقيقه لمفردات القرآن لعبد الحميد الفراهي.

<sup>2</sup> ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي، جمعه بدر الدين الإصلاحي، ط1، طبعه ونشره الدائرة الحميدية على نفقتها بمطبعها عام 1387هـ، 1967م، بمدرسة الإصلاح-سراي مير، أعظم كره، الهند.

وقد قال الفراهي كلامًا نفيًا عن العربية والعرب ومن درره قوله: "وكانت العرب على غاية قصوى في تأثرهم بالكلام، وهذا القوة قلوبهم، وشدة تأثير أقوالهم، فكان كلامهم يحمل روحًا منهم، وكان السامع يتأثر له من وجهين: من قوة المتكلم، ومن اعتيادهم التأثر، وقد قيل: القول إذا خرج من القلب وقع في القلب.. فكان قولهم وسمعهم من القوة والإصابة كضربة سيف مرهف، ولولا أن كلامهم جماع همهم، ما ارتاحوا قصائد طويلة دامغة، وكانوا أصدق الناس وأنطقهم".<sup>1</sup>

ويصف كلام العرب مؤثرًا له على كل كلام قائلًا: "اعلم أن كلام العرب كله نمط أعلى من كلام الأمم التي اعتادت عليه؛ لأن العرب مولعون برزانة القول وتهذيبه عن السخف، فهم يجردون كلامهم من كل رابطة، ولو ذكروا الروابط لكان عارًا على السامع، الذي يفهم الروابط بذكائه؛ فلذلك كثر في كلامهم الحذف. ألا ترى قولهم: "أنا ذاهب". كلمتان. وفي أكثر اللغات ثلاث كلمات.

فخف عليهم بهذا الإيجاز أعمال المنطق كأن كلامهم قد وضع حسب اقتضاء الفكر والفهم، فترى كلامهم مربوطًا برابطة عقلية. وعليك أن تميز بين الروابط من كل قسم، فإنهم لا يصرحون بها... ثم إن الحذف في كلامهم يجعل كلامهم شبيهًا بالوثبات التي تشبه المطر من بعض الوجوه، قال امرؤ القيس في صفة السحاب ومطره:

لها وثباتٌ كوئيب الظباء فوادي خطاء ووادٍ مُطَر<sup>2</sup>  
فالكلام الذي لا حذف فيه، لا محل فيه للعقل والنظر، وهو كدبيب النمل، والعرب لا تستجيده، ولا تتأثر به، لذلك هم، وسرعة فهمهم، وتنفرهم عن الفضول، وإن كان ضروريًا عند غيرهم...".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> القائد إلى عيوم العقائد: 183، الدائرة الحميدية، ط1، 1395هـ، 1975م.

<sup>2</sup> وقد ورد في ديوان امرئ القيس بصيغة أخرى هي:

لها وثبات كصوب السحاب فوادي خطاء ووادٍ مطر

<sup>3</sup> رسائل الفراهي، دلائل النظام: 77-80.



المبحث السادس: اطلاعه على الفلسفة الغربية بعمق:

عني الفراهي في دراسته في الكلية بالفلسفة الحديثة ونال فيها درجة الامتياز مع غاية اهتمامه بالإنجليزية والعلوم العصرية الأخرى.

وقد أخذ الفلسفة من مصادرها حيث أمكنه اللقاء بالمستشرق الإنجليزي الشهير "توماس أرنولد" وقد كان من أساتذة الكلية، وعمل فيها مدرساً لمدة عشر سنوات. وقد ألّف المستشرق كتاب "الدعوة إلى الإسلام": وقد نال إعجاب الناس وقبوله غير أنّ الإمام الفراهي كان يمجّه وينتقده انتقاداً شديداً؛ لأنه يرى أنّ الغرض من تأليفه هو تجريد المسلمين من روح الجهاد في سبيل الله.

قال الأستاذ عبد الماجد الدرايبادي: "إنّ الفراهي قد درس الفلسفة دراسة واسعة وعميقة جداً، وكان يقرأ أحدث ما يصدر في الغرب من كتب الفلسفة والمنطق، ولم يكن يكتفي بالاطلاع عليها، بل يقرأها قراءة بحث ونقد ومقارنة".<sup>1</sup>

ومن هنا كان الفراهي أعرفَ بِخَطَرِها وضَرَرِها وضَلَالِها. وقد نبّه على ذلك في كتبه،<sup>2</sup> ثم لما قرّر المنهج الدراسي لمدرسة الإصلاح، حذف منه كتب المنطق والفلسفة، ولم يترك إلا مبادئها ليعرف الطالب المصطلحات المستعملة في الفتيّن، فيتمكّن من الاستفادة من كتب علماء الإسلام في أصول الفقه والكلام. وكان من أعظم كتبه التي لم يكملها كتاب "حُجَجِ القرآن"، والأبواب الثلاثة الأولى منه في نقد الفلسفة والمنطق وعلم الكلام. والعلماء والباحثون الذين حضروا مجالسه ومحاضراته في نقد هذه العلوم وبيان زيفها، كانوا يشيّهونه بشيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك وفي تبحره في علوم القرآن.<sup>3</sup>

المبحث السابع: إجادته للإنجليزية:

لقد أجاد اللغة الإنجليزية وأتقن دراستها وألّف فيها وحاضر، وقد اطلّع بواسطتها على كتابات المستشرقين عن القرآن وتاريخ العرب، وعلى الأدب الإنجليزي شعراً

<sup>1</sup> انظر مقالته في صحيفة "الداعي"، عدد (3)، ديسمبر، 1976م، ومفردات الفراهي: 25.

<sup>2</sup> منها كتاب المفردات قال فيه: "ومضرة كتب الفلسفة أضلّ وأوغل": 5.

<sup>3</sup> انظر تحقيق جمهرة البلاغة: 18.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

ونثرًا وبلاغةً، وعلى كتب الفلسفة الحديثة وما تُرجم إليها من كتب الفلسفة والأدب اليونانية. ومن مؤلفاته بالإنجليزية رسالة في عقيدة الشفاعة والكفارة، ردّها على بعض علماء النصارى.<sup>1</sup>

كتب بعض المسؤولين في حكومة بهوبال إلى العلامة شبلي النعماني بالرد على المستشرقين وافتراءاتهم على القرآن الكريم وعدم وجود من يتصدى لهم بالإنجليزية أجاب الشيخ شبلي: "يندر في المسلمين من يجيد الكتابة في اللغة الإنجليزية- مع تبحره في القرآن- ولذلك فإنّ حميد الدين<sup>2</sup> هو الذي يستطيع أن يقوم بهذا العمل خير قيام".<sup>3</sup>

### المبحث الثامن: إجادته للغة العبرانية:

لقد درس الإمام الفراهي اللغة العبرانية، والذي دعاه إلى ذلك انتشار جمعيات التنصير في عهده في الهند، والرد عليهم من كتبهم يقتضي الاطلاع المباشر على كتب اليهود والنصارى، فاستفاد الفراهي بمعرفته للغة العبرانية، ووقوفه على الدراسات المتعلقة بصحف أهل الكتاب في اللغة الإنجليزية، في كشف كثير من تحريفاتهم بنصوص كتبهم، كما نرى في كتابه (الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح)، فقد جاء بثلاثة عشر دليلاً من التوراة نفسها للرد على زعمهم بأنّ الذبيح إسحاق عليه السلام، وناقش علماء أهل الكتاب، وفسّر ما أشكل عليهم من كتبهم. ومن مؤلفاته التي لم يكملها (الطريف في التحريف) الذي كان يريد أن يجمع فيه جملة من تحريفاتهم.

### المبحث التاسع: درايته بالعلوم الشرعية:

أما العلوم الشرعية، فتشهد بطول باعه فيها الفصول التي سوّدها من كتبه:

<sup>1</sup> ذكرها السيد سليمان الندوي في ترجمة الفراهي الملحقه بكتابه (إمعان في أقسام القرآن). انظر طبعة دار القلم من كتاب الإمعان: 19.

<sup>2</sup> أي عبد الحميد الفراهي.

<sup>3</sup> انظر مكاتيب شبلي: 1/ 25.

- 1- الرائع في أصول الشرائع.
  - 2- وإحكام الأصول بأحكام الرسول.
  - 3- وفقه القرآن.
  - 4- وكان ينوي تدوين فن أصول الفقه على نحو جديد بعد تخليصه مما اختلط به من مباحث الفنون الأخرى.
  - 5- وله تعليقات على كتب الحديث والفقه والأصول وغير ذلك.
- ولكن العلم الذي استحوز على عقله وقلبه، فأقبل عليه إقبالاً منقطع النظير هو علم القرآن.<sup>1</sup>

#### المبحث العاشر: تبحره في علوم القرآن:

أجل إن العلوم الشرعية تشهد بطول باعه فيها، لكن العلم الذي استحوز على عقله وقلبه، فأقبل عليه إقبالاً منقطع النظير هو علم القرآن. وكل ما درسه من علوم المنقول والمعقول وآداب الأمم وفلسفتها سخره لخدمة القرآن الكريم والمنافحة عنه. وقد شرع في تدبر القرآن الكريم أيام طلبه في كلية علي كره، كما ذكر في فاتحة نظام القرآن، وكان كتاب الله أحب الكتب إليه، والنظر فيه ألد من كل ما في الدنيا.<sup>2</sup>

وكان يعكف كل يوم بعد قيام الليل على تدبر القرآن الكريم، ويستمر على ذلك بعد صلاة الفجر إلى الساعة التاسعة صباحاً، وظل ذلك دأبه أكثر من ثلاثين سنة. ولما استقال من عمادة دار العلوم بحيدرآباد صار يقضي معظم وقته في تدبر القرآن، والتأليف فيه.

فحاز السبق في علم القرآن، وفتح الله عليه من علومه ما شاء، وبلغ في ذلك شأواً لم يبلغه إلا قليل من أهل العلم، فلقبه معاصروه بـ"ترجمان القرآن". وقد ألف في

<sup>1</sup> تحقيق جمهرة البلاغة: 19.

<sup>2</sup> فاتحة نظام القرآن: 2.

تفسير القرآن وعلومه بضعة عشر كتابًا، أجلها تفسيره (نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان) الذي صدر منه أحد عشر جزءًا في حياته، وجزءان بعد وفاته. وهذا ما نتولى بيانه تباعًا من خلال هذه الدراسة إن شاء الله.

#### المبحث الحادي عشر: صفاته ومناقبه:

- أما صفته الخلقية فقد كان أسمر اللون المائل إلى البياض، ونحيل الجسم، ومتوسط القامة، وكامل اللحية، قليل الكلام، كثير الفكر، محبًا للعزلة، ومهيئًا وقورًا، رشيدًا وزينًا.<sup>1</sup>
- وأما بخصوص صفاته الخلقية فقد كان معروفًا بفرط الذكاء، ونفاذ البصيرة، وسرعة الإدراك، ودقة الاستنباط؛ وكان ورعًا زاهدًا في الدنيا، قاصدًا في العيش، عازفًا عن السمعة والشهرة، حسن العباداة، مع جود وغنى نفس وتواضع، بل كان موضع إجماع لدى معاصريه؛ حتى قال فيه الشيخ شبلي النعماني: "من جلس إلى عبد الحميد<sup>2</sup> انصرف قلبه عن الدنيا".<sup>3</sup>
- ويقول السيد سليمان الندوي: "كان آية من آيات الله في حدة الذهن، وكثرة الفضل، وسعة العلم، ودماثة الخلق، وسداد الرأي، والزهد في الدنيا، والرغبة في مرضاة الله".<sup>4</sup>
- ويقول الأستاذ عبد الماجد الدرابادي: "لم تر عيني مثله في الصبر والشكر والفناعة والتوكل وغنى النفس". وقال في موضع آخر: "كانت شخصية الفراهي قوية جذابة، قلما رأينا مؤمنًا قانتًا مثله، قيل في وصف أولياء الله: إن الجلوس معهم يذكر الإنسان بالله سبحانه، وكان يصدق هذا الوصف على الفراهي صدقًا تامًا. أما الصلاة فكان قلبه معلق بأوقاتها. أقام في حيدر آباد سنوات عميدًا لدار العلوم، يتقاضى مرتبًا عاليًا، وكانت صلته بطبيعة الحال

<sup>1</sup> انظر ذكر فراهي لشرف الدين الإصلاحي: 67.

<sup>2</sup> أي عبد الحميد الفراهي.

<sup>3</sup> حيات حميد: 55.

<sup>4</sup> انظر ترجمة الفراهي في أول من كتاب إمعان في أقسام القرآن للفراهي: 15.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

بعلية القوم، لكن لم يتغير شيء مما كان عليه من القناعة والاقتصاد في المطعم والملبس والديانة والصدق والإخلاص. أما مجالسه فلا مجال فيها للغيبة ولغو القول والهزل. وبالجمله فلم يكن له نظير لا في العلم والفضل ولا في الديانة والتقوى".<sup>1</sup>

- وكان يصرف جزءاً من راتبه في شراء الكتب وتجليدها، والجزء الأكبر منه ينفقه على الفقراء واليتامى والأرامل.<sup>2</sup>
- وقد أقبلت الدنيا على الفراهي، فتهيأت له فرص لو اغتنمها وسعى إلى ما يسعى إليه أهل الدنيا لنال أجلّ الرُتب وأعلى المناصب، وحاز كل ما تطمع فيه النفوس من الأموال والألقاب وحسن الصّيت، ولكنه كان زاهداً في كل ذلك، مقبلاً على الله، قائلاً للدنيا ما قاله علي بن أبي طالب عليه السلام: "يادنيا غري غيري".<sup>3</sup>
- بل كان من تيقظه وحذره في ذلك أنه قال في أثناء تلك الفرص التي يتمنى الناس حصولها في حياتهم مقطوعة رباعية في الفارسية يخاطب نفسه مُحذراً لها، ترجمتها: "الجاهل مشغول بالبحث عن لذيق المأكّل، والعاقل مصروفٌ همُّهُ إلى نيل الصّيت والسمعة. أما أنت أيها الفراهي فاجتنب الاثنين، فيوشك أن ترى كليهما قد نشبت حلوقهما في الحُبالة".<sup>4</sup>
- وقد كان من ورعه وعدله إلى درجة أنه حكم في قضية جعله الخصم حكماً فيها على والده، مع كونه من أبرّ الناس به، وخرج بذلك جزء كبير من ضياعه إلى ملك الخصم.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> مقال الديابادي في صحيفته (صدق) عدد: 19/6/1945 م.

<sup>2</sup> حيات حميد: 350.

<sup>3</sup> الرقة والبكاء: 198.

<sup>4</sup> نوائ فهلوي: 40.

<sup>5</sup> انظر حيات حميد الإصلاح: 53، ومفردات الفراهي: 22.

المبحث الثاني عشر: مذهبه الفقهي:

لقد عرف الإمام الفراهي بمذهبه الحنفي في الأمور التعبدية، غير أنه كان مجتهدًا غير مقلد في آرائه الفقهية عامة؛ وذلك يتناغم مع توجهه العام، وينسجم مع الطريقة التي اختطها لنفسه؛ وهي طريقة مثلى حافلة بحرية الرأي دون التقيد بمذهب معين أو بكتاب معين أو بما كتبه السابقون الأولون إن كان الحق الذي يتبين له خلافه.

وقد صرح بذلك العلامة المغربي تقي الدين الهلالي في قوله: "... لا ينتهي لمذهب، لكنه يتعبد على مذهب الحنفية؛ لأنه نشأ عليه، ويعتقد أن الأمر في ذلك سهل".<sup>1</sup>

المبحث الثالث عشر: عقيدته:

كان تلميذه السيد سليمان الندوي يلقبه بـ"ابن تيمية العصر"، وقد قال بعد وفاته: "الصلاة على ترجمان القرآن"<sup>2</sup>

ثم إن للفراهي كتاب "القائد إلى عيون العقائد" أفرغ فيه تصوراته العقدية؛ وقد أوجز الشيخ بدر الدين الإصلاحي فكره الاعتقادي فقال: إن أستاذنا الإمام – الفراهي - قد نهينا:

1- على أن لا نميل في مسائل العقائد إلى مذهب خاص، كالمعتزلة والماتريدية والأشاعرة والظاهرية وغيرها من المذاهب الكلامية، بل نجعل القرآن وحده مرجعًا لها ومستدلًّا فيها.. ونساق معه شوقًا وحنانًا إلى حيث يسوقنا ويذهب بنا، ولا يكون لنا زادًا في هذا السفر إلا سنة نبينا وما كان عليه أصحابه رضي الله عنهم.

<sup>1</sup> انظر مفردات الفراهي: 41.

<sup>2</sup> دناء سمع من مصر والشام إلى حدود الصين للصلاة على الإمام ابن تيمية قبل ستة قرون، وأن له أن تتردد أصداؤه مرة أخرى من ربوع الهند إلى بلاد مصر والشام على الأقل بأن ابن تيمية هذا العصر قد لبى نداء ربه. انظر حميد الدين الفراهي: حياته ومنهجه، للعابدي: 275.

- 2- وأن نكتفي بما ثبت من صحيح النقل وصريح العقل وإن كان مجملًا، ولا نبسط اللسان فيها أبدًا، فإن بسط اللسان في العقائد يجر إلى القول على الله من غير علم، كما ترى في كتب القوم حتى إنهم يقولوا على الله بما لم يثبت في القرآن واستنتجوا من بعض النصوص ما يخالف بعضًا آخر؛ وذلك لم يكن إلا لأنهم خاضوا لتأييد مذهبهم فيما لم يكن لهم إليه سبيل.
- 3- أن نؤمن بالله مع صفاته الحسنة، ولا نعتقد فيه صفة تكون معاصرة لصفاته الحسنى؛ فإنها تجلب له المحبة والرجاء والحمد والشكر، وبذلك يتعبد له العبد محبة، وشوقًا، وأدبًا، وتسليمًا وتوكلًا، وخشوعًا.
- 4- أن لا نعتصم في العقيدة والعمل إلا بمحكمات القرآن، ولا نتبع ما تشابه منه ابتغاء تأويله؛ لأنه خلاف دأب الراسخين في العلم؛ لأن تأويل المتشابهات لا يعلمه إلا الله؛ ولأن الله تعالى لم يكلفنا تأويله، بل رضي عنا بالإيمان الإجمالي؛ فأمرنا أن نؤمن بما بينه وفطر قلوبنا وعقولنا على قبوله، فعلينا أن نثبت في مسائل العقائد - أي الألوهية والرسالة والمعاد - على المعلوم، ولا نهالك على المظنون، فنعتقد بما يدل عليه صحيح النقل ظاهرًا، وما يصح من صريح العقل واضحًا.<sup>1</sup>

#### المبحث الرابع عشر: هل كان الفراهي من القرآنيين؟

لا بد من التأكيد ههنا على أن الإمام الفراهي بريء كل البراءة ممن يسمون أنفسهم بالقرآنيين زورًا وبهتانًا، والأصل أن نسميهم منكري السنة، وهم لا يأبهون بسنة النبي ﷺ فيما يتعلق بتأويل آي القرآن، وخاصة حين لا توافق أمزجتهم، فتفسير الإمام الفراهي، يرحمه الله، ريان السنة، يدور مع فلكها حيث دارت، ولا يتعارض بأي حال من الأحوال مع ثوابتها وقواعدها الكلية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> القائد إلى عيون العقائد، صفحات المقدمة التي كتبها الشيخ بد الدين الإصلاحي: (د-ه).

<sup>2</sup> ويكفي أن نعلم أن من المعدودين من كبار الداعين لمثل هذا الانحراف في العصر الحديث السيد أحمد خان أو السير أحمد خان، وهو مؤسس جامعة علي كره، وكان له تفسير بالأردية يقوم على هذا المنهج، وطلب إلى الإمام الفراهي أثناء دراسته في تلك الجامعة أن يقوم بترجمة ذلك التفسير إلى اللغة العربية فرفض قائلًا: "لن أشارك في نشر هذا الإثم" انظر مفردات الفراهي: 18، والفراهي وجهوده في التفسير: 177 - 178.

المبحث الخامس عشر: تلامذته:

يمكن ذكر بعض التلاميذ الذين حضروا مجلسه واستفادوا منه أو درسوا على يديه في القائمة الآتية:

- 1- العلامة أبو الكلام آزاد<sup>1</sup> (ت 1377هـ).
- 2- الشيخ سليمان الندوي<sup>2</sup> (ت 1373هـ).
- 3- الشيخ مناظر أحسن الكيلاني<sup>3</sup> (ت 1375هـ).
- 4- الأستاذ عبد الله العمادي<sup>4</sup> (ت 1366هـ).
- 5- الأستاذ عبد الماجد الدرابادي<sup>5</sup> (ت 1397هـ).

<sup>1</sup> يسمى بأبي الكلام؛ لكونه خطيبًا بارعًا، أما كلمة (آزاد) في اللغة الأردية تعني الحر، ينحدر من أسرة أفغانية، ولد في مكة المكرمة عام 1888م، وتوفي في دلهي بتاريخ: 22، فبراير، 1958م، تربى تربية صوفية، وأتقن الإنجليزية والفارسية، وقد تأثر بمحمد رشيد رضا، تعرض للسجن والابتلاء، وانضم لحزب المؤتمر، حتى صار رئيسًا لحزب المؤتمر، وقد كان معارضًا لتقسيم الهند. وكانت له جريدة الهلال التي ظهرت فيها رؤيته العلمية والإصلاحية. قال الشيخ سليمان الندوي: "إن ما درس أبو الكلام آزاد على الفراهي من تفسير القرآن تجلت نتائجه في صفحات الهلال". فله درهما!

<sup>2</sup> كان العلامة سليمان الندوي مؤرخًا كبيرًا، ومؤلفًا شهيروًا في شبه القارة الهندية، درس في دار العلوم ندوة العلماء، على كبار علمائها وعلى رأسهم شبلي نعماني، هاجر إلى الباكستان عام 1369هـ وشارك في وضع دستورها، وله مؤلفات كثيرة منها "سيرة النبي ﷺ" لشيخه شبلي نعماني وكان من أساتذة المفكر الكبير والداعية النحرير أبي الحسن الندوي. انظر نزهة الخواطر: 8/ 1235.

<sup>3</sup> كان من علماء الهند المرموقين درس في دار العلوم بديوبند ودرس بها، وكان أستاذًا في قسم الدراسات الإسلامية بالجامعة العثمانية، وترك خلفه مؤلفات من أشهرها "تدوين الحديث" الذي طبع باللغة العربية تحت مراجعة الأستاذ الدكتور بشار عواد معروف.

<sup>4</sup> وهو من مشاهير علماء الهند قاطبة كان متضلعا من اللغة العربية والحديث النبوي الشريف، أخذ عن والده الفقه وأصوله، ثم على جده العلوم النقلية والعقلية، تولى تحرير مجلة "البيان" العربية، وأنشأ جريدة "الوكيل" وكان مترجمًا في دار الترجمة بحيدرآباد، وقد كان متأثرًا بشخصية الإمام الفراهي تأثرًا منقطع النظير حتى اقتفى أثره فأصبح متفهمًا في العلوم والأدب. انظر نزهة الخواطر: 8/ 1297 - 1298.

<sup>5</sup> هو أديب معروف سواء في الأردية أو الإنجليزية، عكف على تفسير القرآن الكريم: ما جعل الإمام الفراهي يؤثر عليه ويترك فيه بصماته.



6- الشيخ أختار أحسن الإصلاحي<sup>1</sup> (ت 1378هـ)

7- الشيخ أمين أحسن الإصلاحي<sup>2</sup> (ت 1418هـ)

8- أبو الأعلى المودودي (ت 1399هـ) ... إلخ.

المبحث السادس عشر: منهجه في التأليف:

لقد خبر الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات مؤلفات الفراهي إذ كان مدمناً عليها يحفظ عباراته فقال واصفاً منهجه في التأليف: "إنه يختلف عن منهج عامة المؤلفين الذين إذا عزموا على تأليف كتاب جمعوا مادته ثم رتبوها في صورة كتاب. أما الفراهي فإن الموضوعات التي رأى ضرورة الكتابة فيها وحلّ مشكلاتها كانت ماثلة بين عينيه، يديم النظر والبحث فيها، فإذا حقّق مسألة، أو حلّ معضلة، أو توصّل إلى رأي مقنع قيّد ذلك، وكتب عليه: "من كتاب ...". حتى إذا اكتملت جوانب البحث أقبل على تأليفها وتنسيقها. ولذلك كان يؤلف كتباً عديدة في وقت واحد، ومن ثم بقي أكثر مؤلفاته ناقصاً، وآخر منها لم يتخط حدود ذهنه، ولا جرى به قلمه، مع أنه يحيل عليه في مؤلفاته؛ لأن كل بحث له مكان معين عنده".<sup>3</sup>

ومن مزايا منهج الفراهي في مؤلفاته أنه لا يكرّر في مؤلفاته ما قاله الآخرون دون الوقوف عندها وقفات في غاية الحسن والنفعة.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> لقد درس في مدرسة الإصلاح ونُسب إليها، وقد لازم الإمام الفراهي ملازمة طويلة، وقد وقف حياة في خدمة مدرسة الإصلاح، وقد حفظ بعض مسودات الشيخ الفراهي، وأعدّها للنشر.

<sup>2</sup> من كبار علماء الهند دري في مدرسة الإصلاح ونُسب إليها، وكان من جملة من لازم الفراهي ملازمة خاصة وتعلم منه علوم القرآن والتفسير له مؤلفات منها "تدبر القرآن" بالأردية في أربعة أجزاء ضخام واستغرق فيه تسعة وعشرين عاماً سار فيه على منهج شيخه الإمام الفراهي، وقد ترجم كتب شيخه الفراهي إلى الأردية بلغة سهلة سلسلة جعل المادة في متناول الجميع توفي في لاهور عام 1418هـ.

<sup>3</sup> جمهرة البلاغة للفراهي بتحقيق أ. د. أحمد حسن فرحات ود. محمد إقبال فرحات: 21.

<sup>4</sup> انظر ترجمة الفراهي في مفردات القرآن: 31.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وأما أسلوب الفراهي في مؤلفاته فأقول: إنه يتسم بالجرأة والثقة بالنفس في مناقشة المسائل، وهذه صفة لا بد منها للعالم الذي يعتقد صواب قوله، لا بد له من الجرأة ونبد التردد، ولا سيما في المسائل العلمية التي يتسع فيها مجال الأخذ والرد، ولا يستطيع طرف أن يدعي أنه قال القول الفصل فيها.<sup>1</sup>

ولقد اختار رحمه الله أن يكتب باللغة العربية الفصحى حيث اعترض عليه بعض العلماء المعاصرين لماذا يكتب بالعربية بينما عارفوها في الهند قلة؟! فأجابهم رحمه الله فقال: "إني أفسر القرآن الكريم للعلماء؛ لأنهم بعدوا عن جادة الطريق فكرياً وعلمياً، فبدون إصلاحهم لا يمكن إصلاح عام المسلمين، فبتفسير القرآن الكريم أريد إصلاحهم فكرياً وعلمياً لتزول الانحرافات التي وجدت في المجتمع الإسلامي، ولا أريد هذه أن أجعل رسالتي مقتصرة في بلد دون بلد آخر في العالم الإسلامي، بل أحب أن تعم هذه الرسالة جميع البلاد الإسلامية، وأن لغة علماء المسلمين المشتركة هي اللغة العربية، لغة كتاب الله؛ ولذلك اخترتها لنشر أفكار ورسالي".<sup>2</sup>

### المبحث السابع عشر: مؤلفات الفراهي:

كانت للفراهي تركة علمية جلييلة يصدق عليها ما قاله أبو الحسن البهقي في جامع العلوم: "ومن نظر في تصانيفه علم أنه لاحق سبق السابقين"،<sup>3</sup> والعجب العجيب أن تكون مكتبته المورقة التي صنفها على جدارة واستحقاق صدرت في الهند ونفدت نسخها هناك، ولم يعرفها الجلة من العلماء بله العوام وطلاب العلم في بدايات طريق التعلم والله المستعان! وحتى صاحب موسوعة الأعلام للزركلي لم يخصصه بترجمة، اللهم إلا ما كان من العلامة المغربي تقي الدين الهلالي<sup>4</sup> حين أملى ورقات في ترجمة الفراهي بمذكراته بمدينة بنارس بالهند يوم 6-4-1400هـ.

<sup>1</sup> انظر الإمام الفراهي وجهوده في التفسير: 52.

<sup>2</sup> انظر زعماء الإصلاح لأحمد أمين: 36-37 (بتصرف يسير).

<sup>3</sup> انظر معجم الأدباء: 4/1737.

<sup>4</sup> وكذلك رسائل العلامة شبلي النعماني، والشيخ عبد الحي الحسني في نزهة الخواطر، وما كتبه الشيخ سليمان الندوي في ثلاث مقالات في سيرة المؤلف، وما كتبه الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي في تحقيق مفردات القرآن للفراهي، حيث ترجم للفراهي ترجمة جيدة قد أفدت منها كثيراً.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

قال السيد سليمان الندوي: "خلف من آثار خاطره ذخيرة لا تفتنى، وعلوّمًا لا تبلى، وأكثرها بالعربية". ثم انقطع فضيلته إلى تدبر القرآن ودرسه، والنظر فيه من كل جهة، وجمع علومه من كل مكان، فقضى فيه أكثر عمره، ومات وهو مكبّ على أخذ ما فات من العلماء، ولفّ ما نشره، ولمّ ما شتتوه، وتحقيق ما لم يحققوه، فكان لسانه ينبع علمًا بالقرآن، وصدره يتدفق بحثًا عن مشكلاته، وقلمه يجري كشفًا عن معضلاته.

من مصنفاته:

- 1- نظام القرآن وتفسير الفرقان بالفرقان.<sup>1</sup>
- 2- في ملكوت الله.<sup>2</sup>
- 3- مفردات القرآن.<sup>3</sup>
- 4- إمعان في أقسام القرآن.<sup>4</sup>
- 5- التكميل في أصول التأويل.<sup>5</sup>
- 6- حجج القرآن.<sup>6</sup>
- 7- دلائل النظام.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> طبعته الدائرة الحميدية، ط1، 2008م، أعظم كره، يو-بي، الهند.

<sup>2</sup> نشرته الدائرة الحميدية سنة 1395هـ.

<sup>3</sup> مفردات القرآن في 475 صفحة، بتحقيق د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2002م.

<sup>4</sup> إمعان في أقسام القرآن في 147 صفحة، دار القلم بدمشق، ط1، 1415هـ، 1994م. وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات في مصر وفي الهند وفي الكويت، وكانت آخر طبعة له في دار القلم بدمشق عام 1415هـ كما أسلفنا؛ وهي أجود الطباعات لهذا الكتاب. وقد قام بضبطه وتحقيقه الدكتور عبيد الله الفراهي. وقدّم له بتعريف بديع العلامة أبو الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله، وترجم له ترجمة حافلة السيد سليمان الندوي رحمه الله.

<sup>5</sup> التكميل في أصول التأويل في 69 صفحة، الدائرة الحميدية بالهند، ط1، 1388هـ.

<sup>6</sup> ذكر في "تفسير سورة الفاتحة" أنه طبع للمرة الأولى سنة 2003م.

<sup>7</sup> دلائل النظام في 127 صفحة، الدائرة الحميدية بالهند، ط1، 1388هـ.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

- 8- إحكام الأصول بأحكام الرسول ﷺ.<sup>1</sup>
- 9- الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ.<sup>2</sup>
- 10- الرائع في أصول الشرائع.<sup>3</sup>
- 11- أسباب النزول.<sup>4</sup>
- 12- كتاب الحكمة.
- 13- ديوان حميد.<sup>5</sup>
- 14- القائد إلى عيون العقائد.<sup>6</sup>
- 15- أسباق النحو.<sup>7</sup>
- 16- أسباق الصرف.
- 17- فقه البلاغة.
- 18- جمهرة البلاغة.<sup>8</sup>

- 
- <sup>1</sup> طبعته الدائرة الحميدية، إعداد د. عبيد الله الفراهي، والشيخ محمد أمانة الله الإصلاحي، الطبعة الأولى، 1432هـ، 2011م، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن المجموعة الثانية، سرائر مير، أعظم كره، يو-بي، الهند.
- <sup>2</sup> طبعته الدائرة الحميدية، إعداد د. عبيد الله الفراهي، والشيخ محمد أمانة الله الإصلاحي، الطبعة الأولى، 1432هـ، 2011م، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن المجموعة الثانية، سرائر مير، أعظم كره، يو-بي، الهند.
- <sup>3</sup> طبعته الدائرة الحميدية، إعداد د. عبيد الله الفراهي، والشيخ محمد أمانة الله الإصلاحي، الطبعة الأولى، 1432هـ، 2011م، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن المجموعة الثانية، سرائر مير، أعظم كره، يو-بي، الهند.
- <sup>4</sup> طبعته الدائرة الحميدية، إعداد د. عبيد الله الفراهي، والشيخ محمد أمانة الله الإصلاحي، الطبعة الأولى، 1432هـ، 2011م، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن المجموعة الثانية، سرائر مير، أعظم كره، يو-بي، الهند.
- <sup>5</sup> نشره الشيخ بدر الدين الإصلاحي من الدائرة الحميدية عام 1378هـ.
- <sup>6</sup> جمع فيه من العقائد ما دلّ عليه القرآن بالتصريح ويضمن إليه القول الصحيح، الدائرة الحميدية سنة 1391هـ.
- <sup>7</sup> صدرت طبعته الأولى في حياة المؤلف وله طبعات أخرى.
- <sup>8</sup> طبع هذا الكتاب في الدائرة الحميدية سنة 1360هـ. ثم هو تحت الطبع بتحقيق أ. د. أحمد حسن فرحات وابنه د. محمد إقبال فرحات.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

- 19- تحفة الإعراب.<sup>1</sup>
  - 20- أمثال آصف الحكيم.<sup>2</sup>
  - 21- الدر النضيد في النحو الجديد.
  - 22- أساليب القرآن.<sup>3</sup>
  - 23- الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح.<sup>4</sup>
  - 24- رسالة في عقيدة الشفاعة والكفارة.<sup>5</sup> إلخ.
- وقد انتقل إلى الدار الآخرة وخلف تراثاً مخطوطاً ليس بالقليل ومنها:
- 1- الثرمان والأديان.
  - 2- الإشراق في الحكمة الأولى من حقائق الأمور ومكارم الأخلاق.
  - 3- أصل الفنون.
  - 4- الإكليل في شرح الإنجيل.
  - 5- أوصاف القرآن.
  - 6- تاريخ القرآن.
  - 7- تزكية الروح.
  - 8- تعليقات في التفسير.
  - 9- حجج القرآن.
  - 10- حكمة القرآن.

<sup>1</sup> وهي قصيدة رائية في النحو بالأردية من 128 بيتاً مقررّة في بعض المدارس الدينية.

<sup>2</sup> وهي مجموعة حكايات آصف نقلها الفراهي من الإنجليزية إلى العربية في زمن الطلب، وظهر الكتاب بعد وفاته.

<sup>3</sup> وهو كتاب يبحث في وجوه الأساليب في القرآن ومفاهيمها ومواقع استعمالها، ودلالة تراكييها التي تعين على فهم المعنى المراد، وقد طبع في الهند عام 1389هـ في الدائرة الحميدية، وأعدت نشره سنة 1411هـ، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن.

<sup>4</sup> صدر الكتاب في حياة المؤلف عام 1338هـ، وطبع في مطبعة معارف بأعظم كره، وفي الدائرة الحميدية سنة 1414هـ، ثم طبعة في دار القلم بدمشق سنة 1420هـ.

<sup>5</sup> بالإنجليزية ردّ فيها على النصارى.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

- 11- دلائل إلى النحو الجديد والمعاني والعروض والبلاغة.
  - 12- الدمدة والشمقمة.
  - 13- رسالة في معرفة إصلاح الناس.
  - 14- الطارق والبارق.
  - 15- العقل وما فوق العقل.
  - 16- فقه القرآن.
  - 17- فلسفة البلاغة.
  - 18- القسطاس (في علم التجويد).
  - 19- قيد الأوابد.
  - 20- لوامع الأفكار.
  - 21- مسائل النحو.
  - 22- المنطق الجديد.
  - 23- النظام في الديانة الإسلامية.
  - 24- النظر الفكري حسب الطريق الفطري.
  - 25- سليقة العروض.. إلخ.
- مؤلفاته المطبوعة بغير العربية:
- 1- ترجمة فارسي پاره از طبقات ابن سعد: وهو ترجمة جزء من "الطبقات الكبرى" لابن سعد بالفارسية.<sup>1</sup>
  - 2- ترجمة فارسي رسالة بدء الإسلام:<sup>2</sup> ترجم الفراهي في هذه الرسالة كتيباً للعلامة شبلي النعماني الذي تحدث فيه عن بدء الإسلام.
  - 3- خردمانه:<sup>3</sup> ترجم فيه الفراهي حكمة سليمان عليه السلام، ترجمة منظومة بالفارسية القحة لا تشوبها كلمة عربية.

<sup>1</sup> طبع في مطبعة "مفيد عام"، بمدينة آكره في الهند، عام 1819م.

<sup>2</sup> طبع في مطبعة "مفيد عام" بمدينة آكره في الهند، عام 1819م.

<sup>3</sup> طبع بحيدر آباد الدكن في الهند، عام 1916م.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

- 4- نواي بهلوي:<sup>1</sup> وهو الديوان الفارسي للفراهي.  
5- أسباق النحو: كتبه باللغة الأردية.  
6- تحفة الإعراب: وهو عبارة عن قصيدة رائية في النحو كتبها الفراهي باللغة الأردية؛ وتشمل 128 بيتاً.  
7- رسالة في عقيدة الشفاعة والكفارة: ألّفها باللغة الإنجليزية للرد فيها على بعض علماء النصارى.  
من مخطوطاته:

- 1- أوصاف القرآن.
- 2- تزكية الروح في ضوء القرآن الكريم.
- 3- أجزاء من تفسير نظام القرآن في تأويل الفرقان بالفرقان، كتفسير البقرة وآل عمران.
- 4- النظام في الديانة الإسلامية.
- 5- فقه القرآن.
- 6- الدر النضيد في النحو الجديد.
- 7- دلائل إلى النحو الجديد والمعاني والعروض والبلاغة.
- 8- مسائل النحو.
- 9- فلسفة البلاغة.
- 10- الأثرمان والأديان.
- 11- الإشراق في الحكمة الأولى من حقائق المور ومكارم الأخلاق.
- 12- أصل الفنون.
- 13- الإكليل في شرح الإنجيل.
- 14- الدمدمة والشمقمة.
- 15- رسالة في إصلاح الناس.

<sup>1</sup> طبع في مطبعة "شمسي" في مدينة حيدر آباد عام 1903م، ثم طبعه الشيخ بدر الدين الإصلاحي في عام 1967م.

- 16- الطارق والبارق.
  - 17- قيد الأوابد.
  - 18- لوامع الأفكار.
  - 19- المنطق الجديد.
  - 20- النظام في الديانة الإسلامية.
  - 21- النظري الفكري حسب الطريق الفطري.
  - 22- العقل وما فوق العقل.. إلخ.
- المبحث الثامن عشر: مصادره العلمية:
- باستقراء تراثه العلمي وتركته ومكتبته المورقة يمكن استخلاص مجموعة من المصادر التي اعتمدها في فكره ودراساته وآرائه منها:
- 1- كتاب الله الذي انصبت عليه دراساته، وكان مصدر إشعاعه، وبفلكه دار جلُّ تأليفاته؛ حتى لقَّبه تلميذه السيد سليمان الندوي بـ"ترجمان القرآن" في العصر الحديث.
  - 2- سنة المصطفى محمد ﷺ، وقد كان للأحاديث والسنن حضور في كثير من كتاباته، وإن لم يكن رحمه الله من مدرسة الحديث، وأن بضاعته في الحديث لم تكن بشيء بل كانت مزجاة. قال رحمه الله: "ولعمري أحب التفسير عندي ما جاء من النبي ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم... وإني مع اليقين بأن الصحاح لا تخالف القرآن، لا آتي بها إلا كالتابع، بعدما فسرت الآيات بأمثالها، لكيلا يفتح باب المعارضة للمارقين الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، والملحدين الذين يلزموننا ما ليس له من القرآن أصل، ولكي يكون هذا الكتاب حجة بين فرق المسلمين وقبلة سواء بيننا".<sup>1</sup>
  - 3- اللغة العربية الرصينة بنحوها وأدبها، ولا سيما الشعر الجاهلي، حيث كان معجباً بامرئ القيس، ودواوين الشعر الجاهلي، والخطب الجاهلية، وبمعاجم العربية، ولسان العرب والصحاح؛ تمامًا كما برهن على ذلك في تفسيره

<sup>1</sup> انظر فاتحة نظام القرآن: 23-24.



ومفردات القرآن خاصة وجمهرة البلاغة وغيرها. قال الفراهي في علاقة النحو بالتفسير: "أما النحو فيحتاج إلى زيادات، بل ليس من شأنه إلا تأسيس أصول كلام وسيط بين السقط والرفيع، فلا ينبغي للمفسر أن يبالغ في تطبيق كلام الله بأصول النحو، فيرممه، ويؤوله، فيظن ظاناً أنه جائر عن قصد السبيل، بل عليه أن يأتي بشهادة من أشعار العرب، ليعلم الجاحد أنه لهو الأسلوب الأعلى".<sup>1</sup> وكان له كلام نفيس عن جرثومة المعنى فقال الفراهي: "وأما كتب اللغة فمقصرة، فإنها كثيراً ما لا تأتي بحد تام، ولا تميز بين العربي القح والمولد، ولا تهديك إلى جرثومة المعنى فلا يدري ما الأصل، وما الفرع؟ وما الحقيقة وما المجاز؟ فمن لم يمارس كلام العرب واقتصر على كتب اللغة ربما لم يهتد لفهم بعض المعاني من كتاب الله. ومن كلام العرب القديم الذي وصل إلينا ما هو منحول، وما هو شاذ، ولكن لا يصعب التمييز بين المنحول والصحيح على الماهر الناقد، فينبغي لنا أن لا نأخذ معنى القرآن إلا مما ثبت".<sup>2</sup>

4- الفلسفة وكتبها المختلفة سواء الفلسفة اليونانية كأرسطو وأفلاطون، وفلاسفة الإسلام كابن سينا وابن رشد، والفلاسفة المحدثين في عهده ولقي بعضهم وأخذ منهم.

5- الكتب المقدسة؛ وقد اطلع عليها بلغاتها العبرانية ما جعله ملماً بأحكامها وتعاليمها؛ بحيث "إنه قرأ بدقة وعمق بالغين العهد القديم والجديد بالعبرانية، وترجمهما بالعربية والأردية والإنجليزية.. وهو لم يفعل ذلك مستشهداً بتلك الكتب للدلالة على صحة نظريته في تفسير القرآن، وإنما ليفند أفكار اليهود والنصارى الباطلة التي نسبوها إلى الله تعالى".<sup>3</sup>

6- اعتمد تفسير الطبري. يقول الفراهي: "إن تفسير ابن جرير- الطبري- رحمه الله هو الجامع لكل ما جاء عن طريق النقل من غير نقد في الرواية، ولكنه بعد نقل الوجوه المنقولة بين ما هو الصواب عنده، وإذا أمكنه جعل المفهوم

<sup>1</sup> فاتحة نظام القرآن: 33.

<sup>2</sup> المصدر نفسه: 32.

<sup>3</sup> حميد الدين حياته ومنهجه: 116.

- جامعاً للوجوه، ويبحث عن اللغة والإعراب وكثيراً ما يستند بكلام العرب ومن أجلّ محاسن هذا التفسير كونه جامعاً لروايات السلف ع التعرض باللغة والنحو وترجيح الأولى بالصواب عنده. ولهذه الوجوه أقبلت العلماء عليه. وأما النظر في الروايات من جهة القرآن والمعقول والتاريخ، فليس من شأنه حتى إنه جمع من المناكير الكبر من غير تنبيه على نكارتها، وإنما ترك ذلك لأهل النظر فإنه لو أراد له لعله لم يتيسر له إتمام هذا الجامع الكبير".<sup>1</sup>
- 7- تفسير الرازي الموسوم بـ"مفاتيح الغيب". يقول الفراهي: "وأما تفسير الرازي فهو جامع لأقوال المتكلمين فهو كابن جرير في جمع الأقوال وربما يرجع الصواب وينتصر لمذهب الأشاعرة، وأجلّ محاسنه كونه جامعاً، فيجد فيه الناظر المتأمل محلاً للاختيار وإعمال النظر، ومع ذلك لا ينظر بالإمعان والتأمل، ولو فعل لعله لم يتيسر له هذا الإكثار في القول".<sup>2</sup>
- 8- تفسير الكشاف للزمخشري. يقول الفراهي: "وأما الزمخشري فينظر في نفس عبارة القرآن ولا يبعد عنها، ويبحث عن اللغة والإعراب وربط الكلام، وينتصر لمذهب المعتزلة من غير تطويل الكلام، ويورد قليلاً من الروايات، وجلّ محاسنه أنه وجيز وقليل السقطات في اللغة والإعراب".<sup>3</sup>
- 9- الإتيان في علوم القرآن للسيوطي.<sup>4</sup>
- المبحث التاسع عشر: أنموذجات من شعره:

للإمام الفراهي ديوان شعر؛ وله أشعار كثيرة، وقد عدّ بحق ضمن شعراء القرنين التاسع عشر والعشرين؛ وهذه أنموذجات من شعره؛ منها قصيدته (حبلان) يقارن فيها بين حبل الحياة وحبل الموت وما بعده من حساب؛ يقول فيها رحمه الله:

<sup>1</sup> رسائل الإمام الفراهي: 216.

<sup>2</sup> المصدر نفسه: 216.

<sup>3</sup> المصدر نفسه: 216.

<sup>4</sup> ذكر الدكتور العابدي أن الإمام الفراهي قد أكثر الاستفادة من كتاب الإتيان للسيوطي. انظر حميد الدين الفراهي: حياته ومنهجه: 112.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

أما للناس أحلام؟	أهم في السكر نوا؟
وهم وزاد حوض المو	ت أصرام فأصرام
فأبساء وأبنساء	وأخوال وأعمام
واخوان وخلان	وأخدان وأحلام
فخانتهم قرابات	وأنساب وأرحام
وريبب الدهري برهم	وتوهي العظم أسقام
فحبيل الموت ممدود	وحبيل العيش أرمم
وهم باللهو واللدا	ت مشغولون ما داموا
يجمع الوفر منهومو	ن والاثام هيئام
لهم بالبغي تهمام	وبالفحشاء إبرام
وهم لا بد محشورو	ن يوماً وهو أيام
عن النعماء مسؤولو	ن والسائل علام
سؤالا فيه إيلام	واللزام
وتفجيع وتقريع	وتخضيع وإرغام

وله قصيد أخرى بعنوان: "كيف القرار؟" تنضح بغيرته الإسلامية مشاركا إخوانه الجرح والهم في ليبيا على بعد الديار: يقول فيها رحمه الله:

كيف القرار وقد نكس	أعلامنا بطرا بلس؟
كيف القرار وحولنا الـ	أعداء ترتقب الخلس؟
من كل ذئب إن رأى	من غرة فينا اختلس
أو أفعوان مطرق	إن لم نباده نهس
نبكي على إخواننا	بين القتل ومن خبس

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

نبكي من نقبي طاهر	فهم ونحري رندنس
نبكي لربيات الخدو	رشرقن بالماء السلس
جرت الحنوف على الألو	ف من الزخوف ومن جلس
هم أهلنا وعشيرنا	أفياألمون ولا نحس؟
يا أمة الإسلام يا	يا أبناء آباء شمس
هل تنعسون وخصمكم	عن كيده ما إن نعس
إلا تهبوا اليوم فالـ	إسلام تعس بل تعس
فلا زلزلت أركانه	حتى تقععت الأسس
فالخصم يجهد أن يرى الـ	إسلام في يؤس يئس
هلا ذكرتم ما أصاب	ب المسلمين بأنسدلس؟
سلبوكم شطر البلا	دوما لها من ملتمس
أفكل يوم ينكص الـ	إسلام حتى يندرس؟
هل يذهب الحق النقيـ	ي ويغلب الكذب الرجس؟
هل ترتضون بذل ديـ	نكم وليس بملتبس؟
والله لا نرضى بهـ	ما دام فينا من نفـس

وللفراهي قصيدة أخرى بعنوان (الملحمة الكبرى) يتحدث فيها عن الحرب العالمية وتلحظ فيها غزارة المعاني والألفاظ القرآنية بكثافة؛ يقول رحمه الله:

لقد حلّ بالروم شرّ شمر	فثار الحروب بهم تستعر
فهم حصب كالهشيم اليبـ	س يصلونها زمرا فزمر
رحى الحرب تطحنهم والدمـ	ء تدبر الرحي مثل جري النهر
فكم ألف ألف وكم مثلها	قتيل وكم مثلها قد أسر

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

فكم ألف ألف وكم مثلها	على مورد ما له من صدر
وكم بلد عامر قد خوى	وكم هدّ من أطم مشمخر
جنتها أروبا ولكنها	إلى منتهى الشرق ترمي الشرر
فهل سمعت أذن مثل ذ	لك أو خطّ في أوليات الزبر
فما هي من سنن جاريا	ت ولكنها هي إحدى الكبر
فإن الإله يجازي العبا	د خيرا بخير وشررا بشر
ولكنه يمهل الظالمين	من يبلوهم برهة من عمر
ببؤسى ونعمى لكى يرعوا	والحزم والنجدة والشجاعة
ما عكف القلب على القرآن	مرتقيا لحضرة العرفان
هَذَا وَإِنَّ دُرَّ الْبِيَانِ	وَعَرَزَ الْبَدِيعِ وَالْمَعَانِي
تهدي إلى موارد شريفة	وَبُنْدَةٍ بَدِيعَةٍ لَطِيفَةٍ
من علم أسرار اللسان العربي	وَذَرَكْ مَا خُصَّ بِهِ مِنْ عَجَبٍ

المبحث العشرون: وفاته:

شاء الله تعالى بإرادته وقدرته أن يشيب صاحبنا عبد الحميد الفراهي على ما شبّ عليه، ويختم له على ما عاش عليه، ويموت على ما حي عليه، فقد توفي وهو يتلو القرآن الكريم في 19 جمادى الآخرة، عام 1349هـ، الموافق: 11، نوفمبر، 1930م، على إثر عملية جراحية في مدينة (متهرا) وقد دفن بها.

صدق القائل في حقه: "عاش حميداً، ومات شهيداً".

قال أحدهم يرثيه:

قضى نحبه شيخ ولي مفسر	حميد السجايا ذو الكمال أديب
وذاك حميد الناس حجة قومه	خبير بأسرار العلوم أريب

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

لقد قلت محزوناً لعام وفاته تخلص إلى المولى المجيب نجيب

وقد رثاه الشعراء منهم عبد الرحمن الكاشغري في وصفه:

ويعطّر الأيام من أنفاسه عرّف الهدى والعلم والعرفان  
قد كان كعبة سؤدد وبفضله للمكرّمات مشيد الأركان  
ويد السماح وهامة الهمم العلى ولسان صدق فيصلا كيّمان  
ومحجة الحسن وحجة أهلها ويمين دين الحق والإيمان

المبحث الواحد والعشرون: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

❖ قال الإمام عبد الحميد الفراهي عن نفسه رحمه الله: "الجاهل مشغول بالبحث عن لذيق المأكّل، والعاقل مصروف همه إلى نيل الصيت والسمعة، أما أنت أيها الفراهي فاجتنب الاثنين، فيوشك أن ترى كليهما قد نشبت حلوقهما في الحباله".

❖ قال العلامة شبلي النعماني: "من جلس إلى عبد الحميد؛ انصرف قلبه عن الدنيا".<sup>1</sup>  
❖ يقول الشيخ عبد الرحمن المعلي: "فإني وقفت على بعض مؤلفات العلامة المحقق المعلم عبد الحميد الفراهي - تغمده الله برحمته - "كإمعان في أقسام القرآن"، و"الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح"، و"تفسير سورة الشمس": وانتفعت بها، وعرفت عبقرية مؤلفها".<sup>2</sup>

❖ وقد تأسف الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات رعاه الله "أن يظل هذا العلم مجهولاً في الأوساط العلمية والثقافية في العالمين العربي والإسلامي على الرغم من كثرة كتبه ومؤلفاته، التي تدلّ على عبقرية فذة، وعقلية مبدعة، والتي لا بد أن يكون لها أثر بارز في حاضر العلوم العربية والإسلامية

<sup>1</sup> انظر ترجمته في مفردات القرآن: 21.

<sup>2</sup> رسالة في التعقيب على تفسير سورة الفيل للمعلم عبد الحميد الفراهي، عبد الرحمن المعلي: 3، ط. عالم الفوائد، سلسلة آثار الشيخ عبد الرحمن المعلي رقم (8)، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدّة.

ومستقبلها".<sup>1</sup> وبعد أن ساق كلامه في العرب وأساليهم قال: "هذه بعض أقوال الفراهي في العرب والعربية، وهي إن دلت على شيء فإنما تدلّ على عظمة الإسلام الذي جعل رجلاً مثل الفراهي يعيش في أقصى الهند بعيداً عن العرب والعروبة، ويتقن لغتهم، ويتعمق في دراستها، ويخوض لأجل ذلك مفاوز الشعر الجاهلي، ويستنبط منه أخلاق العرب وأحوالهم، ويتحدث عن خصالهم ومحاسنهم حديث المحب العاشق.. لقد فعل الفراهي كل ذلك بسبب عقيدته الإسلامية، ومن أجل فهم القرآن الكريم الذي نزل بلغة العرب، وقد أدرك الفراهي أنه لا يمكنه تذوق القرآن، واستكشاف كنوزه إلا من خلال العربية، فانطلق يتعلمها بحماس منقطع النظير، وتعمق قلّ أن يوجد مثله في أهل العربية، بل لقد سجّل الفراهي على علماء العربية بعض الأخطاء والهفوات، وتكلم على بعض خصائص العربية التي لم يذكرها أحدٌ غيره، وكانت له ملاحظات واستدراكات في النحو والبلاغة وغيرهما. كما كانت له نظرات صائبة فيما ينبغي أن تكون عليه علوم اللغة والشريعة.. هكذا فعل القرآن بالفراهي، وهكذا يفعل بكل مسلم غيور، فأين موقف الفراهي هذا من مواقف كثير من العرب المعاصرين الذين ينتسبون إلى العروبة اسمًا، ولكن يولون وجوههم للعربية والقرآن، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً".<sup>2</sup>

❖ كان - رحمه الله - كما يقول عنه أحد أبناء مدرسته: "غاية، بل آية في حدة الذكاء، ووفور العقل، ونفاذ البصيرة، وشدة الورع، وحسن العبادة، وغنى النفس.. ولئن تأخر به زمانه فقد تقدم به علمه وفضله".

❖ وصفه الشيخ عبد الحّي الحسني صاحب "نزهة الخواطر" فقال: "جودة فهم، ووفور ذكاء، وشهامة نفس، وانجماع لا سيما عن بني الدنيا، وعدم اشتغال بما لا يعنيه".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية (الكويت)، كلمة العدد: 9.

<sup>2</sup> المصدر نفسه: 16.

<sup>3</sup> نزهة الخواطر: 8/1267.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

❖ قال السيد سليمان الندوي في حقه يصفه: "كان رحمه الله آية من آيات الله في حدة الذهن، وكثرة الفضل، وسعة العلم، ودماثة الخلق، وسداد الرأي، والزهد في الدنيا والرغبة في مرضاة الله". وقال في رثائه أيضًا: "ذلك الإمام الجليل الذي كانت شخصيته الجامعة بين علوم الشرق والغرب نادرة العصر، شخص واحد فيه عالم من العلم والمعرفة، ماهر في العلوم الدينية، ناقد للعلوم العقلية، وحيد عصره في علوم العربية، نسيج وحده في علوم القرآن، عارف بحكته ودقائقه، كُنِيف مليء علمًا، لكن لم ينقل من علمه مع الأسف إلى الدفاتر والأوراق إلا القليل.."<sup>1</sup>

❖ وقد سئل عن هذه الشخصية العلامة المغربي تقي الدين الهلالي فقال: "هو بحر زاخر لا ساحل له". وقال أيضًا فيه: "والرجل فصيح في التكلم لغاية، نادر في علماء العرب فضلًا عن علماء الهند.. سمعت منه خطبة تفسيره للقرآن اغرورقت منها عينايا لفصاحتها وحقيتها، وهو عارف بمسألة الخلافة محقق لها، لا يلتبس عليه شيء من أمرها خلافًا لأهل الهند، مجتهد في العقائد والعمليات، لا ينتهي لمذهب، لكنه يتعبد على مذهب الحنفية؛ لأنه نشأ عليه ويعتقد أن الأمر في مثل ذلك سهل. ماهر في الإنجليزية والعربية والفارسية والأردية. وبالجمله فهو أعلم من لقينته قبل هذا الحين وهو 27، رمضان، 1342هـ".

❖ قال الأستاذ عبد الماجد الدرابادي: "لم تر عيني مثله في الصبر والشكر والقناعة والتوكل وغنى النفس."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> انظر مقال الشيخ سليمان الندوي إثر وفاة الإمام الفراهي في مجلة معارف الأردية المجلد 26، العدد السادس، صفحة: 322.

<sup>2</sup> واسترسل في الحديث عنه فقال: "كانت شخصية الفراهي قوية جذابة، قلما رأينا مؤمنًا قانتًا مثله، قيل في وصف أولياء الله إن الجلوس معهم يذكر الإنسان بالله سبحانه، وكان يصدق هذا الوصف على الفراهي صدقًا تامًا. أما الصلاة فكأن قلبه معلق بأوقاتها. أقام في حيد آباد سنوات عميدًا لدار العلوم، يتقاضى مرتبًا عاليًا، وكانت صلته بطبيعة الحال بعلمية القوم، لكن لم يتغير شيء مما كان عليه من القناعة والاقتصاد في المطعم والملبس والديانة والصدق والإخلاص. أما مجالسه فلا مجال فيها للغيبة ولغو القول والهزل. وبالجمله فلم يكن له نظير لا في العلم والفضل ولا في الديانة والتقوى" انظر مقال الدرابادي في صحيفته (صدق) عدد: 19-06-1945م.



❖ تأثر به مولانا أبو الكلام آزاد، فقال: "كان الشيخ الراحل حميد الدين الفراهي من أولئك العلماء الحقيقيين الذين لا يمتازون بالعلم فحسب، بل تتحلّى شخصيتهم بالأعمال الصالحة أيضًا، ولا يخفى على أهل العلم قلة وجود هذا الشيء الأخير، وكلما لقيته تأثرت بنقاء عمله أكثر من غزارة علمه، ولا شك في أنه كان رجلًا نقيًا، وإنسانًا صادقًا في معناه الكامل، وكنا نغبط بصفاء قلبه وطهارة نفسه".<sup>1</sup>

❖ قال أمين أحسن الإصلاح: "كلما زرت عالمًا كبيرًا، ويريد به الشيخ عبد الرحمن المباركفوري صاحب "تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي" بعد وفاة العلامة الفراهي يقول لي: "تعال نؤمن ساعة، وهو يريد بذلك أن نتحدث عن الفراهي ونتبادل أطراف الحديث عن شخصيته وأخلاقه لكي يكون لنا زيادة في الإيمان".

❖ وقد اطلع السيد رشيد رضا على أعمال الفراهي في بعض أجزاء تفسيره فقال: "وقد ألقينا على بعض هذه الرسائل لمحة من النظر، فإذا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير، يشترك مع طريقنا في القصد إلى المعاني من حيث هي هداية إلهية، دون المباحث الفنية العربية.. وإن للمؤلف لفهمًا ثاقبًا في القرآن، وإنّ له فيه مذاهب في البيان.. وإنه لكثير الرجوع باللغة إلى مواردها والصدور عنها ريان من شواهدا".<sup>2</sup>

❖ قال العلامة أبو الحسن الندوي: "إنه جمع بين التدبر في القرآن والاشتغال به، والتذوق الصحيح لفن البلاغة والمعاني والبيان في اللغة العربية، وبين التشبع من دراسة بعض اللغات الأجنبية والصحف السماوية القديمة، وسلامة الفكر، ورجاحة العقل والتعمق.. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> انظر مجلة الإصلاح المجلد الأول، العدد الثامن، ص: 56-61.

<sup>2</sup> محقق مفردات الفراهي: 40.

<sup>3</sup> انظر مقدمة إمعان في أقسام القرآن: 13.

## الفصل الثاني: جهود علماء الهند في خدمة القرآن الكريم وعلومه

تمهيد:

إن علماء الهند قد برزوا في علوم شتى، وعلى رأسها، تلکم العلوم المتصلة بكتاب الله تعالى؛ نظرًا لأنهم أكثر تعلقًا بالله، وحبًا لكتابه، فقد عكف كثير من علماء الهند على خدمة القرآن الكريم، والتأليف في علومه، وقد رصدنا وفرة من كتب التفسير، نؤكد في هذا الفصل على أبرزها، وأشهرها بمختلف اللغات التي يتكلم بها المسلمون في شبه القارة الهندية؛ وهذا ما نحاول تناوله في المباحث الآتية:<sup>1</sup>

### المبحث الأول: مصنفات في التفسير:

#### تفاسير باللغة العربية:

- 1- تبصير الرحمن وتيسير المنان في تفسير القرآن،<sup>2</sup> للشيخ علاء الدين علي ابن أحمد الشافعي المہائمي (ت 853هـ).
- 2- تفسير القرآن على نهج الكشف، للشيخ محمد بن يوسف الحسيني الدهلوي.
- 3- التفسير الملتقط،<sup>3</sup> للسيد محمد حسن كيسو دراز (ت 828هـ).
- 4- منبع عيون المعاني ومطلع شمس المثاني، للشيخ مبارك بن الخضر الناجوري (ت 1001هـ).<sup>4</sup>
- 5- تفسير القرآن على نهج الجلالين للشيخ نعمة الله بن عطاء الله الفيروز بوري (وضعه عام 1070هـ).

<sup>1</sup> انظر ما كتبه بعنوان "إسهام علماء الهند في خدمة القرآن وعلومه" ضمن كتابنا: "الرحلة إلى الهند". وفيه بحث بعنوان: "جهود العلماء الهنود في خدمة تفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه: دراسة وتقويم للأعمال باللغة العربية والأردية" أ. د. محمد ثناء الله الندوي، والدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية لمحيي الدين الألوائي.

<sup>2</sup> طبع بمصر بأمر من جمال الدين الوزير في أربعة مجلدات ضخمة.

<sup>3</sup> النسخة الخطية في المكتبة الناصرية بلكناؤ، والمكتب الهندي لندن رقم (109، 110، 11).

<sup>4</sup> (من خمسة أجزاء) النسخة الخطية في مكتبة السيد تقي بلكاؤ.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

- 6- مجمع البحرين،<sup>1</sup> للشيخ طاهر بن يوسف السندي البرهانپوري.
  - 7- زبدة التفاسير، للشيخ معين الدين بن خاوند محمود الكشميري (ت 1085هـ).
  - 8- تفسير أنوار الأسرار في حقائق القرآن،<sup>2</sup> للشيخ عيسى بن قاسم بن يوسف السندي (ت 1031هـ).
  - 9- التفسير النظامي، للشيخ نظام الدين بن عبد الشكور التهانيسري (ت 1036هـ).
  - 10- تفسير القرآن برواية أهل البيت، للشيخ محمد بن جعفر الحسني الكجراتي.
  - 11- التفسير المظهري،<sup>3</sup> للقاضي ثناء الله الباني بتي (ت 1225هـ).
  - 12- تفسير محكم التنزيل، للسيد محمد حكم بن محمد بن علم الله الحسني الحسيني البريلوي.
  - 13- فتح البيان في مقاصد القرآن،<sup>4</sup> للسيد صديق حسن خان القنوجي.
  - 14- قران القرآن بالبيان، للشيخ كليم الله الجهان آبادي (ت 1141هـ).
  - 15- ثواقب التنزيل في إنارة التأويل، لملا علي أصغر بن عبد الصمد القنوجي (ت 1140هـ).
  - 16- التفسير الصغير، للأمير عبد الله محمد بن علي أصغر القنوجي (ت 1178هـ).
- تفاسير باللغة الفارسية:

كما ألف علماء الهند في القرآن وعلومه باللغة الفارسية وهذه قائمة لبعضها:

- 1- البحر المواجه للقاضي شهاب الدين الدولة آبادي.
- 2- فتح الرحمن في تفسير القرآن للشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي.
- 3- تفسير القرآن للشيخ محمد سعيد المدراسي.
- 4- تفسير لوامع التنزيل وسواطع التأويل<sup>5</sup> للسيد أبي القاسم بن الجين الكشميري.

<sup>1</sup> هو على منهج الصوفية.

<sup>2</sup> يشتمل على حقائق القرآن ومعارفه الدقيقة.

<sup>3</sup> (في سبعة أجزاء) اعتنى بالفقه والصرف والقراءة والإعراب.

<sup>4</sup> طبع في القاهرة في عشرة مجلدات.

<sup>5</sup> (12 مجلدًا).

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

- 5- تفسير جهانكيري للشيخ نعمة الله بن عطاء الله الفيروز بوري. (وضعه في عام 1072 هـ بناء على طلب السلطان جهانكير بن أكبر شاه الدهلوي).
- 6- التفسير المرتضوي للشيخ زين الدين الشيرازي.
- 7- التفسير المصطفوي للشيخ غلام مصطفى بن محمد أكبر التهانيسيري الدهلوي (وضعه عام 112 هـ).
- 8- التفسير الحسني، للسيد محمد حكم بن محمد علم الله الحسيني.
- 9- تفسير نظم الجواهر،<sup>1</sup> للمفتي ولي الله بن أحمد علي الحسيني الفرخ آبادي. تفاسير باللغة الأردية:

- 1- تفسير موضح القرآن، للشيخ المحدث عبد القادر بن ولي الله الدهلوي.
- 2- أحسن التفاسير،<sup>2</sup> للشيخ أحمد بن حسن الدهلوي.
- 3- بيان القرآن،<sup>3</sup> للعلامة أشرف علي بن عبد الحق التهانوي.
- 4- جامع التفاسير، مولانا قطب الدين بن محيي الدي الدهلوي.
- 5- فتح المنان في تفسير القرآن،<sup>4</sup> للشيخ عبد الحق بن محمد مير الدهلوي.
- 6- تفسير مواهب الرحمن، للسيد أمير علي بن معظم علي الحسيني المليح آبادي (30 جزءاً).
- 7- تفسير ثنائي، للشيخ ثناء الله الأمر تسري.
- 8- الإكسير الأعظم، للشيخ احتشام الدين المراد آبادي.
- 9- تفسير القرآن، للشيخ ظهور علي بن محمد حيدر اللكنوي (ت 1257 هـ بحيدر آباد).
- 10- خلاصة التفاسير،<sup>5</sup> للشيخ فتح محمد اللكنوي.

<sup>1</sup> (ثلاثة مجلدات).

<sup>2</sup> (سبعة مجلدات).

<sup>3</sup> (12 مجلدًا).

<sup>4</sup> (8 مجلدات).

<sup>5</sup> (في أربعة مجلدات).

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

- 11- غاية البرهان في تأويل القرآن،<sup>1</sup> للشيخ محمد حسن الأمر وهوي.
- 12- تفسير القرآن (نظمًا) للقاضي عبد السلام بن عبد الحق البدايوني (وقد فرغ من تصنيفه عام 1244هـ في مئتي ألف بيت)
- المبحث الثاني: مصنفات في آيات الأحكام:

### باللغة العربية:

- 1- نيل المرام في تفسير آيات الأحكام، للسيد صديق حسن خان القنوجي.
- 2- تقريب الأفهام لتفسير آيات الأحكام، للمفتي محمد علي الشيعي الكتوري.
- 3- التفسيرات الأحمدية،<sup>2</sup> للشيخ أحمد بن أبي سعيد الصالحي الأمتيوري.
- 4- تفسير آيات الأحكام للسيد أنور علي.

### باللغة الأردية:

من أشهر تفاسير آيات الأحكام بالأردية:

تفسير آيات الأحكام، للشيخ عبد العلي النجرامى.

المبحث الثالث: مصنفات التفسير على بعض أجزاء القرآن:

### باللغة العربية:

- 1- أنوار الفرقان،<sup>3</sup> للشيخ نقشبند بن عطا الله اللكنوي.
- 2- تفسير الزهراوين، للشيخ المحدث ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي.
- 3- تفسير سورة الفاتحة، للشيخ عبد الحكيم السيالكوتي.
- 4- تفسير لبعض آيات الموارث، للشيخ محمد معين بن محمد مبین الأنصاري الكهنوي.

<sup>1</sup> (في مجلدين كبيرين).

<sup>2</sup> (وقسّر فيه خمسمئة آية وأثبت بها المسائل الفقهية على المذاهب الأربعة).

<sup>3</sup> (وهو تفسير لربع القرآن).

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

- 5- الكلام القدسي في تفسير آية الكرسي، للشيخ عبد الحميد بن عبد الحليم ابن عبد الرب اللكنوي.
  - 6- تفسير آيات التطهير على مذهب الشيعة، للشيخ ناصر حسين الشيعي الجونبوري.
  - 7- تفسير الجن والجان على ما في القرآن للسيد أحمد خان الدهلوي.
  - 8- تفسير سورة يوسف، للسيد محمد بن أبي سعيد الحسيني الكالبوري.
  - 9- تفسير الزهار في تفسير سورة الفاتحة للشيخ محمد حسن بن خليل الله البيجاوري.
  - 10- تفسير ألم نشرح، للشيخ نقي علي بن رضا علي البريلوي.
- باللغة الفارسية:

- 1- أسرار الفاتحة،<sup>1</sup> للسيد محمد البشاوري.
  - 2- كاشف الأسرار في تفسير سورة يوسف، للشيخ قطب الدين بن غلام يحيى البنارسي.
- باللغة الأردية:

- 1- تفسير الفاتحة للشيخ إكرام الدين الدهلوي.
- 2- تفسير آخر سورة الفاتحة باسم (مظهر العجائب) للشيخ لطف الله اللكنوي.
- 3- تفسير سورة يوسف، للشيخ أشرف علي.
- 4- تفسير سورة العصر للسيد محمد شاه بن حسن شاه الرامبوري.
- 5- الكلام الأوضح في تفسير ألم نشرح، لمولانا تقي علي بن رضا علي البريوي.
- 6- تفسير الجزء الأخير من القرآن، للشيخ إبراهيم بن عبد العلي الأوري.
- 7- تفسير سورة يوسف (نظمًا) لكل من الشيخ غلام مرتضى الإله آبادي، والشيخ محمد أشرف الدهلوي.

<sup>1</sup> (وقد وضعه بأمر من السلطان عالمكير).

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

المبحث الرابع: شروح وحواشي على بعض أمهات كتب التفسير:

باللغة العربية:

- 1- حاشية الكشاف، للسيد محمد بن يوسف الحسيني الدهلوي.
- 2- حاشية البيضاوي، للشيخ وجيه الدين العلوي الكجراتي.
- 3- حاشية البيضاوي، للشيخ عيسى بن عثمان السندي البرهانپوري.
- 4- حاشية البيضاوي، للشيخ شمس الدين البيجاپوري.
- 5- حاشية البيضاوي، للشيخ صبغة الله بن روح الله الحسيني.
- 6- حاشية البيضاوي، للشيخ عبد الحكيم ابن شمس الدين السيالكوتي.
- 7- حاشية البيضاوي، للشيخ المفتي عبد السلام اللاهوري.
- 8- حاشية البيضاوي، للشيخ يعقوب أبي يوسف اللاهوري.
- 9- حاشية البيضاوي، للشيخ الحافظ أمان الله بن نور الله البنارسي.
- 10- حاشية البيضاوي، للشيخ جمال الدين بن ركن الدين الكجراتي (ت 1124هـ).
- 11- الكماليين شرح الجلالين، للشيخ سلام الله ابن شيخ الإسلام الدهلوي.
- 12- حاشية على تفسير المدارك، للشيخ جمال الدين بن ركن الدين الكجراتي.
- 13- الهلالين على الجزء الأخير من الجلالين، للشيخ تراب علي اللكنائي.

المبحث الخامس: تراجم القرآن لعلماء الهند:

باللغة الفارسية:

فتح الرحمن، للشيخ ولي الله بن عبد الرحيم المحدث الدهلوي (وتعدّ من أحسن تراجم معاني القرآن باللغة الفارسية).

باللغة الأردية:

- 1- موضح القرآن، للشيخ عبد القادر بن ولي الله الدهلوي.
- 2- ترجمة القرآن، للشيخ رفيع الدين بن ولي الله الدهلوي.
- 3- ترجمة القرآن للشيخ أشرف علي بن عبد الحق التهانوي.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

4- ترجمة القرآن، للشيخ عبد الحق بن محمد مير الدهلوي.

5- ترجمة القرآن، للسيد أحمد خان الدهلوي (وهي إلى سورة النحل).

باللغة الإنجليزية:

1- ترجمة القرآن، للدكتور عبد الحكيم البتيالوي.

2- ترجمة القرآن، للشيخ محمد علي اللاهوري.

3- ترجمة القرآن، للشيخ يوسف علي.

4- ترجمة معاني القرآن المجيد، لمحمد مرما دوق بكتال (وقد تمت هذه الترجمة

بأمر من نظام حيدر آباد، وراجعتها لجنة من علماء الهند).

المبحث السادس: مؤلفات في علوم القرآن:

باللغة العربية:

1- فتح الخير في غريب القرآن، للشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي.

2- إعجاز القرآن، للشيخ أبي الحسن البدايوني.

3- غريب القرآن، للشيخ عبد الحي بن هبة الله الصديقي البرهانوي.

4- التيسير في مهمات التفسير، للشيخ نصير الدين بن جلال الدين البرهانوي.

5- أبواب التنزيل في حلّ مشكلات القرآن، للشيخ رياسة علي خان الشاهجهان بوري.

6- حدائق البيان في معارف القرآن، للشيخ عبد الغفور المحمود آبادي.

7- جنة النعيم في فضائل القرآن الكريم، للشيخ محمد هاشم التنوري السندي.

8- الدرر الفريد في القراءة والتجويد، للشيخ عبد الحق بن سيف الدين

البخاري الدهلوي.

9- حلية القارئ للسيد أحمد الحسيني.

10- رموز القرآن، للشيخ حسن علي الهاتفي الشاهجهان بوري.

باللغة الفارسية:

1- الفوز الكبير في أصول التفسير، للشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي.



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

- 2- المقدمة السنوية في أصول الترجمة وقواعدها، للشيخ ولي الله المذكور.
  - 3- الإكسير في أصول التفسير، للسيد صديق حسن خان القنوجي.
  - 4- إفادة الشيوخ بمقدار النسخ والمنسوخ، للسيد صديق حسن خان.
  - 5- جلاء الأذهان في علوم القرآن، للشيخ معين الدين الكاظمي الكروي.
  - 6- شرح الشاطبية (في القراءة والتجويد)<sup>1</sup> للشيخ محمد بن من الله بن نعم الله الصديقي الكاكوري (ت 1002هـ).
  - 7- نهاية البيان في قراءة القرآن، للسيد محمد الدهلوي.
  - 8- شرح الجزرية، للشيخ كرامة علي الجونبوري.
  - 9- زينة القارئ للشيخ كرامة علي.
  - 10- تحفة الطلاب في تجويد القرآن، للشيخ سليمان بن إسماعيل بن محمود الدهلوي.
  - 11- سراج القراءة، للحافظ بن محمد اللكهنوي.
  - 12- المختصر المفيد في ذكر التجويد، للحافظ محمد إبراهيم.
  - 13- تحقيق المحققين في رفع الشبهة عن المشتبهين، للقارئ يوسف بن علي بن مظهر علي الدهلوي.
- باللغة الإنجليزية:
- البيان في علوم القرآن، للشيخ عبد الحق بن محمد مير الدهلوي.

### الفصل الثالث: أصول التفسير وجهود علماء الأمة في خدمته

تمهيد:

إن من ركائز البحث العلمي الالتفات إلى تصنيف العلوم التي أبدع فيها علماء المسلمين والتاريخ لها، ولا سيما في مجال أصول التفسير الذي نحن بصددده خلال هذه الرحلة الماتعة، ونخصص هذا الفصل للتعريف بأصول التفسير أولاً وصلته

<sup>1</sup> في 70 جزءاً.

بالعلوم الأخرى، كما نعرج فيه على جهود الأمة وعلمائها في خدمة القرآن الكريم<sup>1</sup> من حيث العلوم المتصلة به عامة وأصول التفسير خاصة؛ حتى نجعل صاحبنا الإمام الفراهي يتبوأ مكانه اللائق به بين صفوف فحول العلماء في خدمة القرآن وعلومه؛ وهذا ما نتناوله خلال المباحث الآتية:

#### المبحث الأول: تعريف علوم القرآن:

إن لعلوم القرآن تعريفين لا ينفك عنهما:

أحدهما: التعريف الإضافي؛ ويشمل كل العلوم الدينية والعربية؛ لاتصالها بالقرآن الكريم.

وثانيهما: باعتباره فنًا مدوّناً؛ ويشمل كل المباحث المتعلقة بالقرآن من ناحية نزوله وجمعه، وقراءاته، وناسخه ومنسوخه، وأسباب نزوله، ومكيه ومدنيه ونحو ذلك.

وموضوعه: القرآن الكريم من جميع النواحي المذكورة في التعريفين السابقين.

وفضله: كما نصّ عليه ابن الجوزي فقال: "لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفى الفهم: لأن شرف العلم بشرف المعلوم".<sup>2</sup>

وثمرته: يمكن اختزالها في العناصر الآتية:

- 1- تيسير تفسير القرآن الكريم، فهي مفتاح باب التفسير، ولا يصح لأحد أن يفسر القرآن الكريم قبل أن يتعلم علوم القرآن.<sup>3</sup>
- 2- معرفة الجهود العظيمة التي بذلها السلف لدراسة القرآن الكريم، وعنايتهم الكبرى به وعلومه التي كان لها الأثر في حفظه من التغيير والتبديل.

<sup>1</sup> انظر على سبيل المثال لا الحصر كتاب علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، د. محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي، ط1، 1425هـ، 2004م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، بحث: جهود الأمة في أصول تفسير القرآن الكريم، د. مساعد بن سليمان الطيار، وبحث: جهود العلماء في بيان أصول التفسير، د. إبراهيم بن صالح الحميضي.

<sup>2</sup> زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: 3/1.

<sup>3</sup> مناهل العرفان: 20/1-21، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1409هـ.

3- التسلح بمجموعة من المعارف القيمة التي تمكن من الدفاع عن هذا الكتاب العزيز ضد من يتعرض له من أعداء الإسلام، ويث الشكوك والشبهات في عقائده وأحكامه وتعاليمه.

4- الثقافة العالية العامة في القرآن الكريم.<sup>1</sup>

المبحث الثاني: تعريف التفسير:

ولما كانت معرفة أصول التفسير متوقفة على معرفة المراد بالتفسير جمل بنا أن نسلك مسالكه وفق الآتي:

التفسير في اللغة: هو تفعيل من مادة (فسر)؛ وكل معانيها تدور حول الكشف والبيان والإيضاح، والإظهار للمعاني المعقولة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [سورة الفرقان: 33]. أي: أحسن بياناً، وتفصيلاً، وظهوراً في معناه.<sup>2</sup>

والتفسير: نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه.<sup>3</sup>

ويرى الراغب الأصفهاني أن "الفسر" لإظهار المعنى المعقول، ومنه قيل لما ينبئ عنه الماء "تفسرة"، وتسمى بها قارورة الماء. وجعل "السفر" لإبراز الأعيان للأبصار، فقيل: سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح، وسفرت البيت: إذا كنسته.<sup>4</sup>

وفي الاصطلاح: هو العلم الذي يتولى بيان معاني القرآن الكريم.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> دراسات في علوم القرآن الكريم، د. فهد الرومي: 33، ط 19، 1435هـ، 2014م، الرياض.

<sup>2</sup> انظر الكليات للكفوي: 260.

<sup>3</sup> انظر معجم مقاييس اللغة: 4/ 504. قال الجوهري: وأظنه مولداً، وقيل: التفسرة: البول الذي يستدل به على المرض وينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على علة العلل - وهو اسم كالتنحية - وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه، فهو تفسرته. انظر لسان العرب: 5/ 55.

<sup>4</sup> انظر مقدمة جامع التفاسير: 47.

<sup>5</sup> والتعبير بالقرآن أدق من التعبير بكلام الله؛ لعله هي أن كلام الله ينصرف إلى القرآن وغيره من الكتب المنزل كالتوراة والإنجيل والزيور.. إلخ. أما القرآن الكريم فهو كلام الله المنزل على نبينا محمد ﷺ؛ وهو موضوع التفسير ومحل التعريف.

وقد وسّع بعضهم في التعريف بإدخال قيود هي من مباحث هذا العلم، كتعريف الزركشي في قوله: "هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيمها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها.

وزاد فيها قوم فقالوا: علم حلالها وحرامها، ووعدا ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها.<sup>1</sup>

والقنوجي يرى أنّ علم التفسير "هو علم باحث عن نظم نصوص القرآن، وآيات سور الفرقان بحسب الطاقة البشرية، وبوفق ما تقتضيه القواعد العربية".<sup>2</sup>

#### المبحث الثالث: المقصد من التفسير وعلومه:

يختزل هذا المقصد الأسنى العلامة المقاصدي محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله في قوله: "المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرانية، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد؛ لأن الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير".<sup>3</sup>

واليوم تتطلع الأمة الإسلامية إلى النهوض من جديد، ولن يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فلا بد أن تعود إلى قرآنها من جديد، وأن تقبل على فهمه وتفسيره، وتستلهمه في تلبية حاجاتها الجديدة، وحلّ مشكلاتها الكثيرة، ومجابهة تحديات الأعداء.

إنّ أعداء الأمة اليوم مسلحون بأسلحة علمية مخفية، ويشنون حرباً على المسلمين تكاد تستأصل خضراءهم، ولا يمكن مجابهة هذا العدو المسلح بالعلم،

<sup>1</sup> انظر البرهان في علوم القرآن: 2: 142. وقيل: هو علم يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد، من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية. انظر منهج الفرقان: 6/2. أو كما عرفه أبو حيان بأنه: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاته، وأحكامها الإفرادية، والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتنتمى لذلك. انظر في علوم القرآن: 201.

<sup>2</sup> فتح البيان في مقاصد القرآن: 11/1.

<sup>3</sup> التحرير والتنوير: 18/1.

إلا إذا عرف المسلمون طريقهم، وعادوا إلى مصدر قوتهم ألا وهو القرآن، ولا بد أن يجد المسلمون في قرآنهم ما ينقذهم من شر أعدائهم وأنفسهم. ولن يكون ذلك إلا في فهم القرآن ودراسته وتفسيره في ضوء الحاجات الجديدة، والقرآن يلي حاجة الأمة الإسلامية إلى يوم القيامة، فإذا كان سبباً في نهضة هذه الأمة في بدايتها، فلا بد أن نعول عليه في نهضتها الحالية، بعد أن نعيد إليه وظيفته التي سلبناها منه حينما قصرناه على مجرد التلاوة، وعولنا على غيره في كل شؤون حياتنا. ومن ثم تظهر الحاجة إلى التفسير في هذا العصر. بل هي حاجة متجددة طالما أن هناك مسلمين يتحركون للحياة.<sup>1</sup>

#### المبحث الرابع: تعريف أصول التفسير:

##### تعريف أصول لغة:

وترد كلمة الأصل في المعجم العربي لإفادة جملة من المعاني منها: ما يقابل الفرع؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة إبراهيم: 24]، أي أصلها ثابت في الأرض، وفرعها منتشر في السماء،<sup>2</sup> كما قال تعالى أيضاً: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾ [سورة الحشر: 5]، وترد بمعنى الأساس والقاعدة. وباستقراء مادة (أصل) فهي لا تخرج عن معنى ما يبني عليه غيره، ولا يبني هو على غيره، أو هو ما يثبت حكمه بنفسه، ويبني عليه غيره.<sup>3</sup>

##### تعريف أصول التفسير اصطلاحاً:

وبناء على تعريف التفسير يكون معنى أصول التفسير أصول فهم معاني القرآن؛ وهو عند تحليل التعريف "الأسس العلمية التي يرجع إليها المفسر حال بيانه لمعاني القرآن، وتحريره للاختلاف في التفسير".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> في علوم القرآن: عرض ونقد وتحقيق: 218 - 219.

<sup>2</sup> انظر تفسير السعدي: 4/ 138.

<sup>3</sup> انظر التعريفات للشريف الجرجاني: 32.

<sup>4</sup> المصدر نفسه: 17.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وقريباً منه هو: "القواعد والأسس التي يقوم عليها علم التفسير. أو العلم الذي يتوصل به إلى الفهم الصحيح للقرآن، ويكشف الطرق المنحرفة أو الضالة في التفسير".<sup>1</sup> وقيل: هو العلم بالقواعد التي يتوصل بها إلى فهم القرآن وتفسيره، وتبنى عليها جزئيات التفسير، وتعرف بها مناهج المفسرين.<sup>2</sup> وعليه؛ فالملحظ اللطيف ها هنا هو أنّ نسبة علم أصول التفسير إلى علم التفسير هي نسبة الآلة والوسيلة إلى الغاية والهدف.

ومعنى ذلك أنّ أصول التفسير تستخدم في حالتين:<sup>3</sup>

الأولى: في حالة بيان المعاني ابتداءً، فمعرفة أصول التفسير تمنعه من أن يأتي بمعنى ضعيف أو فاسد.

الثانية: في حال الاختيار أو الترجيح بين الأقوال المختلفة؛ إذ الاختيار أو الترجيح لا يكون إلا عن علم بالقواعد العلمية وقرائن الترجيح، وإلا لم يكن مقبولاً، وكان من القول على الله بغير علم.

### المبحث الخامس: المصطلحات ذات العلاقة:

إن لأصول التفسير مسميات كثيرة تداولها الأقدمون والمحدثون؛ منها:

1- قانون التأويل.

2- قواعد علم التفسير.

<sup>1</sup> انظر بحوث في أصول التفسير ومناهجه، د. فهد الرومي: 11، ط8، 1428هـ. وقريباً منها ما عرف به الدكتور عبد الرحمن الحاج فقال: "العلم بالقواعد الكلية المتعلقة بالكشف عن أحوال كتاب الله تعالى من حيث دلالاته على المعنى" ثم أضافه قائلاً: "وبذلك تنحصر موضوعات علم أصول التفسير بالكليات من القواعد، كما تتجدد مهمته بالكشف عن الدلالة" انظر التفسير وصلته بمنظور البحث الأصولي، مجلة إسلامية المعرفة، عدد (37-38).

<sup>2</sup> انظر طريق الوصول للسعدي: 9.

<sup>3</sup> انظر التحرير في أصول التفسير: 17.

3- أصول التفسير.

4- أصول التأويل.

أما "قانون التأويل" فقد استعمله قطبان أحدهما مشرقى وهو أبو حامد الغزالي (ت 505هـ) والآخر مغربي وهو ابن العربي المعافري (ت 543هـ).

وأما "قواعد علم التفسير"<sup>1</sup> فقد استعمله الكافيجي (ت 879هـ) في كتابه: "التيسير في قواعد علم التفسير"، والدكتور خالد بن عثمان السبت في كتابه: "قواعد التفسير"<sup>2</sup> كما تداولها شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله: "فقد سألتني بعض الإخوان أن أكتب له مقدمة تتضمن قواعد كلية تعين على فهم القرآن، ومعرفة تفسيره ومعانيه".<sup>3</sup> وكذا جمال الدين القاسمي إذ وضع فصلاً سماه: "تمهيد خطير في قواعد التفسير" من كتابه "رسائل في أصول التفسير وأصول الفقه".

و"مبادئ التفسير" وهو عنوان كتاب الشيخ محمد الخضري الدمياطي (ت 1287هـ).

وأما "أصول التفسير" فهي الأكثر شيوعاً واستعمالاً؛ ولنا وقفة مع ما أُلّف في أصول التفسير؛ ومنها:

1- الفوز الكبير في أصول التفسير لولي الله الدهلوي (ت 1176هـ).

2- الإكسير في أصول التفسير، لصديق حسن خان القنوجي (ت 1307هـ).

<sup>1</sup> وقد استعمله بعض المؤلفين منهم:

- قواعد التفسير لمحمد بن إبراهيم الوزير ابن المرتضى اليماني.
- قواعد التفسير لعثمان بن علي المودورنهي (ت 1211هـ).
- المنهج القويم في قواعد تتعلق بالقرآن الكريم، لشمس الدين بن الصائغ محمد بن عبد الرحمن الحنفي كما أورده حاجي خليفة في كشف الظنون: 2/ 1883.

<sup>2</sup> يقول الدكتور خالد السبت: "قواعد التفسير هي الأحكام الكلية التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن ومعرفة كيفية الاستفادة منها" انظر قواعد التفسير: 1/ 29، دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1997م.

<sup>3</sup> مقدمة في أصول التفسير.

3- رسائل في أصول التفسير وأصول الفقه، لجمال الدين القاسمي (ت 1332هـ).  
وأما "أصول التأويل" فهو اصطلاح خاص بالإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله  
في كتابه النفيس: "التكميل في أصول التأويل".

#### المبحث السادس: الفرق بين أصول التفسير والتفسير وعلوم القرآن:

لا شك أنّ أوسع هذه العلوم؛ علوم القرآن، ويبقى التفسير أحد علوم القرآن، وأما  
أصول التفسير فهو أحد علوم التفسير وفنونه. ثم إن قواعد التفسير تندرج ضمن  
أصول التفسير، فإن كانت كل قاعدة أصلاً، فليس كل أصل قاعدة، فتأمل!

فأصول التفسير مبحث تفرقت موضوعاته في مقدمات بعض المفسرين  
لتفاسيرهم، وفي كتب علوم القرآن وكتب اللغة وأصول الفقه، ويتناول دراسة  
الشروط الواجب توفرها في المفسر، والعلوم التي يحتاج إليها المفسر، وأهم  
قواعد التفسير، اللغوية والأصولية والاستقرائية، فموضوعه "قواعد كلية تعين  
على فهم القرآن ومعرفة تفسيره ومعانيه"، فهو أحد علوم القرآن، وقد ضمن  
المصنفون- المتقدمون والمتأخرون- في علوم القرآن موضوعاته ضمن كتبهم، فثمة  
تداخل بين أصول التفسير وعلوم القرآن، لكن علوم القرآن أشمل، وقد تتوسع  
بعض كتب أصول التفسير إلى مسائل من علوم القرآن، كما أنّ من علوم القرآن  
ما لا علاقة له بالتفسير، إنما هو من قبيل الإحصاء والتوثيق والتاريخ، وأهم  
وظيفة يؤدّيها علم أصول التفسير هي ضبط الاستنباط والفهم، والترجيح عند  
الاختلاف، إذ فيه الأسس والقواعد التي يعرف بها تفسير كلام الله، والشروط  
والمقدمات العلمية التي يحتاجها المفسر. وقد أصبح البحث عن أصول للتفسير  
والتأويل هاجساً لدى المشتغلين بالتفسير حديثاً.<sup>1</sup>

#### المبحث السابع: الفرق بين التفسير والتأويل وكشف النسبة بينهما:

التأويل في اللغة: يرجع إلى معنيين:

<sup>1</sup> انظر نشأة أصول التفسير وصلته بالعلوم الأخرى، من موقع رابطة علماء أهل الشام.



أولهما: مأخوذ من الأول؛ من آل إليه أولاً ومآلاً؛ وهو العاقبة والمصير.

والثاني: مأخوذ من الإيالة؛ وهي السياسة؛ لأنّ المفسر يسوس الكلام كما يسوس الراعي رعيته، فيلتمس المؤول للكلام أصلح المعاني كما يلتمس السياسي أصلح الأحوال لرعيته؛ والقاعدة في السياسة الشرعية: "تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة".

قال الراغب الأصفهاني: "هوردُ الشيء إلى الغاية المرادة منه علماً كان أو فعلاً".<sup>1</sup> أو هو كما قال البغوي والكواشي: "صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها، وما بعدها، تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> مفردات الراغب الأصفهاني: 27. وقال: التأويل نوعان: مستكره ومنقاد:

فالأول: المستكره: وهو ما يستبشع إذا سُبر بالحجة، ويستقبح بالتدليسات المزخرفة وذلك على أربعة أضرب:

- 1- أن يكون لفظ عام فيخصص في بعض ما يدخل تحته: نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [سورة التحريم: 4] حملة بعض الناس على علي بن أبي طالب عليه السلام فقط. فهذا أكثر ما يروج على المتفقهة الذين لم يقووا في معرفة الخاص والعام.
  - 2- أن يلفظ بين اثنين، نحو قول من زعم أن الحيوانات كلها مكلفة محتجاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [سورة فاطر: 24]، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا خَلَا فِيهَا بِطِيرٍ بِحَتَائِيهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا قَرَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنعام: 38]؛ فدلّ قوله: ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ أنهم مكلفون كما نحن مكلفون.
  - 3- ما استعين فيه بخبر مزور أو كالمزور، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [سورة القلم: 42]، قال بعضهم: عني به الجارحة مستدلاً بحديث موضوع. وهذا على صاحب الحديث الذي لم يتهذب في شرائط قبول الأخبار.
  - 4- ما يستعان به باستعارات واشتقاقات بعيدة، كما قاله بعض الناس في البقر: إنه (إنسان)، يقرر عن أسرار العلوم. وفي الهدد: إنه إنسان (موصوف) بجودة البحث والتنقير. وهذا على الأديب الذي لم يتهذب بشرائط الاستعارات والاشتقاقات.
- والثاني المنقاد: وهو ما لا يعرض فيه البشاعة المتقدمة. وقد يقع الخلاف فيه بين الراسخين في العلم لإحدى الجهات الثلاث:
- 1- إما لاشتراك في اللفظ: نحو قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الأنعام: 103]، هل هو من العين أو من بصر القلب؟

قال ابن حبيب النيسابوري: "نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتموا إليه".<sup>2</sup> وقد أفرد بالتأليف الشيخ حامد بن علي الدمشقي العمادي (ت 1171هـ) في كتاب: "التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل".<sup>3</sup> ويمكن إيجاز الفرق والوقف بينهما عبر الترادف والتباين الآتيين:<sup>4</sup>

#### 1- الترادف:

وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير؛ ومثل ذلك ما نقله ابن منظور عن بعض علماء العربية،<sup>5</sup> وهو استعمال بعض المفسرين كالإمام الطبري.<sup>6</sup>

2- أولامراجع إلى النظم: نحو قوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>1</sup> إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ [سورة النور: 4-5]، هل هذا الاستثناء مقصور على المعطوف، أو مردود إليه وإلى المعطوف عليه معاً؟

3- وإما لغموض المعنى ووجازة اللفظ: نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: 227]. والوجوه التي يعتبر بها تحقيق أمثالها أن ينظر:

- فإن كان ورد فيه ذلك أمراً أو نهياً عقلياً فزع في كشفه إلى الأدلة العقلية، فقد حث تعالى على ذلك في قوله: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص: 29].

- وإن كان أمراً شرعياً فزع في كشفه إلى آية محكمة أو سنة مبينة.
  - وإن كان من الأخبار الاعتقادية فزع فيه إلى الحجج العقلية.
  - وإن كان من الأخبار الاعتبارية فزع إلى الأخبار الصحيحة المشروحة في القصص.
- انظر مقدمة جامع التفاسير للراغب الأصفهاني: 48-51.

<sup>1</sup> انظر الكليات: 16/2.

<sup>2</sup> الإتقان: 40/2، والتفسير والمفسرون: 21/1.

<sup>3</sup> سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: 184/1.

<sup>4</sup> انظر الأساس في أصول التفسير للمجدي: 23، وفي علوم القرآن لأحمد حسن فرحات: 210 وما بعدها.

<sup>5</sup> انظر لسان العربي: 55/5.

<sup>6</sup> وقيل: هو رأي أبي عبيدة وطائفة على أن التأويل والتفسير بمعنى واحد؛ وهو كشف المراد عن المشكل. انظر الإتقان: 167/4، والكليات: 152/2.

2- التباين:

فالتفسير ما يرجع إلى الرواية أو إلى المعنى المباشر، والتأويل، والتأويل ما يرجع إلى الدراية أو المعنى غير المباشر، وقد يكون صحيحًا، وقد يكون فاسدًا، وقد يكون تلاعبًا بالنصوص ليس إلا!

المبحث الثامن: أهمية أصول التفسير وثمراته:

- إن التفسير وأصوله كان أول العلوم تدوينًا: <sup>1</sup>لعظم قدره، وعلو منزلته، "إذ هو الأصل في فهم القرآن وتدبره، وعليه يتوقف استنباط الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام".<sup>2</sup>
- إن المشتغل بأصول التفسير يحصل الملكة الراسخة في علم التفسير الوازن، وينمي القدرة على استخراج أحكام القرآن وجكّمه على الوجه الصحيح والرصين.
- وعليه؛ فهو وسيلة مثلى لفهم معاني النظم القرآني وتفسيرها وفق القواعد الصحيحة في هذا العلم النافع.

<sup>1</sup> نشأ هذا العلم نشأة متجانسة بين التفسير وأصوله؛ حيث ظهر مع نشأة الإسلام فالمصدر الأول هو القرآن الكريم، والمصدر الثاني هو السنة النبوية في أكثر من موضع فسر المصطفى ﷺ القرآن الكريم، وهل فسّر القرآن كله؟ موضع خلاف! وتعاطى الصحابة للتفسير وكان أبرزهم عبد الله بن عباس ؓ وعبد الله بن مسعود ؓ وهما مدرستان من مدارس التفسير في طبقة الصحابة خرجت قيادات في التفسير في طبقة التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. ولما دونت السنة المطهرة كان التفسير ضمن أهم فقراتها كما نجد في صحيح البخاري ومسلم وكتب السنن تراجم وكتبًا في التفسير، وحتى أول مصنف أصولي وهو "الرسالة" للإمام الشافعي واضح علم الأصول، جمع بين أصول الفقه وأصول التفسير حيث استفاد حديثه عن الكتاب والسنة ومراتب البيان والناسخ والمنسوخ والعموم والخصوص وهي أمور مشتركة بين أصولي الفقه والتفسير؛ وهو ما يريد الإمام الفراهي أن يحافظ عليه تحت مسمى أصول التأويل كما سيأتي في تعاريف هذا البحث العلمي والله من وراء القصد.

<sup>2</sup> المدخل لدراسة القرآن الكريم، د. محمد أبو شهبه: 20.

- امتلاك ناصية القواعد الرصينة وإعمالها برؤية متوازنة تدرأ الغلو فيه والجفاء عنه كما في الحديث الشريف.<sup>1</sup>
  - وهو المعيار الصحيح الذي تقاس به الأقوال ويضبطها، ويعرف الصحيح للاحتجاج به مما هو دونه لتركه.
  - قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم".<sup>2</sup>
  - إنه يعين على تنمية ملكة الاستنباط من الآيات، ويساعد على الترجيح بين أقوال المفسرين؛ فهو كما قيل: "بمنزلة أصول الفقه بالنسبة لعلم الفقه".<sup>3</sup>
  - وبه تنتظم الأمور المنتشرة على تنوعها عبر قواعد حاكمة تؤمن نتائج البحث العلمي في الدراسات القرآنية تمامًا كما قال الزركشي: "فإن ضبط الأمور المنتشرة المتعددة في القوانين المتحدة هو أوعى لحفظها، وأدعى لضبطها".<sup>4</sup>
- المبحث التاسع: موضوعات أصول التفسير:

إنّ أبرز موضوعات أصول التفسير تنحصر في العناصر والمحاور الآتية:

- 1- تعريف أصول التفسير والتفريق بينه وبين التفسير وعلوم القرآن.
- 2- فضل أصول التفسير وأهميته وثمراته.
- 3- شروط المفسر وآدابه وأدواته.
- 4- مصادر التفسير.
- 5- الإجماع في التفسير.

<sup>1</sup> عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ".. وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه..". أخرجه أبو داؤد في سننه.

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى: 203 / 19.

<sup>3</sup> انظر بحوث في أصول التفسير لمحمد لطفي الصباغ: 11، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1408هـ.

<sup>4</sup> المنشور في القواعد: 65 / 1.

6- أقسام التفسير وأنواعه.

7- اتجاهات المفسرين.

8- مناهج المفسرين وطرق تأليفهم.

9- الاختلاف بين المفسرين.

10- الإسرائيليات في كتب التفسير.

11- قواعد التفسير.

12- توجيه أقوال السلف في لتفسير.

المبحث العاشر: عصر الصحابة والتابعين:

لقد بدأت بوادر أصول التفسير في عصر الرسالة وتبلورت ونضجت مع الصحابة والتابعين وبعد عصر التدوين كانت جزءاً من علوم القرآن حتى استقر علماً قائماً بنفسه مع المتأخرين وفق ما نبينه تباعاً.

إنّ النبي محمدًا ﷺ قد فسّر آيات وإن قلّت لكننا نستشف منها ملامح أصول التفسير على غرار قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وأنّ تفسير القرآن بالقرآن من مصادر التفسير، وأهمية التصحيح والتصويب والترجيح بين التفاسير.

وأما بخصوص عصر الصحابة والتابعين فكانوا مفسرين فطاحل، وقد أسفرت بعض الدراسات الحديثة لهم عن النتائج الآتية:<sup>1</sup>

1- قواعد الترجيح في التفسير.

2- أسباب الخطأ في التفسير.

3- أسباب الاختلاف في التفسير.

4- التفسير بالرأي.

<sup>1</sup> انظر رسالة: استدراكات السلف في التفسير في القرون الثلاثة الأولى: دراسة نقدية مقارنة، أ. نايف بن سعيد الزهراني: 458-459، وهي رسالة ماجستير، طبعها دار ابن الجوزي، ط1، 1430هـ.

**المبحث الحادي عشر: كتب التفسير عامة:**

وهي كتب التفسير، وذلك من خلال مقدمات المفسرين في كتبهم، أو الحديث عن بعض الجزئيات في أثناء التفسير، من هذه الكتب:

- 1- جامع البيان لابن جرير الطبري (ت 310هـ).
  - 2- مقدمة جامع التفاسير للراغب الأصفهاني<sup>1</sup> (ت 412هـ).
  - 3- تفسير النكت والعيون لأبي الحسن الماوردي (ت 450هـ).
  - 4- تفسير المحرر الوجيز لابن عطية (ت 546هـ).
  - 5- تفسير أبي حيان الأندلسي (ت 745هـ).
  - 6- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (ت 774هـ).
  - 7- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت 671هـ).
  - 8- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي (ت 742هـ).
  - 9- تفسير القاسمي (ت 1332هـ).
  - 10- التحرير والتنوير، لابن عاشور (ت 1393هـ).
  - 11- وأضواء البيان للشنقيطي (ت 1393هـ).. إلخ.
- وغيرها كثير من كتب التفسير بالمأثور وبالرأي وعلى اختلاف المناهج المتبعة.

**المبحث الثاني عشر: كتب علوم القرآن:**

كتب علوم القرآن الكريم التي قلما يخلو كتاب منها في الحديث عن هذه المباحث التي هي من أهم مباحث علوم القرآن الكريم، فعقدت له أنواعاً وفصولاً مستقلة؛ ومن هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر:

- 1- كتاب البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي (ت 794هـ).
- 2- الإتيقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي (ت 911هـ).
- 3- الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لابن عقيلة المالكي (ت 1150هـ).

<sup>1</sup> حققها أ. د. أحمد حسن فرحات.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

- 4- مناهل العرفان لمحمد عبد العظيم الزرقاني (ت 1367هـ).
- 5- مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ت 1420هـ).
- 6- مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح (ت 1407هـ)،
- 7- في علوم القرآن: عرض ونقد وتحقيق: د. أحمد حسن فرحات.
- 8- دراسات في علوم القرآن، لفهد بن عبد الرحمن الرومي.<sup>1</sup>
- 9- المحرر في علوم القرآن، لمساعد بن سليمان الطيار.. وغيرها.
- المبحث الثالث عشر: كتب مفردة في أصول التفسير ومسائله:
- 1- مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية<sup>2</sup> (ت 728هـ).
- 2- الإكسير في قواعد التفسير<sup>3</sup>، لنجم الدين أبو سليمان الطوفي الحنبلي (ت 710هـ).
- 3- الفوز الكبير في أصول التفسير للدهلوي (ت 1176هـ).
- 4- الإكسير في قواعد علم التفسير<sup>4</sup>، لمحمد بن سليمان الكافجي (ت 879هـ).
- 5- التحبير في علم التفسير<sup>5</sup>، لجلال الدين السيوطي (ت 911هـ).
- 6- التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي (ت 1398هـ).
- 7- مقدمة في التفسير<sup>6</sup> لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم (ت 1392هـ).
- 8- التفسير ورجاله للفاضل بن عاشور (ت 1390هـ).

<sup>1</sup> ط 13، 1425هـ.

<sup>2</sup> وهي مقدمة جامعة لقواعد مهمة تعين على فهم القرآن وتفسيره وبيان معانيه. وهذه التسمية "مقدمة في أصول التفسير" هي من وضع الشيخ محمد جميل الشطي مفتي الحنابلة بدمشق، وليس من وضع المؤلف، ولعله أخذها من قول المؤلف: "فقد سألتني بعض الإخوان أن أكتب له مقدمة تتضمن قواعد كلية تعين على فهم القرآن" انظر المقدمة بتحقيق أ. د. عدنان زرزور: 22، دار الرسالة، مكة، 1415هـ.

<sup>3</sup> وإن كان أكثر ما فيها هو من قبيل علوم القرآن.

<sup>4</sup> والحق أنه في علوم القرآن.

<sup>5</sup> لم يخرج عن مباحث علوم القرآن.

<sup>6</sup> أغلب موادها في علوم القرآن.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

- 9- بحوث في أصول التفسير، للشيخ محمد لطفي الصباغ.<sup>1</sup>
- 10- أصول التفسير وقواعده لخالد عبد الرحمن العك.<sup>2</sup>
- 11- تفسير التابعين، لمحمد بن عبد الله الخضير.<sup>3</sup>
- 12- أصول التفسير وقواعده<sup>4</sup> للشيخ محمد بن صالح العثيمين.
- 13- دراسات في أصول تفسير القرآن، للدكتور محسن عبد الحميد.<sup>5</sup>
- 14- فتح الخبير في أصول التفسير، لشاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي.
- 15- بحوث في أصول التفسير ومناهجه للدكتور فهد الرومي.<sup>6</sup>
- 16- فصول في أصول التفسير للدكتور مساعد بن سليمان الطيار.
- 17- مناهج المفسرين للدكتور، لأحمد بن محمد الشرقاوي.
- 18- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، لمحمد أبو شهبه.
- 19- تفسير القرآن الكريم: أصوله وضوابطه، لعلي بن سليمان العبيد.
- 20- الإجماع في التفسير، لمحمد بن عبد العزيز الخضير.
- 21- القول المنير في علم أصول التفسير للقرآن الكريم، للشيخ إسماعيل عنان زين اليمني المكي.
- 22- علم أصول التفسير: محاولة في البناء، لمولاي عمر حماد.<sup>7</sup>
- 23- قواعد التفسير، للدكتور خالد بن عثمان السبت.<sup>8</sup>

<sup>1</sup> وكان أصل المادة حلقات إذاعية فاختل فيه إلى حد بعيد الجانب الأكاديمي وغلب عليه أسلوب الإنشاء!

<sup>2</sup> أصول التفسير وقواعده لخالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت، ط5، 1428هـ.

<sup>3</sup> تفسير التابعين، لمحمد بن عبد الله الخضير دار الوطن، الرياض، ط1، 1420هـ.

<sup>4</sup> لم تنفك عن علوم القرآن في أغلب محاورها.

<sup>5</sup> دراسات في أصول تفسير القرآن، د. محسن عبد الحميد، ط2، 1404هـ، مكتبة النجاشي، الدار البيضاء، المغرب.

<sup>6</sup> وأصل المادة العلمية قَدِّمها للطلاب بالجامعة فتميزت بالاختصار وسهولة العبارة.

<sup>7</sup> وأصلها رسالة علمية لصديقنا الداعية مولاي عمر بن حماد. دار السلام، القاهرة، ط1، 1431هـ.

<sup>8</sup> قواعد التفسير، لخالد السبت، دار ابن عفان، الدمام، ط1، 1417هـ.



- 24- منهج الاستنباط من القرآن الكريم، لفهد بن مبارك الوهبي.  
25- قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين بن علي الحربي.  
26- اختلاف التنوع واختلاف التضاد في تفسير السلف،<sup>1</sup> لعبد الله الأهدل.  
27- الاختلاف في التفسير: أسبابه وآثاره، للدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع.  
28- اختلاف السلف في التفسير بين النظرية والتطبيق، لمحمد صالح.  
29- التيسير في مصادر التفسير، للدكتور محمد البراك.  
30- التكميل في أصول التأويل، للإمام عبد الحميد الفراهي.  
المبحث الرابع عشر: اشتراك أصول التفسير بعلوم أخرى:

اتسعت رقعة التفاعل مع القرآن الكريم فهمًا وفقهًا، وتفسيرًا وتأويلًا، على مدى قرون طويلة، وهو أمر يقتضي تراكم جهود لا بأس بها في ضبط وتقنين عملية الفهم والفقه من القرآن الكريم، والتفسير والتأويل لآياته وأحكامه، تستحق أن تشكل علمًا قائم الذات بين الصفات، محدّد الأهداف، واضح المعالم؛ إلا أن الشواهد من التاريخ تؤكد أن عملية الضبط والتقنين التي عرفت تحت مسمى "علم أصول التفسير وقواعده" لم تكن مكتملة ومستقلة، فقد كانت مباحث هذا العلم محل اشتراك بين علوم مختلفة كعلم أصول الفقه وعلم اللغة والبلاغة، وعلوم القرآن، وهذا ما جعل الإمام عبد الحميد الفراهي يدعو إلى استكمال الموجود منه من أصول الفقه وغيره من العلوم، ثم جعلها علمًا مستقلًا عن الأصول منتميًا إلى مجال التفسير، يقول في التكميل: "ولم نحتج إلى تأسيس هذا الفن لترك العلماء إياه بالكلية، فإنك تجد طرقًا منه في أصول الفقه ولكنه غير تام" ثم يقول: "فلو جعل هذا الفن من علم التفسير لعظم محله في الدين"، ذلك أن جعله فرعًا لعلم الأصول يعني جعله بمنزلة الفرع لا الأصل، وحقه أن يكون أصلًا لا فرعًا نظرًا لخطورة أمر التفسير والتأويل.

<sup>1</sup> وأصلها رسالة دكتوراه، قدّمت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، عام 1407هـ.

واليوم ومع تكاثر المنادين إلى لَمَّ شعث هذا العلم، وإعادة بنائه، واستكمال صرحه، نحسب أنّ من أوجب المسالك إلى بلوغ هذه الغاية التعرف على واقعه حقيقة وصدقًا، لا تخمينًا وظنًا، ثم بعد ذلك يمكننا تلمس ما في هذا الواقع من ثغرات فنقترح ما يثلّمها، ونتحسس ما فيه من لبنات فنقترح ما نشد به عضدها.<sup>1</sup>

المبحث الخامس عشر: هل الفراهي أسهم في أصول التفسير؟

أجل كانت للإمام الفراهي - محل دراستنا هذه - إسهامات كثيرة في علوم القرآن، والتفسير، وأصول التفسير، وقد أبدع في محاولته "التكميل في أصول التأويل"؛ وكان لبنة مهمة في صرح أصول التفسير بلا منازع!

وقد جعله رحمه الله مقدمة لتفسيره الجليل الموسوم "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"؛ فيقول: "وإنما أردت أولًا بيان النظام فاضطرني إلى التأويل، ثم وجدت خيرًا كثيرًا، فإن به يكشف عن معنى القرآن ويبطل الأضاليل".<sup>2</sup> وقد وقع اختياره بعناية مركزة على مصطلح أصول التأويل؛ وهو الكشف عن القرآن بما يزيل عنه الشبه، ويكون ذلك طبعًا بطريق التدبر والنظر العميق، وقد لا يكفي فيه مجرد التفسير؛ وهي "الأصول التي تعين على فهم القرآن الحكيم حسب إفهام البشر".<sup>3</sup> وهذه الأصول كما سيأتي على قسمين:

الأول: ما يعصم عن الزيف في التأويل، ويسد أبواب الاحتمالات الباطلة المتناقضة.

والثاني: ما يهدي إلى الحكّم التي يتضمنها كتاب الله.

والجامع بين الأصلين أمر واحد هو التفكير في نظم القرآن.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> علم أصول التفسير مصطلحًا ومفهومًا: الواقع والمتوقع، د.ة. فريدة زمرد، ضمن المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في القرآن الكريم وعلومه: 17/1.

<sup>2</sup> التكميل: 209.

<sup>3</sup> المصدر نفسه: 223.

<sup>4</sup> انظر المصدر نفسه: 223-224.

وهذا ما يحملنا على مزيد من الدراسة في الجهد الذي قدّمه لخدمة القرآن الكريم وعنايته بالتفسير وأصوله وإبداعه وابتكاره مع أصالته وكفاءته. وذلك خلال الفصل القادم إن شاء الله.

### الفصل الرابع: عناية الإمام الفراهي بأصول التفسير

تمهيد:

لا شك أنّ الإمام الفراهي كان علماً من أعلام التفسير في العصر الحديث، وقد برع في علومه من غير نزاع، وظهرت إضافته في دراساته القرآنية، وتفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"، وتنظيره لهذا العلم في كتاب: "التكميل في أصول التأويل" وغيرها من مؤلفاته المفيدة.

فما حقيقة أصول التأويل عنده؟ وأين تكمن عنايته بالقرآن وعلومه؟ هذا ما نجيب عنه في هذا الفصل وعبر المباحث الآتية:

#### المبحث الأول: لماذا اتجه الإمام الفراهي نحو الدراسات القرآنية؟

كان الإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله قد شرع في تدبر القرآن أيام طلبه في كلية علي كره، وقد ذكر ذلك في فاتحة نظام القرآن، وكان كتاب الله أحب الكتب إليه، والنظر فيه ألد من كل ما في الدنيا.<sup>1</sup>

وكان يعكف كل يوم بعد قيام الليل على تدبر القرآن الكريم، ثم يشتغل بالبحث والنظر والتأليف، ويستمر على ذلك بعد صلاة الفجر إلى الساعة التاسعة صباحاً، وظل دأبه أكثر من ثلاثين سنة. ولما استقال من عمادة دار العلوم بحيدر آباد صار يقضي معظم وقته في تدبر القرآن والتأليف فيه. وقد حاز السبق في علوم القرآن وفتح الله عليه من علومه ما شاء، وبلغ في ذلك شأواً لم يبلغه إلا قليل من أهل العلم، فلقبه معاصروه بترجمان القرآن.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> انظر فاتحة نظام القرآن: 2.

<sup>2</sup> انظر مفردات الفراهي للمحقق: 27.

يقول السيد سليمان الندوي: "ثم انقطع إلى تدبر القرآن ودرسه، والنظر فيه من كل جهة، وجمع علومه من كل مكان، ففضى فيه أكثر عمره، ومات وهو مكبّ على أخذ ما فات من العلماء، ولفّ ما نشره ولمّ ما شئتوه، وتحقيق ما لم يحققوه، فكان لسانه ينبع علمًا بالقرآن، وصدره يتدفق بحثًا عن مشكلاته، وقلمه يجري كشفًا عن معضلاته".<sup>1</sup>

وذلك لأن هذا العلم الذي يوصلك بكتاب الله يسمو به الإنسان في العاجل والأجل؛ قال الإمام الفراهي في تقديمه لكتابه: "دلائل النظام": "المقصود من معرفة النظام ليس إلا التدبر؛ فإنه الإقليد له، ثم التدبر في الكتاب هو الوسيلة إلى الهدى والتقوى، فهما أصلان. فإن النفس بالهدى تستبصر، وبالتقوى تتزكى. والإيمان مع شعبه العلمية يدخل في الهدى، والشرائع والأخلاق والأحوال تدخل في التقوى. وقد بين الله ذلك في القرآن..".<sup>2</sup>

وهذا ديدن كبار المفسرين؛ قال العلامة ابن عطية: "فلما أردت أن أختار لنفسي، وأنظر في علم أعد أنواره لظلم رمسي، سبرتها بالتنوع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم،<sup>3</sup> فوجدت أمتنها حبلاً، وأرسخها جبلاً، وأجملها آثاراً، وأسطقها أنواراً علم كتاب الله".<sup>4</sup>

هذا، وقد كان الإمام الفراهي أحد المؤسسين للجامعة العثمانية بحيدر آباد، ودرس بها العلوم الشرعية باللغة العربية؛ وقد كانت له حلقة أسبوعية لتفسير

<sup>1</sup> انظر ترجمته الملحق بكتابه إمعان في أقسام القرآن: 17، ط. دمشق.

<sup>2</sup> انظر دلائل النظام، من المجموعة الأولى لرسائل الإمام الفراهي: 21. واسترسل قائلاً: "... ثم يهتدي إلى النظام بأوائل التدبر، فيضطر إلى معرفة النظام، فإن أقل جملة من القرآن يستدعي تدبراً أو يهدي إلى ما هو فوقه وشم. فثم، حتى إذا اتضح النظام كل الاتضاح، تجلى محاسن السورة والحكمة التي هي تمام العلم والتقوى" المصدر نفسه: 21.

<sup>3</sup> قال الراغب الأصفهاني: "علم التفسير قد حاز الشرف من جهات ثلاث: أحدها من جهة الموضوع، وثانيهما: من جهة الغرض، وثالثها: من جهة شدة الحاجة". انظر أبجد العلوم: 175/2.

<sup>4</sup> تفسير ابن عطية: 1/6.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

القرآن الكريم يحضرها العلماء والباحثون وطلبة علماء القرآن، يعرضون عليه أسئلتهم فيجيب عنها.<sup>1</sup>

وقد مكث الإمام الفراهي بحيدر آباد إلى عام 1337هـ، ثم استقال من منصبه وعاد إلى وطنه تمامًا كما حكاه في سيرته الذاتية حيث قال: "ولما كانت المشاغل تمنعني عن التجرد لمطالعة القرآن المجيد، ولا يعجبني غيره من الكتب التي مللت النظر في أباطيلها، غير متون الحديث وما يعين على فهم القرآن، تركت الخدمة، ورجعت إلى وطني، وأنا بين خمسين وستين من عمري. فيا أسفًا على عمر ضيَّعته في أشغال ضرِّها أكبر من نفعها! ونسأل الله الخاتمة على الإيمان".<sup>2</sup>

وقد كان بحق من نفحات دعوة النبي ﷺ لأفضل أصحابه النبلاء كابن عباس رضي الله عنهما. حبر الأمة وترجمان القرآن حين دعا له المصطفى ﷺ فقال: "اللهم فقَّهه في الدين وعلمه التأويل".<sup>3</sup>

### المبحث الثاني: ترك الفراهي الشعر وانقطع لتدبر القرآن الكريم:

لقد روى لنا تلميذه البار بشيخه وناقل إرثه بدر الدين الإصلاحي انقطاع المعلم عبد الحميد الفراهي للقرآن والدراسات القرآنية وتركه للشعر؛ فقال: "إن أستاذنا عبد الحميد الفراهي كان أديبًا بليغًا وشاعرًا حكيمًا، كما يدل عليه هذا المجموع،<sup>4</sup> ولكنه مع ذلك لم يقرض إلا قليلًا؛ وذلك لأنه قد انقطع بحول الله وتوفيقه من

<sup>1</sup> انظر حيات حميد: 18.

<sup>2</sup> انظر مجلة "الضياء": 7/2، ص: 260.

<sup>3</sup> أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضمني رسول الله ﷺ وقال: "اللهم علمه الكتاب" وقد أخرجه كاملاً الإمام أحمد في مسنده: 1/226، ومسند إسحاق بن راهويه: 1/230، ومصنف ابن أبي شيبة: 6/383، والمستدرک على الصحيحين: 3/615.

<sup>4</sup> يقصد ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي (بالعربية). وإن شعره رحمه الله كان جيد السبك، رائق الأسلوب، بديع الخيال، قوي المنطق، يمتاز بقليل الحشو، إنك تجد في شعره ما لا تجد في غيره من جزالة اللفظ، ورشاقة الأسلوب. المصدر نفسه: ص: (ب).

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

بدء شبابه إلى النظر في القرآن والتدبر فيه حتى وجد منه ما تهدء به العواطف وتطمئن به القلوب وسكن إليه الأرواح فيه سكن فيه عوامل الشعر وهذأت<sup>1</sup>.

وقد ذكرنا الفراهي بالشاعر "لبيد بن ربيعة" في الجاهلية الذي ترك قرض الشعر، واكتفى بحفظ البقرة رافلاً في ظلالها الوارفة، حيث أورد الإمام القرطبي<sup>2</sup> الرواية فقال: "وفي كتاب الاستيعاب لابن عبد البر<sup>3</sup> وكان لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من شعراء الجاهلية، أدرك الإسلام فحسن إسلامه وترك قول الشعر في الإسلام، سأل عمر في خلافته عن شعره واستنشدته، فقرأ سورة البقرة، فقال: إنما سألتك عن شعرك، فقال: ما كنت لأقول بيتاً من الشعر بعد إذ علّمني الله البقرة وآل عمران، فأعجب عمر عليه السلام قوله، وكان عطاؤه ألفين فزاده خمسمئة. وقد قال كثير من أهل الأخبار: إن لبيداً لم يقل شعراً منذ أسلم. وقال بعضهم: لم يقل في الإسلام إلا قوله:

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالاً<sup>4</sup>

### المبحث الثالث: مؤلفات الإمام الفراهي في علوم القرآن:

لا شك أنّ الإمام الفراهي كان مولعاً بالدراسات القرآنية؛ وعاشقاً لكل ما يمت إلى القرآن الكريم بصلة؛ فانصبت أبحاثه فيها تأليفاً وتحقيقاً وتدقيقاً وتصحيحاً؛ وكان من أهمها:

<sup>1</sup> انظر ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي: من تقديم بدر الدين الإصلاحي: ص: (أ).

<sup>2</sup> انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تفسير سورة البقرة، مقدمة السورة.

<sup>3</sup> انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، ترجمة (7547) لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة الكلابي الجعفري، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ، 1992 م.

<sup>4</sup> قال ابن عبد البر: وقد قيل إن هذا البيت لقردة بن نفثة السلوي، وهو أصح عندي. وقال غيره: بل البيت الذي قال في الإسلام:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه القرين الصالح

- 1- دلائل النظام.<sup>1</sup>
- 2- أساليب القرآن.<sup>2</sup>
- 3- التكميل في أصول التأويل.<sup>3</sup>
- 4- تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان.<sup>4</sup>
- 5- مفردات القرآن.<sup>5</sup>
- 6- إمعان في أقسام القرآن.<sup>6</sup>
- 7- في ملكوت الله.<sup>7</sup>
- 8- حجج القرآن.<sup>8</sup>
- 9- الرائع في أصول الشرائع.<sup>9</sup>
- 10- إحكام الأصول بأحكام الرسول ﷺ.<sup>10</sup>

- <sup>1</sup> طبع ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن: (7-139).
- <sup>2</sup> طبع ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن: (141-202). وقد أعادت نشرتها الدائرة الحميدية عام 1389هـ.
- <sup>3</sup> طبع ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن: (203-279).
- <sup>4</sup> طبعته الدائرة الحميدية مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، يوبي، الهند، الطبعة الأولى، 2008م.
- <sup>5</sup> تحقيق د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي، ط1، 2002م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- <sup>6</sup> أعدّه وعلّق عليه وخرّج آيات القرآن والكتاب المقدس وشكلها محمد سميع مفتي، نسخة إلكترونية. وطبعة دار القلم.
- <sup>7</sup> نسخة إلكترونية.
- <sup>8</sup> ذكر في "تفسير سورة الفاتحة" أنه طبع للمرة الأولى سنة 2003م.
- <sup>9</sup> طبعته الدائرة الحميدية، إعداد د. عبيد الله الفراهي، والشيخ محمد أمانة الله الإصلاحي، الطبعة الأولى، 1432هـ، 2011م، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن المجموعة الثانية، سرائ مير، أعظم كره، يو-بي، الهند.
- <sup>10</sup> طبعته الدائرة الحميدية، إعداد د. عبيد الله الفراهي، والشيخ محمد أمانة الله الإصلاحي، الطبعة الأولى، 1432هـ، 2011م، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن المجموعة الثانية، سرائ مير، أعظم كره، يو-بي، الهند.

11- أسباب النزول.<sup>1</sup>

12- الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ.<sup>2</sup>

المبحث الرابع: الإمام الفراهي وأغراض التأليف في أصول التأويل:

قال الفراهي: "التأويل لا يمكن فصله من النظام، فإنهما مخلوطان. وإنما أردت أولاً بيان النظام فاضطرني إلى التأويل، ثم وجدت فيه خيراً كثيراً، فإن به يكشف عن معنى القرآن ويبطل الأضاليل، فساقني الجدول إلى عباب البحر".<sup>3</sup>

يرى الإمام الفراهي أنّ التأويل فن عام، وإن قواعد التأويل أصالة تجري في كل كلام، "ولكن النفع الأعظم منه فهم كتاب الله ومعرفة محاسنه للاعتصام بما هدى الله النفوس به إلى غاية كمالها".<sup>4</sup> وعليه: فيمكن اختصار وظيفة التأويل وأصوله وفق ما يراه الإمام الفراهي في الأغراض الآتية:<sup>5</sup>

- 1- للحاجة الشديدة إلى تأسيس أصول التأويل، وإرساء قواعده، وتشديد مبانيه.
- 2- معرفة الأصول التي تعين على فهم القرآن الحكيم حسب أفهام البشر.
- 3- فهم كتاب الله، ومعرفة مقاصده، وأسراره.
- 4- التفكير في نظم القرآن والتدبر في آيه؛ وهذا بحر لا تنقضي عجائبه.

<sup>1</sup> طبعته الدائرة الحميدية، إعداد د. عبيد الله الفراهي، والشيخ محمد أمانة الله الإصلاحي، الطبعة الأولى، 1432هـ، 2011م، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن المجموعة الثانية، سرائر مير، أعظم كره، يو-بي، الهند.

<sup>2</sup> طبعته الدائرة الحميدية، إعداد د. عبيد الله الفراهي، والشيخ محمد أمانة الله الإصلاحي، الطبعة الأولى، 1432هـ، 2011م، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن المجموعة الثانية، سرائر مير، أعظم كره، يو-بي، الهند.

<sup>3</sup> انظر التكميل في أصول التأويل، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن: 209، المجموعة الأولى، ط2، 1411هـ، 1991م، مكتبة الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح- سرائر مير، أعظم كره، الهند.

<sup>4</sup> التكميل: 211، المقدمة.

<sup>5</sup> استقرأت بعضها من كلام الفراهي في أكثر من موضع.



- 5- بعث التأويل الصحيح الواضح الخفي؛ لأنه قد لا يدركه كثير من الناس لعلّة من العلل.<sup>1</sup>
  - 6- ما يعصم عن الزيغ في التأويل.
  - 7- ما يهدي إلى الحكّم التي يتضمنها كتاب الله.
  - 8- معرفة محاسن القرآن.
  - 9- كي يطمئن القلب به.
  - 10- سد أبواب الاحتمالات الباطلة المتناقضة.
  - 11- الاعتصام بما هدى الله النفوس به إلى غاية كمالها.
  - 12- للمفسرين أقوال ضعيفة لا يحتملها الكلام فلا بد من بيان ضعفها، فبأصول التأويل يدفعها المفسرون، فإن تركوها لم يحسموا جرائيم الباطل.
- المبحث الخامس: لماذا التكميل في أصول التأويل؟

لقد أصبح البحث عن أصول للتفسير والتأويل هاجساً لدى المشتغلين بالتفسير حديثاً، وقد اهتم به من المتأخرين المعلم عبد الحميد الفراهي الهندي في كتابه "التكميل في أصول التأويل"، لكن هذا المشروع لم يكتمل مساره، رغم كثرة اللبّات في بنائه، إذ المطلوب من هذا العلم أن يعمل في التفسير ما عملته أصول الفقه في الفقه، وأصول الحديث في الحديث، أي أن يصبح هذا العلم بمثابة قانون يضبط العملية التفسيرية.

لكن عدم اكتمال بناء أصول التفسير كعلم لا يعني عدم وجود تلك الأصول والضوابط والمعايير، والتي تمثل كليات في العلوم التي يحتاجها المفسر، لذلك كانوا يشترطون لمن يمارس التفسير أن يكون عالماً بتلك العلوم، لكن العلم بها لا يغني عن استخلاصها وتجريدها كمبادئ ذات صلة مباشرة بالتفسير.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> تماماً كما قال الفراهي: "إما لتمكن خطأ فهم أو لعدم علمهم ببعض ما يتوقف عليه التأويل، وهذا أيضاً كثير" التكميل: 225.

<sup>2</sup> انظر مقال نشأة علم أصول التأويل وصلته بالعلوم الأخرى، في موقع رابطة علماء الشام.

يرى الإمام الفراهي أنّ رسالته "التكميل في أصول التأويل" تخضع لأغراض التأليف كما قيدها العلامة ابن خلدون؛ وهي سبعة:<sup>1</sup>

- 1- اختراع علم.
- 2- تكميل نقص.
- 3- جمع متفرق.
- 4- ترتيب متناثر.
- 5- تصحيح خطأ.
- 6- بيان مهم.
- 7- اختصار مطول.

والإمام الفراهي على كل حال لا يدعي أنّ هذا الفن قد أرسى هو قواعده؛ ليتبوأ مكانه بين سائر العلوم، بل إنه موجود قبله، إذ إنّ بعضه منثور في مباحث علم أصول الفقه، لكنه خداج غير تمام؛ فانبهرى هو شخصيًا مشكورًا؛ لأجل تكميل ما لم يكمل، فقال: "ولم نحتج إلى تأسيس هذا الفن لترك العلماء إياه بالكلية، فإنك تجد طرقًا منه في أصول الفقه ولكنه غير تمام".<sup>2</sup>

وقد استغرب فضيلته أنّ يكون مجرد جزء ليس إلا من أجزاء أصول الفقه، وما كان كذلك، فلا يمكن أنّ يكون مستقلًا أو قائمًا بنفسه بالمرة، حتى يعطى قدره المستحق، ويحاط بالدراسة الوافية ويرتقي إلى حجم هذا العلم الذي يشرئب إليه من جراء أنّ يستوي على سوقه. ولعل مما أضعفه وأرهقه أنّ بقي أصول التأويل لحد الآن متعلقًا بفروع الشرائع لا أصولها! علاوة على أنّ الاختلاف في الفروع أمور هينة انتقلت عدواها إلى رحاب علم الأصول؛ فهان، وبات هينًا، والأصل أنّ يكون قوليًا على غرار أصول الدين!

<sup>1</sup> انظر مقدمة ابن خلدون: 3/ 1237-1240، وكشف الظنون: 1/ 35-36، أزهار الرياض للمقري: 3/ 34-35، التقريب لحد المنطق ضمن رسائل ابن حزم: 4/ 103، قواعد التحديث: 38، منهج البحث في الدراسات الإسلامية تأليفًا وتحقيقًا لفاروق حمادة: 17-19، نظرية الاستصلاح بين التعقيد الأصولي والتطبيق الفقهي المعاصر د. حسن يشو: 1/ 46 (أطروحة مركونة)، جزء في التصحيح والضبط، د. حسن يشو: 15-16.  
<sup>2</sup> انظر التكميل: 211.

وقد عقد العزم رحمه الله على تهذيب مادة أصول الفقه؛ لما دخلها مما ليس منها، على الرغم من أنه علم أصيل لم يتأثر بالفلسفات والعلوم الأخرى لدى الأمم والحضارات الأخرى، كما هو حال بعض العلوم على غرار المنطق والفلسفة المتأثرين باليونان أو الهند فقال رحمه الله: "وأما الأصول فإننا لا نجد فضل من أسس هذا الفن، فإنهم لم يأخذوه من اليونان ولا الهند ولا غيرهما، بل دعت الحاجة إلى وضع أصول لاستنباط الأحكام من الكتاب والسنة، فهم قدوة في هذا الفن الشريف. ولكن الخلف لم يهتدوا لتهذيبه وإصلاحه فبقي واهي القوى، ضئيل الأركان، ولما يبلغ مبلغًا به يستحق اسم الفن. فترى فيه اختلافًا كثيرًا ينجر إلى اختلاف الأحكام، وليس الأمر كذلك في النحو، والمنطق، وغيرهما من الفنون وتكلم فيه بقدر الحاجة الشديدة، ولعل الله يوفقني أن أهذب هذا الفن، والأمر بيده".<sup>1</sup>

وإن أصول التأويل لما جعل تابعًا لأصول الفقه وطرفًا في مسائله الفرعية، كل ذلك حط من علم التأويل من ثلاثة مراتب؛ هي:

- 1- إنه كان حريًا بالبحث المستقل، فصار له شركاء فصار مغمورًا فيها.
- 2- إنه كان معظم علم التفسير لكونه أصولًا لفهم القرآن، وإذ جعل من علم الفروع لم يبالغ في تنقيحه حتى يصير لعلم التأويل كالمعيار والميزان، مثل علم النحو والعروض. فما بلغ مبلغ الفن المنقح، بل كان قصاراه، أن يكون أصولًا شخصية مثل قوانين الأمم المختلفة، فيقال إن أبا حنيفة - رحمه الله - جرى على هذه الأصول، والشافعي - رحمه الله - على تلك.
- 3- إنَّ القرآن ليس مقصورًا على الفروع، بل معظمه يتعلق بالعقائد وبواطن الأخلاق. وإذ جعل من أصول الفقه صار مقصورًا عليه، ومن هذه الجهة خاصة وقع خلل فاحش في بناء العلم الذي يهدي إلى فهم القرآن.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان: 34.

<sup>2</sup> انظر التكميل: 213.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

إن القرآن الكريم ينطوي على العقائد، والشرائع، والأخلاق. وثلاثتها قد أشبعت بالمعالجة القرآنية والتأصيل العلمي الرصين، وإرساء قواعدها، غير أنّ الفقه أي مسائل الفروع وضعت له أصول، ولم توضع للأخلاق والعقائد على الرغم من أنّ النصّ القرآني تكفل بها جميعها؛ وهذا الأمر العجيب ها هنا!

وهذا ما حذا بأرباب السلوك والفلاسفة للتأليف في الأخلاق على مناهج تفتقر إلى الأصول؛ نظرًا لأنه جرّدت عنها، فنظروا للأخلاق تبعًا للفلسفة القديمة والحديثة، أو نسجًا على تخطيط الباطنية والمتصوفة الغلاة وشطحاتهم، أو بناء على الروايات الضعيفة والموضوعة، أو على مطلق التجارب الذاتية والموضوعية.

ولقد كان الأمر طبيعيًا لو شُدّت الأخلاق بأصول التأويل، وبالتالي لما تلكأ الداخلون هذه الحمى عن سواء السبيل! وعبر تأويلات متخبطة ومستبعدة فضلًا عن كونها غاية في الركاقة!

والأمر نفسه في العقائد التي باتت محل مناقشة ومساءلة بين الباطنية الذين خرجوا عن أصول العربية إلى ادعاءات وهمية في فهم النصوص من غير زمام ولا خطام! كما دخل على الخط علماء الكلام بمطارحاتهم الفلسفية اليونانية لكنها مكتوبة بأحرف عربية فعكرت صفوها وكدرت نقاءها؛ بحيث لو حكمت بأصول التأويل لما أمكنها أن تصول وتجول بغير دليل وبرهان! فترك بعضهم ظاهر القرآن جملة وتفصيلًا، وتركوا حقيقة الآيات وأنّ الأصل فيها المجاز، ولبس بعضهم على أنّ كل الآيات متشابهات وهلم جرا.

إنّ الشيخ الفراهي كان ينزع إلى وضع أصول التأويل بمعنى أصول الدين الإسلامي بحيث إن هذا العلم بقواعده ينتظم العقائد والأخلاق علاوة على الأحكام الفرعية، أما أنّ يختزل في الأحكام الفرعية فهذا المثلث الظاهر، والعييب البارز، والخطر الجسيم. فأصول التأويل ينتظم كل ما يتعلق بالقرآن ويتفرع عنه ويؤخذ منه؛ فقال رحمه الله: "فإن جعلت القرآن أصلًا لتمام علم الدين كما هو في الحقيقة،

صار من الواجب أن يؤسس أصول للتأويل، بحيث تكون علمًا عامًا لكل ما يؤخذ من القرآن".<sup>1</sup>

#### المبحث السادس: ضرورة أصول الفقه للمفسر:

بناء على ما سبق فإن أصول الفقه طريق لفهم النص القرآني يحط بنا في شاطئ الأمان؛ فبات أصول الفقه والتفسير أمرين متلازمين؛ قال السكاكي: "ولله درّ شأن التنزيل لا يتأمل العالم آية من آياته إلا أدرك لطائف لا تسع الحصر. ولا تظن الآية مقصورة على ما ذكرت، فلعل ما تركت أكثر مما ذكرت؛ لأنّ المقصود لم يكن إلا مجرد الإرشاد لكيفية اجتناء ثمرات علمي المعاني والبيان، وأن لا علم في باب التفسير بعد علم الأصول أقرأ منهما على المرء لمراد الله تعالى من كلامه".<sup>2</sup> وعليه فقد أكد هذه الأهمية والحاجة لأصول الفقه العلامة ابن جزي الغرناطي فقال: "وأما أصول الفقه فإنها من أدوات تفسير القرآن، على أنّ كثيرًا من المفسرين لم يشتغلوا بها، وإنما لنعم العون على فهم المعاني وترجيح الأقوال. وما أحوج المفسر إلى معرفة النص، والظاهر، والمجمل، والمبين، والعام، والخاص، والمطلق، والمقيد، وفحوى الخطاب، ولحن الخطاب، ودليل الخطاب، وشروط النسخ، ووجوه التعارض، وأسباب الخلاف، وغير ذلك من علم الأصول".<sup>3</sup> وبناء عليه؛ فقد كانت صياغته لعلم التفسير تقطر بماء المصطلح الأصولي حيث قال: "ومعنى التفسير: شرح القرآن، وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه، أو إشارته، أو فحواه".<sup>4</sup>

وكان العلامة الفراهي ممن نبّه على أهمية الأصول في مجال التفسير فأجاد وأفاد وحقّق المراد في كل ما كتب حول القرآن وعلومه. حتى قال رحمه الله: "فهذا كتاب

<sup>1</sup> انظر المصدر نفسه: 214.

<sup>2</sup> مفتاح العلوم: 183.

<sup>3</sup> التسهيل لعلم التنزيل لابن جزي الغرناطي: 1/ 18، تحقيق عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ.

<sup>4</sup> التسهيل لعلم التنزيل: 1/ 15.

من مقدمة نظام القرآن، أفردناه لتمهيد أصول راسخة لتأويل القرآن إلى صحيح معناه ... فإنك تجد طرقاً منه في أصول الفقه ولكنه غير تمام".<sup>1</sup>

بل قال الفراهي أيضاً: "وإذا كان المقصود تكميل هذا الفن حتى يكون هو المعتمد في فهم كتاب الله وكل كلام حكيم، سمّيناه "التكميل في أصول التأويل".<sup>2</sup>

ذلك لأن "الخلاف - حسب ابن تيمية - بين السلف في التفسير قليل، وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير".<sup>3</sup> ثم قال: "ومع هذا فلا بد من اختلاف محقق بينهم، كما يوجد مثل ذلك في الأحكام".<sup>4</sup> وهذا يدخل في مبحث أصيل في أصول الفقه وهو دلالات الألفاظ؛<sup>5</sup> وقد عدّها أبو حامد الغزالي عمدة أصول الفقه فقال: "اعلم أنّ هذا القطب هو عمدة علم الأصول؛ لأنّ ميدان سعي المجتهدين في اقتباس الأحكام من أصولها، واجتنائها من أغصانها".<sup>6</sup>

**المبحث السابع: الغاية من علم أصول التأويل:**

قال الفراهي: "غاية هذا العلم هو المنع عن التفسير بالرأي".<sup>7</sup> وكان هذا عنواناً بارزاً في رسالته اللطيفة عن أصول التأويل؛ غير أنه يقصد به الرأي المنحرف والاختلاف المذموم الناشئ عن اختلال أصول التأويل عند القوم، ثم إن القرآن نفسه "قد تضمن من الحكمة والمعارف ما لا يحيط به إلا الله تعالى، وقد حثّ على التفكير والتدبر فيه وقد تبين لأصحاب العقول معارف غامضة قد تضمنها الآيات

<sup>1</sup> انظر التكميل:9.

<sup>2</sup> المصدر نفسه:9.

<sup>3</sup> مقدمة في أصول التفسير:11. طبعة دار مكتبة الحياة، بيروت، 1490هـ، 1980م.

<sup>4</sup> المصدر نفسه:20.

<sup>5</sup> وقد أفردناها بالتأليف الشيخ محمد أديب صالح بعنوان: "تفسير النصوص" في جزءين، والشيخ يعقوب الباحسين في "دلالات الألفاظ" في جزءين أيضاً.

<sup>6</sup> المستقصى: 2/3، تحقيق د. حمزة بن زهير حافظ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

<sup>7</sup> انظر التكميل:215.

ولم يجدوها فيما روي عن السلف فذكروها في تفاسيرهم<sup>1</sup> ومن بينها تفسير ابن جرير الطبري<sup>2</sup> وابن كثير<sup>3</sup> وفخر الدين الرازي<sup>4</sup> والزمخشري<sup>5</sup> وفيها جميعها الغث والسمين على الرغم من تلقي الأمة لها بالقبول.

وقدوتناها هنا الصحابة الكرام الذين وإن اختلفوا كان اختلافهم يصدر بناء على أصول ينبغي اعتمادها في مشروع أصول التأويل؛ سواء كان ذلك في مصادر المعرفة أو ابتعادهم عن تأويل النصوص بالرأي المذموم قطعاً؛ أو امتلاك ناصية اللغة العربية لسان الشريعة الغراء؛ فقال: "ولكنهم أخذوها عن علمهم باللسان، واقتصرارهم على علمهم بنظائر الآيات، وعلمهم بالسنة وعن بصيرة يعطها الله

<sup>1</sup> انظر المصدر نفسه: 215.

<sup>2</sup> يقول الفراهي عن تفسير الطبري: "فاعلم أن تفسير ابن جرير - رحمه الله - هو الجامع لكل ما جاء من طريق النقل من غير نقد في الرواية، ولكنه بعد نقل الوجوه المنقولة يبين ما هو الصواب عنده. وإذا أمكنه يجعل المفهوم جامعاً للوجوه، ويبحث عن اللغة والإعراب وكثيراً ما يستند بكلام العرب ومن أجل محاسن هذا التفسير كونه جامعاً لروايات السلف مع التعرض باللغة والنحو وترجيح الأولى بالصواب عنده. ولهذه الوجوه أقيمت العلماء عليه. وأما النظر في الروايات من جهة القرآن والمعقول والتاريخ، فليس من شأنه حتى إنه جمع من المناكير الكبير من غير تنبيه على نكارتها. وإنما ترك ذلك لأهل النظر فإنه لو أراد لعله يتيسر له إتمام هذا الجامع الكبير" رسائل الإمام الفراهي: 216.

<sup>3</sup> وأما تفسير ابن كثير فهو خلاصة تفسير ابن جرير مع نقد الروايات على أصول المحدثين ونقد التأويل، وأما النظر من جهات آخر مما قدّمنا فلا يطلب في تفاسير المحدثين. رسائل الإمام الفراهي: 216.

<sup>4</sup> يقول الفراهي: "وأما تفسير الرازي فهو جامع لأقوال المتكلمين فهو كابن جرير في جمع الأقوال وربما يرجح الصواب وينتصر لمذهب الأشاعرة وأجلّ محاسنه كونه جامعاً. فيجد فيه الناظر المتأمل محلاً للاختيار وأعمال النظر ومع ذلك لا ينظر بالإمعان والتأمل، ولو فعل لعله لم يتيسر له هذا الإكثار في القول. فإن ذلك ليس من شأنه ولذلك جمع من المناكير الكبير فهو كابن جرير في خلط الغث بالسمين". رسائل الإمام الفراهي: 216.

<sup>5</sup> وأما الزمخشري فينظر في نفس عبارة القرآن ولا يبعد عنها ويبحث عن اللغة والإعراب وربط الكلام، وينتصر لمذهب المعتزلة من غير تطويل الكلام ويورد قليلاً من الروايات وجلّ محاسنه أنه وجيز وقليل السقطات في اللغة والإعراب فهو أنفع للطلاب. رسائل الإمام الفراهي: 216.

عباده، ولذلك ترى أنهم يتقاربون في المآل. وبالجمله فإنهم لم يؤولوا القرآن بالرأي المذموم الذي لا مستند له في الكتاب والسنة ولسان العرب".<sup>1</sup>

وفي كتاب "التكميل أصول التأويل" يبين عما يؤخذ من المعاني المختلفة، وما لا يؤخذ، وما يمكن بينهما الجمع. ثم بعد ذلك يستوي السبيل إلى فهم ربط معاني القرآن من نفس القرآن؛ يقول الفراهي: "وهو أحب إليّ من أن يؤخذ من كتابنا "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"، فإنّ العلم من طريق الاستنباط والفكر بصيرة وبينة. ولكن من ولي بالمستنبط المتفكر المفرغ جهده في أخذ المعارف من عيونها النضاجة إلا ما شاء الله وفوق كل ذي علم عليم".<sup>2</sup>

#### المبحث الثامن: الفرق بين أصول التأويل وإحكام الأصول:

إنّ الإمام الفراهي ألف رسالتين علميتين وازنتين تحملان الإضافة العلمية، وتنضحان بالجدة والابتكار؛ فالأولى هي ما نحن بصدد قراءتها وهي: "التكميل في أصول التأويل" والثانية هي: "إحكام الأصول بأحكام الرسول"، وقد بين فضيلته الفرق بينهما فقال: "إن هذا<sup>3</sup> مختص بالدلائل المأخوذة من القرآن وصريح العقل، ولا يبحث إلا عن ما يتعلق بفهم معنى الكلام وتأويله. وذلك<sup>4</sup> يبحث عن أصول استنباط المسائل، ودلائله جليها مأخوذة من الحديث. ومع ذلك يؤخذ المؤيدات بعضها من بعض".<sup>5</sup>

<sup>1</sup> انظر التكميل: 215-216.

<sup>2</sup> انظر مفردات الفراهي: 12.

<sup>3</sup> يقصد التكميل في أصول التأويل.

<sup>4</sup> أي "إحكام الأصول بأحكام الرسول ﷺ"، طبعته الدائرة الحميدية، إعداد: د. عبيد الله الفراهي، والشيخ محمد أمانة الله الإصلاحي، الطبعة الأولى، 1432هـ، 2011م، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن المجموعة الثانية، سرائير، أعظم كره، يو-بي، الهند. وموضوعاته ثلاثة هي: فتاوى النبي ﷺ من القرآن، ثم أصل راسخ، ثم رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

<sup>5</sup> رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن: 210.



المبحث التاسع: فوائد إحكام الأصول بأحكام الرسول ﷺ:

فضلاً عما ذكرناه آنفاً من فوائد وثمرات أصول التأويل؛ وهو يضم لجناحه أصول الفقه، وكذلك إحكام الأصول بأحكام الرسول ﷺ؛ فالغرض من هذه العلوم تقليل الخلاف؛ والتمكين من الفوائد العظيمة لهذا العلم وهي:<sup>1</sup>

- 1- إنّ فيه تأسيساً لعلم أصول الفقه الذي يعم الشرائع والعقائد، وهو المعنى الأعلى للفقه، وبه يتم التأمي بالرسول ﷺ فيما علمنا من الكتاب والحكمة.
- 2- وإن فيه اعتصاماً بعروة وثيقة في تأويل الكتاب بنفس الكتاب.
- 3- وإن فيه كشف قناع عن رفيع منزلة الرسول ﷺ، وعلو محل كتاب الله الحكيم العلام.
- 4- وإن فيه رفع نزاع من بين العلماء في تطبيق السنة بالكتاب.
- 5- وإن فيه إطاعة لما أمرنا الله به من الرجوع إلى الله والرسول عند التنازع.
- 6- وإن فيه خروجاً من اختلاف ربما يفضي إلى خلاف، أعاذنا الله منه، وهو الغاية التي يجري إليها أكثر من صنف الفراهي.

المبحث العاشر: روابط الكتب الأساسية في فهم القرآن:<sup>2</sup>

لقد ألّف الإمام الفراهي كتباً تتعلق باللسان العربي من حيث دلالاته على معانيه وهي ثلاثة:

- 1- كتاب المفردات.<sup>3</sup>
- 2- وكتاب الأساليب.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> انظر إحكام الأصول: 112، ضمن المجموعة الثانية من رسائل الفراهي.

<sup>2</sup> انظر مفردات الفراهي: 91-92.

<sup>3</sup> ففي كتاب المفردات يُبحث عن الألفاظ المفردة، ويُكشف عن معانيها الخاصة، بحيث أن تتضح لها الحدود، واللوازم، وما يتصل بها، وما يفتقر عنها، وما يشابهها، وما يضادها، فيحيط العلم بدلالة الألفاظ المفردة.

<sup>4</sup> وفي كتاب الأساليب يُبحث عن دلالة التراكيب المختلفة الوجوه التي تدل عليها الأساليب المتنوعة، فيحيط العلم بما يدل عليه الكلام من المعاني حتى يُحفظ عما لا دلالة له عليه.

3- وكتاب التكميل في أصول التأويل.<sup>1</sup>

ومن أجل دفع الظنون التي بُنيت على الأوهام الناشئة عن قلة النظر والتأمل في روايات جمع القرآن ومواقع تنزيلها، وضع رحمه الله كتابين:

1- تاريخ القرآن.

2- ودلائل النظام.

وذلك من أجل أن تطمئن قلوب الناس، وتستعد للنظر في نظم القرآن، موقناً أن كلام الله منظم على غاية حسن النظم. فهذه تمامًا خمسة كتب في فهم ظاهر القرآن الكريم.

ثم عمد رحمه الله تعالى إلى إضافة سبعة كتب في علوم القرآن؛ وأولها كتاب الحكمة؛ وهي:

1- حكمة القرآن.

2- حجج القرآن.

3- القائد إلى عيون العقائد.

4- الرائع في أصول الشرائع.

5- إحكام الفصول بأحكام الرسول.

6- أسباب النزول.

7- الرسوخ في الناسخ والمنسوخ.

المبحث الحادي عشر: رعاية أصول التأويل وقواعده تقي من التلاعب:

إن أصول التفسير موضوعه بيان ما يعصم عمل المفسر من الوقوع في الرأي المذموم.<sup>2</sup> وعليه؛ فإن باستقراءنا القراءة المعاصرة للقرآن الكريم<sup>1</sup> على تنوع

<sup>1</sup> وفي كتاب أصول التأويل يبين ما يؤخذ من المعاني المختلفة، وما لا يؤخذ، وما يمكن بينهما الجمع.

<sup>2</sup> انظر بحث أصول تفسير القرآن الكريم العقلية: الواقع والمقترح، د. إدريس نغش الجابري، ضمن الأبحاث المنشورة في المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في القرآن الكريم وعلومه، في موضوع بناء علم أصول التفسير: الواقع والآفاق: 2/ 1035، مطبعة أنفو- برانت، فاس، المغرب، 1436هـ- 2015م.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

مدارسها؛ فإنها تستهدف إفراغ القرآن الكريم من مضمونه الاعتقادي والتشريعي والأخلاقي، وتعمل على تحويله إلى وعاء فارغ مهياً لكل ما يمكن أن يلصق به من المعاني والأفكار والأيدولوجيات، وهي بالنهاية ترفع القداسة عن النص القرآني، وإن ألبست لبوس المعاصرة والحداثة؛ لكنها أخلت بأصول التفسير، وقواعد التأويل؛ وتحريف الكلم عن مواضعه، وهو ما حذر منه الإمام الفراهي في كل ما كتب.

قال الفراهي: "فهكذا الأمر في القرآن، فإنك كلما زدت علماً رفع لك ستر عن معانيه. وليس لأحد أن يؤول القرآن بما لم يثبت من الحق، وبقي عليه جلباب الشك. فإنه سينقشع عما هو ليس بحق؛ ولذلك ترى حماقات من أوله إلى هواجس نفسه، وأحلام رأسه. ووجب التمسك بآياته البيّنات المحكمات وما ثبت من الأخبار المستفيضة، وكذلك وجب التمسك بكل حق انكشف حق الانكشاف من أي علم كان، لا بما يمهّدونه لتمشية سعيهم ظناً وإدلالاً به، فهو ليس إلا الرأي والتخمين ولا ينبئك مثل خبير".<sup>2</sup>

يقول الفراهي: "الحاجة الشديدة إلى تأسيس أصول التأويل وتشديد مبانيه. إن كل فرقة من المسلمين يتمسك بالقرآن ويأول آياته إلى رأيه حتى اضطر المؤمنون إلى التمسك بالسنة ظناً منهم بأن القرآن ذو وجوه والسنة بنية، والظاهر أن القرآن هو المعتصم والمتمسك المعتمد. والمبطلون إنما حرفوه. فلو أوضحت أصول التأويل لم يمكنهم التحريف".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> من أظهر هؤلاء نصر أبو زيد الذي قال إن القرآن مرتبط بأسباب النزول التي تصل إلى نسبة خيالية؛ من أجل قطع صلة الوحي بالسماء، وشده إلى الأرض وأسباب النزول، متجاهلاً ما دج عليه علماء القرآن من أن معظم القرآن نزل ابتداء.

علاوة على تجاوزه المعنى الذي دل عليه اللفظ القرآني في عصر التنزيل، والبحث عن المغزى، حيث يرى أن المعنى القرآني قد أعطى الأنثى نصيباً محدداً من الميراث بعد المنع المطلق، وعليه، فيجب ألا نقف عند هذا المعنى الذي حدده القرآن، بل علينا أن نتجاوزه إلى المغزى؛ وهو الإنصاف بعد الظلم، لتسير على درب الإنصاف إلى نهايته. انظر نقد الخطاب الديني لنصر حامد أبو زيد: 193، والأساس في أصول التفسير: 25.

<sup>2</sup> دلائل النظام: 58-59.

<sup>3</sup> انظر التكميل في أصول التأويل: 225.

المبحث الثاني عشر: الوظيفة البنائية:

ومعنى ذلك الإحاطة بعلم مصطلح القرآن الكريم، إحاطة تبين أحوال المفردات القرآنية في ذاتها، وفي علاقاتها الممتدة أفقياً بمشتقاتها، وعمودياً بالعائلة المفهومية التي تترابط معها ارتباط ضم أو ارتباط علاقات توالف وتخالف، أو ارتباط قضايا موضوعية معينة، فإذا تبين المفسر ذلك الأمر أمكنه أن يعيد بناء العالم الدلالي لنسق المفاهيم القرآنية، ويقدم للأمة مادة تفسيرية غنية. ولا شك أنّ علم اصطلاح النص أو الدراسة المصطلحية قادرة على أن تنجز هذه المهمة العقلية الرشيدة في علم التفسير. وينتج من ذلك أصلاً خامساً وسادساً هما:

- البيان النسقي للقرآن الكريم على شروطه تفسير معقول.
  - النظرية التفسيرية نسق من القوانين والعناصر الشرعية: أو قل: كل بناء نظري اختلطت فيه العناصر الشرعية بغير الشرعية رأي مذموم.
- والغاية المتوخاة من هذا البيان النسقي هي الوصول إلى الرؤية الكلية للقرآن الكريم: التي يمكن التماسها من محاولات علمية اعتبرت مداخل نافعة لها على تفاوت في أهميتها؛ وهي:

- 1- النظم.
  - 2- المناسبة.
  - 3- التفسير الموضوعي.
  - 4- علم اصطلاح النص (أو الدراسة المصطلحية).
- وينشأ عن هذا أصل هو "النظرية التفسيرية ينبغي أن تسهم في بناء الرؤية الكلية للقرآن الكريم".<sup>1</sup>

وهذا السر في كون الإمام الفراهي ألف في أصول التأويل، وأصدر تفسيره الموسوم "نظام القرآن" رحمه الله رحمة واسعة.

<sup>1</sup> المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في القرن الكريم وعلومه: 2/1044.

المبحث الثالث عشر: مفاتيح تجديد أصول التفسير العقلي الشرعي:

إنّ ثمة جملة من مفاتيح التجديد على مستوى أصول التفسير والتي تمثلت في تراث الفراهي العلمي؛ منها:<sup>1</sup>

- **المفتاح المفهومي:** علم اصطلاح النص أو الدراسة المصطلحية؛ فيها تتحقق جوانب مهمة من الوظائف البيانية والنسقية والإصلاحية.
- **المفتاح الإشكالي:** علم المسائل القرآنية؛ فيه ننتقل من التردد إلى التجديد، ومن إعادة الإنتاج إلى الإنتاج.
- **المفتاح التكاملي:** إذ ينبغي أن يأخذ التفسير بعين الاعتبار التكامل بين العلوم الإسلامية، وهذا التكامل يقتضي جمع الذات على فهم كلي متناسق، يضع لكل مقام مقاله، ولكل موضوع أساليبه، دون أن يؤدي ذلك إلى فصام عقلي، يكون به العالم في كل موضوع بموقف يعارض مواقفه في الموضوعات الأخرى. وينتهي بضرب القرآن بعضه ببعض، ومحاولات الخروج من مأزق التضارب بالدخول في متاهة التأويل.
- **المفتاح العملي:** العمل مفيد في فهم القول وفي إنتاج الدلالة؛ إذ هو إجراءات تكيفية في العلوم، وتميز بين الخير والشر، وتعلق للعلم بالاستعمال والتخلق السلوكي. المفتاح العملي يرتبط بمشكلة العلاقة بين العقل النظري والعقل النظري والعقل العملي في تراثنا العلمي عامة، والتفسييري منه خاصة، أو قل: النظر والعمل، أو العلم والأخلاق. فالفصل بين الطرفين أول ما ينبغي لعلم أصول التفسير العقلي أن يتجه إليه. كان ربط الكلام بالعمل، والفقه بالواقع، والتجربة بالعقل، شعار الفقهاء والعلماء قبل أن يكف الفقه عن الاجتهاد، ويتحول إلى فقه افتراضي جامد، وقبل أن يكف علم التفسير عن التدبر والإبداع، ويتحول إلى ميداع لصراع المذاهب، أو لاستظهار العضلات العلمية

<sup>1</sup> المصدر نفسه: 2/ 1046.

في النحو والبلاغة والكلام ونحو ذلك. فواجب أن يعود علم التفسير إلى الانخراط في هموم الواقع الإنساني ومشكلاته. فيكون تدبر الآيات القرآنية طريقاً لحل المشكلات الاقتصادية والسياسية والتربوية وغيرها من قضايا الناس. فما نزل القرآن إلا للتنفيذ، ولا تنفيذ إلا بفهم سليم.

### الفصل الخامس: استقراء قواعد التأويل عند الإمام الفراهي

تمهيد:

قال الإمام الفراهي: "فإن التأويل إذا لم يؤسس على قواعده التي تكون فارقة بين الحق والباطل، لم يمنع عن القول بالرأي المحض"<sup>1</sup> إذن؛ فإنّ التأويل الصحيح في أصوله، والسليم في نتائجه هو ما اعتمد القواعد الرصينة مجردة من الهوى؛ وقد أفرد موضوع قواعد التفسير بعض الباحثين المعاصرين؛ ومنهم الدكتور خالد السبت،<sup>2</sup> والدكتور حسين الحربي؛<sup>3</sup> وهذي بعض القواعد كما يراها الإمام الفراهي وفق المباحث الآتية:

#### المبحث الأول: معنى قواعد التفسير:

القاعدة في اللغة هي الأصل والأساس؛<sup>4</sup> وهي قضية كلية تنطبق على جزئيات كثيرة.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> التكميل: 218.

<sup>2</sup> قواعد التفسير: جمعاً ودراسة، خالد بن عثمان بن علي السبت، ط1، دار ابن عفان، القاهرة، 1421هـ.

<sup>3</sup> قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي الحربي، إشراف مناع خليل القطان، ط1، دار القاسم، الرياض، 1417هـ، 1996م.

<sup>4</sup> أصل القاعدة في اللغة:

• الثبوت والاستقرار في المكان؛ لقوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [سورة القمر: 55].

• وأساسات البيت؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة البقرة: 127]. وقوله تعالى: ﴿فَأَنقَضَ اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ الْسَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة النحل: 26].

وأما قواعد التفسير فهي الأحكام والضوابط الأغلبية التي يتوصل بها إلى معرفة معاني القرآن الكريمة معرفة صحيحة؛ وتتصف خصائص هي:

- 1- أنها استقرائية.
- 2- أنها أغلبية، ولا يلزم أن تكون كلية.
- 3- أنها تتعلق ببيان المعنى، وبما وراءه من الفوائد والاستنباطات.<sup>2</sup>

المبحث الثاني: قاعدة أن يستوفي شروط المفسر:

إذا كان القرآن الكريم يحتاج إلى تفسير رصين، فيلزم أن لا يقتحمه إلا من يتقن السباحة في لجينه، ولا مكان للجاهلين في محرابه، ولا محل للدجالين على بابه؛ "وهكذا روي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ أو غيرهم، أنهم شددوا في أن يفسر القرآن بغير علم".<sup>3</sup> وقد حكى الإجماع على ذلك العلامة النووي فقال: "ويحرم تفسيره بغير علم، والكلام في معانيه لمن ليس من أهله، وهذا مجمع عليه، وأما تفسير العلماء فحسن بالإجماع".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> وقد عرفها ثلثة من العلماء وفق الآتي:

- الجرجاني: "قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها" انظر التعريفات: 219.
- الكفوي: "قضية كلية من حيث اشتغالها بالقوة على أحكام جزئيات موضوعها" انظر الكليات: 48/4.
- الفيومي: "الأمر الكلي المنطبق على جميع جزئياته" انظر المصباح المنير: 700.
- التهانوي: "أمر كلي منطبق على جميع جزئيات عند تعرف أحكامها منه" انظر كشف اصطلاحات الفنون: 1176/3.

<sup>2</sup> انظر التحرير في أصول التفسير: 292.

<sup>3</sup> مجموع الفتاوى: 13/371. وزاد رحمه الله: "وهكذا قد تخرج جماعة من السلف عند تفسير ما لا علم لهم به" وقال: "فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عند أئمة السلف محمولة على تخرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه"، المصدر نفسه: 13/374.

<sup>4</sup> المجموع شرح المذهب: 2/197، تحقيق محمد بخيت المطيعي، وانظر موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي لسعدي أبي جيب: 2/820، دار الفكر، دمشق، ط2، 1984م.

## العدد الخاص . . . . . مجلة الهند

وقد فصل في الأمر الراغب الأصفهاني في مقدمة جامع التفاسير تحت عنوان: "فصل في بيان الآلات التي يحتاج إليها المفسر" متسائلاً: هل يجوز لكل ذي علم الخوض فيه؟ وقال: إن الواجب أن يبين ما ينطوي عليه القرآن، وما يحتاج إليه المفسر من العلوم، وأن جميع شرائط الإيمان والإسلام وما دعينا إليها واشتمل القرآن عليها ضربان:

- 1- علم غايته الاعتقاد، وهو الإيمان بالله، وملأئكنه، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.
  - 2- وعلم غايته العمل، وهو معرفة أحكام الدين والعمل بها. والعلم مبدأ والعمل تمام، ولا يتم العلم من دون عمل، ولا يخلص العمل من دون العلم.
- ولا يمكن تحصيل هذين إلا بعلوم لفظية، وعقلية، وموهبية.<sup>1</sup>

إنَّ الإمام الفراهي ما ألَّف كتبه النفيسة بما فيها "التكميل في أصول التأويل" إلا ليضع المفسر بين أيدي أصول وقواعد في التدبر جامعاً لآليات النظر الصحيح

<sup>1</sup> واسترسل الراغب في البيان فقال:

فالأول: معرفة الألفاظ: وهو علم اللغة.

والثاني: مناسبة بعض الألفاظ إلى بعض، وهو الاشتقاق.

والثالث: معرفة أحكام ما يعرض الألفاظ من الأبنية والتصاريف والإعراب، وهو النحو.

والرابع: ما يتعلق بذات التنزيل، وهو معرفة القراءات.

والخامس: ما يتعلق بالأسباب التي نزلت عندها الآيات، وشرح الأفاضيل التي تنطوي عليها السور من ذكر الأنبياء عليهم السلام والقرون الماضية وهو علم الآثار والأخبار.

والسادس: ذكر السنن المنقولة عن النبي ﷺ وعن شهد الوحي مما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه، مما هو بيان لمجمل، أو تفسير لمجمل..

والسابع: معرفة الناسخ والمنسوخ، والعموم والخصوص، والإجماع والاختلاف، والمجمل والمفسر، والقياسات الشرعية.. وهو علم أصول الفقه.

الثامن: أحكام الدين وآدابه وآداب السياسات الثلاث التي هي سياسة النفس، والأقارب، والرعية، مع التماسك بالعدالة فيها، وهو علم الفقه والزهد.

والتاسع: معرفة الأدلة العقلية، والبراهين الحقيقية، والتقسيم والتحديد، والفرق بين المعقولات والمظنونيات وغير ذلك، وهو علم الكلام.

والعاشر: علم الموهبة؛ وذلك علم يورثه الله من عمل بما علم. انظر مقدمة جامع التفاسير للراغب الأصفهاني: 94-95 (بتصرف يسير).



وفهم كلام الله على مراده ﷺ. قال رحمه الله: "فإن العلم من طريق الاستنباط والفكر بصيرة وبينة. ولكن من ولي بالمستنبط المتفكر المفرغ جهده في أخذ المعارف من عيونها النضاجة إلا ما شاء الله وفوق كل ذي علم عليم".<sup>1</sup>

وقال رحمه الله: "فهكذا الأمر في القرآن؛ فإنك كلما زدت علماً رفع لك ستر عن معانيه".<sup>2</sup> وقد لاحظ الإمام الفراهي أنّ الصحابة حين تعرضوا للتفسير كانوا مستوفين هذه الشروط كما سنبينه تباعاً؛ فتشدد اليوم الحاجة إلى استيفاء هذه الشروط، ويزيد عليها عمق التدبر والتفكير، مع تذوق اللسان العربي؛ فقال رحمه الله: "لا شك أنّ فقهاء الصحابة بل عامتهم كانوا أبصر وأعلم بالقرآن لوجوه كثيرة. ولم يكن لهم احتياج إلى أصول علم البيان وفروعه، ولا علم النظر والاستدلال. فإن ذوقهم وسلامة عقولهم قد أغناهم عن ذلك".<sup>3</sup> وهذا معناه أنّ على المفسرين اليوم أن يكون لهم ذوق وسلامة في عقولهم بإبصار مختلف العلوم.

حتى وإن كانت كلمة "شروط" لا تستعمل إلا لدى المستنبط للأحكام،<sup>4</sup> فهي في الاجتهاد عامة، فمن التسامح بمكان استعمال الشروط، ونقصد بها الأدوات اللازمة في فهم النص القرآني، والعلوم المساعدة في تدبر القرآن الكريم.

وعلى من اشترط حفظ القرآن الكريم<sup>1</sup> فقد وقّى به الإمام الفراهي فحفظ القرآن وهو صغير، تماماً كما عرجنا عليه في التعريف بسيرته وترجمته العامرة، وإن كان

<sup>1</sup> انظر مفردات الفراهي: 12.

<sup>2</sup> دلائل النظام: 58.

<sup>3</sup> انظر التكميل: 220.

<sup>4</sup> ممن أورد التفريق بين المفسر والمستنبط ابنُ عرفة المالكي التونسي (ت 803هـ)؛ حيث صرح في تفسيره برواية الأبي فقال مستدرّكاً: "لكن الناس على أقسام:

1- مجتهد مفسر كالشيخ عز الدين بن عبد السلام.

2- وآخر مفسر غير مجتهد كسيبويه والفارسي والزجاج والزمخشري فإنهم لم يحصلوا أدوات الاجتهاد وحصلوا أدوات التفسير.

3- وآخر مجتهد غير مفسر... انظر تفسير ابن عرفة: 60/1.

الشرط المتداول لدى علماء القرآن ليس الحفظ وإنما أن يكون عارفاً بمواضع آيات الأحكام.

وقد كان الإمام الفراهي رحمه الله عالماً بأصول الفقه وهو من شروط الاجتهاد، وطرق الاستنباط، حتى أُلّف فيه أكثر من كتاب منها:

1- التكميل في أصول التأويل.<sup>2</sup>

2- والرائع في أصول الشرائع.<sup>3</sup>

كما أنّ من العلوم المهمة، والأدوات اللازمة لفهم النص وتدبره، "معرفة معاني مفردات القرآن"؛ وقد أفردتها بالتأليف في كتاب "مفردات القرآن للفراهي"، وخصصت له فصلاً مستقلاً لأهميته من هذه الدراسة. فقال رحمه الله في مقدمة مفرداته: "ولا يخفى أنّ المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى في فهم الكلام".<sup>4</sup> والناسخ والمنسوخ أفردته بالتأليف في كتاب: "الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ".<sup>5</sup> وكان عالماً بأسباب النزول، وقد أفردته بالتأليف بعنوان: "أسباب النزول".<sup>6</sup>

<sup>1</sup> قال ابن عرفة المالكي التونسي في تفسيره: "والمفسر من شروطه حفظ القرآن كله؛ لأن المفسر إذا استحضر آية لا يحل له أن يفسرها، لاحتمال أن يكون هنالك آية أخرى ناسخة لها أو مقيدة أو مخصصة أو مبينة، فلا بد للمفسر من حفظ القرآن كله. هذا، ولا حاجة له بطلبه؛ لأن التفسير من قام به موجود في الكتب. وأقل التفسير يحتاج فيه إلى المشاركة في العلوم المشتركة في المفسر؛ ليفهم ما ينقل، ونحن الآن ناقلون لا يلزمنا حفظ القرآن كله". انظر تفسير ابن عرفة: 61/1.

<sup>2</sup> التكميل في أصول التأويل في 69 صفحة، الدائرة الحميدية بالهند، ط1، 1388هـ.

<sup>3</sup> طبعته الدائرة الحميدية، إعداد د. عبيد الله الفراهي، والشيخ محمد أمانة الله الإصلاحي، الطبعة الأولى، 1432هـ، 2011م، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن المجموعة الثانية، سرائر مير، أعظم كره، يو-بي، الهند.

<sup>4</sup> انظر مقدمة مفردات القرآن: 95.

<sup>5</sup> طبعته الدائرة الحميدية، إعداد د. عبيد الله الفراهي، والشيخ محمد أمانة الله الإصلاحي، الطبعة الأولى، 1432هـ، 2011م، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن المجموعة الثانية، سرائر مير، أعظم كره، يو-بي، الهند.

<sup>6</sup> طبعته الدائرة الحميدية، إعداد د. عبيد الله الفراهي، والشيخ محمد أمانة الله الإصلاحي، الطبعة الأولى، 1432هـ، 2011م، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن المجموعة الثانية، سرائر مير، أعظم كره، يو-بي، الهند.

المبحث الثالث: قاعدة وجوب التدبر والتفكير في كتاب الله:

وذلك بناء على أنّ الكتاب حث على التدبر في أكثر من آية، وكذا السنة المطهرة، وهو تمامًا فعل الصحابة رضي الله عنهم؛ حيث كان ديدهم التدبر لكتاب الله تعالى، والتفكير في معانيه وحكمه، وقد أفصحوا فيما وصلنا من رواياتهم عن نتائج تدبرهم القائم على أصوله، أي أنّ تأويلاتهم كانت بناء على العلم الرصين والنظر الصحيح، والخلفية اللغوية المحيطة بأسرارها، وإدراكهم لأسباب النزول، وشرف صحبتهم للنبي ﷺ، ودرايتهم بمقاصد التشريع الذي عاصروا تنزيله لحظة بلحظة فتكونت لديهم ملكة التأويل وفاقًا لأصولها ورسخت فيما بعد بطول التدبر وعمق التفكير في القرآن الكريم.

وحق بالنسبة لأهل الباطل الذين تأولوا القرآن الكريم وأبعدوا فيه النجعة لا يمكن مقاومتهم بما صح من روايات فحسب، بل لا بد من خوض غمار التأويل مستوفيًا شروطه وقواعده لاستكشاف أسرار القرآن الكريم المكنونة، واستجلاء أحكامه وحكمه البالغة.

والعجب أن يشتبه الحق بالباطل كأن يظهر من يدافع عن القرآن الكريم بالسنن والآثار، ويعتبر كل تأمل أو تدبر لكتاب الله- وإن لم يرو عن السلف- ضربًا من الرأي الفاسد. ولعل هذا من عوائق التدبر قال الإمام الفراهي: "وإذ غلب على أكثر الناس أن القول بما لم يروا عن السلف هو القول بالرأي، فصار ذلك مانعًا عن التفكير والتدبر".<sup>1</sup> وما أحوج الأمة أن تتبين الفرق بين الرأي القائم على الهوى والبدع والضلالات، والرأي القائم على التأويل الصحيح، والتدبر الرصين، والتفكير العميق.

المبحث الرابع: قاعدة أمية النبي ﷺ لم تكن عائقًا من التدبر!

إن من الناس من يظن أنّ الرسول ﷺ كان أميًا من قوم أميين فلم يكن له دقة النظر ولم يخاطبهم إلا بما يفهمه العامة البسطاء وبذلك يسيئون الظن بالقرآن

<sup>1</sup> التكميل: 218.

ويمنعون عن التدبر فيه ويجمدون على ظواهر اللفظ وينكرون ما انطوى عليه من الحكم والأسرار. وهذا رأي باطل، وصرح القرآن بخلافه. فالنظر في أمثلة استنباطات الرسول ﷺ يفتح عيونهم. ومن هذه الجهة يكون كتابنا هذا من قسم ما كتبنا في حجج القرآن، وحكمة القرآن، وأوصاف القرآن وغيرها.<sup>1</sup>

#### المبحث الخامس: قاعدة التدبر وسيلة إلى إدراك النظام:

كان الإمام الفراهي يرى أنّ التدبر أفضل وسيلة وأمثل طريقة لمعرفة النظام؛ لأنّ المولى ﷺ جعل القرآن الكريم محلاً للتدبر والتفكير. بل ومن نظر في مطالب الآيات على حديثها، ولم يتأمل في مناسبة أجزاء السورة، فقد عميت عليه الحكمة وحسن نظامها؛ لأنّ أكثر الحكم مخبوءة تحت دلالات النظام. وأنّ معاني القرآن لا تنكشف إلا للمتقين الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون. ثم إن التدبر حسب الإمام الفراهي مع الإيمان بالآخرة هو أول مفاتيح كنوز القرآن تمامًا كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۖ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِرَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَنْ أَدْبَرْتَهُمْ نُفُورًا ۚ﴾ [سورة الإسراء: 45-46].

#### المبحث السادس: ما هي دلائل وجوب التدبر في كتاب الله؟

وقد شغل هذا الأمر عقل الإمام الفراهي؛ نظرًا لوجود عقول جامدة، وأنفس خاملة، وثقافة مكبلّة غير منفتحة، وعلماء مغلقين تشكّلت عقولهم على نظرية الاحتياط المفرط، وسد الذرائع الموحش، فأقفلوا كل ما له علاقة بالتدبر والتأويل، وكأنها بضاعة المبتدعة لا تمت بصلة إلى العقل الإسلامي الرصين؛ فاحتاج الأمر إلى إقامة البرهان عليه؛ وقد ركز الإمام الفراهي على ثلاثة أدلة في قوله: "إن الله تعالى قد أمر به في غير ما آية أمرًا صريحًا. وبين مواضع التدبر

<sup>1</sup> إحكام الأصول بأحكام الرسول ﷺ: 110، ضمن المجموعة الثانية لرسائل الإمام الفراهي.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

والاستدلال والنظر ولم يبين ما يكشف بعد التدبر. وبعث النبي ﷺ معلماً للحكمة كما بعثه معلماً للشرائع، وقد علمها وحث عليها هدى إلى طرقها".<sup>1</sup>

وهذا النص في غاية الدقة وحسن الاستدلال نبسط القول حوله لأهميته؛ وأدلة التدبر كثيرة منها الأدلة الثلاثة التي ألمع إليها فضيلته؛ وذلك وفق الآتي:<sup>2</sup>

1- إن الله تعالى قد أمر به في غير ما آية أمراً صريحاً:

لقد وردت نصوص كثيرة تدعو قراء القرآن الكريم للتدبر. ومن تلكم النصوص:

❖ قوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص: 29].

❖ وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد: 24].

والتدبر هو التفكير والتأمل؛ فهو مأخوذ من الدبر، وهو مؤخر الشيء.<sup>3</sup>

"وكان الناظر في آيات القرآن يعمل عقله وفكره فيها، ويلاحظ أواخر معاني كلماتها، أي المعاني الخفية، واللطائف الدقيقة، والنكات اللطيفة، التي لا يلاحظها الإنسان العادي".<sup>4</sup>

وقد لفت القرآن إلى موضوع الأقفال التي تحول دون تدبر آيات الكتاب العزيز؛ من أجل أن نتحاشاها، ليفتح الله على قلوبنا فنذكر بعض تلكم الأسرار، وذلك لأنه من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، "وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به

<sup>1</sup> التكميل: 219.

<sup>2</sup> انظر حاجة العلوم الإسلامية إلى اللغة العربية: دراسة تأصيلية تطبيقية، د. حسن يشو: 169 وما بعده.

<sup>3</sup> قال ابن فارس: "دبر الشيء: هو آخره، وخلفه، بخلاف قبله" انظر معجم مقاييس اللغة: 2/324.

<sup>4</sup> انظر لطائف قرآنية ت. د. صلاح الخالدي: 13، ط3، 1425 هـ، 2004 م، دار القلم، دمشق.

الألسنة، ولا يشيع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم ينته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝﴾ [سورة الجن: 1-2]. من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم<sup>1</sup>.

وهذا يتطلب جهداً لمعرفة العربية وأسرارها، فقد يحرم من لا دراية له بها من الفتح الرباني، في تدبر آياته، فما السبيل إليها بغير زاد العربية لسان القرآن الكريم؟ وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذهب العرب، وافتنانها في الأساليب، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات<sup>2</sup>.

2- وبين مواضع التدبر والاستدلال والنظر ولم يبين ما يكشف بعد التدبر: وذلك لسبب بسيط هو أن يعمل المتدبرون عقولهم، وقاعدة التأويل وقوانين التدبر للوصول إلى النتائج؛ فبات هذا الأمر محفراً على التدبر، إنه كتاب عظيم كان يمكن أن يجمع مقاصده وأسراره كاملة، ويتعطل العقل البشري من استنفاد الوسع لإدراك الأحكام والحكم، واكتشاف العلل والغايات، واللطائف والأسرار. فبين الله تعالى مواضع التدبر والاستدلال والنظر ولم يبين ما يكشف بعد التدبر تاركاً إياه لنا، ولقراء القرآن، والمفسرين، وعامة المتدبرين.

3- وبعث الله النبي ﷺ معلماً للحكمة كما بعثه معلماً للشرائع، وقد علمها وحث عليها، وهدى إلى طرقها: بحيث كان النبي ﷺ عربياً؛ وأفصح من نطق

<sup>1</sup> أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في تعليم القرآن برقم (3071)، هذا، وقد ضعفه الجلة من علماء الحديث هذا الحديث من حيث رفعه للنبي ﷺ، ولكن صححوا وقفه على علي بن أبي طالب عليه السلام. قال ابن قيم الجوزية: "وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام قد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح" انظر فضائل القرآن لابن كثير: 5.

<sup>2</sup> تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: 12. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فأما القرآن فلا يقرؤه بغير العربية، سواء قدر عليها أم لم يقدر عند الجمهور، وهو الصواب الذي لا رب فيه" انظر اقتضاء الصراط المستقيم: 462/1.

بالضاد،<sup>1</sup> ولقد أوتي جوامع الكلم؛ وذلك لقوله ﷺ: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"<sup>2</sup>، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة إبراهيم: 4]. وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَيِّنَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [سورة مريم: 97]. وقال الإمام الشافعي: "وبلسانها- أي العربية- نزل الكتاب وجاءت السنة"<sup>3</sup>. قال القاضي عياض: "وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول، فقد كان ﷺ ذلك المحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل، سلامة طبع وبراعة منزع وإيجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف أوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعُلم السنة العرب، فكان يخاطب في كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها وبيارمها في منزع بلاغتها"<sup>4</sup>. وهذه القاعدة المطردة ها هنا في بيان النبي ﷺ وحكمته المتدفقة؛ ومما يتفرع عنها ما يأتي:

- 1- فمنها أنه كان يلقي المسألة إليهم لكي يستنبطوا.<sup>5</sup>
- 2- ومنها أنه ﷺ نهى عن السؤال لكي يستعملوا النظر والفكر مع مصالح آخر.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> وتروى هنا رواية لم تصح هي: "أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أي من قريش وإني نشأت في بني سعد بن بكر" عن المزهر للسيوطي: 210/1.

<sup>2</sup> أخرجه أبو داود برقم (4604) ونحوه عند الترمذي برقم (2664) (2665)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه برقم (12) و (13).

<sup>3</sup> الرسالة: 53.

<sup>4</sup> انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى: 44/1.

<sup>5</sup> روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر ؓ عن النبي ﷺ قال: "إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم حذثوني ما هي؟"، فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبد الله: "وقع في نفسي أنها النخلة". ثم قالوا: "حدثنا يا رسول الله ما هي؟ قال: "هي النخلة".

<sup>6</sup> عن ثابت بن أنس ؓ قال: "نهينا في القرآن أن نسأل النبي ﷺ فكان يعجبنا أن يعي الرجل من أهل البادية العاقل، فيسأله ونحن نسمعه. لعله أراد بالنبي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْفَرْءُ أَنْ تُبَدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ عَفُورٌ ۖ حَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة: 101]؛ ولعله أراد بقوله: "العاقل" أن يسأل عن أمر مهم نافع.

3- كان الصحابة يتساءلون بينهم عن معاني القرآن، ويعملون فيها الفكر كما سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما كان من الإشارة في سورة النصر. فلم يجدها في من حضرة من كبار الناس غير عبد الله بن عباس رضي الله عنه وصوب عمر رضي الله عنه قوله<sup>1</sup> وفي رواية أنه كان علمه ذلك، وهذا لما رأى استعداده وشوقه لفهم القرآن والتفقه في الدين. فكان عنايته به أكثر.<sup>2</sup>

المبحث السابع: قاعدة القرآن هو الحاكم عند اختلاف الروايات:

ويستغرب من تعدد الروايات المنسوبة للصحابة والنبى صلى الله عليه وسلم في تأويل قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَرْ﴾ [سورة الكوثر: 2]، إلى درجة أن يكون هذا الاختلاف فاحشاً فذكروا أنها "وضع يده اليمنى على وسط ساعده ثم وضعها على صدره في الصلاة".<sup>3</sup> بمعنى أن قوله تعالى: ﴿وَأَنحَرْ﴾ هي وضع اليد على موضع النحر! ويعلق على أن الطريق الصحيح للتأويل الصحيح هو التدبر كما ألمعنا إليه آنفاً، واعتماد اللغة السائدة، والقرآن الكريم هو الحاكم تؤول الروايات في ضوءه، لا أن يؤول القرآن في ضوء الروايات المختلفة لحد التناقض، فقال رحمه الله: "فلا سبيل إلى الاطمئنان من هذه الروايات المتناقضة التي لا يزداد شاربها إلا ظمأ والراكن إليها إلا قلقاً، ولكنك إن أخذت السبيل الواضح؛ وهو اتباع اللغة السائدة، والنور البازغ؛ وهو التدبر في القرآن هديت إلى صحة معنى ﴿وَأَنحَرْ﴾ واطمأنتت".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> أوردها البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن قد علمتم فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم، فما رؤيت أنه دعاني فهم يومئذ إلا ليربهم، فقال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [سورة النصر: 1-3]، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فقال عمر بن الخطاب: لا أعلم منها إلا ما تقول. تفرد به البخاري.

<sup>2</sup> انظر التكميل: 219-220.

<sup>3</sup> الدر المنثور: 403/6.

<sup>4</sup> تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان: 72.



المبحث الثامن: قاعدة لا يؤخذ من الروايات ما يهدم الأصل ويقبله:

وقد أورد فضيلة الإمام الفراهي المآخذ الخبرية التي يستعان بها على فهم القرآن وتفسير آيه؛ فميز بين ما هو أصل وإمام، وما هو كالفرع والتبع.

فأما الإمام والأساس فليس إلا القرآن نفسه، وأما ما هو كالفرع والتبع فذلك ثلاثة:

- 1- ما تلقته علماء الأمة من الأحاديث النبوية.
- 2- وما ثبت واجتمعت الأمة عليه من أحوال الأمم.
- 3- وما استحفظ من الكتب المنزلة على الأنبياء. ولولا تطرق الظن والشبهة إلى الأحاديث والتاريخ، والكتب المنزلة من قبل لما جعلناها كالفرع، بل كان كل ذلك أصلاً ثابتاً يعضد بعضه بعضاً من غير مخالفة.

وأكد قضيته بناء على ما سبق ممحصاً ومقرراً: "فوجب على من يحاول فهم القرآن أن لا يأخذ من الروايات ما يهدم الأصل أو يقلعه فإنني رأيت بعض الروايات تطلع الآيات وتقطع نظمها إلا أن تؤول، ولكن التعجب ممن يؤول الآية ولا يؤول الرواية، وربما لا يؤول الآية بل يرضى بقطع نظامها، والفرع أولى بالقطع".<sup>1</sup>

وكأين رأينا من فروع طويلة تموت إذا لم تحين أصول

وبناء على نظريته هذه لا يرى وجهاً أن تنسخ الروايات الحديثية القرآن الكريم، فالقرآن أصل لا يتأثر بالفرع الذي ينبغي أن يكون في خدمة الأصل لا العكس! ونرجئ هذا الحديث في مبحث الناسخ والمنسوخ كما يراه العلامة الفراهي.

ويرى فضيلته أن الحفظ إنما هو حصرياً للقرآن الكريم تماماً كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: 9]، واستغرب أن يذهب بالمخالفين لهذا الشغف إلى أن الحديث داخل تحت الآية، قال رحمه الله: "ولم يتفكروا نتائج هذا القول فحان لي أن أرفع راية الصدق ولا أبالي، ولو قطعوا رأسي لديه وأوصالي".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان: 28.

<sup>2</sup> تفسير القرآن المقدمة (17): 70.

المبحث التاسع: قاعدة التنقيذ:

يستعمل الإمام الفراهي مصطلح التنقيذ بدل النقد على غرار التطبيق والتعصيد وغيرهما، لاسيما في التراث والمرويات، وكتب الحديث وأسباب النزول، والإسرائيليات، وكتب الفلسفة وغيرها؛ فقال الفراهي رحمه الله: "ومن أراد التأمل الصحيح والتدبر التام وجب عليه ألا يغفل عن التنقيذ فيما يأخذه من هذه العلوم كلها. ومن يتمسك بالقرآن، وينور الله عقله به، يطلع على أغلاط كثيرة في كتب القوم. والضرر يكون بقدر الاعتماد عليها والغفلة من التنقيذ. ومضرة كتب الفلسفة أضل وأوغل؛ فإن معظم القرآن الحكمة، وهي الأصل، ولا سبيل إلى فهمها من القرآن دون الاطلاع على معاني كلماتها المفردة، ودون العلم بصحيح علوم اللسان من البيان الحافل دلالت.."<sup>1</sup>

المبحث العاشر: قاعدة معرفة سبب الخطأ في التأويل المنحرف:

وذلك بناء على أن الحق واحد لا يتعدد، حسب رأي المخطئة في أصول الفقه؛<sup>2</sup> وهو مذهب جمهور الفقهاء وعلماء الأصول، فبات مسلماً أن الحق لا يناقض بعضه بعضاً، وهي ضربة لازب بالنسبة للقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. والغريب أن يأتي أصحاب العقائد الفاسدة والملل والنحل لاسيما من كانوا من بني جلدتنا ويتكلمون بلغتنا، فإنهم كلما وجدوا ما لا تشهد له النصوص القرآنية تأولوا النصوص ولووا أعناقهما حتى تطاوعهم فيما توجهوا إليه من خلفية أيديولوجية. من هنا ينشأ التأويل المنحرف والساقط؛ لأن الأصل أن نعكس الآية حين التعارض مع القرآن والتصادم مع آيه؛ وذلك بتصحيح العقائد والأفكار على مرجعية القرآن العليا والإمساك عن التأويل الهابط والمستبعد.

<sup>1</sup> مفردات الفراهي: 99.

<sup>2</sup> ويقابلهم المصوبة الذين يزعمون إلى أن الحق متعدد، وأن الآراء وإن اختلفت فكلها على صواب!

من هنا قال الإمام الفراهي: "فعلى هذا كل من اتخذ عقيدة وثبتت عنده من أي دليل كان، ووجد ظاهر القرآن لا يوافقه، التزم تأويل القرآن إلى ما اعتقده. ومن هذا الباب دخل كثير من التأويلات التي لا تصح.

ثم إنهم ربما التزموا تأويلًا، يمكن تصحيح العقيدة التي لأجلها أولوا بغير ذلك التأويل. فالأصل الراسخ استعمال أصول مختصة للتأويل. وإن وجدت عقيدة لا توافق القرآن:

فإما أن تصلح تلك العقيدة حتى تصبح موافقة بالكتاب، أو تنظر مرة أخرى في القرآن لعل الله تعالى يهدي إلى التوفيق أو يتوقف.

وأما صرف القرآن عن معناه على غير أصول التأويل فهو التعرض للتحريف".<sup>1</sup>

#### المبحث الحادي عشر: تمييزه بين التأويل والتحريف والتفصيل:

يرى الإمام الفراهي أن التأويل هو "حمل الكلام على ما يحتمله نقلاً أو عقلاً"، وأما التحريف فهو حمله على ما لا يحتمل"، ويبقى أن التفصيل هو "ذكر أجزاء لم تذكر لجامع يحتملها". وإن الفرق بين هذه الثلاثة من أشد الأمور وجوباً لفهم القرآن والتمسك به.

ثم إن عملية الخلط بين الثلاثة مصطلحات تفضي إلى مفاسد جمّة، لاسيما بين التحريف والمصطلحين الباقيين، وقد يهون إلى حد ما بين التأويل والتفصيل، فوجب التنبيه على ذلك؛ فقال الإمام الفراهي: "والضرر من تخليط التأويل بالتفصيل أهون من ضرر تخليط التحريف بهما. فإنه باطل محض، وافتراء على الله، وهدم لدينه، وإقامة لدين آخر. ألا ترى كيف ضلت النصارى واليهود بتحريف الكلم عن مواضعه؟ وكيف لعن الله اليهود خصوصاً؟ لأن الذي بدّل النصرانية كان يهودياً عدواً للنصارى. وما أشد غضب الله على من تعمد إضلال

<sup>1</sup> التكميل: 228.

عباده؟ وما أشد ضلالة من اتبع عدوه؟ وقد كادت اليهود هذا الكيد بالمسلمين حسب عاداتهم ولكن حفظنا الله".<sup>1</sup>

المبحث الثاني عشر: قاعدة الأصل في كتاب الله المحكمات وتأويل المتشابهات  
أول الواجبات:

لقد أثار الإمام الفراهي موضوع المتشابه؛ وهو لا ينفك عن الدراسات القرآنية؛ لورود النص من آل عمران في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلَةٍ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ [سورة آل عمران: 7].

وكان يرفض التأويل الأيديولوجي للنص، فإن وافقت مذهب القوم كانت محكمة عندهم قطعاً، وإن خالفهم فيما اتجهوا إليه كانت متشابهة عندهم؛ قال الفراهي: "ثم كان دأبهم أن جعلوا الآيات الظاهرة متشابهات إذا ظنوها على خلاف ما برهنوا عليه، فكانت الآية الواحدة محكمة عند فرقة، ومتشابهة عند أخرى".<sup>2</sup>

ويرى الفراهي أنه من حزب العقل والبرهان يؤمن بأن الأصل في كتاب الله تعالى المحكمات وأن القرآن "هو القطعي في دلالاته والفاصل في حكمه، وأما حديث المتشابهات فالكشف عنه أول ما يجب علينا؛ فإن الغلط في تفسيره ذهب بنا عن المهييع".<sup>3</sup>

ويكون تأويل المتشابهات بشرط ألا يكون مظنة للفتنة وألا يغلو فيها غال ويسلط الوهم على عقله. يقول: "فاعلم أن في القرآن ذكراً من صفات الناس من غير تصريح أسماء الذين هم الموصوفون بها، وكذلك تلميحات إلى بعض الوقائع. والحكمة في

<sup>1</sup> المصدر نفسه: 227 - 228.

<sup>2</sup> المصدر نفسه: 233.

<sup>3</sup> المصدر نفسه: 234.

تعميم هذه الصفات أو اختيار التلميح على التصريح في مواقعها. تظهر على من يتأمل ويرى أن ذلك أبلغ في الهداية وأسلم من الجمود في أمور الدين".<sup>1</sup>

المبحث الرابع عشر: قاعدة لا تفسر ألفاظ القرآن بغير ما تعرفه العرب من كلامها:

وذلك بناء على قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة يوسف: 2]؛ لأن هذا القرآن يفهم معناه في ضوء كلام العرب، وأساليب العرب، وبلاغة العرب، لا على المصطلحات الغريبة التي تقحم بالتعسف لتخدم معنى غريباً لا يسمح به السياق، فكان الإمام الفراهي يرفض أن يؤول القرآن في ضوء اختلاف الروايات، وموقفه صارم في تأويل الروايات في ضوء القرآن الكريم، فما بالك بالكلام الغريب الذي يرسل هنا وهناك من غير زمام ولا خطام!

وعليه: تبنى قاعدة: أن "اللفظ المشهور في اللغة مقدم على اللفظ الأقل أو الشاذ" وهذا يحتاج إلى أمثلة؛ وذلك كمن فسّر من الروافض النصوص الآتية بما لا أصل له في اللغة البتة:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [سورة البقرة: 67]، فقالوا: أي عائشة!
- وقوله تعالى: ﴿مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [سورة الرحمن: 19]، فقالوا: أي علي وفاطمة.

<sup>1</sup> المصدر نفسه: 238. ويستدرك رحمه الله: "ولكن من تتبع الآيات وسرح النظر في التاريخ. ربما لمح له مصداق الصفة العامة، فتعينت له الواقعة الخاصة فيزداد بذلك فهمًا لرباط الكلام ومواقع السور والآيات ومحاسن النظام، وليس ذلك مما نص عليه القرآن والخلاف فيه ليس من اختلاف الأمة الذي حذرنا الله تعالى عنه والمشاجرة فيه أتم. وقد رأينا السلف فيه مختلفين من غير تكبر، ولا رد بعضهم بعضًا. والمسلك المأمون تطبيق أقوال السلف كاختلافهم في موقع آية شق القمر والتطبيق واضح. فإن كل واحد رأى حيث كان فمهم من رأى القمر الثابت على قبيس، ومنهم من رأى على جبل حرا، وكذلك الفلقة الساقطة منه رأوها حسب مناظرهم.." المصدر نفسه: 238.

- وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [سورة الرحمن: 22]، فقالوا:

أي الحسن والحسين!

وقد بين الإمام الفراهي وجوه الخطأ في التفسير فقال: "بعدما تفرقت أمة محمد ﷺ في المذهب، واتخذ كل فرقة مذهباً خاصاً، متميزة في فروع تخص بها، اعتقد أنّ خلافه باطل محض، فأول القرآن إلى مذهبه وجاء إليه بقلب غير ساذج، فتأويل بعض المفسرين يناقض بعضاً فوجب للمفسر أن لا يكون له مذهب خاص قبل التفسير ولا يجوز للمقلد أن ينظر في القرآن".<sup>1</sup>

ثم إن الإمام الفراهي يرجع إلى كلام العرب القديم، ويميز بين العربي الفصح والمولد، وحتى القديم فإنه ينخله نخلاً، وينقده نقداً، بتميز شاذه عن قحه، ومنحوه عن صحيحه؛ فقال: "فأما في سائر الألفاظ حقيقتها ومجازها فالمأخذ فيه كلام العرب القديم والقرآن نفسه".<sup>2</sup> واسترسل فقال: "وكذلك يجب أن نترك المعنى الشاذ من اللغة كما قيل في معنى التمني أنه هو التلاوة".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> دلائل النظام: 138. وقال رحمه الله: "ميلان المتكلمين إلى إنكار كل ما يكون عليهم حجة فإنهم

يختارون من المدافع أقواها والإنكار من أقوى المدافع"، المصدر نفسه: 139.

<sup>2</sup> تفسير نظام القرآن: 32.

<sup>3</sup> المصدر نفسه: 32.

## منهج الفراهي منهج علمي متميز

- د. محمد عناية الله أسد سبحاني<sup>1</sup>

ترجمة من الأردوية: د. محمد أجمل<sup>2</sup>

كان من فضل الله على علماء هذه الأمة - أمة محمد عليه الصلاة والسلام، أنهم عُنوا عناية كبيرة بتعلم كتاب الله وتعليمه، وفهمه وتفسيره في كل عصر، وفي كل قطر، فلا تجد عصرًا من عصور المسلمين، ولا قطرًا من أقطارهم إلا والقرآن العظيم موضع اهتمامهم، وموضوع تفكيرهم ودراستهم.

فكم أنجبت الأمة الإسلامية من الجهابذة والعباقرة والعمالقة في مجال العلم والثقافة والحضارة!

وما أنجبت الأمة تلك الأفواج تلو الأفواج - ما أنجبت تلك الأفواج الغفيرة المشرقة المتألثة من العباقرة والعمالقة والجهابذة إلا بفضل هذا القرآن العظيم.

فهم كانوا يمسون ويصبحون مع هذا القرآن العظيم، وكانوا يتنافسون في تذوقه وتدبره وإثارة علومه، وكانوا يتنافسون في اكتشاف درره وفرائده، وكانوا يتنافسون في الاطلاع على خزائنه وكنوزه.

هم غاصوا في بحار القرآن غوصًا، وفازوا بما أرادوا منه فوزًا، وأنشؤوا من درره وفرائده حضارة علمية راقية، حضارة سامقة مباركة، حضارة رفعت رأس الأمة الإسلامية متفوقة على أخواتها من أمم العالم.

وأصبحت المكتبة الإسلامية بفضل جهودهم الدائبة المتواصلة عامرة حافلة بآلاف الأسفار، وآلاف المجلدات في مجال التفسير وعلوم القرآن ومهارات أخرى متنوعة.

<sup>1</sup> كاتب ومترجم هندي للدراسات الإسلامية

<sup>2</sup> أستاذ مساعد، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي

إمامنا الفراهي ملأ الفراغ! ولكن مع هذا كله كان هناك مكان شاغر فارغ في مجال تدبر القرآن وتفسيره، والتنقيب عن علومه وأسراره، والغوص على كنوزه وبقايقته.

وبقي ذلك المكان شاغراً فارغاً ردحاً من الدهر حتى ملأه عالم جهبذ، ومفسر عبقرى من بلاد الهند، ألا وهو الإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله رحمة واسعة، وملأ قبره نوراً وأزهاراً.

فالإمام عبد الحميد الفراهي كان من غير شك علماً بارزاً من أعلام التفسير. وكانت له آراء سديدة، ولفترات بارعة، وإضافات قيمة، ومواقف مشرقة في مجال التفسير، وأصول التفسير وعلوم قرآنية أخرى.

قال الدكتور محمد لطفي الصباغ، وهو يقدم كتابه "بحوث في أصول التفسير": "وعلم أصول التفسير يمكن أن نصنّفه في العلوم القابلة للنمو، ذلك لأن العلوم أنواع: فمنها ما بلغ الغاية في النضج حتى قال عنه الباحثون إنه احترق .. ومنها علوم نضجت ولم تحترق، ومنها علوم ما زالت سائرة في طريق النضج، ولما تبلغ تلك النهاية التي بلغت العلوم الأخرى .. ونستطيع أن نلحق علم أصول التفسير بهذه الزمرة من العلوم." (د. محمد لطفي الصباغ: بحوث في أصول التفسير، ص: 12)

وإذا كان علم أصول التفسير من العلوم القابلة للنمو فبالأولى والأحرى يلحق علم التفسير بتلك الزمرة من العلوم؛ فإن علم التفسير لا يمكن نضجه قبل أن ينضج علم أصول التفسير.

ومن هنا كانت للإمام الفراهي (1863-1930م) على الرغم من تأخره في الزمان لفتات رائعة، وإشراقات نيرة، وابتكارات ناضجة، وإضافات قيمة مثمرة في علم التفسير وأصول التفسير.

ومنهجه في التفسير له مزايا وخصائص قلما اجتمعت في غيره من مناهج التفسير والتفكير. وهي جديرة بالتحريير والتنوير، وجديرة بالتنويه والتقدير، وجديرة بأن تكون لنا عندها وقفات واعية جادة.



وها هي ذي تلك الخصائص والمزايا:

الميزة الأولى: استشعار عظمة القرآن: القرآن كلام عظيم، وكلام رب عظيم، وأي عالم عاقل فاهم يشك في أن القرآن عظيم جد عظيم؟

ولكن تطبيق هذه الفكرة في المجال العلمي والثقافي ليس سهلاً. فكثيراً ما يؤتي الإنسان في بحوثه ودراساته وممارساته العلمية، ويقول ويكتب كلاماً لا يتفق مع عظمة القرآن، مع أنه يؤمن بعظمة القرآن، ويؤمن بأن القرآن لا يساويه شيء، وهو فوق كل شيء.

هو يؤمن بعظمة القرآن إيماناً، ولكنه يُغلب على أمره، ويجعل القرآن تابعاً غير متبوع، وهو لا يشعر!

والفراحي رحمه الله حين دخل في هذا الرهان، دخل فيه وقلبه مفعم بعظمة القرآن، وهيمنة القرآن، فاستعلى على الغاية، ولم يُحسر دونها.

هو يحتكم دائماً إلى القرآن، ولا يأخذ شيئاً ولا يترك إلا بحكم القرآن، ويرى ذلك من مقتضيات الإيمان بعظمة القرآن، وهيمنة القرآن. يقول الفراحي:

"قد أراني الله تعالى - وله الحمد - طريقاً لطيفاً لفهم الكتاب والسنة، وبذلك فتح على عبده باباً عظيماً للتوفيق بينهما، حتى لم يبق من الأحكام ما يفرض فيه الزيادة الشبيهة بالنسخ، أو النسخ الصريح، فانقشعت الغمة التي تخاصموا تحتها، وبدت عين صافية نظّاحة من كتاب الله يجري ماؤها في جداول السنة إلى زرع مباركة من النور والحكمة. وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً واضحاً لهذه البركات الروحانية، وكأنه صلى الله عليه وسلم فسّر به قوله تعالى: "وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا" (سورة البقرة: 269) (الفراحي، إحصاء الأصول بأحكام الرسول، ص 115-116)

شرع كامل لا يقبل أي زيادة: يعتقد الفراحي أن القرآن شرع كامل ختم عليه بوصف الكمال على لسان الوحي، حيث قال تعالى: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا". (سورة المائدة: 3)

فالقُرآن شرع كامل، والكامل لا يقبل زيادة ولا إضافة، والذي يقبل الزيادة والإضافة لا يكون كاملاً.

ومن هنا يقبل الفراهي من الروايات والآثار ما كان من قبيل البيان، ولا يقبل منها ما كان من قبيل الزيادة عليه والإضافة إليه، فإن الله سبحانه وتعالى استأثر لنفسه بحق التشريع، وأمر رسوله أن يبين للناس ما شرع لهم، ولم يأذن له بالزيادة فيه، حيث قال تعالى:

"شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ". (سورة الشورى: 13)

وقال تعالى:

"أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا الْفَصْلُ لَفُتِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (سورة الشورى: 21)

فالزيادة في شرع الله ليست من وظيفة رسول الله، وإنما وظيفته التي أسندت إليه هي البيان والتبليغ.

قال الفراهي: "لأن الشارع ليس إلا الله، فله الحكم، والنبي رسوله، وليس له أن يشرع من عنده شيئاً". (الفراهي، الرائع في أصول الشرائع، ص 36)

لا يقال: إن الزيادة والإضافة من البيان، فإن الزيادة هي الزيادة، والإضافة هي الإضافة، والبيان بيان. وليست الزيادة ولا الإضافة من البيان، فبينهما بون شاسع.

الحدّ هو الجلد دون الرجم والتغريب: فالقُرآن - مثلاً - حين ذكر في سورة النور حدّ الزنا مائة جلدة، ولم يذكر الرجم ولا تغريب عام، فالرجم وتغريب عام لا يضافان إلى مائة جلدة، ولا يقال: إنهما أيضاً من حدّ الزنا، فإنه زيادة على ما جاء به القرآن، والذي جاء به القرآن هو مائة جلدة فقط، والرجم والتغريب لا يمكن أن يكونا بياناً لمائة جلدة.

تعليق الصنعاني: ومن الصعب جدًا موافقة صاحب "سبل السلام" فيما قاله  
تعليقًا على حديث العسيف، حيث قال:

"الحديث دليل على وجوب الحد على الزاني غير المحصن مائة جلدة، وعليه دلّ القرآن، وأنه يجب عليه تغريب عام، وهو زيادة على ما دلّ عليه القرآن، ودليل على أنه يجب الرجم على الزاني المحصن، وعلى أنه يكفي في الاعتراف بالزنا مرة واحدة كغيره من سائر الأحكام." (محمد بن إسماعيل الصنعاني، سبل السلام شرح بلوغ المرام، كتاب الحدود: 4/4)

من الصعب جدًا أن يُقبل من الصنعاني هذا الكلام، فهو كلام يخالف الأصل الذي يرشد إليه القرآن.

موقف الفراهي: والفراهي لا يجعل التغريب والرجم زيادة على الكتاب، كما فعل الصنعاني وغيره من أهل العلم، بل يحمل الآية والرواية على محملين مختلفين، فالذي ورد في الآية هو الحدّ.

وأما التغريب والرجم فهو عقوبة وعذاب لمن تكررت منه الجريمة بعد إقامة الحد. فالعائد إلى الجريمة بعد ما أقيم عليه الحدّ يعتبر من المفسدين في الأرض، ويعامل معاملة المفسدين في الأرض، حيث قال تعالى:

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا  
أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ  
فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ (سورة المائدة: 33)

قال الفراهي: "فاعلم أن الأصل الأصل هو التطبيق بين السنة والكتاب، فلا يصار إلى النسخ بمجرد الظنّ، وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم دلالة واضحة على أن البكر بالبكر يلزمه مائة جلدة ثم تغريب، وفي رواية: "ثم تغريب عام" وكذلك جاء: "ثم الرجم" في أمر الثيب بالثيب. فعلم أن أول الحد هو مائة جلدة لكليهما، ثم إذا وقعا في الإثم مرة أخرى بعد الحدّ، فالأولى بهما أن يعذباً

بعذاب أشد، فإنهما تجاسرا على حدود الله. وقد نطق الكتاب بتعذيب المفسدين في الأرض، والمتعدين حدود الله بدرجات من العذاب من التقتيل والتصليب وتقطيع الأطراف والنفي حسب درجات الإثم". (الفراهي، إحكام الأصول بأحكام الرسول، ص 123)

لا نسخ مع بقاء الحكم: قد يقال إن الرجم من الوحي الذي بقي حكمه ونُسخت تلاوته! ولكن هذا النوع من الوحي غير معهود في كتاب الله، ولا يحل لأحد أن يقول عن شيء لا يوجد في كتاب الله: إنه كان في كتاب الله ثم نسخ.

لا يقال ذلك بناء على الآثار والروايات، فكتاب الله هو الذي جاءنا عن طريق التواتر، جاءنا بتواتر لا يماثله أي تواتر. جاءنا عن طريق الأجيال المتكاثرة المتتابعة، لا عن طريق ناس معدودين، ولا عن طريق الأحاد.

والأخبار والروايات سواء كانت متواترة أم كانت أحادية، ليس من شأنها أن تحكم بكون شيء لا يوجد في كتاب الله، أنه من كتاب الله. وليس من شأنها أن تحكم بنسخ شيء منه.

والأحكام إذا لم تكن لها آيات تتلى، كانت بحاجة لثبوتها، أو لثبوت قرآنيها إلى تواتر الرواة مثل نصوص الآيات. ولا تقبل المعاني والأحكام باعتبار أنها من القرآن، إلا إذا جاءت بنفس التواتر الذي جاء به كامل القرآن.

"ألا لا وصية لوارث" مما يتضمنه القرآن: وللإمام الفراهي موقف يشبه هذا الموقف في أمر الوصية، وهو ينفي الزيادة على القرآن، حيث قال: "كم من آية في القرآن، إن تدبرتها وفهمت معناها، وجدت من الأحاديث ما جاء موافقاً لها، فالحديث لم يزد شيئاً على القرآن، ولكن بين من الآية أمراً غامضاً، يكاد يخفى على من لا يتدبر. ترى مثلاً في آية الميراث وصيتين: وصية من الله، وسمّاها فريضة من الله، حيث قال: "ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١١" (سورة النساء: 11) ووصية

أخرى من الميت، وجعل التقدم لوصية الميت. وقد علمنا أن الله أعلم وأحكم، ووصيته أقدم، فلا بد أن تكون وصية الميت لغير وارثيه، ثم ترى النبي عليه الصلوات، صرح بذلك، فقال: "ألا لا وصية لوارث". (الفراهي، التكميل في أصول التأويل، ص 65)

القرآن كله قطعيّ الدلالة: والإمام الفراهي رحمه الله كما يرفض الزيادة على القرآن، يرفض ظنية الدلالة في القرآن، فعظمة القرآن لا تقبل هذا ولا ذاك.

هو يعتقد -على خلاف ما يعتقده جمهور العلماء والمفسرين- أن القرآن كله قطعيّ الدلالة، وليس فيه شيء يحتاج لبيان أحكامه وتحديد مراميه إلى شيء من الخارج، فهو يجهر بهذه الفكرة ويصدع بها بكل تأكيد وإصرار:

"القرآن قطعي الدلالة، واحتمال آياته المعاني الكثيرة ينشؤ من قصور العلم وقلة التدبر". (الفراهي، فاتحة نظام القرآن، ص 39)

ويقول رحمه الله:

"كثرت الروايات الضعيفة، واعتمدوا عليها في التفسير، فصارت كتب التفسير حاملة لروايات من اليهود والدجالين الواضعين... ثم ظهرت الفلسفة، واختلفت الآراء في العقائد، فكثرت وجوه التأويل، وأظلمت سبل التفسير، حتى صار الأمر الواضح مشتبهاً، وكثرت الآراء وتشاجر الروايات ضاع الحكم الفيصل. وتفسير الرازي أصدق شاهد على ما نقول، فإنه جعل القرآن كتاباً مشتبهاً، ملتبساً لا رجاء في فهمه، لما جاء بوجوه كثيرة، حيث لا يحتمل الكلام إلا سمناً واحداً، فلا تراه إلا يغادر بين سبل متفرقة لا تدري أيها تسلك؟ ثم قال (أي: الرازي): إن القرآن كله مظنون الدلالة. وما علمت دواء لهذا الداء العضال إلا التمسك بالقرآن، ورد الروايات والآراء إلى كتاب الله. وهذا لا يكون إلا أن نؤمن: "بأن القرآن لا يحتمل إلا تأويلاً واحداً". وقد قدمت القول في أن القرآن قطعي الدلالة، وليس لعبارة إلا مدلول واحد". (الفراهي، رسائل الإمام الفراهي، المجموعة الأولى، ص 230)

ويقول رحمه الله:

"وهذه شر فتنة وقعت فيها الأمة، حيث تشبثت كل فرقة بآيات، وأولوا القرآن إلى آراء مختلفة، حتى إلى الكفر والزندقة. فالمحيص عن هذه الورطة أن تجعل ما في القرآن مرتفعاً مما ألحقوا به من الروايات والآثار، وتجعله قطعياً، وما دونه ظنياً محتملاً للاختلاف، ولا تمار فيه إلا مرأى ظاهراً". (المصدر نفسه، ص 232)

ويقول رحمه الله:

"قد أخبرنا القرآن بنصه أنه تعالى أحكم كتابه، وفصل آياته وبينها، وسمّاه قرآنًا مبيّنًا وقولاً فصلاً... ولما اختلف الناس في تفسير القرآن، وردّ بعضهم قول بعض، غلب على ظنهم أن القرآن ليس قطعياً في دلالته، وأن ليس للكلام حكم يقيني لبنائه على النقل. وزاد الطين بلة أنهم جعلوا الآيات الظاهرة متشابهات، إذا وجدوها على خلاف ما برهنوا عليه، فكانت الآية الواحدة محكمة عند فرقة، ومتشابهة عند أخرى.... فما بالهم جعلوا القرآن غير قطعيّ، فقطعوا عنه الرجاء، وأكبوا على برهان عقليّ لا يزداد شاربّه إلا ظمأً؟ فبقينا في التشاجر والاختلاف. فبعدما خاب الأمل من هذا القطعيّ، حان لنا أن نرجع إلى ما أسأنا به الظن أولاً، فنحسن به الظن، ونؤمن بأن القرآن هو القطعيّ في دلالته، والفاصل في حكمه. وأما حديث المتشابهات فالكشف عنه أول واجب علينا، فإن الغلط في تفسيره ذهب بنا عن المهيّج". (المصدر نفسه، ص 233-234)

نكتة أساسيّة لم يُسبق إليها الفراهي: وتلك نكتة أساسية ولفظة وجهية للفراهي، لا نجدها عند أحد من العلماء والمفسرين! لا نجدها عند أحد من العلماء الحاضرين، ولا نجدها عند أحد من العلماء الغابرين! فالفكرة السائدة عند الجميع أنّ القرآن ليس كله قطعي الدلالة، بل بعضه ظني الدلالة، وبعضه قطعي الدلالة. والفراهي يعارض تلك الفكرة السائدة بكل صراحة، ويرى أنّ القرآن قطعي الدلالة في جميع ما تناوله من القضايا والأحكام، ويرى الظنيّة لا توجد في كلام الله، وإنما توجد في أفهام الناس.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وإذا كان قرآننا العظيم دستور حياة المسلم، وكان القانون الأساسي لدولة الإسلام، فالقانون والدستور لا بد أن يكون في جميع بنوده قطعياً في دلالاته، وواضحاً في عبارته.

ويرى الفراهي أن قرآننا العظيم يحمل هذين الوصفين على أتم وجه، فهو قطعي في دلالاته، وواضح في عباراته من أوله إلى آخره.

وإن كان هناك من يقول: إن القرآن قطعي الدلالة في بعضه، وظني الدلالة في بعضه، فليس ذلك - في رأي الإمام الفراهي - إلا لركونه المفرط إلى التفسير بالمأثور، الذي اختلط فيه الحابل بالنابل، واختلط الخائر بالزياد، فلا يعرف السليم من السقيم، ولا يعرف المرفوع من الموضوع.

وكذلك لغفلته عن تفسير القرآن بالقرآن، وقلة اهتمامه بنظم الآيات وسياقها، وروحها وأهدافها، وقلة فهمه للآيات المتشابهات.

الفارق بين الآيات والأحاديث: ومن نافلة القول أن السر في كون الآيات قطعية الدلالة أن لكل آية من القرآن جوهاً وسياقها، وهذا الجوّ، وهذا السياق يحدّد مراميها وأهدافها، ويبين مناسباتها ودلالاتها.

وأما الأحاديث فأمرها يختلف تماماً، حيث رُويت وفيها فرق واختلاف في الألفاظ، وفيها نقص وزيادة في المحتويات، ولم تُرَو لنا مواقعها ومناسباتها إلا قليلاً نادراً.

وباعتبار هذا الفرق والاختلاف في الألفاظ، وبسبب النقص والزيادة في المحتويات تختلف المفاهيم، وتختلف الدلالات، فكثيراً ما يعجز الباحث عن التوفيق بين الروايات، ويعجز عن ترجيح ما يترجح منها، ويتردد في تحديد دلالاتها، وبالتالي يتحير في استنباط الأحكام منها.

فرواية واحدة يتمسك بها فريق، وينصرف عنها فريق آخر. ويستنبط منها فريق حكماً، ويستنبط منها الآخرون حكماً يختلف عنه تماماً. وإذا فلا بأس إذا قيل عن الأحاديث: إنَّ منها ما هو ظني الدلالة، ومنها ما هو قطعي الدلالة.

ولكن القرآن ليس كذلك، فإنه كله قطعيّ الدلالة بسبب نظم آياته، وسياق مضامينه ومحتوياته، فإن نظم الآيات وسياق الكلام هو الذي يبيّن معنى الكلام، ويجعله واضحًا شاخصًا مثل فلق الصبح.

ولا يفوتنا التنبيه إلى أن قطعيّة الدلالة في الآيات لا تمنع المرونة، فالقطعية شيء والمرونة شيء آخر، ومجالهما يختلف، فالقطعية تكون في بيان الحكم وأداء المعنى، والمرونة تكون في طبيعة القانون والشرع.

الميزة الثانية: تفسير القرآن بالقرآن: لا اختلاف بين أهل التفسير في أفضلية تفسير القرآن بالقرآن، فتفسير القرآن بالقرآن هو الطريق المفضّل عند الجميع من غير خلاف، والفراهي أيضًا يدعو إليه ويدندن حوله، ويقول:

"قالت العلماء قديمًا إن القرآن يفسّر بعضه بعضًا، وذلك ظاهر جدًا، فإن القرآن يذكر الأمور بعبارات مختلفة، مرة إجمالًا وأخرى تفصيلًا، فما ترك في موضع ذكره في موضع آخر، وقد صرح القرآن بهذه الصفة التي فيه في غير موضع، فهذا أصل راسخ، ولكن قلّ استعمال هذا الأصل". (رسائل الإمام الفراهي، المجموعة الأولى، ص 242)

والجدير بالذكر أنّ هناك فارقًا كبيرًا بين الفراهي وغيره من فطاحل المفسرين في تطبيق هذا المبدأ. فالتناس على الرغم من اقتناعهم بأفضلية تفسير القرآن بالقرآن لم يتبنوا هذا المبدأ في دراساتهم وكتاباتهم، ولم يولوه عناية كان يستحقها، ولم يجعلوه أصلًا يرجعون إليه كلما أرادوا تأويل آية من الآيات، ولم يتناولوه إلا عرضًا، ولم يتداولوه إلا بصورة خاطفة.

التفسير بالقرآن عند المفسرين: يقول الزرقاني مثلاً:

"جاء في القرآن قوله سبحانه: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ} (سورة البقرة: 187) فإن كلمة "من الفجر" بيان وشرح للمراد من كلمة "الخيطة الأبيض" التي قبلها. وكذلك قوله سبحانه: {قَالَ رَبَّنَا



ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ (سورة الأعراف: 23) فإنها بيان للفظ "كلمات" من قوله تعالى: "فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه" وقوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ} الآية فإنها بيان للفظ "ما يتلى عليكم" من قوله سبحانه: {أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ} (سورة المائدة: 1) وقوله تعالى: {لَيْنَ أَقْمَتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} (سورة المائدة: 12) الآية فإنها بيان للعهدين في قوله سبحانه: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} (سورة البقرة: 40) الأول للأول والثاني للثاني. وقوله تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٣﴾} (سورة الطارق: 2-3) فإن كلمة {الْجَمُّ الْقَائِبُ} بيان لكلمة "الطارق" التي قبلها، وغير ذلك كثير يعلم بالتدبر لكتاب الله تعالى. (عبد العظيم الزرقاني، ناهل العرفان في علوم القرآن، 12/2) ذلك كل ما نجده عند شيخنا الزرقاني في تفسير القرآن بالقرآن.

وهكذا نجد بعض النماذج عند شيخنا يوسف القرضاوي في كتابه: (كيف نتعامل مع القرآن العظيم)

وأراد قبلهما الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي أن ينشئ سفرًا نفيسًا يفسر فيه القرآن بالقرآن، وأسماء: "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" ولكنه رحمه الله لم يتناول الآيات كلها بالبيان والتفسير، بل كانت له قفزات واسعة، فإن فسر آية ترك آيات بدون تفسير، والتي فسرهما لم يفسرها بأشباها ونظائرها من الآيات، بل فسر معظمها بالروايات والآثار.

وإذا أردنا أن نعرف عدد الآيات التي فسرت بنظائرها وأشباهاها في كتب التفسير فهي قليل تكاد تُعدّ على الأصابع.

المبدأ يشمل جميع الآيات: والواقع أن مبدأ تفسير القرآن بالقرآن كمبدأ عام، ومنهج مستقل شامل يعم ويشمل جميع الآيات، والمطلوب تفسير القرآن بالقرآن في جميع سوره وآياته.

ولا يمكن تطبيق هذا المبدأ - مبدأ تفسير القرآن بالقرآن - في جميع سورة وآياته إلا إذا وسّعنا رؤيتنا للموضوع، وأدركنا أن نظم الآيات وسياق الكلام ليس خارجاً من الكلام، بل هو جزء من الكلام، والكلام لا يفهم إلا في ضوء نظمه وسياقه، ولا يمكن تفسير القرآن بالقرآن في جميع سورة وآياته إلا إذا بُني تأويله على نظم آياته وسياق كلماته.

يقول الفراهي: "طرق الدلالة على المعاني غير محصورة، فربما تدل آية على معنى يكون دليلاً على معنى في آية أخرى، وربما يدل اقتران آيتين، أو جملتين على معنى خفي بعض الخفاء، فإن بيّنا طرق هذه الدلالات تيسر استعمال هذا الأصل." (رسائل الإمام الفراهي، المجموعة الأولى، ص 242)

ولقد حاول الفراهي في تفسيره (نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان) أن يطبق هذا المبدأ، وينجز هذه الفكرة بدقة وعناية، وحاول محاولة مشكورة في كافة السور التي تناولها بالبيان والتفسير، حاول فيها أن يفسر الآيات بالآيات، وكان موفقاً ناجحاً فيما فعل. ولكنه ما قدّر له أن يكمل هذا العمل الجليل في القرآن كله، والعمل ما زال ينتظر من يكمله، وعسى الله أن يهيئ لهذا العمل الجليل عبقرياً مثله، وليس ذلك على الله بعزيز.

التفسير بالنظائر: ومن تفسير القرآن بالقرآن "التفسير بالنظائر"، وقد ذكر الفراهي له أمثلة رائعة منها قوله تعالى:

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢١﴾.  
(سورة الملك: 2)

قال الفراهي: في الموت زاجر وواعظ، وفي الحياة جالب إلى اللذات. والابتلاء لا يكون إلا بهما. فلو لا الشهوات لم يغفلوا ولم يزلوا، ولو لا الموت لم ينتبهوا ولم يستعدوا لما بعد الموت. وقد هديت إلى هذا المعنى، ثم لمح لي نظيره، وهو قوله تعالى في سورة الكهف: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ

مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ (سورة الكهف) ففي الأول ذكر الجانب الذهني، وفي الثاني ذكر الجانب الخارجي، فتأمل". (رسائل الإمام الفراهي، ص 243- في الهامش)

وتفسير القرآن بالقرآن، أو التفسير بالنظائر هو الذي يشرح الصدر، وينور الذهن، ويورث برد اليقين، ويرشد إلى مقاصد الآيات، ويجعل الآيات قطعية الدلالة على مراميها وأهدافها.

الميزة الثالثة: اعتبار القرآن منبعًا للعلوم كلها: يرى الفراهي أن القرآن الكريم ليس فقط كتاب تلاوة وعبادة، أو كتاب طلاق ونكاح، أو كتاب جهاد وقتال، بل هو كتاب الحياة، كتاب فيه توجيه وترشيد وتنوير لقضايا الحياة كلها. وهو أصل للعلوم كلها. ومما يدل على ذلك ما أخرجه سعيد بن منصور عن سيدنا عبد الله بن مسعود قال:

"من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين". قال: البيهقي: يعنى أصول العلم. (السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 4/330)

يقول الفراهي:

"فإن جعلت القرآن أصلًا لتمام علم الذين، كما هو في الحقيقة، صار من الواجب أن تؤسس أصول للتأويل، بحيث تكون علمًا عامًا لكل ما يؤخذ من القرآن". وقال رحمه الله:

"والقرآن قد تضمن من الحكمة والمعارف ما لا يحيط به إلا الله تعالى، وقد حث القرآن نفسه على التفكير والتدبر فيه. وقد تبين لأصحاب العقول معارف غامضة قد تضمنتها الآيات، ولم يجدوها فيما روي عن السلف، فذكروها في تفاسيرهم". وقال رحمه الله:

" لا شك أن كثيرًا من الصحابة إذا فسروا القرآن كانوا كالبحر الزاخر والسحاب الهائل، يلقون على أصحابهم ما كان يملؤ صدورهم علمًا وحكمة، ولكن مع ذلك،

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

بل لذلك لم يستطع السامعون أن ينقلوه للخلف. (انظر: رسائل الإمام الفراهي، المجموعة الثانية، ص 214-215-221)

أوعية الكتاب ينابيع العلم: والشاهد على ذلك ما روه عن سيدنا علي بن أبي طالب أنه تنفس الصعداء يوماً، ثم قال: "ها إن ها هنا لعلماً جماً - وأشار بيده إلى صدره - لو وجدت له حملة!" (ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية - بيروت، 81/2)

فهذا العلم الجَمّ الذي كان يزخر به صدر سيدنا علي بن أبي طالب لم يكن إلا قطرات من بحر القرآن.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كونوا أوعية الكتاب، وينابيع العلم". (الجاحظ، البيان والتبيين، 208/2)

فكتاب الله ينبوع للعلوم كلها، فإذا كان الإنسان وعاءً لكتاب الله كان ينبوعاً للعلوم كلها.

وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام وعاءً لكتاب الله حقاً، فكان يتفجر علماً وحكمة، وآلاف الأحاديث والسنن التي تملأ الأسفار الكبار، والمجلدات الضخام كلها كانت نابعة من ذلك المنبع الرباني. قال عليه الصلاة والسلام: أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ". (سنن أبي داود، رقم الحديث: 4604)

قال الفراهي: "ومثله معه" هو الفهم والبصيرة، والنور الذي أشرق به قلبه عليه السلام مع إنزال الوحي، كما قال الله تعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا" (سورة الشورى: 52) (الفراهي، تفسير نظام القرآن، ص 23)

وقال الإمام الشاطبي:

السُّنَّةُ رَاجِعَةٌ فِي مَعْنَاهَا إِلَى الْكِتَابِ؛ فَهِيَ تَفْصِيلُ مُجْمَلِهِ، وَبَيَانُ مُشْكَلِهِ، وَبَسْطُ مُحْتَضَرِهِ. وَذَلِكَ لِأَنَّهَا بَيَانُ لَهُ، وَهُوَ الَّذِي ذَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ

لِثَبَاتِ النَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} (سورة النحل: 44) فَلَا تَجِدُ فِي السُّنَّةِ أَمْرًا إِلَّا وَالْقُرْآنُ قَدْ دَلَّ عَلَى مَعْنَاهُ دَلَالَةً إِجْمَالِيَّةً أَوْ تَفْصِيلِيَّةً". (الشاطبي، الموافقات، 4/314-316)

وقال الشافعي: "جميع ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن". قلت: ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم: "إني لا أحل إلا ما أحل الله ولا أحرّم إلا ما حرّم الله في كتابه" أخرجه بهذا اللفظ الشافعي في الأم. (السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، 4/330)

العلوم الشرعية كلها في القرآن: وكون القرآن محتويًا على مجموع الأحاديث والسنن قاطبة دليل على احتوائه على العلوم كلها، فالعلوم الشرعية كلها مطوية في غصون آيات القرآن، وإن كان الناس عنها غافلين. يقول الفراهي:

"لا يخفى أن الدين معظمه ترقية النفوس، وتربية العقول، وإصلاح الأعمال الظاهرة، أي: الأخلاق، والعقائد، والشرائع. والقرآن قد تكفل كل ذلك بأحسن ما يكون. وكل ذلك متصل ببعضه ببعض، وبجميعها تحصل التزكية، وهي الغاية والمطلوب. ولهذه الثلاث نشأت ثلاثة علوم: علم الأخلاق والمواعظ، وعلم الكلام، وعلم الفقه. وإذ جعل علم التأويل مقصورًا على الفقه، بقي علم الأخلاق والكلام فارغين عنه، فلا تجده مستعملًا فيهما. أما علم الأخلاق، فانتسج بأهله حتى تشبثوا بكل ما راقهم وأعجبهم، فمنهم من يبنيه على الحكمة العملية التي تلقوها من الفلاسفة، ومنهم من يعتمد على تجاربه، ومنهم من يبنيه على الروايات الضعيفة، وربما يأخذون من القرآن حسب تأويلاتهم الركيكة، وذلك لظنهم بأنه لا حاجة إلى صحة الاستدلال في الترغيب والترهيب، ومدح الحسن وذم القبيح. ومنهم طائفة من المتصوفة تكلموا في العقائد يؤولون القرآن إلى ظنونهم لجهلهم بالعربية، وبحقيقة هذا الدين، ويزعمون أنهم أعرف بالقرآن وأسراره، وتجد أمثلة ذلك في كلام ابن عربي. وأما علم الكلام فأصحابهم لاشتغالهم بالملاحدة قل اعتمادهم على النقل، وكان معظم احتجاجهم بما تنجح إليه العقول لكي يسلمه الخصم. وربما يؤولون القرآن إلى غير مراده فرائًا من اعتراضات المعاند. وإذ لم يهتدوا لصحيح

التأويل، وتطبيق المعقول بالمنقول، جعلوا للتأويل، لا نقول أبوابًا بل ثلماً، يخرجون منها حين لا يمكنهم الدفاع على وجه مستقيم، حتى قال بعضهم، كالرازي عفا الله عنه: إنه لا اعتماد على ظاهر القرآن لعله يكون من المتشابهات. فجعل القرآن كله ملتبساً. ولم يكن ذلك إلا لعدم تأسيس أصول التأويل العامة التي يعتمد عليها في كل ما يستنبط من القرآن، سواء كان من فروع الشرائع، أو الأخلاق والعقائد. فإن جعلت القرآن أصلاً لتمام علم الدين، كما هو في الحقيقة، صار من الواجب أن تؤسس أصولاً للتأويل، بحيث تكون علماً عاماً لكل ما يؤخذ من القرآن". (رسائل الإمام الفراهي، المجموعة الأولى، ص 213-214)

هذا ما قاله الفراهي عن سبب تخبط المسلمين في علومهم الشرعية، وذلك بسبب غفلتهم عن كتاب ربهم، وعدم تأسيسهم لأصول التأويل، وهو كلام له ثقله ووجاهته.

والقرآن لا ينور الطريق للعلوم الشرعية فقط، بل ينور الطريق لكل ما يحتاج إليه الإنسان من علوم وثقافات، سواء كانت تلك العلوم علوماً شرعية خالصة، أم كانت علوماً إنسانية معاصرة.

تكفل القرآن بأن ينور له الطريق إلى العلوم والثقافات كلها، إذا توجه إليه بصدق وإخلاص وحسن النية.

الميزة الرابعة: التركيز على نظام القرآن: علم المناسبات، أو علم تناسب الآيات ليس جديداً في علم التفسير، فكثير من المفسرين أشاروا إليه، وأشادوا بذكره، ونوهوا بأهميته في تفاسيرهم.

منهم من طرق هذا العلم عرضاً، مثل الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير (مفاتيح الغيب)، ومثل الإمام الزمخشري في تفسيره النفيس: (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)، ومثل الإمام الشوكاني في تفسيره القيم (فتح القدير)، ومنهم من تفرغ له، وبذل له اهتماماً كبيراً، وأسهب في ذكر المناسبات بين الآيات،

مثل الإمام برهان الدين البقاعي في تفسيره الكبير: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ومثل المخدم المهابي الهندي في تفسيره الوجيز: (تبصير الرحمن وتيسير المنان).

وهنا أيضًا نرى الفراهي متميزًا على جماعة المفسرين، ومبرزًا في هذا المجال، فإنه عني بهذا العلم عناية لم يُعن به أحد من أئمة التفسير، وأدرك من ضرورته وأهميته ما لم يدركه غيره من أهل العلم.

قال الفراهي، وهو ينوّه بأهمية هذا العلم وخطورة شأنه: "فهم الكلام لا يمكن بدون معرفة النظام، وإنه لهو السبيل الوحيد إلى فهمه". وقال رحمه الله:

"القائلون بوجود التناسب جعلوه علمًا شريفًا، ولكن لم يجعلوه جزءًا عظيمًا من مفهوم القرآن، فبقي متروكًا لإشكاله. وأما نحن فنقول: إن فهم القرآن محوّل إليه. والتردد بين الوجوه الكثيرة في التأويل، وعدم التوصل إلى التأويل الصحيح الذي يسدّ باب الاحتمالات إنما نشأ من قلة الاعتناء بنظام الآيات؛ فإنه هو الموصل إلى صحيح التأويل، وهو العصمة من الشكوك والحيرة في التفكير." (انظر: الفراهي، دلائل النظام، ص 10-75)

الفرق بين نظام الآيات وتناسب الآيات: والمفسرون أكثروا من ذكر "التناسب" و"المناسبات" ولكن الفراهي جاء بشيء أكبر من ذلك، ألا وهو "نظام القرآن" و"نظام الآيات"، والفرق بينهما كبير. يقول الفراهي، وهو يبين هذا الفرق:

"لقد صنف بعض العلماء في تناسب الآي والسور، وأما الكلام في نظام القرآن فلم أطلع عليه، والفرق بينهما: أن التناسب إنما هو جزء من النظام، فإن التناسب بين الآيات، بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئًا واحدًا مستقلًا بنفسه، وطالب التناسب ربما يقنع بمناسبة ما، وربما يغفل عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام، فيصير شيئًا واحدًا، وربما يطلب المناسبة بين الآيات المتجاوزة مع عدم

اتصالها، فإن الآية التالية ربما تكون متصلة بالتي قبلها على بُعد منها، ولو لا ذلك لما عجز الأذكياء عن إدراك التناسب، فأنكروه، فإن عدم الاتصال بين آيات متجاورة يوجد كثيرًا، ومنها ما ترى فيه اقتضابًا بيّنًا، وذلك إذا كانت الآية، أو جملة من الآيات متصلة بالتي على بُعد منها. وبالجملة فمرادنا بالنظام أن تكون السورة كلامًا واحدًا، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، أو بالتي قبلها أو بعدها على بُعد ما، كما قدّمنا في نظم الآيات بعضها مع بعض، فكما أن الآيات ربما تكون معترضة، فكذلك ربما تكون السور معترضة. وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلامًا واحدًا، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر، فتبين مما تقدم أن النظام شيء زائد على المناسبة وترتيب الأجزاء". (دلائل النظام، المصدر السابق، ص 74-75)

هذا ما أفادنا الفراهي في الفرق بين التناسب، الذي كثر ذكره في كلام سادات المفسرين، وبين النظام الذي هُدي إليه بفضل من الله وتوفيقه. ويمكن تلخيص كلامه في النقاط الآتية:

#### ملخص الكلام:

- \*\* التناسب جزء صغير من النظام، وليس هو المقصود الأصل من تدبر القرآن.
- \*\* التناسب تكون له جهات، وتكون له أحوال، فبعضها قريبة، وبعضها بعيدة، وبعضها غريبة، وبعضها موهومة، وليس كلها مقصودة.
- \*\* لا ينتظم الكلام بكل مناسبة، والمقصود المطلوب من المناسبات ما ينتظم به الكلام.
- \*\* لا يجري الكلام دائمًا على خط واحد، ولا ترتبط الآيات كلها بما قبلها، وبما بعدها ارتباطًا مباشرًا، بل تأتي أحيانًا بعض الآيات، وأحيانًا أخرى جملة، أو فقرة من الآيات كالجملة المعترضة في أثناء الكلام، وهذا الاعتراض لا يخلو من مناسبة، ولكن المناسبة القريبة الحميمة تكون مع ما ورد بعد الاعتراض.

\*\* كما يكون الاعتراض في الآيات، كذلك يكون في السور، فقد تكون السورة في جنب السورة، وهي لا ترتبط بها ارتباطًا مباشرًا، بل يكون ارتباطها بها مثل ارتباط



الجملة المعترضة بما قبلها وبما بعدها، ورتباطها المباشر يكون بما بعد تلك المعترضة، وقد تكون السورة المعترضة واحدة، وقد تكون أكثر من واحدة.

\*\* الأصل المطلوب هو نظام السورة، الذي يربط الآيات كلها، بعضها ببعض، حتى ينتظم به الكلام انتظامًا، وحتى تصبح السورة كلها وكأنها كلمة واحدة.

تلك ست نقاط تتعلق بنظام الآيات والسور، وهي نقاط في غاية الأهمية، لا يستغني عنها من أحب أن يتقن فهم القرآن.

جماع القول في علم النظام: ليس الأصل في علم النظام، حسب رؤية الفراهي، أن نربط الآية بالآية، أو الفقرة بالفقرة، أو السورة بالسورة، بأي رابط كان، حتى ولو كان رابطًا غثًا بعيدًا، رابطًا فيه وهن وتكلف. إنما الأصل في علم النظام أن نتملى الآيات، ونتدبرها حتى تتكشف لنا تلك الروابط اللطيفة، والوشائج الحكيمة:

- التي تملؤ الآيات، وتشابك فيها كتشابك الأفنان في أشجار البستان، أو كتشابك العروق في جسم الإنسان.
  - والتي تُظهر وتبلور ما في أي القرآن من روعة وطلالة تبهج الوجدان.
  - والتي تساعد في تذوق ما فيها من جلال الأسلوب، وبديع الخطاب، وعذوبة البيان.
  - والتي تقرب الذهن إلى إدراك ما فيها من قوة ورصانة وإتقان.
  - والتي تمدّ العقل بما تزخر به الآيات من علوم جمّة وحكم حسان.
  - والتي تشفي الروح بما وُضع فيها من علاج لأدوائها العضال، وأسقامها الجسام.
- إذن، فعلم النظام يفقد اعتباره، ويفقد قيمته وأهميته:

- إذا لم يكن سببًا إلى حب القرآن وتذوقه والاستمتاع بجمال أسلوبه.
- وإذا لم يكن داعيًا إلى معايشة الآيات، والتشبع بروحها.
- وإذا لم يكن سبيلًا إلى علاج النفس من أدوائها وأسقامها.
- وإذا لم يكن سلّمًا إلى صقل المواهب، وتوجيهها وترشيدها.

- وإذا لم يكن حافراً على تطهير العلوم في ضوء نصوص القرآن، وتطويرها.
- وإذا لم يكن باعثاً على العمل الجاد لإظهار نور القرآن على المبادئ كلها.
- ولا يعزبن عن بالنا أن النظام هو سرّ إعجاز الآيات، وملاك معارف القرآن.
- فهو الذي أعجز فرسان الكلام، وأفحم فحول البيان، وأخرس حكماء اليونان!
- وهو الذي جعل القرآن بحرّاً لا يسبر غوره، ولا ينفد كنزه، ولا تنتهي درره!
- وهو الذي جعل القرآن بحيث لا تبلى جدّته، ولا تنتهي روعته، فهو جديد ما اختلف الجديدان! ورائع أخاذ ما خفق الفؤاد، وما خطّ البنان!
- زد إلى ذلك أن الإمعان في نظم الآيات، ونظام السور هو المفتاح لفهم القرآن.
- فهو الطريق إلى ما فيه من رموز وكنوز!
- وهو المنظار لما فيه من علوم وحكم ليست لها حدود!
- نسأل الله ربنا الرحمن، الذي أنعم علينا بالقرآن، أن يوفقنا للغوص في أعماقه، والتحليق في أجوائه، والإمعان في نظامه، ونسأله تعالى أن يفتح علينا من كنوزه ورموزه، ويجعل لنا نصيباً من علومه. إنه سميع قريب مجيب.
- والمقام لا يتسع لأن نذكر هنا نماذج لعمل الفراهي في معالجة نظام الآيات، ولا بد لمعرفة ذلك من دراسة تفسيره القيم "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان".
- الميزة الخامسة: تمهيد الطريق لفهم القرآن: ومما يتميز به منهج الفراهي على المناهج الأخرى في علم التفسير أنه يمهد الطريق لفهم القرآن، ويُعنى قبل كل شيء بتربية العقول، وترويض الأذهان لتدبر القرآن.
- فلم يكن من همّ الفراهي أن يضيف إلى كتب التفسير تفسيراً جديداً يقرأه الناس، ويستعينون به في فهم معاني القرآن، بل الذي كان يسيطر على ذهنه، وكان يملك عليه قلبه ولبه أن يعدّ جيلاً قرآنياً يعيش بالقرآن، ويعيش للقرآن، ويعتزّ بالقرآن، ويفكر بالقرآن، ويرفع لواء القرآن في كل مكان، وينظر بنور القرآن، ويقيس كل شيء بمقياس القرآن.

فالفراحي رحمه الله لم يبدأ عمله بإعداد التفسير، كدأب من سبقوه من أعلام التفسير، حتى يحلّ مشاكل الإعراب واللغة، ويبين للناس مفاهيم الآيات.

وإنما بدأ عمله بتدوين المبادئ والأصول التي تساعد في تدبر القرآن، والتي تزرع الشوق في نفس القارئ حتى يعيش مع الآيات، ويتذوقها تذوقاً، ويستمتع بها استمتاعاً. يقول الفراحي في فاتحة كتابه القيم "مفردات القرآن":

"الكتب المتعلقة بلسان العرب من حيث دلالاته على معانيه ثلاثة: (1) كتاب المفردات، (2) كتاب الأساليب، (3) كتاب أصول التأويل. ففي كتاب المفردات يُبحث عن الألفاظ المفردة، ويُكشف عن معانيها الخاصة، بخيث أن تتضح لها الحدود، واللوازم، وما يتصل بها، وما يفترق عنها، وما يشابهها، وما يضادها، فيحيط العلم بدلالة الألفاظ المفردة. وفي كتاب الأساليب يُبحث عن دلالة التراكيب المختلفة الوجوه التي تدل عليها الأساليب المتنوعة، فيحيط العلم بما يدل عليه الكلام من المعاني حتى يُحفظ عما لادلالة له عليه. وفي كتاب أصول التأويل يُبين عما يؤخذ من المعاني المختلفة، وما لا يؤخذ، وما يمكن بينها الجمع. ثم بعد ذلك يستوي السبيل إلى فهم ربط معاني القرآن من نفس القرآن، وهو أحب إلي من أن يؤخذ من كتابنا "نظام القرآن" فإن العلم من طريق الاستنباط والفكر بصيرة وبينة. ولكن من لي بالمستنبط المتفكر المفرغ جهده في أخذ المعارف من عيونها النضّاجة إلا ما شاء الله؟ وفوق كل ذي علم عليم.

ولدفع الظنون التي بُنيت على الأوهام الناشئة عن قلة النظر والتأمل في روايات جمع القرآن ومواقع تنزيلها وضعنا كتابين: (1) تاريخ القرآن، (2) ودلائل النظام، لتطمئن القلوب، وتستعد للنظر في نظم القرآن، ولا حول ولا قوة إلا بالله المستعان. فمن شاء قدّم النظر في كتاب التاريخ ودلائل النظام، إن كان لا يرى قلبه مطمئناً بأن كلام الله تعالى منظّم على غاية حسن النظم.

فهذه خمسة كتب في فهم ظاهر القرآن. وتليها سبعة كتب في علوم القرآن، وأولها كتاب الحكمة". (الفراحي، مفردات القرآن، ص 91-92)

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وتلك الكتب السبعة، التي أشار إليها الفراهي كما يلي، وقد ذكرها الفراهي في مقدمة كتابه: "حكمة القرآن":

- حكمة القرآن \* حجج القرآن \* أسباب النزول
  - القائد إلى عيون العقائد \* الرسوخ في علم الناسخ والمنسوخ
  - الرائع في أصول الشرائع \* إحكام الأصول بأحكام الرسول
- وبعد، فتلك فكرة موجزة عن مزايا منهج الفراهي وخصائصه من بين المناهج الأخرى، وهو منهج جدير بالاهتمام والتقدير، منهج حقيق بأن نحصر عليه في مراكز التعليم، وحقيق بأن نربي عليه أجيالنا وطلابنا. والله ولي التوفيق.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> مما يسرنا أن كاتب هذه المقالة قد أعاد النظر في ترجمتها فهي الآن بمثابة مقالة مستقلة.  
(مدير التحرير)

## الإمام عبد الحميد الفراهي ومنهجه في تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"

- د. محمد يوسف الشربجي<sup>1</sup>

### الملخص

يعدّ الإمام عبد الحميد الفراهي الهندي (1280-1349هـ) أحد العلماء المبرزين في علوم القرآن والعربية وهو ابن خال علامة الشرق ومؤرخ الإسلام الشيخ شبلي النعماني (ت 1332هـ) رحمه الله.

كان رحمه الله آية من آيات الله في حدة الذهن، وكثرة الفضل، وسعة العلم، ودماثة الخلق، وسداد الرأي، والزهد في الدنيا، والرغبة في طلب مرضاة اللّهمون المؤسف أن يظل هذا العلم الكبير، مجهولاً في الأوساط الإسلامية إلى حد كبير، على الرغم من كثرة كتبه ومؤلفاته التي نافعت عن أربعين كتاباً في شتى العلوم والفنون، وخاصة منها الدراسات القرآنية. وكان يرى أن القرآن يفسّر بعضه بعضاً فأعرض عن القصص وما أتى به المفسرون من الزخارف والعجائب وألف كتابه في التفسير على ذلك وسمّاه "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان".

وهذا ما سنتعرف عليه في هذه الدراسة التي لم أسبق إليها فيما أعرف. والله الموفق.

مقدمة: هناك رجال كتب الله تعالى لهم الخلود، وإن لم يأخذوا حظهم في حال حياتهم، فإن الله تعالى رفع ذكرهم وأعلى مقامهم بعد وفاتهم، ومن هؤلاء الأعلام الأفاضل علامة الهند الإمام عبد الحميد الفراهي (ت 1349هـ) رحمه الله تعالى.

كان آية من آيات الله في حدة الذهن وكثرة الفضل وسعة العلم ودماثة الخلق وسداد الرأي والزهد في الدنيا والرغبة في طلب مرضاة الله.

<sup>1</sup> أستاذ التفسير الأسبق بجامعة دمشق، توفي سنة 2016م

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وإذا كان الأخ الفاضل الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات قد تأسف قبل أربعة عشر عامًا أن يظل هذا العلم مجهولاً في الأوساط العلمية والثقافية في العالمين العربي والإسلامي على الرغم من كثرة كتبه ومؤلفاته التي تدل على عبقرية فذة وعقلية مبدعة، والتي لا بد أن يكون لها أثر بارز في حاضر العلوم العربية والإسلامية ومستقبلها.<sup>1</sup>

فإن الله قد حقق توقعاته بعد مرور خمسة وسبعين عامًا على وفاة الفراهي، فهي كتبه بدأت ترى النور وكان آخرها كتاب "مفردات القرآن" الذي طبع في دار الغرب الإسلامي سنة 2002م، وها هي المؤتمرات تعقد لتشمل هؤلاء الأعلام الذين خدموا القرآن الكريم من القرن الرابع عشر الهجري إلى اليوم،<sup>2</sup> ولعل هذه الدراسة تفي العلامة الفراهي حقه وتجعله معلومًا وترضي الأخ الفاضل أحمد حسن فرحات الذي لا تخلو محاضرة من محاضراته أو ندوة من ندواته من الحديث عنه أو الاقتباس منه.

ولأبأبلغ إذا قلت: إن الدافع للكتابة عن هذا العلم هو كثرة ما سمعناه منه عن هذا الإمام الكبير، واقتضت طبيعة البحث أن ينقسم إلى مبحثين اثنين:

<sup>1</sup> من كلمة أ. د. أحمد حسن فرحات في افتتاحية العدد الثالث عشر من مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، السنة السادسة، أبريل 1989م، ص 9.

لم تسعفنا في المراجع في ترجمة هذا العالم، فقد بقي مجهولاً طيلة حياته في البلاد العربية، ولم يكتب عنه إلا بعد وفاته ترجمة مختصرة بقلم تلميذه العلامة السيد سليمان الندوي، وألحقت هذه الترجمة في مقدمات كتبه التي طبعت فيما بعد مثل: (إمعان في أقسام القرآن) و(الرأي الصحيح في من هو الذبيح) وأخيرًا (مفردات القرآن) الذي قدّم فيه محقق الكتاب الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي ترجمة وافية عن الإمام الفراهي اعتمد فيها على بعض المصادر التي عثر عليها باللغة الهندية وبعض المذكرات باللغة العربية وعلى ما خطّه السيد الندوي، ومعظم هذه الترجمة مأخوذة منهما.

<sup>2</sup> هذا البحث ألقى ملخصه في مؤتمر كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة (القرآن الكريم والجهود المبذولة في خدمته من بداية القرن الرابع عشر الهجري إلى اليوم) من 23-22 / صفر / 1423 هـ الموافق 23 / 04 / 2003م.

المبحث الأول: التعريف بالإمام الفراهي، سيرته الذاتية ونتاجه العلمي.

المبحث الثاني: منهجه في التفسير، وسأتناول بالدراسة أهم كتاب من كتبه في هذا المجال وهو كتاب "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" الذي أصبح علمًا عليه. والله نسأل التوفيق والسداد في القول والرشاد في العمل.

### المبحث الأول: الإمام الفراهي، حياته وسيرته

1. اسمه ونسبه ومولده: هو عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج علي الأنصاري، حميد الدين<sup>1</sup> أبو أحمد<sup>2</sup> الفراهي نسبة إلى قرية فريها من قرى مديرية أعظم كره التابعة حاليًا لولاية "أتراباديش" (U.P.) في الهند. ولد - رحمه الله - سنة (1280هـ) في فريها من عائلة شريفة، فهو ابن خال علامة الهند الأديب والمؤرخ الشيخ شبلي النعماني (ت 1332هـ) رحمه الله تعالى الذي أفاد منه كثيرًا.
2. نشأته وطلبه للعلم: بدأ بطلب العلم منذ يفاعته، فحفظ القرآن الكريم وهو مازال صغيرًا، ثم قرأ اللغة الفارسية وأجادها ونسج بها قصيدة باري بها شاعر الفارسية المشهور خاقاني الشرواني (ت 595هـ) فأتى بها بالعجب العجائب. واشتغل بعد ذلك بطلب العربية فاستظل بعطف ابن عمته الشيخ شبلي البعماني الذي كان يكبره بست سنوات فأخذ منه علوم العربية كلها من صرفها ونحوها، ولغتها وأدبها، ومنطقها وفلسفتها.
3. رحلاته العلمية: رحل في طلب العلم إلى عدة مدن في الهند وباكستان، فسافر إلى لكنؤ - مدينة العلم في الهند في ذلك الوقت - وجلس في حلقة

<sup>1</sup> رجح العلامة الندوي في ترجمة الفراهي أن اسمه "حميد الدين" ولكن الدكتور محمد أجمل أيوب أقام الدليل على أن اسمه الذي سمي به بعد ميلاده، هو عبد الحميد، ولكن لما كان اسم "حميد الدين" من ألقاب المدح تجنبه الفراهي ورعًا وتواضعًا.

<sup>2</sup> لم يكن من أولاده من اسمه أحمد ولكن كان يلقب بذلك تسمية على الاستخبارات البريطانية، انظر ترجمة الفراهي في مقدمة (مفردات القرآن) للفراهي، تحقيق الدكتور محمد أجمل أيوب (ط1. دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م)، ص 15

الفقيه المحدث الإمام الشيخ أبي الحسنات عبد الحي اللكنوي (ت 1304هـ) صاحب التعاليق المشهورة، ثم ارتحل إلى لاهور وأخذ الأدب العربي من أمام اللغة العربية وشاعرها المفلق في ذلك العصر الشيخ الأديب فيض الحسن السهارنفوري (ت 1304هـ) شارح الحماسة والمعلقات شرحاً ثلاثي اللغات، وأستاذ اللغة العربية في كلية العلوم الشرقية بـلاهور. فبرع في الآداب العربية وفاق أقرانه في الشعر والإنشاء.

قرأ دواوين الجاهلية كلها وحلّ عقد معضلاتها وقنص شواردها، فكام يقرض القصائد على منوال الجاهليين ويكتب الرسائل على سبك بلغاء العرب وفصحائهم. ثم عرج على اللغة الإنكليزية، وهو ابن عشرين سنة، ودخل في كلية عليكره الإسلامية ونال بعد سنين شهادة الليسانس (B.A.) من جامعة الله آباد وامتاز في الفلسفة الحديثة أخذها من الأستاذ الدكتور توماس آرنولد - الأستاذ بكلية عليكره الإسلامية يومئذ - . فجمع بين العلوم الدينية والعصرية، فصار كما قيل: "مجمع البحرين" فقد كان عالماً بالعلوم الدينية والعربية وفاضلاً في العلوم العصرية والإنكليزية فاجتمعت فيه خصال الجنسين: المتقين من العلماء الراسخين، والمتنورين من الفضلاء الكاملين.

4. أخلاقه ومناقبه: تأثر الفراهي - رحمه الله - بأخلاق شيخه وأستاذه وابن عمته العلامة شبلي النعماني فعندما ترجم العلامة السيد سليمان الندوي لشيخه شبلي قال: "ودرس ابن خاله إمام المفسرين العالم الصالح التقى مولانا حميد الدين الفراهي".<sup>1</sup>

وقال عنه: كان رحمه الله آية من آيات الله في حدة الذهن وكثرة الفضل وسعة العلم ودمائة الخلق وسداد الرأي والزهد في الدنيا والرغبة في طلب مرضاة الله.<sup>2</sup> وقال عنه الشيخ شبلي: "من جلس إلى عبد الحميد انصرف قلبه عن الدنيا".

<sup>1</sup> محمد أكرم الندوي، شبلي النعماني علامة الهند ... ط1، دار القلم، دمشق، 2001، ص 57

<sup>2</sup> السيد سليمان الندوي، ترجمة الفراهي، انظر مقدمات الكتب السابقة.



ويمكن أن نقول عنه ما قاله السيد الندوي عن شيخه الشبلي: "كان محققًا باحثًا، أديبًا وشاعرًا، منشئًا وكاتبًا قديرًا، خطيبًا، متكلمًا، مفكرًا، مصلحًا سياسيًا محنكًا، مختصًا في التعليم وثنوريًا تجاه كثير من متطلبات ومقتضيات العصر الراهن فكأنه باقة أزهار متنوعة ذات ألوان زاهية جميلة".<sup>1</sup> وعندما زاره الدكتور تقي الدين الهلالي قبل وفاته بسبع سنوات قال عن الشيخ الفراهي: "والرجل فصيح في التكلم لغاية، نادر في علماء العرب فضلًا عن علماء الهند".<sup>2</sup>

وبالجملة فقد كان ورعه وزهده في الدنيا، وقصده في العيش، وعزوفه عن السمعة، وحسن تعبده مع جود وغنى نفس وتواضع، موضع إجماع من معاصريه.<sup>3</sup>

5. وظائفه ومناصبه: بعدما قضى وطره من طلب العلم واستقى من حياضه ورث من رياضته نصب معلمًا للعلوم العربية بمدرسة الإسلام بكراتشي عاصمة السند، فدرس فيها سنتين وكتب وألف وقرض.

ثم انتخب سنة 1907م معلمًا للغة العربية بكلية عليكرة الإسلامية، وكان بها يومئذ أستاذ اللغة العربية المشتشرق الألماني الشهير يوسف هارويز الذي استكمل العربية من الفراهي على أن يعلمه العبرية.

وبعد سنتين نصب أستاذًا للغة العربية بجامعة الله آباد وبقي هناك أعوامًا حتى انتقل منها إلى حيدرآباد الدكن رئيسًا لمدرسة دار العلوم العربية الأميرية النظامية التي كانت تخرج قضاة البلاد وولاتها. وعمل على تأسيس جامعة تدرس العلوم الدينية بالعربية والعلوم العصرية بالأردية. سميت بالجامعة العثمانية وعلى الرغم من أنها كانت أحدث الجامعات سنًا إلا أنها كانت أعجبها نظامًا.

كما أسهم في تأسيس دار المصنفين التي أسست تذكيرًا لابن عمته الشيخ شبلي النعماني وترأس لجنة المديرين فيها وعكف على تطويرها حتى غدت أعظم

<sup>1</sup> شبلي النعماني، ص 86.

<sup>2</sup> د. محمد أجمل أيوب، ترجمة الفراهي في مقدمة المفردات، ص 41.

<sup>3</sup> انظر ما كتبه الدكتور محمد أجمل أيوب عن صفاته وأخلاقه، ص 21.

مجمع علي في الهند ونشرت فيه مؤلفات علمية قيمة تعجز المجامع العلمية في الهند عن مضاهاتها. وقد تخرج منه عدد كبير من العلماء القديرين، أمثال العلامة السيد سليمان الندوي والشيخ أبو الحسنات الندوي والأستاذ ضياء الدين الإصلاحي وغيرهم كثير.<sup>1</sup> وقد مضى على إنشاء هذا المجمع نحو خمسة وثمانين عامًا ولا يزال نشيطاً في مجال خدمة العلوم والمعارف.

ونقل الأستاذ محمد أكرم الندوي عن الشيخ إكرام قوله: "إن مجمع دار المصنفين أهم مركز لنشر العلوم الإسلامية اليوم".<sup>2</sup>

ثم استقال بعد ذلك ولزم بيته وانقطع إلى العلم وكان قد أسس قرب قريته مدرسة عربية دينية سميت "مدرسة الإصلاح" فكان ينظر في شؤونها على أمثل طريقة وأحسن أسلوب. وكان من أعظم مقاصدها وأهدافها تحسين طرق تعليم العربية وإيجاز قائمة دروسها المتعبة العقيمة والعكوف على طلب علوم القرآن والبحث عن معانيه ونظمه وأحكامه وحكمه. وكان يبذل أوقات فراغه في التأليف والتدوين والنظر في القرآن ومعانيه وإلقاء دروسه على الطلاب الملتفين حوله.

6. تلاميذه: ذكرت قبل قليل أن الإمام الفراهي قضى عمره في الدراسة والتدريس وتأسيس المدارس والإشراف عليها. ولا شك أن طلابه كثير. معظمهم من العلماء الذين يشار إليهم بالبنان. والعجيب أنّ العلامة السيد الندوي عندما ترجم لشيخه الفراهي لم يذكر تلاميذه مع أنه واحد منهم. ولكن الدكتور محمد أجمل أيوب عندما ترجم للفراهي في مقدمة تحقيقه لكتاب المفردات للفراهي قال: "وقد درس الفراهي في كراتشي وعليكره والله آباد وحيدرآباد فقرأ عليه في فصول الدراسة عدد كبير من الطلبة، ثم ألقى

<sup>1</sup> انظر أسماء هؤلاء العلماء والمؤلفات التي صدرت عن هذا المجمع في كتاب (شيلي النعماني)، ص 163-164، ومن الكتب التي طبعت للإمام الفراهي فيه "إمعان في أقسام القرآن" و"الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح".

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 164.

دروسًا ومحاضرات في ندوة العلماء وحيدرآباد ومدرسة الإصلاح. وأكثر الذين يحضرون فيها كانوا من العلماء والباحثين وطلبة العلم من الصفوف العليا. وممن حضروا مجالس الفراهي وتأثروا به واستفادوا من دروسه ومحاضراته في تفسير القرآن وغيره:

1. العلامة صاحب الرئاسة أبو الكلام آزاد (1377هـ)
  2. العلامة السيد سليمان الندوي (ت 1373هـ)
  3. الشيخ مناظر أحسن الكيلاني (ت 1357هـ)
  4. الأستاذ عبد الله العمادي (ت 1366هـ)
  5. الأستاذ عبد الماجد الدرابادي (ت 1397هـ)
- وأما تلاميذه الذين قاموا بنشر كتبه ومؤلفاته بعد وفاته وترجمتها إلى الأردية فهما صاحباها: الشيخ اختر أحسن الإصلاحي (ت 1378هـ) والشيخ أمين أحسن الإصلاحي (ت 1418هـ)

وكان أولهما أبعد غورًا وأثقب نظرًا في علوم القرآن والعربية، وأشبه بشيخه في الصلاح والورع وحسن السمات. وأما الثاني فقد كان خطيبًا مفوهًا وكاتبًا أديبًا وهو الذي ترجم كتب شيخه إلى الأردية بأسلوبه الرائع فتيسر لعامة الباحثين في شبه القارة الهندية الاستفادة من أفكار الفراهي ونتائج تدبره للقرآن الكريم.<sup>1</sup>

7. وفاته: بقي رحمه الله على هذا الحال من البر والعمل حتى أتاه الأجل في التاسع عشر من جمادى الثانية سنة 1349هـ/الحادي عشر من نوفمبر سنة 1930م إثر عمل جراحي أجري له في بلدة مئورا ودفن هناك وصدق قول القائل: "عاش حميدًا ومات شهيدًا". رحمه الله تعالى.
- وقد رثاه عدد من أصحابه وأصدقائه بقصائد عربية وفارسية وأردية ومما قاله تلميذه العلامة السيد سليمان الندوي في رثائه: ذلك الإمام الجليل الذي

<sup>1</sup> د. محمد أجمل أيوب في مقدمة كتاب المفردات للفراهي، ص 30-31.

كانت شخصيته الجامعة بين علوم الشرق والغرب نادرة العصر، شخص واحد اجتمع فيه عالم من العلم والمعرفة، ماهر في العلوم الدينية، ناقد للعلوم العقلية، وحيد عصره في علوم العربية، نسيج وحده في علوم القرآن، عارف بحكمته ودقائقه، كنيف<sup>1</sup> ملئ علمًا، ولكن لم ينقل من علمه مع الأسف إلى الدفاتر والأوراق إلا القليل.<sup>2</sup>

8. نتاجه العلمي: إن المطلع على آثار هذا الرجل العظيم ليعجب كيف بقي طيلة هذه الفترة مجهولًا في الأوساط العلمية والثقافية في البلدان العربية والإسلامية ولم يستفد منها في البحوث العلمية والكتابات الأدبية.<sup>3</sup> وإذا كان العلماء يعدون من أصحاب المدارس في التأليف والإبداع في التفكير والذين قدموا الجديد: من القدامى الإمام الطبري وبعده الإمام الراغب الأصفهاني فلا أعدو الحقيقة إذا قلت: ومن المحدثين الإمام العلامة الفراهي، ذلك أنه جاء في كتبه ومؤلفاته بفتح جديد ولم يقف عندما كتبه علماؤنا الأجلاء بل تعدى ذلك إلى التجديد في الفكر والتطوير في التعبير وكأن أسلوبه قبسات من التنزيل.<sup>4</sup>

قال السيد سليمان الندوي: "خلف من آثار خاطره ذخيرة لا تفتنى، وعلومًا لا تبلى، وأكثرها بالعربية. وأما ما طبع بغير العربية فهي قليلة جدًا بالمقارنة مع

<sup>1</sup> الكنف بالكسر وعاء تكون فيه أداة الراعي وبتصغيره جاء الحديث "كنيف مليء علمًا"، انظر الصحاح للجوهري (كنف).

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 40

<sup>3</sup> علمت من الأخ الفاضل الأستاذ الدكتور أحمد حسين فرحات حفظه الله أنه أشرف على رسالتين علميتين لباحث هندي اسمه محمد عناية الله، الأولى بعنوان "إمعان النظر في نظام الآي والسور عند الفراهي" نال بها درجة الماجستير عام 1981م. في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، وقد طبعت باللغة العربية في دار عمار بالأردن، والثانية بعنوان "البرهان في نظام القرآن: الفاتحة والبقرة وآل عمران عند الفراهي" أطروحة دكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، سنة 1983م، وطبعت بالعربية في الباكستان ولم اتمكن من الاطلاع عليهما.

<sup>4</sup> اقرأ إن شئت مقدمة كتاب التفسير "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" ثم احكم عليه!

كتبه التي ألفها باللغة العربية مع أنه أعجمي. وعندما سئل عن ذلك قال:  
"أردت لكتبي الخلود".

ويقول: "ثم انقطع إلى تدبر القرآن ودرسه والنظر فيه من كل جهة وجمع علومه  
من كل مكان ف قضى فيه أكثر عمره ومات وهو مكب على أخذ ما فات من العلماء  
ولف ما نشره ولم شتتوه وتحقيق ما لم يحققوه ، فكان لسانه ينبع علمًا  
بالقرآن وصدره يتدفق بحثًا عن مشكلاته وقلمه يجري كشفًا عن معضلاته.  
وقد قسم الشيخ أمين أحسن الإصلاحي آثار الفراهي إلى ثلاثة أقسام:  
الأول: ما وفقه الله لإنجازه ونشر أكثره في حياته.

والثاني: ما كتب جملة صالحة من فصوله.  
والثالث: ما لم يقدر له أن يكتب إلا بعض مباحثه أو تعليقات متفرقة حوله.  
وسأتابع ما ذكره الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي - حفظه الله - في  
تقسيمه كتب العلامة الفراهي إلى قسمين مرتبة حسب حروف المعجم:  
القسم الأول ما طبع من كتبه وهي:

1. أساليب القرآن: وهو كتاب يبحث في وجوه الأساليب في القرآن ومفاهيمها  
ومواقع استعمالها ودلالة تراكيبيها التي تعين على فهم المعنى المراد، وقد طبع  
الكتاب في الهند عام 1389هـ في الدائرة الحميدية، وأعدت نشره سنة  
1411هـ ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن.
2. أسباق النحو جزآن (بالأردية) وهما لتعليم النحو والصرف لغير الناطقين  
بالعربية بطريقة علمية سهلة، ومنهج ميسر جديد، وهو مقرر في عدد من  
المدارس الدينية في الهند، وقد صدرت طبعته الأولى في حياة المؤلف وطبع  
الطبعة الثانية بعد وفاته بعناية تلميذه الشيخ اختر أحسن الإصلاحي ونشره  
سنة 1357هـ.
3. أمثال آصف الحكيم، مجموعة حكايات آصف، نقلها الفراهي من الإنكليزية  
إلى العربية في زمن الطلب، ونشر الكتاب بعد وفاته وهو مقرر في بعض  
المدارس الدينية في الهند.

## العدد الخاص.....مجلة الهند

4. إمعان في أقسام القرآن، صدرت منه طبعتان في حياة المؤلف، أولهما في مدينة لكنؤ وكانت صغيرة الحجم. ثم زاد المؤلف في فصوله وألفها على نحو جديد. وطبع في المطبعة الأحمدية في عليكره سنة 1329هـ. والطبعة الثانية في المطبعة السلفية بالقاهرة سنة 1349هـ. وصوّرتها دار القرآن الكريم بالكويت سنة 1410هـ. ثم أعادت دار القلم بدمشق طبعه باعتناء الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي، جزاه الله خيرًا، سنة 1415هـ.
5. تحفة الإعراب، قصيدة رائية في النحو بالأردية تشتمل على 128 بيتًا مقررّة على بعض طلاب المدارس الدينية في الهند، طبعت في حياة المؤلف عدة طبعات.
6. ترجمة جزء من طبقات ابن سعد بالفارسية، طبعت في مطبعة مفيد عام بمدينة آغره سنة 1891م.
7. ترجمة رسالة بدء الإسلام للشيخ شبلي النعماني. نقلها من العربية إلى الفارسية، طبعت في مطبعة مفيد عام بمدينة آغره سنة 1891م.
8. التكميل في أصول التأويل. رسالة قيّمة في أصول التفسير لم يكملها المؤلف. نشرتها الدائرة الحميدية سنة 1388هـ. ثم أعادت طبعه الدائرة الحميدية نفسها ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن سنة 1411هـ. وكان الباعث على وضع هذه الرسالة ما رأى من تضارب آراء العلماء في فهم معنى القرآن وذهابهم في تأويله مذاهب شتى، حتى جعلوه كتابًا متشابهًا ملتبسًا. وسبب ذلك في رأيه يعود إلى عدم وجود مبادئ وأسس ثابتة للتأويل فوضع في هذه الرسالة المبادئ والأسس لسد أبواب الخلاف في فهم القرآن وتأويله والتي تعين على فهم المعنى المراد.
9. جمهرة البلاغة، طبع هذا الكتاب في الدائرة الحميدية سنة 1360هـ بخط فارسي. أصّل فيه الإمام الفراهي، رحمه الله، أصول البلاغة لمهدي الناس إلى فهم إعجاز القرآن.

قسمه إلى ثلاثة أقسام:

القسم العمومي، وفيه دراسة تاريخية للبلاغة.

- والقسم الخصوصي، تحدث فيه عن دلالة الألفاظ.
- والقسم الثالث: مباحث متفرقة وختمه في الحديث عن الصرفة<sup>1</sup> في الإعجاز.
10. خردنامه، كتاب نظم فيه حكمة سيدنا سليمان عليه السلام (بالفارسية) القحة لاتشوبها كلمة عربية، نشر في حيدرآباد عام 1916م.
11. دلائل النظام، وهو من خير ما خطّه العلامة الفراهي رحمه الله. أفرد له لذكر دلائل النظام (يقصد بذلك الوحدة الموضوعية الشاملة في سور القرآن الكريم)، وماله من المكانة في الكلام. وأقام بالدليل على ذلك وأن الواحد منا لا يرضى أن يكون كلامه مختل النظام أو ضعيف الرباط. فكيف يرضى بهذا الخلل في كلام الحكيم العليم؟ والطريق إلى ذلك برأيه هو التدبر والتبصر في آيات الله. والكتاب قمة في شرح الطريق والوسائل التي يتمكن بها القارئ من معرفة دلالات الكلام ومفاهيمه. نشرته الدائرة الحميدية سنة 1388هـ. ثم أعادت طبعه عام 1411هـ ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن.
12. ديوانه العربي، نشره الشيخ بدر الدين الإصلاحي من الدائرة الحميدية سنة 1387هـ، وأعيد طبعه في الدار نفسها سنة 1409هـ، وشعره جيد السبك، رائع الأسلوب بديع الخيال، قوي المنطق، يمتاز بقلّة الحشو وجزالة اللفظ ورشاقة الأسلوب.
13. الرأي الصحيح في من هو الذبيح، أشرت إلى أنه طبع أول مرة في المجمع العلمي (دار المصنفين) في الهند. ثم صدرت طبعته الثانية في الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح في الهند سنة 1994م، وأعادت دار القلم بدمشق طبعه سنة 2001م بعناية الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي.
14. رسالة في عقيدة الشفاعة والكفارة (بالإنكليزية) رد بها على بعض علماء النصارى.
15. فاتحة نظام القرآن (مقدمة تفسيره) نشرتها الدائرة الحميدية سنة 1357هـ بعد وفاة المؤلف، وقدّم لها العلامة السيد سليمان الندوي.

<sup>1</sup> أي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليه وهو النظام من المعتزلة، وهو قول فاسد، انظر الرد عليه عند الزركشي في البرهان في علوم القرآن، 93/2.

16. في ملكوت الله، قصد به ذكر السنن الإلهية في رقي الأمم وانحطاطها، وعلو الحق وهزيمة الباطل، وبيان أصول النظام السياسي للإسلام. قال في مقدمته: فهذا كتاب من مقدمة نظام القرآن، باحث عن مسألة ملكوت الله، الجامعة لمعارف مهمة من علوم القرآن،<sup>1</sup> نشرته الدائرة الحميدية سنة 1391هـ.
17. القائد إلى عيون العقائد: جمع فيه من العقائد ما دلّ عليه القرآن بالتصريح ويطمئن إليه القلب الصحيح.<sup>2</sup> نشرته الدائرة الحميدية سنة 1395هـ.
18. مفردات القرآن، وهو كتابه الأول الذي شرع فيه المؤلف يكمل مشروعه القرآني المؤلف من اثني عشر كتاباً، الممهّد لفهم القرآن الكريم بالإضافة إلى كتاب أساليب القرآن وكتاب التكميل في أصول التأويل. قصد المؤلف من خلاله تفسير بعض الألفاظ التي وقع فيها إشكال فأهاب حاجة إلى فضل بيان. جاء في مقدمته: "في مقصد الكتاب وحاجتنا إليه لا يخفى أن المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى في فهم الكلام، وبعض الجهل بالجزء يفضي إلى زيادة جهل بالمجموع. فمن لم يتبين معنى الألفاظ المفردة من القرآن أغلق عليه باب التدبر".<sup>3</sup> طبع الكتاب طبعة حجرية بالخط الفارسي سنة 1358هـ بعناية عبد الأحد الإصلاحي، وقام الدكتور محمد أجمل أيوب بإعادة طبعه وتحقيقه وشرحه. وقدّم له بمقدمة قيمة عن تاريخ هذا العلم وكتب الغريب والوجوه والنظائر مع ترجمة وافية لمؤلف الكتاب. فجاءت على أحسن ما يرام وطبعت في دار الغرب الإسلامي كما أشرت إلى ذلك سابقاً.
19. نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، وهو تفسيره الكبير الذي أصبح يعرف به ولم يكمله. ركّز في تفسيره على التماس العلائق والروابط بين آيات القرآن الكريم وربط بعضها ببعض، وسمّاه "نظام القرآن" وقد صدرت منه الأجزاء الآتية:

<sup>1</sup> في ملكوت الله، للفراحي، الدائرة الحميدية، الهند، 1391هـ، ص 3.

<sup>2</sup> من مقدمة القائد إلى عيون العقائد، ط 1، الدائرة الحميدية، الهند، 1395هـ، ص 3.

<sup>3</sup> المفردات للفراحي، تحقيق الدكتور محمد أجمل أيوب، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م، ص 95.



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

- أ. تفسير سورة الفاتحة والبسمة، نشر مع فاتحة نظام القرآن في الدائرة الحميدية في الهند سنة 1357هـ.
- ب. تفسير سورة البقرة، صدر عن الدائرة الحميدية بأعظم كره في الهند سنة 1420هـ-2000م.
- ت. تفسير سورة الذاريات، طبع في مطبعة معارف بأعظم كره، دون تاريخ.
- ث. تفسير سورة التحريم، طبع في مطبعة فيض عام، عليكره سنة 1326هـ.
- ج. تفسير سورة القيامة، طبع في مطبعة فيض عام، عليكره دون تاريخ. ثم صدرت الطبعة الثانية في الدائرة الحميدية سنة 1403هـ.
- ح. تفسير سورة المرسلات، طبع في مطبعة معارف بأعظم كره، دون تاريخ.
- خ. تفسير سورة عبس، طبع في مطبعة معارف بأعظم كره، دون تاريخ.
- د. تفسير سورة الشمس، طبع في مطبعة فيض عام، عليكره سنة 1326هـ.
- ذ. تفسير سورة التين، طبع في مطبعة معارف بأعظم كره، دون تاريخ.
- ر. تفسير سورة العصر، طبع في مطبعة فيض عام، عليكره سنة 1326هـ.
- ز. تفسير سورة الفيل، طبع في مطبعة معارف بأعظم كره سنة 1354هـ.
- س. تفسير سورة الكوثر، طبع في مطبعة معارف بأعظم كره، دون تاريخ.
- ش. تفسير سورة الكافرون، طبع في مطبعة فيض عام، عليكره سنة 1326هـ.
- ونشر بعد ذلك في صحيفة (الجامعة) العربية، العدد العشرون، المجلد الأول، شعبان 1342هـ. ومارس 1924م.
- ص. تفسير سورة الذهب، طبع في مطبعة معارف بأعظم كره، دون تاريخ.
- ض. تفسير سورة الإخلاص، (بالأردية) نشرته الدائرة الحميدية سنة 1378هـ.
20. ديوانه الفارسي، وقد صدرت طبعته الثانية بعنوان "نواي فهلوي" سنة 1378هـ في الدائرة الحميدية.
- القسم الثاني: الآثار المخطوطة
1. إحكام الأصول بأحكام الرسول، "في علم أصول الفقه المأخوذ من استنباطات الرسول عليه السلام في القرآن الحكيم" في تسع أوراق.
2. الأركان والأديان، في حكمة عناية الدين بشهور وأيام وساعات معينة، عدد أوراقها 11 ورقة.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

3. أسباب النزول، في تسع أوراق.
4. الإشراق في الحكمة الأولى من حقائق الأمور ومكارم الأخلاق، في أربع أوراق.
5. أصل الفنون (بالأردية) رسالة في الأصول العامة لتعليم العلوم، في ثماني أوراق.
6. الإكليل في شرح الإنجيل في عشر أوراق.
7. أوصاف القرآن، لهذه الرسالة مسودتان. مجموع أوراقهما 25 ورقة.
8. تاريخ القرآن، المسودة في 10 أوراق.
9. تزكية الروح، في 3 أوراق.
10. تعليقات في التفسير، علّقها على القرآن الكريم في أثناء تدبره له.
11. حجج القرآن، من أجل كتبه ولم يقدر له إتمامه. اشتمل على ثلاث مقالات: المقالة الأولى: في نقد المنطق والفلسفة وعلم الكلام. المقالة الثانية: في تأسيس العلم وبيان طريق احتجاج القرآن. والمقالة الثالثة: في ذكر حجج القرآن على الربوبية والمعاد والرسالة. النسخة المنقولة من الأصل في 168 صفحة.
12. حكمة القرآن، وهو من أهم كتب المؤلف أيضًا، النسخة المنقولة من الأصل في 27 ورقة.
13. الدر النضيد في النحو الجديد، بدأ تأليفه سنة 1315هـ. وله مسودتان. مجموع أوراقهما 44 ورقة.
14. دلائل إلى النحو الجديد والمعاني والعروض والبلاغة، ذكر هذه الرسالة السيد سليمان الندوي في ترجمة الفراهي.
15. الدمدمة والشمقمة، وهو ترجمة لكتاب بالهندية في تزكية النفس. ثم أراد أن يذكر أصول التزكية في ضوء القرآن ولم يكمل الكتابين.
16. الرائع في أصول الشرائع، المسودة في 23 ورقة.
17. رسالة في إصلاح الناس، في خمس ورقات.
18. الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ، في 8 ورقات.
19. سليقة العروض، في 21 ورقة. أراد المؤلف من خلاله إصلاح علم العروض ووضعه على نحو جديد ولم يتمه.

20. الطارق والبارق، مجموعة خواطر.
  21. العقل وما فوق العقل، في 4 ورقات.
  22. فقه القرآن، في 6 ورقات.
  23. فلسفة البلاغة، مقدمة لفهم كتابه جمهرة البلاغة، في 6 ورقات.
  24. القسطاس، وهي رسالة في علم جديد. وهو "منطق العمل وميزان الإرادات وأساس الحكمة العملية" النسخة المنقولة من الأصل في 14 ورقة.
  25. قيد الأوابد، مجموعة خواطر وأفكار.
  26. لوامع الأفكار، مجموعة خواطر وأفكار.
  27. مسائل النحو، الأصل في 8 ورقات.
  28. المنطق الجديد، الأصل في 18 ورقة.
  29. النظام في الديانة الإسلامية، وهو جزء من كتاب حكمة القرآن، أفردته بالذكر لأهميته وكتب له خطبة مستقلة.
  30. النظر الفكري حسب الطريق الفطري، في 6 ورقات.
- قال العلامة السيد سليمان الندوي بعد ذكر كتبه: "من يقرأ أسماء هذه الكتب يقضي منها العجب ويؤمن بما أوتي صاحبها من سعة العلم، وصحة النظر، وكثرة الفضل، وسلامة الذوق، وتوقد الذهن، والتأمل في القرآن، وفهم أصوله ومعانيه، وتناول أفاصيه وأدانيه".<sup>1</sup>

### **المبحث الثاني: منهج الإمام الفراهي في تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"**

تمهيد: قبل أن نتكلم عن منهج الإمام الفراهي في تفسيره، لا بد من الحديث عن منهج الإمام الفراهي في التأليف بشكل عام. فإن الناظر في كتبه يجد أن العلامة الفراهي لا يقصد من خلال مؤلفاته الإكثار من التأليف أو إخراج كتاب، وإنما الهدف من مؤلفاته هو تقديم الجديد حتى إذا آتت الفكرة أكلها واستوت على

<sup>1</sup> من ترجمته للفراهي في إمعان في أقسام القرآن، ص 22.

ساقها، أخرجها إلى حيز الوجود وسجلها في الكرايس المعدة لذلك تحت هذا العنوان وكتب عليها "من كتاب" وتبقى الفكرة تدور في رأسه وهو يعمل على إكمالها وتهذيبها وترتيبها وتنسيقها. لذلك كان يؤلف عدة كتب في وقت واحد ويترك فراغات كثيرة ليعيد النظر فيها فيما بعد. ومن هنا فقد بقي أكثر مؤلفاته ناقصًا لهذه الطريقة في التأليف.<sup>1</sup>

منهجه في تفسيره: من خلال النظر في عنوان الكتاب "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" نجد أن الإمام الفراهي ركّز في تفسيره على جانب مهم من التفسير وهو مراعاة النظم ويقصد به الوحدة الموضوعية للسورة، إذ كل سورة لها موضوع معين يسمّيه عمود السورة تدور عليه بأجزائها المترابطة فيما بينها ترابطاً معنوياً محكماً، ويرى الفراهي أن المناسبة غير النظام فإن التناسب بين الآيات بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئاً واحداً مستقلاً بنفسه، وطالب التناسب ربما يقنع بمناسبة ما. فربما يغفل عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام فيصير شيئاً واحداً. وربما يطلب المناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتصالها فإن الآية التالية ربما تكون متصلة بالتي قبلها على بعد منها، فإنّ عدم الاتصال بين آيات متجاورة يوجد كثيراً ومنها ما ترى فيه اقتضاباً بيناً. وذلك إذا كانت الآية أو جملة من الآيات متصلة بالتي على بعد منها. وهذا ما صرح به الإمام الفراهي بقوله: "وبالجملة فمرادنا بالنظام أن تكون السورة كلاماً واحداً، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة أو بالتي قبلها أو بعدها على بعد ما. فكما أن الآيات ربما تكون معترضة فكذلك ربما تكون السورة معترضة. وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلاماً واحداً ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> انظر على سبيل المثال الكتب الآتية: الفائد إلى عيون العقائد ولاحظ البياضات التي تركها المؤلف في معظم الكتاب، وكذلك رسائله في علوم القرآن؛ دلائل النظام وأساليب القرآن، والتكميل في أصول التأويل وغيرها.

<sup>2</sup> دلائل النظام، ط2، الدائرة الحميدية، أعظم كره، الهند، 1411هـ، ص 86-87.

ولا بد لحسن النظام من أن يكون الكلام حسن الترتيب، حسن التناسب، قوي الوحدانية.<sup>1</sup>  
ولا بأس عنده من تعدد النظام فإن ذلك مما يسوغ فيه كثرة التأويل إذ لاتضاد في  
كثرة وجوه المناسبة كما لا تضاد في كثرة وجوه الحكمة في أمر واحد.<sup>2</sup>  
والنظام عند الفراهي ليس أمراً مقصوداً لذاته وإنما هو المنهاج الصحيح لتدبر  
القرآن. وهو الحكم عند تضارب الأقوال والمرجح عند تعدد الاحتمالات، وهو  
الإقليد الذي تفتح به كنوز حكمة القرآن.

والعلامة الفراهي بطبيعة الحال قد اطلع على كتب من تقدمه من العلماء المهتمين  
بهذا العلم وقد ذكر ذلك في ديباجة كتابه "فاتحة نظام القرآن" ولكنه لم يقف  
عندما كتبوه ولم يقنع بما بذلوه من التماس الروابط بين آيات القرآن الكريم يقول:  
ولكنهم وإن كان سعيهم مشكوراً، لم يبذلوا جهدهم إلا في الكشف عن المناسبة بين  
الآيات المتجاورة أو السورة اللاحقة والسابقة، ولم يمنعوا النظر في الكشف عن  
المناسبة التي ينتظم بها الكلام من أوله إلى آخره فيصير شيئاً واحداً. ففنعوا بمجرد  
بيان المناسبة بينها من غير أن ينظروا إلى أمر عام شامل بكل ما يحتوي عليه الآية أو  
السورة. فلذلك لم يصيبوا في أكثر المواضع بل خبطوا فيها خبط عشواء.<sup>3</sup>

وتكلم أولاً عن النظم في سورة البقرة ثم في سورة القصص ثم حثه ذلك على  
استيعاب الحديث عن نظم القرآن الكريم كله والذي اضطره إلى إخراج ما كتبه أمور:  
الأول: ما رآه من أن جل الاختلاف بين العلماء في التأويل إنما يمكن في عدم التزامهم  
رباط الآيات يقول: "فإنه لو ظهر النظام واستبان لنا عمود الكلام لجمعنا تحت رؤية  
واحدة وكلمة سواء (كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء). [سورة إبراهيم: 24].

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 89.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 91.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 16، المقدمة. (أقول لعل الشيخ الفراهي رحمه الله قد بالغ هنا في وصفهم  
بأنهم خبطوا خبط عشواء ولا سيما أنه قد أثنى على جهودهم قبل قليل وشكر سعيهم؟)  
ومرادهم رحمه الله أن العلماء لم يهتموا بهذا الجانب (وهو نظام القرآن) وإنما بذلوا جهودهم  
واستفرغوا وسعيهم في تلمس الروابط وبيان المناسبات بين السور والآيات فقط (والله أعلم).

والثاني: إني رأيت الملحدّين قد طنّعوا في القرآن من جهة سوء النظم<sup>1</sup>.

والثالث: إنه لا يخفى أن نظم الكلام بعض منه فإن تركته ذهب بعض معناه<sup>2</sup>.

وفي الكشف عن نظام القرآن لا يلجأ الإمام الفراهي إلى مناهج أهل الفلسفة والمنطق أو المتصوفة، وإنما يعتمد على القرآن نفسه. وفي ذلك يقول رحمه الله: "أجمع أهل التأويل من السلف إلى الخلف على أن القرآن يفسّر بعضه بعضاً وأنه أوثق تعويلاً وأحسن تأويلاً. فنقول: كما أن القرآن يفسّر مطالب آياته بعضها ببعض، فكذلك يدلّك على نظام مطالبها ومناسبتها بما يأتيك بنظائره فتكثر الشواهد على رباط أمر مع أمر. وبذلك يحثّك على التأمل في جامع وصلة بينها ثم يأتي عليه بأمثلة كثيرة بعضها أوضح من بعض حتى يتدرج بك على ما كان أدق وأغمض"<sup>3</sup> وجعل هذا من الأصول الأولية للتأويل فقال: "الأصل الثالث: فهم الكلام بعضه من بعض بالمقابلة وحمل النظير على النظير وذلك هو التأويل بالقرآن"<sup>4</sup>.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في أواخر سورة الأنفال (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) [سورة الأنفال: 72] وبعد ذلك جاء (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) [سورة الأنفال: 74] فلم يذكر (بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ) وهو مفهوم. ثم جاء بعيد ذلك (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ) [سورة الأنفال: 75] فلم يذكر (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ولا (بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ) ولكن ذلك مفهوم وقد دلّ عليه "معكم"<sup>5</sup>.

نجد أن الإمام الفراهي رحمه الله يحمل الآيات بعضها على بعض. فما أجمل في مكان بيّن في مكان آخر. وهذا هو الأصل الذي تدور عليه معظم كتبه في التفسير

<sup>1</sup> هكذا وردت، ولعلها من سوء الفهم.

<sup>2</sup> فاتحة تفسير نظام القرآن، الدائرة الحميدية، الهند، 1357هـ، ص 4-2.

<sup>3</sup> دلائل النظام، ص 83.

<sup>4</sup> التكميل في أصول التأويل (ضمن رسائل الفراهي في علوم القرآن)، ط2، الدائرة الحميدية،

الهند، 1357هـ، ص 263.

<sup>5</sup> المرجع السابق، ص 263.

وعِلوم القرآن.<sup>1</sup> ومما ورد في مقدمة الناشر لتفسيره: فالحق أن تفسير القرآن بالقرآن هو الأصل الأصيل عند الفراهي.<sup>2</sup>

وخير دليل على ذلك ما نص عليه رحمه الله في ديباجة فاتحة تفسيره إذ يقول: "أما بعد فقد اجتهدت في هذا الكتاب بحول الله وبتوقيقه أن أكشف عن نظام آيات القرآن وأن أفسره تفسيراً ساذجاً غير خالط به من اختلاف نجم فينا بعد عصر نبينا ﷺ، فالتمست معنى الآيات من أخواتها، وكذلك استنبطت نظام السورة من أعماقها ومن نفس سياقها. ثم بعد ذلك أيدت ما فهمنا من القرآن بالنقل والعقل. ففي أمر النظام تدليت في غور الكلام بالبصر النافذ. وفي أمر التفسير عضضت على كتاب الله بالنواجذ، وكنت في هذا على بصيرة من ربي، غير متبع لأحد. ومع ذلك لم أكن بمبدع في تتبع النظام، لأن جماعة من العلماء قصدوا إليه وصنفوا فيه".<sup>3</sup> ويتلخص منهج الإمام الفراهي في تفسيره في النقاط الآتية:

1. تفسير القرآن بالقرآن (وهو الأصل).
2. تفسير القرآن بالسنة (وهو مجيب إلى قلبه).
3. فإن لم يجد رجوع إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدركوا بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال.

يقول: "أول شيء يفسر القرآن هو القرآن نفسه. ثم بعد ذلك فهم النبي صلى الله عليه وسلم والذين معه، ولعمري أحب التفسير عندي ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه".... ثم يقول: وإنني مع اليقين بأن الصحاح لا تخالف القرآن، لا آتي بها إلا كالتتبع بعدما فسرت الآيات بأمثالها لكيلا يفتح باب المعارضة للمارقين الذين نبذوا القرآن وراء ظهورهم والملحدين الذين يلزموننا ما ليس له في القرآن أصل،

<sup>1</sup> انظر على سبيل المثال ص 242 من التكميل لتري المزيد من الأمثلة والتقارير لهذا الجانب من التفسير، وتفسيره نظام القرآن يدور حول ذلك.

<sup>2</sup> نظام القرآن، مقدمة الناشر، ص 6 (أقول: وهو أيضاً منهج الكثير من أصحاب التفسير بالمأثور أمثال الطبري وابن كثير والسيوطي وغيرهم).

<sup>3</sup> فاتحة نظام القرآن، ص 1.

ولكي يكون هذا الكتاب حجة بين فرق المسلمين وقبله سواء بيننا. فإني ما أردت أن أجمع كل ما يتعلق بالقرآن فإنه كنز لا ينفد على كثرة المجتهدين. والكتب في التفسير كثيرة. فمن يسرح فيها نظر التحقيق يؤت من العلم ما شاء الله. ولكني أردت ما يكون كالأساس والأم والوسط والحكم. ولهذا اقتصرته على ما في القرآن، غير جاحد لما تركته. كما جمع الإمام البخاري - رحمه الله - في كتابه كل ما ثبت عنده من الحديث متفقاً عليه مع ما ترك كثيراً من الصحاح.<sup>1</sup>

والأمثلة على ذلك كثيرة. نذكر بعضاً من الروايات والأحاديث التي اعتمد عليها الفراهي في تفسيره. فعند تفسير قول الله تعالى (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ) [سورة البقرة: 61] قال: (الْمَسْكَنَةُ) مفعلة من السكون، وتستعمل للعجز وسقوط الهمة وبؤس العيش. ومنها المسكين أي الذي سد عنه طرق الكسب. ودل على هذا المعنى ما جاء في الحديث: "ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان وإنما المسكين الذي لا يسأل ولا يفطن له فيعطى"<sup>2</sup> فالمسكنة شدة العجز وبؤس العيش.<sup>3</sup>

وعندما تكلم الإمام الفراهي عن سورة البقرة بشكل إجمالي استشهد على ما يقول بكثير من الأحاديث مثل قوله: "المقدمة في بيان العهود الإلهية. قال: اعلم أن أصل عهودنا تحقيق العبودية الكاملة وهي الإيمان بكونه ربنا لا شريك له ويلزم أن نسلم به أنفسنا. فتفرع منها عهدان: عهد التوحيد وعهد الطاعة، ومنهما الإذعان لما أرسل إلينا. ولذلك قال: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) [سورة النساء: 80]. ونعبر عن العهدين بقولنا "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وإلهما الإشارة في في قوله تعالى: آمنوا وعملوا الصالحات) وإليه يلمع قوله عليه السلام كما رواه البخاري في صحيحه".<sup>4</sup> هنا لم يذكر الإمام الفراهي الحديث بل خرجه ولعله يقصد الحديث "ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار".<sup>5</sup>

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 7.

<sup>2</sup> البخاري (1479) ومسلم (1039).

<sup>3</sup> تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ط1، الدائرة الحميدية، الهند، 1420هـ، ص 255.

<sup>4</sup> نظام القرآن، ص 267.

<sup>5</sup> البخاري، كتاب العلم، باب: من خص بالعلم قومًا دون قوم.. رقم الحديث: 182.



موقفه من الإسرائيليات: أفاد الإمام الفراهي -رحمه الله- من دراساته اللغوية (كالعبرية والإنكليزية والفارسية) في دراسة الأخبار الواردة عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى وهو لا يذكر الروايات الواردة في كتب التفسير بل يرجع إلى ما كتب عن القرآن بأيديهم ليقيم الحجة عليهم. يقول في فاتحة التفسير: "وبعد التمسك الشديد بالقرآن آتي بشهادات الكتب التي نزلت على من قبلنا كما آتى بما روي من الأحاديث تبعاً. والغرض كشف ما وافقت فيه الآيات وإقامة الحجة على الأمتين من كتبهم".<sup>1</sup>

وموقفه من الإسرائيليات هو موقف المفسرين عموماً. فما وافق شريعتنا قبل وما خالف رفض وما سكت عنه فنحن بالخيار. وهذا ما صرح به في المقدمة الثانية في المآخذ الخيرية فقال: من المآخذ ما هو أصل وإمام، ومنها ما هو كالفرع والتبع، أما الإمام والأساس فليس إلا القرآن نفسه وأما ما هو كالتبع والفرع فذلك ثلاثة:

1. ماتلقته علماء الأمة من الأحاديث النبوية.
  2. وما ثبت واجتمعت الأمة عليه من أحوال الأمم.
  3. وما استحفظ من الكتب المنزلة على الأنبياء.
- فينبغي لنا أن لا نأخذ منها إلا ما يكون مؤيداً للقرآن وتصديقاً لما فيه. ثم يقول: "ومن نظر في الكتب السابقة استبان له فضل تعليم القرآن عليها، وإعادة بعض ما نسوه من كتبهم، وكشف ما بدلوه، والذي يهتك هو أن تجعل بين ما نطق به القرآن وبين ما تجد في الفروع سدّاً وحاجزاً فلا تخلطهما".<sup>2</sup>

ولعل سبب اهتمامه في ذلك مرده إلى تولي المستشرقين في عهده أعلى المناصب في الجامعات والمعاهد الدينية في الهند، وانتشار المنصرين في كل أرجاء الهند يوزعون صحائفهم المحرفة وينظرون علماء المسلمين ويخادعون دهماءهم. مثال: قوله تعالى: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا

<sup>1</sup> ديباجة الكتاب، ص 7.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 10-11.

تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ [سورة البقرة: 44] قال الفراهي: "وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ" حجة عليهم. فإن حقوق الفقراء وإن أخرجوها من سفر اللاوين- وهو كتاب النذور وحقوق الكهنة- فإنها باقية في سفر التثنية، ويقول (اذكر الآيات من التثنية)<sup>1</sup> وقد كانوا يكتمون هذا السفر لما فيه أمور خلاف رضاهم، وقد جعلوا التوراة مخزأة كما قال تعالى: (ق قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا يَسْتُبْذِنُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا) [سورة الأنعام: 91]. وقد أنكر بعض متأخري النصارى هذا السفر والسبب الخفي لذلك أن فيه البشارة بنبينا عليه الصلوات<sup>2</sup>. تلاحظ أن الإمام الفراهي رحمه الله تعالى إنما رجع كتبهم ليقيم الحجة عليهم<sup>3</sup>.

اهتمامه بالنواحي اللغوية والبلاغية: إن المطلع على مؤلفات العلامة الفراهي ليعجب إذا قيل له إنه أعجمي وخاصة كتبه في التفسير وعلوم القرآن. فقد كانت لغته قوية جزلة ناقش فيها الشعر الجاهلي وصحح بعض الأفهام في توجيهها. وعندما كتب مقدمة تفسيره "فاتحة نظام القرآن" واطلع عليها العلامة السيد رشيد رضا قال: "وقد ألقينا على بعض هذه الرسائل لمحة من النظر، فإذا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير، يشترك مع طريقنا في القصد إلى المعاني من حيث هي هداية إلهية دون المباحث الفنية العربية. وإن للمؤلف لفهمًا ثاقبًا في القرآن، وإن له فيه مذاهب في البيان، وإنه لكثير الرجوع باللغة إلى مواردها، والصدور عنها ريان من شواهدا"<sup>4</sup>.

وقال تلميذه وصديقه عن مقدمة تفسيره: "وقد أجاد في تحبير هذه الخطبة ما شاء الله أن يجيد"<sup>5</sup> وهي التي سمعها العالم الأديب السلفي الدكتور تقي الدين

<sup>1</sup> قال الناشر: لعله يشير إلى 14: 29، 15: 7-11، 24: 19-21، 26: 12-13.

<sup>2</sup> نظام القرآن، ص 232-233.

<sup>3</sup> انظر أمثلة ذلك في ص 226-227، 230-231، 248-249، 253 وما بعدها.

<sup>4</sup> من مقدمة الناشر لكتاب نظام القرآن، ص 4.

<sup>5</sup> مقدمة الناشر للتفسير، ص 9.

الهلاي المراكشي رحمه الله من لسان المؤلف حينما زاره في رحلته الأولى إلى الهند سنة 1342هـ فقال في مذكراته: "سمعت منه خطبة تفسيره للقرآن أغرقت منها عيناى لفصاحتها وحقيقتها"<sup>1</sup> وقد قلت عنها سابقًا: "كأنها قبسات من التنزيل".

إنما ذكرت ذلك لأبين أن الإمام الفراهي الهندي سبق العرب في فصاحته وبلاغته بفضل عشقه للقرآن الكريم ولغته لغة العرب فأحب العرب وأقبل على لغتهم يلتمسها حتى برع فيها وبلغ من حبه للعرب ما جعله يعد سيئاتهم إنما نبتت من الحسنات. وفي ذلك يقول: "وإنما كان القرآن معجزًا للعرب لما أنهم تأثروا له"<sup>2</sup> فإن العرب على علاقتها كانت على سذاجة الفطرة وحب المعالي من الجود وصلة الرحم والغيرة والشكر ولا سيما شرفائهم وخيارهم حتى إن سيئاتهم نبتت من الخيرات"<sup>3</sup>.

وهو في تفسيره يعتمد على القرآن الكريم نفسه كما بينت سابقًا في منهجه العام، ثم كلام العرب الأقحاح مع استفادته من كتب اللغة مراعيًا حدودها وقصورها يقول: "وأما كتب اللغة فمقصرة فإنها كثيرًا ما لاتأتي بحد تام ولا تميز بين العربي القح، ولا تهديك إلى جرثومة المعنى،<sup>4</sup> فلا يدري ما الأصل وما الفرع، وما الحقيقة وما المجاز؟ فمن لم يمارس كلام العرب واقتصر على كتب اللغة ربما لم يهتد لفهم بعض المعاني من كتاب الله تعالى"<sup>5</sup>.

قال مثل ذلك على بقية العلوم. فإن العلامة الفراهي يراها قاصرة عن بلوغ المرام، يقول: "وأما باقي علوم اللسان كالنحو والمنطق والأصول والبيان والبلاغة والقافية فالكتب المدونة فيها مع كثرة فوائدها أشد تقصيرًا من كتب اللغة لفهم القرآن"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 9.

<sup>2</sup> هكذا وردت، والمعروف عندنا (تأثروا به) والله أعلم.

<sup>3</sup> القائد إلى عيون العقائد، ط1، الدائرة الحميدية، الهند، 1395هـ، ص 181.

<sup>4</sup> أي أصل المعنى، والجرثومة: الأصل، انظر ابن الأثير، النهاية في علوم الحديث والأثر، 1/184.

<sup>5</sup> فاتحة نظام القرآن (ديباجة المؤلف)، ص 12.

<sup>6</sup> المرجع السابق، ص 13.

وكثيرًا ما يستشهد على توضيح المعنى المراد بالشعر وخاصة الشعر الجاهلي الذي تذوقه وعالجه وبين شواهد ويأتي على ذلك كما قال "بشهادة من أشعار العرب ليعلم الجاحد أنه أي القرآن لهو الأسلوب الأعلى".<sup>1</sup>

وبعد هذا العرض الموجز نبين منهجه بالتفصيل من خلال تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" وهذا الكتاب عاش مع العلامة الفراهي ومات ولم يكمله. وكان آخر ما كتبه هو تفسير سورة البقرة التي صدرت عن الدائرة الحميدية قبل ثلاث سنوات من الآن وقرابة سبعين سنة من وفاة المؤلف رحمه الله. وقد بقيت في المسودة فصول لم تكتب وفقرات كتب عليها "أبهم هذا البيان فيكتب مرة أخرى".<sup>2</sup>

وقد صدر قديمًا أجزاء من هذا التفسير في حياة المؤلف رحمه الله وكان كل جزء مفردًا لتفسير سورة من السور الآتية: الذاريات، التحريم، القيامة، المرسلات، عبس، الشمس، التين، العصر، الكوثر، الكافرون، اللهب. ثم نشر بعد وفاته جزءان: جزء في تفسير سورة الفيل وآخر فيه مقدمة التفسير (فاتحة نظام القرآن) مع تفسير سورة الفاتحة والبسملة.

ولم يكن بدء المؤلف -رحمه الله- بتفسير تلك السورة لسهولة قصرها كما يبدو أول وهلة. بل لما أشكل من نظامها أو أساليها على كثير من المفسرين. وليتبين أن قصار السور ليست بأقل من طولها في سعة مضامينها ودقة نظامها وكمال بلاغتها. ففي سورة الفيل ذكر خمسة عشر مطلبًا في تفسيرها:

1. في تفسير كلمات السورة.
2. في تعيين المخاطب بهذه السورة.
3. عمود السورة وربطها بالتي قبلها وبالتي بعدها.
4. بيان فضل الله بهذا البيت وأهله على سائر المعابد وذويه.

<sup>1</sup> المرجع السابق نفسه.

<sup>2</sup> انظر مقدمة الناشر لتفسير سورة البقرة من نظام القرآن، ص 3.

5. أمور مهمة مما يتعلق بتقديس مسجد وحفظه.
  6. إجمال القصة حسبما نص عليه القرآن.
  7. النظرة الأولى وهي فيما زعموا من سبب مجيء أبرهة وفرار أهل مكة وما جرى بينه وبين عبد المطلب.
  8. النظرة الثانية وهي في رمي أصحاب الفيل بالحجارة وكونها من الآيات العظام.
  9. النظرة الثالثة وهي فيما كان من أمر الطير التي أرسلت على أصحاب الفيل.
  10. الاستدلال بكلام العرب على أنّ الرمي كان من السماء والريح.
  11. في أكل الطير أصحاب الفيل تصديق لبشارة عظيمة في نبينا ﷺ.
  12. اسباب صارفة عن التأويل الراجح.
  13. بيان معنى الرمي بالحجارة وتمهيد للنظر في أصل رمي الجمار بمنى.
  14. أصل سنة رمي الجمار.
  15. أثر هذا التأويل في القلوب عند عمل رمي الجمار.
- ويقع هذا التفسير في إحدى وأربعين صفحة مطبوعة طبعة حجرية بالخط الفارسي في مطبعة أعظم كره في الهند - كما بينت سابقاً - سنة 1354 هـ.
- قال في أولها: "في كلمات السورة: ليس في السورة كلمة غريبة، وإنما نفسرها لتتضح وجوهها وما يتعلق بها من الأحوال. فأما أصحاب الفيل فجيئ أبرهة الأشرم".<sup>1</sup>
- ومن مباحثه اللغوية تفسير الكيد قال: وأما الكيد فهو التدبير الخفي لضرر العدو. قال تعالى: (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۖ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۚ) [سورة الطارق: 16]
- أيضاً في قصة فرعون (فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى) [سورة طه: 60] وأيضاً فيها (فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَتُوا صَقًّا) [سورة طه: 64] وأيضاً في كفار العرب (لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا) [سورة آل عمران: 120]
- وقال النابغة:

يقودهم النعمان منه بمصحفوكيد يغم الخارجي مناجد<sup>2</sup>

<sup>1</sup> تفسير سورة الفيل من نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص 1.

<sup>2</sup> قال الجوهري في الصحاح: رجل مناجد: أي مقاتل.

وقال زهير بن أبي سلمى يصف الملك سنًا:

له لقب لباعي الخير سهل وكيد حين تبلوه متين

أي تدبير محكم، وقال تعالى (وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٢﴾) [سورة الأعراف: 182، وسورة القلم: 45]. وكذلك ينسب إليه الوهن والضعف. قال تعالى: (وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ) [سورة الأنفال: 18]. وأيضًا (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) [سورة النساء: 76] وكذلك ينسب إليه الضلال والتباب وعدم الهداية كما سيأتيك.<sup>1</sup>

يلاحظ كيف أنه جمع الآيات الواردة في الكيد ومن خلال السياق استطاع أن يعطي للكلمة معناها المناسب، مستشهدًا على ذلك بالشعر القديم. ويتابع التفسير. ففي تعيين المخاطب بهذه السورة يقول: "قبل النظر في عمود السورة وربطها، لا بدّ من تعيين المخاطب بهذه السورة ليتمهد السبيل إلى معرفة صحيح التأويل وربط المعنى وحسن الموقع. فاعلم أن الخطاب ههنا متوجه إلى جميع من رأى هذه الواقعة أو أيقن بها من طريق تواتر الحكاية ممن رآها<sup>2</sup>... إلخ.

وعند كلامه عن عمود السورة وربطها بالتي قبلها والتي بعدها قال: "ذكر القرآن في السورة السابقة كل همزة لمزة مفتخر بماله، ذاهل عن مآله فدعا عليه بالويل، وأنبأه بأنه ينبذ في الحطمة والنار الموقدة. ففي هذه السورة إظهار على ما فعل بأمثاله حين اعتمدوا على قوة شوكتهم واجترؤوا على الله، لأنهم قد علموا في كتبهم حرمة هذا البيت العتيق.. إلخ

إلى أن يقول: "فاتضح مما قدّمنا أنّ عمود هذه السورة: تمهيد وجوب الشكر لله تعالى بذكر ما جعل لأهل مكة خصوصًا والعرب عمومًا من العز والكرامة بما حماهم وبلدهم ببركة هذا البيت المحرم. فجعل لذكر هذه النعمة سورة كاملة فلم يذكر ما يتعلق به من الحكم أي (فليعبدوا رب هذا البيت) فجعله في سورة تالية

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 1-2.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 4.

لكي يعرفوا منزلة هذه النعمة التي فضّلهم بها على سائر الأمم حتى بني إسرائيل، فإنهم أسروا وقتلوا ومزّقوا كلّ ممزق وكذلك أخذ عنهم بلدهم وهيكلمهم ودمّر وحرّق. (وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾) <sup>1</sup> [البقرة: 105] فيعطي حسب علمه وحكمته فليشكروا له ولا يغتروا بنعمته. وإنا نذكر أسباب هذا التفضيل أنّ ذلك كان على غاية الحكمة".<sup>2</sup>

وقل مثل ذلك عن أول سورة قام بتفسيرها وهي سورة القيامة. فتكلم فيها عن عمود السورة وربطها بالتي قبلها، ثم بيان أسلوبها، وأن الكلام جارٍ على معنى متصل، ثم بيان وجه الاحتجاج فيها، ثم الكلام عن تفسير (لا أقسم) وهكذا إلى آخر السور سنة 1303هـ...

ونختم بنماذج من تفسير سورة البقرة وهي من آخر ما كتبه المؤلف رحمه الله. وقد ذكرت بعض النماذج من تفسيره سابقاً وأضيف بعض النماذج لتتضح الصورة أكثر. وقبل الشروع في ذلك أحبّ أن أقتبس إليك بعض الكلمات من خطبته الجامعة المانعة التي أدهشت كبار العلماء وذرفت لها الدموع ذرفاً. فيقول بعد حمد الله تعالى والصلاة على رسوله وبعد بيان تاريخ هذا العلم والحال الذي وصل إليه قال: "إني تصفحت كتب التفسير وسبرتها سبراً فما وجدتُها إلا (كسراب بقية يحسبه الظمآن ماء) فلم تبرد غلتي بل زادت قلبي حرّاً، وملأت كبدي جمراً، ففزعت إلى تدبير كتاب الله وسعة معانيه وتركت أقاويل الناس هجرّاً. وكان بداية أمري أنني بينما أجيل الطرف في نجوم الآيات، إذ أضاء لي في أفقها الأعلى سلك نظامها مثل الخيط الأبيض من الصبح، فما ازداد إلا سطوعاً وجهراً، فكشف الحجاب عن فؤادي أو طهر<sup>3</sup> قذي عن عيني طحراً فأبصرت قصدي وتبينت رشدي وصرت أعمل في أساليب نظامها وأعاجيب

<sup>1</sup> في الأصل (والله واسع عليم) ولعله سهو من المؤلف.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 7.

<sup>3</sup> طرحت العين قذاها، تطهر طحراً: رمت به، انظر الصحاح للجوهري "طهر".

رباطها فكرياً، وقضيت على ذلك عصراً، ومن أحسن عمري شطراً، حتى ولّى الشباب ظهراً، وأذاقني المشيب طعماً مرّاً، وكرت علي الأوجاع والأسقام كراً، ولامني الصديق ونظر الحقود إلي شزراً، بأني قد ركبت وعراً، وتولّيت أمراً إمراً، ولكني لم أزل مشتغلاً بخصيصاي لا أقصر عنها قصراً، كأن أمراً من السماء يسوقني إليها قسراً، لا أدري لعل الله وجد المسلمين عمياء مظلمة فأراد أن يرفع عن خرائد<sup>1</sup> القرآن خدرّاً، وأراد أن يصلح آخر هذه الأمة بما أصلح به أولها فشرح من بعضهم لفهم كتابه صدرّاً، ولولا هذا الرجاء لما اقتحمت من هذا الخضم غمراً، ولولا حديث الألجام لما تصديت لأمر لو نزل على الجبال لهبطت لعظمته خراً، فتوكلت على الله (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا ﴿٣﴾) [الطلاق: 3]. فإن شاء ربي سيجلي لنواظرك من القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان سفرّاً بديعاً في خصائصه بكرّاً، تجد أسفار القوم عن معظمها صفرّاً، كاشفاً لك عن بديع نظام القرآن سترّاً، متمسكاً بآياته في التأويل فكأنني نذرت نذرّاً أن أتمسك بآيات الله ونظامها فلا أجاوز عنها شبرّاً، ناشراً بين يديك حبرات من معجز بلاغته نشرّاً، مطلعاً بك على ذروة الحكمة التي تعجز الحكماء دونها بهراً، معتصماً بأصول راسخة للتأويل يذعن لها أولو النهي إلا غمراً، منتحياً لتأويل واحد فتارگاً كل رث واهن وأخذاً ما كان محكماً ممرّاً، مجتنباً غلوّاً في الدين فلم أكن متخذاً الباطنية بطانة ولا الظاهرية ظهراً، مفارقاً من لم يفرق بين سنة الله وسنن المخلوقات، فكذب بينات القرآن وحرف آياته زوراً ومكرّاً، قائلاً للمبتدعة كلهم حجرّاً وللملحدين جميعهم بهراً: ذلك، وقد تبرأت من حولي وقوتي إلى توفيق ربي فما أشدنا إليه فقرّاً!! اللهم ربنا لا تؤاخذني بما نسيت أو أخطأت فأنت الغني الحميد، وأنا عبدك الحقير الفقير، فلا ترهقني من أمري عسراً، واجعل اللهم ربنا عملي خالصاً لوجهك، واجعله لي في الآخرة وسيلة وذخراً".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> الخرائد جمع خريدة، وهي العذراء، ومن المجاز لؤلؤة خريدة: عذراء، انظر أساس البلاغة: 343.

<sup>2</sup> من خطبة الإمام العلامة الفراهي لتفسيره نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص 23-24.



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

إنك لتعجب كل العجب من هذا الكلام السلس المنمق، وقد طيع الله له اللغة العربية وهي ليست لغة الأم. فينتقي منها ما يريد ويدع ما يريد، فجاءت في غاية الإحكام والانسجام، وقد حبرها تحبيراً.

ثم قسم تفسيره إلى سبعة عناوات:

1. المقدمة.

2. الكلم.

3. النحو.

4. البلاغة.

5. التأويل.

6. التدبر.

7. النظم.

أما المقدمة: ففي أمور كلية من عمود السورة ومطالبها، ومواقع نزولها، ووجه خطابها، وترتيب أجزائها.

وأما الكلم: ففي معنى الكلمة ومادتها وصورتها والاستدلال فيه بالقرآن وكلام العرب. وأما النحو: ففي تأليف الكلمة والاستدلال فيه بالنظائر وحسن التأويل.

وأما البلاغة: ففي دلالة الأساليب على معان تناسب المحل.

وأما التأويل: ففي حمل الكلام على مراده حسب المحل، وفي ذلك معظم الاستدلال بالقرآن وكلام العرب.

وأما التدبر: ففي ذكر المبادئ والنتائج أي اقتضاء النص وإشارته، والاستدلال فيه بصريح العقل وكتاب الله.

وأما النظم: ففي بيان موقع جملة من الكلام ورباط بعضها ببعض.

ثم تناول السورة بالشرح والبيان وافياً بما التزمه.

وسأعطيك مثلاً من تفسيره يمتع ناظريك، ويسر مقلتيك، ويجعلك تقبل عليه بكلتا يديك. وهو تفسير ثلاث كلمات من قوله تعالى (وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ)

[البقرة: 45] يقول: "أي استعينوا بالصبر والصلاة على الإتيان بما أمرناكم به، والانتفاء عما نهيناكم عنه كما تقدم آنفًا.

واعلم أن المراد بهذا الأمر هو التمسك بالصلاة. وأما ذكر الصبر قبلها فلكونه شرطًا وذريعة إليها. فإن الصلاة لا يمكن التمسك بها إلا بالصبر. فالصلاة كجسر عظيم لا بد له من أساس شديد. قال تعالى مخاطبًا نبيه عليه السلام (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) [طه: 132] وبين ذلك في الجملة التالية، فاطلب البيان من تفسيرها.

واعلم أن المراد من الاستعانة بالصلاة هو الاستعانة بالرب تعالى، كما هو ظاهر. قال تعالى: (قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا) [الأعراف: 127] أي صلوا لربكم، وذلك بأن الصبر الذي جعله الله تعالى رأس الأمور وأساسها، هو الاستقامة بطمأنينة القلب على وعد الله، والاستحقار لما يقاسيه العبد من البلاء والأذى، كما قال تعالى: (فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ) [هود: 49]. فهذه الصفة هي التي يلتصق بها العبد بربه ولا يزال قائمًا بين يديه مولاه توابًا أوابًا، قال تعالى: (وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) [الرعد: 22]، وقال تعالى: (فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ) (١٣) (ق: 39)، فالصبر من هذه الجهة من شرة الصلاة، ولذلك يعبر بالصابر عن المصلي، قال تعالى: (اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [البقرة: 153] فنبه على أن الصابرين هم المصلون، فجعل الصبر دليلًا على الصلاة، فاكتفى بذكره عنها، وههنا جعل الصلاة دليلًا على الصبر، لكونه مشتملاً عليه، وسيأتيك ذكره في تأويل الآية التالية<sup>1</sup>.

ولولا ضيق المساحة في البحث لأتيتك من تفسيره بما يأخذ بالألباب، ويقضي منه العجب العجيب، ومن أراد المزيد فدونه الكتاب، فليقض منه وطراً، ولينشر منه

<sup>1</sup> تفسير نظام القرآن، ص 233-234.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

خيرًا، ويترحم على صاحب الجنب، أجزل الله مثوبته، وأسكنه فسيح جنته،  
ورزقنا وإياه متعة النظر إلى وجهه الكريم في المآب..

التوصيات:

1. بعد الاطلاع على جهود الامام الفراهي في التفسير وعلوم القرآن، فإن المرء ليعجب كيف بقي هذا العلم مغمورًا في الأوساط العلمية والثقافية طيلة هذه المدة، ولذلك لابد من التعريف به وبجهوده في خدمة القرآن الكريم وعلومه.
  2. قيام المؤسسات العلمية والمراكز التراثية بتحقيق كتبه ونشرها.
  3. إضافة ترجمته إلى كتب الأعلام الشهيرة المعاصرة.
  4. العمل على إقرار بعض كتبه في الجامعات، وهذا ما حصل في جامعة الإمارات العربية المتحدة بفضل جهود أخينا "أحمد حسن فرحات" جزاه الله خيرًا.
  5. تكليف بعض طلاب الدراسات العليا في الكتابة عنه وعن جهوده في التفسير وعلوم القرآن، أو عن النظام عند الإمام العلامة عبد الحميد الفراهي، ولا يكتفى بما كتب عنه سابقًا.
  6. ترجمة سائر كتبه التي كتبها بغير اللغة العربية إلى العربية اليوم ليعم النفع بها.
  7. عقد مؤتمر دولي خاص به بمناسبة مرور (75) عامًا على وفاته.
- إننا إذا فعلنا ذلك نكون قد أعطينا الرجل شيئًا من حقه، ولعله هو لا يريد كل ذلك، فقد عاش غريبًا، ومات غريبًا، فطوبى للغرباء.

المصادر والمراجع

1. إمعان في أقسام القرآن، للفراهي، ط1، دار القلم، دمشق، 1415هـ.
2. البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، مصر، 1972م.
3. تفسير سورة الفيل من نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، للفراهي، مطبعة أعظم كره، الهند، 1354هـ.
4. تفسير سورة القيامة من نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، للفراهي، الدائرة الحميدية، الهند: 1349هـ.
5. تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، للفراهي، الدائرة الحميدية، الهند، 1420هـ.
6. التكميل في أصول التأويل (ضمن رسائل الفراهي في علوم القرآن)، ط2، الدائرة الحميدية، الهند، 1357هـ.
7. الجامع الصحيح، للبخاري، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، 1314هـ.
8. جمهرة البلاغة، للفراهي، مطبعة معارف، أعظم كره، الهند، 1360هـ.
9. دلائل النظام، للفراهي، الدائرة الحميدية، أعظم كره، الهند، 1411هـ.
10. شبلي النعماني علامة الهند لمحمد أكرم الندوي، ط1، دار القلم، دمشق، 2001م.
11. الصحاح، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد العفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م.
12. فاتحة تفسير نظام القرآن للفراهي، الدائرة الحميدية، الهند، 1357هـ.
13. في ملكوت الله، للفراهي، الدائرة الحميدية، الهند، 1391هـ.
14. القائد إلى عيون العقائد، للفراهي، الدائرة الحميدية، الهند، 1395هـ.
15. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، السنة السادسة، أبريل 1989م (افتتاحية العدد الثالث عشر بقلم الدكتور أحمد حسن فرحات).
16. المفردات، للفراهي، تحقيق: د. محمد أجمل أيوب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.

---

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

---

17. النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، وحمود محمد  
الطناحي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1357هـ.

## منهج الإمام الفراهي في تفسير القرآن

كما اتبعه في تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"

-د. محمد قاسم العادل<sup>1</sup>

الملخص: الإمام عبد الحميد الفراهي (1863-1930م) هو علامة التفسير والعربية في الهند، وآية من آيات الله في سعة العلم والمعرفة، وحدة الذهن وكثرة الفضل. وقد دعاه العلامة سيد سليمان الندوي "ابن تيمية عصره"، كما عدّه الشيخ مناظر أحسن الكيلاني "الرازي والغزالي في عصره". وللفراهي مؤلفات عديدة في العلوم والفنون وخاصة في الدراسات القرآنية. وهو كان يرى أن القرآن الكريم يفسّر بعضه بعضاً. فأعرض عن القصص والروايات الإسرائيلية وما أتى به المفسرون من الزخارف والعجائب في تفسير القرآن الذي أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير. وبناءً على ذلك بدأ تأليف كتابه (نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان) في التفسير ولكن الأجل لم يمهلته لتكميل هذه الخطة النبيلة.

وما وجدنا من تفسير السور المختلفة فهو مقياس لمنهجه الذي انتهجه فيها. وينقسم منهجه في التفسير إلى الأصول الأولية (ما يتمسك به حيث الاحتمال لمعان شتى) من التمسك بنظم الكلام وسياقه، وعدم الالتفات إلى المعنى الشاذ، وتأويل القرآن بالقرآن، وأساليب الكلام، والنظر في المخاطب... والأصول المرجحة (ما يتمسك به إذا احتمل الكلام معاني مختلفة) وهي اختيار ما كان أوفق بالمقام وعمود الكلام عند اختلاف الوجوه والاعتبار، والأخذ بما له نظير في باقي القرآن، وبأحسن الوجوه عند اختلاف الآراء، والتدبر في نظم الآيات في نفسها وربطها بالسابق واللاحق، وما إلى ذلك.

<sup>1</sup> أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية ذاكر حسين دلهي التابعة لجامعة دلهي

وسنتعرف على منهج الإمام الفراهي الخاص في التفسير بشيء من التفصيل في هذه الدراسة والله هو الموفق والمستعان.

قد وضع الإمام عبد الحميد الفراهي (1863-1930 م) منهج تفسيره على أصول مهمة وتمسك بها في كتابة تفسيره المسّوّى بـ "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"<sup>1</sup> وكان يريد أن يفسّر سائر سور القرآن مراعاة لمنهجه هذا ولكن الأجل لم يمهله لتكميل خطته النبيلة. وما وجدنا من تفسير السور المختلفة فهو مقياس لمنهجه الذي انتهجه فيها، وقد راعى جميع أصوله للتفسير مراعاة تامة في تفسيره لبعض السور. وينبغي لنا أن نعرف تلك الأصول التي وضع عليها الفراهي منهجه التفسيري. فنرى أن الأستاذ الفراهي قد قسم أصول التفسير إلى ثلاثة أقسام. أولها: الأصول الأولية وهي ما يتمسك به حيث الاحتمال لمعان شتى. وثانيها: الأصول المرجحة التي يتمسك بها إذا احتمل الكلام معاني مختلفة. وثالثها: الأصول الكاذبة وهي أن يؤول القرآن إلى الحديث أو إلى الكتب السماوية المحرفة والروايات الإسرائيلية التي اعتمد عليها بعض المفسرين وليست بشيء. فنلقي الضوء على القسمين الأولين وأما القسم الثالث فلا حاجة إلى العناية به لأن بطلانه واضح بَيّن.

الأصول الأولية لمنهجه في التفسير: ذكر الإمام الفراهي من الأصول الأولية، التمسك بنظم الكلام وسياقه، وعدم الالتفات إلى المعنى الشاذ، وتأويل القرآن بالقرآن، وأساليب الكلام، والنظر في المخاطب. وهذه هي فروع للأصول الأولية نشرحها في الأسطر الآتية بشيء من التفصيل.

وأما التمسك بنظم الكلام وسياقه فعنوان كتابه "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" يدل على أنه ركز في تفسيره على جانب مهم من التفسير وهو مراعاة النظم وسياقه. وناقش الإمام الفراهي هذا الموضوع في رسائله المطبوعة باسم "رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن" وهو يقول: إن الكلام لا يحتمل معنى

<sup>1</sup> قد نشرته الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، سراي مير، أعظم جره، الهند، في عام 2008م.

يخالف نظمه ورباط معانيه، فإن خلل النظم منفي عن كلام العقلاء، فما أبعد  
عن كلام الله المعجز وهذا أصل ظاهر ولكن أهل الزيغ سعوا في هدمه ووضعوا  
الأحاديث ففتنوا بها ضعفاء العقول من صالحى المؤمنين، عفا الله عنهم، فإن  
الأعمال بالنيات ومن أمثلة ذلك آية التطهير.<sup>1</sup> ومراده من آية التطهير "وَقَرْنَ فِي  
بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا".<sup>2</sup>

يقول المفسرون إن كلمة "أهل البيت تعم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأولاده  
كما يقول المفسر فخر الدين الرازي (1149-1210 م) في تفسير أهل البيت "أن  
الأولى أن يقال لهم أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم وعلي منهم لأنه كان من  
أهل بيته، بسبب معاشرته ببنت النبي عليه السلام وملازمته للنبي"<sup>3</sup>

ولكن الإمام الفراهي يقول إن آية التطهير لم تنزل ولا تتعلق إلا بأمهات المؤمنين ولا  
دخل فيها لغيرهن لأن سياق الكلام ونظمه يخالف التعميم ولا يحتمله والخطاب  
في هذه الآية خاص بأمهات المؤمنين. وتؤيد هذا المفهوم الآيات القرآنية الأخرى  
مثلاً "فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله أنس من جانب الطور نارا قال لأهله  
امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون"<sup>4</sup>  
ومثلاً "وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم  
وهم له ناصحون فرددناه إلى أمه كي تقر عينها".<sup>5</sup>

وكذلك الأمر لأية "ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض يعذب من يشاء  
ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير"،<sup>6</sup> قال عبد القادر الدهلوي (1754-

<sup>1</sup> رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن للفراهي: 262

<sup>2</sup> سورة الأحزاب: 33

<sup>3</sup> مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لمحمد بن عمر فخر الدين الرازي: 208/24

<sup>4</sup> سورة القصص: 29

<sup>5</sup> سورة القصص: 12

<sup>6</sup> سورة البقرة: 284



1815م).<sup>1</sup> إن الله تعالى يعذب عذاباً على إثم صغير، إن شاء، فلا اعتراض عليه وهذا تأويل باطل عند الإمام الفراهي فإن المراد من الآية أن الله تعالى يعذب الظالمين ويتوب على التائبين فهو المالك على الإطلاق فكما يعذب بقدرته، فكذلك يغفر بقدرته وهذا تأويل موافق بنظم الكلام فإن الله تعالى ذكر قبل هذه الآية عذاب السارق والمغفرة له، إن تاب بعد ظلمه، فنبتة على أنه لا مانع له من المغفرة والتوبة على من تاب وأصلح وهذا هو إطلاق المشيئة ولا شك في أنه لا اعتراض عليه في ما يفعل ولكنه لا يفعل غير الحق والقسط".<sup>2</sup>

وأما عدم الالتفات إلى المعنى الشاذ فيقول الإمام الفراهي إن اللفظ الحسن المصون ربما يستعمل عوض الظاهر العامي ولكن اللفظ إذا استعمل، لا بد له أن يدل على مفهومه المعلوم الثابت، فأريد به مفهوم ينكره الناس ويدعيه مدّع ولا سبيل إلى إثباته، وهذا تعمية والقرآن أنزل الله عربياً مبيناً، فلا شيء يترك الإفصاح؟ وأما المطالب العالية فليست من هذا الباب فإن الكلام فيها واضح في مفهومه والمطالب العالية إنما هي منطوية تحت المفهوم غير مضاد ولا مناقض للمفهوم ومن أمثلة ذلك تأويل قوله تعالى "فإن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما".<sup>3</sup> سعى المبطلون في تحويل معنى الصغو إلى الزيف ووضعوا لتأويلهم الباطل قراءة باطلة تثبت فضلاً أن تكون متواترة.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> الشاه عبد القادر (1754-1815م): كان معروفاً بالعلم والفضل والاستغناء والتقوى. كتب ترجمة تفسيرية للقرآن الكريم، وكتب تفسيراً مختصراً له سماه "موضح القرآن"، وتعتبر هذه الترجمة من أدق تراجم القرآن الكريم وأحسنها، مثل "ترجمة أبيه للقرآن الكريم باللغة الفارسية"، كان يقوم بتربية الراغبين في التربية والمقبلين عليها، ودرس كتاب الله طول حياته: [https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B4%D8%A7%D9%87\\_%D9%88%D9%84%D9%8A\\_%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87\\_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%87%D9%84%D9%88%D9%8A](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B4%D8%A7%D9%87_%D9%88%D9%84%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%87%D9%84%D9%88%D9%8A)

<sup>2</sup> رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن للفراهي: 82

<sup>3</sup> القرآن: التحريم: 4

<sup>4</sup> رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن للفراهي: 263

وأخطأ المفسرون ومنهم عظام المفسرين أمثال الرازي والطبري والزمخشري في شرح لفظ "الصغو" فيقولون إن معناه هو الزيف والميل عن الشيء وهو شاذ والمعنى الثابت لهذه الكلمة هو الميل إلى شيء خلاف الزيف فمثلاً يقول الرازي في تفسير آية "فقد صغت قلوبكما أي عدلت ومالت عن الحق"،<sup>1</sup> ويقول الزمخشري صاحب تفسير الكشف في تفسير هذه الآية إنه "قد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه".<sup>2</sup>

ومن الأصول الأولية لدى الإمام الفراهي تأويل القرآن بالقرآن أو بعبارة أخرى فهم الكلام بعضه من بعض بالمقابلة وحمل النظير على النظير. فالقرآن كثيراً ما يترك مجملاً ما فصله في موضع آخر والمعنى يفهم من غير أن نحتاج إلى تفصيله من نفس الكلام مثلاً في أواخر سورة الأنفال يقول الله "إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله"،<sup>3</sup> وبعد ذلك يقول "والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله" فلم يذكر "بأموالهم وأنفسهم" وهو مفهوم ثم جاء بعد ذلك "والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم" فلم يذكر "في سبيل الله" ولا "بأموالهم وأنفسهم" ولكن ذلك مفهوم وقد دلّ عليه "معكم".

وكذلك جاء في أوائل سورة البقرة "إن الذين كفروا سواء علمهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون. ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم"،<sup>4</sup> ففهمنا من "الذين كفروا" من كفر بالله وصفاته من العدل ولذلك كفر بالجزاء وفهمنا من "لا يؤمنون" أنهم لا يصبرون مؤمنين ومهتدين بهذا الكتاب وذلك مما سبق من قوله تعالى: ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب" أي يؤمنون قبل يوم الشهود "فالذين كفروا هم ضد هؤلاء

<sup>1</sup> مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لمحمد بن عمر فخرالدين الرازي: 44/30

<sup>2</sup> الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله الزمخشري: 126/4

<sup>3</sup> سورة الأنفال: 74

<sup>4</sup> سورة البقرة: 6-7

وقد ذكر عيون صفات المؤمنين في ما سبق حتى قال: "أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون" ثم ذكر الذين هم مخالفون لهؤلاء<sup>1</sup>.

والفراهي يربط تفسير القرآن بالقرآن بالاعتبار بنظم وسياق الكلام وحسن التأويل فذلك يدل على المطابقة بين النظيرين مثلاً قوله تعالى "حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا- إلى قوله- فكيف كان عقاب". فتبين بعد النظر في سياق الكلام أن المراد من الكفر ههنا هو الكفر بالتوحيد ومن الجدل بآيات الله هو الجدل بالآيات الدالة على التوحيد من قبل إنعامه العام ومن الجدل بالباطل وإدحاض الحق هو الجدل بالشرك وإدحاض التوحيد<sup>2</sup>.

ومن الأصول الأولية عند الإمام الفراهي النظري في المخاطب، وقد اعتبره ضرورياً لفهم القرآن لأن وجه الكلام ولهجته من التسلية والرافة والزجر والغضب والوعد والوعيد والاستدلال والوسعة والغور، لم يتبين إلا بعد النظر في المخاطب، وقد راعى الفراهي هذا الأصل مراعاة دقيقة عند تفسير السور فإنه يتدبر في السورة ويبحث عما هو المخاطب فيها، أهم المؤمنون أم الكافرون أم المنافقون أم اليهود والنصارى؟ فمثلاً اختلف فيما هو المراد من "ذلك" في الآية الثانية من سورة البقرة "ذلك الكتاب لا ريب فيه" ونقل القرطبي (1214-1273م) عشرة أقوال في هذا الصدد:

1. "ذلك" معناه هذا وذلك قد تستعمل في الإشارة إلى حاضر أي الكتاب الذي كتبت على الخلائق بالسعادة والشقاوة والأجل والرزق لا ريب فيه أي لا مبدل له.
2. ذلك الكتاب أي الذي كتبت على نفسي في الأزل "أن رحمتي سبقت غضبي".
3. وقيل إن الله تعالى قد كان وعد نبيه عليه السلام أن ينزل عليه كتاباً ويمحوه الماء.

<sup>1</sup> رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن للفراهي: 264

<sup>2</sup> نفس المصدر: 267

4. وقيل الإشارة إلى ما قد نزل من القرآن بمكة.
5. وقيل إن الله تبارك وتعالى لما أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم "إنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً، لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مستشرقاً لإنجاز هذا الوعد من ربه عز وجل، فلما أنزل عليه بالمدينة "الم ذلك الكتاب لا ريب فيه" كان فيه معنى هذا القرآن الذي أنزلته عليك بالمدينة، ذلك الكتاب وعدتك أن أوحيه إليك بمكة.
6. وقيل أن ذلك إشارة إلى ما في التوراة والإنجيل و"الم" اسم القرآن والتقدير هذا القرآن ذلك الكتاب المفسر في التوراة والإنجيل يعنى أن التوراة والإنجيل يشهدان بصحته ويستغرق ما فهمما ويزيد عليهما ما ليس فهمما.
7. وقيل أن "ذلك الكتاب" إشارة إلى التوراة والإنجيل كليهما والمعنى الم ذانك الكتابان أو مثل ذينك الكتابين، أي هذا القرآن جامع لما في ذينك الكتابين.
8. وقيل أن "ذلك" إشارة إلى اللوح المحفوظ.
9. وقيل إشارة إلى القرآن الذي في السماء ولم ينزل بعد.
10. وقيل أن الله تعالى قد وعد أهل الكتاب أن ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم كتاباً فالإشارة إلى ذلك الوعد. قال المبرد هذا الكتاب ذلك الكتاب الذي تستفتحون به على الذين كفروا".<sup>1</sup>
- وخلاصة القول أن المفسرين لم يصلوا إلى معنى منشود محدد لأنهم لم ينظروا فيمن هو المخاطب في هذه السورة وآخر الأقوال يؤيده الإمام الفراهي فيقول: إن المخاطب في هذه السورة هم أهل الكتاب وهكذا بتعيين المخاطب أصبح المعنى واضحاً أشد الوضوح فيكون معنى "ذلك" ذلك الكتاب أي القرآن الكريم الذي هو في ذهنهم والذي يوجد ذكره في صحفهم "والذي يستفتحون به على الكافرين".<sup>2</sup>

<sup>1</sup>الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي: 158/1

<sup>2</sup>علامه حميد الدين الفراهي: حيات وأفكار لعبيد الله الفراهي: 128

الأصول المرجحة لمنهج الإمام الفراهي في التفسير: ذكر الإمام الفراهي ضمن الأصول المرجحة لتفسير القرآن أنه عند اختلاف الوجوه والاعتبار يؤخذ ما كان أوفق بالمقام وعمود الكلام. ويقول: "إعلم أن ما من كلمة إلا لها أطراف وجهات فهي كالمعاني لها وكذلك كل أمر وقصة لها اعتبارات شتى وكما أن اللفظ المشترك يأول حسب محله فكذلك لا بد أن نأول الألفاظ والأمور حسب محلها، مثلاً صفة الأودية الكاملة مختصة بالله تعالى، ومع ذلك نرى ذكره تعالى بأسماء مختلفة وعلى ترتيب متغاير مثل: (رب الناس، ملك الناس، إله الناس) ومثل: (رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين) ومثل: (الملك، القدوس، العزيز، الحكيم) ومثل: (العزيز، الغفور) ومثل: (الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر) فمن لا يتدبر القرآن لا يلتفت إلى محل الكلمات ولا يجتهد لفهم جهة الكلمة ولكن البصير المستبصر لا يمكنه ترك التدبر لما يظهر له بعض الجهات الظاهرة، فتجليه إلى ما وراءها".<sup>1</sup>

ومن الأصول المرجحة يذكر الإمام الفراهي أن الكلام إذا كان ذا احتمالات، تؤخذ منها ما كان لها نظير في باقي القرآن مثلاً قوله تعالى "إن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون"،<sup>2</sup> فيه تأويلان: الأول إنه تعالى أعلم بضمائركم منكم والثاني: أنه يعوق المرء عن إرادته فالأول له نظير في القرآن ثم يعضده النظم فإن النظم أيضاً يأول إلى ما كان أشبه بالقرآن. فقوله (تحشرون) يأتي مع التقوى، والتقوى يأتي مع علم الله وهذا كثير، فكأنه قيل: اتقوا الله فإنه أعلم بسررائركم وإنكم تحشرون إليه. فهذا من جهة تشابه المعنى والنظم.

وأما التأويل الثاني فبناؤه على تشابه لفظي فإنه جاء في القرآن: "وحيل بينهم وبين ما يشتهون"<sup>3</sup> أي منعوا عن مشتهاهم وهذا أيضاً أصل لكنه أضعف مما ذكرنا فإن اللفظ المشترك يأتي لمعان مختلفة ولا يقضى فيه إلا بالسياق وصحة المعنى.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن للفراهي: 267 - 268

<sup>2</sup> سورة الأنفال: 24

<sup>3</sup> القرآن: السبا: 54

<sup>4</sup> رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن للفراهي: 268 - 269

ومن الأصول المرجحة عند الإمام الفراهي أنه إذا احتمل كلمة أكثر من معنى واحد سألنا هذه الكلمة أجدر بهذا المعنى من غيرها فإن وجدنا كلمة أخرى أجدر وأقوم وتركها القرآن، علمنا أن القرآن لا يترك أبين الكلام وأقوم فتركنا ذلك المعنى وأولناه إلى ما هي أصوب له مثل قوله تعالى: (وعلى الذين يطيقونه) في معنى المستطيع كما ذهب إليه صاحب "حجة الله البالغة"<sup>1</sup>، فإن الإطاقة يستعمل في القوى الجسمانية كما قالت الخنساء:

وصبراً إن أطق ولم تطيقي

وكما جاء في القرآن: (وقالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت)<sup>2</sup>.

ومن الأصول المرجحة هو الأخذ بأحسن الوجوه عند اختلاف الآراء والمراد بأحسن الوجوه عند الفراهي ما كان أولى بمعالي الأمور ومكارم الأخلاق وأوضح إلى القلوب وأوفق بمحكمات القرآن وأحسن ظناً بالله ورسوله وأظهر بياناً من جهة العربية: مثلاً قوله تعالى (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)<sup>3</sup>، أخذ ابن جرير بما يراه أحسن تأويلاً ويترك الرواية. والرواية تقول إن معنى ذلك: لقد كان في قصصهم عبرة ليوسف وإخوته ولكن عند ابن جرير معنى ذلك "عبرة للمشركين من قريش من قوم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم"<sup>4</sup> لأن سياق الكلام يقتضي ذلك ويؤيده.

وأصل من الأصول المرجحة عند الفراهي هو الأخذ بأثبت الوجوه لغة. فإن المعنى الذي كثر في كلام العرب لا ينبغي تركه إلا لصارف قوي. فإذا تساوى الوجوه الآخر وهو النظم والموافقة بباقي القرآن وصريح العقائد، لا بد أن نأخذ المعنى الشائع ومثاله معنى "الشوى". فإنه لحم الساق عمومًا في كلام العرب. وقد أخطأ عبد

<sup>1</sup> وهو الشاه ولي الله الدهلوي (1703-1762م) مجدد وعالم دين ومعروف بمسند الهند.

<sup>2</sup> سورة البقرة: 249

<sup>3</sup> سورة يوسف: 111

<sup>4</sup> رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن للفراهي: 270-271

القادر الدهلوي في ترجمة قوله تعالى: (نزاعة للشوى)،<sup>1</sup> فظن أنه الكبد. والموقع ذكر دنو العذاب، لا دخول المنكرين في النار. فإن سياق الكلام هكذا: "سأل سائل بعذاب واقع ..... كلا إنها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى"<sup>2</sup> فهذا بيان الموقف، يوم أزلفت الجنة للمتقين، وبرزت الجحيم للغاوين فليس لهم حميم. فحينئذ تدعو الجحيم الكفار وتخرج لظاها فتذهب بلحم سوقهم. وأما أنها تخرج أكبادهم فليس هذا مما جاء في شيء من القرآن، حتى أنهم حين يدخلونها لا تخرج أكبادهم ولا قلوبهم".<sup>3</sup>

وكذلك لا يؤخذ الشاذ المنكر لفظاً كما يقول الفراهي: "إن اختيار أحسن الوجوه لا بد أن يكون موافقاً للغة ويأتي القرآن ولا يكون من التكلف مثلاً قوله تعالى "لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم"،<sup>4</sup> قيل فيه "أنفسهم" بفتح الفاء وهذا تأويل باطل. لكونه معني شاذاً، لأن كتب الله ناطقة بكون الرسول من قومه وهو أمر ظاهر. ولا عيب في كون النبي من قومه وهو منهم".<sup>5</sup>

ومنهج الأستاذ الفراهي يشتمل على بعض الأمور المهمة التي يراعيها خلال تفسيره لسورة من سور القرآن مراعاة دقيقة إلى جانب الأصول التي ذكرناها آنفاً. ومن أهمها الكلام عن عمود السورة. ويقصد الفراهي بالعمود "العنوان الرئيسي لسور القرآن" فمعرفته تؤدي إلى معرفة نظام القرآن وانسجامه ولذلك نراه يعتني اعتناءً بالغاً باستخراج العمود من كل السور ويختار لها الأسماء التي تلائم مطالبها ولم يعتمد الفراهي في استخراج العمود على كتب التفسير بل تدبر القرآن حق تدبره ونظر في معانيه وأهدافه نظر المطلع والخبير فهذه التدبر إلى معرفة

<sup>1</sup> سورة المعارج: 16

<sup>2</sup> سورة المعارج: 1-18

<sup>3</sup> أنظر رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن للفراهي: 270-273

<sup>4</sup> سورة آل عمران: 164

<sup>5</sup> رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن للفراهي: 273-274

العمود ثم النظام فيقول: "إن تعيين عمود السورة هو تقليد لمعرفة نظامها، ولكنه أصعب المعارف ويحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص، وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة المتجاورة، حتى يلوح العمود كفلق الصبح فيضيء به ويتبين نظامها، وتأخذ كل آية محلها الخاص ويتعين من التأويلات المحتملة أرجحها وإنما صعب ذلك لوجوه نذكر بعضها هنا:

الأول: أن القرآن إنما نزل متشابهًا مثاني، فترى سورًا متشابهة المطالب مع اختلاف عمدتها، ومتحدة العمد مع اختلاف المطالب، فمن لم يقدّر بإجالة النظر في مطالبها مرة بعد مرة، وجمعها تحت عمد مختلفة، فإن الشيء الواحد يدخل تحت كليات مختلفة حتى يتبين له من بينها ما هو الأرجح، كان كسالك سبيل بلغ مجتمع الطرق، فضل. فكلما ذهب، بعد عن مستقيمها.

والثاني: أن الله تعالى كما أنزل هذا الكتاب، لواجبات العقائد والشرائع، فكذلك أنزله لتعليم الحكمة وجعل ذلك من أخص صفات نبينا صلى الله عليه وسلم، وبذلك جعله خير المعلمين وأعطاه من الآيات ما تكون أكثر اتباعًا وأكمل تعليمًا.

ولا يخفى أن تعليم الحكمة لا يتأتى بإلقاء المعارف، وإنما يتأتى باستعمال الفكر والعقل وحته وتنبهه على النظر حتى يبرز قواه الكامنة كما هو الأصل في كل تربية. فعلى هذا كما جعل القرآن جانبًا منه ظاهرًا بيّنًا، فكذلك جعل جانبًا منه باطنًا مكنونًا، ولكي يهتدوا إلى بطونه جعل الباطن على مدارج، لكي يرتقي المجتهد في درجاته من الأقرب إلى الأبعد فإن التربية لا تتم بدون ذلك.

والكلام إذا كان منظمًا من جهته الظاهرة، لم يحتج الناظر فيه إلى تأمل ولكن إذا كان اتصاله تارة ظاهرًا وتارة خفيًا توقف الناظر وتأمل فيه. فإنه كيف يرضى بالخلل الفاحش في كلام الحكيم العليم، ولذلك آمن من آمن بالنظام.

ثم جعل الله تعالى ما أخفى من النظام على مراتب، فجعل أكثره على غاية البطون. وإذا جعل النظام من أكبر ما يحث به على النظر والتأمل، أخفى العمود. فلو صرح



بالعمد لم يبق كبير مشقة في فهم النظام، فصار غير محتاج إلى النظر وأبطل الحكمة. وإذ خبأه الله ليمتحن به العقول، لا بد أن يكون صعب المطلع، فكأنه وضعه مناط الثريا.

والثالث: أن الله تعالى لمثل المصلحة التي ذكرنا آنفًا، جعل القرآن على نهاية الإيجاز، ومع ذلك ملأه حكمًا جمة. فلكثرة المطالب العالية والأطائب الغالية يتحير الناظر فيه ويصعب عليه أن يصطفي من بين معانيه معنى واحدًا كالعمود. كمن يطلب من بين الجواهر واسطة للعقد، ومن غاية الحسن كلها يروقه، فلا يدري أيها أولى؟<sup>1</sup>

ولم يكتف الفراهي ببيان أهمية العمود لمعرفة نظام القرآن بل جاء بأمثلة متعددة لتوضيح فكرته فطريقته في تفسير القرآن أنه يعين أولًا عمود السورة حتى يتضح له الهدف الذي تستهدف إليه السورة، ثم يفسر مطالبها ومعانيها وأحكامها، وأنه يتبع هذه الطريقة في كل سورة من سور القرآن، فأريد أن أعرض هنا بعض الأمثلة من تفسيره.

فهو يقول عن عمود سورة الفاتحة: "إن هذه السورة ديباجة القرآن وجامعة لعلومه الثلاث على الإجمال... فالقرآن بحسب الإجمال يعطيك علومًا ثلاثة: (1) التوحيد (2) والشرائع (3) والمعاد."<sup>2</sup> فكما أنها جامعة لمطالب القرآن الثلاثة، وكذلك هي جامعة له من جهة نظامها أيضًا فإنك إذا تلوت الفاتحة تجلت لك جملة القرآن حسب نظامها فمثلها كمثل مرآة صغيرة تريك شيئًا عظيمًا في هيئته وصورته.<sup>3</sup>

ويقول عن عمود سورة الحجرات: إنه التوبيخ على سوء الخلق ظنًا وقولًا وعملاً، فنهى عن التقدم بين يدي الرسول ورفع الصوت فوق صوته والجهر له كجهر بعضهم لبعض، وندائه حين الصبر خير لهم، والوثوب على قوم بقول كل فاسق، وأمر بالإصلاح بين طائفتي المؤمنين وبالعون على الباغي، ثم بالعدل بينهما. ثم نهى

<sup>1</sup> أنظر رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن للفراهي: 89- 91

<sup>2</sup> راجع تفسير نظام القرآن للفراهي: 85- 87

<sup>3</sup> رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن للفراهي: 105

عن السخر من الناس، ولمزهم، والتناوب بالألقاب، وسوء الظن والتجسس والغيبة والفخر بالنسب. وتزكية النفس، وأقبحها أن يمين أحد على النبي بإسلامه.<sup>1</sup>

ومنها النظر في الحذف في القرآن، فيقول: أعلم أن كلام العرب كله نمط أعلى من كلام الأمم الذي تعودت به، لأنهم مولعون برزانة القول وتهذيبه من أمور لا داعي لها، يمكن فهمها لأصحاب التفكير والتدبر، فهم يجردون كلامهم من كل رابطة ولو فعلوا ذلك كان عاراً على السامع فإنه يفهم الروابط بذكاءه، فلذلك كثر فيهم الحذف... كأن كلامهم قد وضع حسب اقتضاء الفكر والفهم، فنرى كلامهم مربوطاً برابطة عقلية. وعلى السامع أن يميز بين الروابط من كل قسم فإنهم لا يصرحون بها.<sup>2</sup>

ويتكلم الفراهي عن معنى الحذف قائلاً: " ذلك إسقاط الفضول عن القول، والفضول ما يفهم الكلام بدونه ويتأثر به السامع، فإن الغرض من الحديث ليس إلا الإفهام والتأثير، وكلما زاد على هذين أذهل وأبعد وأثقل. وإذا أن المستمع على مراتب متفاوتة من الذكاء والتأثر، اختلفت الألسنة في قدر الحذف فيها. أما العرب فلذكائهم وتوقد أذهانهم كان أنجح الأقوال عندهم ما قلّ وكفى. فإن كان الكلام لم يهذب عما لا يغني شيئاً، سقط عندهم ومجه سمعهم. لظنهم بالمسهب فإنهم يعتبرون الذي يجيء في كلامه الفضول أو الحشو أو الزيادة أنه إما أحق أو يحقّ المستمع. فكان أمر الحذف في كلامهم من بعض سجايهم وكأنهم طبعوا عليه.<sup>3</sup> والكلام يهدف إلى الإفهام والتأثير في السامع، فإذا زاد المتكلم على الإفهام والتأثير ثقل الكلام على السامع فيمله ويستنفر عن الاستماع إليه ولذلك يكتفي البلغاء بالكلمات التي تؤدي إلى هذا الغرض وتثير في السامع التشويق إلى الاستماع والتأثر به. والقرآن قد نزل بلهجة قريش التي بلغت الذروة من البلاغة والفصاحة، فكان عليه أن يسلك مسلكهم في التعبير والتصوير مع التحدي بالإتيان بمثله والعجز عن مضارعة.

<sup>1</sup> راجع مقدمة تفسير نظام القرآن للفراهي: 42

<sup>2</sup> راجع للتفصيل رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن للفراهي: 77-80

<sup>3</sup> رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن للفراهي: 171

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

فهذه الأصول التي وضعها الفراهي لمعرفة نظام القرآن لا تجدى نفعًا بدون التدبر الحقيقي في كتاب الله فإنه من أهم الوسائل. وبهذا الصدد يقول الفراهي: "كما أن النظر في أشتات أمور العالم من غير تأمل في تناسب بعضها ببعض يعمي عن الحكمة التي فيها ويحمل على الإنكار بالمدير الحكيم، فكذلك من قصر النظر على الحوادث الخارجية أو الوقائع التاريخية ولم يتفكر في عللها وأثارها في النفوس، لم يهتد لما فيها من المنافع ورعاية الحكمة فهؤلاء إما ذهبوا إلى الإنكار بالإله مطلقًا وإما إلى ما هو قريب منه، وهو القول بالجبر، ونفي رعاية المصالح، فإن ذلك يتضمن إنكارًا بالرحمن الرحيم.

اهتمام الإمام الفراهي بالنواحي اللغوية والبلاغية في تفسير القرآن: وقد تحدث الدكتور محمد يوسف الشريجي في مقالته المعنونة "الإمام عبد الحميد الفراهي ومنهجه في تفسيره" نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" كالتالي: "إن المطلع على مؤلفات العلامة الفراهي ليعجب إذا قيل له أنه أعجمي، وخاصة كتبه في التفسير وعلوم القرآن، فقد كانت لغته قوية جزلة ناقش فيها الشعر الجاهلي وصحح بعض الأفهام في توجيهاها، وعندما كتب مقدمة تفسيره "فاتحة نظام القرآن" وأطلع عليها العلامة السيد رشيد رضا قال "وقد ألقينا على بعض هذه الرسائل لمحة من النظر، فإذا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير، يشترك مع طريقنا في القصد إلى المعاني من حيث هي هداية إلهية، دون المباحث الفنية العربية. إن للمؤلف لفهمًا ثاقبًا في القرآن، وإن له فيه مذاهب في البيان وإنه لكثير الرجوع باللغة إلى مواردها، والصدور عنها ريان من شواهدها" وقال تلميذه وصديقه عن مقدمة تفسيره: "وقد أجاد في تحبير هذه الخطبة ما شاء الله أن يجيد"... وهي التي سمعها العالم الأديب السلفي الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي رحمه الله من لسان المؤلف حينما زاره في رحلته الأولى إلى الهند سنة ١٣٤٢ هـ فقال في مذكراته: "سمعت منه خطبة تفسيره للقرآن اغرورقت منها عيناى لفصاحتها وحقيقتها". وقد قلت عنها سابقًا: "كأنها قبسات من التنزيل". إنما ذكرت ذلك لأبين أنّ الإمام الفراهي الهندي سبق العرب في فصاحته وبلاغته بفضل عشقه للقرآن الكريم ولغته لغة العرب، فأحب العرب

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وأقبل على لغتهم يلتمها حتى برع فيها، وبلغ من حبه للعرب ما جعله يعد سيئاتهم إنما نبعت من الحسنات، وفي ذلك يقول: "وإنما كان القرآن معجزاً للعرب لما أنهم تأثروا له. فإن العرب على علاقتها كانت على سذاجة الفطرة، وحب المعالي: من الجود، وصلة الرحم، والغيرة والشكر، ولا سيما شرفاؤهم وخيارهم، حتى إن سيئاتهم نبعت من الخيرات..."<sup>1</sup>

وهو في تفسيره يعتمد على القرآن الكريم نفسه كما بينت سابقاً في منهجه العام، ثم كلام العرب الأقحاح، مع استفادته من كتب اللغة مراعيًا حدودها وقصورها، يقول: "وأما كتب اللغة فمقصرة فإنها كثيراً ما لا تأتي بحد تام ولا تميز بين العربي القح، ولا تهديك إلى جرثومة المعنى. فلا يدري ما الأصل وما الفرع، وما الحقيقة وما المجاز؟ فمن لم يمارس كلام العرب واقتصر على كتب اللغة ربما لم يهتد لفهم بعض المعاني من كتاب الله تعالى".<sup>2</sup>

ومنها الاهتمام بالمفردات القرآنية ومعرفتها اهتماماً بالغاً حتى قام الأستاذ الفراهي بتأليف كتاب مستقل باسم "مفردات القرآن". فهو يقول: لا يخفى أن الألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى في فهم الكلام وبعض الجهل بالجزء يفضي إلى زيادة جهل بالمجموع وإنما يسلم المرء عن الخطأ إذا سدّ جميع أبوابه. فمن لم يتبين معنى الألفاظ المفردة من القرآن أغلق عليه باب التدبر، وأشكل عليه فهم الجملة وخفي عنه نظم الآيات والسورة".<sup>3</sup>

ولكن الفراهي في فهم المفردات القرآنية لا يرجع إلى كتب اللغة والغريب والمشكل بل إلى كلام العرب القديم. فهو يقول: "أما كتب اللغة فمقصرة فإنها كثيراً ما لا

<sup>1</sup> القائد إلى عيون العقائد للفراهي: 181

<sup>2</sup> الإمام عبد الحميد الفراهي ومنهجه في تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" لمحمد يوسف الشريحي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية - المجلد ٢٠ - العدد الثاني - ٢٠٠٤م

<sup>3</sup> مفردات القرآن للفراهي: 95

تأتي بحد تام ولا تميز بين العربي القح والمولد ولا تهديك إلى جرثومة المعنى فلا يدري ما الأصل وما الفرع؟ وما الحقيقة وما المجاز؟<sup>1</sup>

وقد كان ابن عباس يستعين على التفسير بالشعر. فقد كان يسأل عن الشيء من القرآن فيقول فيه كذا أما سمعتم قول الشاعر يقول كذا وكان إذا أعياكم تفسير آية من القرآن فاطلبوه من الشعر فإنه ديوان العرب. وقد ذكر سعيد بن جبير أنه ما سمع ابن عباس آية من كتاب الله إلا استشهد بيت من الشعر. والأستاذ الفراهي لغوي حساس ويدرك الفروق الدقيقة بين الكلمات ثم يستغل ذلك للوصول إلى التأويل السليم وكشف النواحي البلاغية.

ونرى الفراهي في تفسيره اللغوي يهتم بالكلمات وتغير مدلولاتها ومعناها فإذا اشتبه عليه المعنى يوضحه باستعمال ذلك اللفظ في اللغة العربية وأخواتها من العبرانية والسريانية ويخالف العلماء والمفسرين ويقوم بتحقيق فريد للكلمة لا نجد مثيله عند الذين اهتموا بمفردات القرآن مثل ابن قتيبة (828-889م) والراغب الأصفهاني (1108-1100م) والسجستاني (862-000م).

ومنها التدبر في نظم الآيات في نفسها وربطها بالسابق واللاحق. والمعلوم أن لكشف النظم المعنوي والترابط الفكري في القرآن الكريم مقامًا مهمًا في منهج الفراهي للتفسير فإنه يقول: "أما بعد فقد اجتهدت في هذا الكتاب (أي تفسير نظام القرآن) -بحول الله وتوفيقه- أن أكشف عن نظام آيات القرآن... فالتمست معنى الآيات من أخواتها وكذلك استنبطت نظام السورة من أعماقها ومن نفس سياقها ثم بعد ذلك أيدت ما فهمنا من القرآن بالنقل والعقل"<sup>2</sup> ومن شدة اهتمامه بهذا الجانب أنه قد سعى تفسيره بـ"نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" وقد امتاز بهذه النسبة على جميع المفسرين السابقين له.

<sup>1</sup> تفسير نظام القرآن للفراهي: 32

<sup>2</sup> المرجع السابق: 15

والفراهي يدعم نظريته هذه بالأدلة العقلية والعقلية ويرد على الشبهات ويذكر الأسباب الصارفة المانعة من إدراك النظم ويكشف الطرق الموصلة إليه ويبين فوائده ويعتني بهذا الجانب بشدة وصراحة حتى يسيطر على الجوانب الأخرى. وتمهيداً لإثبات النظم المعنوي يرى أن القرآن مع أنه نزل في أحوال وأزمان متفرقة في نيف وعشرين سنة إلا أن ترتيبه توفيق أي بأمر جبريل فهو عندنا كما في اللوح المحفوظ.

ويرى الفراهي أن المناسبة غير النظام، فإن التناسب بين الآيات بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئاً واحداً مستقلاً بنفسه، وطالب التناسب ربما يقنع بمناسبة ما، فربما يغفل عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام، فيصير شيئاً واحداً، وربما يطلب المناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتصالها، فإن الآية التالية ربما تكون متصلة بالتي قبلها على بعد منها، فإن عدم الاتصال بين آيات متجاورة يوجد كثيراً، ومنها ما ترى فيه اقتضاباً بيناً، وذلك إذا كانت الآية أو جملة من الآيات متصلة بالتي على بعد منها وهذا ما صرح به الإمام الفراهي بقوله: "وبالجملة فمرادنا بالنظام أن تكون السورة كلاماً واحداً، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، أو بالتي قبلها أو بعدها على بعد ما، فكما أن الآيات ربما تكون معترضة، فكذلك ربما تكون السورة معترضة وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلاماً واحداً ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر." <sup>1</sup> ولا بد لحسن النظام من أن يكون الكلام حسن الترتيب، حسن التناسب، قوي الوجدانية. <sup>2</sup>

ولا بأس عنده من تعدد النظام، فإن ذلك مما يسوغ فيه كثرة التأويل إذ لا تضاد في كثرة وجوه المناسبة، كما لا تضاد في كثرة وجوه الحكمة في أمر واحد. والنظام عند الفراهي ليس أمراً مقصوداً لذاته، وإنما هو المتهاج الصحيح لتدبر القرآن، وهو الحكم عند تضارب الأقوال والمرجح عند تعدد الاحتمالات، وهو الإقليد الذي تفتح به كنوز حكمة القرآن. والعلامة الفراهي بطبيعة الحال قد اطلع على

<sup>1</sup> دلائل النظام للفراهي: 86-87

<sup>2</sup> المرجع السابق: 89

كتب من تقدمه من العلماء المهتمين بهذا العلم وقد ذكر ذلك في ديباجة كتابه "فاتحة نظام القرآن" ولكنه لم يقف عند ما كتبوه، ولم يقنع بما بذلوه من التماس الروابط بين آيات القرآن الكريم، يقول:

"ولكنهم وإن كان سعيهم مشكوراً لم يبذلوا جهدهم إلا في الكشف عن المناسبة بين الآيات المتجاورة، أو السور اللاحقة والسابقة، ولم يمعنوا النظر في الكشف عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام من أوله إلى آخره فيصير شيئاً واحداً، فقتنعوا بمجرد بيان المناسبة بينها من غير أن ينظروا إلى أمر عام شامل بكل ما يحتوي عليه الآية أو السورة فلذلك لم يصيبوا في أكثر المواضع بل خبطوا فيها خبط عشواء..."<sup>1</sup>

والأدلة التي قدّمها الفراهي حول وجود النظم مقنعة وأن السور التي فسّرها وكشف فيها نظماً طبيعياً لا تكلف فيه ولا ينكره أحد ولكنه من الأسف لم يكشف لنا بالتفصيل نظم الآيات كلها لكي نقطع رأياً قطعياً، ولكننا على يقين راسخ بأن نظم السور كلها وكذلك موضوعها كان واضحاً عنده ولو كان حياً لأوضح كله.

فيقول الفراهي عن نظام سورة الفاتحة: "نظام هذه السورة ذو جهات كجوهر ذات أطراف براقعة، فنذكر جهات النظام واحدة بعد واحدة. الجهة الأولى: إن هذه السورة ديباجة القرآن، وجامعة لعلومه الثلاثة على الإجمال، ولذلك سمّاها العلماء موفية. ومن حيث إنها ديباجة القرآن، وحاوية لجميع علومه هي قرآن مستقل كما أن ديباجة الكتاب من حيث أنها شيء زائد عليه. وهذا إنما هو من جهة اعتبار واحد، وإلا فالديباجة ليست إلا جزءاً من الكتاب.

وذلك أمر استنبطه العلماء من القرآن، فإن الله تعالى تنبيهاً لعظم منته على نبيه قال: "ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم"<sup>2</sup> وقد اتفقت العلماء من السلف إلى الخلف على أن السبع المثاني هذه سورة الفاتحة. فانظر كيف سمّاها

<sup>1</sup> المرجع السابق: 16

<sup>2</sup> سورة الحجر: 87

الله على حديثها قرآنًا عظيمًا، كأن لهذه السبع شأنًا على حديثها. وإن قيل إن العطف ليس للتفسير، بل المراد: إنا أعطيناك هذه الآيات السبع ومعها القرآن العظيم، فعلى هذا التأويل أيضًا هي زائدة على القرآن العظيم، فإلى أي تقدير تذهب تجدها مستقلة وجامعة...

وأما أنها كيف جمعت علوم القرآن، فالقرآن بحسب الإجمال يعطيك علومًا ثلاثة: (1) التوحيد (2) والشرائع (3) والمعاد... ولا نقول إن بعض آياتها في التوحيد، وبعضها في الشرائع، وبعضها في المعاد على حديثها، فإن هذه العلوم فيها ممزوجة، فلا تراها مفترقة والتوحيد كجلباب أسبل على السورة، ثم تحتها الشرائع والمعاد<sup>1</sup> ثم يقول الفراهي عن الجهة الثانية لنظام سورة الفاتحة: "قد علمت أن الفاتحة من جهة كونها ديباجة هي جامعة لمعاني القرآن، فكما أنها جامعة لعلومه الثلاثة، فكذلك هي جامعة له من جهة نظامها أيضًا. فإنك إذا تلوت الفاتحة تجلت لك جملة القرآن حسب نظامها، فمثلها كمثل مرآة صغيرة تريك شيئًا عظيمًا في هيئته وصورته فهذه جهة أخرى لكونها موفية وجامعة.

وبيان ذلك أن القرآن إذا رأيته بجملمته وجدته يبتديء بحمد الله تعالى، ثم تراه يكشف عن أصول الإسلام ظاهرًا وباطنًا حتى ينتهي إلى كمال الفتح والنصرة، وإهلاك المخالفين، وإتمام فرض النبوة وجعل سورة التوحيد آخر العهد بالله تعالى ثم ترى بعد تكميل هذه المدينة الإلهية، وسورها، وبروجها حارسين أو سورتين أو سيفين أو صارمًا ذا شفرتين، وذلك سورتا المعوذتين كأن القرآن جنة عدن يحرسها كروبيان بسيفين لامعين والتفصيل في تفسير نظام السور.<sup>2</sup>

وأما الكلام عن الجهة الثالثة فيقول الأستاذ الفراهي: "إن هذه السورة لكونها أصل الصلاة إذا قدمت على سائر القرآن العظيم، استنبطنا من موضعها أن

<sup>1</sup>راجع تفسير نظام القرآن للفراهي: 85-87

<sup>2</sup>نفس المصدر: 89-90



الصلاة أول الأحكام، وأن تارك الصلاة نابذ للدين. ولما كان هذا الاستنباط بطريق الإشارة نظرنا في أحكام القرآن والسنة فوجدناه موافقاً لهما. فصحت هذه الإشارة عندنا، وعظمت لدينا منزلة الصلاة بأن الله تعالى جعلها فاتحة عهده بنا... فهذه جهات ثلاث لنظامه بالنسبة إلى سائر القرآن العظيم".<sup>1</sup>

وكذلك نرى أن الأستاذ الفراهي يعتني بأساليب القرآن الخاصة اعتناء بالغاً في معرفة النظم المعنوي والمراد القطعي الواحد. ومن معنى أساليب القرآن أنه ينزل آيات وأحكاماً حسب الحاجة والظروف، ثم تنزل آيات أخرى في نفس الحكم للتخفيف أو التوضيح. وهذه الآيات التي يطلق عليها المخففات والمتممات والمبينات تظهر قاطعة لنظم السورة حسب الظاهر، ولكنها في الحقيقة ليست كذلك بل أن مجيئها أو نزولها متأخرة جعلت لها هذا التمييز والاستقلال، ولكن من عرف أسلوب وضعها وربطها مع الآيات الأخرى لا يصعب عليه بما قبلها وبما بعدها. والفراهي ينفرد بين المفسرين في كشفها ببراعة.

ومن أساليب القرآن عند الفراهي تبديل الخطاب ونجده يهتم أشد الاهتمام بهذا الجانب، ويضع القواعد للتمييز بينها. "قد أجمع المسلمون على أن القرآن كله كلام الله تعالى بمعنى أن الله تعالى نزله على محمد، لا بمعنى أن كله خطاب من الله تعالى، فإن مثلاً (إياك نعبد وإياك نستعين)<sup>2</sup> ليس إلا خطاب من العبد. فقال العلماء إن الله علم هذه السورة كأنه تعالى قال: قولوا هكذا، ولكن ليس هناك كلمة قولوا فكيف العلم بتقدير هذا المعنى. وكذلك السؤال فيمن إليه الخطاب فإن للخطاب جهتين: (1) ممن، (2) وإلى من. وكلتاها ربما تعم و المراد خاص، وربما يعكس الأمر، وإذا اختلف المعنى كثيراً باختلاف جهتي الخطاب وعمومه وخصوصه وجب البحث عن أصول تهدي إلى الصواب فإن الخطأ ربما يسقط المرء في شرك الشرك. قال الرومي إن الله تعالى جعل الناس عبداً للنبي حيث قال

<sup>1</sup> أنظر نفس المصدر: 90 - 93 بتصرف

<sup>2</sup> القرآن: الفاتحة: 4

(ياعبادي الذين أسرفوا... الآية)<sup>1</sup> وظني به أنه لم يرد الشرك بالله تعالى، ولكن القول يضاهي قول الذين كفروا فيغفر الله له، والأمر ظاهر، فإن قوله تعالى: (ياعبادي الذين أسرفوا) خطاب منه تعالى إلى العباد وصدده بقوله: (قل) خطاباً للنبي الكريم لكي يبلغه إلى العباد حرفاً بحرف.

واعلم أن هذا العلم من علم توجيه القول العام إلى جهته الخاصة ومن لم يعلم جهة الكلام لا يصيب تأويله الصحيح، فكان ذلك مفتاحاً لفهم التأويل ونظم الحديث، والجهل به من أكبر مثرات الخط والتخليط وتقليب المعنى.<sup>2</sup>

ومن أساليب القرآن عنده النظر إلى النظر ويستغل هذه الناحية في معرفة نظم الآيات والصور بعضها ببعض بكثرة وبراعة ودقة وإتقان كما أن القرآن يفسر مطالب آياتها بعضها ببعض فكذلك يدل على نظام مطالعها ومناسباتها بآيات بنظائره فتكثر الشواهد على رباط أمر مع أمر. وبذلك يحثك على التأمل في جامع وصلة بينها ثم يأتي عليه بأمثلة كثيرة بعضها أوضح من بعض حتى تدرج بك على ما كان أدق وأغمض.<sup>3</sup>

ويقول في وضع سورة العصر بعد التكاثر أو ربط بعضها ببعض: نظام هذه بالتي قبلها كنظام قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين)<sup>4</sup> ويقول في ضم سورة الهمب بالنصر: "فاعلم أن سورة الهمب تؤكد وتوضح معنى النصر المذكور قبلها وتبشر به. وكأنه قيل: "قد نصر الله نبيه وأهلك عدوه" كما قال الله تعالى: (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً)<sup>5</sup>."6

<sup>1</sup> سورة الزمر: 53

<sup>2</sup> أنظر تفسير نظام القرآن للفراحي: 64-65

<sup>3</sup> راجع للتفصيل رسائل الإمام الفراحي في علوم القرآن للفراحي: 40-43

<sup>4</sup> سورة المنافقون: 9-10

<sup>5</sup> سورة بني إسرائيل: 81

<sup>6</sup> تفسير نظام القرآن للفراحي: 64-65

هذا وهناك أساليب قرآنية أخرى مثل ضم الترغيب بالترهيب وبيان الضد بالضد، والاستدلال على الوحدانية والمعاد بالوقائع التاريخية بعد الاستدلال بآيات الفطرة، واتصال الحرب بالنصر، والصلاة مع الزكاة، والعذاب والسلب بعد الرحمة، وأهل النار بعد أهل الجنة، وذكر أمر واحد ذي أطراف في موضع وذكر بعضها في موضع آخر، وتسليية النبي بعد الاستدلال على الوحدانية والمعاد، وإذا طال ذكر أحكام شرعية فوصلها بكليات عالية وهي مدار الشرائع من التوحيد والصلاة والطاعة والتقوى ثمة إذا التمسست المناسبة وجدتها بعد تأمل.<sup>1</sup>

والفراهي لا يستكشف هذه الأساليب كلها ولكنه يعتمد عليها كثيرًا في استجلاء النظم الداخلي، فقبل بيانه يبين هذه الأساليب ثم ينظر من خلالها في النظم المعنوي فيرجع إليه الفضل في استخدامها بطريقة مؤثرة بدیعة وسهلة. ويظهر التناسق طبعيًا لا يتردد أحد في قبوله مثلًا يقول في الربط الداخلي في سورة الشمس "فالعشر الأولى شهادات عامة من دلائل الفطرة والخمس الباقية شهادة تاريخية مسلمة. وهذا أسلوب عام في القرآن يجمع الله تعالى آيات الفطرة مع آيات الوقائع في الأمم الخالية."<sup>2</sup>

والفراهي لا يعتمد في معرفة الأساليب وخصائصها على كتب المعاني والبلاغة والنحو بل يبحثها في كلام العرب ولم يزل باحثًا إلى أن وجد بعض الأساليب التي لم يهتد إليها النحويون مثل الحذف من المعطوف بعض ما في المعطوف عليه وبالعكس، والحذف لشدة الأمر، وحذف جواب الشرط، وكذلك أحيى بعض أساليب مهجورة مثل الحال من المجرور، وحذف الأفعال الناقصة من المضارع، وحذف ما يدل عليه المقابل.<sup>3</sup>

ولذلك ألف كتاب الأساليب وذكر فيه من الأساليب التي لم يهتد إليها العلماء أو التي ضلوا وأخطأوا فيها كثيرًا بسبب كونها غير معروفة، منها الخطاب والالتفات،

<sup>1</sup> أنظر مقدمات تفسير نظام القرآن للفراهي: 25-72

<sup>2</sup> تفسير نظام القرآن للفراهي: 312-313

<sup>3</sup> أنظر نفس المصدر: 171-176

والترتيب والترديد والتقديم والتأخير والوصل والفصل والحذف والاعتراض والتلخيص والتفصيل بعد الإجمال واستعمال أسلوب عوض أسلوب والتكرار والتعميم والمقابلة والتنكير والتعريف وتضمن القول دليله والشرط واختلاف الأساليب في العطف وما إلى ذلك. وقد أشار الفراهي إلى نقص هذا الجانب في المفسرين ولذلك نجده يكرر ويعيد ويبحث ويحرض في كل مناسبة دارس القرآن على ممارسة كلام العرب إلى أن يحدث ملكة فطرية لتمييز الكلام الجيد من الرديء.

ويرى الفراهي أن من مارس أساليب العرب وكلامهم وقارن أسلوب القرآن بأساليب العرب يظهر عليه فضل القرآن من وجوه. فيقول: "قد أفصح القرآن بكونه عربيًا مبيّنًا وقد وجدناه كذلك. فإن من مارس لغة العرب ونظر في أشعارهم وخطبهم ومحاوراتهم، وجد القرآن أسهلها كلامًا وأقومها نظمًا وأبينها مقالة وأوضحها دلالة وأجمعها سلاسة وجزالة وقد أخلص عن الوحشي الغريب كما أخلص عن التعقيد في التركيب. ثم يشهد بذلك صريح المعقول فإن الغرض منه التبليغ والصدع بالحق والترغيب والترهيب وهذا يقتضي كلامًا واضحًا"<sup>1</sup>

الاعتناء بكشف الأسرار والحكم: يعتقد الفراهي أن العلاقة الوطيدة موجودة بين النظم والحكمة، فحيث يوجد النظم تتجلى الحكمة وحيث تتجلى الحكمة يوجد النظم. وهو يؤكد هذا الأمر في كل مناسبة فهذا لا يدلّك على النظام إلا ويدلّك معه على أبواب الحكمة والنظام لا ينفك عن الحكمة، "فمن نظر في مطالب الآيات على حديثها ولم يتأمل في مناسبة أجزاء السورة عميت عليه الحكمة وحسن نظامها من جهة البلاغة والاستدلال"<sup>2</sup> "ولما كان أكثر الحكم ومعالي الأمور مخبوءة تحت دلالات النظم، فمن ترك النظر فيه، ترك من معنى القرآن معظمه والقرآن حكمة ونور".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> مفردات القرآن للفراهي: 108

<sup>2</sup> رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن للفراهي: 54

<sup>3</sup> نفس المصدر: 50

والفراهي لا يمرّ على النص القرآني مرّاً عابراً سريعاً بل يطيل وقفاته حتى يعرف الحكمة والغاية في كل حكم وأمر وقد تصدر منه عبارة تنبأ عن شدة انطباعه وانبهاره. ثم هو يربط الفروع والجزئيات بالأصول. ذلك أنه بعد معرفة الأصول لا يصعب الاستنباط والاجتهاد. والنظر في آيات السورة لا يدع شكاً في أن عمود الكلام ليس إلا الأمور الكلية التي لا تتعلق بوقت وزمان. وأما الأحكام الخاصة فجاءت عن عرض ووضعت تحت الكليات إلا قليلاً ومع ذلك لم يقتصر عليها حتى خولطت بالكليات والحكم كما ترى في سورة النور بدأت بالأحكام ولكن العظات والوصايا العالية ضمت بها. فلا بد للمفسر أن ينظر في القرآن من جهة الحكم ويربط الأحكام بأصولها. وأما الوقائع الخاصة فجعلت مواقع للتنزيل لتكون تقريباً إلى الاستماع والتوجه.<sup>1</sup> و"من عيون تعليم القرآن عقائد وأعمال. والأعمال شخصية ومنزلية ومدنية فمن العقائد التوحيد والنبوة والمعاد مع دلائلها. ومن الأعمال الصلاة ومنها الحج. والزكاة ومنها الصوم ومكارم الأخلاق وهي البر والمعروف وخلافها المنكر، والشهادة بالحق فهذه أعمال شخصية ولو بالجماعة، ثم القسط، ثم التعاون."<sup>2</sup>

والفراهي يرى أن الأحكام والشرائع في الإسلام كلها مبنية على حكم عالية. ولا بد من معرفة هذه لمعرفة الأحكام واستنباطها من القرآن ولما أن القرآن يفصل الأمور الرئيسية فتزداد أهمية معرفة هذه الحكم لنصل بها إلى فهم الجزئيات والفروع "وبالجملة إذا نظرت في نظم الآيات ومطالبها، والسور وعمدها هديت إلى نظم الشرائع والأحكام."<sup>3</sup>

وحاول الفراهي أن يؤسس فلسفة علم الأخلاق على القرآن نفسه بدلاً من كتب الفلاسفة والقصص والروايات الضعيفة. وينصح الفقيه أن لا يستنبط من

<sup>1</sup> نفس المصدر: 74

<sup>2</sup> تفسير نظام القرآن للفراهي: 53

<sup>3</sup> رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن للفراهي: 48

---

## العدد الخاص.....مجلة الهند

---

ظاهر القرآن دون معرفة العلة والغاية من القرآن فالقياس صعب المتقن فربما  
يزل فيه قدم المجتهد.

ولبيان الحكمة في الأحكام والأخلاق والعقائد من نفس القرآن شرع في تأليف  
كتاب عن أصول الشرائع ولكنه لم يستطع إكماله.

### المصادر والمراجع

1. الرازي، محمد بن عمر فخر الدين: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، تحقيق: أحمد الزهراني، مكتبة الدار، ودار طيبة، ودار ابن القيم، السعودية، 1408هـ.
2. الزمخشري، جار الله: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، 1938م.
3. الفراهي، عبد الحميد: القائد إلى عيون العقائد، الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، سراي مير، أعظم جره، الهند، الطبعة الأولى، 1395هـ.
4. الفراهي، عبد الحميد: تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، المجموعة الأولى، الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، سراي مير، أعظم جره، الهند، الطبعة الأولى، 2008م.
5. الفراهي، عبد الحميد: رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، المجموعة الأولى، الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، سراي مير، أعظم جره، الهند، الطبعة الثانية، 2005م.
6. الفراهي، عبد الحميد: مفردات القرآن، تحقيق وشرح: د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي، الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، سراي مير، أعظم جره، الهند، الطبعة الثانية، 2004م.
7. الفراهي، عبيد الله: علامه حميد الدين الفراهي: حيات و أفكار، ترتيب: عبيد الله الفراهي، مجموعة مقالات الندوة حول الفراهي، الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، سراي مير، أعظم جره، الهند، الطبعة الأولى، 1992م.
8. القرطبي، أبو عبد الله: الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1985م.
9. الشربجي، محمد يوسف: الإمام عبد الحميد الفراهي ومنهجه في تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية - المجلد ٢٠ - العدد الثاني، 2004 م.

## الإمام الفراهي يمتلك نظرة ثاقبة

- محمد فاروق خان<sup>1</sup>

ترجمة من الأردوية: د. عرفات ظفر الأعظمي<sup>2</sup>

ذكر العلماء الذين أَلَّفوا الكتب في موضوع أصول التفسير الشروط اللازمة لفهم القرآن مثل العلم بالنحو والصرف، والذوق السليم في اللغة العربية، والنظر في كلام العرب، والعلم بآيات الناسخ والمنسوخ، والاطلاع على نزول الآيات، والنظر على الأشباه والنظائر، والعلم بالأحاديث الصحيحة، والعلم بتاريخ أيام الجاهلية، والعلم بعقائد العرب الجاهلية وأعرافهم، والعلم بالكتب السابقة وتاريخ أهل الكتاب، والبراعة في علوم المنطق والفلسفة، والفكر والتدبر، وطهارة النية والشعور بعظمة كلام الله تعالى ونحو ذلك.

وقد أكد بعض المفسرين ومنهم العلامة حميد الدين الفراهي على أن يكون المفسر على يقين تام بأن كلام الله مربوط ومنظم، وأن يكون على علم تام بنظم القرآن. فبذلك يتعين المعنى الصحيح لآيات القرآن وتزول جميع الخلافات التي لا تذهب بسهولة في بادئ النظر عند عامة الناس.

وقد بيّن مجدد الألف الثاني في إحدى رسائله الشرط الأساسي لفهم القرآن بأن يشعر الإنسان شعورًا تامًا بجهله لا بمعرفته. ويطالع القرآن بحيث لا يعرف عنه شيئًا، ويحتاج إلى هداية كلام الله تعالى لحصول العلم. وإن قرأ أحد القرآن بغير ذلك الشعور فهناك إمكانية كبيرة بأن يشتغل في بحث أفكاره وتخيلاته دون أن يحصل على الهدى من القرآن الكريم، وأن لا يطلع على معارف القرآن ومفاهيمه

<sup>1</sup> أحد كتاب الدراسات الإسلامية. قام بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الهندية

<sup>2</sup> أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة لکناؤ، لکناؤ، الهند



العالية، وتفسيره للقرآن يكون تفسيرًا للرأي، وأن يكون مرتكبًا لتحريف معاني القرآن الكريم في نظر أهل الحق.

وقد أكد العلامة أبو الأعلى المودودي على من يريد أن يفهم القرآن فهمًا حقيقيًا أن يخرج من نطاق مطالعته ويدعو الناس إلى القرآن، فسيواجه اليوم كذلك جميع المراحل التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في سبيل الدعوة، وجميع المعارضات التي واجهها أهل الحق من الرعيّل الأول، والتي وردت تفاصيلها في القرآن الكريم. وهكذا نحصل بسهولة على علم الفهم الصحيح لآيات القرآن الكريم.

وقد تكلم العلامة حميد الدين الفراهي على جميع الأصول والشروط لفهم القرآن تقريبًا، وبين وجهات نظره في ذلك. وهذه الأعمال البارزة للعلامة في حل مشكلات القرآن أعمال يعترف بها كل رجل عادل وصاحب نظر ثاقب. وهذه الجهود العظيمة للعلامة لتفهم الناس عظمة القرآن جهود منفردة وأعمال عظيمة في تاريخ تفاسير القرآن. ولكن لا يقدرها إلا من كان عنده ذهن ثاقب وقد تبرأ من جميع العصبية، وعنده طموح عالٍ وقلب واسع، ولا يدرك علو مكانة العلامة من كان ضيق الصدر عديم الهمّة.

أعطى الله تعالى العلامة الفراهي خصالًا وصفات كثيرة نذكر منها واحدة فقط وهي أنه كان رجلًا حساسًا، يحمل ذوقًا لطيفًا طاهرًا. فهو كآلة حساسة والتي تسجل أدق الذبذبات في الفضاء وأخف الأصوات. فهذا الوصف الخاص قد كشف العلامة بعض الجوانب للقرآن التي خفيت عن أنظار الناس بشكل عام. وكذلك قد وصل العلامة إلى فهم الحقائق الدينية التي قد يفشل في فهمها كبار العلماء.

وبهذا الوصف الخاص قد ابتعد العلامة من كل دناءة وذوق رخيص. فلم يكن يرضى بأي شيء دنيء. وندرك طبيعته الحساسة ونظريته الثاقبة هذه من خلال كتاباته التي كتبها في توضيح معاني الآيات القرآنية ومعارفها. وسوف نذكر بعض تحقیقات العلامة وآرائه التفسيرية كي يتضح هدفنا جيدًا.

يجدر بنا أن نذكر هنا بأنه لم تكن هناك خطة واضحة أمام العلامة والتي يسير عليها بهدوء، بل كان عليه أن يشق طريقه بنفسه، وقد بذل لأجل ذلك جزءاً كبيراً من عمره، ثم سار عليه طوال عمره الموهوب له.

وقد استطاع فهم الروح الأصلية للدين بسهولة بسبب ملكته وحسّه الباطني الذي يحمله، وكان يقول بكل ثقة إن حقيقة الدين محبة ورقة قلب ورهافة الحس، والله ليس بخالق لا يشعر، ورحمته تفوق كل شيء. وقد استشهد العلامة بهذه الآية من سورة الأنعام: (قال لا أحب الآفلين) بأن الدين الإبراهيمي وعبادته مبنية على المحبة، وعبادة المشركين مبنية على الخوف والوجل، وبه تجلت المميزات الأساسية للدين الإبراهيمي بوضوح في ضوء قول العلامة: (مبنى عبادة إبراهيم المحبة ومبنى عبادة المشركين الخوف).

إن الهدف من الدين أن تظهر صفات الباري تعالى في عبادته، ولأجل ذلك يكون الدين باعتبار روحه مرهف الحس الخالص. فليكن الطمع إلى مظاهر صفات الباري تعالى في هذا الدين ونظام الدين الإلهي، وبدون ذلك لا مكان لأي شيء آخر في النفس الإنسانية. وكما قال العلامة: من تجلى الله له تلاً لأصدره بأنوار الباري وتجلياته، وكل ما أودعه الله في فطرتنا يظهر ويتجلى بسهولة ويسر. فهذا الاعتبار يكون الدين عند العلامة روحاً باطنية والروح الباطنية تتطلب بأن يعمل بقوتها الفكرية دون قوتها الظاهرة، ولذلك كان للتفكير والتدبر أهمية كبيرة في الإسلام. وأي دين ومنهج حياة لا يتطلب ذوقنا وشوقنا واضطراب قلوبنا في المعنى الصحيح لا يكون دين حياة نافعة في الحقيقة. وحسب العلامة يوجد لدينا شوق ورغبة فطرية، وإن لم تجد هذه الرغبة متاع تسليتها فلا تجد النفس الإنسانية ما تسكن إليها. يقول العلامة: "وهذه الفطرة الإنسانية كانت سبب وجود المذاهب والأديان، ولهذا السبب لا تجد أي أمة تكون خالية من الدين".

علم بهذا أنّ قلوبنا لو خلت من الشوق والاضطراب فلا نستطيع أن نرى الدين وعلوم القرآن على الطريقة الصحيحة، ولا يكون الدين جزءاً من حياتنا. وجميع الاستدلالات اللطيفة من خلال الآيات القرآنية التي استشهد بها العلامة ليست

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

نتيجة قراءته الواسعة وعلمه الجم وتدبره فقط، بل كانت رهافة حسّه الفطري من أهم الأسباب. وهنا نذكر بعض الشواهد والدلائل لإثبات هذه الدعوى إن شاء الله تعالى:

### المثال الأول:

ذكر الله عز وجل في سورة الذاريات الكفار فقال: (الذين هم في غمرة ساهون)، ثم بعد ذكر الكفار ورد ذكر المؤمنين ولقبوا بالمتقين. وهذا واضح بين في ضوء أصول التفاضل والتقابل بغير تصريح بأن المتقين ليسوا غافلين ولاهين. وهذا غير مذكور ولكنه واضح. ويسميه العلامة بأنه خاصية إيجاز الكلام. وكل ما قيل عن المتقين فهو دليل صريح بأنهم ليسوا بنائمين ولا ساهين بل هم مستيقظون. واستيقاظهم هذا يحيط بحياتهم كلها. وهؤلاء هم الذين يقال عنهم في الآخرة "وكانوا قليلاً من الليل ما يهجعون. وبالأسحار هم يستغفرون. وفي أموالهم حق للسائل والمحروم". يعني أن يقظتهم وسهرهم كان بارزاً في كل ناحية من نواحي أعمالهم. انظروا إلى كلمات العلامة هذه:

"هناك ضوء كامل لليقين والبصيرة ليوم الدين أمام أهل الإيمان الذين لا يزالون يستيقظون في انتظار ذلك اليوم، وجدير بالذكر بأن هذا المعنى كله يتضح بكلمة واحدة (المتقين)". (تفسير سورة الذاريات، ص: 35)

فعند العلامة استعمال كلمة (المتقين) يمنحها سعة كافية من كلتا الناحيتين الظاهرة والباطنة، وتؤيد كثير من الآيات القرآنية هذا المفهوم الواسع.

### المثال الثاني:

انظروا إلى المثال الآخر، فقد ورد في سورة العنكبوت: (64-69):

"وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهيَّ الْحَيَوةِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيُكْفَرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وَيُتَخَفُّ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِيَالْبَطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٧٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ  
مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ  
﴿٧٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٩﴾".

فعند العلامة قد انهمك أهل الباطل أو أهل الكفر في هذه الحياة معدودة الأيام  
كثيراً حتى أصبحوا غافلين عن الحياة الخالدة. تجري الأهواء والشهوات وراء  
أعمالهم في الدنيا فقط، لكن سوف تظهر عليهم الحقيقة قريباً. وقد ذكر القرآن  
ركوبهم السفينة وإحاطتهم بالمصيبة على سبيل المثال، ثم علق عليه العلامة بكلام  
لا يستطيع ذلك إلا من هو عالي الهمة ويقظ، يقول العلامة: "وفيه إشارة إلى أن  
الإنسان في هذه الحياة بين أمواج الشهوات والمصائب والمتوكل على ربه كمن هو  
في سفينة متينة".

وقد ذكر الله تعالى في هذا السياق حرماً آمناً، وهذا له معنى عظيم، يكتب العلامة:  
"ولا يخفى أن بيت الله ومكة مثال سفينة ظاهرة حفظها وحقيقتها التوحيد،  
ولكنهم جعلوا لربهم المحافظ شركاء فأبطلوا تلك النعمة، ومن أدخل في دين  
إبراهيم هو التوحيد، الشرك فقد ظلم ظلمًا عظيمًا".

وهذه السفينة التي تذهب بأهل الحق إلى الساحل أي الجنة، والذين لا يقدر  
نعمة الله عز وجل فقد قضى لهم أن تردوا في نار جهنم. فقد ذكرت هذا الأمر  
بإيجاز شديد، وينظر ذلك مفصلاً في كلام العلامة.

والحقيقة التي ذكرها العلامة هنا وبينها لا يهتدي إليها القارئ بنظم الكلام وسياقه  
إلا إذا كان ذو حس بليغ الذي يفهم الإشارات القرآنية اللطيفة سريعاً.

### المثال الثالث:

فقد ذكر القرآن الكريم في سورة القيامة النفس اللوامة دليلاً ليوم الحساب. وقد  
جاء العلامة في هذا السياق بنقاط قرآنية لا تُقَدَّر إلا له. فقد كتب بأن كل إنسان

له نفس لوامة تلوم على أعماله السيئة، كذلك كل عالم له نفس لوامة تلوم على أحواله ومعاملاته، وهذه هي النفس اللوامة التي تحوي أصل صلاحه ومنيع فلاحه. وفي الحقيقة قد أرشد العلامة مشيرًا إلى الحقائق التاريخية والحوادث الزمانية إلى جانب من جوانب القانون الأخلاقي الذي يكون له دور بارز في التاريخ الإنساني. وهذا هو القانون الذي يشاهد في مظاهر الكون، وهي تختلف حسب هذا القانون، فنشاهد مبشرات الخير للمطر بعد جذب القحط.

والقانون الذي خلقت لأجله النفس اللوامة، هو قانون أبدي. كيف كانت بصيرة العلامة حيث يقول: كل رسول يكون لقومه في منزلة النفس اللوامة، ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم هو بمنزلة النفس اللوامة لجميع بني آدم، ثم هذا هو القانون الذي سوف يظهر يوم الآخرة حيث يقول العلامة: "إن يوم القيامة يكون بمنزلة النفس اللوامة للذات الكلية لهذا الكون، فالقيامة لوامة لكل نفس، يعني كل ما فعل سيكون حاضرًا أمامه يومًا ما. (ينبؤ الإنسان يؤمنذ بما قدم وأخر). (تفسير سورة الذاريات).

#### **المثال الأخير:**

وقد استدل بنطق الإنسان على المعاد في سورة الذاريات، وقيل بأن بعثك بعد الموت وجرائك لأعمالك الحسنة والسيئة حق لا محالة. وإنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ولا تشكون في ذلك. وقد تكلم العلامة في هذه الآية الكريمة بكل وضوح وذكر كيف يكون النطق دليلاً واضحاً وحسباً على المعاد. فأولاً نقول بأن النطق هو أجدر للقبول واليقين من بين جميع مظاهر النفس. ليس هناك واسطة بين الفكر الإنساني والنطق، بل النطق الحقيقي هو الفكر. والنطق الذي يُسمع هو الظهور الخالص للنطق الحقيقي حسب قول العلامة، ثم تستمع الأذن كل ما يقول اللسان وإلا لا تكون للكلام فائدة.

فلننظر إلى النظرة الثاقبة للعلامة حيث يقول: "قد تم الاستدلال من القرآن الكريم بأن جميع الكائنات وجدت بنطق الله تعالى، فإذا أراد أن يخلق شيئاً فلا يحتاج إلى

آلة أو متاع، بل يخلق ذلك الشيء بكلمة (كن)، حيث جاء في القرآن الكريم: (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) (سورة يس: 81-83) (تفسير سورة الذاريات، ص: 52، 53).

وبعد كرامة كلمة "كن"، تكون كلمة "وإليه ترجعون" لها معنى قيم، يقول العلامة: "كيف يمكن بأن يخلق الله تعالى المخلوقات ولا ترجع إليه؟ وهل ينطق ولا يسمع؟ وهل يخلق ولا يرى؟" (تفسير سورة الذاريات، ص: 56).

يقول العلامة: "وهناك ميزة ضرورية للنطق بأنه راجع إلى الناطق. وإن لم يكن كذلك فمعناه بأن الناطق أصم، والأصم يكون أبكم كذلك، فكيف يكون ناطقاً؟ وحسب هذه الحقيقة للنطق يكون ضرورياً لجميع الخلق بأن يرجع إلى خالقه. لأن جميع الخلق خلق بكلمة الله تعالى، وقائم بحكمه، ولا يمكن أن يخرج من اختياره وتصرفه. (تفسير سورة الذاريات، ص: 55-56).

انظروا إلى النظرة الثاقبة للعلامة كيف أحست أعماق البيان القرآني، وكيف بين بكل وضوح خلاب. وكل ما فهمه أراد تصديقه من القرآن لمزيد من الطمأنينة. وكل ما أحس القلب ببيان القرآن، وكل ما أخذ الذهن منه يكون جديراً بأن يرجع إلى القرآن الكريم لحصول المزيد من الاطمئنان لنفسه أو لغيره. فإن كان هناك وضوح لأي بيان للقرآن الكريم بشواهد من القرآن فلا حاجة إلى شيء آخر لمزيد من الاطمئنان والوثوق.

### المصطلحات الدينية

قد بين العلامة أمراً مهماً في تفسير آية من سورة الأعراف فيقول: "إن الصلاة هي الأصل للتقرب وهي المركز وروحها التوحيد ومركز الصلاة السجدة. فالسجدة تزيل الكبر الذي هو المانع عن الشكر الذي هو باب الإيمان".

فالحاصل أن منتهى الصلاة هي السجود، والسجدة هي الصورة الصادقة للتقرب الإلهي، والسجدة هي التي تزيل الكبر، والمتكبر لا يكون شاكراً البتة، وحياته تكون خالية تماماً من الشعور النفسي الذي يكون محرراً رئيسياً للإيمان وأساساً له.

وقد ذكر العلامة كلامًا قيمًا ونفيسًا في حقيقة الصلاة فمثلاً يقول: "معنى الصلاة التقدم إلى شيء والدخول فيه. ثم الحقيقة البارزة للصلاة عنده هي التوجه إلى الله سبحانه وتعالى. فالذي يكون في الصلاة كأنه قائم أمام ربه يناجيه ويكلمه. والتجمع في عرفة أيام الحج هو صورة لقيامنا في ميدان الحشر حسب قول العلامة. فهذا الجانب تكون للصلاة والحج والنسك علاقة قريبة للمعاد. واستلام الحجر الأسود تجديد وتوثيق لميثاق العبودية. وكل ما يقال في الحجر الأسود بدون فهم هذه الحقيقة يكون مثلاً للتهكم والاستهزاء غالبًا. وانكشفت جميع هذه الحقائق على العلامة بمطالعة القرآن حقيقة، ولكن كانت هذه المطالعة للقرآن الكريم بنظرته الثاقبة الغائرة، والتي بها وصل إلى النجاح في فهم هذه الحقائق التي يتقاصر عنها الناس عمومًا.

#### الكلمات الجامعة

هناك آية من سورة الأعراف: (قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (سورة الأعراف: 23). وردت في هذه الآية ثلاث كلمات: بصائر، هدى ورحمة في نسق خاص. وقد كتب العلامة بأن هذه الكلمات جامعة تمامًا، وهي في منزلة الكلمات الجامعة. ولكن الذي كشفه العلامة بعد ذلك يتبين منه بأن في صدره قلبًا حساسًا، وفي جانب آخر يلاحظ بأنه كان دقيقًا باعتبار الذهن والفكر، وكان يعرف الحق بحسه الدقيق، وكل ما يأتي إليه لا يكون شيئًا منطقيًا محضًا بل يكون شيئًا أكبر منه وأفضل. ويلاحظ بأن العلامة يسمو إلى المكان الذي لا يفكر فيه بالحق فقط بل يشاهده ويلتذ به، يكتب العلامة: "بصائر وهدى ورحمة هي ثلاث كلمات جامعة فإن أول الأمر العلم ثم السلوك بحسبه ثم الوصول إلى الغاية".

فمعنى ذلك أن النجاح يستلزم ثلاثة أشياء: أن يحصل الرجل على العلم الصحيح للحقيقة، ثم يصحح أعمال حياته وعمله في ضوء ذلك العلم، ثم الحصول على الهدف الأصلي. يقول العلامة بأن هذه الأمور الثلاثة الأساسية قد ذكرت في الآية بوضوح.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

فالبصائر تتعلق بباب العلم، وحقيقة الهدى بأن يوجه المرء علمه توجيهاً صحيحاً في ضوء ذلك العلم، ويجتهد في ميادين الحياة حسب ذلك العلم. والرحمة تلك الغاية التي يتوصل إليها المرء بعد المرور في مراحل العلم والعمل. وعنوان الغاية جذاب خلاب يفهمه كل صاحب قلب.

هناك أمثلة كثيرة ولكن تكفي هذه الأمثلة القليلة لتوضيح الهدف، وقد تكلم العلامة في المصطلحات القرآنية الأخرى كالنور، والأمانة، والتسبيح وغيرها بطريقة علمية قيمة جداً.

وهنا أبين لكم أمراً ضرورياً وهو أن العلامة رحمه الله كان يملك مشاعره، ولم يكن من الذين يتجرفون مع مشاعرهم، ولم يكن ينكر الحقائق كالقائلين بالتجديد، ولم يمن يتأثر بأحد أبداً. وكان يتدبر كل فكر ونظر بعمق شديد ثم يزنه على القرآن الكريم. ولم يكن يختار أبداً ما أعجب قلبه ولو كان مخالفاً صريحاً لمذاق القرآن الكريم. نكتفي في ذلك بذكر مثال أو مثالين:

هناك آية في سورة الأنبياء: (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ) [سورة الأنبياء: 10] لو بين معنى (ذكركم) على لفظه العادي لكفى، ولكن الشاه عبد القادر بين معناه بهذه الألفاظ: "لقد أنزلنا إليكم الكتاب الذي فيه اسمكم".

وقد أحب هذه الترجمة الذين يستهدون العزائم، ولذلك كتب عالم كبير مقالاً مفصلاً بعد أن فهم من قوله تعالى: (ذكركم) على عمومته، وتخيله جاذباً للقلوب. ونشر هذا المقال في العدد الخاص بالقرآن الكريم للمجلة باهتمام شديد؛ ليشترك في هذا السرور والطرب كثير من الناس. ولكن العلامة الفراهي ما كان يرضى بهذا السلوك مع هذه الآية القرآنية؛ لأنه كان يعرف أسلوب القرآن الكريم معرفة تامة، ويعلم نظمه علماً جيداً. فكيف يضحي بمكانة القرآن الكريم ووقاره لأجل أهوائه ومرضاته الذاتية، فيكتب: "ذكركم أي ذكر لكم فإن لم تؤمنوا لزمكم وعد الله وعذابه".



فالمعنى الذي قد فهمه العلامة هو الذي يطابق السياق. فالذين يذهبون حسب رغباتهم وأهوائهم لأجل فطرتهم الضعيفة هم الذين يحبون الأعاجيب كثيرًا. قال إقبال رحمه الله ما معناه: "كل حكيم وعارف وصوفي يحب الظاهر فقط، ولا يعرف أحد بأن التجلي مستور تمامًا".

فالعلامة لا يحب الأعاجيب، ولكنه يحب التجليات المستورة ويقدرها. وقد وجد العلامة لمطالعته الخاصة ولتدبره وتفكره ونظريته الثاقبة هذه الحقيقة بأن الحق لا يتجلى أبدًا في الدنيا، وهذا خاص بالآخرة فقط بأن الحق سيتجلى ويظهر عيانًا هناك. فالعلامة لا ينكر المعجزات ولكن يرى بأنه لا بد أن تكون متسترة بحجاب؛ لأن هذه الدنيا ليست بالآخرة.

فالله سبحانه وتعالى يظهر قدراته الكاملة في حجاب من الأسباب الظاهرة، وينصر عباده الأوفياء ويقمع أعداء الحق، ولكن أمر الحجاب يكون باقياً في كل مكان. ولهذا لا يبين العلامة معنى قوله تعالى: (ترميم بحجارة من سجيل) كما يبينه المفسرون الآخرون. كيف تتغير سنة الله في هلاك أبرهة وجنوده ضد السنة التي ظهرت في هلاك قوم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم؟ فقد أهلك الله سبحانه وتعالى الأمم الظالمة بقواه الفطرية كالريح والطوفان والزلازل وغيرها. وبيان القرآن الكريم واضح تمامًا في هذا السياق:

(وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾) [سورة يس: 28-29]

فقد أرسل الله على قوم ثمود سحاباً في رعد وبرق خارق للأسماع، وكذلك أرسل على قوم عاد سحاباً فيه رعد وبرق.

وفي الأخير أقول بأن الطبيعة الحساسة للعلامة ليست في مسار واحد بأن يكون غافلاً عن البرنامج الحقيقي للقرآن الكريم وهدفه الأصلي، أو يمر مروراً به من غير أن يكتثره اكتراثاً، ولا يجد مكاناً في فكره وفلسفته. انظروا إلى مثال حيث يقول:

## العدد الخاص.....مجلة الهند

"(وبعد إتمام الحجة من الله تعالى) يتجلى حكم البراءة، والهجرة وإعلان الحرب مع سياط الانتقام من الله سبحانه وتعالى. وهذا هو الوقت الذي يتم فيه وعد الله تعالى، ويتهاك الظالمون، ويستخلف أرض الله المؤمنون مكانهم، وهذا هو الهدف الأساسي لبعثة الرسل والأنبياء- عليهم الصلاة والتسليم-".

ومعنى ذلك أن لا تحسبوا ظهور الحق أمرًا هيئًا وشيئًا دنيويًا محضًا. بل ظهور الحق وغلبته هو الهدف السامي والأساسي لبعثة الرسل. وكتب العلامة في مكان آخر فقال: "وقد أوجب الله علينا إقامة الحق لأنه أقام أسس الخلافة الإلهية السماوية على هذا الحق". وتلاحظ تفاصيل ذلك في كتاب العلامة المعروف "في ملكوت الله".

## منهج الإمام الفراهي لتفسير القرآن الكريم

- الأستاذ نسيم ظهير الإصلاحي الغازي<sup>1</sup>

ترجمة من الأردوية: د. أورك زيب الأعظمي<sup>2</sup>

سعدت بقراءة دراسة تعريفية لأخي المفضل الدكتور رضي الإسلام الندوي لكتاب "إحكام الأصول بأحكام الرسول" للإمام عبد الحميد الفراهي في العدد المزدوج لمجلة "الرشاد" لشهري مايو-يونيو لسنة 1989م (المنشورة من جامعة الرشاد بأعظم كره). تستهل الدراسة بملاحظة قصيرة لمدير تحرير مجلة "الرشاد" سيدي المحترم الشيخ مجيب الله الندوي (المرحوم) كما تتذيل المقالة بحواشيه وتعليقاته على بعض آراء الدكتور الندوي. ونظرًا للغته وأسلوبه بانه وطريق كتابة هذه التعليقات لا أجد نفسي ترضى بأن كاتبها هو الذي قام بتأليف روائع الكتب أمثال "تبع تاريخين" و"أهل كتاب صحابه وتابعين" و"إسلامي فقه" (كلها بالأردوية) فنشر مثل الأفكار والأخيلة الخاطئة الفاقدة الأساس المرصوص عن الإمام عبد الحميد الفراهي في مثل هذه المجلة الموقرة عسى أن تشيع سوء الفهم عن الإمام الفراهي وتلامذته فنقدم فيما يلي بعض الأشياء للتوضيح لكي تتجلى الحقيقة لكل من له حجي أو أتى بقلب سليم.

الأخيلة والأفكار التي قدّمت في الملاحظة نذكرها فيما يلي على طريقة البنود لكي يسهل التعليق عليها:

أ. كتابات الإمام الفراهي معظمها مهمة غير واضحة.

ب. كتاباته تشكك في مجموعة الحديث النبوي الشريف.

<sup>1</sup> أستاذ التفسير والحديث بمدرسة الإصلاح، سرائر مير، أعظم كره، الهند

<sup>2</sup> مدير تحرير المجلة وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المليية الإسلامية، نيودلهي

ت. وبناء على البند الثاني لم يوفق الشيخ أمين أحسن الإصلاحي أرشد تلامذة الإمام الفراهي أن يستفيد من الأحاديث وأثار الصحابة إلا قليلاً.

ث. الأحاديث كلها مفسرة للقرآن ولكن أتباع مدرسة الإمام الفراهي التفسيرية يطلقونها على روايات التفسير ولا يستفيدون منها.

ج. ولأجل قصر باعهم من الاستفادة من الأحاديث النبوية يفضلون الاستشهاد بكلام العرب الجاهلي الذي لا يخلو من التحريف.

أ- فنتحدث عن البند الأول بأن من درس كتب الإمام الفراهي ورسائله وأمعن النظر فيها وعرف أسلوب كتابته يشهد بصراحة أن كتابات الإمام الفراهي ليست مهمة ولا غير واضحة، وإن أشكل في مكان ما فمثل هذه الإشكالات تتعلق بكتاباته التي هي إما غير تامة أم لم يجد الإمام فرصة مراجعتها. وعسى أن نجد مثل هذه المناقص في كتابات أي عالم أو كاتب غير تامة أو لم يوفق مراجعتها فخذ، مثلاً، كتاب "بداية المجتهد" الشهير لابن رشد فيما أنه قام بمراجعة مجلده الأول فلا نجد أي إغلاق أو عدم الوضاحة ولكن مجلده الثاني الذي لم يجد ابن رشد فرصة مراجعته نجد في غير موضع منه إبهامًا وإغلاقًا.

وإضافة إلى ذلك نجد الإيجاز والجامعية لدى الإمام الفراهي طبق تبحره في العلوم وتدقيق النظر والتدبر والتفكير ويشهد بذلك قول العلامة السيد سليمان الندوي الذي رواه مدير تحرير مجلة "الرشاد" الشيخ الندوي بنفسه ولقد روى الشيخ الندوي لي ولغيره من العلماء بأن:

"ذات مرة سألت العلامة سيد سليمان الندوي: أيهما (شبلي والفراهي) كان أفضل علماء فسألني العلامة: هل تعرف السيوطي والسخاوي؟ فقلت: بلى، ولقد سعدت بقراءة كتب كلا العالمين. فقال العلامة السيد: فكان أحدهما سيوطيًا بينما الآخر سخاويًا. فأراد العلامة سيد سليمان برده هذا بأن العلامة شبلي يفصل ويسهب كعادة العلامة السيوطي بينما الإمام الفراهي كان مدققًا وموجزًا كمثل الإمام السخاوي".

فإذا كانت منزلة الإمام الفراهي العلمية كهذه فلا يلزم أن تفهم كل كتابة منه بمجرد نظرة عامة أو قراءة غير متأنية، وبالعكس من تلك إنها تقتضي دراسة متأنية وإمعان النظر وإطالة التفكير.

ب- وأما البند الثاني وهو تشكيك الأذهان في شأن مجموعة الأحاديث الضخمة فإنها ليست مجرد نتيجة سوء الفهم بل هي عبارة عن بهتان عظيم على الإمام الفراهي. وبصرف النظر عن أي تبرير منا يجمل بنا أن نقدّم نماذج من كتابات الإمام الفراهي تكشف عن موقفه من الأحاديث النبوية وتثبت أنه كان يرى رأي العلماء السلف في هذه القضية.

يبدأ الكتاب الذي قام الأخ الفاضل رضي الإسلام الندوي بتعريفه بما يلي:

"أنه ﷺ لما كان مبيّنًا للكتاب ومفسّرًا له على الإطلاق في الشرائع والعقائد كليهما صار العلم بطرق تأويله أوثق أصل للمفسّر".<sup>1</sup>

ثم يقول:

"إن الحاجة قد اشتدت في استنباط الفروع، واجتهد فيه العلماء رحمهم الله ولم يتحروا إلا الرشد واتباع سبيل المؤمنين. ثم المتأخرون أسسوا للاستنباط أصولًا وأفرغوا في استخراجها جهدهم واختلفوا فيها، والاختلاف في مثلها لازم ومغفور إن شاء الله تعالى. ... فما ظنك فيما اجتهدوا فيه لاستنباط فروع الشريعة المطوية في كتاب الله وسنة رسوله، فهذا عين الطاعة لله ورسوله. فوقع بعض الاختلاف في اجتهاداتهم وكان لا بد منه، ولكن ذلك لا يمنعنا عن الجهد للخروج عن الاختلاف مهما أمكن".<sup>2</sup>

ويقول في مقدمة تفسيره الجليل "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان":

<sup>1</sup> المعلم عبد الحميد الفراهي، رسائل في علوم القرآن (مجموعة ثانية)، الدائرة الحميدية،

مدرسة الإصلاح، سرائر مير، أعظم كره، 2011م، ص 110

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 111

"فعلت من هذا التفصيل أن أول شيء يفسر القرآن هو القرآن نفسه ثم بعد ذلك فهم النبي ﷺ والذين معه. ولعمري أحب التفسير عندي ما جاء من النبي ﷺ وأصحابه".<sup>1</sup>

ويقول في كتابه "التكميل في أصول التأويل":

"فالسبيل السوي أن تعلم الهدى من القرآن وتبنى عليه دينك ثم بعد ذلك تنظر في الأحاديث فإن وجدت ما كان شاردًا عن القرآن حسب بادئ النظر أولته إلى كلام الله فإن تطابقا فقرت عينك وإن أعياك فتوقف في أمر الحديث واعمل بالقرآن".<sup>2</sup>

فكتابات الإمام الفراهي عن القضية واضحة للغاية فهل يمكن لمن قرأها أن يقول إن كاتبها يشك في مجموعة الأحاديث النبوية أو هي تقدر على أن تشكك القراء فيها؟

ولنعلم هنا أن الموضوع الذي تحدّث فيه الإمام الفراهي عن الحديث يتعلق بأصول التفسير فهو لا يمتّ أصلاً بالكلام عن الحديث فإثارة مثل هذه القضية عن الحديث في مثل هذه المواضع لا تجوز وأما الروايات التفسيرية فاتفقت آراء العلماء عنها بأنها دون روايات الأحكام والسنن فيقول الإمام أحمد بن حنبل:

"ثلاثة كتب لا أصل لها المغازي والملاحم والتفسير".<sup>3</sup>

فما كتبه الإمام الفراهي عنها نفس ما قاله أو كتبه السلف من العلماء منذ قديم الزمان فما قام به من النقد والتأويل والترجيح والرأي يطابق

<sup>1</sup> المعلم عبد الحميد الفراهي، فاتحة تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، مطبعة إصلاح، سرائر مير، أعظم كره، 1357هـ، ص 7

<sup>2</sup> المعلم عبد الحميد الفراهي، التكميل في أصول التأويل، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائر مير، أعظم كره، 1388هـ، ص 65-66

<sup>3</sup> عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط 4، 1978م، 228/2

وطريقتهم كما يبدو من المقتبس المذكور أعلاه من كتاب "التكميل في أصول التأويل".

نرجو بعد قراءة ما ذكرناه أنفًا زوال ما طرأ أحدًا من الشك أو سوء فهم عن موقف الإمام الفراهي من الأحاديث النبوية.

ح. وبناء على البند الثاني لم يوفق الشيخ أمين أحسن الإصلاحي أرشد تلامذة الإمام الفراهي أن يستفيد من الأحاديث وأثار الصحابة إلا قليلًا.

ففي الردّ على هذا نقول إن هذا الانطباع قد صدر إما عن سوء فهم الناقد أو كنتيجة لنظرة غير ممعنة في تفسير "تدبر قرآن" وإلا فلا تتكل مدرسة الإمام الفراهي إلا على السنة في شرح العقائد والعبادات والرجوع إلى الأحاديث في فهم حكمة القرآن، ونفس الطريقة اتبعها الشيخ أمين أحسن الإصلاحي في تفسيره "تدبر قرآن":

"الأحاديث والآثار أشرف وأطهر من المآخذ الظنية للتفسير --- لم استفد من الأحاديث التي وردت مصرحة عن علاقتها بالقرآن فحسب بل استفدت ما أمكن لي من تراث الأحاديث كله، لاسيما ما استفدت منها في قضايا حكم القرآن لم أجده لدى غيرها من المآخذ."<sup>1</sup>

ولكنه أحوط بكثير في قبول الأحاديث النبوية لأن صاحبها ﷺ قال:

"كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع."<sup>2</sup>

ونفس الطريقة الحذرة يختارها الشيخ الإصلاحي في شأن روايات التفسير وهي التي اختارها السلف من العلماء في كل عصر ومصر فقد صرح العلامة السيوطي بأن لا نرجع إلى السنة إلا بعدما لم نجد تفسير القرآن في مختلف مواضعه فقال:

<sup>1</sup> الشيخ أمين أحسن الإصلاحي، تدبر قرآن، فاران فاؤنديشن، لاهور، 1985م، 30/1

<sup>2</sup> أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم، سيما أفسيت بريس، المسجد الجامع، دلهي، د.ت. 8/1

"من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن ... فإن أعياه ذلك طلبه من السنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له. وقد قال الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن".<sup>1</sup>

فمن أصول تأويل القرآن أن نتفكر ما يدلّ عليه القرآن ونصوصه وأساليبه ولن ندع هذا المصدر إلى غيره ما أعاننا في فهمه وبيان مراده وتعيين أحكامه، ولقد اختار هذه الطريقة العلماء الحق لاسيما الأحناف فيقول الشيخ أبو زهرة مشيراً إلى طريقة استدلال الأحناف:

"فهم يأخذون بدلالات القرآن ومفهوم عباراته وإشاراتهِ ويتركون الأحاديث عن ذلك احتياطاً في قبول الرواية وترجيحاً لنص قرآني لا شك في صدقه على رواية حديث محتمل الصدق".<sup>2</sup>

ولقد ذكر الشيخ أبو زهرة عن الإمام أبي حنيفة وعلماء العراق أنهم كانوا يرجّحون النصوص القرآنية بغض النظر عن الأحاديث التي وردت عن موضوع الآية فيقول:

"فإنك تراهم قد بالغوا في الأخذ بنصوص القرآن ولم يلتفتوا إلى أحاديث واردة في موضوع الآية".<sup>3</sup>

وكذا قال في موضع آخر عن الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل وفقهاء الظاهر وغيرهم من الفقهاء أن كافة الفقهاء منذ عهد الصحابة إلى نهاية عصر الاجتهاد كانوا يغضون النظر عن الأحاد ولا يقبلون نسبتها إلى الرسول الكريم ﷺ فيقول:

"والحق أننا إذا استثنينا الشافعي وأحمد بن حنبل وفقهاء الظاهر الذين جاؤوا من بعد نجد الفقهاء جميعاً من لدن عصر الصحابة إلى آخر عصر

<sup>1</sup> الإتيقان في علوم القرآن، المصدر نفسه، 235/2

<sup>2</sup> الشيخ محمد أبو زهرة، أبو حنيفة حياته وعصره، ط2، دار الفكر العربي، د.ت. ص 248

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 261



الاجتهاد قد تركوا أخبار الأحاد وردّوا نسبتها إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه لمخالفتها لأصول ثابتة لديهم قد أخذوها بالاستنباط من القرآن أو المشهور من الآثار".<sup>1</sup>

فيتضح مما ذكرنا عن منهج استدلال الأحناف وغيرهم من العلماء الحق وأصول تأويلهم وطريقة تفسيرهم أن مذهب الشيخ أمين أحسن الإصلاحي ومن معه من أتباع مدرسة الإمام الفراهي ليس بجديد بل هذا هو المذهب الذي سار عليه العلماء المحققون في كل زمن من الأزمان فإن نعتبر هذا المذهب التفسيري مذهب الإعراض عن الحديث أو النفسية التشكيكية فيه فماذا نقول عن أولئك الأسلاف الذين تبنا هذا المذهب، ولا يخلو من المتعة أن الإمام أبي حنيفة والإمام مالك قد اتهما بالإعراض عن السنة في عصورهما لطريقتهما الخاصة عن الحديث وسنة النبي ﷺ<sup>2</sup> فإن يتهما أحد بهذا لطريقتنا فلا عجب.

ت- الأحاديث كلها مفسّرة للقرآن ولكن أتباع مدرسة الإمام الفراهي التفسيرية يطلقونها على روايات التفسير ولا يستفيدون منها.

فما قلنا في البند الثالث قد قضى على سوء الفهم هذا ولكن يجمل بنا أن نوضّح أن أتباع مدرسة الإمام الفراهي يعتبرون مجموعة الأحاديث كلها شرحًا وتفسيرًا للقرآن وكانوا يؤمنون بأنما قال النبي ﷺ أو فعله مما استنبطه من هذا المنبع الرباني الصافي، وعلى هذا فنولي اهتمامًا خاصًا بدراسة تفسير ابن جرير لأن هذا التفسير مجموعة آثار وأقوال الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ثم نشير الاستفادة التامة من التفسير الكبير للرازي والكشاف للزمخشري وهذا يعين القراء في فهم الاتزان والاعتدال الذي اختاره مدرسة الإمام الفراهي في تفسير القرآن وتوضيحه.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 283

<sup>2</sup> الشيخ أمين أحسن الإصلاحي، إسلامي رياست مين فقهي اختلافات کا حل، فاران فاؤنڈیشن، لاهور، باكستان، د.ت. ص 71

وبكوني دارسًا متواضعًا للتفسير أجتري على أن أسأل كاتب هذه المقالة عن كتاب للتفسير قام فيه صاحبه بتفسير القرآن في ضوء الأحاديث ولم ينظر إلى غيرها فكل ما وجدته من خلال دراستي الحفيرة أنه لو كان كاتب أي تفسير حنفياً فحاول جده أن يثبت مذهبه في ضوء الدلائل، وبالرغم من ذلك إذا كان كاتب أي تفسير مالكيًا فهو يحاول جهده لإثبات مذهبه، وإن لم يكن من هؤلاء ولا من أولئك فهو يجهد نفسه في تأييد فكرته صحيحة كانت أم خاطئة، فكل مفسر يثبت مذهبه ويفتد مذهب الآخرين، ويحاول تأييده بما لديه من مجموعة الأحاديث الشريفة. وبالجمله فلم أجد تفسيرًا إلى الآن يكون بعيدًا عن أدناس الاختلاف المذهبي أو المسلمي بل نجد عندما ندرس السلف من العلماء نجدهم يوزعون الأحاديث إلى تفسيرية وغير تفسيرية، أحكامية وغير أحكامية، تاريخية وغير تاريخية، ولم يتكلموا في شأن التفسير إلا على الروايات المحدودة. وأما الإمام الفراهي وأتباعه فلا يرون رأيًا خاصًا ولا يؤيدون مذهبًا محددًا بل يردون القرآن أولًا في كل قضية علمية كانت أم عملية، فإنه هو الهادي لنا فإن خفي شيء منه علينا فلنراجع الرسول العربي ﷺ -أعماله وأقواله- الذي كان أسوة حية لمحتويات القرآن ومشتملاته، وإن لم يشف غليلنا فنسعى إلى أقوال وأثار من تبعه من الصحابة والتابعين والأئمة العظام إن كل ما تلفظوه مما استنبطوه من ذاك المعين الصافي.

ث- لأجل قصر باعهم من الاستفادة من الأحاديث النبوية يفضلون الاستشهاد بكلام العرب الجاهلي الذي لا يخلو من التحريف.

وفي الرد على هذا الاتهام نقول بأن الذين نزل بلسانهم القرآن لو كانوا أميين ولكنهم لم يكونوا محرومي القلوب والألسنة، فكانت أساليب بيانهم أفصح وأكثر تنوعًا من الآخرين، وعلاوة على هذه فكانت أساليبهم مليئة بالحكم والأسرار، وكانت لغتهم متحلية بكافة صفات البلاغة من التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية والإيجاز والإطناب، وأما القرآن فقد نزل بلسان عربي

مبين كعادة الرب تعالى فقد اختير فيه من الأساليب والطرق البيانية ما عمّ العرب في تلك الفترة من الزمن فهو على قمة من أوصاف الفصاحة والبلاغة من التشبيهات النادرة والأمثال البديعة والاستعارات والكنائيات الرائعة فمحاولة فهم مفردات القرآن وتراكيبه، طريق بيانه وأساليبه، وميزاته اللغوية بعيداً عن اللغة العربية وميزاتها وتتبعاتها مما يستبعد فلا بد لمن يقرب من تفسير القرآن من أن يلمّ بكلام العرب ويتذوقه، فمن يحاول تفسير القرآن بعيداً عن هذا الأساس فلن تتضح له معانيه ولن تفتح له أسرارهِ، ولأجل الإعراض عن هذا الأساس وقعت اختلافات بعيدة في تفسير القرآن واستنباط أحكامه حتى أشكل عليهم فهم بعض الأحاديث النبوية، وبناء على هذا قد اتفق العلماء من السلف إلى الخلف على ضرورة الإمام بالعربية وخصائصها والتذوق لها لكل من يحاول تفسير القرآن وتبيينه فذكر الإمام البيهقي في شعب الإيمان قول الإمام مالك التالي:

"لا أوتي برجل غير عالم بلغة العرب يفسّر كتاب الله إلا جعلته نكالا".<sup>1</sup>

وقد ذكر القاضي البيضاوي في تفسيره قول الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال مخاطباً المؤمنين:

"عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا ما ديواننا؟ قال شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم".<sup>2</sup>

كما نقل العلامة السيوطي قول ابن عباس التالي:

"إذا سألتكم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب".<sup>3</sup>

وإليكم قول ابن عباس الآخر الذي نقله عكرمة:

<sup>1</sup> محمد بن حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 274/1

<sup>2</sup> القاضي البيضاوي، تفسيره، سورة النحل

<sup>3</sup> السيوطي، المزهري في علوم اللغة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، د.ت. 302/2

"ماذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه في الشعر فإنه ديوان العرب".<sup>1</sup>  
فبدا من هذا التفصيل أن الاستفادة من كلام العرب وتتبع كلام العرب ليس  
مما أحدثته مدرسة الإمام الفراهي بل قد اعتبره العلماء من السلف إلى  
الخلف أصلاً من أصول تأويل القرآن فمن يعترض على المدرسة الفراهية من  
هذه الجهة فلا يدل إلا على أنه يعترض على أصل معلوم من أصول تأويل  
القرآن وعلى أنه قصير الباع فيه.

وأما قضية نحل الشعر الجاهلي ثم الاستفادة منه فهي ليست على قدر ما  
يثير العلماء المعاصرون من الضجة ضدها فالانتحال مؤامرة قام بوضعها  
المستشرقون مكرًا فقد اختلقوا شكوكًا في الإسلام ثم في كتابه ورسوله ومن  
هنا جاءوا بالتشكيك في كلام العرب، وليس الغرض منه سوى سدّ باب الفهم  
للقرآن الكريم.

فلو كانت هناك جماعة معلومة في عصر التدوين للانتحال ووضع الأشعار  
العربية ولكن فيهم من كان عادلاً يوثق بهم مثل المفصّل الضبي من رواة الكوفة  
والأصمعي الكوفي من رواة البصرة وتلامذتهما فقد قاموا بوضع الأسس  
والأصول لتمييز الغث من السمين من الشعر ووضعوا مجموعات موثوقاً بها  
بعد كدّ وجهد. ومثله مثل الحديث النبوي الذي قد وضع فيه النخّالون عددًا لا  
يحصى من الأحاديث ولكن العلماء والمحدثين قد غربلوه وميزوا الخبيث من  
الطيب وجعلوا مجموعات موثوقاً بها للأحاديث النبوية ولأجل جهود علماء  
الشعر في غربلته رجّح يحيى بن سعيد القطان علماء الشعر على علماء  
الحديث فيذكر قوله العلامة ابن عبد السلام الجمحي كما يلي:

"حدّثني يحيى بن سعيد القطان قال: رواة الشعر أعقل من رواة الحديث لأن  
رواة الحديث يردون مصنوعًا كثيرًا ورواة الشعر ساعة ينشدون المصنوع  
ينتقدونه ويقولون هذا مصنوع".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> العلامة التبريزي، شرح ديوان الحماسة، 3/1

<sup>2</sup> إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، ذيل الأمالي والنوادر، دار الآفاق الجديدة، مصر،  
1980، ص 105

ولقد شكَّك المستشرقون ومعهم المتجددون من المسلمين أمثال طه حسين الشعر العربي الجاهلي لدى كثير من العلماء المسلمين والحال أن بعض<sup>1</sup> المستشرقين والعلماء المحققين قد ردّوا على هذا الاتهام. وليراجع للتفصيل "مصادر الشعر الجاهلي" للدكتور ناصر الدين الأسد و"الشعر الجاهلي" للدكتور شوقي ضيف و"الشعر الجاهلي" للدكتور يحيى جبوري و"أصول الشعر العربي" (ترجمة عربية لمقالات شارلس جيمس ليال (Charles James Lyall) (والأخير ردّ على قول مارغوليوث (D. S. Margoliouth).

كتب الدكتور رضي الإسلام الندوي عن كتاب "التكميل في أصول التأويل" للإمام الفراهي: "انتقد الشيخ الفراهي في موضع من كتابه من لا يتدبر القرآن مباشرة ويفسرون القرآن بالأحاديث".

ثم علّق عليه مدير تحرير مجلة "الرشاد" كما يلي:

"كان السلف يتدبرون القرآن أولاً ثم يراجعون الحديث النبوي وآثار الصحابة". فكانه قال بكلمات أخرى أن الإمام الفراهي قد وجّه نقده إلى السلف من العلماء، والواقع خلاف ذلك فقد أراد الإمام الفراهي، كما يبدو من كلماته، أن ينتقد من العلماء من لا يقول بتدبر القرآن مباشرة ولا يجيز تفسير القرآن سوى بالمأثور فيقول الإمام الراغب الأصفهاني مشيراً إلى علماء هذه الطبقة: "فقوم تشدّدوا في ذلك فلم يجرؤا على تفسير من القرآن ولم يبيحوا له بغيرهم وإن كان عالماً أديباً متسّعاً في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار وإنما له أن ينتهي إلى ما روي عن النبي ﷺ وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة والذين أخذوا عنهم من التابعين".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> أول من أبدى الشك في الشعر العربي الجاهلي من بين المستشرقين هو مارغوليوث (D. J. Margoliouth) في مقالته الطويلة "أصول الشعر العربي" المطبوعة في 1925م وقرّر أن تراث الشعر العربي الجاهلي لا يوثق به ولكن فنّده جماعة من المستشرقين بالدلائل وأثبتوا صحة الكلام الجاهلي وأبرزهم جيمس ليال (Charles James Lyall) وبروكلمان.

<sup>2</sup> التفسير والمفسرون، المصدر نفسه، 256/1

ولقد كان جماعة من مثل هؤلاء العلماء في كل زمن من الأزمان وهم يرون اللجوء إلى المأثور بدل التدبر في القرآن وليس الحال تتوقف هنا بل لا يخرجون من حوزة الجالين والبيضاوي وبيان القرآن.

والتعليقات الأخرى كذلك. ولعل مدير التحرير الموقر قد كتب تلك الكلمات بعجلة وريث، فإن بدا مما نشر في مجلة "الرشاد" من كتابات الإمام الفراهي ما بدا فكيف يمكن لنا أن نقول أننا يبدو هو المراد من كتابات الإمام وذلك لأن الكتاب الذي نشرت دراسته في هذه المقالة ليس تاماً ولا مرتباً كعادته من الكتب الأخرى غير المطبوعة والواقع أنه كمذكرة للإمام الفراهي. وفوق ذلك لئلا أن كاتب هذه المقالة لم يراجع المصدر مباشرة بل قام بترجمة النصوص التي نقلها ناسخ آخر فمن الممكن أن قد زلّ الناسخ في عملية النسخ والنقل وهكذا يمكن أن قد أخطأ المترجم في الفهم والترجمة. والحال أننا لا نمتلك اليوم نص الكتاب ولا مقتبساته فننتحدث عنهما فإن كانت الحال كذلك فليحذر الكاتب والمعلق كلاهما لأن هذه التعليقات قد أساءت الظن في مدرسة فكرية هي بريئة منه.

مدير تحرير مجلة "الرشاد" ينتسب إلى مدرسة العلامة شبلي النعماني فلم تكن شخصية الإمام عبد الحميد الفراهي جديدة غير معروفة لديه، ولقد استفاد منه العلامة شبلي وتلميذه العلامة سيد سليمان الندوي واعترفا بفضله العلمي والعملية عليهما والمدير التحرير يعرفه أكثر منا فكنا نتوقع منه عدم نشر مثل هذه الآراء الباطلة ولكن الأسف أنه لم يصدق ظننا.

## الإمام عبد الحميد الفراهي ونظريته لنظم القرآن

- البروفيسور الطاف أحمد الأعظمي<sup>1</sup>

ترجمة من الأردوية: ناياب حسن القاسمي<sup>2</sup>

إن القرآن الكريم من أعظم نعم الله عز وجل على الأمة المسلمة وقد بدأ الله سورة الرحمن بذكر هذه النعمة، حيث قال "الرحمن علّم القرآن"، ولا شك أنّ القرآن الكريم نعمة عظيمة باعتبار كونه هدى للناس، وسراجاً رانياً في ظلمات الريب والشبهات، وشفاءً لما في الصدور، وفرقاً بين الحق والباطل، وخزينة للمعارف والبصائر، وبحراً مَوْجاً للحكم والعلوم، كلماته تحوي عوالم المعاني، وجمله تذخر بالبصائر، إنه معجزة في المظهر والمخبر، حتى سُمّي نفسه "المعجزة"، هل ترى كتاباً تتردد به الألسنة أكثر منه؟ لا ريب في أنه "لا تنقضي عجائبه".<sup>3</sup>

ولا نجد كتاباً سماوياً حظي بالشغف والحب البالغ اللذين حظي بهما القرآن الكريم من المسلمين، فقد اعتنى العلماء بأساليب بيانه، وصنّاعه، وبدائعه، ولغاته، وأمثاله، ومحاوراته، ومعاني بيانه، وجعلوها مواضيع دراساتهم، ومجالات بحوثهم، ألّفوا كتب التفاسير في عشرات المجلدات، التي تدلّ على سعة وكثرة معانيه، ووفرة معارفه، فضلاً عما ألّف عن أصول الدين والشرائع، والمواعظ، والقصص، والمناظرة، والجدال، وعن أحوال القيامة المذكورة في القرآن الكريم؛ ولكن لم يزل الأمر المعني به للغاية لدى العلماء هو إعجاز القرآن الكريم.

إعجاز القرآن: إعجاز القرآن يشتمل على جهات مختلفة، وقد اختلف العلماء في تعيينه، فقال البعض بأن إعجاز القرآن مكنون في نظم آياته الفائقة، وسمّوه

<sup>1</sup> كاتب هندي كبير للدراسات الإسلامية ومفسّر للقرآن الكريم باللغة الأردوية

<sup>2</sup> مدير تحرير "ترجمان جمعية" الشهرية، نيودلهي

<sup>3</sup> جامع الترمذي، باب ما جاء في فضل القرآن، ص: 108، ط: مصر

"علم المناسبة"، وأرادوا به علمًا يشير إلى الربط بين أي القرآن الكريم، ويوضح الحكم المخفية فيه.<sup>1</sup> وبعضهم ذهبوا إلى أن إعجاز القرآن مختفٍ في فصاحة بيانه، وبلاغة أسلوبه اللتين لا يوجد نظيرهما.

بدأ البحث من هذه الناحية علماء المعتزلة وعلى رأسهم إبراهيم بن سيار النظام (ت 838م) وعيسى بن صبيح (ت 850 أو 870م) والجاحظ<sup>2</sup> (ت 255هـ/868م) واكتشفوا جوانب متنوعة للبلاغة القرآنية.<sup>3</sup>

وبعد المعتزلة لعب المتكلمون دورًا بارزًا في هذا المجال، فعلي بن ربن الطبري (ت 855م) هو أول أهل الكلام الذي بحث عن إعجاز القرآن في كتابه "الدين والدولة". كان علي الطبري طبيبًا وفلسفيًا في عهد الخليفة المتوكل بالله (232-247هـ) وكذا تحدّث عن هذا الموضوع أبو الحسن الأشعري (ت 324هـ/936م) في عدة مؤلفاته؛ ولكن جُلّها ضاعت. وممن اشتهر بعدهما في البحث عن الإعجاز القرآني من المتكلمين، محمد بن يزيد الواسطي (ت 306هـ/918م) صاحب "إعجاز القرآن" وأبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت 384هـ/994م) صاحب "النكت في إعجاز القرآن" وأبو سليمان محمد بن إبراهيم الخطابي (ت 288هـ/901م) صاحب "إعجاز القرآن" وأبو بكر محمد بن طبيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الشهير بالباقلاني (ت 403هـ/1012م) ومحمد بن يحيى بن سراقه (ت 410هـ/1019م) والشريف المرتضى (ت 436هـ/1044م) وأبو إسحاق الفرائيني (ت 418هـ/1027م) وابن الحزم (ت 456هـ/1064م) صاحب "الملل والنحل" والإمام الغزالي (ت 505هـ/1111م) صاحب "الاقتصاد في الاعتقاد" والقاضي عياض (ت 544هـ/1149م) صاحب "الشفاء". كل هؤلاء ذكروا الإعجاز القرآني من خلال إثبات النبوة.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> متاع خليل قطان، مباحث في علوم القرآن، ص: 97، ط: بيروت

<sup>2</sup> ألف الجاحظ "دليل نظم القرآن" ردًا على "دليل صرفه" لإبراهيم نظام

<sup>3</sup> محمد حنيف فقيهي، نظرية إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني، ص: 27، ط: قطر

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص: 29



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

ومن المفسرين الذين تناولوا هذا الموضوع بالبحث والدراسة الإمام عبد الله بن جرير الطبري (ت 310هـ/923م). ذكر الطبري دلائل إعجاز القرآن الكريم في تفسيره، وأكثرها مستنبط من القرآن، كما قام بالحديث عن هذا الموضوع جماعة من المفسرين بعده، ومنهم الأصفهاني (ت 502هـ/1108م) والزمخشري (ت 538هـ/1144م) وابن عطية الغرناطي (ت 542هـ/1147م) والإمام فخر الدين الرازي (ت 606هـ/1209م) والإمام الزركشي (ت 794هـ/1391م) والإمام السيوطي (ت 911هـ/1505م) والعلامة الألوسي (ت 1270هـ/1853م).<sup>1</sup>

وممن يجدر بالذكر من بين أدباء العرب المعنيين بهذا الموضوع العلامة الجاحظ الذي ألف "نظم القرآن" ولو أن هذا الكتاب لا يوجد إلى الآن، وذهب كثير من علماء الأدب بأن الإمام عبد القاهر الجرجاني هو أول من أسس علم البلاغة، وألف "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" كتابين بحث فيهما عن البلاغة، ومسائل النحو العربي وكتب بأنه لا يمكن أن يصل أحد إلى كنه الإعجاز القرآني بدون المعرفة عن التمييز بين أساليب البيان المختلفة، وكتب في "دلائل الإعجاز" بأن روح بلاغة الكلام هي نظمه. وبعده قام الإمام فخر الدين الرازي بالبحث الدقيق عن الإعجاز القرآني في كتابه "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز". ولابن أبي الإصبع القيرواني (ت 654هـ/1256م) والزمخشري جهود مشكورة في هذا الشأن، فقد قاما بهذا البحث على منهج الإمام الجرجاني.<sup>2</sup> وأما الزمخشري فقد قام بتقليد الجرجاني في معظم مباحثه.<sup>3</sup>

وقد أريد بإعجاز القرآن علم البلاغة منذ زمن طويل، حتى انتقد أبو بلال العسكري (395هـ/1004م) في "كتاب الصناعتين" تأليف الجاحظ "البيان

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص: 31، راجع للمزيد: مباحث في علوم القرآن، للدكتور صبيحي صالح، ص: 340، ط: دمشق

<sup>2</sup> نظرية نظم القرآن عند عبد القاهر الجرجاني، ص: 32-33

<sup>3</sup> الزمخشري، الكشف، 170/2، 231، 301 وفي باب حذف المفعول، ص: 496، ط: دار المعرفة، بيروت

والتبيين" وكتب بأنه يتبع ظواهر علم الفصاحة والبلاغة، ولا يخرج من الإطناب والتشبيه وما إلى ذلك، وقال عن الإعجاز القرآني:

"أحق العلوم بالتعلم بعد معرفة الله علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة الذي يعرف به كتاب الله".<sup>1</sup>

ويأتي في ضمنه "مجاز القرآن" لأبي عبيدة (ت 209هـ/821م) و"معاني القرآن" للفراء الديلمي (ت 207هـ/822م) و"مشكل القرآن" لابن قتيبة، وقد بحث فيه عن المجاز، والاستعارة، والتمثيل، والتقليب، والتعريض وما إلى ذلك<sup>2</sup>

علم المناسبة: أول من اعتنى بمعنى الإعجاز القرآني الأول (علم المناسبة) هو الشيخ أبو بكر النيسابوري (ت 326هـ/937م)، وكان عارفاً لوجوه المناسبات بين السور وأسرارها، فعندما كان يقرأ عليه آية الكرسي، كان يشير إلى أنه لَمْ تُضَع هذه الآية مع تلك الآية ولم تُبَع هذه السورة بالسورة قبلها؟<sup>3</sup> وشاع هذا العلم على يد الشيخ ولي الدين الملوي، يكتب الشيخ عن هذا العلم:

"قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سورته كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث عن كونها مكتملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقته له".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> نظرية نظم القرآن عند عبد القاهر الجرجاني، ص: 51

<sup>2</sup> نظرية نظم القرآن عند عبد القاهر الجرجاني، ص: 48، ضعي الإسلام، للدكتور أحمد أمين، ص: 161

<sup>3</sup> الإتيان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، 124/2، إعجاز القرآن، لمصطفى صادق الرافعي، ص: 277

<sup>4</sup> الإتيان في علوم القرآن، 124/2، ط: مصر

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وقد ألّف أبو الفرج أحمد بن المقرئ الهمداني (ت 400هـ/1009م) في هذا الموضوع كتابًا باسم "علم المناسبة".<sup>1</sup>

وقام القاضي أبو بكر بن العربي (ت 543هـ/1148م) بترويض هذا الفن، فهو أول مفسّر كان يعتقد بأنّ القرآن كله كلمة واحدة، وجميع آياتها مترتبة متسقة بعضها ببعض كوحدة بسيطة<sup>2</sup> يكتب في كتابه "سراج المريدين":  
"ربط أي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون الكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم".<sup>3</sup>

ولكن لما رأى ابن العربي قلة عناية العلماء بهذا العلم، تنجى عنه قائلاً:

"لما رأيت أنه لا يوجد طالب لهذا العلم والناس عنه غافلون، فاختصرت البحث عن هذا العلم، وحصرته فيما بيني وبين الله، وتركته إكماله على إرادة الله تعالى. وبعده جعل الإمام فخر الدين الرازي علم المناسبة موضوع فكره، وتحدّث عنه كثيرًا في تفسيره الشهير "مفاتيح الغيب" المعروف بـ"التفسير الكبير"، الذي يحتل مكانة مرموقة بين التفاسير العربية.

وممن أكثر فيه البحث الإمام فخر الدين، قال في تفسيره: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط".<sup>4</sup>

وقد اعتنى الإمام الرازي خاصة في سورة البقرة بنظم الآيات، حيث يكتب: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أنّ القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضًا معجز بسبب ترتيبه، ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه، أرادوا ذلك، إلا أنني رأيت

<sup>1</sup> عبد الصمد الأزهري، تاريخ التفسير، ص: 133، ط: لاهور

<sup>2</sup> مباحث في علوم القرآن، ص: 97

<sup>3</sup> الإتيقان في علوم القرآن، 124/2

<sup>4</sup> الإتيقان، 124/2

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف، غير متبهرين لهذه الأسرار، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

والنجم تستصغر الأبصار صورته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر<sup>1</sup>

وبعد الإمام الرازي ألف العلامة أبو جعفر بن الزبير الغرناطي (785هـ-1308م) كتاباً حول هذا الموضوع باسم "البرهان في مناسبة ترتيب الفرقان"<sup>2</sup> وكذلك يجدر بالذكر كتاب الإمام برهان الدين بن عمر البقاعي (ت 885هـ/1480م) "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" الذي استغرق تأليفه أربعة عشر عاماً<sup>3</sup> وكتاب العلامة جلال الدين السيوطي (ت 911هـ/1505م) "أسرار التنزيل" جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز، وقد لخص منه مناسبات السور باسم "تناسق الدرر في تناسب السور" وجمع فيه مباحث قيمة عن الموضوع.<sup>4</sup>

وقد اعتنى في العصر الحديث بنظم السور والآيات من العلماء العرب الشيخ محمد عبده (ت 1323هـ/1905م) والعلامة رشيد رضا المصري (ت 1354هـ/1935م) والعلامة طنطاوي الجوهري<sup>5</sup> وللعلماء الهنود دور بارز في هذا المجال؛ بل ولو قيل بأن هذا العلم قد استكمل في الهند، لكان حقاً. فما يجدر ذكره من تفاسير العلماء الهنود تفسير المخدم المهائني (ت 835هـ/1431م) فإنه اهتم ببيان لطائف ترتيب الآيات في تفسيره "تبصير الرحمن وتيسير المنان"، يقول: "قد ذكرت في كتابي نكات ولطائف عن ربط الكلمات ونسق الآيات لم يدركها أحد فيما قبل، قد وفقني الله ومن علي بأن أكشف عن جوانب نظم القرآن الخفية، وأظهر حسن إعجازه".<sup>6</sup>

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص: 125

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص: 124

<sup>3</sup> المصدر نفسه، راجع للمزيد: إعجاز القرآن للرافعي، ص: 277

<sup>4</sup> الإتقان في علوم القرآن، 2/124

<sup>5</sup> غلام محمد الحريري، تاريخ التفسير والمفسرين، ص: 276، ط: مطبعة استقلال، لاهور

<sup>6</sup> الشيخ علاء الدين علي بن أحمد المهائني، تبصير الرحمن وتيسير المنان، 3/1

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

ومنها "الدرر النظيم" للشيخ منور بن عبد الحميد اللاهوري (ت 1011هـ/1602م) الذي التزم فيه بذكر مناسبات الآي<sup>1</sup> ومن العلماء الهنود المتأخرين الذين يجدر ذكرهم في هذا الأمر العلامة أنور شاه الكشميري (ت 1354هـ/1935م) صاحب "مشكلات القرآن"<sup>2</sup> والشيخ أشرف علي التهانوي صاحب "بيان القرآن" و"سبيل النجاح" و"سبق الغايات في نسق الآيات"<sup>3</sup> والعلامة عبيد الله السندهي<sup>4</sup> (ت 1365هـ/1945م) صاحب الأمالي التفسيرية و"ترتيب السور الكريم في النزول والمصاحف" لتلميذه الشيخ موسى جار الله<sup>5</sup> و"بلغة الحيران في ربط آيات الفرقان وجواهر القرآن" للشيخ حسين علي<sup>6</sup> و"سمط الدرر في ربط الآيات والسور وخلاصتها المختصر لمن أراد أن يتذكر أو يتدبر"؛ كلها تحتوي على بيان النظم والترتيب بين الآيات والسور، وكان الشيخ عبد الحميد الفراهي حلقة من هذه السلسلة الذهبية، والذي أضاف كثيرًا من المباحث القيمة إلى هذا العلم، كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وعلى الرغم من أن العلماء السلف ألفوا كتبًا قيمة حول موضوع علم المناسبة، كان هذا العلم ناقص الأطراف، فنرى بأن الكثير منهم ولو كانوا يعتقدون بنظم

<sup>1</sup> العلامة عبد الحي الحسني، نزمة الخواطر وبهجة السامع والنواظر، 412/5، ط: حيدرآباد، 1904م  
<sup>2</sup> أصدره تلميذه الشيخ يوسف البنوري مع تعليقاته باسم "تيمة البيان لمشكلات القرآن" من المجلس العلمي، دابيل

<sup>3</sup> البروفيسور عبد الباري، جامع المجددين، ط: شارع باردنغ، لكتاؤ، ص: 81  
<sup>4</sup> العلامة السندهي يعرف في الأوساط العلمية كشارح لعلوم وأفكار الإمام الشاه ولي الله الدهلوي، يكتب: "في ضوء حكمة الشاه ولي الله الدهلوي قد وضعت مقاصد للقرآن الكريم، ثم المبحث الرئيسي لكل سورة، وهكذا نجحت في بيان الربط بين السور". (شاه ولي الله أور أن كا فلسفه، ص 96، ط: سند ساگر اكاڊمي، لاهور)

<sup>5</sup> كان تلميذًا للعلامة السندهي، وبواسطته وصلت إلينا أماليه التفسيرية، أصدرت أولًا من بوفال، الهند، وتلميذه الآخر الشيخ عبد الله لغاري جامع لتفسيره "المقام المحمود" الذي يحتوي على تفسير الجزء الأخير للقرآن الكريم.

<sup>6</sup> كما أعلم لم يطبع لهذا التفسير إلا الجزء الأول

الآيات والسور؛ ولكنهم لم يفسروا القرآن كله في ضوء هذا العلم، حتى لم تكدر تنكشف المعاني الحقيقية لكثير من الآيات، وذلك لأنهم لم يتدبروا حقاً في الوصول إلى الربط بين الآيات والسور، وكذلك لم يكن لديهم الأصول الثابتة للتأويل، فاعتمدوا على أذهانهم، وعملوا بالقياس في الربط والمناسبة بين الآيات، الأمر الذي نتج عن الزلات، وعدم الوصول إلى وجوه المناسبة الصحيحة بين السور والآيات، مثلاً نذكر آية من سورة البقرة وهي: "حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى" (رقم الآية: 238) حيث لم يصل الإمام الرازي وكثير من المفسرين إلى الربط الصحيح لهذه الآية بما قبلها<sup>1</sup> وفي نفس السورة أتبع آية الربا بآية الإنفاق ولم يفهم المفسرون الربط فيما بينهما<sup>2</sup> وكذا أخطأ الإمام الرازي والعلامة الزمخشري في تأويل كلمة "الفتنة" التي وردت في سورة البقرة.<sup>3</sup>

وقد وردت أخطاء لا تعد ولا تحصى من العلماء والمفسرين المتصوفين، نكتفي بذكر واحد منها: قال تعالى في سورة غافر: "لمن الملك اليوم لله الواحد القهار" (رقم الآية: 14) فسرها الشيخ عبد الله أحرار بأنه يمكن أن يراد هنا بالملك قلب السالك، والمعنى بأن الله تعالى إذا تجلّى على قلب أحد بقهر الأحدية، لم يترك فيه أثر الغيرية، ثم يدخل فيه نداء لمن الملك؟ وحينما لم يجد فيه أحداً سواه، يجيب بنفسه "لله الواحد القهار".<sup>4</sup>

فالخطأ التفسيري هنا واضح، حيث إن الصوفي الفاضل لم يعتن بالآية قبلها وبعدها، وفسرها بما لا يرتبط تماماً بنظم الكلام، وإن سياق الكلام يدل بوضوح على أن الله تعالى نبّه الناس بالمحاسبة الأخروية، وبأن خيار الحكم يوم القيامة يرجع إلى الله وحده، وتجزى كل نفس بما كسبت من غير زيادة ونقص.

<sup>1</sup> الإمام فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 418/2، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1308هـ

<sup>2</sup> الشيخ أشرف على التهانوي، بيان القرآن، 94/1، ط: تاج كمبني، لاهور

<sup>3</sup> التفسير الكبير، 220/2-221، الكشف، 91-92/1

<sup>4</sup> دانش، فصلنامه راه زنى فرهنگى، سفارت جمهوريه اسلامي ايران، اسلام آباد، ص: 128، ط:

بهار، 1373هـ، زوئن، 1944م

نظرية العلامة عبد الحميد الفراهي عن نظم القرآن: يرى العلامة الفراهي قضية نظم القرآن برؤية مختلفة، حتى إنه وصل إلى ما لم يصل إليه الآخرون من العلماء القائلين بنظم القرآن، قد انكشف عليه بأن النسق والترتيب عنصر جوهري لهذا الكون، فكل ما يوجد من الأشياء الجميلة، فلنظم أجزائها التركيبية، لو انعدم ذلك النظم؛ لما بقي الحسن في تلك الأشياء، ولا يمكن أن نرى شيئاً جميلاً في المظهر وهو خالٍ عن الجمال في النظم والترتيب، كلما ازداد الشيء نظماً وترتيباً، ازداد جماله وكماله، وتنحصر قلة النفع أو كثرته من شيء على حسن ترتيبه، حتى ولو قيل بأن الترتيب والنظم الخاص هو الأصل في الأشياء، لكان حقاً. فعلم من ذلك بأن الكمال في المصنوع عبارة عن الكمال والجودة في الصنعة، ويدل الثناء على الصانع على التركيب والتنظيم الكامل في الصنعة، ويدل ذم الصانع على النقص في تركيب وترتيب المصنوع، وهي الصورة في الأعمال والتدابير، وهو أصل راسخ، وقاعدة مضبوطة لا ينبغي أن تختفي عن أهل النظر.<sup>1</sup>

وينطبق هذا الأصل على الكلام الإنساني؛ فإنه شيء مؤلف ركب بعضه ببعض، ولم يصبح معنى إلا بعد التركيب، وإنما هي الصورة التركيبية ما دل على معناه، ألا ترى ذلك عياناً في اللفظة الواحدة؛ فإنما صارت كلمة ذات معنى بما وضعت حروفها على ترتيب خاص، وكذلك الحال لتركيب الكلمات في جملة؛ فإنها لم تصبح ذات معنى خاص إلا بما وضعت كلماتها على تركيب مخصوص، وهكذا الأمر في تركيب الجمل حتى تصير كلاماً حسناً، أو حديثاً عجباً، أو حجة دامغة، أو حكمة بالغة مشتملة على فنون البلاغة، فلا شك أنّ الكلام بنظامه؛ فإنه يحسن أو يبلغ أقصى البلاغة لا بمحض أجزائه؛ بل بنظمه، وترتيبه على ما ينبغي، فمن أراد أن يطلع على حسن بيانه، وقوة استدلاله، وتأثيره في النفوس، ودلالته على مكنون الحكمة، لا بدّ أن يلتزم ذلك من معرفته بتركيب جملة.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> العلامة عبد الحميد الفراهي، دلائل نظم القرآن، ص: 19، ط: الدائرة الحميدية، سرائر مير، أعظم جره، 1388هـ

<sup>2</sup> دلائل النظام، ص: 19

ارتباط حسن الكلام وتأثيره بنظمه، وترتيبه أمر بديهي لو احتجت إلى زيادة الوضوح، فاعمد إلى خطبة بليغة مشتملة على الترغيب، والترهيب، والأمثال، والحكم، والحجة، والاستدلال، ثم اقطع عنها النظام، بأن تقدم وتؤخر من غير مراعاة مواقعها، ثم انظر كيف ذهب عنها جميع محاسنها، ولا يبقى التطابق بين الدعوى ودليلها، وكل ما فيها من حسن البيان، وكمال البلاغة، وكل ما يشير إليها من المطالب والفوائد، ولم يبق للقارئ إلا كهذيان المعتوه.<sup>1</sup>

فلو تأملنا في ضوء هذه الحقيقة الكلامية، وفرضنا بأن القرآن خالٍ عن النظم والترتيب، لم يبق إعجازه، ولو نعتبره كلامًا معجزًا، يجب أن نعتقد بأنه كلام منقطع النظير في ترتيب سورته وآياته.<sup>2</sup> وقد تعجب العلامة الفراهي من أنه إذا عجز خطباء العرب، وشعراؤهم من أن يأتوا بمثل جزء، أو كل من القرآن، فكيف يمكن لمؤمن أن يظن في ساعة من الليل والنهار بأن القرآن خالٍ عن النظم والترتيب؟ يقول: "ولا سيما إذا تحدّى به البلغاء، فعجزوا عن الإتيان بمثله، ولو بسورة واحدة، فلا أدري كيف يظن به ظانّ، وهو من المسلمين المؤمنين بالله وتنزيله، أنه خالٍ عن حسن النظام".<sup>3</sup>

ولا حاجة لإثبات النظم في أجزاء القرآن إلى شهادة خارجية، فقد يذخر القرآن بشواهد كثيرة لا يجهل عنها إلا من عمي، كما لا يحتاج الرجل البصير إلى دليل لطلوع الصبح، كذلك لا يمكن لمن تدبر في القرآن أن يكون غافلاً عن نظامه؛ لأنه لا يمكن فهم الكلام بدون فهم نظامه.<sup>4</sup>

قد ذكر العلامة الفراهي في عدة مواضع من كتابه "دلائل النظام" بأن كثرة الاختلاف في تفسير القرآن والتأويلات العديدة لآية ما قد حدثت لعدم رعاية نظم

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص: 20

<sup>2</sup> المصدر نفسه

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص: 22

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص: 27-28



الكلام، فمثلاً قال الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: "لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا". (سورة النور: 43) بأنّ في تأويلها أقوالاً:

1- لا تجعلوا أمره إياكم ودعائه لكم كما يكون من بعضكم لبعض؛ إذ كان أمره فرضاً لازماً، والذي يدلّ على هذا قوله فيما قبل "فليحذر الذين يخالفون عن أمره".

2- لا تنادوه كما ينادي بعضكم بعضاً، مثلاً: يا محمد! ولكن قولوا يا رسول الله! يا نبي الله! (عن سعيد بن جبير)

3- لا ترفعوا أصواتكم في دعائه كما قيل في موضع آخر "إن الذين يغضون من أصواتهم عند رسول الله". (عن ابن عباس)

4- احذروا دعاء الرسول عليكم إذا أسخطتموه؛ فإن دعاءه موجب، ليس كدعاء غيره. قد انتقد الفراهي هذه التأويلات، فقال:

"ولكن المعنى أنّ الرسول إذا دعاكم فلا بد أن تأتوا إليه، إن كان لكم أو عليكم، وتسمعوا، وتطيعوه، ولا تذهبوا قبل أن يقضي الرسول ما لأجله دعاكم؛ فإن مخالفة أمره إثم، ولعل المبرد والقفال أرادا هذا المعنى، ولم يفهمه الرازي؛ فإنّ الدال على هذا المعنى تمام هذه الآية، وهي "لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً، قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم" والدليل الواضح على هذا المعنى ما مرّ من آيات 47 و52 في هذه السورة".<sup>1</sup>

والمثال الثاني قوله تعالى: "يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾". (سورة المائدة: 35-36) فقد أراد أكثر المفسرين من الوسيلة العمل الصالح، وبعضهم

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص: 42.

أرادوا معني آخر، فكتب الشاه عبد القادر الدهلوي بأن المراد من الوسيلة اتباع النبي ﷺ، يقول العلامة الفراهي: "هذا كلام صحيح في نفسه؛ ولكنه ليس ههنا محله في ترجمة الوسيلة، ولا حاجة إلى دفع دخل زعمه مقدراً؛ فإن العمل الصالح لا بد أن يكون فيه طاعة النبي ﷺ؛ فإنه إنما جاء للدعوة إليه والبيان له".<sup>1</sup>

والمثال الثالث قوله تعالى: "وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَكِّرُونَ" (سورة الأنعام: 126) قال العلامة عبد القادر الدهلوي: "المراد من الصراط المستقيم الإذعان للطاعة، ونبذ العقل" ويقول الفراهي: "هذا تأويل غير صحيح، قد كثر في القرآن بيان الصراط المستقيم بمعنى التوحيد".<sup>2</sup>

والمثال الرابع قوله تعالى: "يَبْتَغِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ" (سورة البقرة: 40)

قال العلامة عبد القادر الدهلوي: إن الله يعذب عذاباً أليماً على إثم صغير إن شاء فلا اعتراض عليه؛ ولكن الفراهي يبطل هذا التأويل ويقول: "إن المراد من الآية أن الله تعالى يعذب الظالمين، ويتوب على التائبين، فهو المالك على الإطلاق، فكما يعذب بقدرته، فكذلك يغفر بقدرته، وهذا تأويل يوافق بنظم الكلام، إن الله هو الفاعل المختار، لا اعتراض عليه فيما يفعل؛ ولكنه لا يفعل غير الحق والقسط".<sup>3</sup>

لو لم نراع نظم الكلام، لصعب تعيين المعنى الحقيقي له؛ بل تنفتح أبواب التأويلات الفاسدة، فقد استدل أهل البدعة والضلال من آيات القرآن المتفرقة حسب مزعوماتهم، ولم يعبؤا بأن ما أرادوا هو المعنى الحقيقي للآية أم لا؟ فالسبيل الواحد للاجتناب من احتمال التأويلات المختلفة بأن نتمسك بنظم الكلام ولا نتركه أبداً، يقول العلامة الفراهي: "من نظر في مطالب الآيات على

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص: 68-69

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص: 70

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص: 70

جملتها، ولم يتأمل في مناسبة أجزاء السورة، عميت عليه الحكمة وحسن نظامها من جهة البلاغة والاستدلال؛ بل لم يجد مخرجاً عند احتمال المعاني؛ بل ربما اختار التأويل الباطل لما تعلق به بعض رأي زائغ، أو مذهب مرجوح، أو عقيدة فاسدة، فكان في ظلمات بعضها فوق بعض، وأشد وأفزع من كل ذلك أن يفتح للمبطلين والمبتدعة أبواباً لتأويلاته الفاسدة، ترى منهم من يأول القرآن، فيضلّ الناس بمحض رأيه، أو يمني نفسه بأنه أعلم بحقائق الأمور، وأسرار الدين، ولكن من تدبر في القرآن، ونظمه الحكيم، اطلع على حسن نظامه، وإعجاز بلاغته، ودقائق حكمته، وفتح عليه باب عظيم من المعاني، وكان على نور عند احتمالات التأويلات، فاختر ما هو الحق الواضح، ولم يتبجح في نبذ الباطل".<sup>1</sup>

وجوه خفاء النظم: قد عُلِمَ من هذا الحديث بأن أصول النظم هو أساس لفهم القرآن، ووسيلة للوصول إلى معارفه الكثيرة، والتأويلات الصحيحة للآيات المتشابهة؛ ولكن هنا ينشأ سؤال بأن نظم الكلام لو كان هاماً لهذه الغاية، فكيف خفي على العلماء السلف، ولم يذكره أكثرهم؟ فقد أجاب عنه العلامة الفراهي بأنهم تركوه لصعوبة فهمه، وكونه من مزلات الأقدام، فلم يدخل في مهمات الدين، ومن أسباب الغفلة عن هذا العلم الدليل بأن نزول القرآن للعمل به، والاستهداء منه، لا للاشتغال باستنباط لطائفه ونكات بلاغته، ولا شك في أن لطائف البلاغة، ووجوه الإعجاز ليست مقصودة لذواتها، وإنما المقصود منه هو التدبر في معاني القرآن وفهمها. ومعرفة النظم إنما هي الوسيلة إلى الحصول على كنوز الحكمة، والنور المخفي في القرآن.<sup>2</sup>

ولكن لا يطلع عليها من يمرّ به كالراكب السريع، أو الريح العاصف، ولو لم يكن القرآن حافلاً بالمعارف لما أمر الله بالتدبر والتفكير فيه، فمن ظن بأن المعارف كلها مودعة في الجمل التامة، ومن فهمها فقد اطلع على ما تضمنه، سواء عرف

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص: 42

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص: 17

نظامها أو لم يعرف، فهو على خطأ صريح.<sup>1</sup>

وكذلك من يظن بأن كتب الفقه تكفي لمعرفة أوامر الله ونواهيه ولا حاجة إلى القرآن فهو مخطئ؛ فإن ظواهر الأحكام ترتبط بالعقائد والنيات، وكلها مربوطة بالأخلاق، وإصلاح الفرد يعود إلى إصلاح الجماعة، وهو أمر يحتاج إلى الحكمة والتدبر.

وإنكار بعض العلماء لنظم الكلام لا يقوم على دلائل قوية، فمثلاً يقول المنكرون بأن كلام الله محفوظ من كل عيب ونقص؛ ولكن في بعض المواقع نظم الكلام غير واضح، ويلوح بأنه مختل النظم، فهذا يدل على أن جميع آيات القرآن ليست مرتبة، وبعضهم أنكروا لقصور فهم النظم على الرغم من جلاله علمهم، فقد عجز من بعدهم أيضاً، وذهبوا إلى نفي النظام؛ ولكن لا يدل عملهم هذا إلا على التقليد المحض والقصور في الفهم الذي لا نحتاج إلى الرد عليه.<sup>2</sup>

ويستدل على إنكار النظم بأن القرآن أنزل نجمًا نجمًا في أحوال مختلفة، ومع أسباب عديدة، فلا يمكن لآياته أن تترتب أو ترتبط بعضها ببعض، ويستدل أيضاً بما ذكر من أن بعض الآيات لها تأويلات مختلفة؛ فإن هذا الاختلاف يدل على أنه لا يوجد نظام بين الآيات والسور.<sup>3</sup>

ومن أسباب الإنكار بعض الأخطاء التاريخية أيضاً؛ فإن بعض أهل العلم والمستشرقين خاصة يظنون بأن القرآن جمع على الصورة الموجودة بغير رعاية للترتيب والنظم في أجزائه، ولا يوجد الترتيب فيما بين السور والآيات، ويستدلون بالآيات البينات التي نزلت بعد النزول الأول، ثم وضعت في سور مختلفة، فاختل النظام، وقد أجاب العلامة الفراهي عن القولين وقال: "كلا القولين ظاهر البطلان ومبني على الجهل الفاحش بجمع القرآن وترتيبه ومواقع الآيات المبينة والمتصلة

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص: 18

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص: 23

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص: 26

بعد النزول الأول، أما الأول؛ فلأن السور كانت متلوة في عهد النبي ﷺ وأمر الله النبي ﷺ بالتلاوة حسب تلاوة جبريل كما صرح به القرآن، وقد كان النبي ﷺ يعلم الناس السورة باهتمام ويسمع منهم، والقرآن مجموع في المصاحف ليس إلا على نسق جاء به جبريل وقرأه على النبي ﷺ في تلاوته الأخيرة، ولو صح ما زعم، فلم أمر الله نبيه باتباع قراءة جبريل؟ ولم كان يأمر بوضع الآيات بمواقعها الخاصة؟ وأما الثاني؛ فلأن الآية المدخولة لا تقطع النظم إذا أدخلت في موضع يليق بها، والآيات المدخولة كلها معلومة الربط بما قبلها أو بعدها، وقد قال تعالى: "الرَّ كِتَبٌ أَحْكَمْتُ ءَايَتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝" (سورة هود: 1) فلو قيل بأن الله تعالى لم يرد أن ينزل كلاماً منظماً، كما لم يرد أن يجعله شعراً، أو سجعاً، أو غير ذلك مما يراعي فيه المتكلم من البدائع، والتكلف، إنما هو كلام أريد به الهداية، والحكمة، فأنزل حسبما اقتضت الأحوال من الدلائل، والشرائع، وربما اجتمعت المقتضيات من وجوه مختلفة، وسورة خاصة تحمل مطالب مختلفة مترتبة بأحسن وأجمل طريق.<sup>1</sup>

علم النظام: الإمام الفراهي ليس هو العالم الوحيد الذي قال بنظم القرآن؛ بل هناك جمع من العلماء قبله الذين كانوا يعتقدون به،<sup>2</sup> وقد ألفت بعض المؤلفات المفيدة حول الموضوع من قبل؛ ولكن ما امتاز به الفراهي في هذا الصدد هو نظرية النظام وبأن كل سورة للقرآن تحتوي على نظام محكم، وكل آياتها مترابطة تحت عمود خاص، يكتب: "إن المراد بالنظام أن تكون لكل سورة صورة مشخصة؛ فإن معاني الكلام إذا ارتبط بعضها ببعض، وجرت إلى عمود واحد، وكان الكلام ذا وحدانية، فحينئذ لا يكون إلا وله صورة مشخصة، فإذا نظرت إلى الكلام، رأيت ما فيه من الجمال، والإتقان، والفصاحة".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص: 40

<sup>2</sup> المصدر نفسه

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص: 75

وقال في موضع آخر موضحًا للنظام: "إن الكلام الصحيح النظام لا بد له من عمود يجري إليه الكلام، فلا بد لطالب النظام أن يتأمل في مساق الكلام؛ فإنك ترى في السورة الواحدة مطالب شتى، ولا تعلم ما هو العمود الذي سيق إليه المعاني، ولن تهتدي إلى معرفة اتصال الكلام بعضه ببعض دون معرفتك بمساق الكلام ووجهته التي تسلك إليها أجزاؤه، حتى تراها منظومة في سلك واحد، وبالجمله فالنظام هو الذي يعطي السورة وحدانيته التي بها صارت سورة كاملة، مستقلة بنفسها، ذات عمود تجري إليه أجزاؤه".<sup>1</sup>

ولكن الكلام يتفاوت من جهة الوجدانية، والمناسبة، والترتيب، يمكن أن يكون ذات وجدانية؛ ولكنه خالٍ عن التناسب، والترتيب، مثلاً إذا ألقت كتاباً في النصائح، وقد جمعت فيه أقوالاً كثيرة مما يتعلق بالدين، والأخلاق، والمعاشر، والسياسة، فإن وضعت كل ذلك من غير ترتيب؛ لم يكن خالياً عن وجدانية ولو ضعيفة، لما أن كله في النصائح، فله نوع من الوجدانية، والشخصية المميزة؛ ولكنه عديم المناسبة، والترتيب. فأما إذا قسمته في أبواب: مثلاً: باب في الدين، وباب في الأخلاق، وهلم جرا، ووضعت كل قسم من الأقوال في بابه، صار الكتاب متناسب الأجزاء مع بقائه على ضعف الوجدانية. فأما إذا نظمت نصائح كل قسم في قصة جامعة كما ترى في كتاب "كلیلة ودمنة"، صار كل باب شديد الوجدانية مع بقاء الكتاب على ضعف الوجدانية. فأما إذا راعيت حسن الترتيب والمناسبة في تقديم الأبواب بعضها على بعض، ومع ذلك جعلت الكلام في كل باب بياناً واحداً جاريًا إلى موضوعه مع تناسب في أجزاء الكلام، صار الكتاب ذا نظام كامل، وبالجمله فلا بد لحسن النظام من أن يكون الكلام حسن الترتيب، حسن التناسب، قوي الوجدانية.<sup>2</sup>

قد علم من هذا بأن العمود هو العنصر الرئيسي في فهم النظام، وهو المقصود في

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص: 74

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص: 75-77

الكلام، وجميع أجزاء الكلام يرتبط به، والعمود ليس هو جزءاً للكلام فقط؛ بل روحه المكنونة فيه، والكلام بمنزلة شرحه؛ ولكن نحتاج إلى التأمل والتفكير لتعيين العمود، وتكرار النظر في السور المتشابهة، حتى يتضح العمود ويتعين، ولما يتعين العمود، تنكشف معاني السورة كضوء النهار، ويتضح نظامها، ويمكن معرفة المعنى الحقيقي لكل آية، ويتعين التأويل الراجح من بين التأويلات المختلفة؛ ولكن يصعب تعيين العمود لأسباب:

الأول: إن القرآن نزل متشابهاً، مثاني، فترى سوراً متشابهة المطالب مع اختلاف عمدما، ومتحدة العمد مع اختلاف المطالب.

والثاني: إن الله تعالى كما أنزل هذا الكتاب لواجبات العقائد، والشرائع، أنزله لتعليم الحكمة أيضاً، ولا يحصل ذلك إلا بالتدبر والتفكير فيه؛ ولذا كما جعل القرآن جانباً منه ظاهراً بيئاً، فكذلك جعل جانباً منه باطناً مكنوناً؛ لكي نهتدي إلى الباطن بوسيلة الظاهر، وللباطن مدارج؛ لكي يترقى المجتهد في درجاته من الأقرب إلى الأبعد، والكلام إذا كان منظماً من جهة الظاهر، لم يحتج الناظر فيه إلى تأمل، ولكن إذا كان اتصاله ظاهراً تارة، وتارة خفياً، فليتوقف الناظر، ويتأمل فيه؛ فإنه كيف يرضى بالخلل الفاحش في كلام الحكيم العليم؟!

والثالث: إن الله تعالى جعل القرآن على نهاية الإيجاز لتربية العقل وملأه حكماً جمّة، حتى يتحير الناظر فيها، ويصعب عليه أن يصطفي من بين معانيه.<sup>1</sup>

ويجب أن يعتنى بالأجزاء التركيبية للكلام إلى جانب استخراج الكلام؛ فإن الجملة كما أن لها أجزاء تركيبية من جهة النحو، كالمبتدأ، والخبر، والفعل، والفاعل، وأقسام المفاعيل، والحال، والتمييز، والتوابع وغيرها، فكذلك للكلام، وهو مجموع الجمل، أجزاء تركيبية، فالأجزاء الإجمالية منها: العمود، والتمهيد، والمنهج، والخاتمة، وأما الأجزاء التفصيلية: التعليل، إما لإثبات أو لدفع شبهة.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص: 77-79

التفريع: بيان الفروع، ويدخل فيه الشرائع.

التأصيل: بيان الأصول، وبه ينبه على سر الشرائع، والاستقلال البرهاني.

التفصيل المجمل: لتعليم التدبر والحكمة.

التمثيل: إما للتوضيح أو للدليل، ومنه القصص، وضرب الأمثال، وذكر الوقائع.

إيراد المشابه من البيان.

إيراد المقابل والضد؛ ليدل على مقامهما كالشرك مع الزنا، والتوحيد مع الإحسان بالوالدين.

التنبيه بالوعد والوعيد، والتحسين، والتقبيح.<sup>1</sup>

لا يمكن الوصول إلى المعنى بدون فهم هذه الأجزاء للكلام؛ ولكن ربما يحصل علم أجزاء الكلام ويختفي معنى الآية أو مجموعة من الآيات، فترى بأن الكلام يجري على نهج إذ ينعطف إلى جهة أخرى، وتنقطع سلسلة الكلام باعتبار المعنى، ففي هذه المواقع يختفي العقد، والاتصال، ويسميان بمعاطف الكلام، فينبغي لطالب النظام أن يتأمل فيها كاملاً، وإذا عرف العقد والاتصال، يسهل الوصول إلى نظم الآيات.<sup>2</sup>

ولا بد للمعرفة الصحيحة للنظم القرآني إحاطة أساليب الكلام مع أجزائه وتعيين العمود من الحذف، والمجاز، وتبديل المحل، والاعتراض، والالتفات، وروابط النظم مثلاً: التقابل، ونسبة العموم والخصوص، وبيان المجمل، ودفع الدخل المقدر، ونسبة التشابه، ونسبة الأصل والفرع وغيرها؛ ولكن لا يمكن المعرفة بهذه الأمور كاملاً حتى يتعود الطالب التدبر: فإن معرفة النظام لا تحصل إلا بالتدبر.<sup>3</sup>

تكميل علم المناسبة: إن العلامة الفراهي كما شرح النظام، وقدمه كعلم مستقل، ووضع أصوله، حتى لا تجد له شريكاً فيه، كذلك قام بتكميل علم

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص: 72

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص: 73

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص: 41



المناسبة، ووضح بأنه جزء من علم النظام، وكثير من العلماء المتقدمين لم يدركوه، يكتب الفراهي: "المعترفون بوجود التناسب جعلوا التناسب علمًا شريفًا؛ ولكن لم يجعلوه جزءًا عظيمًا من مفهوم القرآن، ولذلك بقي متروكًا لأشكاله؛ فإن التناسب بين الآيات بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئًا واحدًا، مستقلاً بنفسه، والمراد بالنظام أن تكون السورة كاملاً، واحدًا، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، فكما أن الآيات ربما تكون معترضة، فكذلك ربما تكون السور معترضة، والقرآن كله كلام واحد ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر، فتبين بأن تناسب الآيات جزء من النظام".<sup>1</sup>

وقد وضع الجهات الحكيمة لتناسب الآيات في مقدمة تفسيره "نظام القرآن": "إن كنت ممن يوقن بأن الله راعى النظام الحكيم في كلامه، ورأيت أمرًا قد قرن بأمر، فلا بد لك أن تطلب المناسبة، فهذا الطلب يهديك إلى أمور خفية لا يهتدي إليها من مر عليه ولم يتدبر؛ فإن الأمر الواحد له جهات مختلفة، واعتبارات شتى، فمن جهة هو يناسب بأمر، ومن جهة أخرى بأمر آخر، مثلاً: الصلاة تناسب الحج لكونهما صورة ذكر الله ولما أن فيهما تعبدًا جسمانيًا، ولما أنهما منوطتان ببيت الله، ولما ثبت عن النبي ﷺ أن الطواف صلاة، ثم للصلاة مناسبة بالصوم لكونهما غير مختصين بمكان، ولكون الصبر مدارهما، حتى إن السكوت قد كان شرط الصوم، فالصلاة صوم النفس في باطنها، فهذا من جهة التشابه.

ثم للصلاة مناسبة بالزكاة من جهة التقابل، وتكميل الواحد بالآخر، وانشعابهما من أصل واحد، فأصل الصلاة ركون العبد إلى ربه محبة وخشية، وأصل الزكاة ركون العبد إلى العبد محبة وخشية، فلا يكمل الصلاح إلا بهما، فالمحبة أصلهما، فعلمنا أن أصل الدين هو المحبة، ورقة الباطن، ولطافة الشعور، فالتأمل في مناسبة الصلاة يهدينا إلى أصل الدين، ومخ الشرائع".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص: 74-75

<sup>2</sup> العلامة عبد الحميد الفراهي، مقدمة تفسير نظام القرآن، ص: 50، ط: الدائرة الحميدية، أعظم جره، 1990م

وبعد ذكر المناسبات بين الصلاة والعبادات الأخرى، قام الفراهي ببيان المناسبة بين الصلاة، والطيبات. والحق أنه قد أدى حق التدبر في القرآن، فقال:

"قد ذكر الله تعالى في سورة العقود (المائدة) ما أحل من المأكّل، ثم من المنكح، ثم الوضوء، فهنا أمران: الشيء وشرط الشيء، فذكر من الشرائط ما يتطهر به، فالذبح طهور للبهائم، والمهر وقصد الإحصان طهور للنساء، والوضوء طهور للصلاة، ثم هدى الله إلى هذه الحقيقة، فقال في آخر الآية: "مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ" (سورة المائدة: 6) أما الشيء نفسه، فهنا ذكر ثلاثة أشياء: طيبات الطعام، والنساء، والصلاة، فإن تدبرت، علمت أن هذا العالم عالم الفناء والكون، فالشخص، والنوع، والروح ثلاثة عوالم، فجبر اضمحلالها بالطعام، والنكاح، والصلاة، ثم ترى المناسبة بين الطعام، والنكاح في تخصيص محلها من المحرمات حتى إنه نزلت آياتها على صورة واحدة، حيث قال: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ". (سورة النساء: 23) و"حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالَّذِي". (سورة المائدة: 3) وكذلك ترى المناسبة بين النكاح، والصلاة من جهة أخرى، فالنكاح وازع عن التدنس، والصلاة "تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ". (سورة العنكبوت: 45)

ثم انظر المناسبة في هذا المثال بين النكاح، والصلاة من جهة الطهور، وفي سورة البقرة من جهة التخفيف، حيث قال: "حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا". (سورة البقرة: 39-238)

والحفظ على النكاح واجب حتى الوسع، ثم عند الطلاق بعض التخفيف في الآخر، فكذلك في الصلاة، فاعلم أن لكل قران منظراً كقران النجوم".<sup>1</sup>

قد ثبت بما ذكر من تفاصيل نظرية نظم القرآن بأن العلامة الفراهي قد أكمل ما أسسه العلماء من علم المناسبة، وبفضل جهوده الفكرية المشكورة قد تشكل

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص: 50-51

## العدد الخاص.....مجلة الهند

علم المناسبة في صورة أكمل وأجمع مما قبله، وعلمنا من هذا العلم بأن آيات القرآن لا ترتبط بعضها ببعض فقط؛ بل ولها نظام جامع، ولكل سورة عمود، ومطالبها المختلفة ترتبط به من جهات وأشكال مختلفة، فكأن العمود يربط مضامين السورة، ومحتوياتها، ولفهم ذلك النظام نحتاج إلى التدبر، وبدونه لا نفهم حقًا معاني السورة العامة، فضلًا عن النظام.

## شواهد على وجود النظم في القرآن الكريم

- البروفيسور الطاف أحمد الأعظمي<sup>1</sup>

ترجمة من الأردوية: د. محمد فضل الله شريف<sup>2</sup>

### ملخص البحث

إن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي أثير عنه السؤال أنه لما لم يراع الترتيب والنظم، وينثرها نثرًا، فالمستشرقون خاصة كارلائل وسر ويلم ميور وإن كانوا يقرّون بعظمة الرسول ﷺ ولكنهما يجحدان بأن هذا القرآن القرآن المنزل على الرسول، لما أنهما جعللا القرآن مجموعة أفكار وأخيلة متناثرة ومبعثرة لا غير، وهناك بعض العلماء مثل عز الدين ابن سلام، والشاه ولي الله الدهلوي، وغيرهما ممن لم يقرّوا في القرآن الكريم بأنه مرتب ومنظم، وأنهم يقولون إن هذا القرآن لا يراعي ارتباط الكلام بأنه نزل حسب مقتضيات الظروف في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة وأسباب متعددة، ولذا يقول الشاه ولي الله الدهلوي إن القرآن الكريم لم ينزل على منهج المتون المبوبة والمفصلة، حتى يكون كل موضوع في باب من الأبواب أو فصل من الفصول، إن مثله كمثل الفرامين والأحكام التي يوجهها الملوك والسلاطين إلى شعوبهم حسب مقتضيات الأحوال ومتطلبات الظروف، حتى تجتمع نماذج كثيرة منها، فيقوم أحد بتدوينها وترتيبها، إن الله عز وجل هكذا أنزل على عبده المصطفى لهداية عبادته وإرشادهم حسب مقتضيات الأحوال والظروف سورة بعد سورة من غير مراعاة للترتيب واهتمام بالربط بين الآيات والسور، ولكن الشاه ولي الله الدهلوي بنفسه يعدّ النظم القرآني من معجزات هذا الكتاب العظيم في موضوع آخر، ثم يقدّم كاتب المقالة أقوال العلماء الذين يقولون بنظم القرآن وترتيبه من كلام عيسى الرماني، وكلام الحمصي، بأن القرآن الكريم في أسلوبه

<sup>1</sup> كاتب هندي كبير للدراسات الإسلامية ومفسّر القرآن الكريم بالأردوية

<sup>2</sup> أستاذ مساعد، كلية إيه كيه ايم الشرقية التابعة بالجامعة العثمانية، غاتشي غوره، حيدر آباد

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

البديع، ينفرد أصلاً على سائر الأساليب المعروفة، فقد عجز العرب القدماء عن الرد عليه لأنهم رأوا جنساً من الكلام غير ما تؤديه طباعهم ولكنه يزيد في الحسن والمذاق، إن القرآن الكريم كتاب وحيد على أرض المعمورة يحيط كل جوانب الحياة، من العقائد والعبادات، والإرشادات الأخلاقية، والهدايات في كل ناحية من نواحي الحياة، الانفرادية والاجتماعية، كما يضم دعوة الأنبياء، وقصصهم وحكاياتهم، والدعوة إلى ذكر الله عز وجل، وإلى تزكية النفوس، والتفكير في آثار نعم الله المنتشرة في الكون، إن هذا القرآن يحمل ميزات وخصائص، فقد أشاد العلماء في كل عصر ومصر واعترفوا بقدره وقيمته، وهو عديم النظير في تركيبه اللفظي، ووصله التركيبي، وجريان جملة على روي ونسق، وندرة وتنغم قوافيه، وسحر أساليب بيانه، وما يحتوي من الطراز الجديد في أساليبه وتشبيهاته واستعاراته، وإن اللهجات تتبدل وتتغير بعد مضي قرن واحد ولكن القرآن ولو قد مضى عليه أربعة قرون فهو على قمة البلاغة من أول يومها إلى هذا اليوم، إن هذا القرآن التفاعلي قد تحدّى الشعراء والخطباء والبلغاء في زمانه على أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو عشر سور، وأخيراً دعاهم إلى الإتيان بسورة قصيرة كمثله، ولكن أهل العرب عجزوا عن الإتيان بمثله، فمثل هذا الكتاب المعجز التي قد أبهر العقول، وأدهش الفطون كيف نقول بأنه كلام مبعثر، وعديم الانسجام، إن هذا التأثير القرآني الذي حرّض قريشاً أن يرفعوا هتافهم عند استماع القرآن، كيف لا يراعي الترتيب في كلامه، وكيف يمكن أن يترك الكلام غير المربوط الأثر في النفوس والقلوب، وإن قمنا بتغيير يسير لخطبة أحد من الأدباء بأن نجعل أولها آخرها وأولها، فلا نستطيع بعد ذلك أن نطلق عليها اسم الخطبة، يثقل سماعها والالتفات إليها على السمع، فبعد ذلك قدّم الكاتب الانسجام والترتيب في سورة الفاتحة، وسورة البقرة، وبين التناسق والترتيب فيما بين الآيات القرآنية المختلفة فيها والمواد والموضوعات، كما نرى ذلك واضحاً وبيّناً في ذلك، إن القرآن الكريم لم يفهم نظمه وتنسيقه بين الآيات لعامة الناس إلا أهل العلم، لما أن القرآن الكريم يحمل ميزة الإيجاز البياني، يعني وهو يؤدي المعنى الكثير في ألفاظ قليلة قليلة للغاية، فبذلك يزداد حسن الكتاب،

وجماله اللغوي، ويزداد تأثيره وتفاعله في القلوب، ويسهل الأمر على الحفاظ في الحفظ والقراءة، ويتسر لهم الأمر في صيانة القرآن وحفظه حسب الوعد الإلهي، وإن ذلك لا يتأتى إلا بإيجاز القرآن الكريم، وذلك حسب عادة العرب أنهم يحبون الإيجاز في كلامهم في الشعر والنثر والخطبة، ويختار الرمز والإشارة والكناية بدل التفصيل والتوضيح، فمثل لذلك الكاتب من كتاب الحيوان للجاحظ، فلا بد من النظر والإمعان والتدبر والتفكير في فهم الروابط بين آيات القرآن وسوره، فمثل هذا التدبر والتفكير يصقل المواهب ويزيد الكفاءات، ويتجلى لنا القرآن الكريم منظمًا ومربوطًا، إن الإيجاز في القرآن الكريم يكن في ستوره وخدوره الكنوز من المعارف والبصائر، فقدم بعد ذلك الكاتب مثالاً من سورة الرحمن، فبين الربط والانسجام بين آياتها المعدودة، وإن كان نرى التناثر في السور الطويلة ولكن إذا أمعنا النظر، وأطلنا التفكير فيبدو لنا الارتباط واضحًا، كما فصل الكاتب في الأمثلة من سورة الفاتحة، والبقرة، والإخلاص والمعوذتين في الآيات المعدودة من سورة الرحمن، فعلم بذلك إن القرآن الكريم كتاب مربوط ومنظم بين السور والآيات، فالإيجاز والاختصار يخفي ارتباطه، كذلك نثر القرآن ليس نثرًا عاميًا بسيطًا، بل هو نثر أعلى، فيحوي جميع المحاسن النثرية، ولذا يرى القارئ العادي الانتشار في كلامه، والراسخون في العلم يعلمون أنه مرتب ومنظم، فعلم بذلك إن القرآن الكريم كلام يراعي الترابط والانسجام في كلامه.

إن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي أثير عنه السؤال: لما لم يراع الترتيب فيه ولا النظم؟ وهو مجموع آيات وسورة غير مرتبة؟ وفي تعبير آخر أنهم يصفونه بمجموعة لأفكار وأخيلة منتشرة ومبعثرة، يفوتها التنسيق والترتيب، وإن كان هذا القرآن بأجزائه المتفرقة، والمنفصلة، يزينه حسن اللفظ وتنسيق المعنى، ولكن أين هذا القرآن بالنسبة للكلام الذي يحمل ميزات وخصائص لفظية ومعنوية على السواسية.

لقد أبدى هذا الرأي المستشرقون الذين يقرّون بعظمة الرسول ﷺ ومجده وكرامته وشرفه، فقد أدلى كارلائل أحد المستشرقين بآرائه عن القرآن الكريم بكلمات تالية:

"على الرغم من شدة العناية والاهتمام، خاصة يصعب على الذي لا يقرّ عن القرآن الكريم بأنه منزل من السماء، وهو نعمة عظيمة لأهل الدنيا، بل هو يضطر إلى إقرار بأنه مجموعة لأخيلة وأفكار مبعثرة لا يربط أولها بآخرها، نسلم إلى حد أنه كتاب مرقوم، ولكن لعله أسوء مكتوب في العالم، ولكن هذا الكتاب لا يتيسر فهمه، وإلا لماذا يحبه العرب ويجله إلى هذا القدر، ولكن المكرمة والخصيصة التي يحملها القرآن الكريم وهو مبني على الحقائق، ومشتمل على الدقائق، وهو كتاب يعتمد على الصدق والصفاء، وأنا أحيط علمًا بأن كثيرًا من الناس جعلوه مجموعة من الأكاذيب والغرائر، وإن كنت لا أقر بأنه صلى الله عليه وسلم يحمل طبيعة بسيطة في كل آونة، ولكن من يكون بسيطًا في حياته، مخلصًا في عيشه، ولكن لا اتفق مع الناقدين الذين وجهوا سهام النقد إليه، وعملوا للتخريب والدجل والخرافات، وقالوا عن القرآن بأنه كتاب متضمن على الدجل والغرور، من يقرأ القرآن ينكر ويجحد هذه الأفكار الزائفة.

ولكن أقول: إن القرآن الكريم في الأصل مجموعة غير موضحة عن الروح العنصرية، والحماسة الزائفة، كلام لمن لم يكن له أي مس من الأدب، ولكنه يجتهد كثيرًا إلى تمثيل الأفكار الجياشة وتجسيدها للألفاظ والمعاني، وإن كان تزدهم عنده الأفكار، وهو لا يجزأ على القول بقليل على الرغم من أنه يجتهد كثيرًا في إظهار المعاني والتعبير عما جأش في صدره من أخيلة ومعان، ومفاهيم، ولكن تلك المعاني والمفاهيم التي يكنها صدره لم تتجسّد في كتاب مستقل، نقدر أن نطلق عليه الأفكار المبعثرة فقط، وما قال قال في غير تنسيق وترتيب، ولكن نستطيع حمله على الفطرة البسيطة، وهي حقيقة ساطعة منيرة للقرآن الكريم".<sup>1</sup>

وقد أبدى آراءه مستشرق في القرن التاسع عشر وهو سر ويلم ميور بحيث يقول في كتابه المسمّى "حياة محمد" إن هذا القرآن كتاب مبعثر ومنتشر، يخلط بعض موادها عن الآخر، لا يحمل التنسيق الزمني ولا الترتيب المعنوي، والقطعة المنزلة

<sup>1</sup> Thomas Carlyle, The Hero As Prophet Service Leaguc, Bumbay, PP35-37

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

في المدينة قد أوردتها قبل القطعة المكية، يقوم قانون بتدسيخ وتغيير قانون آخر، فهو في آونة يبحث عن موضوع حتى ترد جملة ليست له أي علاقة بالموقع، فيكون الكلام لا علاقة بالآخر كلياً، نظراً إلى هذا، لا نقدر بأنه القرآن المنزل في عهد الرسول ﷺ بهذا الترتيب والتنسيق.<sup>1</sup>

هذه أفكار المستشرقين الذين لا يسلمون القرآن الكريم بأنه كتاب منزل من السماء، بل يعدونه من مصنفات الرسول ﷺ، وإن كان في رأيهم نصيب من العصبية المذهبية، بجانب أنهم لا يعلمون كثيراً عن العربية والأدب العربي، والأسلوب القرآني، وإن كانوا يرون في القرآن الكريم التنائر وعدم الانسجام، ليس مستبعد كلامهم، يقبله الذهن، ويقره القرار، ولكن ما يبعث على العجب إن بعض علماء المسلمين يظنون كذلك، والفرق فيما بينهم وبين المستشرقين أنهم يقولون بأن القرآن الكريم كتاب منزل من الله عز وجل، ويستيقنونه وسيلة وحيدة أخيرة للرشد والهداية، ومنبعاً للعلوم والمعارف، ولكنهم يقولون إن القرآن الكريم قد أنزل على الرسول ﷺ حسب الأحوال والظروف والحوادث الطارئة، ولهذا إنه يخلو عن الترتيب والتنسيق، وهو مثال للبحر الممتلئ من اللآلي والمرجان، ولكنها بدون تنظيم ولا ترتيب.

ومن العلماء الذين يقولون بذلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام (ت 1261/660م):

"علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> William Muir, The Life of Mohammad, ESQ, 1957, Vol.1.35-37

<sup>2</sup> جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، النوع الثاني والستون: في مناسبة الآيات والسور، 370/3



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

ومن العلماء الهنود الشاه ولي الله الدهلوي يقول بذلك، بأن البحث والفحص عن ارتباط الآيات القرآنية فيما بينها أمر لا ينفع، لأن العرب لا يعرفون أي شيء من الارتباط والتنسيق في التحرير والكتابة، فقد عمّ وراج هذا الأسلوب في المتأخرين، فهو يحزر في كتابه "الفوز الكبير في أصول التفسير":

"وقد جاءت هذه العلوم في القرآن الكريم على طريقة العرب الأولين، لا على منهج العلماء المتأخرين، فلم يلتزم في آيات الأحكام منه، طريق الإيجاز والاختصار كمؤلفي المتون الفقهية، ولا طريق تنقيح الحدود والقيود، كما يفعله الأصوليون. وقد التزم في آيات الجدل والمخاصمة إيراد الأدلة المشهورة المسلمة، والبراهين الخطابية، لا تنقيح البراهين، وتقسيمها على طريقة المنطقيين، ولم يراع في الانتقال من مقصد إلى آخر، ومن موضوع إلى موضوع آخر، تلك المناسبة التي يراعها الأدباء المتأخرون، بل ألقى على عباده ما رآه مهمًا، سواء كان مقدمًا أو مؤخرًا".<sup>1</sup>

ثم أجاب الشيخ الدهلوي عن السؤال الذي أثاره أحد، بأنه لما لم ينزل القرآن الكريم على أساس الموضوعات في الترتيب والتنسيق، فيقول الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي:

"إن قدرة الله - تبارك وتعالى - وإن كانت محيطة بجميع الممكنات، ولكن القول الفصل في هذا الباب إنما هو للحكمة ... والحكمة هي موافقة للمبعوث إليهم في اللسان وأسلوب البيان".<sup>2</sup>

لم يقل الشاه ولي الله الدهلوي بالترتيب والنظم بين سور القرآن المجيد، وعنده يحمل القرآن من أسلوب البيان، أساليب فرامين الملوك والسلاطين من بدايته إلى نهايته فيقول الدهلوي في هذا الصدد:

"لم ينزل القرآن الكريم على منهج المتون المبوبة والمفصلة حتى يكون كل موضوع فيه يختص بباب من الأبواب أو فصل من الفصول؛ بل افترض القرآن الكريم

<sup>1</sup> الشاه ولي الله المحدث الدهلوي، الفوز الكبير في أصول التفسير، دار الصحوة، القاهرة،

1407هـ-1986م، 30/1

<sup>2</sup> المصدر نفسه، 139/1

كمجموعة الرسائل والفرامين التي يوجهها الملوك والسلاطين إلى رعاياهم حسب مقتضيات الأحوال ومتطلبات الظروف، ويوجهون واحدة ثم أخرى فثالثة فرابعة، وهلم جرا، حتى تجتمع نماذج كثيرة من هذه الفرامين، فيقوم شخص بتدوينها وترتيب مجموعة لها، وهكذا المالك على الإطلاق - جل ثناؤه - أنزل على نبيه المصطفى ﷺ لهداية عباده وإرشادهم حسب مقتضيات الأحوال والظروف سورة بعد سورة، وقد كانت كل سورة من هذه السور في عهد النبي ﷺ محفوظة بصورة مكتوبة إلا أنها لم تكن مدونة في صورة مجموعة<sup>1</sup>.

ولكن ما ذكر العلماء من عدم النسق والترتيب بين الآيات القرآنية وسورها، وإن كانت هذه حقيقة نسلّمها جزئياً، ولكن لا نقرها ولا نصدقها بعدة وجوه؛ فإن نزل القرآن الكريم حسب مقتضيات الظروف المختلفة نجماً نجماً، ولكن لا يرد بذلك أنه لم يراع الترتيب والنظم فيما بين الآيات القرآنية.

والواقع أن الترتيب الحالي للقرآن الكريم ليس ترتيباً نزولياً، ولكنه ترتيب توقيفي، فقد قدّمت السور المنزلة متأخراً كما أحرّت السور المنزلة مقدماً، والسبب في ذلك تناسب مواد السور وانسجامها، ولقد علم بكثير من الروايات أنه إذا نزلت آية أو آيات كان النبي ﷺ يأمر كتّاب الوحي أن يكتبوها في السورة الفلانية بعد الآية الفلانية، وإن لم يراع التنسيق المعنوي بين الآيتين أو السورتين فلم كان الرسول ﷺ يأمر بهذا؟

ويؤيد هذه الفكرة التقسيم المقداري فيما بين السور، وإن كان القرآن يخلو تماماً عن الموضوع الخاص والنظام المعنوي لما احتيج إلى تحديد الآية وذكر وجه تسميتها بأنها سورة البقرة وهذه سورة آل عمران، وإلا جميع السورة تأتي من بدايتها إلى نهايتها على ترتيب خاص، وأسلوب منفصل، ولكن لم يحدث هذا، كان رسول الله ﷺ يهتم بكتابة الآية بالترتيب الخاص، كما أشرنا إليه آنفاً، وإذا كانت سورة تبلغ حدّاً خاصاً فسميت باسم خاص، وتحصل لها رتبة كاملة للسورة، وكذلك قد بلغ جميع السور طوال مدة تستغرق 23 سنة إلى أوج كمالها.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، 1/ 161

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

لا نتفق مع فكرة الشاه الدهلوي رحمه الله بأن الترابط فيما بين اللفظين، والجمليتين، والبابين ليس من جزء البلاغة عند أهل العرب، ولذا لا طائل في بحث التناسب والتوافق فيما بين جميع الآيات القرآنية.

هذه حقيقة لا تجحد أن القرآن الكريم يراعي في أسلوب بيانه أذواق العرب في التكلم والنطق، ولكن لا يهتم به كاملاً، فقد أضاف كثيرًا في الأساليب البيانية، وأبرز الجوانب البلاغية الجديدة، فقد عمل لتجديد الأساليب المقبولة والمتداولة فيما بين العرب، وأبلغها إلى ذروة كمالها، ولذا كان العرب قد عجزوا عن معارضة القرآن الكريم في أساليبهم المعروفة.

أحل البلاغيون الأسلوب البديع من بين وجوه إعجاز القرآن محل العظمة، فقد ألف أبو عيسى رماني (ت 384/994م) كتابًا في إعجاز القرآن الكريم، يقول فيه: "فإن العادة كانت جارية عند العرب بضروب من أنواع الكلام معروفة: منها الشعر، ومنها السجع ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلته في الحسن تفوق به كل طريقة، ولذلك من جاء بغير الوزن المعروف في الطباع، الذي من شأنه أن يحسن الكلام بما يفوق الموزون".<sup>1</sup>

يكتب الأستاذ الحمصي وهو يتكلم عن إعجاز القرآن:

"ومن هذه المميزات ما يرجع إلى أسلوب القرآن الغريب الذي جاء مخالفًا لأساليبهم في الكلام، فانظروا افتتاح آياته وسوره بما لا عهد للعرب به، كالحروف المتقطعة في أوائل السور، فإنها كالمفتاح الموسيقي للآيات التي بعدها، وتوجيه الخطاب في مثل قوله: "يا أيها الذين آمنوا.. يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم.." ومنها انتهاء هذه الآيات، بفواصل موسيقية، تنتهي بحرف ساكن قبله حروف المددة (ي، و) مما يعطي ضربًا مستعذبًا خاصًا من الموسيقى.. ومنها هذا الضرب من الموسيقى

<sup>1</sup> محمد حنيف فقيهي، نظرية إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني عن كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ص 62

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

الداخلية الناتجة من موسيقى الألفاظ منها، توافق الحروف في أواخر الآيات، أو تقاربها، مما يشبه السجع، ولكنه لا قياس به من حيث استعذاب النفوس له، ومنها هذا التقارب في مقدار الجمل، والانسجام بين ألفاظها المفردة وتركيبها حتى لكأنها تجري على وزن خاص".<sup>1</sup>

ويقول الأستاذ الرافعي: "إن إعجاز القرآن في أسلوبه البديع ينفرد بأسلوبه على سائر الأساليب المعروفة، فقد عجز العرب القدماء عن إجابته، لأنهم رأوا جنسًا من الكلام غير ما تؤديه طباعهم؛ ولكنه يزيد في الحسن والحلوة والمذاق".<sup>2</sup> مما يلقي في الحيرة والعجب أن الشاه ولي الله الدهلوي قد قدم دليلًا في فصل إيجاز القرآن الكريم فيقول:

"منها الأسلوب المعجز البديع، ولقد كانت للعرب عدة ميادين يركضون فيها جواد بلاغتهم وبياناتهم، ويتسابقون فيها مع أقرانهم وهي القصائد، والخطب، والرسائل والمحاورات، ولم يكونوا يعرفون غير أساليب هذه الأصناف الأربعة، ولا كانت عندهم قدرة على إبداع غيرها من الأساليب، فكان إبداع أسلوب جديد يختلف عن أساليبهم على لسان نبي أمي - عليه أفضل الصلاة والسلام - إعجازًا قائمًا برأسه".<sup>3</sup> إنه أبرز إعجاز القرآن الكريم في جانب الوزن والقوافي فيذكر بهذا الشأن:

"ولو سألنا: لماذا لم يختر القرآن الكريم تلك الأوزان والقوافي التي تعرف لدى الشعراء وهي أحلى وألذ، قلنا: إن اللذة والحلاوة أمر نسبي، يختلف باختلاف الشعوب والبلدان والعقول والأذواق، ولو سلمنا - جدلاً - أن تلك أحلى وألذ، فإن إبداع أسلوب جديد ونموذج جديد من الأوزان والقوافي على لسان الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - الذي كان أميًا لم يقرأ ولم يكتب، آية ظاهرة من الآيات الدالة على نبوته ورسالته ولو كان القرآن قد نزل على أوزان الشعر

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 76

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 79

<sup>3</sup> الفوز الكبير في أصول التفسير، المصدر السابق، 1/ 165

وقوافيه المعروفة لذهبت بالكفار الظنون إلى أنه شعر من شعرهم المتداول المعروف، ولم يعبروه كبير اهتمام ولم يبالوا به".<sup>1</sup>

إنّ هذه حقيقة ساطعة أن القرآن الكريم كتاب وحيد ومنفرد في أسلوب بيانه، وموضوعاته المختلفة، لا نجد أيّ كتاب على وجه المعمورة سواء كان في بيان الأديان أو غيرها، يكمل كمثله من كل الوجوه، ومزيج جيد للمقتضيات الدينية والدنيوية، فمثلاً أنه يحوي العقائد، والعبادات، والإرشادات الأخلاقية، ويشتمل على الهدايات لكل جانب من جوانب الحياة الانفرادية والاجتماعية، ويوضح جميع الأحوال والمقامات في الحياة الأخروية، يضم دعوة الأنبياء من جانب، والترغيب إلى الجهاد من جانب آخر، فيه ذكر لله عز وجل، ودعوة إلى تزكية النفوس، كما كان يدعو إلى التفكير في الآثار والموجودات في الكون، ويبرز أنواع خلق العالم، ويكشف النقاب عن أسرار الكون، ويذكر غايات خلق الكون وإيجاده، ويبين القصد والهدف من خلق الإنسان، فهو بكل حال يتوازن في بيان مشاكل الجسم والروح، والعقل والعواطف، والأفراد والجماعة، وفوق ذلك أن التعليمات التي يشتمل عليها يوافق تمامًا مع الفطرة الإنسانية، فلا يدعو إلى الرهبانية، ولا إلى حبّ الدنيا واستسلام نفسها إليها، فهو صراط مستقيم، وطريق نير في الفكر والعمل على السواء.

وإذا ألقينا النظر على القرآن الكريم من وجهة نظر الأدباء فنضطر إلى إقرار خصوصيته وميزته، وفي الحقيقة هي السیما النيرة على جبين خزينة الأدب العربي، والمحاسن الأدبية، والأعمال الجليلة لشيخكبير، والفردوسي، وغيرهما من الأدباء في وجهه فلا نقدر له أيّ قدر، فهي تمثل هواء ذهب أدراج الرياح، قد أشاده العلماء وأهل العلم في كل عصر ومصر، والأدباء والشعراء قد وجهوا التحية إليه اعترافًا بقدره وقيّمته.

وهو عديم النظير في تركيبه اللفظي، ووصلته التركيبية، وجريان جملة على روي، وندرة وتنغم قوافيه، وسحر أسلوب بيانه، وما يحوي من الطراز الجديد في استعاراته، وتشبيهاته، وأمثاله ومحاوراته، وأثره البالغ في النفوس؛ كأن الألفاظ

<sup>1</sup> المصدر نفسه، 1/ 165

منحوتة ومفروزة كالجواهر، والسعة في المعاني وعمقها بحال إن كل لفظ من ألفاظه يكن في نفسه العالم، وتنبع من كل آية العلوم والمعارف نبعا.

إن شيكسبير شاعر عظيم وصاحب القصة القصيرة في القرن التاسع عشر، ولكن أسلوب كلامه يختلف تمامًا عن الأسلوب في القرن العشرين، فقد عدت الألفاظ والتراكيب في قصصه القصيرة في القرن العشرين، ولكن ألفاظ القرآن، وتراكيبه ومحاوراته لم تترك إلى حد الآن؛ بل تعدّ فصيحة بليغة، قد أنشأت أساليب جديدة للبيان في علم البلاغة، ولكن لم تنسحب قيد شبر عن الأصول والأساليب التي اختارها القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنًا، المراد التأثير والتفاعل اللذان يعدّان أصلين أساسيين لصداقة أي كلام وافتعاله، فالقرآن الكريم على أعلى قمة، ومنقطع النظر، ولذا يهزّ قلب الكافر ويحرك شعوره ووجدانه بمجرد سماعه، إنّ هذا الكتاب التفاعلي قد تحدّى الشعراء والخطباء والبلغاء الذين يفتخرون بمعارفهم اللغوية، ويعزون على طلاقة لسانهم، على أن يأتوا بمثله:

"أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾"  
(سورة طور: 33-34)

وإذا ما أجاب أحد نداء القرآن، فقد تحدّاهم القرآن بأنه إذا عجزتم عن الإتيان بمثلي، فعليكم أن تأتوا بمثلي سوري. فقال الله عز وجل: "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ". (سورة هود: 13)  
ولكن لما أظهروا عجزهم عن ذلك، فقل لهم فليأتوا بسورة صغيرة كمثله.

"وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ". (سورة البقرة: 23)

فلما لم يتمكنوا من ذلك، أعلن القرآن الكريم:

"قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَا كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾". (سورة الإسراء: 88)

فهنا نتدبر، فالكتاب الذي يتحدث أهل لسانه على أن يأتوا بمثله، فيمكن أن يكون ذلك الكتاب مبعثراً، متفرقاً، ومواده غير منظمة ولا منسقة، وأن يكون أوله غير ملائم من آخره، لماذا عجز أدب العرب وخطباؤها وشعراؤها المفلقون على أن يأتوا بمثل هذا الكلام العاثر والناثر، فالأمر عليهم هين أن يقولوا بعد تحدي القرآن الكريم كيف يقدر أحد أن يجيب هذا الكلام العاثر الناثر، الذي لا يراعي الترتيب والتنسيق في أجزائه التركيبية، ولكن ما وجهوا مثل هذا الاتهام إلى القرآن الكريم، فعلم بذلك صريحاً، أن هذا الكلام على ترتيب وتنسيق عندهم، يشهد التاريخ؛ بل فاعترف أهل الفطنة منهم أن هذا الكلام معجز، فيقول رئيس مكة المغيرة بن شعبة لصدّ الناس عن الاستماع إلى القرآن. يروي القرآن قوله هذا كما يلي:

"وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ" (سورة حم السجدة: 26)

إن هذا التأثير القرآني المنقطع النظير يدلّ دلالة واضحة على أن القرآن الكريم يراعي الترتيب في كلامه، هل يمكن أن يتفاعل الكلام غير المربوط، ويترك مثل هذا التأثير، فاترك الكلام عن كتاب الله عز وجل، فلنأخذ صنفاً من أصناف كلام الناس مثلاً الخطبة، فنقوم بتغيير الكلام وتقديم بعض أجزائها على البعض، فهل تبقى تلك الخطبة على تأثيرها القديم، فالأمر مستعبد من أن نطلق عليه اسم الخطبة، فالإصغاء والالتفات إليها يثقل على السمع.

التفاعل الكثير للقرآن الكريم كما ذكر من قبل بأنه كلام صادق، وفصيح وبلغ، فبقدر صداقة الكلام وفصاحته وبلاغته يؤثر ويتفاعل في قلوب الناس، والترتيب والتنسيق نوع من أنواع البلاغة، وإذا نسلّم أن القرآن الكريم على قمة البلاغة وذروتها، وهو في الحقيقة تحمل هذه الصفة، فيكون في غاية من الترتيب والتنسيق. فنقدم هنا استعراضاً لبعض السور القرآنية، لنعلم جيداً أن القرآن الكريم كلام يراعي التنسيق والترتيب.

إن سورة الفاتحة أول سورة من القرآن الكريم، ويسمى بفاتحة الكتاب، فلنقرأ بكل معاني التدبر والتفكر فلا نجد فيها الانتشار المعنوي في أي موضع من مواضعها، فكل آية منها مرتبطة ما قبلها من بعدها، والموضوع المركزي لهذه السورة التوحيد، فعبر عنه بالصراط المستقيم، فالعبد يعهد بالله عز وجل بعد الحمد والثناء بعبادته والاستعانة به، ثم يقدم عريضته إلى الله عز وجل بأن يرشده إلى صراط التوحيد، فلا يكتفي على الالتماس بالله عز وجل أن يوفقه بالسلوك على صراط المنعم عليهم، بل يدعو من الله عز وجل عن الانحياز عن صراط الذين نخوا عن صراط التوحيد من المغضوب عليهم ولا الضالين، فنرى في هذه السورة أي عدم الانسجام والتناسق؟

فتتبع سورة الفاتحة سورة البقرة، فتسميتها بهذا الاسم يثير العجب، ولكن إذا أمعنا النظر فلا نجد أي اسم جيد بغير هذا الاسم، فإن هذه السورة تحكي قصة البقرة في آياته من 67-76 "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٧٦﴾" (البقرة: 67) فبعد ذلك لم يطيعوا حكمه، فتردوا في إنجاز أمره، فعلم بذلك عن طباعهم الشرشة، ثم ذكر الله عز وجل إلى نصف الجزء الأول عما عصوا من أوامر ربهم، فلذا سميت هذه السورة باسم البقرة، فيعرف بهذا الاسم التعريف الإجمالي لهذه السورة.

لا بد لفهم نظم هذا القرآن وترتيبه من المطالعة لبنية هذه السورة وتركيبها، فلا بد من قراءة السورة بكل تدبر وتفكير، فيعلم بذلك أنها مشتملة على بابين في الباب الأول فصول مختلفة، فالباب الأول يتعلق بأقوال وأعمال بني إسرائيل (اليهود) أوفي لفظ آخر يذكر هذا الباب قصة معاصيهم، والباب الثاني يتعلق من أهل الإيمان، وتعليمهم وتربيتهم، وفي لفظ آخر، إن كان الباب الأول يناقش المغضوب عليهم، وقصة كبرهم وتمردهم فالباب الثاني يعالج ممن أنعم عليهم من تفاصيل عقائدهم وأعمالهم، فلنن المسلمون بتقليدهم، لكي يفوزوا في الدنيا والآخرة.

لا بد لفهم تركيب السورة من تعيين موضوعها، فالموضوع الأساسي لهذه السورة هو الإيمان والعمل بالله عز وجل، كما أن اليهود أقروا الإيمان بلسانهم، وأنكروها



وجحدوا بها عن العمل، وعصوا عن أوامر ربهم، فجاء تفصيله في الآية 23 من بداية السورة، ثم يدعو القرآن المسلمين إلى الإيمان والعمل بأوامر الله عز وجل ويحزّضهم على العمل بجميع تفاصيلها، فليس عليهم أن يقرؤا باللسان وينكروا بالعمل ببعض أجزائه كمثّل اليهود؛ بل عليهم أن يدخلوا في الإسلام كافة، كما قال الله عز وجل: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ" (سورة البقرة: 208) فلا يمكن الاتباع الكامل والدخول في الإسلام كافة إلا بالصبر والصلاة "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" (سورة البقرة: 153)

نذكر هنا بعد بيان تركيب السورة والموضوع الأساسي لها إجمالاً الترتيب والتنسيق للسورة الكريمة، فنعلم أولاً بأن القرآن المجيد كلام الله، ففيه هداية لمن يخاف الله عز وجل ويخشاه، ثم جاء بعده ذكر أوصاف المتقين، وهذا أسلوب معروفي في مقابلة القرآن الكريم، ثم أورد ذكر الكفار والمنافقين، ففصل أولاً أعمال المنافقين الذين يعيشون في الأرض فساداً، ثم بين ترددهم في أوضح مثال. ثم تبع بعد ذكر المخاطبين بالقرآن الكريم الموضوعات الأساسية من التوحيد، والرسالة والمعاد إجمالاً، ثم شرع في أصل الموضوع فيحكي القرآن بعد ذلك فسق اليهود وفجورهم، ولكن قبل البداية في ذلك يذكر قصة خلافة آدم في الأرض، ويوضح ذلك في التمثيل بين إبليس وآدم عليه السلام، وأبرز بذلك دورهما، ليعلم اليهود أنهم في أي طريق يسلكون وبمن يقتدون.

ثم يذكر القرآن الكريم النعم الكثيرة المتواترة على بني إسرائيل من الله عز وجل، كما يسرد معاصيهم، بأن هذا القوم قد انتهى فيه جميع الإمكانيات والتطورات، وأنهم ليسوا مؤهلين لذلك المنصب الرباني الذي تربعوا فيه، بل كانوا استحقوا الجزاء والعقاب، وقد حان لهم الموعد بأن يسلب منهم الوراثة الإبراهيمية للإمامة العالمية، ويفوض إلى بني إسماعيل عليه السلام.

إن هذا الباب ينتهي على ذكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فخلال ذلك يقوم القرآن بإنكار وترديد كثير من أقوالهم مثلاً أنهم يقولون إن إبراهيم قد عهد إلى الله

عزّ وجل بأنه ينعم على بني إسرائيل إلى قيام الساعة، ويجعل فيهم الإمامة الدينية، فنبهوا "لا ينال عهدي الظالمين" وإنهم ظالمون مشركون، وكذلك اليهود يخفون الكعبة، فأشار الله عز وجل بأن بيت الله هو الكعبة، وإن إبراهيم عليه السلام بنفسه قام برفع قواعدها وبنائها، والدليل على ذلك مقام إبراهيم بأنه جعل مصلى إلى اليوم، والنبي الآخر المرسل من ثمرة دعاء إبراهيم عليه السلام، فإنه دعا عند بناء البيت "وابعث فيهم رسولاً" فتقبل الله دعاه.

كان اليهود يفتخرون بأن إبراهيم عليهم السلام أبوهم وجدهم، وقيل لهم لما لا تتبعون أسوته "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (سورة آل عمران: 67) وإن أكثرهم مشركون ومبتلون في الفسق والفجور والشرك، فلا يفيد النسبة القولية، فمن يتبعه بكل إخلاص فهو بريء من الشرك.

كما ذكر من قبل أن الباب الثاني يشتمل على المواد التعليمية والتربوية للمسلمين، فيبدأ بذكر تحويل القبلة، فجاء التأكيد للمسلمين بوجهتهم إلى الكعبة، فأينما كانوا يولوا وجوههم إلى القبلة فقال الله عز وجل: "قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ" (سورة البقرة: 144) وهي قبلة حقيقة لأهل التوحيد، إن هذه الحادثة ليست حادثة تافهة، بل هي إعلان واضح وتام بأن السيادة والقيادة تنقل من بني إسرائيل، وتصدر عليها ولد إسماعيل عليه السلام.

فقد أمر المسلمون للتصدر على هذا المنصب العظيم، ولأداء هذه المهمة عليهم أن يستعينوا بالصبر والصلاة "استعينوا بالصبر والصلاة، إن الله مع الصابرين" فعلم بذلك أنّ القوم الذي لا يتسلح بسلاح الصبر والاستقلال، فلا يعينهم الله عز وجل، فقدّم الصبر على الصلاة للإعلام بأن الصبر كان له مكانة أساسية في الدين، فلا يتأتى العمل والاتباع في الدين إلا باختياره، حتى لا يمكن القيام في الصلاة إلا بالصبر، ثم ناقش القرآن بالسعي بين الصفا والمروة لإظهار أهمية الصبر في الدين، وهو شعيرة من شعائر الدين، هذا هو المكان الذي شهد "حادثة الذبح" وهذه الحادثة قد أبلغت بني إسماعيل إلى أوج كماله.

بعد تعليم الصبر والصلاة أبرزت حقيقة التوحيد بأن الخلق كله لا وجود له أمام وجود الله عز وجل "إن القوة لله جميعاً" وهو تقضي حوائج الناس ويحلّ مشاكلهم، والإقرار والإيمان بغير الله الطاقة ما فوق الفطرة ينافي التوحيد، ويدخل في الشرك.

وإنه يدخل في التوحيد بأن نسلم أنّ الله عز وجل هو الشارع والمقنن، فلا يقدر أحد على الإطلاق أن يقنّ بنفسه، واستنكر على سلوك الفقهاء اليهود الذين قد أصبحوا بأنفسهم شارعين وموجدين للقانون، ويفتون من غير دليل بتأويلاتهم الباطلة ويحلّون الحرام ويحرّمون الحلال، فقد غيروا قانون القصاص والإرث، فنهى المسلمين عن السلوك في هذا الطريق.

ثم تبع بعد ذكر التوحيد ومتعلقاته العبادات، وبعد ذلك أوضح بالترتيب الصوم (وقد جاء ذكر الصلاة من قبل) ثم الحج، فالجهاد فالإنفاق في سبيل الله، وأحكامها، كما جاء ذكر المعاملات المالية من الكتابة والربا، وإذا أمعنا النظر يرى لنا أنّ هذه الأمور كلها تتعلق بمقامات الصبر.

وقد انتهى هذا الباب على مواد التوحيد، ثم يتبعه الدعاء يطلب فيه العبد بكل سمع وطاعة العفو والخفة في الأحكام والفرائض، والوجه في ذلك أن هذه السورة تشتمل على كثير من الأحكام، علاوة على ذلك إن العبد يطلب النصرة في وجه الكفار مع الإقرار والإيمان بصنعه، "أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين".

إن هذه السورة منظمة في أحسن سلك النظم والترتيب؛ الابتدائية، وأصل الموضوع، والخاتمة، فلا نرى فيها أي شيء من الخلل، بل نراها منظمة ومرتبطة إلى حد يثير العجب.

بعد الفراغ من بيان الترتيب والتنسيق في سورة الفاتحة وسورة البقرة، نشعر في بيان السور الأخيرة من القرآن الكريم، أي سورة الإخلاص، والمعوذتين. إن سورة الإخلاص تتضمن بأكملها تعليم التوحيد، والمعوذتين تحتويان على طلب

الاستعاذة من أعداء التوحيد، كأنهما تشتملان على الدعاء بالاستقامة على التوحيد، فهذه السور الثلاث تتفق كاملاً وتربط فيما بينها بكل الوضوح.

وهذا أمر مهم بأن القرآن الكريم يبدأ بالدعاء (سورة الفاتحة) وينتهي على الدعاء (بالمعوذتين) ويتضمن الدعاء على موضوع التوحيد في كلا الموضعين، في بداية القرآن يستعين العبد من الله عز وجل في السلوك على الطريق المستقيم، وفي نهايته يعوذ من الأخطار المهددة في طريق التوحيد، فعلم من ذلك أن القرآن الكريم في الواقع كتاب التوحيد، فأوله توحيد، وآخره توحيد، والأمور التي يتأتى فيما بين الطرفين من أمور الرسالة والآخرة، والعبادات والشرائع، والأخلاق، والحكايات عن الأقوام والملل، وكشف النقاب عن حقائق الكون وأسرارها، فيربط كل ذلك في سلك التوحيد، فالتوحيد أصل أساسي، والأمور الأخرى كالفرع لها، فهي تشابه تمام كالأنهار التي تتبع من بحر التوحيد.

فمن ينظر القرآن كما ذكرنا أنقاً يقر بأن القرآن الكريم يراعي الترتيب والنسق في كلامه، ولكن يثور هنا سؤال: وإن كانت السورة والآيات تنظم وتنسق فيما بينها كما تدعون بذلك، فلما خفي النظم القرآني عن كثير من العلماء؟ الذين يعترفون بالترتيب والنظم فيما بين السور والآيات القرآنية فلم لم يبذلوا مساعيهم في النظم القرآني، فلم اكتفوا في بيان النظم والترتيب في سورتين أو أربع سور فقط، فلما لم يقوموا وعجزوا عن إظهار حقيقة النظم القرآني، والأحوال تجري على هذا المنوال إلى حد الآن.

يقول كاتب هذه الأسطر: الأمر في ذلك يرجع إلى وجهين، الوجه الأول: إن القرآن يحتوي على الإيجاز البياني، فلذا لا تقدر الأذهان الذكية على فهم النظم والترتيب فيما بين السورة والآيات، فيسأل أحد: إن كان القرآن الكريم كتاب هداية، وهو يدعي بنفسه أنه هدى للناس، فلماذا يشتمل على الإيجاز؟ إن القرآن الكريم يحتوي على النصائح والتذكير فهي واضحة بينة "وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٧﴾" (سورة القمر: 17) ولكن أجزاء القرآن التي تشتمل على الحكم

والمعارف نرى فيه صبغة الإيجاز بكل وضوح وصراحة، لا يوضح مراده بغير التدبر وإجالة الفكرة، فهذه المواضع لم يفوض أمره إلى عامة الناس، بل فوض أمره إلى أهل العلم والعلماء.

إن الإيجاز في القرآن الكريم كما أدى إلى زيادة الحسن الأدبي والجمال اللغوي، فكذلك سبب في زيادة تأثيره وتفاعله، بجانب ذلك يسهل الأمر لحفظ القرآن الكريم وقراءته، ويتيسر الأمر في حفظ القرآن الكريم وصيانتها من التحريف والتبديل حسب الوعد الإلهي، وكما كان يهدف الإيجاز إلى إقامة الحجة على المخاطبين الأولين للقرآن الكريم من العرب.

يحيطنا علمًا بأن معظم الأدب الجاهلي يشتمل على الأشعار، وكان العرب يعربون عما يجيش في خواطرهم في أسلوب الشعر، وقد أصبح ذلك مذاقًا لهم، فهم تعودوا على ذلك ولم يمكن لهم التحرز في خطبهم عن هذا الأسلوب، فلذا نجد العبارات المقفاة والمسجعة في خطبهم، ولكنهم أكثر ما يحبون في الكلام هو الإيجاز، لأن العرب على قمة من الفطنة والذكاء، ولذا كانوا يحبون الإشارات والكنائيات في التعبير بدل التفصيل والتوضيح، وكانوا يراعون بذلك في أشعارهم خاصة، والرمز والإيماء هو الروح الحقيقية للشعر، ولا نجد أيّ أدب في الدنيا يقصر عنه، ولذا يرجح القرآن الكريم الإيجاز في البيان كعادة العرب وطبيعتهم وفطرتهم، فقدّم الجاحظ الأمثلة لذلك في كتابه "كتاب الحيوان":

"ولي كتاب جمعت فيه أيًا من القرآن؛ لتعرف بها فصل ما بين الإيجاز والحذف، وبين الزوائد والفضول والاستعارات، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة على الذي كتبتك في باب الإيجاز وترك الفضول. فمنها قوله حين وصف خمر أهل الجنة: "لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ" (سورة الواقعة: 19) وهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع عيوب خمر أهل الدنيا، وقوله عزّ وجل حين ذكر فاكهة أهل الجنة فقال: "لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ" جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> الجاحظ، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ، 42/3

إن كان الكلام على نهاية الإيجاز فلا بد أن نسلم الكثير من المحذوفات، كما نرى ذلك في الأشعار، ولذا نحتاج فيه إلى التدبر والتفكير، فنربط في الكلام بعد جولان النظر، لا بد من فهم الروابط لفهم الكلام، فلا يمكن ذلك بغير التدبر والتفكير، ولذا يدعو القرآن الكريم في آياته إلى التدبر والتفكير، فمثلاً يقول في موضع:

"أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (سورة محمد: 42)

وقال في موضع آخر:

"كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَذَّبَ آيَاتِهِ وَلِيَذَكِّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ" (سورة ص: 30)

إن هذا التدبر يصف الأذهان، وينقيها، فتتيسر الفرصة لظهور مواهبها وكفاءاتها، وإذا أنعمنا النظر فيبدو لنا أن القرآن الكريم منظم ومنسق في معناه ومغزاه، ويوضح تمامًا أن هذا الإيجاز يكن في ستوره الكنوز للمعارف والبصائر، فنقدم لذلك الآيات البدائية من سورة الرحمن:

"الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9) وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (11) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (12) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ". (سورة الرحمن: 1-12)

إن هذه السورة تشتمل على آثار قدرة الله وعلمه، فهي في الأصل آثار رحمة، في الآيات البداية الأربع تبين العطايا الربانية الثلاثة المتعلقة بالإنسان، أعني تعليم القرآن، وتخليق الإنسان، ومن تعليم البيان (النطق)، فقدم نعمة القرآن على سائر النعم؛ لأن القرآن الكريم هو عطية ربانية عظيمة لا يضاهيه ولا يساويه أي نعمة.

فأشار بعد ذكر هذه النعم الثلاث أن كل شيء في هذا العالم المادي يتبع القوانين المقررة من الله عز وجل، فلينظر الإنسان إلى الشمس والقمر، بأنهما كيف

يجريان في الليل والنهار على المراحل المعينة والمقررة من الله عز وجل، والأشجار والنبات تؤدي دورها المفوض إليهما بكل نظم وترتيب (فلما يشعر الإنسان نفسه خارجًا عن طاعة الله عز وجل؟)

ثم ذكر أنه رفع السماء وهي ثابتة قائمة في الفضاء بأمره، وإن هذا الرفع تتعلق بالعدل والميزان، ثم وجه الإنسان بجملة استطرادية إلى سلوككم المعدول عن الحق والعدل بأنهم يبخسون في الميزان، فوجه إليهم النصيح بأن يحذروا من هذا السلوك المأساوي الشنيع.

ثم وجه عنايته إلى خلق الأرض، والإنبات فيها من النعم من الفواكه والأثمار والأشجار بأنه مع الانتفاع بهذه النعم، يحرز وينحاز عن الاعتراف به، والشكر على إنعامه. فعلم من هذا الشرح والتوضيح أن التناثر الظاهري والمعنوي في الآيات يرجع إلى الإيجاز، ولكن قد أبرز المراد بتفصيل هذا الإيجاز.

والوجه الآخر في إخفاء النظم القرآني، البنية التحتية والتركيب الحالي بين السور، وخاصة بين السورة الطويلة، الترتيب والنظم بين السور الصغيرة باهر، والمواضع التي لا يتضح فيها النظم، إذا أمعنا النظر فنرى النظم القرآني فيها ظاهرًا، لأن النظام القائم فيما بين هذه السورة يثبت أن العمود والنظام يتحدان، ولكن السور الطويلة يختلف عنها تمامًا، وإن كان فيها العمود والنظام متحدين، ولكن هذه السور تحتوي على العمود الثانوي المدغم فيما بينها، ولذا نرى التناثر الظاهر والمعنوي عند القراءة، وإن انفردت تلك الموضوعات (العمودات) على الأبواب والفصول كما بيّناه في سورة البقرة، فيظهر النظم القرآني في كل سورة من سورة القرآن الكريم.

ما قدّمنا في الصفحات الماضية من شواهد ودلائل على النظم القرآني، بدا منها أن القرآن الكريم كتاب منسق ومرتب؛ بل إنه كتاب نظم معجز، ونرى في بعض أصناف الكلام مثل الفلسفة، والعلوم الحديثة، والأدب العالي، لا نصل إلى معناه ومراده إلا بعد التدبر والتفكير، والسبب في عدم الفهم في العلوم الفلسفية والعلوم الحديثة، معانيها المعقدة، والأشعار بما تشتمل على الرمز والكناية والاستعارات.

إن القرآن الكريم لا يشتمل على المعاني الدقيقة فقط بل إنه كلام أكثر إيجازًا واختصارًا، علاوة على ذلك نلاحظ هنا: إن النثر القرآني ليس نثرًا عاديًا بسيطًا، بل إنه نثر على أعلى قمة من العلم، فيجمع جميع المحاسن النثرية، فلذا يرى القارئ العادي الانتشار والانتثار في القرآن الكريم، وأما الراسخون في العلم وأصحاب الفكرة فيرون الترتيب والتنسيق في كلام الله عز وجل، فمثل ذلك أن النجوم على السماء في وجهة النظر العادي منتشرة على السماء، ولكن أصحاب النجوم والهيئة يشاهدون النجوم بالتلسكوب والمنظار، فيرون الانسجام والتنسيق فيما بين النجوم، فيدهشهم هذا الأمر.

مثل ذلك في القرآن الكريم، فلما ألقى أهل العلم النظر عليه فيعدمون عدم الانسجام في الظاهر، فيضئ لهم عالم مختلف للمعاني والمعارف فيرى في كل جوانبه اللآلي المنتورة من العلم والحكمة، فيجرب على لسانه من غير اختيار، هذا كلام الله عز وجل، فلا يكون كلام لأحد غيره.

خلاصة القول: قد برز مما قدّمناه أن القرآن كلام يراعي النظم والترتيب، وليس هو كلامًا غير مربوط، وبيانا غير منظوم، بل هو على أعلى قمة من الأدب، وعلى أرفع درجة من البلاغة، وخاصة إيجازه البياني، والأخير دائمًا يحول بين القارئ وفهم الترابط بين الآيات والسورة القرآنية، وبالرغم من ذلك إذا أمعنا النظر في آياته وسوره وجدنا أن القرآن كله من آياته وسوره مربوط ومنظم في سلك واحد.



المصادر والمراجع

- 1- الجاحظ، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ
- 2- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت
- 3- الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، د.ت
- 4- الشاه ولي الله المحدث الدهلوي، الفوز الكبير في أصول التفسير، دار الصحوة، القاهرة، 1407هـ-1986م.
- 5- محمد حنيف فقيهي، نظرية إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني عن كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت
- 6- Thomas Carlyle, The Hero As Prophet Service Leaguc, Bumbay
- 7- William Muir, The Life of Mohammad, ESQ, 1957

## الإمام الفراهي ومنهجه لتحقيق الحديث والسنة

- الشيخ خالد مسعود الباكستاني<sup>1</sup>

ترجمة من الأردوية: د. أورك زيب الأعظمي<sup>2</sup>

كان الإمام عبد الحميد الفراهي تتمركز فكرته على القرآن الحكيم وهو الذي أسس قواعد للتفكير الصحيح فيه، أهمها تتبع مواقع استعمال الكلمة في اللغة، ونظائر القرآن، ومتشابهاته، وسياق الآيات، ونظم السورة ومناسبتها، فالتفسير الذي يبدو من تلك الأصول أقرب من هدف القرآن الحقيقي وأقطع لدابر الاختلاف في تأويلاته الشتى. فإن يتبع المسلمون هذا المنهج لتفسير القرآن وتأويله يمكن أن نستأصل به اللعنة التي ضربت علينا لمحض اختلاف مذاهبنا ومسالكنا. وبالعكس من ذلك إنَّ المنهج الذي يشتمل على الروايات يشوش، لمجرد اختلاف التأويلات، أذهان الناس ويضرم بين أفراد الأمة نار الاختلافات. وبما أنَّ مسلحي شبه القارة يعتمدون على تفاسير تشتمل على الروايات، والذين فسروا القرآن بالأردوية لم يقدموا إلا ما قد بلغهم من أسلافهم، قد جمعوا - لاسيما المتدينين المتصلبين - على أن التفسير الصحيح المعتمد عليه هو الذي يشتمل على الروايات فاستغربوا منهاج الفراهي وأنكروه، ولأن من الصعب جدًا أن يسير أحد على طريق يخالف الطريق الموطوء المعبد أساءوا الظن بمنهج الفراهي لتفسير القرآن، وهذا مما لا بأس به. ولكن الذي يتجاوز الحق هو قول بعض أصحابنا: إنَّ مذهب الفراهي يقرب ممن ينكر الحديث ويخالفه فسلكوا في ذلك مسلك ثورة إنكار الحديث وقطع دابرها.

وفي مجلة "البيان" الصادرة عن أمرتسر اتهم الإمام الفراهي عام 1941م بإنكار السنة في ضوء فصول من مقدمته لـ "تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان

<sup>1</sup> كاتب باكستاني كبير للدراسات الإسلامية

<sup>2</sup> مدير تحرير المجلة وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المليية الإسلامية، نيودلهي

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

بالفرقان" وقد زاد الطين بلة ما نشر في مجلة "طلوع إسلام" الصادرة عن دلهي على موضوع "الشاه ولي الله والكتاب والسنة" وأيد ذلك الافتراء ببحث أجري بينه وبين العلامة عبيد الله السندهي حول الحديث وموقفه منه. والهدف من تلك المقالة لم يكن سوى إثبات أن الإمام الفراهي يتبع مذهب الذين ينكرون الحديث (نعوذ بالله من ذلك). فقد ردّ على تلك المقالة ردًّا مفحّمًا سماحه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي في مقالة نشرت في العدد الثاني لرسالة "معارف" الصادرة عن دار المصنفين سنة 1942م موضوعها "الإمام عبد الحميد الفراهي وعلم الحديث" فقد أثبت في تلك المقالة تحريف مجلة "البيان" لأقوال الفراهي وكيف هي أدخلت فيها ما ليس منها، وقاست ملاحظته للروايات الضعيفة على كافة أنواع الحديث، وذلك أمرٌ لا يمسّه جانب من الحقيقة. وقد صرح الشيخ الإصلاحي في تلك المقالة أن البحث الذي دار بينه وبين العلامة السندهي إنما كان متعلقًا بموقفه من أخبار الآحاد ضدّ ما ذهب إليه مجلة "البيان" فقد أدرك العلامة السندهي موقفه جيدًا وطويا البحث وأنهياه، وقد كتب الشيخ الإصلاحي في مجموع تفاسير الفراهي عند ترجمته أنه لما لقي العلامة السندهي بعدما نشر الردّ في رسالة "معارف" وذكره له أعرب عن أسفه الشديد لما اتهم حبيبه المرحوم (الإمام الفراهي) برواية ذكرت في مجلة "طلوع إسلام".

ولما طبع تفسير "تدبر قرآن" هنّاه العلماء بهذه الخدمة الجليلة للقرآن الكريم بأنه صنّف في هذا العصر الحديث تفسيرًا كبيرًا على منهج الإمام الفراهي وهذه نعمة كبرى لمن يتدبر القرآن ويفكر فيه ومع ذلك أعيد ذلك الافتراء القديم من قبل بعض المفكرين، وكُيّر القول بأن فكر الفراهي يؤيد الذين ينكرون الحديث. ولردّ على هذا الافتراء نعرض لهم كتابه "مبادئ تدبر حديث" و"دروسه للموطأ وصحيح البخاري" التي تنشر في رسالة "تدبر" الصادرة عن لاهور بباكستان فيبدو منها جليًا أن أتباع مذهب الفراهي لا ينكرون الحديث بل يمهّدون السبيل إلى حلّ معضلاته كما فعلوا عن القرآن الحكيم ولكن مع ذلك نحبّ أن نبين موقف إمام

ذلك المذهب من الحديث النبوي الشريف كي نقطع دابر ذلك الافتراء ونكشف القناع عن الحقيقة لهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

ولأن الإمام الفراهي كان منقطعاً إلى التفكير في القرآن لم يصنّف أيّ كتاب خاصّ بعلم الحديث ولو التفت إلى ذلك لأتى بما يمهد السبيل إلى التدبر فيه على منهجه المنفرد الأمثل فنحن نرجع للبحث عن وجهة نظره لذلك إلى رسائله التي تناول فيها الحديث والسنة بالبحث، ومن ذلك مقدمته لنظام القرآن وتفسيره لبعض السور ورسالتاه "التكميل في أصول التأويل" و"إحكام الأصول بأحكام الرسول".

مكانة السنة لدى الإمام الفراهي: يقول الإمام الفراهي في كتابه "إحكام الأصول بأحكام الرسول" وهو يبحث عن مكانة رسول الله ﷺ التشريعية:

"إنّ الله تعالى كما بعثه (النبي ﷺ) لتعليم الشرائع المكتوبة فكذلك بعثه لتعليم الحكمة وسرّ الشرائع حتى نكون مجتهدين، مستعملين عقولنا، مستدلين بآياته الظاهرة والباطنة، وهو ﷺ في ذلك إمامنا وهادينا. قال تعالى: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة النحل: 44) فكان ﷺ يبين لنا الكتاب ليتضح لنا طريق التفكير والتدبر، وقد أمرنا الله تعالى بالتفكر وكذلك أمرنا بالتأمي برسوله الكريم. وقد وصفه كثيراً في كتابه بأنه يعلمهم الكتاب أي الشرائع المكنونة عليهم والحكمة".<sup>1</sup>

ويقول في "فاتحة نظام القرآن" في موضوع "المعروف والمنكر":

"النبي نفسه الزكية منبع لمعرفة المعروف والمنكر فيأمر الأمة بإلهامه فيما لم ينزل فيه وحى حتى ينزل ولمنصبه".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> المعلم عبد الحميد الفراهي، رسائل في علوم القرآن (مجموعة ثانية) (إعداد: البروفيسور عبيد الله

الفراهي)، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح سرائ مير، أعظم كره، 2011م، ص 109

<sup>2</sup> المعلم عبد الحميد الفراهي، فاتحة تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، مطبعة إصلاح، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، 1357هـ، ص 26

وقد عدّ في "إحكام الأصول بأحكام الرسول" مصدر تلك النفس الزكية نورًا ذكر في سورة الشورى:

"وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾".

فهو يقول:

"إن الله هدى نبيه بالقرآن من جهة مكنونة أيضًا. قال تعالى: "وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَنُ" أي الشرائع والعقائد كما ستعلم "وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾" (سورة الشورى: 52) فأحيا الله قلب نبيه بهذا الروح وهداه بهذا النور فعلمه ما لم يكن يعلم".<sup>1</sup>

فقد اتضح من هذه الفقرة أنّ وظيفة الرسول ﷺ، لدى الإمام الفراهي، كانت تبين القرآن الحكيم وإيضاحه. فتقتضي تلك الوظيفة أنّ له ﷺ أن يأمر بنفسه الزكية والنور الذي أعطاه الله تبارك وتعالى إياه، أوامر ما عدا أوامر القرآن وأحكامه، ولكنها تعادلها في القدر والوزن، وهي التي نعبر عنها بسنة الرسول ﷺ. فبدا أنّ الإمام الفراهي يعطي الرسول ﷺ من المكانة التشريعية ما أعطاه علماء الأمة وأئمة الدين.

وللإمام الفراهي نكتة مهمة توضح وجهة نظره للسنة وهي أنّ مهمّة حفظ القرآن لله تبارك وتعالى تشمل جميع المصطلحات الشرعية كمثّل الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد والطواف والصفاء والمروة والمسجد الحرام وقد بيّنها النبي ﷺ بسننه مع أنها نقلت إلينا بالتواتر والتوارث من آبائنا وأسلافنا، فمعاني تلك المصطلحات مصونة كما علّمها النبي ﷺ فالصلوة التي يتطلبها الدين هي التي

<sup>1</sup> رسائل في علوم القرآن (مجموعة ثانية)، ص 114

يصلّيها المسلمون اليوم، والحج هو الحج الذي نجده عند المسلمين، ولو أنّ طرق أداء الصلوة وسنن الحج مختلفة في بعض أجزائها ولكنها ليست مما نهّمه ونعظّمه. فيقول الإمام الفراهي في كتابه "إحكام الأصول بأحكام الرسول" مشيرًا إلى ذلك: "--- فإنهم (السلف والأئمة) لصحة مذهبهم في أمور الدين اعتصموا بالكتاب والسنة كليهما ولم يرفضوا واحدًا منهما، كما فعل المبطلون الملحدون ولكنهم جروا في ذلك على ذوقهم، لا على أصول راسخة فبقي النزاع بينهم في طرق التطبيق وقليل من الاختلاف في الفروع".<sup>1</sup>

فبدا من ذلك أنّ الإمام الفراهي يرى أنّ من ينكر السنة مبطل فالدين عنده أنّ تتمسك بالكتاب والسنة معًا فمن فرق بينهما أو أنكر السنة فقد ألحد عن الدين ومن يفترى على مثل هذا المخلص الذي عنده من الإلحاد أنّ ننكر السنة إلا من ليس في قلبه شيء من خشية الله والخوف منه.

مكانة الحديث عند الإمام الفراهي: ووجهة نظر الإمام الفراهي للحديث النبوي الشريف هي أنه يرى القرآن أصلًا ويعتبر الحديث من الفروع وذلك لأنّ صحة القرآن ثابتة قطعًا بينما صحة الحديث وحفظه مظنة للوهم فيقول في مقدمته "نظام القرآن" عند ذكر المآخذ الخيرية:

"أما الإمام والأساس فليس إلا القرآن نفسه وأما ما هو كالتبعية والفرع فذلك ثلاثة: (1) ما تلقته علماء الأمة من الأحاديث النبوية و(2) ما ثبت واجتمعت عليه الأمة من أحوال الأمم و(3) ما استحفظ من الكتب المنزلة على الأنبياء ولولا تطرق الظن والشبهة إلى الأحاديث والتاريخ والكتب المنزلة من قبل لما جعلناها كالفرع بل كان كل ذلك أصلًا ثابتًا".<sup>2</sup>

ويمضي قائلاً:

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 111

<sup>2</sup> فاتحة تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص 10

"والذي يهملك هو أن تجعل بين ما نطق به القرآن وبين ما تجد في الفروع سدًا وحاجزًا فلا نخلطهما فالقدر الذي في القرآن ثابت والذي زاد عليه مظنة للوهم".<sup>1</sup> فاتضح من ذلك أن الإمام الفراهي مع الاعتراف بكون أقوال النبي أصلاً للدين والشريعة وبمكانة السنة التشريعية لا يرضى أن يعطي رواية الحديث ما أعطاهما من المكانة لأنها مظنة للوهم لتطرق الخطأ إليها وهذا ما لا يرده أئمة أهل الحديث وهو الذي حملهم على أن يضعوا أصولاً وقواعد للرواية والدراية فظهرت فنون لجرح الرواة وتعديلهم ولولا تطرق الظن إلى رواية الحديث لما احتجنا إلى أي من تلك العلوم والفنون.

وبالعكس من وجهة نظر أئمة أهل الحديث التي بنيت على حذر تام والشعور بالمسؤولية نرى اليوم أن بعض العلماء يتجاوز الحد المعلوم في الحديث الشريف. يقول الإمام الفراهي في مقدمته لـ "نظام القرآن" وهو يذكرهم:

"بعض الروايات تقطع الآيات وتقطع نظامها إلا أن نأول ولكن التعجب ممن يأول الآية ولا يأول الرواية وربما لا يأول الآية بل يرضى بقطع نظامها والفرع أولى بالقطع".<sup>2</sup> ويردف قائلاً:

"والعجب كل العجب ممن يقبل ما هو مكذّب لنص القرآن مثل كذب إبراهيم عليه السلام ونطق النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن من غير وحى".<sup>3</sup>

من يقرأ تلك المقتبسات من غير تعصب ولا تشدد يعترف أنما يعارض عليه الإمام الفراهي ليس أقوال النبي الحقيقية بل إنما هي روايات تناقض القرآن أو تخالفه، تقطع الأصل أو تكذّبه فمن يرى كل رواية جاءت في كتب الحديث مصونة فإنه متجاوز عن الحق ومبالغ فيه، والقول بأن كل ما روي في صحيح البخاري ومسلم

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 10

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 10

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 10

لا يخلو من الظن ليس بما تلفظ به الإمام الفراهي فقط بل قد أجمع عليه أئمة الفن فلا كتاب تحت أديم السماء خاليًا عن الظن سوى القرآن الكريم.

ومن نوع هذه المبالغة ما نجده عند بعض الفقهاء والمتكلمين فإنهم يرون أنَّ الحديث ناسخ للقرآن فيقول الفراهي في مقدمته لـ "تفسير نظام القرآن" وهو يلقي الضوء على ذلك الزعم:

"إن الإمام الشافعي وأحمد بن حنبل وعامة أهل الحديث يمنعون نسخ القرآن بالحديث وإن كان متواترًا وصاحب البيت أدري بما فيه فمن خالفهم من الفقهاء والمتكلمين لا نقيم لهم وزنًا ونعوذ بالله أن ينسخ الرسول كلام الله ولا بد أن يكون وهم أو خطأ من الرواة".<sup>1</sup>

هذه أصول وضعها الإمام الفراهي لتعامله مع الحديث ولكنه إذا مَحَص الروايات على تلك الأصول فيقبل روايات كثيرة تكلم عنها أهل الحديث وهذا لمحض أنها توافق مفهوم القرآن وتصدقه وتؤيده فقد قبل عند تفسير سورة الكوثر روايات عديدة عن حوض الكوثر وكثرة الأمة كما صحَّح رواية شأن نزول الآية "فصل لربك وانحر" التي استغريها الإمام السيوطي قائلاً: إن الوجوه التي حملته على الوهم في تلك نزول حينما نتفكر فيها مع إمعان النظر وقد وضع عند تفسير سورة فصلًا مستقلاً بعنوان "الأحاديث تثبت أنَّ الهجرة أذان بالحرب والبراءة وهي على أصول موافقة للقرآن".<sup>2</sup>

إننا نجد في كتب الإمام الفراهي ورسائله أقوالاً تدلّ على الأصول التي لاحظها الإمام الفراهي لتحقيق الحديث ونلقي الضوء عليها تحت أربعة موضوعات تالية:

أ- أحاديث الأحكام

ب- روايات التفسير

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 11

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 32-33



ت- الإسرائيليات

ث- أخبار الأحاد

أ- أحاديث الأحكام: وجهة نظر الإمام الفراهي في ضوء آية من سورة النساء "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ" هي أَنَّ النبي ﷺ كان مأمورًا بأن يفصل عن شيء في ضوء ما في الكتاب العزيز، وما كان ينبغي له أَنْ يحكم عن شيء دون ذلك، فكم من أحاديث الأحكام استنبطت من القرآن الكريم. فالأحاديث لا تزيد على القرآن شيئًا بل توضح أمرًا من أمور القرآن التي يمكن أن تكون مخفية على من لا يتدبر القرآن فقد ذكر الإمام الفراهي في رسالته "إحكام الأصول بأحكام الرسول" التي أفردها لذلك أَنَّ الأحاديث التي تتعلق بإثبات رؤيته تعالى يوم القيامة، وبقاء حكم الوصية في الورثة، وتحديد قدر الوصية في الثلث، وكون الخالة والعمة من المحارم، وكون حقوق الأم أكثر من حقوق الأب، كيف استنبطت هذه الأحاديث من آيات القرآن. وهكذا رجم ماعز الأسلمي في عهد رسول الله ﷺ كان مستخرجًا من آية المحاربة لسورة المائدة. وقد قال الفراهي وهو مطمئن قلبه: إني فزت في كثير من أحاديث الأحكام أصلها في القرآن الحكيم، ويوضح قوله قائلًا: ربما أشار النبي ﷺ إلى أَنَّ أمري هذا مستنبط من آية القرآن الفلانة فالأحاديث التي لم يوضح فيها يتضح بعد تأمل قليل أَنَّ ما أمر به النبي ﷺ قد جرى حكمه في ضوء آية كذا وكذا. وبعد ذلك وضع الإمام الفراهي أصلًا مهمًا وهو أَنَّ حكمًا قد صعب لنا تعيين مصدره من القرآن وهو زائد عليه يقبل لمحض أنه صدر بالنور الذي أعطاه الله تبارك وتعالى خاصة ومثل تلك الأحكام تعدَّ أصلًا مستقلًا من السنة لأننا أمرنا بإطاعة الرسول ﷺ، وأما روايات الأحكام التي لا أصل لها في القرآن وأيضًا لا يقبلها القرآن، وهي خلاف لنصوصه، أو قبولها يلزم نسخه جليًا كان أو خفيًا فلا بدَّ لنا من نبذها لأنها لا تصح نسبتها إلى النبي ﷺ وهي في الحقيقة شيء معدوم وزنه ووجوده.

ب- روايات التفسير: إن الإمام الفراهي يعطي حديث الرسول ﷺ وأقوال أصحابه رضي الله عنهم من الأهمية ما أعطاها غيره من الأئمة ومع ذلك أنه أيضاً يقول بضعف روايات التفسير كما قال بذلك جمهور المحدثين. وهذا أشهر من قفا نبك أن المحدثين لم يحققوا أحاديث التفسير والمغازي والفضائل كما فحصوا غيرها من الأحاديث والروايات. يوضح الإمام مذهبه في ذلك قائلاً:

"أنه ﷺ لما كان مبيئاً للكتاب ومفسراً له على الإطلاق في الشرائع والعقائد كلتھما صار العلم بطرق تأويله أوثق أصل للمفسر".<sup>1</sup>

ويقول في مقدمته لتفسير نظام القرآن:

"إن أول شيء يفسر القرآن هو القرآن نفسه ثم بعد ذلك فهم النبي ﷺ والذين معه، ولعمري أحب التفسير عندي ما جاء من النبي وأصحابه".<sup>2</sup>

ثم إنه يرى أن ما أثر من ابن عباس أقرب من نظم القرآن، وبعد ذلك يوضح منهج تفسيره قائلاً:

"وإني مع اليقين بأن الصحاح لا تخالف القرآن لا آتي بها إلا كالتبع بعدما فسرت الآيات بأمثالها لكيلا يفتح باب المعارضة للمارقين الذين نبذوا القرآن وراء ظهورهم".<sup>3</sup>

والسبب الأصلي لجعل الحديث من الفروع عند الإمام الفراهي هو كما قلنا أن تمييز الأحاديث الصحاح عن الضعاف صعب جداً ومن المخطر جداً أن نبني الدين على رواية غير صحيحة فإنه يلح على أن تبني كل شريعة من شرائع الدين على نصوص القرآن. يقول في رسالته "التكميل في أصول التأويل":

"إنك قبل أن تفهم القرآن، تهافت على الحديث وفيه صحيح وسقيم فيعلق قلبك من الآراء ما ليس له في القرآن أصل وربما يخالف هدى القرآن فتأخذ في تأويل

<sup>1</sup> رسائل في علوم القرآن (مجموعة ثانية)، ص 110

<sup>2</sup> فاتحة تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص 7

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 7

القرآن إلى الحديث ويلبس عليك الحق بالباطل. فالسبيل السوي أن تعلم الهدى من القرآن وتبنى عليه دينك ثم بعد ذلك تنظر في الأحاديث فإن وجدت ما كان شاردًا من القرآن حسب بادئ النظر، أولته إلى كلام الله فإن تطابقا فقررت عينك وإن أعياك، فتوقف في أمر الحديث واعمل بالقرآن وقد أمرنا أولاً بإطاعة الله ثم بإطاعة رسوله ولا شك أن الأمرين واحد فإن لم يرد الله أن نقدّم كلامه على ما روي عن الرسول فماذا أراد بهذا الحكم".<sup>1</sup>

إن اختلاف روايات التفسير بعضها من بعض عند الإمام الفراهي يمنعنا عن أن نقبلها من غير روية. واختلاف التأويلات في عهد الصحابة الكرام ما كان إلا اختلاف الأساليب وتعدد الطرق فأياً منها أخذ كان قريباً من الهدف غير بعيد عنه ثم بعد ذلك كثرت الروايات الضعيفة واعتمدوا عليها في التفسير فملأت كتب التفسير من روايات اليهود والذين ارتكبوا وضع الحديث. ويلقي الضوء على اختلاف روايات التفسير في مقدمته لـ "نظام القرآن":

"عن علي بن أبي طالب قال لما نزلت هذه السورة على النبي "إنا أعطيناك الكوثر" قال النبي لجبريل ما هذه النخيرة التي أمرني بها ربي قال إنها ليست بنخيرة ولكن يأمرك إذا تحرمت للصلوة أن ترفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع فإنها صلاتها وصلاته الملائكة الذين هم في السموات السبع وعن ابن عباس في قوله "وانحر" قال الصلوة المكتوبة والذبح يوم الأضحي وأخرج ابن مردويه عنه مثل قول علي بن أبي طالب.

وهكذا ترى في تأويل الكوثر ومثل ذلك ترى ما رواه عن ابن عباس في معنى الفلق روايات مختلفة فلا سبيل للاطمئنان من هذه الروايات المتناقضة التي لا يزداد شاربها إلا ظمأً والراكن إليها إلا قلقاً".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> المعلم عبد الحميد الفراهي، رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائر مير، أعظم كره، 1991م، ص 275-276

<sup>2</sup> فاتحة تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص 33-34

ت- الإسرائيليات: إن ما تسرب من روايات أهل الكتاب في كتب الحديث يرى فيه الإمام الفراهي أنه قد نقله المفسرون عمن كانوا لا يعرفون جيداً تاريخ بني إسرائيل وأحوال أنبيائهم. أكثره أساطير لا أصل لها في كتب أهل الكتاب المعتمد عليها. فللبحث عن أوضاع أهل الكتاب وشؤونهم الفردية والاجتماعية يجدر بنا أن نأخذ مما يعتمد عليه من كتبهم دون أن نعتد على الإسرائيليات فإن وجدنا فيه ما يوافق القرآن فنأت به كالمؤيد له وإن لم يوافقه فنصرف عنه النظر لأننا نعلم قطعاً أنه قد كتم فيه الحق فعلياً أن نأخذ ما في القرآن أصلاً وأساساً وبنياً.

ث- أخبار الأحاد: إن الإمام الفراهي ليؤكد على الاتباع بسنة الرسول وأصحابه ولا يحب الغلو والإفراط والتفريط والتحيز لمحض خبر الواحد. يقول في مقدمته لـ"نظام القرآن":

"فإذا نظرت إلى ألفاظ مصطلحة في الشرع ولا تجد حدها وتصويرها في القرآن فلا تجمد على أخبار الأحاد فتسقط في الرب وتحكم على عمل أخيك بالبطلان وتشاقه ولا حكم بينكما بل اقنع بالقدر الذي اجتمعت عليه الأمة ولا تؤاخذ إخوانك فيما ليس فيه نص صريح ولا عمل مأثور من غير خلاف".<sup>1</sup> ويقول على هامش شرح المؤطأ:

"قد بلغنا سنة أسلافنا من النبي ﷺ بالتواتر وأما الأحاد فهي أخبار تحتل الصدق والكذب وخطأ الفهم والتغير في أداء الخبر واعتمد الإمام مالك وأبو حنيفة على أنهما قد وجدا عهد التابعين رحمهم الله ثم تغيرت السنة نفسها وبقي العلماء معتمدين على الأخبار والروايات".<sup>2</sup>

فاتضح من ذلك أن الإمام الفراهي لا يحب الاعتماد على خبر الواحد لأنه يحتمل الصدق والكذب مع أنه لا يعلم هل فهمه الراوي أم لم يفهمه وهل هو

<sup>1</sup> فاتحة تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص 11

<sup>2</sup> مخطوط ولعله كان أمام الكاتب فقد قام الإمام الفراهي بالتعليق على مجموعات الحديث.

أظهر ما فهم أم لا يقدر على ذلك وبالعكس من ذلك الاعتماد على سنة الصحابة والتابعين التي اختارها الإمام مالك أو سبيل الاجتهاد التي سلكها الإمام أبو حنيفة كلاهما أقرب من الصواب عند الإمام الفراهي وهذا هو الموضوع الذي جرى البحث حوله بينه وبين العلامة عبيد الله السندهي وقد تحدثنا عنه فيما مضى.

والأصول التي اعتنى بها الإمام الفراهي في قبول الرواية وردّها هي فيما يلي:

1. القرآن هو الأصل.
  2. السنة جزء لا ينفك عن الرسالة وأصل مستقل من الشريعة والتفريق بين القرآن والسنة إلحاد عن الدين.
  3. والحديث من الفروع لوجود الظن في روايته.
  4. لا يجوز أن نقبل من الروايات ما يخالف الأصل ويكذب ما نص عليه القرآن.
  5. والروايات التي تصدق القرآن وتؤيده تقبل جميعاً.
  6. إذا وقع الخلاف بين القرآن والحديث فأذاً نحكم بالقرآن.
  7. والخبر ولو كان متواتراً، لا ينسخ القرآن والأهم هو تطبيق السنة على القرآن.
- فقد كان الإمام الفراهي يمحّص الرواية عند تحقيق الحديث على تلك الأصول ويعيّن درجة الحديث من كلتا الجهتين الرواية والدراية ثم يردّه أو يقبله. مثلاً أنه نظر عند ذكر سبب النزول لسورة عبس فيما روي عن عائشة وأنس ومجاهد وضحاك رضي الله عنهم فبحث عنه من جهات تالية:

- أ- في إسنادها ضعف.
- ب- ما يبدو منها يخالف ما يبدو من القرآن.
- ت- إنها يختلف بعضها عن بعض اختلافاً شديداً جعلها أوهاماً وخرافات.

ث- لم يشهد الواقع أحدًا من الرواة الأول فإنها لا تفيد الخبر.

ج- لو قبلناها لوقعنا في سوء الظن بعلم الله تعالى بالغيب ورسوله ﷺ والرواية الصحيحة لا تعقب الخطأ.

ثم بعد ذلك اختار الفراهي رواية للمجاهد لا ترد عليها تلك الاعتراضات.

وهكذا نظر الفراهي عند تفسير سورة الفيل فيما روي في لقاء عبد المطلب أبرهة من وجوه:

أ- لا يعتمد عليها لسندها لأنها تنتهي إلى ابن إسحاق وهو يروي عن اليهود والذين ليسوا بثقات.

ب- ما روي في ذلك من غيرها يخالفها ويردها.

ت- ما يبدو منها من أخلاق العرب وطبائعهم يخالف ما يخبرنا تاريخهم.

ث- يبدو منها أنها قد وضعت بأيدي الأعداء لأن فيها توطئة لغيرتهم وحنًا لمنزلة سيدهم وبالعكس من ذلك أنها تنم عن أن أبرهة عالٍ منزلة ومنيع شوكة.

فاتضح من ذلك أن الإمام الفراهي مع النظر في الإسناد عند تحقيق الرواية لا يغفل عن النظر في موافقتها لما يبدو من القرآن أم مخالفتها له فهو يبحث عن الراوي هل هو شهد الواقع أم يخبر بالسمع وهو يرى مع استخدام أصول الدراية هل الرواية تخالف العرف أو تهدم أصلًا من أصول القرآن.

هذا وبدا من هذا التفصيل أن الإمام الفراهي لا يمسّه شيء من سوء الظن بالحديث أو الإنكار له بل هو يسلك في انتقاد الروايات ما سلكه عامة نقاد الحديث وهو يسعى في ذلك أن يأولها إلى القرآن ويطبّقها عليه فإن تعارضت الروايات فيرجح بعضها على بعض وإن وجد رواية تناقض نصوص القرآن يردّها بدلائل كثيرة وإلا فيتوقف فيها لأن القرآن هو الأصل وأما الحديث فهو من الفروع.

## الشيخ عبد الحميد الفراهي وآراؤه عن الحديث النبوي

- البروفيسور أطفاف أحمد الأعظمي<sup>1</sup>

ترجمة من الأردوية: أصف إقبال<sup>2</sup>

قد أخطأ معظم العلماء والباحثين حتى ومعتقدوا الشيخ الفراهي في فهم اتجاهه نحو الحديث النبوي الشريف فاتهمه بعضهم بإنكار الحديث نظراً إلى بعض كتاباته، بينما تصدّي أتباعه للرد عليهم، ورفضوا هذه التهمة، فادّعوا أنّ الشيخ لم يذهب في هذا الباب إلا مذهب المحققين من العلماء، فيقول تلميذه الرشيد ووارث علومه، الشيخ أمين أحسن الإصلاحي:

"أؤكد أنني صحبتته، فلم يخطر ببالي قطّ أنه يحمل فكرة تختلف عن فكرة المحققين من العلماء، إنه كان يرى أنّ معظم الأحاديث مستنبطة من القرآن الكريم".<sup>3</sup>

وقد غلا بعض أتباع مذهب الأفكار الفراهيّة، وبَدَل كلمة "معظم" بـ "جميع" فجعل جميع الأحاديث مستنبطة من القرآن ومفسّرةً له.<sup>4</sup> وكلا الرأيين موضع نظر وتأمّل يكاد يرفضهما كلّ من درس كتابات الفراهي دراسةً عميقةً، فإنّ كتابات الشيخ الإصلاحي تحتوي على نوع شديد المغالطة، ولْيُلاحظ أنه كان يفرّق بين الحديث والسنة، فإطلاق القول من قبل الإصلاحي بأنه "كان يرى معظم الأحاديث مستنبطة من القرآن" لا يصحّ، وأما اعتقاد الكاتب الآخر فهو مثال مؤسف للجهل عن فكرة الفراهي، وكذا لا يصحّ أيضاً اتهامه بإنكار الحديث.

<sup>1</sup> كاتب هندي كبير للدراسات الإسلامية

<sup>2</sup> باحث، قسم اللغة العربية وأدائها، جامعة دلهي

<sup>3</sup> الشيخ حميد الدين الفراهي، تفسير نظام القرآن (ترجمة أردية: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي)، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم جره، 1990م، ومصنّف في مختصر حالات زندگی، ص: 16

<sup>4</sup> نسيم ظهير الإصلاحي، منهج التفسير للشيخ الفراهي، مجلة "تحقيقات إسلامی"، دوده فور، علی جره، (مارس 1991م)، ص 106.

ولكن نرى، قبل الخوض في هذه القضايا المتنازع فيها، أن نتعرض شيئاً لبعض الأمور الهامة المتعلقة بعلوم الحديث، وذلك مثلاً: الفرق بين "الحديث والسنة"، وأقسام الحديث، ومنزلة الحديث المتواتر وخبر الأحاد في الشريعة الإسلامية، وشرح مذاهب الفقهاء والمحدثين في هذا الباب وما إلى ذلك لكي يسهل علينا فهم نظرية الشيخ الفراهي فهمًا صحيحًا.

الفرق بين الحديث والسنة: الحديث - مصطلحاً - هو ما أضيف إلى النبي ﷺ قولاً له أو فعلاً أو تقريراً؛ والتقرير يعني كل ما أقره الرسول ﷺ من أفعال صدرت عن بعض أصحابه بسكوت منه مع دلالة الرضا، أو باستحسان أو تأييد.

فعلى هذا التعريف، الحديث والسنة شيء واحد ولا فرق بينهما، وهو الذي ذهب إليه أصحاب الحديث؛ لكن الفقهاء وجماعة من أصحاب الحديث لا يرضون بهذا التعريف، ويفرقون بين الحديث والسنة فيقولون: قد أضيفت إلى النبي ﷺ عدة أقوال تتعلق بالتوحيد والرسالة، والمعاد، وتاريخ الأمم وقصص الأنبياء وما إلى ذلك، وبديهي أن هذه الأمور ليست من نوع الأفعال ولا يُطلق عليها "فعل الرسول"، إنما هي أقوال فحسب، على أن سننه ﷺ قد بلغت حدّ التواتر، والأحاديث لم تبلغ هذه المنزلة، إنما هي آحاد، وأيضاً، فالذي وصفه القرآن أسوة الرسول ﷺ، وأمر باتباعها، هي في الحقيقة سننه المتواترة، والظاهر أن مجرد أقواله التي معظمها ظنيّة لا تدخل في هذه الأسوة. أقسام الحديث: الحديث بالنسبة لوصوله إلينا على نوعين: متواتر وآحاد، والمتواتر ما رواه عدد كثير تحيل العادة تواطؤهم على الكذب،<sup>1</sup> والآحاد ما لم تكن على هذه الصفة ويقلّ عدد رواته.

وينقسم المتواتر إلى قسمين: لفظي ومعنوي، والمتواتر لفظاً يكاد لا يوجد، وقد حكم بعض العلماء على عدة أحاديث بالتواتر اللفظي، وهي قليلة

<sup>1</sup> قد اختلف في عدد الرواة، فقيل: أربع، وقيل: خمسة، وقيل: اثنا عشر، وقيل: عشرون، وقيل: أربعون، وقيل: سبعون.



جداً،<sup>1</sup> وأما المتواتر المعنوي، فهو الآخر يعزُّ وجوده، وقد عُدت بعض روايات الصحيحين من قبيل المتواتر المعنوي.<sup>2</sup>

وخبر الأحاد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: مشهور، وعزيز، وغريب، فالمشهور: ما رواه ثلاثة فأكثر في كل طبقة، ما لم يبلغ حدَّ التواتر، والعزيز: ما لا يقلّ رواته عن اثنين في جميع طبقات السند، والغريب: ما ينفرد بروايته راوٍ واحد في موضع من السند. والحديث بالنسبة إلى قوّته وضعفه ينقسم إلى ثلاثة أقسام: صحيح، وحسن، وضعيف، فالصحيح ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط، عن مثله إلى منتهاه، من غير شذوذ ولا علة<sup>3</sup> والحديث الحسن دون الحديث الصحيح في القوّة، فالحسن هو الذي اتصل سنده ولكن لم يكن رواته من المرتبة العليا،<sup>4</sup> والضعيف: ما انقطع سنده، وبعبارة أخرى: هو ما لم يجمع شروط الصحيح والحسن، وينقسم الحديث الضعيف إلى أقسام عديدة لا حاجة إلى ذكرها في هذا الموضع، وهذا التقسيم الذي ذكرناه باعتبار القوّة والضعف يتعلق بخبر الأحاد. والحديث عند الحنفية ينقسم إلى ثلاثة أقسام: متواتر، ومشهور، وأحاد، والأحاد عندهم ما لم يبلغ حدَّ التواتر. وأما المتواتر فهو الذي يرويه عدد كثير تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، والمشهور ما هو أحاد في طبقة الصحابة وصار مشهوراً في الطبقات المتلاحقة،<sup>5</sup> ثم المشهور يفيد العلم اليقيني إلا أن العلم الحاصل به دون العلم الذي يحصل بالمتواتر.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> مثل حديث شق القمر، والمسح على الخفين، وإنما الأعمال بالنيّات، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده في - فقد صرح ابن حجر أن عدد رواة هذا الحديث بلغ أكثر من أربعين، كلّهم صحابة، وجلّهم من العشرة المبشّرة.

<sup>2</sup> حديث رفع الأيدي في الدّعاء، بلغ عدد رواته مئة على ما قال السيوطي.

<sup>3</sup> وهو على قسمين: الصحيح لذاته والصحيح لغيره.

<sup>4</sup> وهو أيضاً على قسمين: الحسن لذاته والحسن لغيره.

<sup>5</sup> عمر سليمان الأشقر، أصل الاعتقاد، الدار السلفية، الكويت، 1399هـ، ص 24-25.

<sup>6</sup> بدران أبو العينين، أصول الفقه، الكويت، ص 108 وأصول السرخسي، 291/1.

منزلة الحديث المتواتر والآحاد شرعاً: قد اتفق الفقهاء وأهل الحديث على أن المتواتر مفيد للعلم اليقيني ولكنهم اختلفوا في الآحاد: هل يفيد القطع كذلك أم لا؟ فذهب المتكلمون والأصوليون إلى أنه لا يفيد القطع واليقين، فقال الإمام البزدوي (482هـ): "وهذا لأن خبر الواحد محتمل لا محالة، ولا يقين مع الاحتمال، ومن أنكر هذا فقد سفه نفسه وأضلّ عقله".<sup>1</sup> وقال أيضاً: "وهكذا نجد نصوص العلماء، متكلمين وأصوليين، مجمعة على أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين، فلا تثبت به العقيدة، ونجد المحققين من العلماء يصفون ذلك بأنه ضروري لا يصح أن ينازع أحد في شيء منه".<sup>2</sup>

وقد نصّ على ذلك الإمام الغزالي (505هـ) في كتابه "المتشفي" الذي ألفه في أصول الأحكام ما نصّه: "خبر الواحد لا يفيد العلم"<sup>3</sup> ويقول موضحاً مراده من خبر الواحد: "إننا نريد بخبر الواحد في هذا المقام ما لا ينتهي من الأخبار إلى حد التواتر المفيد للعلم، فما نقله جماعة من خمسة أو ستة فهو خبر الواحد".<sup>4</sup>

وأما المحدثون فمذهبهم أن الآحاد تفيد اليقين، وتوجب العمل في العقائد والأحكام معاً. صرح العلامة ابن القيم الجوزية في "الصواعق المرسلّة" (475/2) والعلامة بن حزم في "الإحكام في أصول الأحكام" (127/1) والعلامة الشوكاني في "إرشاد الفحول" (ص 47) فيقول الشوكاني: "وقد ذهب الجمهور إلى وجوب العمل بخبر الواحد، وأنه قد وقع التعبد به".<sup>5</sup> وقال الشيخ ناصر الدين الألباني في كتابه "حديث الآحاد حجة في العقائد والأحكام": "إن القائلين بأنّ حديث الآحاد لا تثبت به عقيدة، يقولون في الوقت نفسه بأنّ الأحكام الشرعيّة تثبت بحديث الآحاد، وهم بهذا قد فرقوا بين العقائد والأحكام، فهل تجد هذا التفريق في النصوص

<sup>1</sup> الشيخ الشلتوت، الإسلام عقيدة وشرعة، مصر، ص 74.

<sup>2</sup> الإسلام عقيدة وشرعة، ص 76.

<sup>3</sup> الإمام غزالي، المتشفي، مصر، ص 14.

<sup>4</sup> المصدر نفسه

<sup>5</sup> العلامة الشوكاني، إرشاد الفحول إلى علم الأصول، دار المعرفة، بيروت ص 48.

المتقدمة من الكتاب والسنة، كلا، وألف كلا؛ بل هي بعمومها وإطلاقاتها تشمل العقائد أيضاً<sup>1</sup>.

ولكن المحدثين صرحوا بأنّ الأحاد تعتمد في إفادته العلم على قرائن تنضم إليها، فيدور الأمر في ذلك على صحّة القرائن وضعفها، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: "الخبر المحتفّ بالقرائن قد يفيد العلم"<sup>2</sup> وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولهذا كان الصحيح أنّ خبر الواحد قد يفيد العلم إذا احتفّت بالقرائن يفيد العلم"<sup>3</sup> ويقول الشيخ أنور شاه الكشميري في تعليقاته على "صحيح البخاري": "حاصله أنه يفيد القطع إذا احتفّ بالقرائن، ونسب إلى أحمد أنّ أخبار الأحاد تفيد القطع مطلقاً"<sup>4</sup>.

وقد صرح الحافظ ابن حجر العسقلاني بأنّ ما أخرجه الشيخان في صحيحهما من أخبار الأحاد يفيد القطع واليقين، وكذلك ما هو مشهور أو مسلسل بالأئمة الحفاظ المتقنين، فيقول عن أحاديث الصحيحين: "ما أخرجه الشيخان في صحيحهما مما لم يبلغ التواتر، فإنّه احتفّ بالقرائن"<sup>5</sup>.

ولنعرف هنا مرادهم بالقرائن، فيقول الحافظ عن أحاديث الصحيحين: "فإنّه احتفّ به قرائن، منها: جلالتهما في هذا الشأن، وتقدمهما في تمييز الصحيح على غيرهما، وتلقي العلماء كتابهما بالقبول"<sup>6</sup>، ونحو هذه الأدلة على قطعية الأحاد ذكرها الحافظ ابن كثير<sup>7</sup> (774هـ) في "مختصر علوم الحديث" (ص 35)، والعلامة الشوكاني "في إرشاد

<sup>1</sup> الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، حديث الأحاد حجة في الاعتقاد والأحكام، الطبعة الثالثة، الدار السلفية، الكويت، 1400هـ، ص 45.

<sup>2</sup> ابن حجر العسقلاني، شرح النخبة، بتصرف يسير، الكويت، ص 76.

<sup>3</sup> الأمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، الرياض، 40/18.

<sup>4</sup> الشيخ أنور شاه الكشميري، فيض البارئ، دار المعرفة، بيروت، 506/4.

<sup>5</sup> شرح النخبة.

<sup>6</sup> المصدر نفسه

<sup>7</sup> الحافظ ابن كثير، مختصر علوم الحديث (تحقيق: أحمد محمد شاكر)، دار المعارف، ص 35، وصرح ابن كثير بأن جميع أحاديث الصحيحين صحيحة مفيدة لليقين.

الفحول" (ص 49) والحافظ ابن تيمية في "فتاواه" فيقول ابن تيمية: "فهذا يفيد العلم، ويجزم بأنه صدق، لأن الأمة تلقت بالقبول تصديقاً عملاً لموجبه، والأمة لا تجتمع على ضلالة، أجمعت الأمة على صحة أحاديث البخاري ومسلم".<sup>1</sup>

ولكن الأدلة التي استدلت بها المحدثون كلها ظنيّة غير علميّة، إذ لا يكفي لثبوت شيء في الدين مجرد أن يقال: قد قاله فلان، أو ذكره في كتابه، أو تلقت الأمة أقواله وأفعاله بالقبول. وإلا فيلزم تصويب كل جماعة دينية توجد في العالم، إذ ليست جماعة إلا ويصوب أقوالها وأفعالها علماؤها الكبار، وبألفاظ أخرى، فكل جماعة أو قوم يتلقى أقوال وأفعال زعماءه الروحانيين بالقبول ويعمل بها.

ولذلك فالأحاد لا تصحّ حجة لإثبات مهمات الدين وضاحة في العقائد فإنه لا بدّ لذلك من نصّ صريح. نعم، الأحاد تصلح مؤيدةً لتلك النصوص، قد اختار هذا الرأي عدد غير قليل من العلماء قديماً وحديثاً، فيقول الشيخ أبو الأعلى المودودي: "لا تكفي الأحاد حجة في العقائد التي تعتبر مداراً للكفر والإيمان، فإنه لا بد فيها من نصوص الكتاب، أو الأحاديث المتواترة لفظاً، على الأقل فلا بد من الأحاديث التي تواترت معني، يعني أنه يجب أن تتفق أحاديث الرواة الكثرين - وإن اختلفت لفظاً - على أنّ النبي ﷺ علّم أمته عقيدة كذا، وأما الفروع فتكفي لها الأحاد إذا كانت صحيحة الإسناد، لكن الأمور التي تشكّل فصلاً في باب الكفر والإيمان فإنها تحتاج إلى شهادة قوية للغاية".<sup>2</sup>

خبر الواحد والأحكام الشرعية: أما المحدثون فمذهبهم في الأحكام كمذهبهم في العقائد في وجوب العلم بالأحاد؛ لكن الفقهاء، وخاصةً الحنفيّة منهم خالفوهم، وذهبوا إلى أنّ الأحاد لا تُثبت أصول الأحكام، كما أنّها لا تثبت العقائد، إلا أنّهم أجازوا استنباط الأحكام الفرعية منها، فأصول الأحكام ليس لها عندهم إلا مصدر واحد، وهو القرآن المجيد، ثم الأحاديث المشهورة.

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى، 17/18.

<sup>2</sup> السيد أبو الأعلى المودودي، سنت كي آيتي حيثيت، لاهور، باكستان، 1863م، ص 158.

فيقول الشيخ محمد أبو زهرة: "والحق أننا إذ استفتينا الشافعي وأحمد بن حنبل، وفقهاء الظاهر الذين جاؤوا من بعده، الفقهاء جميعاً من لدن عصر الصحابة إلى آخر عصر الاجتهاد، قد تركوا أخبار الآحاد، وردّوا نسبتها إلى رسول الله ﷺ لمخالفتها لأصول ثابتة لديهم، قد أخذوا بالاستنباط من القرآن أو المشهور من الآثار"،<sup>1</sup> وقد بلغ الإمام السرخسي إلى أن قال: "الأحكام التي تثبت بخبر الآحاد لا يعاقب بتركها، لأنها ليست بفريضة ولا واجبة".<sup>2</sup>

فكرة الشيخ الفراهي: والآن وقد فرغنا من إلقاء ضوءٍ خاطفٍ على علم الحديث وتعريفه وتقديم آراء المحدثين والفقهاء فلنقدّم رأي الشيخ الفراهي عنها فإليكم ما يلي: ظنّية الحديث: يرى الشيخ الفراهي كالأصوليين أن الأحاديث (أخبار الآحاد) ظنّية، لا تفيد القطع واليقين، فقد صرح الشيخ بأن خبر الواحد يحتمل كلاً من الصدق والكذب فليس من البعيد أن يكون الراوي قد أخطأ في فهمه، أو لم يؤد الرواية ألفاظها أو معناها على وجهها، فيقول الشيخ: "آحاد خبر محتمل صدق وكذب، وخطأ فهم وتبديل در ادائ خبر است"<sup>3</sup> يعني: "أن خبر الآحاد يحتمل الصدق والكذب، والخطأ في الفهم، والتغير في أداء الرواية".

هذا، ولاحتمال الكذب في حديث الرسول الله ﷺ أسباب عديدة، لا بد من معرفتها، ليسهل علينا التوصل إلى حقيقة ظنّية الأحاديث.

ومما لا يخفى أن المحدثين قد بذلوا جهوداً مضنية جبارة في جمع الأحاديث والتنقيب عن رجالها، وعلى الرغم من ذلك فلا نستطيع الجزم على حديث ما بأنه قول الرسول ﷺ حتمًا، وأنه لم يطرأ عليه خلل من تقديم وتأخير، وزيادة ونقص، بوعي أو بدون وعي فإنه يتعذّر على الذاكرة، مهما كانت قويّة، الإحاطة بجميع الأجزاء التركيبية لقول ما، ولذلك فقد كان عبد الله بن مسعود، وأنس بن مالك-

<sup>1</sup> الشيخ محمد أبو زهرة، أبو حنيفة حياته وعصره، الطبعة الرابعة، ص 248.

<sup>2</sup> فخر الإسلام علي بن محمد البزدوي، كشف البزدوي (كشف الأسرار)، بيروت، 1974م، 2/310.

<sup>3</sup> هامش شرح الموطأ، راجع مجلة "تدبر"، لاهور، باكستان، خالد مسعود، نومبر 1991م، ص 39.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

رضي الله عنهما- إذا حدّثا بحديث أتبعاه قولهما "أو كما قال رسول الله ﷺ" أو "هكذا"، أو "نحو هكذا قال ﷺ". وهذه كانت حال الرواة الأولين وأما من جاؤوا بعدهم فلم يحافظوا حتى على ألفاظ الصحابة، فضلاً عن ألفاظ الرسول ﷺ ولم يكن ذلك بالمستطاع، فكان من اللازم نظراً إلى عدم المحافظة على ألفاظ الرسول ﷺ أن يقع الاختلاف في الرواية، فمن عهد الصحابة قد بدأ الاختلاف في الروايات،<sup>1</sup> وأما عدم محافظتهم على ألفاظ الرسول ﷺ فالسبب فيه قوله ﷺ: "من كتب عني غير القرآن فليَمْحُهِ"<sup>2</sup> فلم يسمح النبي ﷺ بكتابة الحديث، اللهم إلا بعض الأحاديث التي كانت تتعلّق بالزكاة وغيرها، فصحيفة علي رضي الله عنه المشهورة تحتوي على بيان أحكام الصدقة.<sup>3</sup>

واختلاف الصحابة في الروايات هو الذي حمل أبا بكر-رضي الله عنه- على ما أوصى به الصحابة -رضي الله عنهم- في زمن خلافته، حيث قال: "فلا تحدّثوا عن رسول الله ﷺ شيئاً، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله"<sup>4</sup> وهذا الاختلاف هو الذي أدّى عمر-رضي الله عنه- إلى إحراق صُحُف الحديث، وبالتالي قوله في مجلس الصحابة: "إني والله لا أنوب كتاب الله بشيء أبداً"،<sup>5</sup> وقد بلغ عمر-رضي الله عنه- من شدّته في هذا الأمر أن حبس الصحابة الأجلة: عبد الله بن مسعود، وابن أبي الدرداء، وأبي مسعود-رضي الله عنهم- الذين كانوا يكثرّون من رواية الأحاديث.<sup>6</sup> وإلى ذلك كلّه فاختلاف فهم الراوي أيضاً مما لا يُغْمض عنه البصر في ضبط الحديث، فيمكن-إمكاناً قوياً- أن النبي ﷺ قد قال شيئاً، فأخطأ الراوي في فهمه من غير وعي منه، وقد أشار علماء الدراية إلى عدّة أحاديث من هذا النوع، وسنورد بعضاً منها فيما يلي:

<sup>1</sup> الحافظ الذهبي، تذكرة الحفاظ، دائرة المعارف، حيدر آباد، الهند، 7/1.

<sup>2</sup> الإمام مسلم، صحيح مسلم، أميريّه، 1335هـ.

<sup>3</sup> العلامة ابن عبد البر، جامع العلم، مصر، 119/1.

<sup>4</sup> تذكرة الحفاظ، 3/1.

<sup>5</sup> جامع بيان العلم، 64/1.

<sup>6</sup> تذكرة الحفاظ، 64/1.

1. ورد في صحيح مسلم أنّ عمر- رضي الله عنه- قال: إنّ الميت ليعذب ببكاء أهله عليه" فلمّا بلغ ذلك عائشة- رضي الله عنها- قالت: "يرحم الله عمر، والله ما حدّث رسول الله ﷺ أنّ الله يُعذب المؤمن ببكاء أحد، ولكن قال: إنّ الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه، وقالت عائشة: رضي الله عنها- حسبكم القرآن: ولا تزر وازرة وزر أخرى".<sup>1</sup>
2. وروى أحمد في "مسنده" عن أبي حسان قال: دخل رجلان من بني عامر على عائشة- رضي الله عنها- فأخبراهما أنّ أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ أنّه قال: الطيّرة في الدار والمرأة والفرس "فغضبت فطارت شقّة منها في السماء، وشقّة في الأرض، فقالت: والذي أنزل الفرقان على محمد، ما قالها رسول الله ﷺ قط. إنّما قال: "أهل الجاهليّة يتطيّرون من ذلك".<sup>2</sup>
3. وأخرج أبو داود الطيالسي من علقمة قال: كنّا عند عائشة- رضي الله عنها- فدخل أبو هريرة- رضي الله عنه- فقالت: يا أبا هريرة، أنت الذي تحدّث أنّ امرأة عذّبت في هرة لها ربطتها لم تطعمها، ولم تسقها فقال أبو هريرة- رضي الله عنه- سمعته منه، فقالت عائشة:- رضي الله عنها- أتدري ما كانت المرأة، قال: لا، قالت: إنّ المرأة مع ما فعلت كانت كافرة، إنّ المؤمن أكرم على الله من أن يعذّبه في هرة، فإذا حدّثت عن رسول الله ﷺ فانظر كيف تحدّث؟<sup>3</sup>
4. وأخرج الترمذي عن أبي سلمة، عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "الوضوء مما مسّت النار، ولو من ثور أقط". قال: فقال له ابن عباس: يا أبا هريرة، أنتوضأ من الدهن؟ أنتوضأ من الحميم؟ الحديث.<sup>4</sup> والكلمة النهائية- وهي في غاية الأهميّة- أنّ ما وصل إلينا من الأحاديث أو الأقوال المضافة إلى الرسول ﷺ إنّما رُويت معني لا لفظاً، وجلّها آحاد، فهناك إمكان قوي

<sup>1</sup> صحيح مسلم، رقم الحديث: 215.

<sup>2</sup> مسند أحمد، 240/6.

<sup>3</sup> مسند أبي داود الطيالسي رقم: 99.

<sup>4</sup> الترمذي رقم: 79.

أن يكون ما يعدّ قول الرسول، لم يكن قوله، أو وقع فيه تحريف، أو غيرت معناه بالكلية سلسلة الروايات، والأسانيد الطويلة، أو لم يرو منه إلا بعض أجزائه، فيقول المحدث الفقيه الملا علي القاري (1024هـ):

"لأنّ هذا كلّ بحسب ما ظهر للمحدثين من حيث النظر إلى الإسناد، وإلا فلا مطمع للقطع في الاستناد لتجوز العقل أن يكون الصحيح في نفس الأمر موضوعاً، والموضوع صحيحاً".<sup>1</sup>

فنظرًا إلى هذه الوجوه رأى الشيخ الفراهي كغيره من العلماء المحققين أنّ الأحاد ظنيّة، وأنكر إثبات العقائد بها.<sup>2</sup>

تحديد قويم لمنزلة خبر الأحاد: إذا كان خبر الواحد يحتمل الصدق بجانب احتمال الكذب، فلم يردّ الشيخ الفراهي الأحاد مطلقاً، كما فعله فقهاء الأحناف، بل جعلها فرعاً، ووضع القرآن في منزلة الأصل والأساس، فقد نصّ بالفاظ صريحة على أنّ خبر الواحد ينبغي أن يؤيد به القرآن إذا كان بينهما توافق معنوي، فيقول في مقدمة تفسيره "نظام القرآن":

"من المأخذ ما هو أصل وإمام، ومنها ما هو كالفرع والتبع. أما الإمام والأساس فليس إلا القرآن نفسه، وأما ما هو كالتبع فذلك ثلاثة: ما تلقته علماء الأمة من الأحاديث النبوية وما ثبت واجتمعت الأمة عليه من أحوال الأمم وما استحفظ من الكتب المنزلة على الأنبياء ولولا تطرق الظن والشبهة إلى الأحاديث والتاريخ والكتب المنزلة من قبل لما جعلناها كالفرع بل كان كل ذلك أصلاً ثابتاً يعضد بعضه بعضاً من غير مخالفة".<sup>3</sup>

ويقول في موضع آخر:

<sup>1</sup> الملا علي القاري الهروي، المصنوع في معرفة الحديث، تحقيق: عبد الفتاح أوب غده قاهره، 1984ء ص 44.

<sup>2</sup> الشيخ حميد الدين الفراهي، التكميل في أصول التأويل، الدائرة الحميدية سرائ مير، أعظم جره، 1411هـ ص 69.

<sup>3</sup> فاتحة نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص 10.



"والذي يهتك هو أن تجعل بين ما نطق به القرآن وبين ما تجد في الفروع سدًا وحاجزًا فلا تخلطهما فالقدر الذي في القرآن ثابت والذي زاد عليه مظنة للوهم فلا تجعل من أنكر بعض ما في الفروع كالذي أنكر القرآن".<sup>1</sup>

ونظرًا إلى هذه النصوص اتهمه بعض العلماء بإنكار الحديث، ولو كان هذا الرأي إنكارًا للحديث لكان الأئمة الأربعة، وخاصة الإمام أبو حنيفة وأصحابه -رحمهم الله تعالى- أولى بهذه التهمة، فإنَّ الشيخ الفراهي -كما تقدم- لم يترك الأحاد بالكلية؛ بل جعلها بمنزلة الفرع، أما الفقهاء فلم يقيموا لها وزنًا، وآثروا القياس على الحديث الصحيح، وذلك مثلاً: قد روى البخاري أنَّه "ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة" فالإمام أبو حنيفة رحمه الله ترك الحديث، وجعل الزكوة فرضًا في الثمار والحبوب وإن كانت دون خمسة أوسق، فبناءً على ذلك، هل يمكننا أن نتهمه بإنكار الحديث.

وهكذا لا تجوز تحية المسجد إذا كان الإمام على المنبر وبدأ الخطبة، على أن الحديث الصحيح ورد بجوازه، وهكذا الشأن في دعاء الاستفتاح فإنه قد ورد فيه حديث متفق عليه، والإمام مالك -رحمه الله- لا يقول به، لأنَّ عمل أهل المدينة كان بخلافه، وإليكم مزيد من الأمثلة لذلك:

1. قد ورد في الحديث "لا تصبروا الإبل والغنم، فمن ابتاعها بعد ذلك؛ فإنه بخير النظرين بعد أن يحتلبها، إن شاء أمسك، وإن شاء ردّها، ومعها صاعًا من تمر"<sup>2</sup> والحنفية لا يعملون به لمخالفة القياس.
2. إذا تزوج الرجل امرأة، ولم يعين المهر، ثم مات قبل أن يدخل عليها، فماذا تستحق المرأة في الإرث، فذهب الإمام أبو حنيفة وأحمد رحمهما الله أنَّها تأخذ نصيبها من الإرث مع مهر المثل، وهو ثابت بالحديث<sup>3</sup> لكن المالكية لا يعملون به لمخالفة القياس، والإمام الشافعي رحمه الله أيضًا يوافقهم؛ لعدم ثبوت الحديث عنده.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 11.

<sup>2</sup> أخرجه الإمام البخاري (البيوع: النهي للبائع أن لا يحفل بالإبل والغنم) ومسلم (البيوع: حكم بيع المصرة).

<sup>3</sup> أخرجه الترمذي (الفرائض: ما جاء في ميراث المرأة من دية زوجها)

3. قد ورد في الحديث: إذا تباع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا، وكنا جميعاً<sup>1</sup> وهذه المسألة تعرف بـ"خيار المجلس" في اصطلاح الفقه، فالإمام الشافعي والإمام أحمد رحمهما الله صحّحا الحديث وعملا به، وأما الإمام مالك والإمام أبو حنيفة رحمهما الله فلم يعملوا به لمخالفة القياس.

فقد رأيت في القضايا العديدة أنهم رجّحوا القياس على الأحاديث الصحيحة، ولا أستثني منه أحداً من الأئمة الفقهاء، وبالرغم من ذلك لا يهتمون بإنكار الحديث، والحق أنّ كلاً من المحدثين والفقهاء ضلّوا جادة الاعتدال في هذا الباب، ووجهات كلا الفريقين قد تعرّضت للإفراط والتفريط، وقد انتقد الشاه ولي الله المحدث الدهلوي سلوكهم هذا، فيقول: "أما هذه الطبقة الذين هم أهل الحديث والآثار، فإن الأكثرين إنما هم وكدهم: الروايات وجمع الطرق وطلب الغريب والشاذ من الحديث الذي أكثره موضوع أو مقلوب، لا يراعون المتن، ولا يفهمون المعاني، ولا يستنبطون سرّها، ولا يستخرجون ركازها وفقهها، وربما عابوا الفقهاء، وتناولوهم بالطعن، وادّعوا عليهم مخالفة السنن، ولا يعلمون أنهم عن مبلغ ما أوتوه من العلم قاصرون، وبسوء القول فيهم آثمون. وأما الطبقة الأخرى وهم أهل الفقه والنظر فإن أكثرهم لا يعرفون من الحديث إلا على أقلّه، ولا يكادون يميّزون صحيحه من سقيم، ولا يعرفون جيده من رديئه، ولا يعبؤون بما بلغهم منه أن يحتجّوا به على خصومهم".<sup>2</sup>

الفرق بين الحديث والسنّة: كان الشيخ الفراهي يفرق بين الحديث والسنّة، كغيره من العلماء المحققين، كما أسلفنا، وقد قدّمنا وجه التفريق أيضاً، وهو كون الأحاد ظنيّة، لكن السنن يختلف أمرها عن الأحاد، فلا يتوقف ضبطها ونشرها على روايتها قولاً، وإنما صيغت في عمل أهل الإيمان، ثم نقلت إلينا في صورة أفعالهم، وهي أصون ما يكون من الشكل، وإن وقع فيها اختلاف ما، فإنّما هو جزءي.

<sup>1</sup> أخرجه البخاري (البيوع: إذا خیر أحدهما بعد البيع فقد وجب) ومسلم (البيوع: ثبوت خيار المجلس للمتبايعين).

<sup>2</sup> الشاه ولي الله الدهلوي، الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، دار النفائس، بيروت، ط3، 1986م، ص 64-65

والحق أنّ جميع أفعال النبي ﷺ كانت معلومة لصحابته، ولم تكن مخفية عليهم حتى شؤون المنزلية، وقد أمر النبي ﷺ أزواجه بأن يخبرن الناس عن كل ما يشاهدنه في داخل البيت، ولذلك فليس من الممكن أن يصدر عن النبي ﷺ عمل يتعلق بالدين إلا وقد اطلع عليه جماعة كثيرة من الصحابة وعملوا به ثم رآهم الآخرون فعملوا به، وهكذا جرى العمل به في كلّ عصر وزمان، فصار عمله ﷺ محفوظاً بهذا التواتر، فنستطيع اليوم أن نقول وبيقين بالغ: إنّ طريقة أداءنا للصلاة هي عين طريقة النبي ﷺ لأدائها، وطريقة صومنا هي عين طريقته في الصوم، وهكذا الشأن في الحج وغيره، ولذا كان الشيخ الفراهي يقول بوجوب العمل بالسنن المتواترة في كل حال،<sup>1</sup> فيقول في كتابه "إحكام الأصول":

"--- فإنهم (السلف والأئمة) لصحة مذهبهم في أمور الدين اعتصموا بالكتاب والسنة كليهما ولم يرفضوا واحداً منهما، كما فعل المبطلون الملحدون ولكنهم جروا في ذلك على ذوقهم، لا على أصول راسخة فبقي النزاع بينهم في طرق التطبيق وقليل من الاختلاف في الفروع".<sup>2</sup>

فيتّضح من هذه العبارة أنّ الشيخ الفراهي كان يعتبر إنكار السنّة كفرةً وإلحاداً، وينكر التفريق بين القرآن والسنة، فيقول في نفس الكتاب:

"فإن الله تعالى أمرنا عموماً بإطاعة الرسول ﷺ وأمر الرسول بالحكم بما يريه الله تعالى سواء كان بالكتاب أو بالنور والحكمة التي ملأ الله بها قلبه".<sup>3</sup>

وكان الشيخ الفراهي يرى أنّ الله تبارك وتعالى بجانب حفظه القرآن، قد حافظ على الاصطلاحات الشرعيّة من الصلاة، والزكاة، والصوم والحج ومعاني الأعمال المتعلقة بها فيقول الشيخ الفراهي في مقدّمة تفسيره "نظام القرآن":

<sup>1</sup> تنقسم السنة كالحديث إلى قسمين: متواترة، وغير متواترة، فالسنن المتواترة يجب العمل بها، لأنّها تفيد اليقين، وأما السنن غير المتواترة، فينظر فيها، فإن تخالف نصّاً قرآنياً صريحاً فقد وجب العمل بها، وإلا فالتوقف أولى.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 111

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 32.

"كذلك حفظ الاصطلاحات الشرعية كالصلاة والزكاة والجهاد والصوم والحج والمسجد الحرام والصفاء والمرورة ومناسك الحج وأمثالها، وما يتعلق بها من الأعمال المتواترة المتوارثة الماثورة من السلف إلى الخلف، والاختلاف اليسير فيها لا اعتبار له، ألا ترى أن اسم الأسد مثلاً معلوم معناه، مع اختلاف يسير في صورة الأسود من بلاد مختلفة، فالصلاة المطلوبة مثلاً هي صلاة المسلمين، ولو اختلفت اختلافاً خفيفاً، ومن يلتمس التدقيق فيها فقد جهل مكان الدين القويم الإلهي الذي علّمه القرآن".<sup>1</sup>

ووللشيخ عبيد الله السندهي بيان في هذه القضية، تجدر ملاحظته؛ فإنه سيساعدنا في فهم فكرة الشيخ الفراهي عن الحديث والسنة، فيقول الشيخ السندهي<sup>2</sup>: "قدم الشيخ الفراهي لأداء فريضة الحج في نفس العام الذي وصلت إلى مكة بعد جولتي الطويلة لكل من كابل، وروسيا، وتركيا فوقع بيننا لقاءات طويلة، وبدأت أفكارنا تتوافق؛ لكن مسألة إنكار الحديث صار موضوع البحث مرة ثانية، فقلت بالتأكيد: لا بد لك من الاعتراف بالحديث كمصدر تشريعي، ورددت على إنكار الحديث بشدة فضاق ذرعاً وقال: ماذا تريد أنت. قلت: أن تعترف بموطأ مالك، فقال: أعترف به، فقلت: فانتهى بينا النزاع من اليوم، ولا نكرهك على تسليم صحيح البخاري".<sup>3</sup>

فاتضح من ذلك جلياً أن الشيخ عبيد الله السندهي لما لم يفرّق بين الحديث والسنة اعترضت له مشكلة كغيره من العلماء في فهم فكرة الشيخ الفراهي؛ لكن الشيخ الفراهي لما اعترف بموطأ مالك، عرف السندهي أن الفراهي إنما ينكر أخبار الأحاد، فقال بعد ذلك: "فانتهى بيننا النزاع من اليوم".

واعتراف الشيخ الفراهي بموطأ أكبر دليل على أنه كان يعتبر السنة مصدراً تشريعياً؛ فإن الموطأ ليست إلا مجموعة حديثية ألّفت على أصل "تعامل أهل

<sup>1</sup> فاتحة نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص 13

<sup>2</sup> الشيخ عبيد الله السندهي، شاه ولي الله اور ان كا فلسفہ سندھ، أكاديمية لاهور، 1982م، ص 141.

<sup>3</sup> ولكن الشيخ أمين أحسن الإصلاحي رد عليه، وقال: إنه أعرف منه بالشيخ الفراهي (انظر: تفسير نظام القرآن، مصنف كي مختصر حالات زندغي، ص 16) وعندي رأي الشيخ السندهي راجح.

المدينة" يعني أنها لا تضمّ إلا الأحاديث التي جرى بها عمل أكثر أهل المدينة وخاصةً عمل فقهاءها، ولم يدخل فيها إلا القول الذي صار معروفًا بين أهل المدينة (أهل العلم) وتلقّى منهم القبول.

والأسوة الحسنة التي أمر الله المؤمنين باتباعها في القرآن (سورة الممتحنة: 6) تتعلق بأفعال النبي ﷺ الدينية؛ لأنّ أصول الدين وكلّياته قد فصلها القرآن تفصيلًا لا يبقى بعده إشكال أو إبهام معنوي لدى العقل السليم، وإن ظهر ذلك عند أحد فإنّما هو لقلة علمه وتدبّره، لا أنّه في الواقع كذلك.

ولم يكن الشيخ الفراهي يعتبر السنة مصدرًا تشريعيًا فحسب؛ بل كان يعمل بها ويطبّقها في حياته العملية بغاية الاهتمام، يقول الشيخ أمين أحسن الإصلاح: "وكان له اهتمام بالغ باتباع السنّة في العمل أيضًا، وكثيرًا ما كنت أشعر في صحبتته أنّه يجعل نصب عينيه في الغالب "زاد المعاد" لابن القيم - رحمه الله - في المسائل العملية، وكان أسلوبه حكيماً للغاية، ولذلك كنت أعتقد قبل زيارته أنّه لا يلقي كبير عناية على المسائل الفروعية، لكنّه كان يقوم بمحاسبة نفسه وتلاميذه حتى في الجزئيات، إذا كان الأمر يتعلق باتباع السنّة".<sup>1</sup>

والآن، وقد انتهينا من استعراض فكرة الشيخ الفراهي أصوليًا عن الحديث والسنّة، فلنتناول المسألتين الهامتين: الأولى: مكانة الحديث في التشريع الإسلامي، والثانية: مسألة تفسير القرآن بالحديث، فلنعرف موقف الشيخ الفراهي من هاتين القضيتين.

مكانة الحديث في التشريع الإسلامي: قد ذهب أكثر العلماء إلى أنّ الحديث مصدر للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، فيقول الشيخ أبو الأعلى المودودي - رحمه الله - معبرًا عن رأيه بهذا الشأن: "وهذا القانون المحمدي - على صاحبه الصلاة والسلام - هو الذي يمثّل مشيئة الحاكم الأعلى (أي الله تبارك وتعالى) وقد

<sup>1</sup> تفسير نظام القرآن، ص 16.

وصل إلينا هذا القانون بصورتين: الأولى: بشكل القانون المشتمل على أحكام وتعاليم ربّ العالمين كلمةً كلمةً، والثانية: بشكل الأسوة الحسنة للرسول ﷺ أو سنّته التي تُبيّن منشأ القرآن ومراده، ولم يكن رسول الله ﷺ حاملاً للرسالة فحسب بأن لا تكون وظيفته إلا إبلاغ الرسالة... فهذا العمل الجليل الذي قام به في حياته التي تستغرق 21 عامًا بعد بعثته هو السنّة، التي تقف بجانب القرآن وتكمل معه القانون الأرفع للحاكم الأعلى، وذلك القانون هو الذي يسعى بالشرعية في مصطلح الإسلام".<sup>1</sup>

ولكن لا يصح هذا التعميم. والصواب أنّ جميع أحكام الرسول ﷺ لا تشكّل مصدرًا مستقلًا؛ فإن إمعان النظر في الأحكام المضافة إليه ﷺ يوضّح أنّ أكثرها ليست إلا تشريع أو توضيح لأصل من أصول القرآن تعميمًا لخاصّته، أو تخصيصًا لعامة، أو تشكيلاً عملياً، وبألفاظ أخرى إنّها بمنزلة الأحكام التوضيحية، وأما ما سكّته عنه القرآن فهذا النوع من الأحكام تشكل مصدرًا مستقلًا بلا ريب إذا لم تكن معارضةً لنصّ القرآن، وهي في الحقيقة اجتهادات الرسول ﷺ التي تكون مستنبطةً من أصل قرآنيّ، وإن كنا لا نعرف وجوه الاستنباط، فقال الله عز وجل: "ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله".

ففي هذه الآية قد أضيف التحريم إلى الرسول ﷺ كما أضيف إلى الله تعالى مما يدلّ على اختيار الرسول ﷺ في التحريم، إلا أنّ خياره ليس بمطلق؛ بل تحت تحريم الله تعالى فلذا آخر في الآية، ولفظ آخر، لا يستطيع الرسول أن يحرم إلا ما يماثل الحكم المنصوص في القرآن باعتبار العلة، فيقول الله عز وجل: "قل لا أجد فيما أوحى إليّ محرّمًا على طاعمٍ يطعمه". (سورة الأنعام: 145)

فهذه الآية توضّح أنّ الرسول ﷺ لا يحلّ إلا ما أحله الله، ولا يحرمه إلا ما حرّمه الله، فعلم من ذلك أنّ ما أحلّ الرسول ﷺ أو حرّمه ليس شيئًا زائدًا على القرآن، إنّما هو بيان الحكم من الأحكام المجملة أو تفريع على أصل من أصوله، مثلاً: قد

<sup>1</sup> الشيخ السيد أبو الأعلى المودودي، سنت كي شرعي حيثيت، ص 31، 32.

حرّمت السباع كلّها في الشريعة الإسلاميّة، ولم يأت تحريمها بألفاظ واضحة في القرآن، إلا أنّها توجد قرينتان تشيران إلى حرمتها، وهما: "دماً مسفوحاً" (سورة الأنعام: 145) و"أكل السبع" (سورة المائدة: 3) فبناءً على هذه الإشارات قد حرّم رسول الله ﷺ كل حيوان يأكل دم حيوان آخر أو لحمه، وبناءً عليها أدخل في التحريم سباع الطيور، وإن لم توجد إشارة ما إلى حرمتها في القرآن.<sup>1</sup>

وتحدّث الشيخ الفراهي عن هذه المسألة في "إحكام الأصول"<sup>2</sup> فيقول: "إن أحكام الرسل من حيث نسبتها إلى الكتاب على ثلاثة أقسام موجودة، وقسمين مفروضين. ونذكر هاهنا جميع هذه الأقسام الخمسة وننظر فيها لتستبين دعوانا. فالقسم الأول ما صرح فيه الرسول ﷺ بأنه حكم بالكتاب، ولم يكن الحكم بظاهر الكتاب ونصه. فقد علم أنه كان يستنبط منه وقد أمره الله أن يبين للناس ما نزل إليهم كما مرّ، ومعرفة وجه الاستنباط لا تصعب بعد العلم بالأصل والفرع. والقسم الثاني من الأحكام ما لم يصرح فيه بذلك ولكن وجه استنباطه من الكتاب ظاهر على العارف بدلالات الكلام. فالحكم بكونه مأخوذاً من الكتاب أقرب إلى الصواب، فإن الله تعالى أمره بالحكم بما أراد الله من نص الكتاب أو غامضه. قال تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ" (سورة النساء: 105) مع أن الرسول ﷺ كان أعرف الناس بكتاب الله فكيف يحكم بغير الكتاب فيما دلّ عليه الكتاب ببعض وجوه الدلالة. والعرب كانوا أذكىاء عرفاء بإشارات الكلام وكناياته، وكان النبي ﷺ أذكاهم مع ما خصّه الله به من نور وهدى وبصيرة. ومن هذا القسم ما خفي فيه وجه الاستنباط على العلماء، ولكنه يهتدى إليه بالتأمل والله تعالى يمنّ على من يشاء من عباده بما يشاء. فإذا

<sup>1</sup> وطريقة التخرّيج هذه تسمّى "قياساً" في اصطلاح الفقهاء، إلا استنباط الفقهاء يختلف بجهة أنّ كان بذلك النور الذي نورّ الله به قبله، فلا يحتمل الخطأ والزلل، وأما استنباط أتباعه فلا يخلو من احتمال الخطأ.

<sup>2</sup> الشيخ حميد الدين الفراهي، إحكام الأصول بأحكام الرسول، مجلّة "تدبّر" (إفادات الشيخ الفراهي)، خالد مسعود، ص 13-14.

اطلعنا على وجه الاستنباط جعلنا الكتاب فيه أصلاً والسنة فرعاً لوجوه ذكرنا. وقد اتفقت الصحابة على النظر في الكتاب أولاً، فإذا لم يجدوا فيه في السنة، وهذا هو المعقول. ففي مثل ذلك أيقننا بأن الرسول ﷺ قد حكم بالكتاب مستنبطاً منه، لعلمه بإشاراته وإن خفي علينا برهنة من الدهر. والقسم الثالث ما لا نجد في الكتاب ولكن الزيادة به محتملة. فجعلنا السنة فيه أصلاً مستقلاً، فإن الله تعالى أمرنا عموماً بإطاعة الرسول ﷺ وأمر الرسول بالحكم بما يريه الله تعالى سواء كان بالكتاب أو بالنور والحكمة التي ملأ الله بها قلبه. وأما القسم الرابع وهو ما يزيد على الكتاب من الأحكام التي لا يحتملها الكتاب، وكذلك القسم الخامس الذي هو مخالف ما في الكتاب، فهذان قسمان مفروضان لا وجود لهما في الحقيقة فإن فيهما نسخاً خفياً أو جلياً للكتاب وفيهما وقع تخاصم العلماء واختلافهم الشديد، ولكن مواضع الخلاف مسائل معدودة. فإن أمكن التوفيق فيها بين الكتاب والسنة رفع الخصام فإنهم متفقون على أن الزيادة على الكتاب لا يصار إليها إلا عند تعذر الاستنباط، لا سيما الزيادة التي تشبه النسخ، والمصير إلى النسخ أشد منه وإنما قالت بها العلماء فراؤاً من الإنكار بقول الرسول ﷺ<sup>1</sup>.

فظهر بهذا النص أن الأحكام على ثلاثة أقسام: الأول: أحكام الرسول التي هي بيان لإجمال القرآن سواء كان إجمالها يتعلق بجزئيات الأحكام أو بتخصيص عمومها وهي أحكام توضيحية، والثاني: الأحكام التي هي أقضية النبي ﷺ وفق النصوص القرآنية، أعني فتاواه، الثالث: الأحكام التي لا أصل لها في ظاهر نص الكتاب، فكان الشيخ الفراهي لا يعتبرها مصدراً أصلياً للتشريع الإسلامي إلا القسم الثالث، وكان هذا القسم في الحقيقة اجتهاداته ﷺ كما تقدم.

وقد وضّح الشيخ الفراهي القسمين الثالث والرابع من الأقسام الواقعية بالأمثلة، فذكر لتوضيح الثاني آية الميراث، فيقول: "مثلاً: في آية الميراث ترى وصيتين: وصية

<sup>1</sup> لقد أتى الشيخ ببعض الأمثلة لهذا التوفيق، منها: رواية الباري تعالى، وحقوق الامهات، والنهي عن الجمع بين عمته وبنت أخيه، وغيرها، وانظر للتفصيل مجلة "تدبر"، ص 15 إلى 19.



من الله، وسمّاها فريضة من الله، وقال فيها "ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا" (النساء: 11) ووصية أخرى من الميت، وجعل التقديم لوصية الميت، وقد علمنا أن الله أعلم وأحكم ووصيته أقدم فلا بد أن تكون هذه وصية الميت لغير وارثيه من الخيرات، ثم ترى النبي عليه الصلوات صرح بذلك، فقال: ألا لا وصية لوارث<sup>1</sup>.

وأما القسم الثالث فيتّضح من آية حدّ الزنا؛ فإنّ القرآن جعل حدّ الزنا مائة جلدة بغير تخصيص، فيعمّ البكر والثيب: "الرَّانِيَةُ وَالرَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ" (سورة النور: 2) لكن الحديث يبيّن حدّ البكر مائة جلدة وتغريب عام، وحدّ الثيب مائة جلدة والرجم،<sup>2</sup> إلا أنه ورد في رواية أنّ النبي ﷺ لم يجلد ماعزاً الأسلي، والغامدية اللذين كانا متزوجين، واكتفى برجمهما،<sup>3</sup> فهذه الأحاديث الواردة في حدّ الزنا تأتي بزيادة واضحة على كتاب الله.

وقد تحدّث الشيخ الفراهي عن هذه القضية بتفصيل، فيقول: "من الأحاديث التي خفي على العلماء مأخذها من القرآن: الحديث الوارد في حدّ الزنا، وهو قوله ﷺ: البكر بالبكر مئة حلة وتغريب عام، والثيب بالثيب مائة جلدة والرجم". فأروا أنّ الحديث قد زاد الرجم في حقّ الثيب، والتغريب في حقّ البكر، لكن الاكتفاء بالرجم في قصّة ماعز الأسلي والغامدية نسخ حكم الجلد في حقّ الثيب، وحكم التغريب في حقّ البكر، فكانّ الآية لم تبق عندهم على ظاهرها؛ بل تغيرت بالسنة، ثم السنة تغيرت بقضية لا يُدرى موقعها، ولا ندري كذلك هل تحمل على محمل صحيح أم لا؟.

واعلم أنّ أهمّ شيء في هذا الباب هو التوفيق بين الكتاب والسنة، فلا ينبغي أن يحكم بالنسخ بمجرد الظنّ، فقد ورد في هذا الحديث بصراحة أنّ حدّ البكر الزاني مائة جلدة وتغريب عام، وفي رواية: ثم تغريب عام، وكذلك ورد في حدّ الثيب

<sup>1</sup> التكميل في أصول التأويل، ص 65.

<sup>2</sup> أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه، والدارمي، (كتاب الحدود) والبخاري (تفسير سورة النساء).

<sup>3</sup> أخرجه البخاري مسلم (كتاب الحدود).

أيضاً "ثم الرجم" مما يدل على أنّ الحدّ أوّلًا مائة جلدٍ لكليهما، فمن عاد ثانية فأولى أن يعاقب عقاباً شديداً؛ لأنّ إعادته للجريمة جرأة في وجه حدود الله، وقد عيّ القرآن للمفسدين في الأرض والذين يتعدّون حدود الله عقاباً مختلف الدرجات بحسب تفارقهم في الجريمة، من التقتيل، والصلب، وقطع الأطراف، والجلاء وما إلى ذلك، وقد صرح النبي ﷺ في قضية ماعز أنّه ارتكب جريمةً كبرى، وأوغل في فساد الخلق حيث قال: "ينبّ كنيب التيس"<sup>1</sup> فلذا كان عقابه نكالا، وأما الرجم في قضية امرأة يهودية فكان بحكم التوراة؛ إذ كان النبي ﷺ يقضي بالتوراة قبل نزول الأحكام في القرآن.

وبالجملة فقد ثبت أنّ الجريمة لما صدرت غير مرة أنزل النبي ﷺ عقوبة شديدة بالمتزوجين، وأما الأبقار فعاقبهم عقاباً أخفّ منهم، ولذلك وردت في الحديث لفظة "ثمّ" وما ورد في بعض الروايات من كلمة "واو" فهي أيضاً بمعنى "ثمّ" فإنّ "واو" قد تستعمل بمعنى "ثمّ" في لسان العرب.<sup>2</sup>

واتّضح من هذا البحث أنّ رأي العلماء حول مكانة الحديث التشريعية لا يصحّ مطلقاً، ولا يشكّل مصدراً مستقلاً إلا الأحاديث التي هي من قبيل اجتهادات النبي ﷺ وأما الأحاديث الأخرى التي لها صلة ما بآيات الأحكام فلا تزيد شيئاً على القرآن، إلا أنّها تبين مجمل القرآن.<sup>3</sup> فيقول الشيخ الفراهي: "كم من آيات القرآن إن تدبّرت فيها، وفهمت معناها، وجدت من الأحاديث ما جاء موافقاً له، فالحديث لم يزد شيئاً على القرآن؛ لكن صرح من الآية أمراً غامضاً يخفى على من لا يتدبّر".<sup>4</sup>

تفسير القرآن بالحديث: الأصول التي عيّها المفسرون لتفسير القرآن الكريم هي: أن يفسّر القرآن بالقرآن إن أمكن، وإلا فبالسنة، وإن لم نجد التفسير في الكتاب

<sup>1</sup> مسلم، كتاب الحدود، باب: حد الزنا. وقد جاءت فقرة "نيب كنيب التيس" في بعض الروايات

<sup>2</sup> إحكام الأصول بأحكام الرسول، مجلة "تدبّر"، ص 19-20.

<sup>3</sup> فمثلاً: قد حرّم القرآن الخمر، فأدخل النبي - صلى الله عليه وسلم - في نطاقه كلّ شيء مسكرٍ، سواء أسكر كثيره أو قليله، وقد جعل الإمام الشافعي هذا النوع من التوضيح والتفصيل تخصيصاً لعامّ القرآن.

<sup>4</sup> التكميل في أصول التأويل، ص 65.

والسنة كليهما فالرجوع إلى آثار الصحابة، وإن لم نعث فيها على شيء فلنعتد على آثار التابعين.<sup>1</sup> يقول الحافظ ابن كثير في مقدّمة تفسيره. "قال قائل: فما أحسن طرق التفسير. فالجواب أنّ أصحّ الطريق في ذلك أن يفسّر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان، فإنّه بُسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك، عليك بالسنة، فإنّها شارحة للقرآن، وموضّحة له... وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة: فإنّهم أدركوا ذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصّوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعمل الصالح... إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين".<sup>2</sup>

ولكن لم يكن الأمر كذلك فعلاً، فمعظم التفاسير ألّف على وجهه تفسير القرآن بالحديث وضمّ إليها عدد كثير من أقوال الصحابة والتابعين، وسوّى هذا النوع من التفسير "تفسيراً مأثوراً" وهؤلاء المفسرون لا يجيزون صرف النظر عن الحديث وأقوال الصحابة والتابعين في التفسير، يقول الإمام ابن تيمية: "نحن نعلم أنّ القرآن قرأه الصحابة، والتابعون، وتابعوهم، وأنّهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنّهم أعلم بالحقّ الذي بعث الله به رسوله، فمن خالف قولهم، وفسّر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعاً".<sup>3</sup>

لكن فيما قاله ابن تيمية نظر، فيقول الإمام راغب الاصفهاني: "فقوم تشددوا في ذلك، فلم يجرأ على تفسير من القرآن، ولم يتجوّز له بغيرهم، وإن كان عالماً أديباً متّسّعاً في معرفة الأدلّة، والفقه، والنحو، والأخبار، والآثار، وإنّما له أن ينتهي إلى ما روي عن النبي ﷺ وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة، والذين أخذوا عنهم من التابعين".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> كانت هذه الأصول قد وضعت لتخريج الأحكام الفقهيّة، ثم استعملت سوى القياس، فلي تفسير القرآن الكريم

<sup>2</sup> الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصر، 1937م، 1/403؛ وانظر: الإتيان في علوم القرآن للسيوطي، مصر، 1978م، 2/225، ومقدّمة في أصول التفسير لابن تيمية، 1971م، ص 93.

<sup>3</sup> مقدمة في أصول التفسير، ص 91.

<sup>4</sup> محمد بن حسين الذهبي، التفسير والمفسّرون، القاهرة، 1961م، 1/256.

ومن الطبيعي أن ينشأ سؤال، لماذا ركن العلماء إلى تفسير القرآن بالحديث، دون أن يقتنعوا بتفسير القرآن بالقرآن؟ فمن أهمّ عوامله اعتقادهم أنّ القرآن غير قطعيّ الدلالة، وآياته تحتمل معاني عديدة ولذا رأوا أنّ تفسير القرآن بمجرد الرأي مفسدة عظيمة، وسيجرؤ كل أحد على تفسير القرآن الكريم وفق رأيه ومذهبه فينتهي الأمر إلى حدوث نزاع شديد في الأمة فكرًا وعملاً، ولذلك فلم يروا طريقًا مأمونًا سوى تفسير القرآن بالحديث، وقد انتقد الشيخ الفراهي هذا الرأي الفاسد، فيقول: "فمنهم من اطمأنوا بالحديث بعد النقد، كأكثر أصحاب الروايات، لما علموا أنّ كلام النبي ﷺ لا بدّ أن يوافق بالقرآن، وهكذا كلام الصحابة بكلام النبي ﷺ ووجدوا في الأحاديث فسحة، فجعلوها أصلًا، لقلّة الخطر فيه، وفسروا القرآن بها، حتى أن أصبح زمام القرآن بيد الحديث، فقلّ اعتناؤهم بفهم معاني القرآن".<sup>1</sup>

وقال في موضع آخر: "إنّ كلّ فرقة من المسلمين يتمسّك بالقرآن، يأوّل آياته إلى رأيه حتى اضطرّ المؤمنون إلى التمسّك بالسنة ظنًا منهم بأنّ القرآن ذو وجود، والسنة بيّنة، والظاهر أنّ القرآن هو المعتصم والمتمسّك المعتمد".<sup>2</sup>

ومن جرّاء نزعتهم الشديدة إلى تفسير القرآن بالحديث قد عمّ اعتقاد أنّ التفسير المأثور هو التفسير المعتمد، وكل ما يعارضه فهو تفسير بالرأي، فيتحدّث الشيخ الفراهي عن هذا الاتجاه الخطير بما نصّه: "من الناس من يزعم أنّ التفسير إما أن يكون منقولًا من السلف الصالحين، أو يكون خلافة، وهو بالرأي، والأوّل هو المعتمد، والثاني فهو المنهي عنه، ثم استنتجوا من هذا أنّ المنقول، وإن كان ضعيفًا، أحقّ بالاتباع، وعلى هذا الأصل كتب كثير من التفاسير، مثل تفسير محمد بن جرير الطبري الذي قيل فيه أنّه لم يصنّف مثله، ولا شكّ أنّه كذلك في بابه، ومثل تفسير البغوي وابن كثير، والسيوطي

<sup>1</sup> التكميل في أصول التأويل، ص 12.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 15.

وغيرهم من المحدثين، هذا الذي زعموه قولاً عليه طلاوة الحق، وفي طيّه أباطيل مضلّة، من هوى في هوى لم يخرج منها إلا ما شاء الله".<sup>1 2</sup>

ومن أهمّ عوامل مخالفته تفسير القرآن بالحديث، هو ما يوجد في الأحاديث نفسها من الضعف والوضع، والتناقض، فيقول بألفاظ صريحة: "فإنّ الكلام لا يحتمل معنًى يخالف نظمه، ورباط معانيه، فإنّ خلل النظم منفيّ عن كلام العقلاء، فما أبعد عن كلام الله المعجز؟ وهذا أصل ظاهر، ولكن أهل الزيف سعوا في هدمه، ووضعوا الأحاديث، ففتنوا بها الضعفاء العقول من صالح المؤمنين -عفا الله عنهم-".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 66.

<sup>2</sup> العجب أنّ كثيراً من تلاميذ عبد الحميد الفراهي، رغم هذا الانتقاد الشديد، يعجبون بـ"تفسير ابن جرير" فيقولون أحدهم مثلاً: "تفسير ابن جرير يحتلّ أهمية كبرى في أوساطنا، حيث يؤكّد ويحرّض على مطافعة كثيراً، لأنّه تفسير جامع لأقوال الصحابة"، (تحقيقات إسلامي، يناير- مارس 1991م) ولا شكّ أنّه تفسير يجمع أقوال السلف ويحدّد القول الراجح منها، بالإضافة إلى التعرّض لبيان اللغة والإعراب، وإيراد الشواهد من كلام العرب، إلا أنّ فيه نقصاً كبيراً هو أنّه الروايات دون نقدها وبلفظ آخر: لم يعتن فيه بنقد الروايات من جهة القرآن والمعقول والتاريخ لما أدّى إلى تطرّقه كثير من الأحاديث الضعيفة إليها، ونقص كبير فيه، فيقول الشيخ الفراهي:

"فاعلم أنّ تفسير ابن جرير هو الجامع لكلّ ما جاء من طريق النقل من غير نقد في الرواية، ولكنّه بعد نقل الوجوه المنقولة يبيّن ما هو الصواب عنده، وإذا أمكنه يجعل المفهوم جامعاً للوجوه، ويبحث عن اللغة والإعراب، وكثيراً ما يستند بكلام العرب، وإنّ أجلّ محاسن هذا التفسير كونه جامعاً لروايات السلف، مع التعرّض باللغة والنحو، وترجيح الأولى بالصواب عنده، ولهذه الوجوه أقيمت العلماء عليه، وأما النظر في الروايات من جهة القرآن، والمعول، والتاريخ فليس من شأنه، حتّى أنّه جمع من المناكير الكبير من غير تنبيه على نكارتها، وإنّما ترك ذلك لأهل النظر، فإنّه لو أراه فعله لم يتيسّر له إتمام هذا الجامع الكبير (التكميل في أصول التأويل، ص 6).

والتفسير الذي أثنى عليه الشيخ الفراهي في الواقع، وجعله مفيداً للطلاب، هو تفسير الزمخشري؛ لأنّه لم يتعرّض للروايات إلا قليلاً بل جعل القرآن هو الأصل، ثم فسّر الآيات في ضوءه. (انظر: المصدر نفسه، ص 6).

<sup>3</sup> التكميل في أصول التأويل، ص 52.

ويقول في موضع آخر: "فإنَّ المنقول جلّه الأحاديث الضعاف، والمتناقض بعضها بعضاً؛ بل المتناقض لظاهر القرآن فهل يعتمد عليها، أو يترك القرآن لا يتدبّر فيه، ولا يفهم معانيه".<sup>1</sup>

ويقول عن الروايات التفسيرية:<sup>2</sup> "الأخذ بأحسن الوجوه ليس من التفسير بالرأي، إذا كان مراعيًا لأصول التأويل الأولى، ويرجع على الروايات؛ فإنَّ أكثرها آراء من أهل التأويل، ربما لم يهتدوا إلى ما كان أحسن، وهذا ابن جرير مع اعتناؤه بالروايات يأخذ بما يراه تأويلًا ويترك الرواية".<sup>3</sup>

ويقول في موضع آخر: "ولكن في ذلك العصر كثرت الروايات الضعيفة، واعتمدوا عليها في التفسير حاملة لروايات من اليهود والدجالين والواضعين".<sup>4</sup>

الأدلة التي قدمها الشيخ الفراهي ردًا على تفسير القرآن بالحديث، من وجود الضعف، والوضع، والنفاق في الأحاديث، فإنّها، وإن كانت قويّة، لكنّه يمكن أن يقال: ليست مجموعة الحديث كلّها موضوعة أو متناقضة، وخاصّة الأحاديث التي أودعها أصحاب الكتب الستّة في كتبهم فإنّها ليست كذلك وقد أوردوا بعضها في أبواب التفسير، فهذه الشبهة وإن كانت تبدو قويّة؛ لكنّها بعيدة عن الواقع، وإذا كان الشيخ لم يلق ضوءًا على هذه الناحية، فأردنا أن نتناولها بالبحث، ليتّضح الأمر جليًّا.

القرآن كلام مفصّل: لا يخفى على أهل العلم أنّ الأحاديث المرفوعة عن النبي ﷺ في تفسير القرآن قليلة جدًّا، ولو كان النبي ﷺ قد فسّر القرآن كلّّه، ثم انتقل إلينا ذلك التفسير محفوظًا مصونًا كالقرآن لما كان يبقى أيّ مجال للاختلاف والنزاع، ولكان أهل الإيمان عكفوا عليه، ولكان يكفي وحده هاديًا مرشدًا، ولكن لم يكن كذلك، فينشأ سؤال، لماذا أعرض النبي ﷺ عن هذا العمل الهامّ جدًّا، ولم يلتفت إليه؟

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 7.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 6.

<sup>3</sup> وقد ذكر الشيخ آية: 11 من سورة يوسف في مثاله، انظر: التكميل في أصول التأويل، ص 6.

<sup>4</sup> التكميل في أصول التأويل، ص: 19.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

فلو تأملنا قليلاً لا تضح علينا الأمر، وهو أنه ﷺ إنما لم يفسر القرآن: <sup>1</sup>لأن القرآن واضح جداً في مفهومه ومقتضياته، وإن كان فيه إجمال ما في موضع، فقد فصله القرآن نفسه في موضع آخر، وتؤيد ذلك آيات متعددة، وإليكم بعضها:

1. "الرَّ كَتَبَ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾" (هود: 1)
  2. "وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾". (الفرقان: 33)
  3. "أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا". (الأنعام: 114)
  4. "وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾". (الأعراف: 52)
- فهناك كلمتان ملحوظتان في هذه الآيات: التفصيل، والتفسير، فهما تدلان على أنّ مُنْزِلَ الكتاب قد فسّر كتابه بنفسه، وفصله، فلا بد من الاعتراف بأنّ القرآن كلام مفصّل واضح مفهومه ومقتضياته ولم يبق فيه إشكال أو خفاء معنوي ولو كان فيه إجمال في موضع، فصل في موضع آخر، وطريق التوضيح هذه يصفها القرآن بـ"تصريف الآيات" فمثلاً يقول: "أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ" (سورة الأنعام: 65)

وهذا التفصيل والتوضيح كلّ في الحقيقة وفقاً لما وعده الله في سورة القيامة بلفظ "ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ" (19) ولذلك قد أضيف التبیین في كلّ موضع تقريباً إلى الله عز وجل.

1. "كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (البقرة: 242)
2. "يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ". (النساء: 26)
3. "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ". (التوبة: 115)
4. "يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾". (النساء: 176)

<sup>1</sup> قد استثنيت آيات الأحكام من ذلك

5. "وَيَبَيِّنْ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" (البقرة: 221)

وكثيراً ما تعقّب الأحكام القرآنيّة بقوله: "كذلك يبيّن الله لكم آياته"، كما في سورة النّور وغيرها من سور الأحكام. وقد تبين لنا ممّا سبق أن الله عزّ وجلّ قد تولّى تبين الكتاب وتشريع كلامه بنفسه، ولم يفوضه إلى أحد فينشأ الخلاف في الفكر والعمل، فليس تفسير مبادئ القرآن وتوضيح أصوله، كما يزعمون، بل عليهم أن يتفهّموا ما أوضحه الله تعالى بتصريف الآيات تفهّماً ثم تبليغه إلى عباد الله.<sup>1</sup>

أمّا الكلام عن كون رسول الله ﷺ شارحاً للقرآن، فهو على نوعين: الأوّل: كان من فرائض منصب الرسالة أن يبلغ آيات الله كما هي، "يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ" (سورة المائدة: 67) وعندما واجهوا مشكلةً في فهم المراد الرّبانيّ يقوم بكشفها في ضوء التشريع الرباني وبما أعطاه الله من البصيرة.<sup>2</sup> والجدير بالملاحظة في هذا المقام أن النّاس ليسوا سواء في الفهم والفكر والمواهب العقليّة؛ فلهذا نرى بعض الناس لا يكادون يفهمون كلاماً واضحاً، وحينئذ تمسّ الحاجة إلى أن يقوم رجل بصير بتوضيحه وتقريبه إلى فهم العوام.<sup>3</sup>

والأمر الثاني من فرائض الرسالة هو التوضيح العمليّ للأحكام التي لم يأت بتعيينها نصّ القرآن مطلقاً أو أتى بتعيين جزئيّ مثل العبادات وغيرها، ولا شك أن رسول الله ﷺ شارح لكتاب الله بهذا المعنى الأخير.

لكن العلماء وسّعوا محور التشريع النبويّ هذا، وأطبقوه على القرآن جميعاً، وليس ذلك بصائب وتمسّكوا على ما قالوه بما في قوله تعالى: "وأنزلنا إليك الذكر لتبين

<sup>1</sup> ولن يتم هذا الأمر إلا بالتدبّر في القرآن "كتاب أنزلناه مباركاً ليذّبروا آياته". (ص 29) وإلا بالتفسير بصورة جماعيّة، فإنّ جميع ما نراه من الاختلافات في تفسير القرآن الكريم، سببه ليس إلا التصديّ للتفسير بصورة فرديّة، فيجب اجتناب هذه الطريقة كلّ الاجتناب.

<sup>2</sup> الأحاديث التي يشبه مضمونها مضمون القرآن الكريم إنّما هي من هذا القبيل. أعني التفسير المزيّد.

<sup>3</sup> وفي القرآن الكريم عند ذكر الصيام "فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر" (سورة التوبة: 87) فحمل بعض الصحابة الخيط حقيقة فأخبر النبي - صلى الله عليه وسلّم - أنّ المراد منه طلوع الصبح.



للناس ما نزل إليهم" (سورة النحل: 44) فأخطأوا في فهم المراد من "التبيين" الذي تشتمل عليه الآية، فلا تبين له أكثر من معنى واحد، ومن معانيها الإلقاء بلا نقص وزيادة، وهو ضد الكتمان، مثل قوله تعالى: "يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ". (سورة المائدة: 15) وقال في مقام آخر: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾" (سورة البقرة: 159-160)

والمعنى الثاني للتبيين هو تفسير الكلام بما يكشف ما أراده المتكلم بحيث لا يبقى غموض ولا خفاء، وهذا المعنى هو المراد في قوله تعالى حكايةً عن اليهود الذين أمروا بدبح البقرة: "قَالُوا أَذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ" (سورة البقرة: 68) وكذا في قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ" (سورة إبراهيم: 4). وفي موضع آخر: "وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ". (سورة النحل: 64)

فإذا تأملنا في معنى التبيين في ضوء ما ذكرناه من الآيات تبين لنا أن التبيين في سورة النحل جاء في المعنى الأول، وهو إلقاء الوحي للناس بلا نقص وزيادة حتى يفهموا فهمًا، فليس من الصواب أن يستدل بهذه الآية على أن النبي ﷺ كان مأمورًا بتبيين جميع القرآن، فإن الله تعالى قد بين أمهات الدين بنفسها كما ذكرنا، أما النبي ﷺ فلم يكلف إلا بالتبيين العملي لما أجمل من الأحكام فحسب. وإذا أعملنا الفكرة في ضوء هذه القاعدة تيسر لنا الإجابة عن عدة أسئلة: ما هو سبب قلة الأحاديث المرفوعة في الكتب الستة حول تفسير القرآن، ولماذا أقل الصحابة - رضي الله عنهم - من الأسئلة حول التفسير، فالأمر أجل من أن يخفى، فقد نزل القرآن الكريم بلغتهم، وحسب أحوالهم وبينهم، فلم يكونوا يواجهون أي صعوبة في فهم ما أنزل إليهم من الوحي الرباني،<sup>1</sup> إنما كانوا يعتنون كل العناية

<sup>1</sup> يقول ابن خلدون: "إن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا يفهمونه، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه"، التفسير والمفسرون، ص 489.

باستنباط الأحكام، أما المسائل النظرية سيما ما تشابه من الآيات فكانوا يجتنبون كل الاجتناب عن الخوض فيها.

فقد روي أنّ ابن عباس- رضي الله عنه- سئل عن قوله تعالى: "في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة"، فقال: فما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فقال السائل: سألتك عن تفسيره! فقال: هما يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه، والله أعلم بها.<sup>1</sup> يقول الطبري معلقاً على هذه الرواية: فكره- ابن عباس- أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم.<sup>2</sup> وذكر الطبري أيضاً عن ابن عباس- رضي الله عنه- أنه سئل عن آياتٍ لو سئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبى أن يقول فيها<sup>43</sup> وعن سعيد بن المسيّب- رحمه الله- أنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن،<sup>5</sup> وعنه أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال: إنا لا نقول في القرآن شيئاً.<sup>6</sup> فكان أصحاب رسول الله ﷺ إنما يُعنون بالكلام حول آيات الأحكام، فقد نقل عن التابعي المذكور: كنّا نسئل سعيد بن المسيّب عن الحلال والحرام، وكان أعلم الناس، فإذا سئلناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع.<sup>7</sup>

وبعد العلم بمنهج الصحابة والتابعين في تفسير القرآن كيف يصح القول بتفسير القرآن بالأحاديث؟ فإن أبواب التفسير في كتب الحديث يتضمن المرفوع والموقوف، وكذا الصحيح والضعيف، مثلاً: فأورد في تفسير "تسع آيات" في قوله تعالى: "وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ" (سورة الإسراء: 101) فالقرآن يصحح بأن الآيات التسع هي العصاء واليد البيضاء، والسنون، ونقص الثمر،

<sup>1</sup> تفسير ابن كثير، 6، 7 / 1.

<sup>2</sup> محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، مصر، 1968م، 86/1.

<sup>3</sup> تفسير ابن كثير، 5/1.

<sup>4</sup> المجموعة التي تسمى "تفسير ابن عباس" يرى العلماء أنّ معظمها موضوعة.

<sup>5</sup> تفسير الطبري، 86/1.

<sup>6</sup> المصدر نفسه

<sup>7</sup> المصدر نفسه

والطوفان، والجراد، القمل، والصفادع، والدم. (7: 133، 7: 107، 7: 130) ولكن روى الترمذي وأحمد والنسائي وابن ماجه أن الآيات التسع اجتناب الشرك، والزنا، وقتل النفس الزكية، والسرقه، والنميمة عن معصوم عند الحاكم، وأكل الربا، واتهام المحصنة والهروب من ساحة الحرب، والاعتداء يوم السبت، وهي في الأصل أحكام التوراة العشرة، فلذلك لما سمعها جماعة اليهود الذين أتوا رسول الله ﷺ يسألون عن تفسير الآيات التسع، أظهرها فرحتهم البالغة وقبلوا أيدي النبي ﷺ.<sup>1</sup>

ومن تلك الأحاديث ما تعارض صريح نص القرآن الكريم، مثل ما روي عن آية التطهير وكذب الخليل إبراهيم، ومنه ما روي في تفسير (وللرجال علمين درجة)، فإنه أيضاً يناقض صريح القرآن، ففيه أن امرأة شكت إلى رسول الله ﷺ أن زوجها لطم على وجهها لطمه أثرت في وجهها، فقال رسول الله ﷺ ومن أين له ذلك، فنزلت "الرجال قوامون على النساء" ففي ضوء هذا الحديث قد أذن للزوج أن يضرب حرمه كيف شاء، والعياذ بالله.<sup>2</sup>

وأما الأحاديث التي ملأوا بها كتب التفسير فقد قال فيه الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - "ثلاثة أمور ليس لها إسناد، التفسير والملاحم والمغازي"،<sup>43</sup> وكذا قال الإمام ابن تيمية: "الموضوعات في كتب التفسير كثيرة".<sup>5</sup>

مع هذه الحقائق التي ذكرنا يرى العلماء الذين تعودوا التقليد أن هذا الرأي لا ينطبق على أحاديث غير أبواب التفسير من الكتب الستة سيما الصحيحين وهم في خطأ عظيم فإن معظم أحاديث الكتب الستة مع الصحيحين، آحاد، وقد أجمع المحققون - كما ذكرنا - أن الآحاد لا تفيد من

<sup>1</sup> أخرجه الترمذي في تفسير سورة بني إسرائيل، وحسنه.

<sup>2</sup> القاضي ثناء الله الباني، التفسير المظهر، حيدر آباد، 18/1.

<sup>3</sup> مقدمة في أصول التفسير، ص 51.

<sup>4</sup> فإن معظم روايات التفسير مرسلة.

<sup>5</sup> مقدمة في أصول التفسير، ص 77.

اليقين بشيء،<sup>1</sup> إنما تفيد الظن الغالب، بجانب أن القرآن قطعي الدلالة، وهو يفيد اليقين، فكيف يسوغ لنا أن نفسّر ما هو قطعي الدلالة بما هو ظنيّ الدلالة. أما الذين ظنوا أن الأحاد تفيد من اليقين بشيء، فإنّهم معترفون بالفرق بين اليقين الحاصل من كتاب الله واليقين الحاصل من أحاديث الصحيحين. فأّمّهات القرآن وأصوله لا يجوز تفسيرها إلا بالقرآن.

مكانة الحديث الصحيحة في تفسير القرآن الكريم: إن أكثر العلماء وقعوا حول تفسير القرآن بالحديث في إفراط وتفریط، فالتفريط: مثل ما روي عن الفقهاء أنهم كانوا يتشدّدون في نصوص القرآن، ولا يقيمون للأحاديث بجانب القرآن وزناً، قال الشيخ محمد أبو زهره عن فقهاء العراق:

"فإنّك تراهم قد بالغوا في الأخذ بنصوص القرآن ولم يلتفتوا إلى أحاديث واردة في موضوع الآية"،<sup>2</sup> وقال وهو يتحدّث عن فقهاء الأحناف: "فهم يأخذون بدلالة القرآن ومفهوم عباراته وإشاراته ويتركون الأحاديث عند ذلك احتياطاً في قبول الرواية وترجيحاً لنصّ قرآني لا شكّ في صدقه على رواية حديث محتمل الصدق".<sup>3</sup>

ومثال الإفراط هو منهج المحدثين الذين يقولون بأن الأحاديث أسس وحدود لا يعدل عنها شيء في تفسير القرآن الكريم، ولكن الشيخ الفراهي سلك في هذا المقام مسلكاً وسطاً معتدلاً غاية الاعتدال، فلم يترك الأحاديث مطلقاً مثل ما فعل الفقهاء ولم يرض بأن يكون زمام القرآن بيد الحديث، فادّعي أنّ أصل الأصول أنّ يفسّر القرآن بالقرآن في ضوء نظم القرآن ونظائره وما سيق الكلام لأجله،<sup>4</sup> وإذا تعيّن لآيات القرآن

<sup>1</sup> يجعل أهل الحديث أخبار الأحاد مفيدة للقطع، إذا احتفت بالقرائن؛ ولكنهم لا يقولون بأنّها تساوي القرآن في درجة اليقين، كيف والأحاديث المتواترة لا تبلغ درجة القرآن في إفادة اليقين، فضلاً عن أخبار اللآحاد.

<sup>2</sup> أبو حنيفة حياته وعصره، ص 261.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 247.

<sup>4</sup> إنّ هذا الأصل يقرّه كل أحد، لكنهم يلحقون به كلمة "إن" فيقولون: إن لم يمكن التفسير بالقرآن فيرجع إلى الحديث، ولكنّ هذه الكلمة لا مكان لها عند الشيخ الفراهي، فكان يجزم -ويبين تام- بأنّه يمكن تفسير كلّ آية بالقرآن الكريم، بدون الاحتياج إلى الرجوع إلى علمٍ فرعيّ.

معنى قطعي<sup>1</sup> يؤتى بالأحاديث التي ثبتت صحتها عند أهل الرواية وذوي الدراية تأييداً لكلام وتصديقاً له، وقد ذكر هذه المنزلة للحديث في عدّة مواضع، فقال:

"واليأس من القرآن والتمسك بالأحاديث وهن وفتح لأبواب الأكاذيب ولا يتم الحجّة عليهم. فليعتصم بالقرآن ويشده بالسنة والخبر الصحيح والعقل الصريح"،<sup>2</sup> وقال في موضع: "إذا كان الكلام محتماً لتأويلات مختلفة، فالمصير إلى ما له نظير في القرآن أحوط، فإن ما هو ليس في القرآن ربما يكون رأياً محضاً وضلالاً، وأما ما كان له نظير في الحديث فلا بد من صحّة رواية ودراية، ثم المصير إلى النظر الذي في القرآن أوثق"،<sup>3</sup> وقال أيضاً: "فلا بد أن يؤخذ من النقل مع التنقيب، والاختيار بما صحّ وثبت، ولا يجمل ذلك على ترك النظر في دلالة القرآن وحمل الآية على نظائرها، والجمود على المنقول المحض، وعدم الفرق بين صحيح وسقيم وتسوية في الاعتماد... نعم، ينظر في ما نقل من السلف للتأييد عن الموافقة، ورجح النظر عند المخالفة حتى يطمئن القلب مما يفهم من الكلام، فإنّه أوثق وأبعد عن الخطأ، ولذلك قال علماء التفسير: إنّ أحسن التفسير ما كان بالقرآن".<sup>4</sup>

ولم يكتف الشيخ الفراهي بإعمال هذه الفكرة في تفسير القرآن فحسب بل عمّه في تشريع جميع مباحث الدين، فالحاصل أنّ القرآن أصل والحديث فرع في جميع أبواب الدين، وعن هذا الترتيب عبّر قائلاً:

"فهذا يؤيد ما فهمت من القرآن، ولكن ههنا خطر، وذلك أنّك قبل أن تفهم القرآن، تهافتت على الحديث، وفيه صحيح وسقيم، فيعلق بقلبك من الآراء ما ليس في القرآن أصل، وربما يخالف هدى القرآن، فتأخذ في تأويل القرآن إلى

<sup>1</sup> يشكّل هذا الأصل أساساً في أصوله التفسيرية، أنّ القرآن قطعيّ الدلالة، فلا تحتل الآية إلا معنيّ واحدًا، وإن كانت تظهر لنا احتمالات عديدة في مولولها، فيقول: القرآن لا يحتمل إلا تأويلًا واحدًا، وقد قدّمنا القول في أنّ القرآن قطعيّ الدلالة، وليس لعبارة إلا مدلول واحد. (انظر: التكميل في أصول التأويل، ص 20).

<sup>2</sup> التكميل في أصول التأويل، ص 15

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 54

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 7

الحديث ويلبس عليك الحق بالباطل فالسبيل السوي أن تعلم الهدى من القرآن وتبني عليه دينك، ثم بعد ذلك تنظر في الأحاديث، فإن وجدت ما كان مشارداً عن القرآن حسب باديء النظر، أولته إلى كلام الله، فإن تطابقا فقررت عيناك وإن اختلفا فتوقف في الحديث واعمل بالقرآن".<sup>1</sup>

فقد صرح الفراهي أن الآيات التي تتعلق بمهمات الدين وعقائد الإسلام لا يصار في تفسيرها إلى الحديث، وأما الآيات التي تضمنت أخباراً وحوادث تاريخية فيجوز أن تفسر بالأحاديث، ولكن لا يدعي أن هذا التفسير هو المحمل الذي لا يجوز أن يعدل عنه وأوضح هذا المعنى قائلاً: "والتفسير بحديث يناسب المقام إذا لم يقرر عقيدته ومذهباً مأموناً، ولكن مع ذلك ظني فأخذ به مع إمكان غيره كما في سورة الحجر،<sup>2</sup> المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين -روي أن الكافرين قالوا- بعضهم لبعض:- استهزاء أنا أخذ البقرة، وأعطيك المائدة أو العنكبوت، فهو المعني المأمون، ولكن غير يقيني".<sup>3</sup>

الموقف السديد عند التعارض: إن أكثر علماء التفسير سلكوا منهجاً خاطئاً عند وقع التعارض بين الأحاديث وظاهر القرآن، فلما رأوا نصوص القرآن تتعارض الأحاديث أولوا كلام الله تعالى إلى الأحاديث بدل تأويل الأحاديث إلى القرآن، مع أنهم لو تأملوا تلك الأحاديث حق التأويل لوجدوا جميعها أو أكثرها توافق القرآن، يقول الشيخ الفراهي:

"وكان عليهم أن يأولوا الأحاديث إلى القرآن فإني رأيت كم من روايات متضادة حسب الظاهر، توافقت حين أولناها إلى القرآن فإن القرآن كالمركز وإليه ترجع الأحاديث من جهات مختلفة".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 65-66

<sup>2</sup> سورة الحجر: 90-91

<sup>3</sup> التكميل في أصول التأويل، ص 69

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 21

وإذا تعدّرت التوافق بين القرآن والحديث المتعارضين رغم الجهد المضني، فيرجع إلى ترجيح القرآن لقطعية ثبوته واستدلّ عليه بأنّ الحديثين إذا تعارضا يأخذون بإجماعهم أصحّهما ثبوتًا، وإذا تساويا في الصحة يحاول الجمع بينهما ولا شكّ أنّ القرآن أصحّ وأقوى ثبوتًا من كلّ شيء، فمن الواجب أن يأول الحديث إليه عند التعارض.

وإليكُم كلام الفراهي بلفظه: "وإذا تعارض حديثان، فيأخذون بأثبت، فلم لا يفعل كذلك إذا تعارض القرآن والحديث أو يوافقون بين المتعارضين إذا تساويا في السند، والقرآن أوثق سندًا فلا بد أن يأول الأحاديث بالقرآن كما في معنى أهل البيت تأول حديث المباهلة".<sup>1</sup>

الحديث ونسخ القرآن: وقد قال بعض العلماء فيما مضى من الزمان بأنّ الحديث ينسخ القرآن، يعني أنّ بعض الأحكام التي ثبتت بالقرآن نسخت بحكم الحديث، وبه يقول بعض علماء زماننا، ولكن الشيخ الفراهي كان يخالف هذا الرأي الباطل أشدّ خلاف، وكتب: الحديث لا ينسخ القرآن ولو بلغ حدّ التواتر، فسبيله التأويل والتوقف لا غير، أما أن يفسخ به كتاب الله فلا، وبه يقول الإمام الشافعي وأحمد ابن حنبل وعامة أهل الحديث، قالوا: الحديث لا ينسخ كتاب الله وإن بلغ حدّ التواتر، فلما كان هؤلاء أئمة أهل الحديث وهم أهل البيت في الحديث، لا يرون نسخ الكتاب بالحديث ولو متواترًا، فلا نقيم لرأي الفقهاء وزنًا في هذا الباب - أعاذنا الله من فتنة القول بنسخ الكتاب بالحديث -<sup>2</sup> وهذا الذي قلنا هو مذهب المحققين، وقد ذكرنا فيما مضى ذلك عن الإمام أحمد بن حنبل، فروى عنه: "قال الفضل بن عياض: سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل وسئل عن الحديث الذي روي أن السنة قاضية على الكتاب فقال: ما أجسر على هذا أن أقوله إنّ السنة قاضية على الكتاب، إن السنة تفسر الكتاب وتبينه،

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 68

<sup>2</sup> فاتحة تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص 11

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

قال الفضل: وسمعت أحمد بن حنبل يقول: لا تنسخ السنة شيئاً من القرآن، قال لا ينسخ القرآن إلا القرآن".<sup>1</sup>

قد ناقشنا بالتفصيل فيما سبق آراء الشيخ الفراهي عن الحديث مما يجعلنا نقول بلا خوف إنَّ الفراهي لم يكن منكرًا للحديث، بل كان يختار منهجًا وسطًا عن الحديث كما هو دأب غيره من المحققين، فكان يرى القرآن أصلًا أصيلاً ويرى غيره من العلوم - بجانب الحديث - فروغًا أما في حياته العملية فكان حريصًا على اتباع السنة شديد التمسك بها، ممَّا صرح أنَّه كان يفرق بين الحديث والسنة، وقد ذكرنا وجه الفرق فيما سبق، فالحق أنَّ الشيخ الفراهي أنزل الحديث منزلة تليق به من غير إفراط ولا تفريط، وهذه خدمة جليلة للشيخ تستحق الثناء والتقدير.

<sup>1</sup> جامع بيان العلم لابن عبد البر، 234/2



## سياسة البلاغة عند عبد الحميد الفراهي

- د. صالح سعيد الزهراني<sup>1</sup>

### مقدمة

"قيل للهندي ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة. وقال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة".<sup>2</sup> فالبلاغة وفق هذا التصور "معاني واضحة، وملحة دالة، وبراعة أسلوبية".

وهذه الأسس الثلاثة تفضي إلى غاية واحدة هي "الأدب الجميل" الذي ترتضيه الخاصة، وتدركه العامة، فالمعاني الواضحة، وضوحها وضوح بمنطق الفن، لا يكشف ولا يستر، ومن هنا يتساوى الوضوح مع اللوحة الدالة، والبراعة الأسلوبية.

وعندما نقرأ "الصحيفة الهندية" نقف على رؤية أكثر وضوحاً في "سياسة البلاغة" أوردتها الجاحظ وهو يعرض لمفاهيم البلاغة عند سائر الأمم، وقد جاء فيها: "أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة. وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ، لا يكلم سيّد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوق. ويكون في قواه التصرف في كل طبقة، ولا يدقق في المعاني كل التدقيق، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح، ولا يصفها

<sup>1</sup> باحث يختص بالبلاغة العربية

<sup>2</sup> البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط 4، بدون تاريخ / 1 / 88.

كل التصفية، ولا يهذبها غاية التهذيب، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيمًا، أو فيلسوفًا عليمًا، ومن قد تعود حذف فضول الكلام، وإسقاط مشتركات الألفاظ. وقد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة، لا على جهة الاعتراض والتصفيح، وعلى وجه الاستطراف والتطريف. قال: ومن علم حق المعنى أن يكون الاسم له طبقًا، وتلك الحال له وفقًا، ويكون الاسم لا فاضلاً ولا مفضولاً، ولا مقصراً، ولا مشتركاً، ولا مضمناً، ويكون مع ذلك ذاكرة لما عقد عليه أول كلامه، ويكون تصفحه لمصادره، في وزن تصفحه لموارده، ويكون لفظه مونقًا، ولهول تلك المقامات معاوذاً. ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم، وأن تواتيه الآتية، وتتصرف معه أداته، ويكون في التهمة لنفسه معتدلاً، وفي حسن الظن بها مقتصدًا؛ فإنه إن تجاوز مقدار الحق في التهمة لنفسه ظلمها، فأودعها ذلة المظلومين، وإن تجاوز الحق في مقدار حسن الظن بها، أمنها فأودعها تهاون الآمنين. ولكل ذلك مقدار من الشغل، ولكل شغل مقدار من الوهن، ولكل وهن مقدار من الجهل<sup>1</sup> والمتأمل يجد أن هذه الصحيفة خاصة بفن الخطابة، وليست لسائر أجناس الأدب، وأنها تشتمل على عدد من المقاييس الجمالية للخطبة البليغة، والخطيب البليغ هي:

1. رباطة الجأش
2. مطابقة الكلام لمقتضيات الأحوال
3. الاحتفاء بالقول المطبوع
4. التواءم بين اللفظ والمعنى
5. وحدة الخطبة
6. القدرة على تطويع اللغة للأفكار

<sup>1</sup> المصدر نفسه، 1 / 92، 93

7. الإفهام

وهذه المقاييس الجمالية التي انطوت عليها "الصحيفة الهندية" نجدها ماثورة في تراثنا النقدي والبلاغي في النظرية والتطبيق.<sup>1</sup> ولا يعني هذا أن التراث البياني لدينا عالة على هذه المقاييس، فهي مقاييس جمالية تجمع عليها الأمم باختلاف ثقافتها، وتحققها في الممارسة النقدية وفق منظورها الخاص. فرباطة الجأش ومطابقة الأشكال للمضامين، وإفهام المتلقين، لا خلاف حولها، ولكن الخلاف في طريقة تنفيذها وفق الرؤى الخاصة، والتصورات الذاتية.

وعندما نقف أمام "سياسة البلاغة" عند عبد الحميد الفراهي نجد أن "وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة" تمثل أركان البناء البلاغي عنده، والوضوح، والإيحاء، والحيل الأسلوبية تهدف إلى تحقيق غاية كبرى هي "الصدق"، فالبلاغة هي "حسن في المعنى وتحسين في المبنى" ولا يسمى القول بلاغة حتى يجتمع له هذا المقومان الجماليان.

وقبل أن نعرض لسياسة البلاغة عند عبد الحميد الفراهي، نقدّم تعريفاً موجزاً بشخصيته العلمية: لأنّ كثيراً من قراء العربية لا يعرفون شيئاً عنه. فهو "عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان بن قنبر بن تاج علي، حميد الدين، أبو أحمد، الأنصاري، الفراهي".

هاجرت أسرته من المدينة المنورة إلى أفغانستان ثم إلى الهند، ولد الفراهي صباح يوم الأربعاء 6 / 6 / 1280هـ في قرية "فراه" من قرى مديرية "أعظم جره" في ولاية "أترابرايش" الحالية.

<sup>1</sup> لا نكاد نجد كتاباً في التراث البلاغي والنقدي لا يعرض لمفاهيم المطابقة، والطبع، والمشكلة بين اللفظ والمعنى، وأن غاية البلاغة هي الإفهام.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

نشأ في أسرة متديّنة ذات مكانة علميّة واجتماعيّة، فحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، ثم تعلم الفارسيّة وكتب الشعر بها، ودرس العربيّة على العلامة شبلي النعماني، وقرأ الفقه والمنطق على كبار العلماء، وتلمذ على يد فيض الحسن السهارنفوري في الأدب العربي، وأتقن اللغة الإنجليزيّة، وألمّ بعدد من العلوم الحديثة، وتلقى محاضرات في الفلسفة الحديثة على يد المستشرق الإنجليزي توماس أرنولد.

عين عام 1314هـ مدرسًا للعربيّة والفارسيّة في كراتشي، ثم عين عام 1324هـ أستاذًا مساعدًا للعربيّة في كلية عليكرة التي تعلّم فيها اللغة العبرانية على يدي اليهودي الألماني جوزن هوردفيتس، وفي عام 1326هـ عين أستاذًا للعربيّة بجامعة "الله آباد"، وفي عام 1332هـ عينته حكومة "حيدر آباد" عميدًا لكلية دار العلوم، وظل بها حتّى استقال من منصبه عام 1337هـ.

وبعد عودته من حيدر آباد" تولى إدارة مدرسة إصلاح المسلمين في "سراي مير"، ووضع مناهجها، وحين أسس تلاميذ شبلي النعماني بعد وفاته مؤسسة دار المصنفين اختاروا الفراهي رئيسًا لها.

كان رحمه الله زاهدًا ورعًا، عازفًا عن الأضواء، حسن التعلّد، مثقفًا ثقافّة واسعة عارفًا بأربع لغات هي العربيّة والفارسيّة والإنجليزيّة والعبرانية، ذا عناية خاصة بعلوم القرآن حتى لقبه معاصروه بترجمان القرآن.

توفي رحمه الله وهو يتلو القرآن في 19 / 6 / 1349هـ إثر عملية جراحيّة ودفن بمدينة "مئورا" تاركًا كلفه ذكرًا خالداً، وعلمًا ينتفع به قيّده رحمه الله في مقالات وكتب كثيرة، وقد طبع منها بالعربيّة اثنا عشر كتابًا هي:

1. أساليب القرآن صدر عن الدائرة الحميدية بالهند عام 1389هـ.
2. إمعان في أقسام القرآن، دار القلم بدمشق عام 1415هـ، ط 3.

3. التكميل في أصول التأويل، الدائرة الحميدية بالهند عام 1388هـ.
  4. جمهرة البلاغة، الدائرة الحميدية بالهند عام 1360هـ.
  5. دلائل النظام، الدائرة الحميدية بالهند عام 1388هـ.
  6. ديوانه العربي، الدائرة الحميدية بالهند عام 1387هـ.
  7. الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح، دار القلم بدمشق عام 1420هـ، ط 3.
  8. فاتحة نظام القرآن، الدائرة الحميدية بالهند عام 1357هـ.
  9. في ملكوت الله، الدائرة الحميدية بالهند عام 1391هـ.
  10. القائد إلى عيون العقائد، الدائرة الحميدية بالهند عام 1395هـ.
  11. مفردات القرآن، الدائرة الحميدية بالهند عام 1358هـ.
  12. نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان صدر منه ثلاثة عشر جزءًا تضم تفسير سورة الفاتحة، والذاريات، والتحريم، والقيامة، والمرسلات، وعبس، والشمس، والتين، والعصر، والفيل، والكوثر، والكافرون، والذهب.<sup>1</sup>
- وستكون وقفنا في هذه الدراسة مع كتابه "جمهرة البلاغة" الذي يمثل رافدًا من روافد التفكير البلاغي الحديث.

### جمهرة البلاغة

تكمُن القيمة العلمية لهذا الكتاب في أنَّه رؤية ناقدة للبلاغة العربية في ماثقفتها مع الثقافة اليونانية، حيث أدت تلك الماثقفة إلى زرع عدد من الرؤى الجمالية التي لا تتمثل خصوصية البيان العربي، ولا تقف على كمال

<sup>1</sup> اعتمدت اعتمادًا كليًا على تعريف الدكتور محمد أجمل الإصلاحي في بحثه "كتاب مفردات القرآن للفراحي وأهميته في علم غريب القرآن"، مطبوعات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ضمن ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن وعلومه من 3 - 6 رجب 1421هـ، ص 13 - 32.

بلاغته، وبخاصة في كتاب الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه.

كما أن الكتاب "بحث في سياسة الفن الجميل" يتأسس على وعي دقيق بخصوصية البلاغة العربية، وفلسفتها للفن، وكيف نشأت تلك الفلسفة؟، وما الذي أدى بها إلى الانحراف عن ذلك المسار، من خلال "قراءة شاعرية" تقف على أدق "قوانين الخطاب الأدبي" في التراث البلاغي والنقدي عند العرب.

والكتاب يقوم على أربعة محاور:

1. سياسة البلاغة بين العرب والعجم.
2. بلاغة الصدق.
3. حدود الجنس الأدبي.
4. استراتيجية الإبداع.

في مقدمة كتاب "جمهرة البلاغة" يذهب الفراهي إلى أن "البيان كالظل والأثر للنطق الذي هو مقوم للإنسان".<sup>1</sup> وهذا معناه أن مزية الإنسان على غيره من الخلائق أنه "حيّ ناطق" فسبحان الله "الذي فضّل بني آدم على سائر الخلائق، فجعله الحي الناطق".<sup>2</sup>

ومعرفة أسرار البيان وفضائله ليست ترفاً فكرياً، ولكنها عبودية حقّة، نقف من خلالها، على عظمة الخالق، وندرك قيمة التكريم ونتحمل مسؤولياته، ونستكمل عناصر الفطرة النقيّة التي فطرنا الله عليها. ومنهج "صناعة

<sup>1</sup> جمهرة البلاغة، عبد الحميد الفراهي، طبع على نفقة الدائرة الحميدية بالهند، مطبعة معارف بمدينة أعظم كره، 1360هـ، ص 1

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 1.

المعرفة" بشقيه "التصوري والإجرائي" ينبثق من تصور كوني خاص، يملئ على كل أمة مفاهيم المنهج وحدوده، وآلياته التي يتوسل بها، وغايته التي يهدف إلى تحقيقها.

وهذا هو الفرق بين "المنهج العربي" و"المنهج اليوناني" في "سياسة البلاغة" "فإنهم نظروا إليه من نظر دني دنيواي فغالتهم غوائلها، وأبعدهم عن الحق باطلها، فتراكمت عليهم ظلمات بعضها فوق بعض، ولكي يسطع لك النور البازغ وجهتك إلى الأفق الأعلى، ثم نصعد بك إلى ربوة المنظر والنقد والتأمل".<sup>1</sup>

و"سياسة البلاغة" ومعرفة محاسن الكلام مما يقصر دونه كثير من الناس. إن جميع الأمم قديماً وحديثاً متفقون على وجود الحسن والقبح في الكلام، ومتفقون على تحسين ما كان منه في الحسن على غاية الكمال مثل تحسينهم كلام هوميروس في اليونان، وامري القيس في العرب، وفردوسي في الفرس".<sup>2</sup>

هذه السياسة يتساوى فيها كثير من الناس؛ لأنها معرفة بسيطة، تقترب من الحقائق الثابتة كالنور، والحلاوة، والراحة بعد التعب،<sup>3</sup> فهي مما لا ينكره أحد، لأن القبح والحسن إذا بلغا الغاية صاروا معرفة بسيطة مكشوفة لا تحتاج إلى مزيد عناء في البحث عن دقائقها وأسرارها.

وهناك ضرب من السياسة يحتاج إلى مزيد من التأمل وإعمال العقل لتعدد أسباب الحسن، وتلاؤمها وتناسب مقاديرها "فالشئ إذا اجتمعت فيه أسباب المحاسن أكثر مما هي في دونه وعلى مقدار وسط يرتضيه أكثر

<sup>1</sup> نفسه، ص 1، 2 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 2

<sup>3</sup> نفسه، ص 2

النفوس وأواسطها حكموا برجاحتهم واستقر له حكم الجمهور، ثم الباقون يضمّون أصواتهم بأصواتهم ولكن مع ذلك منهم من يرجع عليه ما كان أنسب بطبعه بالخصوص، وربما يظهر رأيه إذا لم يُبال بمن لا يوافق ..<sup>1</sup>

هذا الحسن الذي يطرب له أكثر الناس، ويحكمون برجachtهم، قد يجد نفوساً ذات طباع خاصة، وأمزجة مختلفة لا يروق لها هذا الحسن، فتخرج عن هذا الإجماع في الحكم، لا لعييب في "الموضوع" وإنما "لخصوصيّة في التكوين الجمالي للذات". ولكن الغلبة للإجماع، وبخاصة إذا كان الإجماع مسنوداً برؤى أهل الخبرة من العقلاء والحكماء، وربما عاد الخارج عن الإجماع إلى دائرة الجماعة، واتهم ذائقته الجماليّة "ولما أن صوت الجمهور أرفع وأجهر فيبقى الصيت لمن تعصبوا له، لاسيما إذا كان فيه محاسن يستحبها العقلاء والحكماء فإذا انضم رأيهم برأي الجمهور رسخت في القلوب راحة الشيء فإن لم يتفق بذوق بعضهم، فهو يتهم نفسه ويسعى أن يسمع ويرى ما تراه الأمة وسراتها. فإن لم يلتذذ به أخفاه في نفسه وألقى كلامه مع كلام الناس. فهكذا وقع لهومروس، وامرئ القيس، وأمثالهما فليس كل واحد من الناس يجد في كلامهم ما يهز نفسه. وما استقر لهم هذا الفضل الباهر إلا بعد مرور الزمان، واتفاق كلمة الأمة لهم قرناً بعد قرن، فما زادت لهم الأيام إلا استقراراً وغلبة، حتى إن سلطانهم يقهر كلّ من يخالفهم، وإن كان ملكاً مطاعاً".<sup>2</sup>

وهذا يعني أن "الإجماع" في تقدير "بلاغة القول" لا يكاد يتحقق، لاختلاف الثقافات، والخبرات الجماليّة، فنحن نعجب بهومروس أو امرئ القيس مثلاً، لا لأننا نتفق جميعاً مع ما قالوا، وندرك حسنه، وإنما نتفق جميعاً بدافع "سلطة الجماهير" القاهرة.

<sup>1</sup> نفسه، ص 2

<sup>2</sup> نفسه، ص 2، 3



فالقول البليغ له حسن، وقدرة على الغواية والتأثير، ولكنّ "سياسة البلاغة" أمر صعب، وإدراك سر البراعة، وتمييز طبقات الكلام الناس فيه كإبل مائة لا تجد فيها راحلة "حتى أنك ترى شعراً ونثراً يروق أكثر الناقدين، وعامة أهل الذوق، ولكن إذا سألتهم عن وجه الحسن اختلفت كلمتهم، كما إذا سمعوا صوتاً، أو شموّاً طيباً فسألتهم من أي جهة جاءكم هذا اختلفوا في جوابهم".<sup>1</sup>

### بلاغة العرب- الإبداع والسياسة

العرب كما وهبهم الله البلاغة، منحهم القدرة على "سياسة البلاغة". "حتى بلغ أمر البلاغة فيهم منزلة نظام المعاشرة، فكان خطيبهم يأخذ بزمام القوم فيقودهم إلى حيث شاء، ويقوم شاعرهم فيرفع قومه من الأرض إلى السماء، فأجدر بقوم هذا شأنهم أن يجري ذوقهم في هذه الصناعة على سنة وأصول معلومة، وإلا كيف يقضي فيهم حكمهم، أم كيف يدعن لحكمه أرباب العقل فيهم".<sup>2</sup> ولأن العرب "أذكي الأمم وأسرعهم إحساساً، وأشدّهم عاطفة كانوا أولى بالشعر من النثر - نثرهم أبعد من نثر الأمم - أهملوا فيه كل ما يناسب الشعر حتى القافية. وربّ خطبة جاءت منهم نظماً فليس للعجبي أن يفهم نثرهم من غير أن ينظر فيه كأنه نظم مع كلّ ما يختص بنظم العرب خلا الوزن. وليس له أن يمدحه أو يذمه إلا بعد هذه المراعاة. ثم ليس نظمهم كنظم سائر الأمم، رب أمة نظمهم كنثر حقيقي كما أن نثر العرب كنظم حقيقي".<sup>3</sup>

والفراهي مع دقة فهمه، وسعة اطلاعه بلغ به الهوى مبلغه في تفضيل العرب على من سواهم في الذكاء، وسرعة الإحساس، وشدة العاطفة. فalcول

<sup>1</sup> نفسه، ص 3 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 4 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 83 .

بتفضيل "عرق" على غيره، حكم عام تنقصه الموضوعية وينفيه الواقع، فالذكاء، والأحاسيس غرائز فطر عليها الإنسان، فهي تولد مع الإنسان أيًا كان جنسه، وإننا لنقرأ من شعر الأمم الأخرى ونثرهم فنجد إبداعًا خالدًا، وفنًا رقيقًا، أصحابه أندر من الكبريت الأحمر وليس طاغور وتولوستوي، والشيرازي وجوته، وشكسبير، ودي موباسان، وماركيز وسنكور منا ببعيد.

لا شك أن العرب بلغوا درجة من الإبداع تصل إلى مستوى "الكتلة الحرجة" فتحقق لهم من المجد الأدبي ما لم يتحقق إلا لقلّة من الأمم، لكن هذا لا يُفسر تفسيرًا خوارقيًا، يجعل من العرب عرقًا مميّزًا عن سواه من الأعراق.

وأول سجايا العرب في البلاغة "الارتجال حيث" كانوا يلقون من غير روية خطبًا بليغة طوًّا، وينشدون القصائد الغرر ارتجالًا ..<sup>1</sup> وهم في هذا ليسوا أجدر من سواهم من الأمم الأخرى، فالتعبير عن الأحاسيس أمرٌ يحسنه كثير من الناس، لكن العرب سريعو الاستجابة لهواجس النفس، وجيشان الصدور "حتى كأنهم لم يملكوا أن يردّوا شقشقة لسانهم، وجيش صدورهم فتراهم أولى باسم الحي الناطق من سواهم".<sup>2</sup>

ومناطق الحسن في كلامهم "صحة التأثر، ووضاحة التصوير، وإصابة التعبير"<sup>3</sup> فكل بيان خلا من هذه "القيم الجمالية" لا قيمة له، وإن حاول المبدع أن يبرزه في بنية لغوية حافلة بكل بديع؛ لأن محاسن البيان فرع عن حسن البيان في ذاته، والمحاسن لا يمكن أن تجلّ الكلام القبيح "وأما حسن التشبيه والاستعارة فلا يغني شيئًا إن لم يوجد فيه واحدٌ من

<sup>1</sup> نفسه، ص 84 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 84 . يريد ألسنتهم وجيشان

<sup>3</sup> نفسه، ص 82 .

هذه الثلاث، ومن صحة التأثير السكوت فإن من أخطأ تأثره لم ينفع كلامه وإن زخرفه بكل بديع. فمحاسن الكلام فرع على حسن الكلام في نفس وجوده، والكلام لا يجرد عن موقعه، وأما الكلام الذي لا يعلم موقعه فإن كان كلامًا صحيحًا دلنا على موقعه كما أنك تقيس من اللباس طول اللابس وضخامته".<sup>1</sup>

أما "سياسة البلاغة" عند العرب فتظهر في نقدهم للكلام واختيارهم لنماذج منه، بلغت من الجمال مبلغًا كقول الأعشى في هجائه لعقمة بن علاثة: تبيتون في المشتى ملأ بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا<sup>2</sup> "وقع الاتفاق على أنه أهجى بيت في الجاهلية، ولما سمع عقمة بن علاثة هذا البيت بكى وقال: اللهم اخزه واجزه عني إن كان كاذبًا".<sup>3</sup>

وكقول لبيد:

وجلا السُّيول عن الطلول كأنها زبر تُجد متونها أقلامها<sup>4</sup> "سمع الفرزدق هذا البيت فسجد فقليل ما هذا يا أبا فراس فقال: أنتم تعرفون سجدة القرآن وأنا أعرف سجدة الشعر. قال الفراهي: كانت العرب تسجد لله تعالى إذا رأت آية تدل على حكمته وقدرته ..".<sup>5</sup>

<sup>1</sup> نفسه، ص 82 .

<sup>2</sup> شرح ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: الدكتور حنا الحقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1412هـ / 1992م، ص 190.

<sup>3</sup> جمهرة البلاغة، ص 85، والبيت مذكور من ضمن أشهر ما قيل في الهجاء في الجاهلية، انظر على سبيل المثال المصون في الأدب للعسكري، ص 19.

<sup>4</sup> ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، 1386هـ / 1966م، ص 165.

<sup>5</sup> جمهرة البلاغة، ص 85 .

### العجم وسياسة البلاغة

يعدّ أرسطو مصدرًا مهمًا من مصادر التفكير النقدي، فقد تأثر العرب بفلسفته، وظهر ذلك جليًا في بعض قضايا الفكر النقدي والبلاغي عند العرب<sup>1</sup> التي صرفتها عن مسارها الصحيح مثاقفتها مع فلسفة أرسطو التي لها خصوصيتها ونسقتها الثقافي المختلف.

وأول انحراف في التصوّر عند أرسطو أنه جعل المحاكاة طبعًا للإنسان والمحاكاة ليست من طبعه، وإنما الذي فطرته عليه أنه "مخلوق ناطق"، وأن "النطق هو الفصل المقوم له"<sup>2</sup>؛ لأن الإنسان إنما يحاكي الإنسان، ولو كان من طبعه المحاكاة لحاكي كلّ من مرّ عليه، أمّا محاكاته لوالديه فمثله كمثّل سائر الحيوانات، فالطفل له خصال الإنسان بالقوة، فإذا رأى فعلاً انبعثت القوة فيه فخرجت، كرؤية الضحك التي تُضحك. فالنطق مودع في فطرته، والقوة تلتبس السبيل للعمل وتلهم طريقة استعمالها، فالرضيع يمصّ إصبعه، ويحاكي الصوت ليعبر عما في داخله، فهو المعلم للسان، وليس المحاكي، وهو المبدع الذي يخترع الأسماء فيقول، للماء مثلاً، مم، أو بب، فالقوة تلهمه طريقة التعبير، فالمحاكاة لها منتهى وأصل ثابت.<sup>3</sup> ولهذا فوصف الإنسان بأنه ناطق، وليس محاكيًا

<sup>1</sup> في هذا الموضوع انظر التفصيل فيما كتبه طه حسين في مقدمة كتاب نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر، وبلاغة أرسطو بين العرب واليونان للدكتور إبراهيم سلامة. والدراسة التي كتبها الدكتور شكري عياد في ذيل ترجمته لكتاب أرسطو في الشعر بعنوان البلاغة وكتاب الشعر، ص 227، منشورات المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1386هـ / 1967م.

<sup>2</sup> جمهرة البلاغة، ص 8.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 8.

أصح<sup>1</sup>؛ لأن النطق نتيجة وعي وتفكير وإبداع، أما المحاكاة فكأنها تحيل الإنسان إلى آلة تُثار فتستجيب.

والنطق الذي خصّ الله الإنسان به، وأودعه في فطرته ليس هو نطق الحروف من جهة نغمتها، فالبلبل له نغم، والحيوانات لها أصوات، وإنما المراد بالنطق: الإفصاح عن مراد العقل "فاعلم أن النطق زهرة تخرج من كمال الفهم وصلاح البنية: فليس لأحد من الحيوان فطانة كفطانة الإنسان، ولا لسان كلسانه فمن كان أكملهم علمًا وجسمًا كان أشرفهم. ولا يخفى عليك أن اللسان طوع الفهم بعدما سوّيت خلقتة فهو آلة يقلّبها العقل. وهذا الأمر يهديك إلى أن حسن النطق ليس في الحقيقة من جهة نغمته كنغمة البلبل بل حسنه في كونه آلة صحيحة للعقل لكيلا يقصر أدنى الإقصار عن إفصاح ما أَراده العقل وعن إبلاغه إلى قلب السامع، فالنطق هو الرسول بين العقل والعقل"<sup>2</sup>.

فالنطق في مفاهيم البلاغة ليس حسن الصوت وعذوبته، لأن حسن الصوت موجود عند العصفور، وفي أوتار الآلة الموسيقية، وإنما هو القدرة على الإفصاح والإبانة عن المعاني العقلية والمشاعر النفسية. ولهذا فالنطق أساس المحاكاة؛ لأن المحاكاة لا تكون إلا بالنطق المفصح عن المراد فهي "أمر ثانوي تكتسب به وسائل النطق فلو لم يكن النطق في الإنسان لما استطاع المحاكاة"<sup>3</sup>.  
وحين يعرض لأسباب الكلام من جهة الفلسفة يجعلها أربعة:

1. قوة النطق = العلة الفاعلية

<sup>1</sup> علمًا بأن أرسطو يعرف الإنسان بأنه "الحي الناطق"، انظر: البيان والتبيين، 1 / 77.

<sup>2</sup> جمهرة البلاغة، ص 9.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 9.

2. المعاني والألفاظ = المادة

3. رسالة العقل = العلة الغائية

4. حسن الكلام = العلة الصورية

فالنطق = العلة الفاعلية يلبس المعاني الألفاظ التي ابتدعها المبدع أو تعلمها بالمحاكاة وذلك لإيصال رسالة العقل المبدع إلى العقل المتلقي لا لإحداث اللذة؛ لأن الجاهل هو الذي يستعمل القوة للذة. أما العاقل الحصيف فهو الذي يوظفها للحكمة، فالحكمة أحقّ باسم الغاية؛ لأن غاية البيان أسمى من ذلك، وإن تحققت من خلال اللذة، وهنا يتحقق حسن الكلام وكماله بالقدرة على الإبلاغ، فكل كلام إنما يتحقق له الحسن بالقدرة على الإبلاغ فالإبلاغ هو معيار حسن الكلام.<sup>1</sup>

والبلاغ لا يكون حسنًا وكاملًا إلا إذا كانت المعاني والصور التي يبلغها حسنة، يقبلها العقل السليم، ويستحسنها الذوق الرفيع، أمّا إذا كانت المعاني والصور قبيحة فلا يكون البلاغ حسنًا، ولو أحسن المبدع بناءه اللغوي وطريقة عرضه، ولهذا ينتقد الفراهي مقولة قدامة ابن جعفر التي يذهب فيها إلى أن "فحاشة المعنى في نفسه لا تزيل جودته كما أن رداءة الخشب لا تعيب جودة النجار؛ لأن الشاعر لا يراد منه الصدق، وإنما يطلب منه الجودة والإبداع".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> نفسه، ص 9.

<sup>2</sup> انظر: نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: الدكتور كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1979م، ص 19، ونص قدامة: "وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان، من الرفعة والضعفة، والرفث، والنزاهة، والبذخ والقناعة، والمدح والعضية، وغير ذلك من المعاني الحميدة والذميمة: أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة... وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه، كما لا يعيب جودة النجارة في الخشب مثلاً رداءته في ذاته"، ص 19 - 21.

فقدامة "لم يرد من الشعر إلا شيئاً نازلاً، وصناعة دنيّة، كما هو وجد أكثر المنتسبين إليه، وإلهم الإشارة في قوله تعالى: الشعراء يتبعهم الغاؤون (الشعراء: 224) ونحن نلتبس محاسن الكلام كما يليق به، وكما وضعته الفطرة الإلهيّة، ويقتضيه كمال قوة النطق، ويستعمله الشاعر أو الخطيب الجدير بهذا الاسم".<sup>1</sup>

لقد كان قدامة "ممن يشار إليه في علم المنطق".<sup>2</sup> وكتابه نقد الشعر يمثل أوّل محاولة في النقد العربي لتطبيق المنطق الأرسطي على الشعر العربي. ومنطق أرسطو له سياقه الثقافي الذي أنتجه. ونظرية الشعر الأرسطية إحدى خصوصيات ذلك السياق وهذا ما أدركه الفراهي حيث قال عن أرسطو وموقفه من الشعر: "وهو أول كاتب يوجد رأيّه في هذا الفن فبدأ كتابه عن الشعر بقول كاد يهديه إلى الصواب حيث قال: إن أصناف الشعر والنغم جنسه الأعلى محاكاة، فإن الإنسان إما من الفطرة أو من التعلّم يحاكي أشياء مختلفة بوسيلة اللون والشكل أو بالصوت، فلو قال: إن الشعر بل كل كلام ونغم جنسه الأعلى تصوير" لكان أقرب إذ ليس بين "المحاكاة" و"التصوير" إلا فرق يسير ولكنه أبعدّه عن الصواب خطؤه في غاية الشعر ومادته ومبدئه، وكان مثار خطائه كلام قومه واستعمالهم إياه، ولو بحث عن أمر الشعر على طريق الفلسفة، ونظر فيه من جهة العلل التي ألج على البحث عنها في ما بعد الطبيعة، وردّ فيه على الحكماء الأقدمين لم يخف عليه الصواب بعد الاقتراب، ولم تلتبس عليه غاية الشعر فمرة يزعم أنها الأثر والإطراب، وحينئذ يزعم أنها القصة؛ لأن العمل غاية كل شيء إلا

<sup>1</sup> جمهرة البلاغة، ص 10.

<sup>2</sup> الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ ص 188.

الصفة وهذا مع الخبط مغلطة أخرى، فإن العمل لا وزن له من دون الصفة، ولكن هذا أمر يخرجنا من فن البلاغة إلى علم الأخلاق".<sup>1</sup>

الخطأ الذي وقع فيه أرسطو أنه جعل الشعر محاكاة ولم يجعله تصويراً، والمحاكاة والتصوير مختلفان. والفراهي لم يبيّن لنا درجة الاختلاف بينهما، ولعلّ المحاكاة - كما فهمها الفراهي - تدلّ على عدم الدقة في إدراك خصوصيّة الشعر، فالشاعر يصوّر الأشياء ولا يحاكيها، لأن المحاكاة تقليد، والتصوير كشف لجوهر الأشياء، ونظر خاص إليها، لكن أرسطو لم يكن يريد بالمحاكاة ما نظن أن الفراهي ذهب إليه، فالمحاكاة عند أرسطو لا تعني التقليد كما هي عند أستاذه أفلاطون، وإنما تعني كشف جوهر الطبيعة الإنسانية. ولذلك فضل أرسطو الشعر على التاريخ؛ لأن التاريخ يصور ما هو واقع، أما الشعر فإنه يصور ما يقع، وما يمكن أن يقع.<sup>2</sup>

ويذهب الفراهي إلى أن كتاب "فن الشعر" لأرسطو كان بداية فلسفته، وكان يمكن الصفح عند زلته تلك؛ لإحسان الظن به، ولكن هذا الرأي ذهب إليه في كتابه تغلغل في عقول الناس، وأفسد أفكارهم.<sup>3</sup>

والذي جرّ أرسطو إلى هذا الاعتقاد تراثه الثقافي فقد "نظر في كلام قومه فبنى فن نقد الشعر حسب ما وجد في أحسن كلامهم، ولما كان جُلّ أشعار يونان قصصاً وحكايات مكذوبة مثل نظم هومروس وسوفاكليس وغيرهما فأمعن فيهما لاستنباط أصول النقد ومناط المحاسن، وهذا هو الطريق فإن المحاسن توجد أولاً ثم أهل النظر يستخرجون منها الأصول، كما أن أصول

<sup>1</sup> جمهرة البلاغة، ص 5 .

<sup>2</sup> في الشعر ، أرسطو طاليس، ترجمة الدكتور شكري عياد ص 64 .

<sup>3</sup> جمهرة البلاغة، ص 5 .



الطبيعيات تستخرج عن آثارها، ولكن قلّما يسلم المرء من الخطأ في استنباط أصول الآثار، فإن الشيء المؤثر يستجمع عدة صفات، فالمستنبط ربما يتوهم صفةً الغالبة على سائرهما مناط الأثر الذي يطلب أصله..<sup>1</sup>

لقد توهم أرسطو أن الشعر محاكاة، لما استقرأ الشعر اليوناني ووجده حكايات خارقة لبطولات الشعب اليوناني كما في الإلياذة والأوديسا لهوميروس، وقصصاً خرافية كما في الأساطير اليونانية وهي حكايات وقصص كاذبة لا تطابق الواقع، ولما رأى أن كذبها يزيد لها حسناً "غلب على ظنه أن حسن الكلام في كونه حكاية. ثم التمس المثال فوجد أن التصوير يستحسن وإن كان يحكي شيئاً قبيحاً. ثم أحكم هذا الرأي بالتماس علاقة بين الاستحسان والحكاية فاعتصم بأمرين:

الأول: أن الإنسان حاكية بالطبع أكثر من سائر الحيوانات فهذه الصفة أنسب بطبعه وأحبّها إليه. والثاني أن العلم مرغوب بالطبع وحكاية الشيء تخبر عن المحكي عنه فلذلك هي محبوبة فإذا رسخ هذا الرأي عنده استقام عليه وتعصب له وردّ على كل امرئ رأى خلافه مثلاً استحسن جواب سوفاكليس حين أخذوا عليه أنك وصفت الناس خلاف صفتهم فقال: إني وصفتهم كما ينبغي ويورايبيدس وصفهم كما هم عليه..<sup>2</sup>

وكما فرضت طريقة تصوّر الشعري على أرسطو هذه الرؤية، عززت غاية الشعر عند اليونان نظريته في المحاكاة "ثم لما كان جلّ أشعارهم للتلذذ والتلمي في محافل المسامرة، ونادي اللهو بحكايات مضحكة أو مبكية لم يجد لمحاسن الأشعار غاية إلا الإطراب فقال: إن يكن الصدق لا يطرب

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 5 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 6 .

فينبغي للشاعر أن يزيد أو ينقص. ولم يكن في هذا الرأي بدعاً في قومه فإنه ظن كما ظنوا فإن اسم الشاعر عندهم المخلوق الذي يصنع الحكايات والقصص لإطراب السامعين".<sup>1</sup>

هذا الموقف الأرسطي من الشعر أصبح أحد روافد النظرية النقدية عند العرب، وهو رافد انحرف بسياسة البلاغة من سياسة عربيّة إلى سياسة أعجمية بدأت بوادرها مع قدامة بن جعفر، واتسعت وترسخت - بحسب رأي الفراهي - مع عبد القاهر الجرجاني "القدوة للذين جاءوا من بعده فاتبعوا خطواته، فكان سبيله سداً بينهم وبين العرب، فلو التزموا كلام العرب ولم يلتفتوا إلى أصول مهّدها المبعدون لكان خيراً لهم، وكانوا أقرب إلى معرفة إعجاز القرآن من طريق الذوق، وإن لم يكونوا من طريق الصناعة".<sup>2</sup>

وخطأ عبد القاهر ومن جاء بعده في نظر الفراهي، أنهم نقلوا معرفة ناجزة، وسياسة بلاغة فرضتها مرجعيّة ثقافية مغايرة. وسياسة البلاغة يجب أن تكون مؤسسة على خصوصيّة ثقافية، واستقراء للإبداع، واستخراجاً لمقاييس الجمال، التي ستغدو نموذجاً جمالياً للإبداع بعد ذلك، ومحكاً لمعرفة الجيد من الرديء، والذاتي من المستنسخ. لقد عني علماء الإسلام بسياسة البلاغة "لأجل الكشف عن إعجاز القرآن، فلو أنهم استقصوا كلام العرب واقتفوا آثار المحاسن فيه، وقيدوها بالحدود، ونظموها في ترتيب حتى يصير لهم ميزان ومحك لمعرفة محاسن الكلام، ثم نظروا في براعة القرآن ونظمه المعجز لكانوا أقرب إلى معرفته، ولكنهم لم يأخذوا من العرب ولا من كلامهم، فإنهم أثرت فيهم علوم العجم، كما خالطتهم سجاياهم إلا الأولين

<sup>1</sup> نفسه، ص 6 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 4 .

منهم كالجاحظ، فإنه لا يبعد عن سنن العرب كبعد صاحب دلائل الإعجاز، ولم يبعد هذا إلا لقلة ممارسته بكلام العرب الخُلص، فلو تيسر له ذلك عرف منزلتهم في هذه الصناعة، واعترف بفضلهم على المولدين ..<sup>1</sup>.

هناك بلاغتان "بلاغة كذب" و"بلاغة صدق" وهناك سياستان للبلاغة "سياسة أعجمية" تمجد القول الكاذب، وتبحث فيه عن مواطن الحسن ولو كان قبيحاً في ذاته، و"سياسة عربية" تجعل مدار الجودة على الإصابة في القول والحسن في الذات.

أما البلاغة الكاذبة أو "بلاغة الكذب" فهي بلاغة شعراء اليونان، وبلاغة "المولدين البلديين المتكلفين" الأولى قبيحة في ذاتها، والأخرى قبيحة في تقليدها الفج حين يُستكره فيها القول، وتعتسف اللغة بلا وعي.

أما "بلاغة الصدق" فهي بلاغة العرب الأقحاح الذين ينطقون بالحق، ويمجدون الفضيلة، ويرتقون بوعي الإنسان وغاية الفن.

وقد أدرك الجاحظ هاتين البلاغتين ففرق بينهما عندما قال: "لم أجد في خطب السلف الطيّب، والأعراب الأقحاح ألفاظاً مسخوطة، ولا معاني مدخولة، ولا طبعاً رديئاً، ولا قولاً مستكرهاً، وأكثر ما نجد ذلك في خطب المولدين البلديين المتكلفين، ومن أهل الصنعة المتأدبين، وسواء كان ذلك على جهة الارتجال والاقتضاب، أو كان من نتاج التخيّر والتفكير".<sup>2</sup>

العرب الأقحاح والسلف الطيّب كانت ألفاظهم مقبولة لتنزهها عن الدلالات المستكرهة، ومعانهم نقيّة لا يداخلها زيف ولا كذب، وطباعهم عربية، تنبو

<sup>1</sup> نفسه، ص 3 .

<sup>2</sup> جمهرة البلاغة، ص 12، والنص موجود بالبيان والتبيين، 8 / 2 .

عن الخنا والرزائل، وأساليهم تنم عن رؤية صافية، وإبداع خلاق، وهؤلاء هم الذين أعارهم الله من معرفته نصيبًا كما يقول أبو عثمان "ومن أعاره الله من معرفته نصيبًا، وأفرغ عليه من محبته ذنوبًا، حنّت إليه المعاني، وسلس له نظام اللفظ، وكان قد أغنى المستمع من كدّ التكلف وأراح قاريء الكتاب من علاج التفهم" فجعل مدار البلاغة نور العلم، وطهارة القلب، وهل ينشأ الكلام من غيرهما، أو يُتدى للقول الصائب بدونهما<sup>1</sup>.

منهج العرب الأقحاح كان "نقاء في اللغة" و"طهارة في القلب" وأصبح منهج المولدين "لفظًا مستكرهاً" و"طبعًا رديئًا" و"معنى مدخولاً" فلما ترك المولدون منهج العرب "صار أهم شيء عندهم البديع، ومطمع نظرهم التشبيه وعند العرب أولهما مُنكر والثاني غير مهم لذاته"<sup>2</sup>.

وما أشار إليه الفراهي فيه شيء من الصواب، فقد كانت اللغة الشعرية التي تقوم على استثمار طاقات المحسنات البديعية عند الشعراء المحدثين في العصر العباسي أساس المعركة النقدية بين الشعراء وعدد من النقاد العرب الذين رأوا في هذه اللغة خروجًا على مذهب العرب في البيان.

إن البديع قيمة جوهرية في لغة الشعر، ولكن النقاد كانوا يرون أن مسلم بن الوليد وأحزابه من الشعراء قد أفرطوا في تقدير هذه القيمة حتى أصبحت شغلهم الشاغل، فالشعراء قبلهم كانوا يعنون بها، ويستثمرون طاقتها الفنية، ولكنهم لم يولعوا بها، ويفرطوا في استخدامها كما فعل هؤلاء الشعراء.

أما التشبيه فكان جوهر كلام العرب، "وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم، وكلما كان في تشبيهه أطف كان بالشعر أعرف، وكلما كان إلى المعنى أسبق

<sup>1</sup> جمهرة البلاغة، ص 12.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 2

كان بالحدق أليق<sup>1</sup> وما كان التشبيه كذلك، إلا لأنه من أصعب أنواع الشعر وأبعدها متعاطى كما يذكر ابن رشيق.<sup>2</sup>

لكن الفراهي لما وجد عبد القاهر يذكر أن محاسن القول متفرعة عن التشبيه ظن أن هذا مسلك بلاغة الأعاجم التي أسس لها عبد القاهر.

"التبعية الثقافية"، كما رآها الفراهي يمكن اختصارها في "نظرية المحاكاة" التي فسّر بها أرسطو الفنون الجميلة. وهي نظرية قوامها الكذب، فالشاعر تكمن عبقريته في اختلاقه الأكاذيب، وعلى هذا قال أصحاب التبعية: "أعذب الشعر أكذبه"،<sup>3</sup> ولأن التشبيه والتمثيل شبيهان بالقصة والحكاية عمود البلاغة عند أرسطو صارت جلّ محاسن القول متفرعة عن التشبيه

<sup>1</sup> البرهان في وجوه البيان، إسحاق بن إبراهيم بن سليمان الكاتب، تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب، والدكتورة خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط 1، 1387هـ / 1967م، ص 130

<sup>2</sup> العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، حققه، وفصله، وعلق حواشيه، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط 4، 1972م، 2 / 326.

<sup>3</sup> هذه المقولة وردت صريحة أو ضمنية في كثير من المصنفات اللغوية والنقدية ومنها على سبيل المثال:

- الصاحبي، أحمد بن فارس، تحقيق: السيد أحمد صقر، عيسى الحلبي، القاهرة، 1977م، ص 229.

- البرهان في وجوه البيان، إسحاق بن إبراهيم الكاتب، تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب، والدكتورة خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط 1 / 1387هـ / 1967م، ص 153.

- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، السجلماسي، تحقيق: علال الغازي، الرباط، مكتبة المعارف، ط 1، 1401هـ / 1980م، ص 252.

على أن المراد بالكذب في الشعر هو أن يقوم الشعر على قوة تخيلية، ورؤيا خالقة ليكون شعورًا جديدًا بالأشياء، وليس الشعر إلا الفطنة في النظر، ولهذا سمي الشاعر شاعرًا.

"ولما رأوا أن أرسطو أسس الأمر على مهارة الاختلاق سبق إلى ظن بعضهم أن أحسن الشعر أكذبه. وإذ ليس في أشعار العرب من أمر القصة والحكاية إلا التشبيه ظنوا أن الغلو في التشبيه من المحاسن. وكما أن المحاكاة صارت عمود الرجاحة عند أرسطو فكذلك صار التمثيل والتشبيه الذي يشابه القصة عندهم قطب البلاغة. ثم إنهم وافقوه في عين هذا الرأي فإنه قال في عدّ محاسن الكلام: "إن أعلى كمال البليغ أن يكون حاذقاً في استعمال التشبيه" وقال صاحب أسرار البلاغة "كان جل محاسن الكلام إن لم نقل كلها متفرعة عنها (أنواع التشبيه) وراجعة إليها".<sup>1</sup>

ونتيجة لهذه "السياسة المستنسخة" كما يرى الفراهي عمد بعض أدباء العربيّة وهم من يصفهم "بالمتكلفين من المولدين" إلى الإكثار من التشبيه، والمبالغة فيه "فغاب عنهم ما كان للعرب من سحر الكلام وإعجازه".<sup>2</sup> لقد أبعدهم الاستغراق في التشبيه عن "الصدق" الذي هو جوهر البلاغة العربيّة عند الفراهي، وازدادوا بعداً عندما أولعوا بالتشبيه الذي حذف أحد طرفيه "الاستعارة"؛ لأن التشبيه وإن كان يبعدهم عن الصدق، فإنه يظل محافظاً على حدود الأشياء، أما الاستعارة فإن الطرفين فيها يندمجان اندماجاً كاملاً، وهذا أبلغ في الكذب ومجافاة الصدق "فإنك مثلاً إذا قلت زيدٌ كالأسد، فإنما شبهته بالأسد، ولكن إذا قلت رأيت أسداً فكأنك جعلته عين الأسد، فغلب على ظنهم أن الحسن أميل إلى الكذب وستعلم أن العرب لهم أصولٌ أخرى لمحاسن الكلام".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> جمهرة البلاغة، ص 6، 7.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 7.

<sup>3</sup> نفسه، ص 7.

التشبيه أمر "علته التكلف، واسمه الاختلاق، وناصره الكذب، وغرضه التلمي" ومحاسن الكلام أساسها "الصدق" لاسيما في بلاغة العرب؛ لأنها بلاغة قامت أسسها على تصور ديني، وارتبطت بأظهر معجزات المصطفى صلوات الله وسلامه عليه القرآن الكريم، فالعاقل لا يرضى أن يبحث عن الجمال في الكذب "لاسيما إن كان ممن يعلم أن البلاغة من أهم كمالات المرسلين، ولاسيما إن كان من الذين يؤمنون بأنها من المعجزات أعلاها وأدناها وأبقاها".<sup>1</sup>

إن البلاغة كامنة في إبلاغ المعاني الحسنة، وليست في المحاكاة، وإن غاية البلاغة أن تكون "سفيراً صادقاً للعقل" لا أن تكون إطاراً للسامع، وتحذيراً له.<sup>2</sup>

إن المبدع يتوسل بطاقات اللغة، وخصائص الجنس الأدبي إلى تحقيق غاية نبيلة، هي إيصال المعاني الجميلة، والقيم الرفيعة إلى ذهن المتلقي، ولهذا فالاشتغال بمحاسن القول عن حسنه صرفٌ للكلام إلى غير جهته فوزن الشعر وإيقاعه الجميل مثلاً ليسا أصل البلاغة فيه، وإنما أصل البلاغة فيه "شرف المعنى"،<sup>3</sup> لأن آليات الإبداع وسائل لبلوغ الغاية الكبرى "الإبلاغ" على طريقة العرب الأقحاح وعلى هذا كان العرب يحمدون الكلام لحسن معناه كما قال زهير:

وذي نعمة تتممها وشكرتها	وخصم يكاد يغلب الحق باطله
دفعتُ بمعروفٍ من القول صائبٍ	إذا ما أضلَّ الناطقين مفاصله
وذي خطل في القول يحسب	أنهم صيب فما يُلمم به فهو قائله

<sup>1</sup> نفسه، ص 7 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 13 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 10 .

عبأت له حلماً، وأكرمت غيره هو أعرضت عنه وهو بادٍ مقاتله<sup>1</sup>  
فانظر كيف جعل معروف القول صائبه، وبين أن حسن القوافي ربما يضل  
الناس، ولكن بإزاء المعروف يضمحل رونقه، فإذا جاء الحق زهق الباطل، ثم  
كيف استحققر من يقول كلما يجري على لسانه ولم يرد أنهما لم يبلغا  
معناهما، ولكنه عدّه غير صائب نكر ذا خطل يرده القلب، فهل تظن أنهم  
يسمون أمثاله بليغاً. أم تظن إن رأيت صخاباً يشتم أحداً ذاهباً في كل مذهب  
من الاستعارة والتشبيه ومصوراً لكل أمر قبيح فهل تسميه بليغاً أو فصيحاً.  
فهذا يبين لك أن حسن الكلام تابع لحسن المعنى، فلا نسي الكلام حسناً إلا  
بعد أن حسن معناه، ولا نترك للكلام فضيلة إلا صحة الأداء، فإذا أدى الكلام  
من قلب المتكلم أدى حقّه، ولكنه مع ذلك غير بليغ إن لم يكن المعنى مما يبلغ  
القلب. وكثر في كلام العرب ذم الفحش والخنا والهجر والبذاءة حتى إذا خلط  
شعرهم بهذه المساوي صار ساقطاً ألا ترى كيف أمر الحجر بقتل ابنه امرئ  
القيس لقول الشعر، وسماه الناس ضليلاً، وكيف ذموا النابغة لمدحه الملوّك،  
والعرب تحب مدح الشاكر وذم الساخط، وتأنف عن مدح المتذلل<sup>2</sup>.

"سياسة البلاغة" عند الفراهي، بحث دقيق في جماليات المعاني، التي لا  
تتحقق جمالياتها إلا في ذاتها أولاً. فالأديب صانع أفكار، قبل أن يكون مبدع  
أشكال. وقيمة الأدب لا تكمن في طريقة تشكيله، وإنما تكمن في معانيه  
وأفكاره أولاً، ثم في فنيات النسيج والبناء ثانياً، فالرؤية مقدّمة على طريقة

<sup>1</sup> شرح ديوان زهير بن أبي سُلَی، صنعة الإمام أبي العباس ثعلب، مطبعة دار الكتب  
المصرية، القاهرة، 1363هـ / 1944م، ص 138، 139، ورواية الديوان إذا ما أضلّ  
القائلين، وعبأت له حلبي: أي جمعت.

<sup>2</sup> جمهرة البلاغة، ص 11.



عرضها، مالم تكن الرؤية صادقة، متمثلة لقيم الحق والخير والجمال كما تمثلت في القرآن والسنة وكلام العرب الأقحاح، مؤثرة في عقل المتلقي ووجدانه فلا ميزان لها في "سياسة" الفراهي وهذه هي البلاغة، فما سعي الكلام بليغاً إلا "لكونه يبلغ القلب حيث قال [تعالى]: وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً، وحيث قال: "ولله الحجة البالغة" فاتضح أن أبلغ الكلام أبلغه في القلوب وأهداه إلى العقل".<sup>1</sup>

وهذه هي البلاغة التي تحيي القلوب كما قال عبيد الأبرص:

القائل القول الذي مثله يَمُرُّ منه البلدُ الماحل<sup>2</sup>

والصدق الذي يشترطه "الفراهي" للبلاغة، هو الصدق الذي يشترطه النقاد والبلاغيون العرب، ولا يعني الصدق هنا أن يفقد الفن سحره، ومسلكه في التعبير عن حقائق الوجود وأحوال النفس الإنسانية، فالنقل الفوتوغرافي، ومطابقة الفن للواقع يفقده قدرته على التأثير والإمتاع، ولهذا يستحسن الفراهي الكذب الذي يرد في الشعر "لصحة التمثيل" وذلك من خلال التقديم الحسي للمعاني المجردة، فالتقديم الحسي يخاطب النفس بما تحب، كما نجد ذلك في التشبيه والتمثيل والكناية، وحكايات العجماوات والاستعارات التي تتجافى المبالغة، وتتجاوز الحد وهو إحساس النفس، فإذا كانت هذه الوسائل في كذبها غير متجاوزة لأحاسيس النفس فهي صادقة، وهذا هو الفرق بين "الإحساس والافتراء" الذي جهله كثير من الناس فظن الكذب أساساً من أسس الشعر الجيد، والشعر لا

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 13 .

<sup>2</sup> جمهرة البلاغة، ص 214، وديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح: حسين نصار، ص 100

يبني إلا على الصدق،<sup>1</sup> والبلاغة لا يطلق عليها بلاغة إلا "لكونها يمين العقل، وعنصر الإنسانية، وترجمان الصدق وإكليل العز".<sup>2</sup>

فبلاغة العجم هي التي أفسدت "منهج التدوق" بالقواعد المستنبطة التي لا يمكن أن تقف على حقيقة الحسن، لأنها تنطلق من تصور مغاير لطبيعة البيان العربي الشريف، فكان فساد الإجراء نتيجة لفساد التصور، وفساد الإجراء يتأكد في ثلاثة أمور:

1. تحكيم المنطق والنحو في الكلام حيث جعلوا الحسن في الدلالة الالتزامية وأجزاء القول من مسند ومسند إليه ووصل وفصل وهذه أمور تحجب الحسن ولا تدل عليه.
2. نسبة الحسن إلى غير مصدره مما صرف الناس عن إدراك موطن الحسن في الكلام.
3. الاختصار على شكل الكلام وبنائه، مع أن أصل الحسن في "المعنى" ممّا أدى إلى إدراكٍ دونيّ للبلاغة، وتغافل عن الحسن في أعالي القول.<sup>3</sup> وهذا الرأي الذي ذهب إليه الفراهي تنقصه الدقة، فبلاغة المعنى وحسنه في ذاته، أمر لا ينكره أحد، إذ لا بدّ أن يكون المعنى مقبولا، ومتوافقا مع قيم الدين، وما ذهب إليه بعض النقاد القدماء من أن الصدق يراد من الأنبياء والشعراء يراد منهم البلاغة في القول، أو أن فحاشة المعنى لا تذهب بلاغته، أو أن البلاغة هي تصوير الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> جمهرة البلاغة، ص 13.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 14.

<sup>3</sup> نفسه، ص 8.

<sup>4</sup> انظر على سبيل المثال: البيان والتبيين، 1 / 113. والممتع في علم الشعر وعمله، عبد الكريم الهشلي، تحقيق: الدكتور منجي الكعبي، تونس، بدون تاريخ، ص 311

يشكل الرأي الأكثر حضورًا في التراث النقدي. ولهذا نجد على سبيل المثال لا الحصر عبد القاهر الجرجاني الذي يجعله الفراهي أساس فساد البلاغة العربية لا يورد بيتًا واحدًا في كتابيه لشاعر كأبي العلاء المعري، ولا أرى ذلك إلا ازدراءً لمعانيه وأفكاره.

أما القول بأن تحكيم النحو في البلاغة، والبحث عن أسرار البلاغة وراءه اشتغال بغير المقصود، ونسبة للحسن إلى غير مصدره، فهذا أمرٌ غير صحيح؛ لأن براعة الأديب لا تكمن في صدق معانيه، لأن صدق المعنى موجود لدى المؤرخ، والفيلسوف، وعالم الدين، والاجتماع والنفوس، وإنما البراعة في طريقة تشكيل المعنى الصادق، وإلباسه حُلّة الفن وبلاغة البيان، ولهذا يروى عن عبد الملك بن مروان أنه لما أنشدته الراعي قصيدته التي يقول فيها:

أخليفة الرحمن أنا معشرٌ      حنفاء نسجد بكرة وأصيلا  
عَرَبٌ نرى الله في أموالنا      حقّ الزكاة منزلاً تنزيلاً

قال له عبد الملك: "ليس هذا شعرًا، هذا شرح إسلام، وقراءة آية".<sup>1</sup>

إنّ الأدب لغة، وفهم الأدب لا يتم إلا من خلال كشف طاقات النص اللغوية، وسبر علاقات البناء اللغوي، وهو ما تعوّل عليه اللسانيات الحديثة كما عوّلت عليه البلاغة العربية قديمًا

<sup>1</sup> الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، للمرزباني، تحقيق: علي البجاوي، القاهرة، 1965م، ص 249.

## حدود الجنس الأدبي

### الشعر والخطابة:

اجتهد الفراهي في إقامة حدود فاصلة بين جنسي الأدب العربي الشعر والخطابة، وترامى به الحديث إلى التفريق بين الشعر والنثر البليغ انطلاقاً من وعي دقيق بخصائص كل جنس. فإذا كان أرسطو يفرّق بين الشعر والخطابة من طريق المحاكاة، فيحصر الشعر في محاكاة أفعال الناس الحسنة "المأسة" والقبیحة "الملهة" والخطابة في البرهان فإن الفراهي يفرق بينهما من طريق آخر، فهما شريكان في البلاغة، ولكن مع ذلك بينهما فرق عظيم يتجاوز حدود الشكل الخارجي "الوزن والقافية" إلى البحث في سيكولوجية الشاعر والخطيب، واستقراء دلالاتي التسمية عند العرب فالشاعر يشعر بما لا يشعر به غيره؛ لأن إحساسه النفسي قاهر عليه، فنفسه سريعة الاستجابة للمستحاثات من حزن وفرح، وسخط ورضا، وهذا لا يعني أنه يفرح أكثر مما يفرح الآخرون أو يحزن فوق ما يحزنون وإنما المراد "أن شعره يعمل فيه فينبه متخيّله ونطقه وغناؤه فتيقظ [هكذا] فيه هذه القوى، وأما غيره فشعوره جامد خامد فكأن الشاعر نبات حيّ إذا سقيت أصله ذهب الماء في كل عرق منه فاهترّ فكذلك الشاعر يدب الإحساس في جميع مشاعره فيفيض منه الكلام كما قال عبد الله بن عمرو بن عثمان حين قيل له كيف تقول الشعر مع النسك والفقه، فقال: إن المصدور لا يملك أن ينفث، وقيل لصُحّار العبد ما هذا الكلام الذي يظهر منك قال: شيء تجيش به صدورنا فنقذفه على ألسنتنا".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> جمهرة البلاغة، ص 15، والمقولتان في البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط 4، 4 / 46، والخبر الثاني في 1 / 96.

فالشاعر إنسان لا يملك التحكم في مشاعره فهي تتدفق عند حصول الباعث، ولهذا لا يستطيع الشاعر أن يقول الشعر متى شاء، يُروى عن الفرزدق أنه قال: "قد علم الناس أنني فحل الشعراء، وربما أتت علي الساعة لقلع ضرس من أضراسي أهون عليّ من قول بيت شعر".<sup>1</sup>

أما الخطيب فإن له شعور الشاعر، ولكنه شعور منظم، خاضع لرقابة الوعي، وعلى هذا فإن الخطيب أكثر إبداعاً من الشاعر عند الفراهي، لأنه اجتمع له شعور الشاعر، وعقل الخطيب "فالخطيب أرفع منزلة لغرضه الأعلى، وأقوى عقلاً، وأشد قوة، وأذكي نفساً".<sup>2</sup>

ولا يكون الشعر أسعى من النثر إلا حين ينبثق من منبع "الروح" ثم من الشعر ما ينبعث من منبع الروح، فإن الروح أشبه بالنفس في الاشتغال، وهذا الشعر أرفع من الخطبة، فإن طهارة الفطرة، وعلو الغرض، بل علو من الغرض يرفعه على آثار العقل، ولكن هذا الشعر لا يحتاج إلى الوزن، ولكنه إن زوج بالوزن والنغمة علق بالروح وأذابه فسال معه".<sup>3</sup>

والتفريق بين "النفس والروح" عند الفراهي يقوم على رؤية مغايرة للمألوف، ذهب إليها بعض الفلاسفة، حيث جعلوا النفس بعض الروح.<sup>4</sup> فالروح أعم، لأنها تكون بمعنى "القوة المفكرة"، فكأن الروح تجمع هيجان النفس وضبط العقل، والشعر إذا اجتمع فيه هذان الأمران كان الغاية في الإبداع عند الفراهي.

<sup>1</sup> الخبر في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، الطبعة التونسية، 21 / 365، وفي البيان والتبيين، 1 / 130.

<sup>2</sup> جمهرة البلاغة، ص 15.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 16.

<sup>4</sup> المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1971م، 1 / 625.

وهذه المنزلة التي يتبوءها الخطيب تحتاج إلى متلق من نوع خاص "ولذلك من نظر في كلام الخطيب، وهيجان قلبه، ولم يؤمن بعلو غرضه، وطهارة نفسه، وصحة رأيه، لم يفرقه من الشاعر، بل لتصويره البعيد المنتظر الذي لا يراه غيره يظنه مجنوناً".<sup>1</sup>

لقد أدرك العرب هذا التمايز بين "القصيدة" و"الخطبة" فوصفوا الشعر بالسحر، والخطبة بالحكمة والبيان، لخروج الخطبة من "العقل الصافي" والقصيدة من "النفس النقية".

وربما تداخل الجنسَان فكان للخطبة وزن الشعر وخياله المحلّق، وللقصيدة حكمة الخطبة وللخطيب الإحساس القاهر للشاعر، وللشاعر قدرة الخطيب في ضبط المشاعر وتنظيم الانفعالات وهنا يكون العجب والدهشة، كما تعجب العرب من حكمة الشعر وسحر البيان فقالوا: "إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحراً".<sup>2</sup>

وكثير من النَّاس يزلّون في التفريق بين الشعر والنثر، فيعتقدون أن الشعر صورة "كلام ذو مجاز وتشبيه"،<sup>3</sup> فيشتبه عليهم بعض النثر بالشعر كوعظ عيسى عليه السلام المليء بالتشبيهات والأمثال، والفرق لا يقع بينهما من هذه الجهة فقد يمتزجان. ولهذا حين نتأمل بعض الرؤى في التراث النقدي توائم بين الشعر والخطابة حتى إنه يقال للقصيدة: خطب، وربما قال بعضهم مصرّحاً: وما الشعر إلا خطبة من مؤلفٍ يجيء بحق أو يجيء بباطل<sup>4</sup>

<sup>1</sup> جمهرة البلاغة، ص 15.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 16.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 16.

<sup>4</sup> للاتساع في هذه القضية ينظر الشعرية العربية الأنواع والأغراض رشيد يحيى، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ط 1، 1991م، ص 121 وما بعدها

وإنما المعوّل في ذلك على سيكلوجية المبدع فالشاعر أغنّ طبعًا وأرقّ فطرة" <sup>1</sup> ولهذا حين يتأثر بأمر ينعكس التأثير في "الوزن والنغمة والرقص" <sup>2</sup> لأنها فيه فطرة راسخة، وهذا ما خفي على أرسطو الفيلسوف الذي لا يعرف كنه الشعر، فزعم أنه "محاكاة" عندما رأى المغنين والرقاصة يبرزون بالغناء والرقص أحوال النفس، وأفعال الناس، وهي ليست كذلك فهي "م تستعمل للمحاكاة، وإظهار ما تظهره إلا لأنها نتائج أحوال النفس مثلًا التأوه لا يظهر الحزن، والتبسم لا يظهر المسرة إلا لأن النفس تفهم هذه الإشارات لما أنها تبعث فيها حالة خاصة، كالغناء والرقص والوزن أمور تنشأ في نفس من رقت نظراته" <sup>3</sup>.

فالعواطف الإنسانية تبعث في النفس الرقيقة، والقلب الحيّ دفقًا شعوريًا يتجسد أثره "صوتًا، أو غناءً، أو رقصًا، أو تمللًا" <sup>4</sup>.

### الشعر والنثر البليغ

يعرض الفراهي رأي أرسطو وجان مل في الشعر فأرسطو يذهب إلى أن للمحاكاة طرقًا شتى، وأن وسائل المحاكاة في الكلام ثلاث: وزن، وألفاظ، ونغمة قد تجتمع في كلام، وقد يحاكي بكل وسيلة على حدة وقد يُحاكي باثنتين، ويجعل المحاكاة هي الشعر، ويسمّي محاكاة معالي الأمور أبوبيه Epepe وتكون بالألفاظ وحدها كما في محاورة سقراط.

<sup>1</sup> جمهرة البلاغة، ص 16.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 16.

<sup>3</sup> نفسه، ص 16.

<sup>4</sup> نفسه، ص 17.

أو باللفظ والنظم كنظم فلان وفلان، ويرى أن الوزن اتصل بالشعر عن طريق العادة، ولكنّ الذين نظموا كتبًا في الطب أطباء وليسوا شعراء، لأنّ الشعر لا يتم بالوزن وحده.<sup>1</sup>

وأما "جان مل" فيجعل الشعر هيجانًا، فالشاعر يخاطب نفسه، ولهذا يرى "الفراهي" أن "جان مل" مقارب للصواب، وأكثر احتياطًا من أرسطو؛ لأنه أمن التخليط بين الشاعر والخطيب أو الحكيم حين جعل الوزن زائدًا على الشعر، ولم يعد محاورة سقراط شعرًا.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> نفسه، ص 18 ونص كلام أرسطو: "فكما أن من الناس من إنهم ليحاكون الأشياء ويمثلونها بحسب ما لهم من الصناعة أو العادة بألوان وأشكال، ومنهم من يفعل ذلك بوساطة الصوت، فكذلك الأمر في الفنون التي ذكرناها، فجميعها تحدث المحاكاة بالوزن والقول والإيقاع، إما بواحد منها على الانفراد أو بها مجتمعة فالإيقاع والوزن - مثلاً - يستعملان وحدهما في الصفر في الناي وصنعة الضرب على القيثارة، وما قد يكون من صنائع لها مثل قوتها، كصفارة الراعي. والوزن وحده - بغير إيقاع - يستخدم في الرقص، فإن الرقص أيضًا يحاكي الخلق والانفعال والفعل بوساطة الأوزان الحركية. أما الصنعة التي تحاكي باللغة وحدها منثورة أو منظومة - ومن النظم ما يكون في جملة أعاريض مجتمعة، ومنه ما يكون في جنس واحد من الأعاريض - أما هذه الصنعة فلم يعرف لها اسم حتى الآن، فليس لدينا تسمية عامة لمشاهد سوفرون وكسنا خورس ومحاورات سقراط، ولا لما قد يعمل من المحاكاة في العروض الثلاثي أو الإلجي أو غيرهما من الأعاريض. إلا أن الناس يلحقون كلمة الشعر - أو العمل (يويارين) - بالعروض المقول فيه، فيطلقون اسم "الشعراء الإلجيين" على فريق، واسم شعراء الإبي على فريق آخر، لا يرجعون في تسمية هؤلاء وأولئك شعراء إلى المحاكاة بل إلى العروض دون تمييز بين محالٍ منهم وغير محالٍ، حتى لقد جرت عادتهم أنه إذا وضعت مقالة طيبة أو طبيعية في كلام منظوم سمّوا واضعها شاعرًا. على أنك لا تجد شيئًا مشتركًا بين هوميروس وأمبدوكليس ما خلا الوزن، بحيث يحق لك أن تسمي الأول منهما شاعرًا، أما الثاني فيصدق عليه اسم الطبيعي أكثر من اسم الشاعر.. 29، 30 ترجمة الدكتور شكري عياد.

<sup>2</sup> جمهرة البلاغة، ص 18.



وخطأً أرسطو، يكمن في أنه جعل الشعر محاكاة، لأن الصفة الغالبة على الإنسان عنده أنه "كائن محاك" والحقيقة أن الإنسان "كائن ناطق" فالصفة الغالبة عليه النطق، وليس المحاكاة.

وأنه جعل المحاكاة في الشعر يمكن أن تكون بطريقة واحدة من الطرق الثلاث "اللفظ - الوزن - النغمة" وهذا غير صحيح، فالشعر لا يكون شعراً إلا باكتمال جميع عناصره و"الكل لا يوجد بمجرد أن يوجد منه جزء".<sup>1</sup>

إن الشعر "لا يتجرد عن الوزن والنغمة والرقص، ولكن الوزن يحتمل فيبقى بالكلام، فأما النغمة فلا يحتملها الكلام إلا قليلاً، والرقص أمرٌ على نهاية الإحساس حتى يخرج المرء عن وقاره، والكلام لا يحتمله فبقي من آثار حركات النفس بالكلام قدر ممكن وترك ما لم يمكن ولم يلتزمه، فإن كمال الشيء ليس مما يصحبه في كل حال ألا ترى العقل من مقومات الإنسان، ولكن كمال العقل لا يلتزمه، وكذلك البلاغة كمال النطق ولكنها لا توجد في كل ناطق، فكذلك النغمة لا توجد مع كل شاعر، ولكن مع ذلك لا يوجد الشعر خالياً عن النغمة كل الخلو، فإننا لا نتصور شاعراً لا يترنم والعرب لا تعرف الشعر بغير الإنشاد والوزن طرفٌ من النغمة".<sup>2</sup>

والوزن والنغمة والرقص عند الفراهي من مبنّت واحد، فهي أثر من أثر الحركة النفسانية التي تتجسد في إشارات موزونة، عند من منحه الله نطقاً ورقة وغناء.<sup>3</sup>

والوزن أكثر انتلافاً بالشعر، ولهذا لم يجرد القدماء الشعر من الوزن، وإنما جرّده من النغمة، وإن بقي منه شيء منها فالشعر "قوة تخيلية" "محاكاة"

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 18.

<sup>2</sup> نفسه، ص 19.

<sup>3</sup> نفسه، ص 18.

و"قوة إيقاعية" "وزن" "فمن ظنّ أن مكاملة سقراط جنس الشعر لم يعرف من كنه الشعر إلا المحاكاة، ومن ظنّ أن الوزن ليس من الشعر لم يعرف من أصل حقيقة الشعر إلا طرقاً واحداً هو الهيجان المفيض إلى النطق"<sup>1</sup>. وهذا الذي يذهب إليه "الفراهي" "هو حال المطبوعين من الشعراء والخطباء فأما المتصنعون وهم الأكثرون فهم تابعة لهم، وعيال عليهم فبحسب ما أحسنوا التتبع أحسنوا العمل"<sup>2</sup>.

المطبوعون "ملوك صناعة" يعتسفون اللغة بفنّ من فنون الحيلة، ويعرفون مداخل الإبداع ومخارجه، وتتجلى أنفاسهم فيما يكتبون، فلهم لغتهم الخاصة، ونفسهم المميّز الذي لا يخفى على المتأمل البصير أما المتصنعون فهم قومٌ ضعيفو الإحساس، يحاكون المطبوعين فأجودهم أقربهم اتصالاً بالنموذج المحاكى "المتصنع المتكلف لا يتكلم بروح ولا يجري قوله من قلب مهتاج، فإنه يتصنع في إظهار العواطف، أو يتكلف في تأليف الكلام حسب عاطفته العاجزة عن النطق، فيأخذ من أقوال المطبوعين ما يوافق مستكن ضميره، وهذا ربّما يقرب من المطبوع، وأما المتصنّع في أول أمره فهو مخادع ومنافق لا روح في كلامه"<sup>3</sup>.

### بِلاغَةُ الصِّدْقِ

البلاغة هي: إبلاغ قصد المتكلم إلى المتلقي على هيئة حسنة تتمثل في أربعة أمور:

1. دقة اللغة في تصوير الواقع الخارجي.

2. قدرة اللغة على تجسيد خيال المبدع.

<sup>1</sup> نفسه، ص 19

<sup>2</sup> نفسه، ص 19.

<sup>3</sup> نفسه، ص 20.

3. وضوح الدلالة اللغوية.

4. قوة التأثير في المتلقي<sup>1</sup>

1. لكي يكون الكلام بليغاً عند الفراهي لا بد أن يكون مطابقاً للواقع الخارجي ولهذا لا يرتضي مقولة أرسطو إن "محاكاة الشاعر ينبغي أن تكون مثل تماثيل زوكسيس، التمثال أكمل من أصل الشيء".<sup>2</sup> فلا غرابة أن يقول أرسطو هذا؛ لأن غاية الشعر عنده الإمتاع وليس الصدق كما يريد الفراهي.

2. أن يكون قادراً على تجسيد خيال المبدع، فإذا عجزت اللغة عن حمل رؤية المبدع كان عيياً، أو مخادعة وكلاهما يقعدان بالكلام عن أن يكون بليغاً؛ لأن الرؤية هنا تكون ضبابية، وذلك لا يكون إلا نتيجة ضعف في الموهبة، وقصور في الإبداع.

3. أن يكون واضح الدلالة، ولا يكون الكلام واضح الدلالة حتى يشترك المبدع والمتلقي في معرفة الدلالة اللغوية، فإذا قال المبدع رأيت فيلاً، فلا بد أن يكون المتلقي عارفاً بهيئة الفيل الذي تعبّر عنه هذه العلامة اللغوية. ووضوح الدلالة يتأكد حين تقترن الصفات بالذوات الموصوفة، فالأبيض والأسود حين نقول: أبيض كالثلج، تخرج الذوات من التجرد إلى الشخص، وهذا نجده في التشبيهات والتمثيلات، وعلى هذا كل كلمة "تصوير" عند الفراهي؛ لأنها تحضر صورة معناها، فلا ينحصر التصوير في التشبيه.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 20.

<sup>2</sup> نفسه، ص 22 ونص كلام أرسطو: "فأما عن الصنعة الشعرية فينبغي أن يفضل المستحيل المقنع على الممكن غير المقنع. فقد يكون من المستحيل وجود أشخاص كالذين يصورهم زوكسيس. وأما عن تحسين الواقع فينبغي أن يكون المثال أفضل وأسمى من الحقيقة"، 150 ترجمة د. شكري عياد.

ورداءة التصوير تكمن في التقصير أو الإسراف وكلاهما يؤديان إلى الاستهجان والنفور. وفي هذا يكمن صواب الإشارة.<sup>1</sup>

4. أن يكون مؤثراً في المتلقي، ولا يكون الكلام كذلك إلا إذا خوطب المتلقي بأحسن قول، وألين جانب، ولهذا أمر الله رسله باتباع هذا السلوك في الدعوة فقال لموسى عليه السلام: فقولاً له قولاً ليئلاً لعلّه يتذكر أو يخشى<sup>2</sup> ولمحمد: وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً<sup>3</sup> وجادلهم بالتي هي أحسن<sup>4</sup>.

وحين يعرض الفراهي لطرق توضيح الكلام يحصرها في ثلاثة أمور:

1. من جهة الألفاظ.

2. من جهة الصوت.

3. من جهة اختيار المعاني.<sup>5</sup>

أولاً: من جهة الألفاظ:

اللغة العربية لغة شجاعة تعبر عن المعنى بألفاظ متعددة، وطرق مختلفة، فالألفاظ تتعدّد، وهناك أسماء، وأوصاف، تارة يرد الاسم بلا صفة، وتارة ترد الصفة مكان الاسم، وأخرى يرد الاسم مقروناً بوصفه، فنحن نقول: رأيت أسداً، ورأيت ضرغاماً، أو رأيت أسداً جهم المحيّا، أو رأيت ذالبتين هريت الشدق، وربما وضع الخاص موضع العام فنقول: رأيت زيداً بدلاً من رأيت رجلاً. والعرب لهم باع طويل في هذه العبقرية، فعندهم ألفاظ خاصة

<sup>1</sup> جمهرة البلاغة، ص 23.

<sup>2</sup> سورة طه، آية 44.

<sup>3</sup> سورة النساء، آية 63.

<sup>4</sup> سورة النحل، آية 125.

<sup>5</sup> جمهرة البلاغة، ص 24 - 39.

تحت كل جنس عام فيصوّرون الشيء ويمثلونه مشخصًا من غير أن يضمّوا إليه صفته، ولهم في ذلك طرق كثيرة منها:

1. وجود الأسماء الدالة على أنواع جنس واحد.
2. وجود الأفعال نحو كسر وحطّم وفتق وفلق.
3. وجود الاشتقاق الدال على التأنيث والتثنية وجمع القلة، وعلى الشدة في الأفعال مثل كسر وكسّر، وفي الأسماء مثل خضّم وعفرناة، وفي الصفة والمصدر مثل فاعل وفعال، وللدلالة على هيئة الاشتراك ثم فرق المتعدّي من اللازم في الاشتراك مثل شتم وشاتم وتشاتم، واشتقاق الأفعال من الأسماء كتأبط وحملق، ومن الجملة كهلّل وحوقل، وغير ذلك من دلالات الاشتقاق التي لا تكاد تنتهي.<sup>1</sup>

ويرجع هذه العبقرية التي تتمتع بها العربية وبخاصة في دلالات الاشتقاق إلى أمر نفسي يجده المتلقي عندما يستمع إلى الكلمات المشتقة ويتخيّل المراد ففرق بين أن يقال: فتح عينه كأنه جعلها حلقة، وأن يقال: حملق "إن التخييل يكون دفعة وجملة كما أن إحساس الأشياء يكون جملة ودفعة فالذي في الخيال صورة متحدّة، فإن أعطيت السامع جزءًا جزءًا خالف أصل الصورة ولم يودّها".<sup>2</sup>

ولو لوع العرب برفع الإبهام عن الشيء، والدقة في تصويره وإيضاحه لم يقنعوا بأن يدعوا الرجل باسم سمّته به أمه. فأعطوه اسمًا آخر يدل على صفة له، أو حادث أحدثه أو وقع عليه، فغلب اللقب على الاسم كما في تأبط شرًّا، وذو الإصبع.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 24، 25.

<sup>2</sup> نفسه، ص 25.

ولما تدنّست أخلاقهم بمخالطة العجم، وتجاوزوا الحدّ في التنازع بالألقاب  
نهامهم الله عن الفسوق فيه، أما الألقاب الحسنة فلم ينهم عنها كما في زيد  
الخير وزيد الفوارس.<sup>1</sup>

#### وثانيًا: من جهة الصوت:

التناسب بين الصوت والمعنى موجود في كل لغة، هو في العربيّة جزء من  
شاعريتها، وعبقريتها في الإبانة، ويتجلّى ذلك في عدة أمور:

1. الشدّة في البناء تدلّ على شدّة في المعنى فكسر أشد من كسر.
2. زيادة المبنى دليل على الزيادة في المعنى مثل كفر واكفرّ.
3. توالي الحركات في الصوت تدل على توالي الحركات في المعنى مثل خفقان وعسلان.
4. تكرار الصوت دليل على تكرار في المعنى مثل كبكب.
5. دلالة جوهر اللفظ على المعنى، وهو قسمان ظاهر وخفي، الظاهر مثل  
قطّ، وشقّ، فاللفظ يدل على الصوّت، والخفي أن يدلّ على غير  
الصوت وهو أن تترجم حاسة بلسان حاسة أخرى وهو ما يسعى "تراسل  
الحواس" وهذا علم قديم أضاعه الغافلون.<sup>2</sup> وتراسل الحواس كثير في  
شعر الشعراء الذين كُفّت أبصارهم أمثال بشار بن برد وأبي العلاء  
وهومروس وملتن وغيرهم. إن أمثال هؤلاء الشعراء حرّموا البصر و"إن  
من حرم حسًّا كان أميل إلى التشبيه وإجادته فإنه لا يعلم من الشيء  
الذي لا يحسه إلا مثاله فيجمع في خياله صور الشيء ملبوسة بلباس  
الحسّ الآخر، ثم كثرة تعاطيه بالتمثيل تجعله أقوى عليه فإن القوى  
تشتد بإعمالها، ومن كثرة التعرض له ربما يعثر على أحسن ما فيه".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> نفسه، ص 26.

<sup>2</sup> نفسه، ص 27.

<sup>3</sup> نفسه، ص 29.

ومن هذا قول بشار:

وكان رفض حديثها      قَطَعُ الرياض كُسين زهرا  
وتخال ما جمعت عليه      ثيابها ذهباً وعطرا  
وكان تحت لسانها      هاروتَ ينفث فيه سحرا<sup>1</sup>

وهذه العلاقات الجديدة التي يقيمها المبدع بين الكلمات نتيجة إدراك عميق للأشياء عند المبدع مبصراً كان أو كفيفاً.

ويذهب الفراهي في معرض حديثه عن العلاقة بين "الجرس والمعنى" إلى نقد عبد القاهر الجرجاني الذي يرى أن المتكلم معنيٌّ بالمعنى ولا عناية له باللفظ من جهة جواهرها "والعجب كل العجب كيف غلب الوهم على صاحب دلائل الإعجاز فزعم أن المتكلم لا يعنيه إلا المعنى، ولا همّ له في الألفاظ من جهة جواهرها، وخالف جمهور العلماء فإن تصرف البليغ في أنحاء الكلام حتى يصطفي ما شاء من الألفاظ المناسبة معنى وصوتاً أو معلوم لا يخفى إلا على من أضله الوهم، وتسלט عليه الولوع بالمبتدع".<sup>2</sup>

وكما أن للجرس علاقة بالمعنى، فإنّ له علاقة بالمقصد، فالأغراض تستدعي طبقات من الجرس الموسيقي تفرضها مقاصد الكلام، فجرس النسيب لا يصلح لجرس الفخر. وله علاقة بالمبدع، فكلام الملوك، أفخم من كلام العامة، وعلاقة بالمخاطب حيث يبني الكلام، وتحدّد موسيقاه لتحقيق الغاية في المخاطب، وتراعي أحواله، وهذا ما أدركه النقاد والبلاغيون في كثير من

<sup>1</sup> ديوان بشار بن برد، جمعه وشرحه وكمله وعلّق عليه محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية، تونس، 1976م، 4 / 69، 70، ورواية الديوان وكأنّ رجع، وتقديم البيت الثالث على الثاني.

<sup>2</sup> جمهرة البلاغة، ص 31.

ملاحظاتهم النقدية، ومقاييسهم الجمالية، التي تجمعها القاعدة الذهبية التي تجعل البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

وثالثاً: من جهة اختيار المعنى:

كما أن العرب برعوا في توضيح المعاني وتعيينها من خلال البناء اللغوي "النظم" وطريقة التأليف، واستثمار الطاقة الصوتية للغة، برعوا في اختيار المعاني "فكما أنهم يصوّرون الصفات قائمة بجواهرها لكي يطابق الحاكي بالمحكي فكذلك يزوجون أفراد المعاني بقرنائها ليطابق التصوير بالمصوّر".<sup>1</sup>

وهذا يظهر جلياً في أغراض الشعر حيث يمعنون في ذكر تفاصيل الأشياء، فهم لا يقتنعون بالحديث العابر، وإنما يعمدون إلى الاستقصاء الذي ينفث في الكلام سحرًا "لولاه لكان جامدًا عاطلاً"،<sup>2</sup> فهم "في كل أمر يأتون بذكره من الصيد والسباق والحرب والشجاعة والسير والنعاس والجود والضيافة والغزل والسكر والمدح والنياحة فلا يذكرون شيئاً إلا وهم ينشرون بين يديك صفحات مصوّرة بل يختلسونك عنك ويوقفونك بإزاء الشيء، فكأنهم استودعوا أشعارهم جغرافيتهم وتاريخهم، وحكمهم وشمائلهم حتى إن كل من يقرأ أشعارهم غير غافل بعرفهم كأنه أقام فيهم وعاشرهم، ولذلك قالوا قديماً "الشعر ديوان العرب".<sup>3</sup>

أما طرقهم في تصوير المعاني الخاصة فيجعلها الفراهي في أمرين اثنين:

1. ما ليس فيه تشبيه.
2. ما فيه تشبيه صادق مصوّر للأصل حقّ التصوير.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 32.

<sup>2</sup> نفسه، ص 33.

<sup>3</sup> نفسه، ص 33.

<sup>4</sup> نفسه، ص 34.



1. ما ليس فيه تشبيه كقول امرئ القيس في وصف رحلة الصيد:

فقلت لفتيان كرامٍ ألا انزلوا      فعالوا علينا فضل ثوب مطنّب  
وأوتاده ماذيّة وعماده      رُدينّة فيها أسنّة قعُضِب  
وأطنابه أشطان خُوصٍ نجائب      وصهوته من أتحى مُشرعِب  
فلما دخلناه أضفنا ظهورنا      إلى كل حاريّ جديد مُشطّب  
نمشي بأعراف الجياد أكفّنا      إذا نحن قمنا عن شواءٍ مضرب<sup>1</sup>

2. ما فيه تشبيه صادق كقول النابغة الذبياني في تصوير الصيد:

أهوى له قانصٌ يسعى بأكلبه      عاري الأشاجع من قُنّاص أنمار  
مخالف الصيد تباع له لجمما      إن عليه ثياب غير أطمار  
يسعى بغضف براها - وهي طاويّة      - طولُ ارتحالٍ لها منه وتسيار  
حتى إذا الثور بعد النفر أمكنه      أشلى وأرسل غُضُفاً كلّها ضاري<sup>2</sup>

"فصوّر لك ظاهر أمور الصيد وباطنه ما تراه عياناً ومما تفهمه".<sup>3</sup>

التصوير الشعري أو طريقة الأداء الفني في الشعر لا تنحصر في لغة المجاز، فهناك في الشعر "قوة تأليفيّة" و"قوة تخيليّة" في "القوة التأليفيّة" يكون الشاعر مبدعاً في إحكام بناء اللغة، وتطويعها لتجربته، واستقصائه لمعناه،

<sup>1</sup> ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1969م، ص 52 - 54 ورواية الديوان فقالوا لفتيان، وشواء مضهب: أي لم ينضج.

<sup>2</sup> ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1985م، ص 203

<sup>3</sup> جمهرة البلاغة، ص 39.

فلا يُفَرِّط في ذكر ما لا داعي له، ولا يُفَرِّط في ترك ما لا يصح الكلام إلا به. وفي "القوة التخيلية" يعمد الشاعر إلى اقتناص العلاقات الخفية بين الأشياء فيشبهه، ويمثّل، ويستعير مطابقاً بين الصورة البلاغية والأصل الذي تعبّر عنه؛ لأن غاية البلاغة عند الفراهي الصدق و"سياسة البلاغة" تكون من جهة "البلاغ" وليس من جهة "اللذة" "فإذا نظرنا إلى التشبيه وصنويه الاستعارة والمجاز من جهة البلاغ اختلف بحثنا عما يكون لمن ينظر إليه من جهة اللذة كما يختلف نظر الطبيب إلى الطعام من نظر الطباخ".<sup>1</sup>

الذين تعاطوا الشعر من جهة اللذة جعلوا غرابة التصوير وندرته أمراً جوهرياً في الشعر وهذا ما نلمسه في استقراء جماليات الصورة البيانية عند البلاغيين والنقاد، فهؤلاء منقادون لغواية البيان وسحره، والبلاغة يراد منها الصدق وليس السحر ولهذا لا يرتضي الفراهي سياسة البلاغة عند عبد القاهر حين جعل ندرة التشبيه لازمة له ليكون بليغاً "فلا يضلّك ما قال صاحب أسرار البلاغة إن المغايرة بين المشبه والمشبه به لازمة لأجل الحسن فإنه لم يدر كنهه، فلو كان نظر من جهة التأدية لظهر عليه الوجه الصحيح".<sup>2</sup>

ومما جاء من التشبيهات صادقةً دقيقاً في تصويره قول صفية بنت عمرو ترثي أخاها:

كنا كغصنين في جرثومة بسقا	حيناً على خير ما تنعي لها الشجر
حتى إذا قيل قد طالت فروعهما	وطاب غرسهما واستوسق الثمر
أخنى على واحد ريب الزمان وما	يبقى الزمان على شيء ولا يذر

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 29، 30.

<sup>2</sup> نفسه، ص 30.

كنا كأنجم ليل بينها قمرٌ  
يجلو الدجى فهوى من بيننا القمر<sup>1</sup>  
وقول عبيد بن الأبرص:

برمت بنو أسد كما      برمت بيضتها الحمامة  
جعلت لها عودين من      نشمٍ وآخر من ثمامة<sup>2</sup>

أما التشبيهات الرديئة فهي التشبيهات النادرة والبعيدة التي أسهب في كشف محاسنها عبد القاهر الجرجاني، ولم يورد منها الفراهي شيئاً، وسبب رداءتها غرابتها، وقلة توارد العقول عليها، وهذا إغراب واشتغال بغير المقصود بحسب سياسة البلاغة عند الفراهي؛ لأن جوهر البلاغة عنده "الصدق والإصابة" والغرابة والندرة، فهما مجافاة لذلك، أما عند عبد القاهر فبلاغة التشبيه تكمن في إدراك مبدعه للعلاقات الجديدة بين الأشياء، "وهكذا إذا استقرت التشبيهات وجدت التباعد بين الشئين كلما كان أشدّ كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب، وذلك أن موضع الاستحسان، ومكان الاستظراف، والمثير للدفين من الارتياح، والمتألف للنافر من المسرة، والمؤلف لأطراف البهجة، أنك ترى الشئين مثلين متباينين، ومؤلفين مختلفين ..."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، 2 / 948، 949، وفيه: في جرثومة سمقا. حيناً بأحسن. فطاب فيئاهما واستنظر الثمر. وما يذرُ. فهوى من بينها.

<sup>2</sup> ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح: الدكتور حسين نصار، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1377هـ / 1957م، ص 126.

<sup>3</sup> كتاب أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: هـ ريتز، دار المسيرة، بيروت، ط 3، 1403هـ / 1983م.

والحكم على جودة التشبيه عند الفراهي يقوم على أمرين: الأول: البحث في غايات الكلام، وإدراك تلك الغايات، "التعليم والتحريض": لأن التعليم إما أن يكون للحق أو للباطل، والتحريض على الخير أو على الشر،<sup>1</sup> والأمر الآخر: نجاح المتكلم في إبلاغ مقصد الكلام. فالبلاغة تساس أولاً من جهة مضامينها، فيحكم لها بالجودة أو الرداءة، ثم ينظر إليها من جهة بنيتها اللغوية وتشكيلها الجمالي؛ لأن بواعث توظيف التشبيه في الكلام عند الفراهي تكمن في إظهار مكنونات النفس الإنسانية والتأثير في المتلقي، فالغاية إبلاغ وإمتاع، إبلاغ للمعاني الصادقة، وقيم الحق والخير في بنية جمالية مستوفية لشرائط الفن الجميل الممتع.

### الأسس الجمالية للبلاغة

ترتكز بلاغة القول على عشرة أسس جمالية تتصل بالقول ذاته، وبمبدعه الذي أنشأه، وبمتملقه الذي يتلقاه بالقبول والإعجاب وهي:

- 1- الاعتدال. 2- مطابقة الكلام للمعنى. 3- سذاجة الكلام. 4- الترتيب. 5- المقابلة. 6- تمييز المعاني وفرق درجاتها. 7- تنقيح الألفاظ. 8- الإيجاز. 9- ادخار الألفاظ والأساليب. 10- منبع الكلام.<sup>2</sup>

ويمكن تقسيم هذه الأسس الجمالية العشرة وفق نظرية الاتصال اللغوي "المبدع - الخطاب - المتلقي" لتكون الصورة أكثر وضوحاً، ولكننا سنمضي مع الفراهي في تقسيمه لشدة تداخل عناصر النظرية في هذه الأسس بحيث لا يستطيع المتأمل الفصل بينها.

<sup>1</sup> جمهرة البلاغة، ص 36.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 38 - 60.

1. الاعتدال:

البلاغة قوامها التوازن بين متطلبات المعنى، ومقتضيات الأحوال، ونجاح المبدع يكمن في إدراكه لهذا الأساس الجمالي، وقدرته على توظيفه، فيستوفي متطلبات المعنى، ويتجنب فضول القول التي تفسد بلاغة القول، وتصرف النفس الإنسانية عن التعاطف معه، وهذا ما أدركه البلاغيون ففرقوا بين الإيجاز والإخلال، والإطناب والإسهاب، وقد كان عبد القاهر يقول: "تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيئاً إذا لم تبين".<sup>1</sup>

2. مطابقة الكلام بالمعنى:

حيث تكون العبارة بألفاظها وبنائها، وأصواتها وصورها مؤسسة للمعنى، ومعبّرة عنه أبلغ تعبير، فلكل مقام مقال، ولكل منجى من مناحي القول لغته الخاصة، فالمدح له لغته والثناء له بيانه، ولا يصلح هذا لذاك، ومن هذا ما قاله حاتم الطائي:

فإذا ما مررت في مُسَبِّطٍ فاجمَحِ الخيلَ مثل جمحِ الكعاب<sup>2</sup>  
والقرآن يقع في الدرجة العليا من هذا الباب، حيث تتناسب ألفاظه وأصواته وعباراته وصوره مع معانيه كقوله تعالى: كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه: محمود شاكر، الخانجي، القاهرة، 1984هـ، ص 146.

<sup>2</sup> ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، صنعة: يحيى بن مدرك الطائي، ورواية هشام الكلبي، ودراسة وتحقيق: الدكتور عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، بدون تاريخ، ص 195 والمسبّط: الطريق الممتد وأجمع: أرسل، والكعاب فصوص الترد.

<sup>3</sup> سورة إبراهيم، آية 26 .

3. سذاجة الكلام:

سذاجة الكلام تعني عند الفراهي بساطته وعفويته في سياقه الذي يقتضيه، فبعض السياقات تقتضي لغة سهلة، ومعاني عفوية، يصبح معها الاهتمام بحشد الصور، وتكلف العبارات فسادًا للمقام، وكفرًا بجماليات الفن وعيًا وليس بلاغة كقول الشاعر:

مشينا مشية الليث غدا والليث غضبان<sup>1</sup>

4. الترتيب:

حسن الترتيب وصحة النسق أساس جمالي في بنية الكلام البليغ فإذا قَدَّم ما حقّه التأخير، أو تأخر ما واجبه التقديم فسد الكلام، فترتيب الأجزاء عنصر جمالي في الفن القولي وفي جميع الفنون الجميلة "والحكيم لا يضع لفظًا أو معنى أو مثلاً إلا وقد علم الموقع الصالح له، وبذلك تتفاوت درجات الكلام، وكما أن في الترتيب سر الحسن وسحره، وكما أنه لا يصلح إلا به، فكذلك فيها دلالات جمّة، فكم من المعاني الدقيقة والحكم الغامضة مستودع فيه".<sup>2</sup>

ونظرًا لغموض أسرار البلاغة، وخفاء نمماته، غفل كثير من المجتهدين في استنطاق أسرار الجمال لأنهم "ذهبوا مذهب تدقيق النظر فوقعوا في تحليل المركب، واعتادوا تضيق البصر، ولما أن سرّ الترتيب لا يظهر إلا إذا أوسعت نظرك، ورأيت الشيء مع أطرافه، وما حواليه، ثم قابلت بعضها ببعض،

<sup>1</sup> البيت من مقطوعة له في شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي، نشره: أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط 2، 1387هـ / 1967م، 1 / 35. وفي الأغاني، 23 / 251، وشرح شواهد المغني للسيوطي، تصحيح: العلامة محمد الشنقيطي، لجنة التراث العربي، القاهرة، بدون تاريخ، 2 / 945، والرواية: "شدنا شدة الليث".

<sup>2</sup> جمهرة البلاغة، ص 50.

فكان المحللون أبعد الناس عن إدراك دلالات الترتيب، وهذه غلبة عادة التحليل على عادة التركيب [داء]\* دهياء قهرت العقول كالكابوس، وجعلت مروج العلوم كالحصيد اليبس، وكثر المتون والحواشي وقدوتهم أرسطو. وأعظم المصائب أنها صارت سدًا دون معاني القرآن، فلم يقنع الشرّ بإماتة العلوم، ولكن بسط يده إلى الدين وهل هما إلا توأمان<sup>1</sup>.

إن مذهب الفراهي هذا قريب من نظرة "الجشطات" إلى الفن، حيث يكون التأمل منصبًا على الكل أولًا. ثم ينفذ بعد ذلك إلى إدراك الجزئيات.

وممن فات عليه إدراك حسن الترتيب في بعض الكلام، والكشف عن جمالياته عبد القاهر الجرجاني فقد ذكر أن قول المرقش:

النشر مسك والوجوه دنان —ير وأطراف الأكف عنم<sup>2</sup>

ليس فيه ترتيب والصواب أن فيه ترتيبًا خفيًا فالمرقش "ذكر النشر أولًا لأنك تجده عن ظهر الغيب، ثم ذكر حسن الوجوه لما تجده عند المشاهدة، ثم إذا اقتربت ولمست الأكف وجدت نعوتها"<sup>3</sup>. ووقع عبد القاهر في مثل هذا حين نقل بعض كلام الجاحظ - الذي قال فيه: "جنبك الله الشبهة، وعصمك من

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 50، 51. وفيه داء والمراد داهية.

<sup>2</sup> المفضليات. المفضل الضبي، تحقيق وشرح: أحمد شاکر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1964م، ص 238.

وذهب عبد القاهر إلى أنه لا ترتيب فيه فقال: "إنما يجب حفظ هذا الترتيب فيما (يعني التشبيهات) لأجل الشعر، فأما أن تكون هذه الجمل متداخلة كتداخل الجملة في الآية (24 من سورة يونس عليه السلام) وواجبًا فيها أن يكون لها نسق مخصوص كالنسق في الأشياء إذا رتبت ترتيبًا مخصوصًا كان لمجموعها صورة خاصة مفردة فلا"، طبعة ريتز، ص 97.

<sup>3</sup> جمهرة البلاغة، ص 51.

الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة نسبًا، وبين الصدق سببًا وحبب إليك التثبت، وزين في عينك الإنصاف، وأذاقك حلاوة التقوى، وأشعر قلبك عزّ الحق، وأودع صدرك برد اليقين، وطرد عنك ذل اليأس، وعرفك مافي الباطل من الذلة، وما في الجهل من القلة".<sup>1</sup>

ولم يجد فيه عبد القاهر ترتيبًا يدل على نظم رفيع، ولكن لهذا الكلام غورًا وترتيبًا عند الفراهي "فاعلم أن الشبهة أوّل البلية فتغادر المرء متحيرًا لا يدري أيّ الأمرين يرجح، فإن كان له سبب إلى المعرفة مال إليها فهدي إلى الصدق، وحينئذٍ يحتاج إلى التثبت عليه ثم التثبت يعود تعسّفًا إذا نبذ الإنصاف فيجمد على ما عرف ولا يصعد إلى ما هو أرفع منه، فإن زين في عينه الإنصاف تاق إليه، وههنا كملت له أسباب العلم فهذه ست منازل في العلم، ثم لا بد من العمل بما علم وإلا فسد رأيه فيوشك أن يرى الباطل حقًا. وبذا علمت شدة حاجتنا إلى تهذيب أخلاقنا؛ لأجل إصابة الرأي فمن الأوّل احتاج المرء إلى مدد التقوى، فإنها منبع فعل الخير والمتقي في هذه الدار الفانية ربما ابتلي بالبؤس والضّر فإذا نبذ الدنيا وقنع بالتقوى فثّده الناس واستهاناه الجمهور، فإن صبر على الضّر فكيف يصبر على المهانة إلا أن يشعر بذل الباطل، وعزّ الحق فيكرم نفسه، ويهون في عينه جاه الأشرار ليقينه الثابت بفلاح المتقين فهذا العزّ الذي أشرب قلبه طرد عنه ذل اليأس، ولو هجمت الشدائد، وبعد عنه الوعد الإلهي فحينئذ يرى الباطل عين الذلة ويرى الجهل عين الفقر".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط

3، 1388هـ / 1969م، 3/1.

<sup>2</sup> جمهرة البلاغة، ص 51، 52



ففي كلام الجاحظ نظم وترتيب، ترابطت فيه الأفكار، وتنامت العبارات تنامياً يدلّ على عبقرية الجاحظ الفنية "فانظر كيف جمع أسباب العلم والعمل، وجعل ستة للعلم وستة للعمل، وكيف ختم الكلام بذكر أن ملاك أفعالنا رغبة النفس إلى العزّ والغنى، ولكنه علم أن النفرة أقوى من الرغبة سلطاناً على أفعالنا فذكر الذلة والفقر فما أدقّ نظره حين بدأ القول بالشبهة وختم بالمعرفة الغامضة التي هي مصدر الإرادات".<sup>1</sup>

5. المقابلة:

الجمع بين الأضداد، وعقد الصلّة بين المتناقضات أساس جمالي حين يستخرج المبدع الطاقة الكامنة خلف جدل الكلمات، فتكون النفس مولعة باكتشاف تلك الطاقة المولدة، وقد ذهب الفراهي إلى أن المقابلة بين الأضداد تنتزع النفس من الرتابة، وتظهر الحسن في أزهى صوره، ولهذا جعل المقابلة قانوناً كونياً عامّاً "فكأن مصور الخلق تعالى شأنه أظهر المحاسن بها فأخرج الأزهار الحمر والصفّر والبيض من بين أوراق خضر، وأبرز النجوم البيضاء من صفحة سوداء، والقمر الفضيّ في الصحن الزبرجدي".<sup>2</sup>

قال صلوات الله وسلامه عليه في مدح الأنصار: "يقولون عند الطمع، ويكثرّون عند الفزع".<sup>3</sup>

وقال أوس بن حجر:

وليس أخوك الدائم العهد بالذي يذمك إن ولّى ويرضيك مقبلاً

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 52.

<sup>2</sup> نفسه، ص 54.

<sup>3</sup> جزء من حديث لم أقف عليه فيما بين يديّ من كتب الحديث.

ولكنه النائي إذا كنت آمناً وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلاً<sup>1</sup>

وغاية البلاغة تتجلى في كتاب الله كقوله تعالى: ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب، وقالوا آمنا به، وأتى لهم التناوش من مكان بعيد".<sup>2</sup> "فمن فهم معنى الآيتين صورت بين يديه جماعة أولاً فزعوا فأرادوا الفرار فلم يمكنهم الإفلات بل أخذوا على مكانهم فلما يئسوا قالوا آمنا ولات حين الإيمان، فإن وقت الإيمان كان بالغيب في حياتهم الأولى وقد فاتهم الآن وبعد عنهم مكاناً فيمدون إليه أيديهم كالمتناوش لما بعد فأنى له ذلك".<sup>3</sup>

6. تميز المعاني وفرق درجاتها:

الكلمات تختلف في دلالاتها، والعبارات تتباين في معانيها، وقد يظن غير المتأمل أنها بمعنى واحد، فلا يهتم بإدراك الفروق بين العبارات، والاختلاف بين أنظمة الكلام، فيبقى على سطح اللغة، لا ينسرب إلى أعماقها، ويكتشف أسرارها فيظن أن هناك تكراراً وتأكيذاً للأمر واحد وتصويراً لشيء واحد بصور مختلفة، والحقيقة أن هناك تبايناً شديداً، وترتيباً دقيقاً، ودلالات مختلفة، وربما سعى الجاهل إلى التقليد مع سوء الفهم فجمع بين النقيصتين.

وقد ذهب الفراهي إلى أن هناك من علماء البلاغة من يأتي في أسلوبه بفقرات مترادفة ظناً منه أنها شبيهة بكلام أبي عثمان السابق وشتان ماهما، كما فعل عبد القاهر الجرجاني والباقلاني وأمثالهما مع طول باعهما في التصرف في

<sup>1</sup> ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح: الدكتور محمد يوسف نجم، دار بيروت، بيروت، 1406هـ / 1986م، ص 92 ورواية البيت الثاني في الديوان ولكن أخوك النائي مادمت آمناً، وهو مكسور.

<sup>2</sup> سورة سبأ، آية 52.

<sup>3</sup> جمهرة البلاغة، ص 55.

اللغة والقدرة على اعتسافها. وهذا من التكلّف المحض ثروة في الكلمات، وفقر في المعاني، والمعاني لب البلاغة وجوهرها.<sup>1</sup>

7. تنقيح الألفاظ:

اختيار الألفاظ دليل على براعة المبدع، فاللغة اختيار وتأليف، وفي دقة الاختيار تستوفي البلاغة جزءاً مهماً من شرائط الحسن، حيث يكون اللفظ شديد المطابقة واللصوق بالمعنى، فيوضع موضعه اللائق به، وقد جعله الخطابي رحمه الله عمود البلاغة.<sup>2</sup>

ومن شدة عناية العرب بتنقيح الألفاظ، أنّهم يسمون بكلامهم فالمرقش إنما سمي المرقش: لأنه أول من استعمل لفظ الرقش لبقايا الرسوم في قوله:

الدار قفر والرسوم كما رَقَشَ في ظهر الأديم قلم<sup>3</sup>

وكان الرقش يستعمل لألوان مختلطة متباينة واضحة كما على جلد الحيّة فهذه اللفظة أوضحت التصوير، ولم يضع حسن اختياره في قوم فطن..<sup>4</sup>

قال قراد بن غويّة يرثي نفسه:

وكنت له عمّاً لطيفاً، ووالداً رؤوفاً، وأمّاً مهّدت وأنامت<sup>5</sup>

"انظر كيف اختار ثلاث صفات لم تجد أليق منها بموصوفها. ثم في الترتيب صعود من العم إلى الأب، إلى الأم ولا مصعد وراءها".<sup>6</sup>

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 55.

<sup>2</sup> بيان إعجاز القرآن، للخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1976 م، ص 29.

<sup>3</sup> المفضليات، ص 238، 239.

<sup>4</sup> جمهرة البلاغة، ص 56.

<sup>5</sup> شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، 2 / 1007، وفيه: "وأماً مهّدت فأنا مت".

<sup>6</sup> جمهرة البلاغة، ص 57.

8. الإيجاز:

إذا اتسعت الرؤية ضاقت العبارة، فالإيجاز دليل صفاء الرؤية، ونضوج الفكرة، وهو فوق هذا "سنة الطبع" "فإن التخيل يكون جملة، كما أن إحساس الأشياء يكون بنظرة ووهلة، فإن طال الكلام خالف سنة الطبع".<sup>1</sup> والبلاغة إيجاز، حتى الإطناب في سياقه يُعَدَّ إيجازًا إذا ما قيس الخطاب الأدبي، بالتاريخ والأخبار وما إلى ذلك، فالإطناب فيه يكون إسهابًا في غيره، لأن المبدع وإن أطنب في ذكر التفاصيل واستقصى الجزئيات، فإنه ينتقي أشياء ويدع أشياء تركها ضرب من البلاغة الرفيعة، "وهذا القليل الكثير ضالة البلغاء يحومون حولها ولا يجدونها، فإذا هي وجدت قال كلهم: هي هي. هذه التي كنت أبغي وكنت هي تجول في قلبي وكنت ألمسها ولا أجد، فأعجبوا بها لا لشدة قربها فما كان منها أقرب كان أحسن".<sup>2</sup>

وهذا "السهل الممتنع" و"القريب البعيد" الخط الفاصل بين بلاغتي العرب والعجم، وبين المبدعين في الشرق والغرب أمثال هومروس وشيكسبير وفردوسي. والعجم طلبوا النادر من القوافي والتشبيه والبديع والعرب طلبوا الصدق، فأعجب أولئك "بتصنع المتكلم" وأعجب هؤلاء بحسن الكلام وصدقه وقوة تأثيره.<sup>3</sup>

والأولى عند الفراهي أن نسمي الإيجاز "إحكامًا" والإطناب "تفصيلًا" كما ورد في القرآن "كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير".<sup>4</sup> "فالإحكام يدل على حكمة القائل ومعرفته بالأصول وحقائق الأمور، والتفصيل يدل

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 57.

<sup>2</sup> نفسه، ص 57، 58.

<sup>3</sup> نفسه، ص 58.

<sup>4</sup> سورة هود، الآية 1.

على سعة علمه بتفاصيل الأمور".<sup>1</sup> وكلا الأمرين بلاغة في موقعه، الإيجاز أو "الإحكام" في خطاب الحكماء ليتفكروا، وفي الحديث إلى الجمهور لقربه إلى أذهانهم، وبيان حجته، والحكمة عند ذوي الأبواب النقية هي الجوهر واللباب. وقاعدة الإيجاز أو "الإحكام" الاختصار على الأصول، والتركيز على أقرب أصل يشير إلى الفرع الذي يتراعى معه الذهن إلى آفاق قصية.<sup>2</sup>

والإطناب أو "التفصيل" يراعي فيه تحريك نداء الفطرة في القلوب، فتتذكر ذلك النداء المخبوء في أعماقها، فيكون الإطناب أو التفصيل تحريكاً للكامن، وتذكيراً بالمنسي، وبهذا سمى الله القرآن وكتبه الأخرى ذكرًا، وإلى هذا أشار حسان في قوله:

وإن أحسن بيت أنت قارئه بيت يقال إذا أنشدته صدقاً<sup>3</sup>  
وهو مراد أفلاطون في مقولته "إن علومنا ذكر ما نسينا".<sup>4</sup>

9. ادخار الألفاظ والأساليب:

وذلك بأن يكون لدى المبدع "ثروة لفظية" يحسن الإنفاق منها، واستثمارها في مشاريع إبداعه، وهذا أمر لا يحصل إلا بطول الممارسة، وبعد النظر. فاللغة هي مادة الإبداع، وعبقورية المبدع تكمن في ثراء معجمه اللغوي وغزارة تراكيبه، وتجدد أسلوبه، وصوره الفنية، وكل ذلك لا يجعل من إبداعه معرضاً لألفاظ اللغة، ولكن لإبلاغ معانيه المتجددة، ورؤاه الخلاقة.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> جمهرة البلاغة، ص 58.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 58.

<sup>3</sup> ديوان حسان بن ثابت، حققه وعلق عليه: الدكتور وليد عرفات، دار صادر، بيروت، 1974م، 1 / 430.

<sup>4</sup> جمهرة البلاغة، ص 59.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 59، 60.

10. منبع الكلام:

الكلام طبقات، و"سياسة البلاغة" تحتاج إلى معرفة عميقة "بجيولوجيا النص" وكمال البلاغة ليس في تحسين الكلام وإنما في حسنه. "إن الصناعة في الألفاظ وتجهيزها عيال على المعنى فليكن هم المرء الذي يحاول تكميل النطق والبلاغة أن يكمل عقله وفكره وتميزه فكم من فصيح ليس إلا كالبلبل والبيغاء يعجبك صوته ولا شيء تحته وهذا هو داء عضال وضلال بعيد".<sup>1</sup>

ويرى الفراهي أن هذا الضلال يتجسد في ضلال بعض الحمقى حين جعلوا مقامات الحريري "أحسن من القرآن"،<sup>2</sup> ويتعجب من سقطة الزمخشري - مع ولعه بلسان العرب - حين قال في كلام الحريري:

أقسم بالله وآياته ومشعر الحج وميقاته  
أن الحريري حريٌّ بأن تكتب بالبر مقاماته<sup>3</sup>

### استراتيجية الإبداع

كما عني الفراهي "بسياسة البلاغة" من حيث هي "منهج في المعرفة"، عني بها من حيث هي "إنتاج للفن الجميل" فجعل قسمين من كتابه "جمهرة البلاغة"، للكشف عن بعض استراتيجيات الإبداع أو "البلاغة في شقها الإبداعي"، والقسمان هما:

1. القسم الخاص.

2. مباحث متفرقة.

<sup>1</sup> نفسه، ص 60.

<sup>2</sup> نفسه، ص 60.

<sup>3</sup> نفسه، ص 60.

والم تأمل لهذين القسمين يجد أنهما يشتملان على عدد من الأساليب التي يسعى المبدع إلى استثمارها لإيصال أفكاره ورؤاه إلى المتلقي، وهي: "دلالة الوصل - دلالة الفصل - فصل ووصل بالخيال - حظ السامع - دلالة الحذف - إدراج الدليل - المقابلة - الاستثناء - انتهاز الفرصة - ما يشبه انتهاز الفرصة في القرآن - المجاز والكناية والتشبيه - دلالة المجاز في الأزمنة - لسان الغيب - الإشارة والكناية والتعريض - صرف الكلام عن سنته - الجملة المعترضة"<sup>1</sup>.

وهذه الأساليب تحتاج إلى مبدع خلاق، يوظفها لتحقيق مقاصد الخطاب البلاغي، فليس الغاية منها تحسين القول، وإنما إيصال حسن القول؛ لأن حسن القول في ذاته يحتاج إلى أسلوب في التعبير يوصل به المبدع رسالته ويحقق بها الإمتاع والتأثير. فالبلاغة معان حسنة وأساليب جميلة.

ويمكن حصر هذه الأساليب في مسالك ثلاثة:

1. الحذف ودلالة الغياب.
2. الذكر ودلالة الحضور.
3. الإيحاء.

1. الحذف ودلالة الغياب:

الإبداع الأدبي قائم على "الاستقراء الناقص"، فالمبدع ينتقي أحداثاً أو أشخاصاً انتقاءً خاصاً يقوم على التماسك والانسجام، ويشكل وحدة كلية للنص، ومنذ أرسطو والنقاد يؤكدون على وحدة البناء اللغوي وتماسكه.

ومع هذا الانتقاء والتكثيف يعتمد المبدع إلى ترك فراغات في النص يقوم المتلقي بملئها، وبملء هذه الفراغات يشارك المتلقي المبدع في صياغة النص، ويشترك معه في التجربة الفنية، وفي هذه المشاركة الفاعلة تكمن لذّة القراءة.

<sup>1</sup> جمهرة البلاغة، ص 62 وما بعدها.

والبلاغة العربيّة في سياستها للنص الأدبي أفسحت للمتلقّي الواعي مجالاً رحباً في صناعة النّص، فليس معنى المعنى والحذف والتأويل والالتفات والمخالطة الأسلوبية في بعض الفنون البديعية إلا جزءاً يسيراً من المساحة التي تركتها البلاغة العربيّة للمتلقّي ليؤدي دوره الفاعل في القراءة الفاعلة، أو ما يسميها تودوروف القراءة الشاعرية.<sup>1</sup>

والحذف في سياسة الفراهي للبلاغة ذو أساليب متعددة، ومنازع مختلفة، تارة يكون "بوصل الطرفين في القصة" والغرض ليس إلا صرف الذهن عن أمور لا يعلق به الغرض، ولكيلا يضيّع قوة الذهن، ويتفرق همّته.<sup>2</sup>

ومن ذلك ما ورد في قصة مؤمن آل فرعون في سورة "يس" قال تعالى: وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين، اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون، ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون، أأخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون، إني إذا لفي ضلال مبين. إني آمنت بربكم فاسمعون. قيل له ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون. بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين.<sup>3</sup>

فتكثيف أحداث القص تم عن طريق الحذف الذي حقّق قيماً بلاغية عظيمة تتمثّل في وصل أطراف القصة، وحذف ما يستكره ذكره من أقوال الكافرين وأفعالهم، وتناسي ما فيه الشغب والسرعة؛ لأن حذفه أبلغ وأدلّ على ما في حقيقة الحادثة من كيفة في القول والفعل والسرعة.<sup>4</sup> ويكون

<sup>1</sup> الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية- قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، الدكتور عبد الله الغدامي، جدّة، النادي الأدبي الثقافي، ط 1، 1405 هـ / 1985 م، ص 75، 76.

<sup>2</sup> جمهرة البلاغة، ص 62.

<sup>3</sup> سورة يس، آية 20 - 27.

<sup>4</sup> جمهرة البلاغة، ص 62، 63.



بجمع حالات في سياق واحد، حيث تتصل وتتوالى كما في وصف الخيل في  
أول سورة العاديات "والعاديات ضبحًا، فالموريات قدحًا، فالمغيرات صبحًا،  
فأثرن به نقعًا، فوسطن به جمعًا..<sup>1</sup>

وكما في قول ابن زبابة الحماسي:

يا لهف زبابة للحارث الصا      بح فالغانم فالأيـب<sup>2</sup>

حيث "جمع المجيئة والفوز والرجوع".<sup>3</sup>

وتارة يكون لاتصال النتيجة بالسبب كوصل أنعام الله تعالى بعد الاستغفار  
من الذنب "دلالة على سرعة رحمة الله تعالى وأن الكرم لا يحتمل".<sup>4</sup> التأخير  
كما ورد في استغفار نوح عليه السلام في سورة هود قال تعالى: "قال رب إني  
أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم، وإلا تغفر لي وترحمني أكن من  
الخاسرين، قيل يا نوح اهبط بسلام ممّا وبركات عليك وعلى أمم ممن  
معك".<sup>5</sup> فانظر كيف ضم السلام والبركات بدعائه".<sup>6</sup>

وتارة يكون بالتقديم والتأخير في عرض الزمن لأجل التصوير الدقيق  
للحادثة، كما ورد في قصة نوح عليه السلام حين نادى ابنه للركوب معه في  
السفينة فأبى، فأغرقه الموج، ودعا ربه فعاتبه الله فاستغفر نوح ربه فغفر

<sup>1</sup> سورة العاديات، آية 1 - 5

<sup>2</sup> شرح شواهد المغني للسيوطي، 2 / 465، وخزانة الأدب ولبّ لبان العرب، عبد  
القادر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1،  
1406هـ / 1986م، 5 / 107.

<sup>3</sup> جمهرة البلاغة، ص 63.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 63.

<sup>5</sup> سورة هود، آية 47، 48.

<sup>6</sup> جمهرة البلاغة، ص 64.

له "كل ذلك جاء متأخرًا بعد تمام الواقعة ولا شك أن سؤال نوح في ابنه كان قبل غرقه، وقبل استواء الفلك على الجودي. فلو وضع هذه الأمور في محلها الزماني لتباعدت أجزاء التصوير ولم يتضح، حتى إنك لو شئت مثلته على القرطاس ..."<sup>1</sup>

وأخرى يكون "بإدراج الدليل" لإثارة المتلقي، ومخاطبة النفس الإنسانية بما تحب "لأن المخاطب إذا أحسن بأنك تريد إثبات شيء أخذته الثُّفرة، ولكنه إذا جاء مطويًا أثر في قلبه"<sup>2</sup> كقوله تعالى: "قال يا قوم اتبعوا المرسلين، اتبعوا من لا يسألكم أجرًا وهم مهتدون"<sup>3</sup>.

"فنبه على أنهم يدعونكم من غير غرض لهم. وعدم الغرض لا يكفي للاتباع لمن ضل نفسه ولكنهم مهتدون، فهذا بيان الدليل ليس إلا بطريق الاحتجاج على سبيل الاستمالة ألا ترى كيف خاطبهم بكلام المودة فقال يا قوم"<sup>4</sup>.

والقيمة البلاغية للحذف عند الفراهي تكمن في أنه "يجعل الخيال جسرًا بين معنيين فإن وصلتهما لم يكن للخيال سبيل بينهما، فكل فصل زيادة في المعنى كأن الكلام وشاح مفصل بشذر من اليواقيت بين اللآلي .."<sup>5</sup> وهذا الحذف يحدث أثرًا في النفس الإنسانية عبّر عنه الفخر الرازي (بالدغدغة النفسية).<sup>6</sup>

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 64، 65.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 69.

<sup>3</sup> سورة يس، آية 20 - 21.

<sup>4</sup> جمهرة البلاغة، ص 69.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 66.

<sup>6</sup> المحصول في علم أصول الفقه، الفخر الرازي، تحقيق: الدكتور طه العلواني، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط 1، 1399هـ، الجزء الأول القسم الأول، ص 467.

وإذا كان الحذف يحتاج إلى "تقدير" للمحذوف، وهو الذي يسميه الفراهي "جسراً بين معنيين" مظهره الاختلاف، فإن الوقوف على حقيقة الأمر المقدر يصعب إدراكه وقد يؤدي إلى الزلل وبخاصة في تفسير القرآن الكريم، فالقرآن له نظام من لم يستطع إدراك نظامه وقع في المحذور.

وبناء القناطر وتجسير فجوات النص التي يتركها المبدع في "الخطاب الأدبي" تجعل من المتلقي منتجاً للنص وليس مستهلكاً له، ولهذا فالمتلقي هو الذي يمنح النص وجوده وصيرورته، أو يحكم عليه بالفناء، ولهذا دائماً يعتمد المبدع إلى مراقبة المتلقي، ومراعاته، وربما مداعبته بزرع بعض الحيل الأسلوبية المخاتلة التي تستفز المتلقي، وتستثير قواه النفسية للبحث في أعماق النص، والكشف عن أسرارها "فمنها الاستفهام لينتبه السامع، ومنها السكون ليستريح، ومنها بعض الحذف ليصير السامع متكلِّماً في نفسه فيعمل عقله ومنها منبهات الرغبة والنفرة، ومنها الالتفات لينتبه بما أحسن من تجديد ومنها التمثيل ليشاهد محسوساً فينتبه من رقدته، ومنها كلّ تبدل من الحركات والالتفات ومبهجات الضحك والحزن فهذه الأمور مع فوائدها الأخر أسباب لانتباه السامع .."<sup>1</sup>

## 2. الذكر ودلالة الحضور:

إذا كان المبدع يعتمد إلى السكوت عن أشياء بغية استثارة المتلقي ليتحدث عن المسكوت عنه، فإنَّ المبدع قد يذكر أشياء يكون في ذكرها ثراءً للنص، وخصوبة لدلالته، ومدعاة لتساؤل المتلقي عن دلالة الحضور كما تساءل عن دلالة الغياب في الحذف.

والبراعة تكون في طريقة "الذكر"، واستراتيجية المبدع في إيراد الكلام، وهذا ما عرض له الفراهي تحت "باب في انتهاز الفرصة" حيث يعرف المبدع كيف

<sup>1</sup> جمهرة البلاغة، ص 67، 68.

يزرع في النَّص بعض الكلمات أو العبارات أو الجمل ليحمِّلها بدلالات خاصة لا تتحقق في سواها وهو ما يسميه علماء العربيَّة "الجملة المعترضة" "فشأن هذه المعترضة ليس بهيّن، فإن لها مواقع خفية لا يفتن لها إلا الذكي المتوقّد فمتى ما وجد لها فرصة انتهاز لها حتى إنه إن فاتته الفرصة ثم تذكرها ندم على فواتها"<sup>1</sup>.

كقول النابغة الذبياني:

لو أنها عرضت لأشمط راهب      يدعو الإله ضرورة متعبّد  
لصبا لبهجتها، وطيب حديثها      ولخاله رشداً وإن لم يرشد<sup>2</sup>  
"لخاله رشداً ضم أمراً زائداً، ولكنه أبلغ الشعر ذروة الكمال ثم قوله: وإن لم يرشد أدق مسلّكاً فإنه جلى شبهة كون الراهب لطيفاً بها رحيماً عليها مع سلامة قلبه"<sup>3</sup>.

3. الإيحاء:

جوهر الأدب الإيحاء، وقوامه "اللمحة الدالة"؛ لأنه ينبع من أشد مراكز النفس الإنسانية غموضاً، ويتحدث عن مشاعر وأحاسيس غامضة، ولا بُدّ لهذه المشاعر من لغة تساوقها في طبيعتها. وسياسة البلاغة العربيّة للنص الأدبي قائمة على إدراك هذه الحقيقة، وهو ما عرض له الفراهي في حديثه عن لغة المجاز فالكناية أبلغ من التصريح؛ لأنها تذكر أوضح هيئات الشيء وأشرفها.<sup>4</sup> والبلّغ من عادته أن يعرض أحسن الهيئات إذا مدح، وأقبحها إذا

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 71.

<sup>2</sup> ديوان النابغة الذبياني، ص 96.

<sup>3</sup> جمهرة البلاغة، ص 73.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 75.

هجا، ولكن هذا العرض لا يكون إلا بمنطق الفن الذي يزيد الجمال جمالاً، ويعرّي القبيح بما لا تشمئز منه النفوس؛ لأن "الذكر القبيح لا يليق بالأحرار والمتيقن"<sup>1</sup> أمّا بداءة اللسان، كما ورد في مناقضات جرير والفرزدق والأخطل "فإنهم فيها أجدر باسم الشيطان منهم باسم الشاعر .."<sup>2</sup>

وغاية الأمر فإن "استراتيجية الإبداع" تقوم على أسس أربعة:

1. العلم: حيث يكون المتكلم عارفاً باللغة التي يتحدث بها، ومدرّكاً لكثير من أساليبها.
2. القدرة: حيث يستطيع تطويع اللغة لتجاربه الفنية والجمالية.
3. الحكمة والتدبير: حيث يعرف المتكلم جيد المعاني من رديئها حتى لا يقول إلا صدقاً.
4. النَّفَس الخاص، حيث يستطيع المتكلم أن يكون متفرداً في كلامه، فلا يقلّد غيره، وإنما يعتمد على عقله حتى لا يشتبه كلامه بكلام غيره، كما لا يشتبه صوته بصوت غيره.<sup>3</sup>

وهكذا تتضح لنا "سياسة البلاغة عند عبد الحميد الفراهي" كما تجلّت في كتابه "جمهرة البلاغة" الذي يمثل إضافة نوعية للتفكير البلاغي في العصر الحديث؛ لكونه رؤية خاصة للبلاغة العربية في الإبداع وسياسة القول، وقراءة واعية لأصول البلاغة العربية كما تجلّت في البيان المعجز وكلام سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه، وأدب العرب الخُلص، ورؤية ناقدة لتحولات البلاغة العربية إبداعاً وسياسة للنص عقب مثاقفتها مع الفلسفة

<sup>1</sup> نفسه، ص 75.

<sup>2</sup> نفسه، ص 75.

<sup>3</sup> نفسه، ص 83.

## العدد الخاص.....مجلة الهند

اليونانية، وبخاصة فلسفة أرسطو، التي كان لها أكبر الأثر في رؤى البلاغيين والشعراء المجددين في العصر العباسي.

وقد وفق الفراهي في كثير من الرؤى النقدية، وجانبه الصواب في رؤى أخرى انطلاقاً من تصور غير دقيق للقضية، أو وقوعاً تحت سلطة قراءة إسقاطية فرضت على الفراهي النتيجة قبل عرض المسائل والمواقف كما حدث في نقده لسياسة البلاغة عند عبد القاهر الجرجاني التي يقلدها وينقدها.

ومع هذا يظل هذا الكتاب رافداً مهماً في مسيرة التفكير البلاغي وبخاصة في سبيل تأسيس "نقد ذاتي" يعيد القراءة، ويبحث في المشكلات، ويعيد تأصيل الأسس والمفاهيم، والخطأ أول الطريق إلى الصواب، والذين لا يخطئون لا يصيبون ولا يعملون.

### المصادر والمراجع

1. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، الشركة التونسية، تونس.
2. البرهان في وجوه البيان، إسحاق بن إبراهيم الكاتب، تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط 1، 1387 هـ / 1967 م.
3. بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1976 م.
4. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط 4، بدون تاريخ
5. جمهرة البلاغة، عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية، الهند، مطبعة معارف، 1360 هـ
6. الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1388 هـ / 1969 م.
7. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1406 هـ / 1986 م.
8. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشرحية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، الدكتور عبد الله الغدامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط 1، 1405 هـ / 1985 م.
9. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984 م

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

10. ديوان امريء القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط 3، 1969م.
11. ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح: الدكتور محمد يوسف نجم، دار بيروت، بيروت، 1406هـ / 1986م.
12. ديوان بشار بن برد، جمعه وشرحه وكمّله وعلّق عليه: محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية، تونس، 1976م.
13. ديوان حسّان بن ثابت، تحقيق: الدكتور وليد عرفات، دار صادر، بيروت، 1974م.
14. ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، صنعه: يحيى بن مدرك الطائي ورواية هشام الكلبي، دراسة وتحقيق: الدكتور عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، بدون تاريخ.
15. ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح: الدكتور حسين نصّار، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط 1، 1377 هـ / 1957م.
16. ديوان لبید بن ربیعة، دار صادر ، بيروت، 1386 هـ / 1966 م.
17. ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1985م.
18. شرح ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: الدكتور حنا الحّيّ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1412هـ / 1992م
19. شرح ديوان الحماسة، المرزوقي نشره: أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط 2، 1387 هـ / 1967م
20. شرح ديوان زهير بن أبي سُلى، صنعة الإمام أبي العباس ثعلب، دار الكتب المصريّة، القاهرة، 1363هـ / 1944م.



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

21. شرح شواهد المغني، السيوطي، تصحيح: العلامة محمد الشنقيطي، لجنة التراث العربي، القاهرة، بدون تاريخ
22. الشعرية العربية الأنواع والأغراض، رشيد يحيى، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط 1، 1971م
23. الصاحبي، أحمد بن فارس، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1977م.
24. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيد القيرواني، حققه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط 4، 1972م
25. في الشعر، أرسطو طاليس، ترجمة: الدكتور شكري عياد، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1386هـ / 1967م.
26. الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
27. كتاب أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: هـ ريتز، دار المسيرة، بيروت، ط 3، 1403هـ / 1983م
28. المحصول في علم أصول الفقه، الفخر الرازي، تحقيق: الدكتور طه العلواني، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط 1، 1399هـ
29. المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1971م.
30. مفردات القرآن للفراهي وأهميته في علم غريب القرآن، الدكتور محمد جميل إصلاحي، مطبوعات الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1421هـ
31. المفضليات، المفضل الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1964م.

## العدد الخاص.....مجلة الهند

32. الممتع في علم الشعر وعمله، عبد الكريم النهشلي، تحقيق: الدكتور منجي الكعبي، تونس، بدون تاريخ.
33. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، السجلماسي، تحقيق: الدكتور علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط 1، 1401هـ / 1980م.
34. الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء في عدّة أنواع من صناعة الشعر، المرزباني، تحقيق: علي البجاوي، القاهرة، 1965م.
35. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: الدكتور كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1979م.

## منهجية الإمام الفراهي في بحث المسائل العقدية

- د. محمد إقبال فرحات<sup>1</sup>

### مقدمة

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ  
نَسْتَعِينُ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ  
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿﴾ [سورة الفاتحة: 2-7]

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. سيد الأولين والآخرين. محمد بن عبد  
الله وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن اهتدى بهديهم واقتفى دربهم إلى يوم الدين.  
وبعد، فلا شك أن علماء الأمة المتقدمين، قد صنفوا في علم العقائد الكثير من  
الكتب، وبحثوا الكثير من القضايا إما بشكل مستقل أو خلال تعرضهم لآيات  
العقيدة، ولكنهم في أكثر بحوثهم، لم يصلوا إلى الصواب لأنهم تنكبوا المنهج الذي  
ينبغي أن يتبع في مباحث العقيدة، فتارة يلجؤون للمنقول، وتارة يؤولون المنقول إلى  
غير المراد، ولا أدلّ على ذلك من تخطيهم في مسألة الهداية والضلال، كقول من  
قال: إن من اهتدى فإنما بهداية الله له، ومن ضلّ فبإضلال الله له، وكأنهم أرادوا  
أن يقولوا بأن الهداية والضلال كلاهما من الله. وقال قوم: إن الاهتداء فعل العبد  
وكذلك الكفر، فمن اهتدى زاده الله هداية، ومن لم يهتد سلبه الله الهداية  
لكفرانه، وأنهم أرادوا منه أن الله تعالى هدى الخلق أجمعين مؤمنهم وكافرهم، لكن  
المؤمنين تقبلوا فزادهم الله هدى والكافرين أعرضوا عنها فزادهم عى. وهذا  
الإعراض فعل المرء، وهو يقدر على تركه وما قاله هذا الفريق موافق للقرآن  
ويؤيده العقل، خاصة إذا علمنا أن الهداية لها معنيان: بدء الهداية وإتمامه، والله

<sup>1</sup> أستاذ مشارك، كلية الشريعة، جامعة قطر

تعالى بدأ بها عامة ثم أتمها لمن تقبلها كما قال: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [سورة محمد: 17] وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [سورة الإنسان: 3]، واختلفوا أيضاً هل يجوز تعذيب عبد مطيع أم لا؟ فمنهم من جوزه عقلاً لا شرعاً. ومنهم من لم يجوزه مطلقاً لا عقلاً ولا شرعاً، واختلفوا في أعمال العبد هل هي مخلوقة لله تعالى أم لا؟ ومن قال إنها مخلوقة استدل بالقرآن بقوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ] [سورة الصافات: 95-96] والذين خالفوهم أنكروا ما قالوا ولو قلبت النظري في كتب القوم لندر أن تجد مسألة لم يختلفوا فيها، والسبب في ذلك إما عدم وضوح الدليل، أو عدم القدرة على رؤية الآية من خلال السياق الذي جاءت من خلاله، وهذا الذي يسمى "النظام" والذي فتق الفراهي بابه فانكشف له الكثير مما أغلق على من قبله من العلماء الأفذاذ.

وإن من أجل ما ألفت علامة الهند والعالم الإسلامي الشيخ عبد الحميد الفراهي في توحيد عقيدة المسلمين وتنقية كتب التفسير مما علق بها من أدراك الفلسفة، والمنطق، والإسرائيليات، والروايات الواهية - التي لعبت دوراً كبيراً في ازدياد الفرقة، وتعميق الخلاف بين المسلمين - مجموعة من الكتب أراد من خلالها وضع الأسس والضوابط لتوحيد الفهم، الذي سيؤدي بدوره إلى اجتثاث بذور الفرقة والخلاف، ومن أهمها:

كتاب "مفردات القرآن"، و"أساليب القرآن"، و"التكميل في أصول التأويل"، و"تاريخ القرآن"، و"دلائل النظام"، و"حكمة القرآن"، و"حجج القرآن"، و"القائد إلى عيون العقائد"، و"الرائع في أصول الشرائع"، و"إحكام الأصول بأحكام الرسول"، و"أسباب النزول" و"الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ"، و"نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" وهو عبارة عن تفسير للقرآن على نمط فريد غير مسبوق فيما وصلنا من تفاسير للقرآن الكريم، وصدرت من هذا السفر أجزاء متفرقة لسور: مقدمة التفسير مع تفسير سورة الفاتحة والبسملة، الذاريات،

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

والتحريم، والقيامة، والمرسلات، وعبس، والشمس، والتين، والعصر، والكوثر، والكافرون، والهب، والفيل، ووافاه الأجل وهو في تفسير بدايات سورة البقرة. واقتضت طبيعة البحث أن يقع في مقدمة، ومبحثين، على النحو التالي:

### المبحث الأول: حياة الإمام الفراهي

ويشتمل على المطالب التالية

المطلب الأول: ونسبه ومولده.

المطلب الثاني: شيوخه ورحلاته في طلب العلم.

المطلب الثالث: مناصبه وأعماله التعليمية والإدارية.

المطلب الرابع: صفاته وأخلاقه.

المطلب الخامس: صفاته وأخلاقه.

المطلب السادس: تلامذته.

المطلب السابع: مصنفاته.

المطلب الثامن: وفاته وثناء العلماء عليه.

### المبحث الثاني: منهج الفراهي في توحيد العقيدة

ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول: القرآن هو المرجع الأساس في مسائل العقيدة.

المطلب الثاني: الاكتفاء بما ورد في القرآن وصحيح السنة وصريح العقل

المطلب الثالث: الإيمان بالله مع صفاته الحسنى.

المطلب الرابع: الاعتصام بالمحكم في أمور العقائد.

المطلب الخامس: مسألة الحسن والقبح.

### المبحث الأول حياة الإمام الفراهي

ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول: ونسبه ومولده .

المطلب الثاني: شيوخه ورحلاته في طلب العلم.

المطلب الثالث: مناصبه وأعماله التعليمية والإدارية.

المطلب الرابع: صفاته وأخلاقه.

المطلب الخامس: صفاته وأخلاقه.

المطلب السادس: تلامذته.

المطلب السابع: مصنفاته.

المطلب الثامن: وفاته وثناء العلماء عليه.

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده:<sup>1</sup>

هو عبد الحميد بن قربان قنبر بن تاج علي، حميد الدين، أبو أحمد، الأنصاري، الفراهي. وقد ذهب العلامة السيد سليمان الندوي في ترجمته إلى أن اسمه الحقيقي "حميد الدين"، ولكن لما كان هذا الاسم في العربية لقباً رأى فيه تمداً وتعاضلاً، فسوّى نفسه في أول مصنفاته العربية "عبد الحميد". والحق أن "عبد الحميد" هو الاسم الذي سوّى به بعد ميلاده، وظل معروفاً به إلى سنة 1306هـ إذ كان عمره 26 سنة. وقد غلب "حميد الدين" على "عبد الحميد" وخاصة بعدما ثبت في أوراقه

<sup>1</sup> ترجمته مقتبسة من كتاب "مفردات القرآن" تحقيق وشرح: الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، 2002م

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

الرسمية، وبهذا الاسم صدرت كتبه المعدودة في الأردية والفارسية، أما كتبه العربية-وهي جل مؤلفاته- فأثبت عليها اسمه هكذا: "المعلم عبد الحميد الفراهي". أما كنيته "أبو أحمد" فكثرت بها نفسه في أول ديوانه العربي إذ سمّاه: "ديوان أبي أحمد الأنصاري"، ولم يكن من أبنائه من يسمى "أحمد"، فالظاهر أنه قصد بهذه الكنية التعمية على استخبارات الاستعمار البريطاني التي كانت تراقبه لأسباب من أكبرها قصائده العربية في وصف عداء الصليبيين للمسلمين وهجومهم على بلادهم، وتحريض المسلمين على جهادهم.

أما نسبة الأنصاري فلم ينتسب إليها الفراهي إلا قليلاً، ولعل ذلك كان قبل أن يختار لنفسه نسبة: "الفراهي"، التي اقتصر عليها ابتعاداً مما قد تشم منه رائحة التفاخر بالنسب.

و"الفراهي" نسبة إلى قريته التي كانت مسقط رأسه، واسمها "فريها"، وهي من قرى "أعظم كره" أحد أضلاع الإقليم الشمالي في الهند "أترا براديش".

ولد الفراهي في القرية المذكورة صباح يوم الأربعاء سادس جمادى الآخرة سنة 1280هـ، في أسرة كريمة معروفة بنسبها وعلمها ومكانتها الاجتماعية، ويعد أهلها من أعيان المنطقة ووجهائها، فنشأ الفراهي وترعرع في رخاء ورفاهية.

### المطلب الثاني: شيوخه ورحلاته في طلب العلم:

بدأ الفراهي تحصيله العلمي في منزله كدأب أبناء البيوتات الشريفة، إذ عين له مؤدب يسمى الشيخ أحمد علي، فقرأ عليه القرآن الكريم وحفظه وهو ابن عشر سنين أو نحو ذلك.

ثم تعلم اللغة الفارسية في منزله أيضاً في مدة تسعة أشهر، على يد الشيخ محمد مهدي الذي كان من المؤدبين المشهورين في تلك الديار، وله ديوان شعر بالفارسية. وسرعان ما حصلت له بذكائه وتوقد ذهنه ملكة قوية في اللغة الفارسية، وامتلك ناصية البيان، فبدأ يقرض الشعر، ولم تمض مدة قليلة حتى

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

أخذ يجاري فحول شعراء الفارسية. فقال - وهو ابن ست عشرة سنة - قصيدة صعبة الرديف عارض بها قصيدة للشاعر الفارسي المشهور خاقاني الشرواني الملقب بحسان العجم (ت 595هـ)، فلما عرضها ابن عمته العلامة شبلي النعماني على شيخه العلامة محمد فاروق العباسي - من جلة علماء الفارسية في عهده - وسأله عن قائلها، قال: لا أدري ولكن الظاهر أنها لبعض الشعراء المتقدمين.

بدأ الفراهي تعلم اللغة العربية، وله أربع عشرة سنة، فانتقل من قريته إلى مدينة (أعظم كره) وقرأ فيها على ابن عمته العلامة شبلي النعماني (ت 1332هـ) الذي كان أكبر منه بست سنين.

ثم توجه إلى مدينة (لكناف) وحضر هناك مدة يسيرة في دروس العلامة الفقيه الشهير عبد الحي الأنصاري اللكنوي (ت 1304هـ) أحد الفضلاء البارعين في المعقولات.

ثم حداه حادي الشوق إلى التتلمذ على أديب العربية وشاعرها المفلح العلامة فيض الله السهارنفوري (ت 1304هـ) الذي كان مدرساً في الكلية الشرقية بمدينة (لاهور) وقرأ عليه - بصفة شخصية - كتب الأدب العربي وبعض كتب المعقولات.

وفي سنة 1300هـ - وهو ابن عشرين سنة - أقبل على اللغة الإنجليزية والعلوم الحديثة، فالتحق بثانوية (كرنل غنج) بمدينة (الله آباد) ثم بكلية (علي كره) التي تطورت فيما بعد إلى جامعة علي كره. وكانت العربية والفارسية من المواد اللازمة لطلاب الكلية، ولكن الفراهي أعفى منهما، بل كلف من قبل المسؤولين ترجمة كتابين من العربية إلى الفارسية لإدخالهما في المقررات الدراسية في الكلية التي كان هو أحد طلابها كما سبق.

وقد عني الفراهي في دراسته في الكلية بالفلسفة الحديثة ونال فيها درجة الامتياز مع اهتمامه بالإنجليزية والعلوم العصرية الأخرى.

وقد أخذ الفلسفة من المستشرق الإنجليزي الشهير (توماس أرنولد) الذي كان من أساتذة الكلية، وعمل فيها مدرساً عشر سنوات. ومن مؤلفاته كتاب (الدعوة إلى



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

الإسلام) الذي نال قبولاً عظيماً عند الباحثين المسلمين، ولكن الفراهي كان ينتقد هذا الكتاب انتقاداً شديداً ويرى أن الغرض من تأليفه تجريد المسلمين من روح الجهاد.

وفي أثناء طلبه في كلية علي كره، طلب إليه ترجمة تفسير سيد أحمد خان (مؤسس الكلية) إلى اللغة العربية، فرفضها قائلاً: "لن أشارك في نشر هذا الإثم". ثم درس سنتين علم القوانين الجارية (الحقوق)، ولكنه كان يكره الاشتغال به، فنبذه ولم يكمل تحصيله.

### المطلب الثالث: مناصبه وأعماله التعليمية والإدارية:

تولّى الفراهي بعد إكمال دراسته مناصب عدة تعليمية وإدارية. فعين سنة 1314 هـ مدرساً للعربية والفارسية بمدرسة الإسلام في مدينة كراتشي، ودرس فيها أكثر من سبع سنوات.

ثم عين عام 1324 هـ أستاذاً مساعداً للعربية في كلية علي كره، وكان أستاذ العربية فيها حينذاك المستشرق اليهودي الألماني (جوزف هوروفيتس) ناشر الجزئين الأولين من طبقات ابن سعد، وصاحب كتاب المغازي الأولى، ولعل تعيينهما كان في وقت واحد. وقد أخذ عنه الفراهي اللغة العبرانية، كما استكمل المستشرق عليه العربية. وبعد سنتين عين عام 1326 هـ أستاذاً للعربية بجامعة (الله آباد) وقضى هناك نحو ست سنوات، واختير عضواً في اللجنة العربية للعلوم الشرقية. ولما اقترح سنة 1331 هـ تأسيس جامعة عالمية في المدينة المنورة كان هو والعلامة شبلي النعماني من بين العلماء الذين اقترحت أسماؤهم للتدريس فيها.

ثم اختارته حكومة (حيدر آباد الدكن) عميداً لدار العلوم التي كانت كلية شرقية، فغادر إليها سنة 1332 هـ منتدباً من قبل حكومة ولايته، وكان بالإضافة إلى مسؤوليته الإدارية يدرس الصفوف العليا في الكلية.

وكان الفراهي أحد المؤسسين للجامعة العثمانية بحيدر آباد، وهو الذي اقترح أن يكون تدريس العلوم الشرعية فيها باللغة العربية، والعلوم العصرية باللغة الأردية، فوافقوا على الجزء الثاني ولكن لم يوافقوا على الجزء الأول من اقتراحه. وكانت له في حيدر آباد حلقة أسبوعية لتفسير القرآن الكريم يحضرها العلماء والباحثون وطلبة علم القرآن، ويعرضون عليه أسئلتهم فيجيب عنها.

مكث الفراهي بحيدر آباد إلى سنة 1337هـ، ثم استقال من منصبه مع رغبة المسؤولين في بقاءه هناك، وعاد إلى وطنه. وقد أشار إلى ذلك في ترجمته الذاتية قائلاً: "ولما كانت هذه المشاغل تمنعني عن التجرد لمطالعة القرآن المجيد، ولا يعجبني غيره من الكتب التي مللت النظر في أباطيلها، غير متون الحديث وما يعين على فهم القرآن، تركت الخدمة، ورجعت إلى وطني، وأنا بين خمسين وستين من عمري، فيا أسفًا على عمر ضيعته في أشغال ضررها أكبر من نفعها! ونسأل الله الخاتمة على الإيمان".

بعد عودته من حيدر آباد تولى الفراهي إدارة مدرسة إصلاح المسلمين التي أنشأتها جمعية إصلاح المسلمين في بلدة (سراي مير). وقد قامت هذه الجمعية في منطقة (أعظم كره) لإصلاح عقائد المسلمين وإزالة البدع المنتشرة وفض المنازعات والخصومات بين المسلمين، ثم أسست الجمعية مدرسة إصلاح المسلمين - التي سميت فيما بعد بمدرسة الإصلاح اختصارًا - لتخريج علماء ودعاة يحملون رسالتها، فيستمر عمل الدعوة والإصلاح. وقد أسند الإشراف على المدرسة إلى الفراهي وهو في حيدر آباد، فلما رجع إلى وطنه باشر إدارة المدرسة، ووضع فكرتها التعليمية، ورسم لها منهاجًا دراسيًا فريدًا يختلف عن منهاج المدارس الدينية الأخرى في نظامها، ومقرراتها الدراسية، وطريقة التدريس فيها. وفي السنوات الخمس الأخيرة من عمره وقف جزءًا كبيرًا من وقته وجهده على خدمة هذه المدرسة فكان يقيم ثلاثة أيام من كل أسبوع في المدرسة، ويلقي دروسًا في تفسير القرآن الكريم على أساتذتها وطلابها الكبار.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

ولما توفي العلامة شبلي النعماني سنة 1332هـ واجتمع تلامذته - وهو أحدهم - لتنفيذ فكرة أستاذهم لإنشاء مؤسسة دار المصنفين في مدينة أعظم كره، اختاروا الإمام الفراهي رحمه الله رئيساً لها والعلامة سليمان الندوي مديراً.

### المطلب الرابع: صفاته وأخلاقه:

كان الفراهي رحمه الله معروفاً بفرط الذكاء، ونفاذ البصر، وسرعة الإدراك، ودقة الاستنباط. وكان ورعه وزهده في الدنيا، وقصده في العيش، وعزوفه عن السمعة، وحسن تعبد، مع جود وغنى نفس وتواضع، موضع إجماع من معاصريه.

كان العلامة شبلي النعماني رحمه الله يقول: "من جلس إلى عبد الحميد انصرف قلبه عن الدنيا".

ويقول السيد سليمان الندوي رحمه الله: "كان رحمه الله آية من آيات الله في حدة الذهن، وكثرة الفضل، وسعة العلم، ودماثة الخلق، وسداد الرأي، والزهد في الدنيا، والرغبة في مرضاة الله".

ومما وصفه به صاحب نزهة الخواطر: "جودة فهم، ووفور ذكاء، وشهامة نفس، وانجماع لا سيما عن بني الدنيا، وعدم اشتغال بما لا يعنيه".

ويقول الأستاذ عبد الماجد الدريابادي رحمه الله: "لم تر عيني مثله في الصبر والشكر والفنعة والتوكل وغنى النفس". وقال في موضع آخر: "كانت شخصية الفراهي قوية جذابة، قلما رأينا مؤمناً قانتاً مثله، قيل في وصف أولياء الله إن الجلوس معهم يذكر الإنسان بالله سبحانه، وكان يصدق هذا الوصف على الفراهي صدقاً تاماً. أما الصلاة فكأن قلبه معلق بأوقاتها. أقام في حيدر آباد سنوات عميداً لدار العلوم، يتقاضى مرتباً عالياً، وكانت صلته بطبيعة الحال بعلمية القوم، لكن لم يتغير شيء مما كان عليه من القناعة والاقتصاد في المطعم والملبس والديانة والصدق والإخلاص. أما مجالسه فلا مجال فيها للغيبة ولغو القول والهزل. وبالجمله فلم يكن له نظير لا في العلم والفضل ولا في الديانة والتقوى".

وقد أقبلت الدنيا على الفراهي، فتهيأت له فرص وسعى إلى ما يسعى إليه هل الدنيا لنال أجل الرتب وأعلى المناصب، وحاز كل ما تطمع فيه النفوس من الأموال والألقاب وحسن الصيت، ولكنه كان زاهدًا في كل ذلك، مقبلًا على الله، قائلًا للدنيا ما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "يا دنيا غري غيري". وكان من تيقظه وحزره أنه قال في أثناء بعض تلك الفرص التي يتمنى الناس حصولها في حياتهم مقطوعة رباعية في الفارسية يخاطب نفسه محذرًا إياها، ترجمتها: "الجاهل مشغول بالبحث عن لذيق المأكّل، والعاقل مصروف همه إلى نيل الصيت والسمعة. أما أنت أيها الفراهي فاجتنب الاثنين، فيوشك أن ترى كليهما قد نشبت حلوقهما في الحباله". وكان من ورعه وعدله أنه حكم في قضية - جعله الخصم حگًا فيها - على والده، مع كونه من أبر الناس به، وخرج بذلك جزء كبير من ضياعه إلى لك الخصم.

#### **المطلب الخامس: ثقافته وعلومه:**

كان الفراهي عالمًا ذا ثقافة واسعة متنوعة، فقد برع في العلوم النقلية والعقلية، وهر في اللغات العربية والفارسية والإنجليزية، وتعلم اللغة العبرانية. وانفرد من بين معاصريه من علماء الهند بأنه درس مع كل ذلك علوم الغرب وآدابه في اللغة الإنجليزية دراسة الناقد البصير، ثم لم يزد ذلك إلا قوة في الدين واستقامة عليه علمًا وعملاً.

لكن العلم الذي غلب عليه هو علم القرآن الذي بلغ فيه إلى منزلة تتقاصر دونها الهمم. فحاز السبق في علوم القرآن وفتح الله عليه من علومه ما شاء، وبلغ في ذلك شأواً لم يبلغه إلا قليل من أهل العلم، فلَقَّبه معاصروه بـ"ترجمان القرآن".

يقول العلامة السيد سليمان الندوي: "ثم انقطع إلى تدبر القرآن ودرسه، والنظر فيه من كل جهة، وجمع علومه من كل مكان، فقضى فيه أكثر عمره، ومات وهو مكبّ على أخذ ما فات من العلماء، ولفّ ما نشره ولمّ ما شتته، وتحقيق ما لم يحقّقوه. فكان لسانه ينبع علمًا بالقرآن وصدره يتدفق بحثًا عن مشكلاته، وقلمه

يجري كشفًا عن معضلاته".

وقد أُلّف في تفسير القرآن وعلومه بضعة عشر كتابًا أجّلها تفسيره (نظام الفرقان وتأويل الفرقان بالفرقان) الذي صدر منه أحد عشر جزءًا في حياته وجزءان بعد وفاته. ولعله لم يشرع في التفسير من أوله إلا في آخر حياته فوافاه الأجل وهو في تفسير الآيات (47-62) من سورة البقرة.

المطلب السادس: تلامذته:

كان المؤلف رحمه الله- لما انفرد به من بين أقرانه من الجمع بين الثقافتين الإسلامية والغربية والتعمق فيهما- مرجعًا ومنتهى لكثير من العلماء الأجلاء، وأولهم شيخه وابن عمته العلامة شبلي النعماني رحمه الله. تشهد بذلك رسائله المنشورة ضمن الجزء الثاني من "مكاتب شبلي" التي بلغ عددها 77 رسالة، وأكثرها تحتوي على مسائل علمية. ومن المؤسف أنّ أجوبة الفراهي رحمه الله قد ضاع جلها بل كلها، إذ لم نعثر إلا على جواب واحد في غضون نسخة كتابه الرائع في أصول الشرائع المحفوظة في خزانة الدائرة الحميدية، وهو في أربع صفحات بعنوان "حكمة بعض الشرائع المتعلقة بفرائض الزوجين". وسؤال النعماني الذي أجاب عنه الفراهي مذكور في رسالتين له، وهو عن قوله تعالى في سورة الأحزاب: "يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن" [آية 50].

وقد درّس الفراهي- كما علمنا - في كراتشي وعليكره والله آباد وحيدر آباد، فقرأ عليه في فصول الدراسة عدد كبير من الطلبة، ثم ألقى دروسًا ومحاضرات في ندوة العلماء، والجامعة الملكية الإسلامية، وحيدر آباد، ومدرسة الإصلاح، وأكثر الذين كانوا يحضرون فيها كانوا من العلماء والباحثين وطلبة العلم من الصفوف العليا. وممن حضروا مجالس الفراهي واستفادوا من دروسه ومحاضراته في تفسير القرآن وغيره، ثم تأثروا بعض التأثير بأفكاره، وتبين ذلك في كتاباتهم، وأقروا بذلك هم أنفسهم أو بعض أقرانهم:

- 1- العلامة صاحب الرئاسة أبو الكلام آزاد (ت 1377هـ).
  - 2- العلامة السيد سليمان الندوي (ت 1373هـ).
  - 3- الشيخ مناظر أحسن الكيلاني (ت 1375هـ).
  - 4- الأستاذ عبد الله العمادي (ت 1366هـ).
  - 5- الأستاذ عبد الماجد الدرابادي (ت 1397هـ).
- أما تلامذته الذين حملوا لواء فكره، وقاموا بنشره فهم الذين استفادوا منه في آخر حياته في مدرسة الإصلاح، ولا سيما صاحبا:
- 6- الشيخ أختار أحسن الإصلاحي (1320-1378هـ) والشيخ أمين أحسن الإصلاحي المتوفى سنة 1418هـ وكان أولهما أبعد غورًا وأثقب نظرًا في علم القرآن والعربية، وأشبه بشيخه في الصلاح والورع وحسن السمات، ولكنه لم يؤلف شيئًا غير مقالات معدودة في تفسير بعض الآيات المشككة نشرت في مجلة الإصلاح، وقد نذر حياته لخدمة مدرسة الإصلاح حسب المنهج الذي رسمه لها شيخه، فتخرج على يديه جيل متميز من العلماء العاملين. ثم اعتنى بصيانة مسودات شيخه وإعدادها للنشر، فأصدر فاتحة نظام القرآن، وتفسير سورة الفيل، ومفردات القرآن، وجمهرة البلاغة وغير ذلك. وتوفي في رجب مدرسة الإصلاح في 24 ربيع الأول سنة 1378هـ عن 58 سنة.
  - 7- أما زميله الشيخ أمين أحسن الإصلاحي فكان مع تبحره في العلم خطيبًا مفوهًا وكاتبًا أديبًا، وقد غادر سنة 1944م مدرسة الإصلاح (الهند) إلى بنجاب (باكستان) للعمل مع الأستاذ أبي الأعلى المودودي في الجماعة الإسلامية، وكان الرجل الثاني فيها. ثم تركها سنة 1958م وانصرف إلى أعماله العلمية. وله مؤلفات جليلة كلها بالأردية وأعظمها تفسيره (تدبر قرآن) في تسع مجلدات كبيرة، وقد ألفه على منهج شيخه، واستغرق تأليفه 29 عامًا. ومن أحسن مؤلفاته: حقيقة التوحيد، وحقيقة الشرك، وتزكية النفس، والدولة الإسلامية، والدعوة الإسلامية ومنهجها، والكتاب الأخير هو الوحيد الذي ترجم إلى العربية (بغير إذنه وبعد حذف فصل منه) ونشر بالكويت. وهو الذي ترجم

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

كتب شيخه إلى اللغة الأردية بأسلوبه الرائع، فتيسر لعامة الباحثين في شبه القارة الهندية الاستفادة من أفكار الفراهي ونتائج تدبره في القرآن الكريم.

المطلب السابع: مصنفاته:

قبل أن نسرد أسماء مؤلفات الفراهي، يحسن أن نشير إلى منهجه في التأليف، فإنه يختلف عن منهج عامة المؤلفين الذين إذا عزموا على تأليف كتاب جمعوا مادته ثم رتبوها في صورة كتاب. أما الفراهي فإن الموضوعات التي رأى ضرورة الكتابة فيها وحلّ مشكلاتها كانت ماثلة بين عينيه، يديم النظر والبحث فيها، فإذا حقق مسألة أو حلّ معضلة أو أحكم رأياً قيد ذلك وكتب عليه: "من كتاب ...". حتى إذا اكتملت جوانب البحث أقبل على تأليفها وتنسيقها. ولذلك كان يؤلف كتباً عديدة في وقت واحد، وقد بقي أكثر مؤلفاته ناقصاً، لأسباب منها طريقتة هذه في التأليف، أعماله الإدارية، والأمراض التي قد أنهكته وكانت تعاوده حيناً بعد حين.

وقد قسم الشيخ أمين أحسن الإصلاحي آثار الفراهي إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما وفقه الله لإنجازه ونشر أكثره في حياته.

والثاني: ما كتب جملة صالحة من فصوله.

والثالث: ما لم يقدر له أن يكتب إلا بعض مباحثه أو تعليقات متفرقة حوله.

ونورد فيما يلي عناوين آثار الفراهي كلها مما وقفنا عليه - كاملة كانت أو ناقصة -

مرتبة على حروف المعجم، مقدمين المطبوعة منها على المخطوطة:

أولاً: الآثار المطبوعة:

1. أسباق النحو: وهو كتاب في اللغة الأردية في جزأين لتعليم النحو والصرف

للناشئين على منهج ميسر جديد، وهو مقرر في عدد من المدارس الدينية في

الهند. نشر سنة 1135هـ.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

2. أساليب القرآن: أفرد هذا الكتاب لذكر وجوه الأساليب في القرآن وبيان دلالتها ومواقع استعمالها. نشرته الدائرة الحميدية سنة 1389هـ.
3. أمثال آصف الحكيم: مجموعة حكايات آصف، نقلها الفراهي من الإنجليزية إلى العربية في زمن طلبه. ونشر الكتاب بعد وفاته، وصدرت منه عدة طبعات، وهو مقرر في بعض مدارس الهند الدينية.
4. إمعان في أقسام القرآن: صدرت منه طبعتان في حياة المؤلف أولاها في مدينة لکناؤ وكانت صغيرة الحجم. ثم زاد المؤلف في فصولها وألفها على نحو جديد، وصدرت هذه النسخة من المطبعة الأحمدية في علي كره سنة 1329هـ، والطبعة الثانية منها صدرت من المطبعة السلفية بالقاهرة سنة 1349هـ، وصورتها دار القرآن الكريم بالكويت سنة 1401هـ. ثم صدرت طبعة منه باعثناء الدكتور محمد أجمل أيوب من دار القلم بدمشق سنة 1415هـ.
5. تحفة الإعراب: قصيدة رائية في النحو بالأردية تشتمل على 128 بيت، مقررة في بعض المدارس الدينية، طبعت في حياة المؤلف وصدرت منها عدة طبعات.
6. ترجمه فارسي باره از طبقات ابن سعد: ترجمة جزء من طبقات ابن سعد بالفارسية طبعت في مطبعة مفيد عام بمدينة آغره سنة 1891م.
7. ترجمه فارسي رساله بدء الإسلام: ترجمة رسالة بدء الإسلام من تأليف العلامة شبلي النعماني بالعربية. طبعت بمطبعة مفيد عام بمدينة آغره سنة 1891م.
8. التكميل في أصول التأويل: رسالة قيمة في أصول التفسير لم يقدر للمؤلف إكمالها، نشرتها الدائرة الحميدية، سنة 1388هـ.
9. جمهرة البلاغة: اسم الكتاب تاريخي يشير إلى سنة 1322هـ، ولعله تاريخ بداية التأليف. نشرته الدائرة الحميدية بعد وفاة المؤلف سنة 1360هـ.
10. خرد نامه: ترجمة منظومة لأمثال سليمان عليه السلام بالفارسية الدريّة، نشره المؤلف في حيدر آباد سنة 1916م.
11. دلائل النظام: ألّف هذا الكتاب لإقامة الحجة على وجود النظام (أي الوحدة



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

- الموضوعية) في كل سورة من سور القرآن الكريم، وبيان الطرق التي تهدي إلى نظام السورة، نشرته الدائرة الحميدية سنة 1388هـ.
12. ديوانه العربي: نشره الشيخ بدر الدين الإصلاحي من الدائرة الحميدية سنة 1387هـ.
13. الرأي الصحيح في من هو الذبيح: صدر الكتاب في حياة المؤلف سنة 1338هـ، وطبع في مطبعة عارف بأعظم كره، وصدرت طبعة أخرى منه من الدائرة الحميدية سنة 1414هـ، ثم أصدرت دار القلم بدمشق سنة 1420هـ طبعة ثالثة باعتهاء الدكتور محمد أجمل أيوب.
14. رسالة في عقيدة الشفاعة والكفارة: بالإنجليزية، رد بها على بعض علماء النصارى، وقد ذكر هذه الرسالة العلامة السيد سليمان الندوي في ترجمة الفراهي، ولم نقف عليها.
15. فاتحة نظام القرآن: مقدمة تفسيره (نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان) نشرها الدائرة الحميدية سنة 1357هـ بعد وفاة المؤلف، وتقديم الكتاب بقلم العلامة السيد سليمان الندوي.
16. في ملكوت الله: قصد فيه ذكر السنن الإلهية في رقي الأمم وانحطاطها، وعلو الحق وهزيمة الباطل، وأصول النظام السياسي للإسلام، ولم يتمه. نشرته الدائرة الحميدية سنة 1391هـ.
17. القائد إلى عيون العقائد: نشرته الدائرة الحميدية، سنة 1395هـ.
18. مفردات القرآن: طبع أخيراً في دار الغرب الإسلامي، سنة 2002م بتحقيق الدكتور محمد أجمل أيوب.
19. نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان: وهو تفسيره الكبير، الذي صدرت منه الأجزاء التالية:
- أ- تفسير سورة الفاتحة والبسملة: نشر مع فاتحة نظام القرآن سنة 1357هـ.
- ب- تفسير سورة الذاريات: مطبعة معارف بأعظم كره، دون تاريخ.
- ت- تفسير سورة التحريم: مطبعة فيض عام، علي كره، سنة 1326هـ.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

ث- تفسير سورة القيامة: صدرت طبعته الأولى من مطبعة فيض عام بمدينة علي كره، دون تاريخ. والطبعة الثانية صدرت من الدائرة الحميدية سنة 1403هـ.

ج- تفسير سورة المرسلات: طبعة معارف، دون تاريخ.

ح- تفسير سورة عبس: مطبعة معارف، دون تاريخ.

خ- تفسير سورة الشمس: مطبعة فيض عام، سنة 1326هـ.

د- تفسير سورة التين: مطبعة معارف، دون تاريخ.

ذ- تفسير سورة العصر: مطبعة فيض عام، سنة 1326هـ.

ر- تفسير سورة الفيل: مطبعة معارف، سنة 1354هـ.

ز- تفسير سورة الكوثر: مطبعة معارف، دون تاريخ.

س- تفسير سورة الكافرون: مطبعة فيض عام، سنة 1326هـ، ونشر بعد ذلك في صحيفة الجامعة العربية نصف الشهرية التي كان يصدرها الأستاذ عبد الرزاق تحت إشراف الأستاذ أبي الكلام آزاد في كلكتا، وذلك في العدد العشرين من المجلد الأول الصادر في شهر شعبان سنة 1342هـ الموافق مارس 1924م (ص 9-14)

ش- تفسير سورة اللهب: مطبعة معارف، دون تاريخ.

ص- تفسير سورة الإخلاص: هذا الجزء وحده بالأردية، ولعل المؤلف ألفه لأحد معارفه بناء على طلبه، زمن إقامته بكراتشي. نشرته الدائرة الحميدية سنة 1378هـ.

20. نواي بهلوي: وهو ديوانه الفارسي، وقد طبع في حياة المؤلف بعنوان "ديوان حميد" بمطبعة شمسي في مدينة حيدر آباد سنة 1903م. ثم أصدره الأستاذ بدر الدين الإصلاحي بهذا العنوان سنة 1967م.

ثانيًا: الآثار المخطوطة:

ومعظم هذه المخطوطات تعد من القسم الثالث من آثار المؤلف حسب تقسيم

الشيخ أمين أحسن الإصلاحي.

21. إحكام الأصول بأحكام الرسول ﷺ : في علم أصول الفقه المأخوذ من استنباطات الرسول عليه السلام في القرآن الحكيم- النسخة المنقولة من الأصل في 9 أوراق -.
  22. الأزمان والأديان: في حكمة عناية الدين بشهور وأيام وساعات معينة. لهذه الرسالة ثلاث مسودات يبلغ مجموع عدد صفحاتها 22 صفحة.
  23. أسباب النزول: المسودة في تسع أوراق.
  24. الإشراق في الحكمة الأولى من حقائق الأمور ومكارم الأخلاق: النسخة المنقولة من الأصل في 4 أوراق.
  25. أصل الفنون: رسالة بالأردية للمدرس في الأصول العامة لتعليم العلوم. المسودة في 9 أوراق.
  26. الإكليل في شرح الإنجيل: المسودة في 10 أوراق.
  27. أوصاف القرآن: لهذه الرسالة مسودتان، مجموع أوراقهما 25 ورقة.
  28. تاريخ القرآن: المسودة في 10 أوراق.
  29. تزكية الروح: هذه الرسالة في 3 أوراق.
  30. تعليقات في التفسير: هذه التعليقات قيدها على حواشي نسختين من المصحف في أثناء تدبره للقرآن الكريم، قد اصطحبهما تلميذه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي، هما الآن عند ورثته في باكستان. وقد جمعت هذه التعليقات قديمًا في نسخة مفردة استنسخها كثير من الناس.
  31. حجج القرآن: من أجل كتب المؤلف، ولم يقدر له إتمامه، ولكن أورد خطته في أول الكتاب وكتب جملة من مباحثه. يشتمل على ثلاثة مقالات، وكل مقالة في ثلاثة أبواب.
- المقالة الأولى: في نقد المنطق والفلسفة وعلم الكلام.
- المقالة الثانية: في تأسيس العلم وبيان طريق احتجاج القرآن.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

- المقالة الثالثة: في ذكر حجج القرآن على الربوبية والمعاد والرسالة. النسخة المنقولة من الأصل في 168 صفحة، وتضم محتوى ثلاث مسودات.
32. حكمة القرآن: وهو أيضاً من أهم كتب المؤلف، والنسخة المنقولة من الأصل في 27 ورقة.
33. الدر النضيد في النحو الجديد: بدأ تأليفه سنة 1315هـ، وله مسودتان مجموع أوراقهما 44 ورقة.
34. دلائل إلى النحو الجديد والمعاني والعروض والبلاغة: ذكر هذه الرسالة السيد سليمان الندوي في ترجمة الفراهي.
35. الدمدمة والشمقمقة: أراد المؤلف ترجمة كتاب (هتـيوك) من كتب الهنادك، وهو في تزكية النفس، وبعد ذلك كان ينوي ذكر أصول التزكية في ضوء القرآن في كتابه السابق (تزكية الروح) المسودة في 6 ورقات انتهى فيها إلى ترجمة الفقرة 32 من الكتاب المذكور.
36. الرائع في أصول الشرائع: المسودة في 23 ورقة ألحقت بها 34 ورقة تشتمل على المباحث المتعلقة بالكتاب.
37. رسالة في إصلاح الناس: المسودة في 5 ورقات، وقد ترجمها الشيخ أمين أحسن الإصلاحي بالأردية ونشرها في مجلة الإصلاح، عدد يونيو 1936م.
38. الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ: النسخة المنقولة من الأصل في 8 ورقات.
39. سليقة العروض: لهذه الرسالة مسودتان في 21 ورقة، وكان المؤلف يريد إصلاح علم العروض ووضعه على نحو جديد، وقد علمه بعض تلامذته على طريقته؛ ولكن لم ينجز تأليف كتابه.
40. الطارق والبارق: مجموعة خواطر وأفكار.
41. العقل وما فوق العقل: النسخة المنقولة من الأصل في 4 ورقات.
42. فقه القرآن: النسخة المنقولة من الأصل في 6 ورقات.
43. فلسفة البلاغة: هذا الاسم أيضاً تاريخي يشير إلى سنة 1324هـ، أراد تأليفها تمهيداً لفهم كتابه جمهرة البلاغة. لها مسودتان في 6 ورقات.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

44. القسطاس: وهي رسالة في علم جديد، وهو منطق العمل وميزان الإرادات وأساس الحكمة العملية. النسخة المنقولة من الأصل في 14 ورقة.
45. قيد الأوابد: مجموعة خواطر وأفكار.
46. لوامع الأفكار: مجموعة خواطر وأفكار.
47. مسائل النحو: الأصل في 8 ورقات، وفي الصفحة الأولى عنوان الكتاب وبعده: "من المفصل للزمخشري".
48. المنطق الجديد: الأصل في 18 ورقة.
49. نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان: بقيت أجزاء ناقصة من التفسير لم تطبع إلى الآن منها تفسير سورة البقرة، وهو يشتمل على تفسير 62 آية في 56 فصلاً، وعدد أوراقه 124 ورقة- صدر مؤخراً من الدائرة الحميدية- ومنها تفسير سورة آل عمران انتهى فيه إلى الآية 31.
50. النظام في الديانة الإسلامية: وهو جزء من كتاب حكمة القرآن، ولكن نظراً لأهمية الموضوع أفردته بكتاب وكتب له خطبة مستقلة. النسخة المنقولة من الأصل في 10 ورقات.
51. النظر الفكري حسب الطريق الفطري: النسخة المنقولة من الأصل في 6 ورقات.
- المطلب الثامن: وفاته وثناء العلماء عليه:
- توفي رحمه الله- وهو يتلو القرآن الكريم- في 19 جمادى الآخرة عام 1349هـ على إثر عملية جراحية أجراها طبيبه الخاص في مدينة (مئورا) ودفن بها.
- وقد رثاه عدد من أصحابه وأصدقائه بقصائد عربية وفارسية وأردية. منها قصيدة الشيخ اللغوي الأديب عبد الرحمن الكاشغري (ت 1971 م). وقد قال رثاه العلامة سليمان الندوي في مجلة "معارف" الصادرة بأعظم كره بعنوان (الصلاة على ترجمان القرآن) استهلها بقوله:

"الصلاة على ترجمان القرآن، نودي بذلك قبل نحو ستة قرون من مصر والشام إلى حدود الصين، للصلاة على الإمام ابن تيمية رحمه الله، وحق أن ينادى بذلك

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

مرة أخرى من ربوع الهند إلى بلاد مصر والشام على الأقل، فإن ابن تيمية هذا العصر قد توفي في التاسع عشر من جمادى الآخرة سنة 1349هـ الموافق 11 نوفمبر سنة 1930م. ذلك الإمام الجليل الذي كانت شخصيته الجامعة بين علوم الشرق والغرب نادرة العصر، شخص واحد اجتمع فيه عالم من العلم والمعرفة، ماهر في العلوم الدينية، ناقد للعلوم العقلية، وحيد عصره في علوم العربية، نسيج وحده في علم القرآن، عارف بحكمته ودقائقه، كُنِيَف ملئ علمًا، ولكن لم ينقل من علمه - مع الأسف - إلى الدفاتر والأوراق إلا قليل ...".

وأما العلامة أبوا الكلام آزاد رحمه الله فقد قال: "كان حميد الدين الفراهي رحمه الله من العلماء الريانيين الذين لا تكون بضاعتهم العلم فحسب، بل يجمعون بين العلم والعمل. ويندر وجود أمثال هؤلاء الحائزين للشرفين، كما لا يخفى على أهل النظر. وإني كلما قابلته تأثرت بعمله أكثر من علمه، فإنه كان رجلاً تقيًا بكل معنى الكلمة ...".

وقد اطلع العلامة السيد رشيد رضا رحمه الله على أجزاء من تفسير الفراهي، فكتب كلمة في مجلة المنار (صفر 1327هـ) ومما قال فيها: "وقد ألقينا على بعض هذه الرسائل لمح من النظر، فإذا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير، يشترك مع طريقنا في القصد إلى المعاني من حيث هي هداية إلهية دون المباحث الفنية العربية ... وإن للمؤلف لفهمًا ثاقبًا في القرآن، وإن له فيه مذاهب في البيان ... وانه لكثير الرجوع باللغة إلى مواردها والصدور عنها ريان من شواردها".

وقد كتب الدكتور تقي الدين الهلالي في مذكراته، حينما زار الفراهي رحمه الله قبل وفاته بسبع سنين، ومما جاء فيها أيضًا " ... والرجل فصيح في التكلم لغاية، نادرة في علماء العرب فضلًا عن علماء الهند ... سمعت منه خطبة تفسيره للقرآن اغرورقت منها عينايا لفصاحتها وحقّيتها. وهو عارف بمسألة الخلافة محقق لها، لا يلتبس عليه شيء من أمرها خلًا لأهل الهند، مجتهد في العقائد والعمليات، لا ينتهي لمذهب لكنه يتعبد على مذهب الحنفية لأنه نشأ عليه ويعتقد أن الأمر في

مثل ذلك سهل. ماهر في الإنجليزية والعربية والفارسية الأردنية. وبالجمله فهو أعلم من لقيته قبل هذا الحين ، وهو 17 رمضان 1342هـ".

### المبحث الثاني

#### منهج الإمام الفراهي في بحث المسائل العقيدية

ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول: القرآن هو المرجع الأساس في مسائل العقيدة.

المطلب الثاني: الاكتفاء بما ورد في القرآن وصحيح السنة وصريح العقل

المطلب الثالث: الإيمان بالله مع صفاته الحسنى.

المطلب الرابع: الاعتصام بالمحكم في أمور العقائد.

المطلب الخامس: مسألة الحسن والقبح.

المطلب الأول: القرآن هو المرجع الأساس في مسائل العقيدة:

نظرًا لأهمية العقيدة في حياة المسلمين، ونظرًا لقصور علماء العقيدة في اقتفاء المنهج القرآني، واعتمادهم على المناطقة والفلاسفة في حل إشكالات مباحث العقيدة، فقد ارتأى العلامة عبد الحميد الفراهي أن يفرد هذا البحث - القائد إلى عيون العقائد - بسفر جليل، يجلي فيه الإشكالات، ويرد فيه العلم إلى الأصول التي ينبغي أن يبتنى عليها، حتى يمهّد الطريق لتوحيد عقيدة المسلمين ، وأن يكون هناك منهجًا ضابطًا يتفق عليه المسلمون في مسائل العقيدة، وهذا المنهج يقوم على جعل القرآن هو المحور في مسائل العقيدة كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [سورة النساء: 59]، فالاعتصام بالقرآن هو الدواء الناجع، الذي ينبغي الأمة من الفرقة والتشتت، ويجعلها على طريق الوحدة والاتفاق كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً

فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [سورة آل عمران: 103].

ولتحقيق هذا الغرض قام المؤلف بوضع هذا الكتاب، وهو جزء من مقدمة كتابه "تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان".  
وقد أفرد به بالبحث حتى يتجنب التكرار في أصل كتابه "نظام القرآن".

وبحث فيه من مسائل العقيدة التي صرح بها القرآن، وأعرض عن الخوض في المسائل التي نشأت في العقائد من المسائل المبتدعة التي أثارت اختلافات مثل "مصطلح المعجزة والخوارق" فمنهم من أنكر إمكانه ومنهم من أنكر دلالته على النبوة، ومنهم من جعلها من لوازم النبوة، مع أن هذه الكلمة "مولدة"، فلم ترد في القرآن الكريم ولا فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عند العلماء في القرون الأولى، وظنوا أن لها ذكراً "باسم الآية" فلا بد لطالب الحق في أمر المعجزة أن يترك هذه الكلمة المولدة، وينظر في معنى الآية ومواقع ذكرها وما يتعلق بها ثم يرجع إلى بحث "الخوارق والمعجزات"، سيتبين له أن ترك هذه الكلمة أولى، فإنها تدل على خيال اختلط فيه الحق بالباطل.<sup>1</sup>

وبما أن العقائد ليست من العلوم المحضة المجردة الباردة، التي تدخل تحت الإرادة والتي قد ترغب فيقبل عليها أو ترفض فينفر منها، لذلك ألّف الفراهي كتاباً سمّاه "حكمة القرآن" بحث فيه ما يفسد العقيدة وما يصلحها من الأخلاق ومن العلوم، وكيفية الإصلاح المبني على ترتيب العلاج المناسب المأخوذ من القرآن.<sup>2</sup>

ولا يمكن في علم العقائد من فهم معاني الكلام في الحق والباطل، ومعرفة الخير والشر، والإثبات والنفي، والمدح والذم، لأن الأمر الواحد ربما يكون باطلاً من وجه

<sup>1</sup> القائد إلى عيون العقائد، ص 161 (يتصرف)

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 4 (يتصرف)



وحقًا من وجه آخر، وكذلك خيرًا من وجه وشرًا من وجه آخر، فاشتدت الحاجة إلى: "علم المعاني وأساليب الكلام" - وقد أفرد له الفراهي كتاب "أساليب القرآن" -، و"علم الشرائع" - وقد أفرد له الفراهي كتابين: الأول: "الرائع في أصول الشرائع" والثاني: "إحكام الأصول بأحكام الرسول ﷺ" - وأسباب الأمر والنهي - وقد أفرد له الفراهي كتاب: "أسباب النزول" - وعلم أصول التأويل - وقد أفرد له الفراهي كتاب التكميل في أصول التأويل - فإن قبل الحكم بالحق والباطل، والخير والشر فلا بد أن تصيب صحيح المعنى والتأويل، والتأويل الصحيح موكل إلى علم النظم - وقد أفرد الفراهي لهذا العلم كتابين الأول: "دلائل النظام" وأفردته لذكر دلائل النظام، وماله من المكانة في الكلام. فأثبت فيه بالدلائل أن للترتيب والنظام حظًا وافرًا في كل مركب، ولا سيما في الكلام البليغ، ولا سيما في هذا القرآن الحكيم. والذين يزعمون خلاف ذلك فإنهم قد أخطأوا في زعمهم ولم ينصفوا كتاب الله. ألا ترى أن أحدًا منهم لا يرضى بأن يكون كلامه مختل النظام أو ضعيف الرباط بل لو لاح له بعد زمان، شيء من الاختلال أو الضعف راجع فيه النظر وهذبه بغاية ما يمكنه. فكيف يرضون هذا الخلل الفاحش في كلام الله الحكيم العليم؟<sup>1</sup>

والكتاب الثاني: "تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" ويعتبر الكتاب المحاولة العملية لتطبيق هذه الأفكار على شكل تفسير متكامل، ولكن الكتاب مع الأسف لم يكتب له أن الاستمرارية -.

ثم علم النظم يأخذ من هذه العلوم كلها، فهذه العلوم كأركان بنيان واحد يشد بعضه بعضًا.

وتشتد الحاجة إلى هذه المنظومة من الكتب التي وضعها الفراهي كي يتوصل من خلالها إلى توحيد المعنى، وخاصة أن غالبية الخلافات وقعت من جهة اختلافهم في فهم وجوه المعنى.

<sup>1</sup> دلائل النظام، ص 14.

المطلب الثاني: الاكتفاء بما ورد في القرآن وصحيح السنة وصريح العقل:

بما أنّ العقائد لا يقبل فيها الظن، لذلك فلا يعتمد فيها إلا على صحيح النقل - القرآن والحديث الصحيح - وصريح العقل. ومن هنا قلّت مسائل العقيدة زمن الصحابة، لأنهم اعتقدوا ما علموه وصدّقوه، وإنما كثرت مسائل العقيدة فيما بعد عصرهم، لفساد القلوب وقلة التقوى، وسخافة العقول، وغلبة اللجاج.

ثم إن بسط اللسان في العقائد يجر إلى التقول على الله بغير علم كما قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّابٌ كَذَّابٌ الَّذِينَ مِنَ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة يونس: 39]

ومن إفاداته: لا تقل هذا حق وهذا باطل، وهذا خير وهذا شر، قبل أن تعلم وجوه ذلك الأمر ولذلك لم يكذبوا بأكثر الأحاديث، وأمر النبي ﷺ أصحابه بالتوقف والكف عن الحكم بما لم يعلموه، كما روى الطبراني في الكبير، عن ابن شهاب أن نملة بن أبي نملة الأنصاري حدثه أن أبا نملة أخبره أنه بينما هو جالس عند رسول الله ﷺ جاء رجل من اليهود فقال هل تكلم هذه الجنازة فقال رسول الله ﷺ الله أعلم فقال اليهودي أنا أشهد أنها تتكلم فقال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله فإن كان حقاً لم تكذبوهم وإن كان باطلاً لم تصدقوهم وقال قاتل الله اليهود لقد أوتوا علماً<sup>1</sup>.

طريق العقل تشتمل على مسائل مخلوطة من اليقين والمشتبه، وأما طريق الوحي فبينة إذا لم يخالطها القياسات المظنونة، فلا بد من التوقف في كل ما لم يثبت من جهة صريح العقل ونص الوحي.

وفي مثل هذه الأمور المشتبهة يمتاز الراسخون في العلم من الذين لا يعلمون إلا

<sup>1</sup> أخرجه ابن حبان في صحيحه، 152/14، حديث 16257، وأبو داود في سننه: 318/3،

حديث 3644، وأحمد في مسنده: 136/4، والطبراني في الكبير: 349/22، حديث 874،

350/22، حديث 875، 877، 878، 879

الظاهر، فهؤلاء لغرورهم بما علموا يستنكفون عن التعلم والتأمل، فيقعون في الإنكار ويجترؤون في جانب الدين ويضلهم الشيطان وهم درجات: فمنهم من يجاهر في كفره، ومنهم من يكتمه وينكر بعض الكتاب ويؤمن ببعضه ... أولئك هم الكافرون حقًا، ومنهم من ينكر بأكثر ما جاء عن الرسول ﷺ بواحًا، ومنهم من يتذبذب بين الشك والإيمان.

وأما الراسخ فيقف في ما لا يفهمه من النقل ويعلم أنه لا يعلم تأويله، وهذا أجدر به؛ فإما يبقى في هذا الحال وإما يكشف الله عليه ما شاء، فحينئذ يجد أن الذي لم يفهمه وأشكل عليه كان بسبب جهله بعض وجوه المعنى، وأما المنكر فقلما يهتدي بل يزداد إنكارًا وبعدًا.<sup>1</sup>

#### المطلب الثالث: الإيمان بالله مع صفاته الحسنى:

لقد وجد الفراهي أن القرآن يدلنا على صحة العقيدة فيما يتعلق بالرب من خلال طرق أربعة متفاوتة في درجة الدلالة وهي:

الطريق الأول: هو المعرفة من خلال أسمائه، وهو أبلغ الطرق وأوضحها، وأوثق ما يعتمد عليه، لأن الاسم أقدم وألزم وأدل على المسمى، وهو موافق لعادة العرب، فإنهم أصبح الأمم إصابة في التسمية، وإنما جعل الاسم للدلالة على المسمى، فمن عرف الشيء باسمه الصحيح فقد عرفه. قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [سورة الإسراء: 110]

فعلّمنا أن "الله" و"الرحمان" من أسمائه الخاصة التي ندعوه بها على طريق الاسم، وهكذا نعلم من كلام العرب فإنهم لم يستعملوا هذين الاسمين إلا لله تعالى.

وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٣٢ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ

<sup>1</sup> القائد إلى عيون العقائد، ص 6 (بتصرف)

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٦﴾ [سورة الحشر: 23-24]، فهذه أيضاً أسماء نصفه بها. وأما أن ندعوه بها فمستنبط غير مصرح به، وطريق الاستنباط ظاهر، فإن قوله: ﴿أَيَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ دلّ على أنها منها. ثم نظم قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [سورة آل عمران: 2] يشمل نظم تلك الآيات الجامعة لأسمائه.

ثم جاء من صفاته على سبيل الخبر كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٦﴾ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٧﴾ [سورة البروج: 14-16]

فاحتمال كونها أسماء كاحتمال كونها صفات فوجب إعمال الفكر؛ وطريقته المثلث أن نجعل أسماء الحسنى المصرحة بها أصلاً ونرد الصفات والأفعال إليها، وأبين أسمائه وأصرحها.

"الله" و"الرحمان"، فنجعلهما أصل المعرفة بالرب تعالى.<sup>1</sup>

الطريق الثاني: هو طريق الوصف بصفة، وهذا دون التسمية، فإن الوصف قد يوصف بصفة ولا يسمى بها. والصفات ترجع بعضها إلى بعض وتؤول إلى الذات، والذات المفروضة المجردة من الصفات مفروضة لا حقيقة لها: مثلاً: "السمع" و"البصر" من العلم. و"العلم" من القدرة. و"القدرة" من الحياة. وكذلك: "العلم" من الحياة. و"الحياة" من القدرة. و"البقاء" من القدرة. و"الخلق" من القدرة.

والمقصود هاهنا أن النزاع بين أهل السنة والمعتزلة في هذه المسألة إنما هو نزاع لفظي. فالمعتزلة لم ينكروا علم الله وقدرته وسائر صفاته؛ إنما أنكروا أن تكون الصفات زائدة عن الذات لأن ذلك يؤدي إلى القول بتعدد الواجب والقديم، وقالوا بأن الله عالم بذاته لا بعلم يكون صفة زائدة عليه.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 22-23 (يتصرف)

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

والأشاعرة قالوا: إن البدهاة فارقة بين الذات والصفات، فالصفات لا بد لها من حامل وهو الذات، والذات المجردة عن كل صفة أمر مرفوض، والصفة لا تنقلب ذاتًا، فقالوا: إن الله تعالى لم يزل عالمًا، قديرًا، مدبرًا، سميعًا، بصيرًا، فصفاته قديمة واجبة ولا يلزم تعدد القدماء لأن الصفات لا تنفصل عن الذات، ولم تكن موجودة خارج الذات بل كانت مع الذات، فلا تعدد إلا في الانتزاع العقلي.

وأيضًا قالت المعتزلة إنه يلزم على مذهب الأشاعرة "التركيب والافتقار، وأجيبوا بأن: التركيب لا يعقل إلا بين شيئين متفارقين في الوجود، وأما الذات وصفاته فلا تركيب بينهما، خذ ما شئت من البسائط تجدها ذاتًا مع صفة، ولن تجد ذاتًا مجردة عن كل صفة.<sup>1</sup>

وفي النهاية فإن مثل هذا الخلاف لم يلقى من الفراهي إلا التجاهل لأنه لا فائدة من طرحه ولا ينبني عليه عمل، وقد أمرنا الله بترك المرء فيما لا نفع فيه.

الطريق الثالث: هو نسبة الأفعال، فإن بعض الأفعال ينسب إلى شيء على طريق المجاز، وللمجاز أبواب كثيرة، وقد ذكرها الفراهي في كتابه "التكميل في أصول التأويل" تحت باب طريق الفهم للمعنى المراد". والأفعال تنسب إلى الله تعالى:

1. لكونه علة العلل
2. لما جُعِلَ من الأسباب فأخرج مالم يكن ليخرج لولا توفيق منه بين أمور كثيرة، مثلاً: ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ [سورة الأنعام: 96] فالليل ليس من حقيقته السكون، ولكن خلق الإنسان وكثيرًا من الحيوان والنبات بحيث إنهم يسكنون في الليل، فهذه النسبة ليست بمحض أنه علة العلل؛ بل لما أراد وجمع بين المتباعدات، وأنتج من الفوائد، فالغاية والفائدة بإرادته، فنسبة ذلك إليه أولى.

<sup>1</sup> التركيب: هو ضم الأشياء مؤتلفة كانت أولًا، مرتبة الوضع أولًا، فالمركب أعم من المؤلف والمرتب مطلقًا. الكليات لأبي البقاء الكفوي، ص 288

3. قريب منه نسبة فعل لمحض نتيجه، كالنسيان ....<sup>1</sup>

وهناك من الأمور ما للنسبه إلا إلى الله تعالى: كالخلق، والإيجاد، والرزق، وكل ما فيه الخير العظيم الذي يتعالى عن قدرة المخلوق. وهناك أمور قبيحة لا نحب أن ننسبها إلى الله، ولا شك أن الله بريء من كل قبيح. ولكن الناس استشكلوا كيفية عدم دفع الله للشروع والذنوب، مع أن قدرته وعلمه يحيطان بكل شيء؟ فذهب القوم مذاهب شتى، ولم يفتنوا إلى أن الأفعال تنسب إلى مصدرها من وجوه مختلفة والمدح والذم متفرعان على حسب هذه الوجوه.

فالأمور خيرها وشرها تنسب إلى الباري تعالى، ثم تنسب إلى مصادرها القريبة كما قال تعالى:

﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ سَقِئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [سورة النساء: 78] فنسب الكل إلى الباري تعالى ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [سورة النساء: 78] ثم أراد أن يبين أن الشر من حيث إنه شر، مصدره ليس الباري تعالى فقال: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [سورة النساء: 79] فبين حكمة واضحة، وذلك أن الله اسمه "الرحمن" و"الرحيم" و"الودود" و"الرءوف"، ولا اسم له ضد ذلك، ولكنه يغضب ويسخط وينتقم فنسب هذه الأمور إلى أفعاله، وهي لحكمة وتدبير، ومآلها إلى صفاته من الرحمة والعدل والحكمة وغيرها من أمهات الصفات، وهذا مثل ما نأول الآيات المتشابهة إلى أم الكتاب ومحكمه.

<sup>1</sup> بياض في الأصل ومراده الآيات التالية: 1- "ذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" [سورة السجدة: 14]، 2- "الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" [سورة التوبة: 67]، 3- "وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ" [سورة الجاثية: 34]

لا يخفى أن نسبة "الحسنة" و"السيئة" إلى الله تعالى من جهة إيقاعهما وإلى نفوسنا من جهة الاستحقاق لهما ولذلك قال: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [سورة النساء: 78].

4. الطريق الرابع: هو ما يدل عليه نظم القرآن، وهذا لطيف جداً، ولكنه طريق واضح بيّن عند أهل الفكر والتدبر، فإن الكلمة إذا وضعت في جنب كلمة أخرى، أو ضم كلام مع كلام آخر دل على أمور جمّة، منها مجيء الصفات في القرآن منسقة في أكثر المواضع بعضها مع بعض؛ ينكشف من التأمل في نظمها ما لا نكاد نفهمه من النظر في أحادها.

مثلاً تأمل في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [سورة الحج: 64]، وفي قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [سورة الكهف: 58]، فجمع بين هاتين الصفتين لما بيناه... وهذه المقابلة بين "الغني" و"الحميد" كانت معلومة للعرب، فإن "الحمد" ليس إلا لمن يسدي معروفًا إلى غيره، و"المستغني" هو الذي لا حاجة له إلى أحد:

قال عروة بن الورد:

فذلك إن يلقى المنية يلقيها حميداً وإن يستغن يوماً فأجدر وجاء بهذا البيت بعد وصفه بالجود، والسعي لكسبه المكرمة، فمعناه أنه إن مات حمده الناس لكرمه وجوده، وإن استغنى فليس ذلك بأنه أصاب غنى وبخل به، ولكنه افتقر، فتعفف عن المسألة واعتزل مع فقره، فهذا جدير به.

وبذلك وصف النبي ﷺ الأنصار فقال: "يقلون عند الطمع ويكثرون عند الفزع"، وإلى ذلك الإشارة في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [سورة البقرة: 273].

المطلب الرابع: الاعتصام بالمحكم في أمور العقائد:

موضوع العقائد - التوحيد، الرسالة، المعاد - من أخطر الأمور التي أمرنا الله بالإيمان

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

بها، وفطرنا عليها، ولم يجعله مشتبهاً لا في كتابه، ولا في عقولنا، وطريقة العلم بهذه الأمور هو الخبر الصحيح، وهناك من الأمور التي لا سبيل لنا إلى تصورها، لقصور علمنا، ولذلك لم يكلفنا تعالى بتأويله، ورضي منا الإيمان الإجمالي، ورد المشتبهات إلى المحكمات، فالرسوخ في العلم يكون بعدم التهالك على المظنون.

وأما طريق العقل فتشتمل على مسائل مخلوطة من اليقين والمشتبه، وطريق الوحي بينة وواضحة إذا لم يخالطها القياسات المظنونة، ولا بد من التوقف في كل ما لم يثبت من جهة صريح العقل ونص الوحي.

وقد ألزم الفراهي نفسه بأنه: لا يعول إلا على العقل الصريح، والتعويل على العقل في أصول المذهب هو مذهب أهل السنة ... وذلك بأن الخطاب بالأصول عام، والناس أجمعون مطالبون بالإيمان بها، وأما الفروع فلا شك أنها مبنية على المصالح وقد دل القرآن عليها، ولكن المعول فيها على النقل، فإن المخاطب بها المؤمنون الذين آمنوا بالرسول وبكتاب الله، وبايعوا على الطاعة كما ترى القرآن يصرح بذلك حين يخاطبهم بالأحكام بمثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [سورة البقرة: 104] فهم مطمئنون بعقولهم أن الله ورسوله لا يهديهم إلا إلى صراط مستقيم، وهذا الحكم العام من عقولهم يغني عن مطالبة الدليل في كل حكم.

ثم هذه الفروع مبنية على مصالح دقيقة مشتبكة لا يطلع على مصالحها إلا من كملت له قوة الاجتهاد وأسبابه، ثم لا يسوغ التأخير في الأعمال فلو عولوا فيها على العقل، كفوا عن العمل حتى ينظروا، وفيه مفسدة عظيمة.<sup>1</sup>

ومن إفاداته رحمه الله: الراسخون في العلم لا يتركون المحكمات لما عرفوا من الحق، ويعرفون وجوهاً للكلام فلا يكذبون بما أشكل عليهم من وجه، ولا يغضون بالعادات، فإنهم ينظرون إلى الحقائق المجردة عن تصور الطبيعية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> القائد إلى عيون العقائد، ص 9-10 (بتصرف)

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 15



المطلب الخامس: مسألة الحسن والقبح:

مسألة الحسن والقبح من المسائل التي زلت فيها أقدام الأشاعرة والمعتزلة، وقد عرضها الفراهي بطريقة مبسطة، وبين فيها ما يجب أن يكون وما لا يجب أن يكون فقال: قد زعم من أصحابنا طائفة: أن الحسن والقبح محولان إلى الشريعة وأمر الله تعالى، وكل ما يفعل الله فهو تعالى فهو حسن،<sup>1</sup> فإن أضل الناس وعذبهم من غير جرم فهذا أيضاً حسن حتى إنه تعالى نعوذ بالله منه - إن كذب أو خدع فلبس في شيء من القبح، وإنما هو الحاكم على كل شيء وكل أمر، وهو خالق الشرائع فكيف يكون تحت أحكامها.

وعلق الفراهي على هذا القول بأنه: كلام مخبوط ومخلوط، أوله حق وآخره باطل. لا شك أن مآل الحق والحسن إليه تعالى، فكل ما يفعل ويأمر فهو خير، ولكن القول بأنه أضل الناس وعذبهم من غير جرم حسناً؛ قول باطل، ومنشأ الخبط فرض ما هو محال كما يقال:

إن الله قادر على كل شيء ؛ فهو قادر على خلق إله مثله !!!

ويلزم هذه الطائفة أن ينكروا كونه تعالى عادلاً، ومحباً للقسط، والحق إلا أن يأولوا الألفاظ عن ظواهرها وقد فعلوا.

ثم يلزمهم أن ينبذوا معيار صدق الشريعة، وتمييز الحق من الباطل، فإن وجدوا أسوأ شيء دانت له أمة، مثل: أكل الربا، وقهر الأيتام، وكل لحوم الأسارى، وسائر المنكرات والفواحش، لم يكن لهم أن ينبسوا بكلمة خلافه وقلوبهم موقنة ببطلان ذلك الدين المكروه، لأن أمة دانت له تقول: إن الله أمرنا بهذا، ولم يبق بأيديهم إلا التثبت بالأخبار المثبتة للمعجزات والنبوات.

وقد صرح القرآن بشناعة هذا الطريق فقال: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا

<sup>1</sup> انظر في ذلك ما كتبه الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كبرى اليقينيات الكونية، ص

ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ [سورة الأعراف: 28].

ثم يلزمهم أن يكذبوا ببداهة قلوبهم في الأخلاق، وبداهة عقولهم أيضًا، فإن الخالق لعله خدعهم ووهبهم عقولاً مضلة، فهذا سوء الظن بالرب تعالى، وهو الجهل الأكبر والضلال الأضل.<sup>1</sup>

ثم يعلل الفراهي سبب ذهاب الأشاعرة لهذا القول وهو الرد على المعتزلة، ويشنع على المعتزلة فيرد عليهم قائلاً: وإنما دعاهم - أي الأشاعرة - إلى هذا الرأي الفاسد شدة خلافهم للمعتزلة الذين جعلوا العبد خالقاً آخر، وأوجبوا على الله تعالى حكماً وشريعة، فاشتد نكير أهل السنة على مخالفهم وفروا كل الفرار عن مذهبهم حتى بعدوا عن أصل الصدق ومركز الحق.

ثم يوجه الأقوال في هذه المسألة فيقول: وقول أهل السنة بأن الله تعالى أرفع من أن يجب عليه حكم فقول حق، ولكن لا يلزم منه أن يكون فعله خلاف العدل، أو أن كل ما يفعل فهو العدل، ولا حاجة إلى كل المخالفة للمعتزلة، بل يرجع الرأيان إلى وسط: وهو أن لا يقال - معاذ الله - أن أمراً وحاكماً غير الله تعالى أوجب عليه شيئاً، ولكنه تعالى كما قال عز من قائل: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [سورة الأنعام: 54]، وذاته المقدسة على كمال الحسن والكرم، فلا يجب خلافه، ثم لا يشاء ضد مشيئته، وقد علمنا أن مشيئته العدل والفضل، وبذلك أمرنا حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: 90]

ورد على الأشاعرة في فهمهم لقوله تعالى: ﴿لَا يُسَلِّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسَلُونَ﴾ [سورة الأنبياء: 23] أن المراد: إن عذب تعالى من غير ذنب لم يكن ذلك ظلم،

<sup>1</sup> القائد إلى عيون العقائد، ص 55-56 (بتصرف)

وليس لأحد أن يقول له تعالى: لم تفعل ذلك؟! فقال هذا ليس مراد الآية، وقد قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ [سورة الفرقان: 16]، وقد جاء في صحيح البخاري عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ: يَا مُعَاذُ. قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ، أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ<sup>1</sup>.

وقال ابن حجر في شرحه للحديث: قَوْلُهُ (هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ) الْحَقُّ كُلُّ مَوْجُودٍ مُتَحَقِّقٍ أَوْ مَا سَيُوجَدُ لَا مَحَالَةَ، وَيُقَالُ لِلْكَالِمِ الصِّدْقِ حَقٌّ لِأَنَّهُ وَقُوعُهُ مُتَحَقِّقٌ لَا تَرَدُّدَ فِيهِ، وَكَذَا الْحَقُّ الْمُسْتَحَقُّ عَلَى الْغَيْرِ إِذَا كَانَ لَا تَرَدُّدَ فِيهِ، وَالْمُرَادُ هُنَا مَا يَسْتَحِقُّهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ مِمَّا جَعَلَهُ مُحْتَمًّا عَلَيْهِمْ قَالَهُ ابْنُ التَّيَمِّيِّ فِي التَّخْرِيرِ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ هُوَ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالزَّمَمُ بِهِ إِيَّاهُ بِخَطَابِهِ .. قَوْلُهُ (حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ) فِي رِوَايَةِ ابْنِ حِبَّانٍ مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ "أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا يُعَذِّبَهُمْ" وَفِي رِوَايَةِ أَبِي عُثْمَانَ "يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ" وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الْعَوَّامِ مِثْلُهُ وَزَادَ "وَيَغْفِرَ لَهُمْ" وَفِي رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُثْمٍ "أَنْ يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ" قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ، فَحَقُّ ذَلِكَ وَوَجَبَ بِحُكْمِ وَعْدِهِ الصِّدْقِ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْكَذِبُ فِي الْخَبَرِ وَلَا الْخُلْفُ فِي الْوَعْدِ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَجِبُ

<sup>1</sup> انظر: المصدر نفسه، ص 59. والحديث: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب من جاهد نفسه في طاعة الله، حديث 6019، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، حديث 43، 44، 45.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

عَلَيْهِ شَيْءٌ بِحُكْمِ الْأَمْرِ إِذْ لَا أَمْرَ فَوْقَهُ وَلَا حُكْمَ لِلْعَقْلِ لِأَنَّهُ كَاشِفٌ لَا مُوجِبٌ انْتَبَى.  
وَتَمَسَّكَ بَعْضُ الْمُعْتَزِّلَةِ بِظَاهِرِهِ. وَلَا مُتَمَسِّكَ لَهُمْ فِيهِ مَعَ قِيَامِ الْإِحْتِمَالِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ  
فِي الْعِلْمِ عِدَّةُ أَجْوِبَةٍ غَيْرُ هَذِهِ، وَمِنْهَا أَنَّ الْمُرَادَ بِالْحَقِّ هُنَا الْمُتَحَقِّقُ الثَّابِتُ أَوْ  
الْجَدِيرُ، لِأَنَّ إِحْسَانَ الرَّبِّ لِمَنْ لَمْ يَتَّخِذْ رَبًّا سِوَاهُ جَدِيرٌ فِي الْحِكْمَةِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُ، أَوْ  
الْمُرَادُ أَنَّهُ كَالْوَاجِبِ فِي تَحَقُّقِهِ وَتَأْكِيدِهِ.

ومن تذكرة الفراهي: لو أهلك الله تعالى جميع خلقه لم يكن خلاف صفة العدل؛  
فإنه المالك، ولكنه لو عذب عباده من غير ذنب كان خلاف رحمته وهو الرحيم.  
ولو عامل البر والفاجر على السواء لكان خلاف حكمة العدل، وهو الحاكم بالحق  
والصدق، ولذلك قال: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ  
تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ [سورة القلم: 35-36].

وقال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ [سورة التين: 8]، أي: أكثر صواباً  
وصدقاً في حكمه.

وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة الجاثية: 21].

فهرس المصادر والمراجع

1. دلائل النظام لعبد الحميد الفراهي، جمع: بدر الدين الإصلاحي، الدائرة الحميدية، الهند، ط2، 1991 م
2. سنن أبي داوود لسليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر
3. صحيح ابن حبان لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993 م
4. صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1987 م
5. صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت
6. القائد إلى عيون العقائد لعبد الحميد الفراهي، جمع: بدر الدين الإصلاحي، الدائرة الحميدية، الهند، 1975 م
7. كبرى اليقينيّات الكونية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، ط8، 1402 هـ
8. الكليات لأبي البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، ط2، 1413 هـ
9. مسند أحمد بن حنبل لأحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر
10. معجم الطبراني الكبير لسليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، 1983 م
11. مفردات القرآن لعبد الحميد الفراهي، تحقيق وشرح: الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي، طبع دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002 م

## الإمام الفراهي والحكومة الإلهية

- الشيخ نظام الدين الإصلاحي<sup>1</sup>

ترجمة من الأردوية: عمر رضا<sup>2</sup>

حاول الإمام الفراهي دراسة جميع العلوم الإسلامية وفنونها في ضوء القرآن الكريم، كما رتب أصول فهم القرآن الكريم أيضاً. واخترت هذا العنوان لبحثي بعد قراءة كتاب الشيخ المطبوع بعنوان "في ملكوت الله". وأريد بهذا العنوان أن أقوم بشرح آراء الفراهي في السيادة أو الحكومة الإلهية. وقد استخدم الفراهي كلمة "الحكومة الإلهية" في عدة مواضع من كتابه، وأشار إليها بدلائل القرآن الكريم. فمن الممكن أن نقول إن الحكومة التكوينية والحكومة التشريعية تتمحوران حول خالق الكون. وينبغي أن تنفذ الحكومة التشريعية في هذا العالم كما تنفذ حكومته التكوينية على جميع مخلوقاته.

وكتب الشيخ بدر الدين الإصلاحي خلاصة هذا الكتاب تحت عنوان "كلمة الجامع":  
"ولا شك أن علم الملكوت كما قال الأستاذ الشيخ رحمه الله من أعظم المعارف القرآنية وأهمها لا يستقيم الدين الحق ولا يطمئن القلب والعقل إلا بها. وهي معرفة ملكوت الله وعدله، وإن الله حاكم في الأرض والسماء، وليس شيء خارجاً عن ملكه وكل شيء يجري حسب رضاه وإذنه وتصريفه ولا شك أن الإيمان بصفاته تعالى من كمال قدرته وإحاطة علمه وحبه العدل والحق، لا يدع محلاً للشك في أن كل شيء يجري حسب حكمه وحكمته، ولا تصرف في الأرض ولا في السماء لأحد على ضد حكومته".

<sup>1</sup> شيخ التفسير في جامعة الفلاح ببلريل غننج (أعظم كره، الهند)

<sup>2</sup> باحث، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المليية الإسلامية، نيو دلهي

أساس التعليم السياسي في القرآن الكريم:

وألقى الفراهي في كتابه الضوء على التعليم السياسي في القرآن الكريم بكل تفاصيله. وإذا استعرضنا من ناحية فلسفة السياسة، رأينا النقاط الهامة التالية:

1- إن حكم السماوات والأرض لله فحسب، وهو الذي يقيم العدل في الأرض، كما قال الله تعالى:

لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ (سورة البروج 9)

وقال:

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ (سورة الملك - 1)

وقال:

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ (سورة الحديد 1-6)

وقال في موضع آخر:

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ (سورة الزخرف 84-85)

وبناء على التعليم القرآني فالله هو الحاكم الحقيقي للإنسان كما هو حاكم الكون كله. وهو الذي بيده تصرف جميع أمور المخلوقات، ولا تصرف في الأرض ولا في

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

السماء إلا لله رب العالمين. وهذا الحكم لله سبحانه وتعالى يجري في الكون بنفسه ونشاهده كل يوم بأعيننا. ولكن الله سبحانه وتعالى لا يجبر الإنسان بتنفيذ حكمه في الجوانب الاختيارية من حياته، وله حكم متعددة.

ولذلك حثَّ الله الإنسان عن طريق القرآن الكريم بالاعتراف بحكومته التشريعية في جميع الأمور الإنسانية راضياً مرضياً. وأمر رسوله الكريم أن يجتهد في تنفيذ أحكام القرآن الكريم في المجتمع الإنساني. وربط الفراهي فكرة الحكم الإلهي بعقيدة الإنسان كما ذكر في كتابه:

"فهذه عقيدة اتفق فيها العقل الوحي وإنما لم نذكر دلائل العقل لوضوحها فإن الإيمان بصفاته الله تعالى من كمال قدرته وإحاطة علمه وحبه العدل والحق لا يدع محلاً للشك في أن كل شيء يجري حسب حكمه وحكمته، ولا تصرف في الأرض ولا في السماء لأحد على ضد حكومة الله تعالى".<sup>1</sup>

### الأسس القانونية للحكومة الإسلامية:

وتلك هي أن ينفذ القانون الإلهي في جميع أمور البشر، ويمنع أن يتبع الإنسان نفسه أو غيره. وتدل على ذلك الآيات القرآنية، كما قال الله تعالى:

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٢﴾ (سورة الزمر 2-3)

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢﴾

وقال:

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلَافَ (سورة النحل - 36)

<sup>1</sup> في ملكوت الله، ص 7.



وقال:

اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾  
(سورة الأعراف - 3)

وقال:

ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ (سورة  
الجاثية - 18)

وقال:

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ (سورة  
البقرة - 229)

وقال:

وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ (سورة المائدة - 44)

وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ (سورة المائدة - 45)

وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ (سورة المائدة - 47)

وقال:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ  
يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ۚ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا  
بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ (سورة النساء - 60)

الحكومة الإلهية وقيام العدل:

وفقًا للفراحي لا يمكن قيام العدل في العالم إلا بقيام الحكومة الإلهية فيه، ومن  
حكمة الله أن يستفيض العالم كله من فضل الله وكرمه ورحمته وعدله. ولا يفلح

الإنسان في الآخرة حتى يجري كل شيء في العالم حسب عدل الله وحكمه. ولا يمكن أن يكون الإنسان موحدًا حتى يتبع جميع أحكام الله سواء كانت انفرادية أو جماعية، وسياسية أو اقتصادية، ومحلية أو دولية، وعلمية أو اجتماعية، وهذا ما أوضحه الفراهي في عدة مواضع من كتابه، حيث يقول:

"اعلم أن جماع علوم الدين معرفة الرب تعالى بصفاته الكاملة وأهمها تفرد به بالملك فلا ندع لسواه، وملكه بالعدل والرحمة. والمعاد مبني على ملكه وعدله والنبوة من ملكه ورحمته وعدله وتأخير المعاد لحكمته وحلمه ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم كمال النبوة وتمام الرحمة والعدل في الدنيا كافلة بإتمامها في الآخرة، فهي صورة ملكوته كما أن أحوال وقائع الدنيا صورة ملكوته المبني على أصول الحكمة والعدل والرحمة والتربية والغافلون لا يرونها فاحتجنا إلى كشف الحجب عن ملكوت الله تعالى..."<sup>1</sup>

وأوضح الفراهي في هذه العبارة بأن حكومة الله تضمن العدل والإنصاف، وتغطي رحمته ورأفته جميع الإنسانية. وتدل الآية التالية من القرآن الكريم على ذلك:

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ (سورة الحديد - 25)

وأشار المؤلف في هذا الكتاب إلى أصول الحكومة الإلهية قائلاً:

"نحن الآن نذكر أصول الحكومة الإلهية كما أخبرنا الله تعالى في كتابه العزيز وكما أرانا في تاريخ العالم وجريان مقاديره"<sup>2</sup>.

ويبدو من ذلك أن تصوّر الحكومة الإلهية كان واضحًا جليًا في ذهن الفراهي رحمه الله، وكان يريد أن يقوم بتأليف كتاب مفصّل حول هذا الموضوع، لم يستطع

<sup>1</sup> في ملكوت الله، ص 4.

<sup>2</sup> الصدر نفسه، ص 21.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

المؤلف أن يذكر هذه الأصول مفصلة ولكنه أشار إليها بصورة تكون لنا معلماً في الطريق، ويمكن أن ندونها إذا تدبرنا القرآن الكريم. وقد أشار الفراهي في نفس الكتاب قائلاً:

فبعد الوثوق بأن أمور العالم وحوادث الأمم تحت تصرف خفي وحكومة إلهية ينبغي لنا تطلب أصولها وفروعها لفائدتين<sup>1</sup>.  
وكتب المؤلف وهو يذكر هاتين الفائدتين:

- 1- لكي نعمل بما يجلب الخير لنا
  - 2- ولكي نؤسس قواعد السياسة على أصول الحكمة الإلهية فنسوس الملك كما يقتضى الأمر الإلهي ويرتضيها ربنا الرحمن<sup>2</sup>.
- أما تفصيل الفائدة الأولى هو أنه يجب لكل مواطن يعيش في ظل الحكومة الإسلامية أن يتمتع بالعدل، وأن يكون مأموناً من ظلم، وتشير الآية الكريمة إلى ذلك:
- لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ  
(سورة الحديد- 25)

والفائدة الثانية التي تتحقق من هذه الحكومة هي أن هذه الحكومة ستقيم نظاماً لإقامة الصلوة وإيتاء الزكاة عبر وسائلها المتوفرة، وهذا النظام هو عماد الإسلام وأساسه. ويجب على الحكومة أن تقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. كما قال الله تعالى:

الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ (سورة الحج- 41)

وقد بين الله سبحانه وتعالى في سورة النساء الأصول التي تبنى عليها الحكومة الإلهية، كما قال:

<sup>1</sup> في ملكوت الله، ص 20.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 20.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ (سورة النساء -59)

وأوضحت الآية السابقة أصول الحكومة الإسلامية التالية:

1. يجب طاعة الله ورسوله في جميع الأحوال.
  2. يتمتع كل مواطن بحق حرية الرأي والتعبير.
  3. يجب أن يكون ولي الأمر مسلماً، وكذلك يجب طاعته حسب كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقط، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.
  4. وإذا اختلفت الآراء، يرجع الأمر إلى حكم الله.
- ولذلك يجب أن تكون في نظام الخلافة سلطة تنفيذية تعمل حسب حدود الله ولا تتجاوز عنها.

والسلطة الثانية هي السلطة التشريعية، وهي تعمل بالتشاور، كما قال الله تعالى: "وأمرهم شورى بينهم" وتبنى قوانينها حسب أوامر محددة من الله ورسوله. وتستطيع هذه السلطة شرح هذه القوانين ولكن لا يمكن لها أن تغيرها. بينما إذا لم يوجد أي حكم واضح في أمر ما، يجوز لها أن تجتهد في هذا الأمر حسب قوانين الشريعة وطبيعتها.

والسلطة الثالثة هي السلطة القضائية، والتي تكون متحررة من جميع الضغوط وتحكم بين الناس بالحق والعدل.

فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ (سورة المائدة -48)

وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (سورة ص -26)

وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ (سورة النساء -58)

وأوضحت هذه الآيات القرآنية أصول السياسة الإسلامية التي أشار إليها الفراهي في اقتباسه السابق. ولو قام الفراهي بترتيب هذه الأصول لأصبحت ذخيرة علمية للأمة.

طرق انتخاب الأمير:

كلما جاءت مرحلة اختيار الأمير في عهد الخلافة الراشدة، لم تكن هناك طريقة محددة، كما لم يكن يمارس في ذلك العصر التصويت العمومي للانتخابات كعصرنا هذا، ولا يشير إلى شيء كهذا كتاب الله وسنة رسوله، ولكن بقيت فكرة النظام الديموقراطي في عصر الخلافة الراشدة، وقد أعرب الفراهي عن رأيه حول الانتخابات قائلاً:

"كما أن الحاكم عليهم من هو خيرهم وأعلمهم بالتدبير وأتقاهم لله وأقواهم في العزم فلذلك الذين يعينونه بالمشورة ويساعدونه بإنفاذ الأمور هؤلاء هم أهل الحل والعقد وموضع السر والرأي".<sup>1</sup>

ويبدو من ذلك أن أهل الحل والعقد هم من سيساعدون الأمير ويحافظون على سره، فأضاف قائلاً:

"ولا يكون أحد منهم أولى الأمر إلا بما ظهر من صالح أعماله فاذعن له الناس طوعاً وعظموه حباً واعتمدوا على رأيه مصلحاً، فجعلوه وكيلاً في أكبر الأمور وهو انتخاب الأمير فإنه ذو خطر عظيم ومع ذلك صعب جداً والقرآن هدى إلى كل ما ذكرنا، وعمل السلف به فصار لنا سنة".<sup>2</sup>

وقمت بترجمة كلمات الشيخ "أهل الحل والعقد" بـ "مجلس الممثلين"، وأرى ذلك راجحاً، وكما يبدو فإن خطة قيام الحكم الإسلامي ونظامه السياسي كانت واضحة في ذهن الفراهي، ولم يكتف على تقديم الخطة فحسب بل حث الناس على الاجتهاد لهذا الغرض النبيل كل بشكل جماعي.

ويقول الفراهي في موضع آخر تحت عنوان "بناء الخلافة على المعاهدة":

"لما كانت الخلافة تأليف الناس بهيأة وحدانية حتى يكون لهم قلب واحد وتجتمع قواهم على إراداتهم وتتجه إراداتهم إلى مصالح عمومية. فلا يبقى فيهم تصادم

<sup>1</sup> في ملكوت الله، ص 24.

<sup>2</sup> مفردات القرآن، ص 24-25.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وتناقض وبذلك تزداد مصالحهم، وتشد قواهم، وتبقى حريتهم، وتعلو كلمتهم وتسمو أخلاقهم وتتسع بركتهم ليكون وجودهم رحمة للخلق وبركة على الأرض، كانت هي أعظم خيرًا وأتم نعمة لهم فلا بد أن يجتهدوا لها كل الاجتهاد وتكون هي نصب عيونهم وقبلة هممتهم ووجب لهم أن يعطوا لها أكرم وأنفس ما لديهم<sup>1</sup>.

وتتضح لنا من هذا الاقتباس ثلاثة أشياء:

الأول: يجب على الناس أن يقوموا بتأسيس منظمة قوية ليجتمعوا على أمر واحد كجسد واحد، ويبدلوا كل ما لديهم لتحقيق أهدافهم كي لا يبقى في هذه المنظمة خلاف وتناقض في ما بينهم.

والثاني: لا يمكن أن يتمتع الناس بالراحة والسكينة والبركة إلا بعد إقامة هذه الحكومة وإحيائها.

الثالث: ولا يعتقد الناس أن قيام الحكومة الإلهية جائزة منحت لهم بسبب قضائهم الحياة حسب الشريعة الإسلامية<sup>2</sup> ولو لم يجتهدوا لها كل الاجتهاد بأموالهم وأنفسهم. ويرى الفراهي أنه سيحصل الناس على هذا بعد أن يجتهدوا جماعيًا وينفقوا في سبيل الله أكرم وأنفس ما لديهم.

<sup>1</sup> مفردات القرآن، ص 30-31.

<sup>2</sup> وجعل الله التدين شرطًا لقيام الخلافة الإلهية. كما قال الله تعالى: "أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿٣١﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ غَبِيٍّ ﴿٣٢﴾". (سورة الأنبياء 105-106). ويقول الفراهي في هذا الصدد: أما مفهوم قوم عابدين هو قوم يتبعون أحكام الله في كل أمر، لأن أصل الصلاح والتقوى كله لا يرجع إلا إلى اتباع أحكام الله، ... وأما الصالحون فهم مثل ملح الأرض. فلا يمكن إصلاح العالم وصلاحه إلا بوجود هؤلاء الصالحين، ولذلك يستحقون إرث الأرض والخلافة الإلهية". (ترجمة تفسير نظام القرآن، ص 354) وللمزيد أنظر تفسير الشيخ الفراهي لسورة العصر. أما المحاولة في قيام الخلافة الإلهية والتضحية لها، فلا معنى للحصول عليها إلا أن يحاول الإنسان في استكمال الشروط المطلوبة بكمالها، والذين يعدونها صلة أو نتيجة للحياة المتدينة فلا هدف لهم إلا إكمال هذه الشروط التي ذكرها الله في القرآن الحكيم حين وآخر، وكما نرى أمثلته في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وفي حياة أصحابه رضي الله عنهم.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وجدير بالذكر أن الفراهي بين بشكل واضح صورة الحركة الإسلامية في كتابه الموجز، كما ذكر في هذا الكتاب جميع الأصول التي ستكون منارًا ومعلمًا في الطريق لجميع العاملين بها.

### الصعوبات في هذا الصدد:

سيعترف كل متعلم للقرآن الكريم بأن هناك كثيرًا من المشاكل التي سوف يواجهها في تحقيق هذا الهدف النبيل. وقدّم الفراهي صورة واضحة حول هذا الموضوع قائلاً: "كما أن الله تعالى يعذب القوم المهجور أو يؤمنوا فكذلك وعد الله النصر للمؤمنين المهاجرين والفوز في الدنيا وكما أن للنبي أن يصبر ويقاسي الشدائد قبل الهجرة فكذلك للمؤمنين أن يصبروا فيستحقوا وعد النصر والدليل على ما نقول آيات<sup>1</sup>. ومن الواضح أن المصائب تصيب جميع الناس إذ لا يستثنى منها الأنبياء أيضًا، فكيف يمكن أن يتجنبها عامة الناس، وكما لا يمكن أن يصل الإنسان إلى غايته دون مواجهة هذه المصائب والمشاكل.

### سؤال والرد عليه:

والسؤال هنا أنه عندما كانت فكرة قيام الحكومة الإلهية واضحة في ذهنه، وقد أعرب عن رأيه في أمور أهل الحل والعقد، والشورى، وتشكيل الجماعة، والاجتهاد الجماعي، وكذلك قام بتوصية الناس بالاجتهاد لهذا الغرض النبيل وبالصبر على المشاكل والمصائب التي يواجهونها، فلماذا لم يقم الفراهي بتطبيق هذا العمل بنفسه؟ وسيتسائل عن هذا كل من يقرأ كتابه "في ملكوت الله"، ولا بد من إجابة هذا السؤال. وبدلاً من أن أرد بنفسه، سأذكر رد تلميذ الفراهي الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي، فردّه سيكون كافياً ومستنداً. وقد سررت جداً عندما شاهدت هذا الرد في إحدى مؤلفات أمين أحسن الإصلاحي وأذكره كما بيّنه بدون أي حذف وإضافة. يقول أمين أحسن الإصلاحي:

<sup>1</sup> في ملكوت الله، ص 45.

"في إحدى المناسبات كان الفراهي يلقي خطبة مدللة حول موضوع النظام الشرعي الخالص وضرورته وأهميته، فتأثر الناس به كثيرًا. وكان في ذلك المجلس رجل يحب الفراهي وهو أيضًا صديق حميم لي من ولاية بنجاب، وكان رجلًا متدينًا وعاملًا بأحكام الدين والشرعية، وقد تأثر بهذا الخطاب فقال إن كان النظام الشرعي ضروريًا إلى هذا الحد فهات يدك، أبايعك، ومن يكون أفضل وأنسب منك لهذا العمل العظيم؟ فلم يعر الفراهي في ذلك الوقت انتباهًا لسؤاله في ذلك الوقت، ولكنه قال فيما بعد إن الله لم يخلقني لهذا العمل، والعمل الذي أستطيع أن أؤديه بطريقة أفضل هو أن أجد طريقًا للناس لكي يفهموا القرآن، ولو وجد طريق لفهم القرآن سيفتح الله سبيلًا للعمل الصالح طبقًا للإسلام".<sup>1</sup> ولقد صدق الفراهي فيما قال.

الإنسان لا يحمل جميع المواهب، وليس من الضروري أن يكون باحث بارع قائدًا عظيمًا أو العكس، ولو علم الفراهي بأنه يستطيع أن يؤسس منظمة لإظهار النظام الشرعي، ويديرها، لم يكن ليتراجع عن ذلك. ولقد وصلت إنجازاته إلى درجة عالية بعدما تولى مسؤوليتها حسب مواهبه التي تعرف عليها، وتسهلت طرق فهم القرآن بسبب إنجازاته.

ومن أكبر الإنجازات التي حققها الشيخ الفراهي هو تدوين أصول فهم القرآن وترتيبها، والتي بذل قصارى جهوده في تحقيقها إلى أن قضى نحبه، ولم يتزلزل قط عن الفكر الذي آمن به. ولم يكن هدف بحثه القرآني وتحقيقه إلا أن يصلح الناس به فكريًا، وأن يكون الناس مأمونين من فكر الإسلام الجامد. ويقول الفراهي:

"ولو وجد طريق لفهم القرآن سيفتح الله سبيلًا للعمل الصالح طبقًا للإسلام".<sup>2</sup>

ما كان عمل الفراهي البحثي عملاً أكاديميًا عاديًا، حيث يقوم بإعداد وترتيب بعض الكتب فحسب، وإنما كانت تعمل وراءه عاطفة عظيمة، ويقول أمين أحسن الإصلاحي عن أستاذه الشيخ الفراهي:

<sup>1</sup>ترجمة موجزة للمؤلف، ترجمه تفسير القرآن، (الأردية) ص 19.

<sup>2</sup>المصدر نفسه، ص 19



## العدد الخاص.....مجلة الهند

"وقد تبين لي من رد الشيخ الفراهي أنه لم يكن مؤلفاً أو محققاً عادياً، بل كانت تعمل وراء جميع جهوده الفكرية عاطفة الإصلاح. وكان يعتبر الإصلاح الفكري أهم من الإصلاح العملي، وقد جعل القرآن أساساً لهذا الإصلاح الفكري، ويريد أن يدحض جميع الأفكار والتصورات الباطلة التي دخلت في حركات الفكر المختلفة، كما كان يحاول أن يفتح الطرق للهداية من القرآن الكريم في جميع مجالات الحياة والخوض في قضاياها كلها"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup>المصدر نفسه، ص 20

## الإمام عبد الحميد الفراهي والعلوم الجديدة

- أ.د. ظفر الإسلام الإصلاحي<sup>1</sup>

ترجمة من الأردوية: د. محمد معتصم الأعظمي<sup>2</sup>

كان الإمام عبد الحميد الفراهي شخصية ذات أبعاد شتى وخبيراً بالعلوم والفنون العديدة،<sup>3</sup> فالرجل الذي لعب دوراً بارزاً في تربية شخصية الإمام الفراهي هو ابن خاله شيخ الإسلام العلامة شبلي النعماني. ترك الإمام الفراهي أثراً من فضله وكماله في مختلف المجالات من تفسير القرآن واللغة العربية والفارسية وآدابها واللغة الإنجليزية وعلم الكلام والفلسفة والتعليم والتربية ولكن أبرز مجالاته كان القرآن ذاته فقد كان مولعاً جداً بالقرآن وعلومه وركّز نفسه على دراسة القرآن وتدبره والتفكير فيه وجعل القرآن محور ارتباطاته العلمية. يشهد بما قلنا مقال الإمام سيد سليمان الندوي فيه الذي كان معاصراً له ومستفيداً من شخصيته فقال: "إنه كان مشغولاً في فهم القرآن وتدبره لمدة ثلاثين سنة وبعيداً عن كل أمر وغنى كل شيء".<sup>4</sup> وعلى الرغم من العادة كان الإمام يركز على العلوم الدينية خاصة على علم القرآن منذ ارتباطاته التعليمية والتدريسية والأعمال التأليفية والنقدية، ولا يعتبر العلوم الجديدة والفنون العصرية كشجرة ممنوعة ولو كان أشدّ خلافاً من جعله هدفاً على حساب العلوم الإسلامية الأساسية. وكان يعتقد

<sup>1</sup> بروفيسور، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة علي كره الإسلامية، علي كره

<sup>2</sup> مدرس ضيف، جامعة بردوان، بنغال الغربية

<sup>3</sup> راجع للتفصيل إلى كتاب الكاتب نفسه "كتايبات فراهي" (الحلقة الأولى) المطبوعة في "علوم القرآن"

النصف سنوية (عليكره) 5/يناير-يونيو 1990م، ص 140-146 ومقالة الدكتور محمد أجمل

الإصلاحي "تصانيف فراهي" غير مطبوعة سرمايه، "علوم القرآن 2/5 يوليو-ديسمبر 1990م

<sup>4</sup> الصلوة على ترجمان القرآن، آه مولانا حميد الدين الفراهي (شذرات)، معارف، 5/26،

نوفمبر 1930م، ص 323

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

في العلوم والفنون أن العلم الحقيقي والأساسي هو علم القرآن فلذلك يجب الحصول عليه أصلاً ويعلم الباقية كوسيلة للعلم الحقيقي ويستخدمها في تبليغ العلم المحصول عليه من القرآن بين الناس الآخرين. وكذا كان الإمام الفراهي يوجب الحصول على جميع العلوم بدون التفريق قديماً وجديداً التي كانت ممددة من أي ناحية في فهم معاني القرآن ومحتوياته.

إذا درسنا الحياة التعليمية للإمام الفراهي بدا لنا أنه كان أفضل جامع بين القديم والجديد. ولو يصعب لنا أن نصحح بأنه حدّد أولاً مراحل التعليم المختلفة ثم اتخذ هذه الخطوات تدريجياً. ولكن لا يمكن الإنكار بأنه رغب في التمتع بالطريقين؛ القديم والجديد، كما إنه حظي من النظام التعليمي الإنجليزي مع إكمال النظام الدراسي المتداول، ولا يخلو من الاستمتاع ذكر أن الإمام الفراهي أكمل تعليم العلوم الإسلامية على أيدي الخبراء في العلوم والفنون العديدة ومن المراكز الخاصة في العلوم والفنون بطريقة متداولة في ذلك العصر بينما حصل على العلوم الجديدة عن طريق التعليم الرسمي في المدرسة الكلية فالجامعة. ولقد تعلّم الإمام الفراهي مبادئ اللغة الفارسية على يد الشيخ مهدي حسن التشاروي بعد قراءة القرآن وحفظه كما استفاد من العلامة شبلي النعماني من أقربائه في اللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية إلى جانب تلقي الأدب الفارسي العالي، وبالإضافة إلى ذلك إنه استفاد من الشيخ فاروق التشرياكوتي العالم الممتاز وأستاذ العلامة شبلي فصقلت مواهبه، ووفقاً لتقليد المسلمين القديم سافر الفراهي لنيل العلوم إلى جانب الاستفادة من الأساتذة المحليين، فحضر دروس الشيخ عبد الحي الفرغني محلي في لکناؤ واستفاد منه في الفقه الإسلامي خاصة وسافر في الأخير إلى لاهور وأكمل هنا دراسة أدب اللغة العربية من الشيخ فيض الحسن السهارنفوري. وكذلك توجه الإمام الفراهي إلى العلوم الجديدة بعد براعته في اللغة العربية والفارسية وآدابهما والعلوم الدينية وبدأ أولاً تعلم اللغة الإنجليزية، ووفقاً للشيخ سيد سليمان الندوي وهو العصر (آخر القرن التاسع عشر) الذي كان يعتبر فيه

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

"تعلم اللغة الإنجليزية" كفرنًا،<sup>1</sup> ثم ارتقى إلى مراحل العلوم الحديثة العديدة بعد معرفة اللغة الإنجليزية بنفسه فأولاً أكمل الابتدائية ثم الثانوية وأكمل هذه المرحلة في كرنل غنج بمدينة الله آباد ثم التحق بكلية إيه إيم أو عليكره للتعليم المتداول في ذلك العصر وأكمل بها الليسانس عام 1895م وكانت هذه الكلية تابعة بجامعة الله آباد وكان الامتحان وواجباته الأخرى تجريها هذه الجامعة فلذلك يذكر عامة أن الشيخ الفراهي أكمل الليسانس من جامعة الله آباد. وقد وجد الشيخ الفراهي فرصة سانحة للحصول على العلوم الحديثة خلال إقامته بعليكره، وفي ذلك العصر كانت مادتا الفارسية والعربية إجباريتين للطلاب. ولكن الشيخ الفراهي كان قد تمهر في كلتا المادتين من قبل لذلك استثنى من دراسة تينك المادتين ووجد فرصة للانشغال في الموضوعات الأخرى وعني الشيخ هنا عناية خاصة بتعلم اللغة الإنجليزية والفلسفة الحديثة وكان من بين أساتذتها البروفيسور أرنولد العالم المستشرق الشهير في الفلسفة فقد استفاد منه الفراهي استفادة تامة حتى صفا ذوقه وعلا للفلسفة الحديثة وكان يريد أن يتم الماجستير بعد الليسانس كما كان يريد أن يجلس في امتحان القانون وبالرغم من إعداده لم يوفق له الجلوس في امتحانها،<sup>2</sup> أما عن معرفته للغة الإنجليزية فبإمكاننا أن نقول أنه تمهر فيها، ويدل على هذا أن البروفيسور أرنولد لما أراد ترجمة قواعد اللغة العربية إلى الإنجليزية عام 1896م فلم يجد رجلاً سوى الإمام الفراهي كما يبدو ذلك من رسالة العلامة شبلي.<sup>3</sup> وبالإضافة إلى ذلك لما أراد لورد كرزن نائب ملك الهند الذهاب إلى العرب

<sup>1</sup> راجع إلى مقالة الشيخ حميد الدين (عبد الحميد) الفراهي، معارف، 1/27 يناير 1931م، ص 10

<sup>2</sup> راجع مختصر حيات حميد (المشتمل على مقالتي الشيخ سليمان الندوي والشيخ أمين أحسن الإصلاحي) لمرتبه عبد الرحمن ناصر الإصلاحي للتفاصيل الأخرى المتعلقة بحياة الشيخ الفراهي التعليمية وحياتها، الدائرة الحميدية (مدرسة الإصلاح، سرائير، أعظم كره) 1973م، ومحمد عنايت الله السبحاني: علامه حميد الدين فراهي، مكتبة سرائير، 1978م، والدكتور شرف الدين الإصلاحي: مولانا حميد الدين فراهي، ترجمان القرآن، معارف، 2/147، فبراير 1919م ص 85-109

<sup>3</sup> مكاتيب شبلي، مطبعة معارف، أعظم كره، 1927م، 2/2

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وخليج فارس للقاء مع أمراء العرب ورؤسائها عام 1903م فاحتاج إلى مترجم يرافق وفده ويمهر في اللغتين: العربية والإنجليزية فاختير الفراهي لهذا العمل.<sup>1</sup> ولو أنه لم يرض عن هذا لطبيعته الخاصة ولكنه قد أدّى واجب مترجم نائب الملك في تلك الرحلة على إلحاح العلامة شبلي النعماني.

قد بدأ الفراهي يتدبر في القرآن منذ فترة دراسته في عليكره<sup>2</sup> كما شرع بعد ذلك في التأليف والتصنيف مع انشغاله في دراسة العلوم الجديدة التي كان يعتبرها مفيدة لإجراء البحوث في القرآن وعلومه مثلاً حينما كان أستاذًا مساعدًا في كلية إيه إيم أو عليكره من 1907 إلى 1908م فتعلم اللغة العبرانية على يد البروفيسور جوزف هورويز عالم ألماني ورئيس قسمه واستطاع الشيخ الفراهي في هذه الفترة الوجيزة أن ينال البراعة في هذه اللغة مباشرة كما يتضح من دراسة كتبه المتعلقة بالتفسير والعلوم القرآنية.

ولا أريد من هذا القول إثبات أنّ الفراهي كان أول عالم حصل على العلوم القديمة والجديدة معًا فقدّم نموذجًا للجمع بين القديم والجديد بل أريد أن أوضح أنّ الفراهي تلقى العلوم الجديدة إلى مستوى حاجته وشغفه بينما هو كان مولعًا بالعلوم الدينية. والشيء الذي هو أهمّ من هذا هو ما ناله من الموهبة فاستخدمها في العلوم الدينية العلمية وفي ترويج علوم القرآن ونشرها مستوضحًا في العبارات الآتية.<sup>3</sup>

وبفضل معرفته للغة الإنجليزية استطاع الفراهي توسيع نطاق دراساته ومعلوماته كما ألّف عن الموضوعات المختلفة المتعلقة بالعلوم القرآنية واستفاد من كتب

<sup>1</sup> مختصر حيات حميد (مقالة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي)، ص 35

<sup>2</sup> تفسير نظام القرآن (ترجمة أمين أحسن الإصلاحي)، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائير، 1990م، ص 30 (مقدمة تفسير نظام القرآن)

<sup>3</sup> راجع للتفصيل إلى مقالة الكاتب نفسه "جوزيف هورويز"، العدد الخاص "ناموران على كُزّه" (تيسران كاروان)، "فكر ونظر" الفصلية 1991م

## العدد الخاص.....مجلة الهند

الباحثين الأوروبيين نقدًا وغرباً وخاصة أنه درس الإنجيل ما عدا كتب الجغرافيين حين تحقيق المواضع التاريخية للقرآن الكريم وبالإضافة إليه ألف الفراهي رسالة في اللغة الانجليزية ردّ فيها على عقيدة النصارى في الشفاعة والكفارة ولو لا نجد هذه الرسالة ولكن نجد ذكرها في نهاية كتابه "إمعان في أقسام القرآن"<sup>1</sup> ووفقاً لرواية أنّ إنجليزياً قبل الإسلام بعد تأليف هذا الكتاب عام 1913م<sup>2</sup> لا يمكن لنا الإنكار بالمجهودات البليغة بهذه اللغة وما إليها، وكذا أخدم معرفته للإنجليزية في مجال الترجمة ويناسبنا هنا إشارة إلى الترجمة الإنجليزية للقرآن وبعض أهدافها الهامة وللتراجم الأردوية للكتب الإنجليزية المفيدة. وشُعرت أشد حاجة إلى ترجمة القرآن الانجليزية في بداية القرن العشرين لكي تستخدم في نشر الإسلام وتبليغه ولكي يستفيد المسلمون المثقفون بالثقافة الغربية.

واحتيج إلى هذه الترجمة لأن التراجم الموجودة حتى ذلك العهد كانت من أقلام النصارى ولذا اقترحت ترجمة إنجليزية جديدة للقرآن تحت إشراف جماعة في مؤتمر سنوي تابع للندوة انعقد في مدينة دلهي في شهر مارس عام 1910م وتم قبوله متفقاً عليه. واحتاجت هذه الترجمة إلى العلماء المسلمين الخبراء في اللغة الإنجليزية مع ذوق فهم القرآن، وتم تشكيل لجنة مشتملة على ثلاثة أفراد وهم الإمام الفراهي والنواب عماد الملك (الحيدرآبادي) والشيخ محمد صالح (البهاولفوري) كما اتفق الجميع على أن السيد النواب يترجم أولاً ثم يعيد النظر فيها الشخصان. وقد أكمل السيد النواب ترجمة 16 جزءاً فلما ارتحل الفراهي إلى حيدرآباد عميداً لدار العلوم فأعاد النظر فيه النواب بمرافقة الفراهي ولكن بعد مغادرة الفراهي لتلك المنطقة في عام 1917م لم يكن بإمكان السيد أن يواصل عمله وحيداً بسبب مرضه وضعف بصره حتى انتقل إلى رحمة الله عام 1926م<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> إمعان في علوم القرآن، دار القرآن الكريم، الكويت، 1980م، ص 8

<sup>2</sup> مكاتيب شبلي، 41/2

<sup>3</sup> سيد سليمان الندوي: حيات شبلي، مطبعة معارف، أعظم كره، 1970م، ص 582-584،

وراجع أيضاً إلى مكاتيب شبلي، 33-32/2

ولم يعثر على المسودة المترجمة التي قد تم تصحيحها ولم يعرف ماذا حدث بها. ووفقًا لرواية حينما أريدت كتابة الملاحظات على ترجمة القرآن الإنجليزية فقدّم فيه اسم الفراهي لهذا العمل الجليل كذلك.<sup>1</sup> والمهمة الأخرى للترجمة التي انسلت بها الإمام الفراهي كانت بالترجمة الأردوية للكتب الإنجليزية المفيدة تحت إشراف "أنجمن مترجمين" التي أنشئت في عليكره عام 1907 م وكان الهدف وراءها تعرف المسلمين على الخدمات العلمية للأوربيين واستفادتهم منها. وكان عدد أعضائها اثني عشر في شهر ديسمبر وقد انتخب الشيخ الفراهي والشيخ وحيد الدين سليم. وبجانب تصحيح التراجم كان هؤلاء مسؤولين عن إعداد معجم للاصطلاحات العلمية للغة الإنجليزية في اللغة الأردوية مع ذكر أبدالها الأردوية وكذا حينما ابتداء إعداد المقررات الدراسية للجامعة العثمانية بحيدرآباد فجعلت هيئة لترجمة الكتب الدراسية الإنجليزية في الأردوية وتوفير المترادف الأردوي للمصطلحات الإنجليزية من العلوم والفنون العديدة وكان الشيخ الفراهي عضوًا له أيضًا وقد استفاد فيها من معرفته للإنجليزية<sup>2</sup> وكذلك إنه ترجم القصص الحكمية لأصف الحكيم من اللغة الإنجليزية إلى العربية وسمّى هذا الكتاب "أمثال أصف الحكيم" وأدخل في المقررات الدراسية للمدارس العديدة.

كما جاء آنفًا أن الإمام الفراهي كان يعرف اللغة العبرانية ولو أنها لا تتعلق بهذه اللغة مباشرة مع العلوم الجديدة ولكن يناسب هنا أن نذكره لأن هذه اللغة لم تكن من المواد الدراسية للعلوم الشرقية المتداولة خلال ذلك العصر. بل تعلم الإمام الفراهي من لدن رغبته واستخدمها للدين وعلومه فكان يستفيد من صحفها السماوية في تفسير القرآن<sup>3</sup> وذلك لأنه وجد فرصة لدراسة متون التوراة والإنجيل مباشرة. وإلى جانب ذلك استفاد الفراهي من التوراة والإنجيل في تعيين المعاني والمفاهيم للأعلام والمصطلحات المذكورة في القرآن كما استفاد في تحقيق

<sup>1</sup> الدكتور شرف الدين الإصلاحي، المقالة المذكورة أعلاه، معارف، فبراير 1919 م، ص 97

<sup>2</sup> الجريدة الرسمية لعليكه (على كزم انستى ثيوث كزث) 4 ديسمبر، 1907 م

<sup>3</sup> مقدمة تفسير نظام القرآن، ص 39، 44، 45-52-54

جغرافية المواضيع التاريخية، ولنا دلائل عديدة في مختلف كتبه من مثل مفردات القرآن<sup>1</sup> والرأي الصحيح في من هو الذبيح وبالإضافة إلى ذلك نجد في "مكاتب شبلي" أمثلة عديدة للنقاش بين العلامة شبلي والإمام الفراهي في تعيين المعاني والمفاهيم للألفاظ والمواضع المذكورة في القرآن في ضوء التوراة والإنجيل والزبور<sup>2</sup> وكذا يشتمل "الإكليل في شرح الإنجيل" و"الطريف في التحريف" على العديد من أمثلة هذه الدعوى، وليس هذا فقط بل قام الفراهي بترجمة أمثال سليمان عليه السلام ونصائحه من اللغة العبرانية إلى اللغة الفارسية القديمة (دري) منظومة نشرت خلال إقامته بحيدرآباد باسم "خردنامه" (1914م-1919م).

وكان للإمام الفراهي ولعُ بالفلسفة الحديثة وتطور هذا الوله في نفسه بسبب مرافقته للعلامة شبلي والبروفيسور أورندل ووصل إلى عمق هذا الفن بسبب دراسته الذاتية، وقد برع الإمام الفراهي في هذا الفن وأكبر دليل على هذا أن العلامة شبلي نفسه كان معترفاً به ولما تم تنقيح وترميم المقررات الدراسية لندوة العلماء خلال فترة رئاسة شبلي فضم كتاب الفلسفة "الدروس الأولية في العلوم الطبيعية" (طبع من بيروت) إلى المقررات الدراسية<sup>3</sup> وألح شبلي كثيراً الفراهي على تدريسه وكان الفراهي منسلماً آنذاك بـ"مدرسة الإسلام" فلذلك اقترح العلامة شبلي أن يأخذ الإجازة لبعض أيام ويذهب إلى الندوة لهذا العمل أو أن يدرس الطلاب خلال العطلة مقيماً هناك لمدة شهرين أو ثلاثة أشهر وقدم العلامة شبلي أيضاً اقتراحاً لوجود فرصة في كراتشي لتدريس هذا الكتاب ليرسل إليه طالب أو طالبان من الراغبين في الذهاب إلى هناك،<sup>4</sup> وبالإضافة إلى ذلك إنه كتب إلى الفراهي أن يمرّ بـ"الندوة" عند ذهابه إلى أعظم كره ويذهب بطالب أو طالبين معه

<sup>1</sup> مطبوعة في مطبعة معارف، أعظم كره، (بدون التاريخ) وشملت ترجمته الأردوية في تفسر نظام القرآن (للشيخ أمين أحسن الإصلاحي)

<sup>2</sup> مكاتب شبلي، 31/20، 40، 41، 43، 49، 50

<sup>3</sup> حيات شبلي، ص 415-431

<sup>4</sup> مكاتب شبلي، 20/20، 23 حيات شبلي ص 431



إلى بيته ويدرسهما تفسيره وهذا الكتاب خلال إقامته في بيته.<sup>1</sup> ويدلّ قول السيد سليمان الندوي قطعياً على أن الإمام الفراهي كان يذهب إلى الندوة ويدرس الطلاب "الدروس الأولية" في أية صورة مع تدريسهم القرآن كما يقول السيد سليمان الندوي "وكان الشيخ الفراهي يقيم مراتٍ في الندوة على إلحاح شبلي فأحياناً كان يدرس الطلاب الفلسفة الحديثة وأحياناً درس القرآن وكنتُ أيضاً طالباً حينذاك في الندوة فاستفدت من دروسه تلك".<sup>2</sup> فلما انتقل الإمام الفراهي من كراتشي إلى عليكره في عام 1907 م وعيّن أستاذاً مساعداً في كلية إيه إيم أو فحصل العلامة شبلي على قبول اقتراح في المجلس الإداري أن يعطى طالبٌ منحة ويرسل إلى عليكره لتعليم "الدروس الأولية" والفلسفة الحديثة على يد الإمام الفراهي وللإستفادة من الآلات المتعلقة ببيت الآلات والحصول على التجربة الذاتية العلمية. فبدأ العمل على هذا الاقتراح أيضاً ولكن توقفت هذه السلسلة بسبب انتقال الفراهي إلى كلية ميور لمدينة الله آباد.<sup>3</sup> ويقدر من هذا مدى رغبة العلامة شبلي وإصراره على تدريس طلاب الندوة هذا الكتاب وكذلك يدل على خصائص الفراهي في هذا المجال من ذلك أن يؤسس "مجلس علم الكلام" على تشجيع العلامة شبلي عام 1912 م وكان العلامة يريد تشكيل هذا المجلس لأن ينتخب أفراداً من المتعلمين الجدد من المسلمين ذوي رغبة في الفلسفة وميل إلى الإسلام كما يختار أفراداً من العلماء الماهرين في الفلسفة القديمة والراغبين في التعليم الحديث وبالإضافة إليه القادرين على درء الاعتراضات من الفلسفة الحديثة، ويحدد هذا المجلس المشتغل على هؤلاء الأفراد تلك المسائل من الفلسفة الحديثة التي تكون خلافاً للدين ومع ذلك يتعرف على إجابة تلك الاعتراضات التي وردت على الدين بسبب تلك المسائل. والعجيب جداً أن العلامة شبلي اختار

<sup>1</sup> مكاتيب شبلي 26/3

<sup>2</sup> مختصر حيات حميد، ص 10

<sup>3</sup> مكاتيب شبلي، 2/29، حيات شبلي ص 432، وقد ذكر 1908 م بإتيان الشيخ الفراهي إلى مدينة عليكره في المرجع الثاني والذي لا يصح، بل أتاها في بداية 1907 م أستاذاً مساعداً

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

المفتي عبد الله التونسي والشيخ شير علي الحيدرآبادي والسيد رشيد رضا المصري من بين العلماء لهذا المجلس واختار الدكتور محمد إقبال والشيخ عبد الحميد الفراهي والشيخ عبد القادر البهاغلفوري من بين الأفراد المتعلمين الجدد<sup>1</sup> ولو لا توجد تفاصيل عن أعمال هذا المجلس ولكن لا يمكن الإنكار بأهميته وإفاداته.

والجدير بالذكر من بين أعمال الإمام الفراهي في مجال العلوم العصرية أنه يقرر تعليم العلوم العصرية في دار العلوم بحيدرآباد خلال رئاسته يقرر بأن تدرّس باللغة الأردوية. فقد كان الإمام الفراهي يرى أن تدرّس هذه العلوم باللغة المحلية ألا وهي الأردوية. وخلفية هذا الاقتراح هي أن الناس كانوا يجتهدون في أن يجعلوا كلية دار العلوم (بحيدرآباد) جامعة شرقية تحت إشراف ولاية حيدرآباد فقدّم الفراهي هذه النظرية أمام مسؤولي الشؤون التعليمية ووفقاً لرواية شهيرة تحقّقت هذه الخطة فيما بعد في صورة الجامعة العثمانية.<sup>2</sup>

ويناسبنا هنا أن نذكر أن الإمام الفراهي استفاد في مجال العلم من الطريقين القديم والحديث ولكنه لم يكن مقلداً أعمى بل قام بالانتقاد عليهما، ولو أعمنا النظر في مؤلفاته لاتضح لنا استخدام هذه المآخذ المتعددة. وكانت من عادة الإمام الفراهي أنه كان يدرس المآخذ قبل أن يكتب على موضوع ولم يكن يقبل شيئاً إلا وقد امتحنه مثل المجوهر الناقد فلا يقدّم رأياً أو يدلي بفكرة إلا وقد اتضح له كافة جهات الموضوع بعد التفكير المستمر فيه في ضوء الشواهد والدلائل. مثلاً إنه أثبت في كتابه "الرأي الصحيح في من هو الذبيح" أن الذبيح الحقيقي كان إسماعيل عليه السلام فاستفاد في هذه القضية من المآخذ العديدة والمتعلقة بها. وحلّل الآراء والاعتراضات لليهود وانتقدها وكشف النقاب عن أقوالهم المزوّرة فقدّم أولاً ثلاثة عشر دليلاً من التوراة نفسها في تأييد رأيه ثم أقرّ رأيه مقدماً نفس العدد من الدلائل من القرآن ويوجد هذا الأسلوب العلمي

<sup>1</sup> حيات شبلي، ص 584، 585

<sup>2</sup> حيات شبلي، ص 505-515، مكاتب غيلاني (لمرتبه الشيخ منت الله رحمانی)، ص 293-294، 269

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

للفراحي في كتابيه "إمعان في أقسام القرآن" و"مفردات القرآن" وغيرهما من الكتب وأجزاء التفسير. يقول سيد أبو الأعلى المودودي وهو يلقي الضوء على معيار تحقيقه الأعلى:

"إن الشيخ الفراحي كان محققًا كبيرًا اختار أسلوبًا خاصًا للتحقيق في تفسيره أسلوبًا يختلف كثيرًا عن أساليب المفسرين الآخرين فقد عيّن الشيخ الفراحي معاني الآيات وأخذ المفاهيم مستمدًا من هذا الأسلوب الخاص، يمكن أن يختلف أحد عن نتائج تحقيقه. ولكن الميزة الكبيرة التي يمتاز بها أسلوبه هي أن مؤلفات الشيخ الفراحي توسّع نطاق نظرية القارئ وتمهد الطريق إلى البحث والتحقيق في معاني القرآن ومفاهيمه فلذلك لولا يتفق شخص مع نتائج بحثه كليًا ولكنه يجد فيها ثروة علمية عالية لا يستغنى عنها طالب<sup>1</sup>."

إنّ الإمام الفراحي لم يقدم أجود نموذج للبحث والتحقيق في كتاباته فحسب، بل قام بتحليل وتنقيد العديد من العلوم والفنون (لاسيما تلك التي يستعان بها في فهم القرآن) في ضوء القرآن الكريم، وأوضح مشيرًا إلى نقصها وضعفها أن هذه العلوم، كما هي الآن، لا يمكن أن تكون معينة ومفيدة تمامًا في فهم القرآن. فيجب أن يتم تشكيلها من جديد في ضوء القرآن ذاته. فقد كان الإمام الفراحي ممثلًا للفكرة الثورية بأن يجعل القرآن أساسًا ومركزًا وأن توضع العلوم الأخرى تابعة لها لكي تنشأ علاقة جميع العلوم الأخرى مع منبع العلوم والمعاني الأصلي<sup>2</sup>. والجدير بالذكر أيضًا أن هذه ليست مجرد فكرة للفراحي بل قام الإمام بإنشاء خطة شاملة لتحقيقها وقد بدأ بها على هذا النهج. ولو لم يقدر على إكمالها ولكن كل ما وجد من مؤلفاته المطبوعة وغير المطبوعة من علم النحو والبلاغة وأصول الفقه والمنطق وعلم الكلام والفلسفة والسياسة وما إليها يبدو منها أنه عزم على التدوين الجديد للعلوم في ضوء القرآن. ولا يمكن هنا أن نقوم بالتفصيل عنها

<sup>1</sup> مختصر حيات حميد، ص 40

<sup>2</sup> ترجمان القرآن، 1/8 محرم الحرام، 1355هـ، ص 96

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

ولكن يلزم علينا هنا أن نعبر عن الحقيقة بأن نظرية الإمام الفراهي عن التدوين الجديد للعلوم والفنون في هذا السياق هامة جدًا وفي زمننا هذا نسمع هتاف تجديد العلوم والفنون في ضوء القرآن وتعقد المؤتمرات والندوات لهذا الهدف كما تكتب مؤلفات ومقالات وال حال أن الإمام الفراهي قد أعلى صوته بتجديد هذه العلوم في ضوء القرآن قبل اليوم يتسعين سنة وحدد الخطى ورسم البرامج إلا أنه لم يوفق لتكميلها ففضل السبق يرجع إليه ولا شك.

وفي الأخير يجمل بنا أن نوضح أن تحقيق الإمام الفراهي ونقيده في مجال التدوين الجديد للعلوم والفنون وجهده ليس مجرد رياضة عقلية أو رياضة علمية فحسب، بل كانت له عاطفة عالية تعمل وراءها والتي كانت عاطفة الإصلاح الفكري للأمة. ووفقًا للإمام الفراهي لا بد أن ننشئ علاقة جميع العلوم الإسلامية مع القرآن وأن نمحو الأفكار والنظريات الباطلة التي دخلت في أذهانهم وأفكارهم عن طريق الوسائل العديدة وأن نجعل طرقًا صحيحة لفهم القرآن لكي يسهل الحصول على الهداية منه في مختلف مراحل الحياة. يبين عاطفة الفراهي هذه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي أكبر ممثلي المدرسة الفراهية وصاحب تفسير "تدبر قرآن":

"لم يكن الفراهي كاتبًا ومحققًا كمثّل كتابنا الأكاديميين، بل كانت في داخله عاطفة جياشة من الإصلاح. إنه يعتبر الإصلاح الفكري لازماً قبل الإصلاح العلمي فلذلك يعدّ القرآن أساساً للإصلاح الفكري. ففي حين كان يريد أن يطرد الأفكار والنظريات الباطلة التي دخلت في المراحل المختلفة من الفكر الإسلامي وفي حين آخر كان يحاول أن يفتح طرقًا للحصول على الهدى الربانية في كافة مراحل الحياة وقضاياها بالتدبر في آيات القرآن وسوره."<sup>1</sup>

<sup>1</sup> مقدمة تفسير نظام القرآن، ص 42-44، مختصر حيات حميد، ص 51 وراجع إلى "مولانا فراهي كي على خدمت" مجلة "تدبر" الشهرية (لاهور) السلسلة 33، أكتوبر 1990م، ص

## نظرة تأملية في إنتاجات المعلم عبد الحميد الفراهي الشعرية

- د. محمد معتصم الأعظمي<sup>1</sup>

ساهمت الهند في كل فن من فنون الأدب العربي واعترف بذلك العرب أنفسهم قديماً وحديثاً وتشهد بذلك كتاباتهم الكثيرة المنشورة في شتى مجالات العرب والهند. والشعر العربي أحد هذه الفنون ولو ليس بأبرزها، فقد ولد في أرض الهند عديد من شعراء العربية نسمع دويّ كلامهم من أفواه العرب أنفسهم حتى أن البعض منهم كتبوا عنهم وأشادوا بقريضهم كأمثال أبي علاء السندي وشاه ولي الله الدهلوي وغلّام علي آزاد البلغرامي والمفتي عباس اللكنوي. والإمام عبد الحميد الفراهي أحدّ منهم فقد كتب العرب كثيراً عن خدماته العلمية كما أشاروا إلى براعته وتبحره العلمي، وخير شاهد على هذه الدعوى قول العلامة تقي الدين الهاللي المراكشي الذي قال فيما قال عن فضل الإمام الفراهي العلمي: "وللشيخ الفراهي ديوان شعر سمعته منه، بليغ مؤثر في استنهاض همم المسلمين وبثّ الحياة في قلوبهم وذكر عداء الأفرنج لهم وذكر حرب طرابلس والحرب الكبرى. والرجل فصيح في التكلم لغاية، نادر في علماء العرب فضلاً عن علماء الهند...".

فنودّ في هذه العجالة أن ندرس التراث الشعري الذي خلفه الشيخ عبد الحميد الفراهي ولو هذا التراث قليل للغاية بالنسبة لغيره من الشعراء الهنود للعربية ولكنه يدلّ على جودة شعره وحبّه للقرآن وولعه بالقيم الخلقية، وكذلك إنه يدلّ على أنه لو وجد الفرصة لمزيد القريض لترك لنا من تراثه الشعري ما ساهم في تجديد الشعر العربي في الهند وتطويره في أرضه.

وعلى كل حال ما بأيدينا من قصائده ومنظوماته يبدو من دراستها أنها خير مثال لنبوغة في المجال الأدبي والفن الشعري وعواطفه في هذا المجال، وتعكس الوقائع

<sup>1</sup> مدرّس ضيف، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة بردوان، بنغال الغربية

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

والحوادث والظروف السائدة في ذلك الحين، كما هي تعكس مدى قلقه تجاه القوم والأمة.

والموضوعات التي تناولها العلامة الفراهي في شعره هي الحمد والمدح والترحيب والتهنئة والوعظ والحكمة والحماسة، وعلى رأسها حالة المسلمين السياسية والاجتماعية في العالم وأما فيما يتعلق بالغزل والتشبيب بمعناه المعروف أو الهجاء، فلا نجدهما في شعره على الإطلاق، فتدور معظم قصائده أو أبياته حول قضايا المسلمين السياسية والاجتماعية.

وعندما نلقي النظر على شعره نجده يقرض الشعر ويختار للتعبير عن خواطره كلمات سهلة وبحوراً بسيطة، ولو أنّ العلامة كان ينتمي إلى ديار نائية عن مهد العروبة ولكن لا نجد في شعره أي أثر للعجمة حتى في استخدام التعابير وإنه يتأثر بالوقائع ويحاول أن يتأثر المخاطب العربي بما تحويه قصائده ومنظوماته. وكذا يبدو أنّ العلامة لم يكن يقرض الشعر لإطفاء عاطفة تنبعث فيه بل إنه كان حكيماً بصيراً يقظاً فكان يحث المسلمين على مستوى عالمي على القيام بحفاظ الدين وإنه كان يعلم أن هذه المصالح لا تتحقق إلا بدون المكافحة والسعي البالغ وكذا الإعداد للدفاع والإقدام فلذا ينصح المسلمين:

قد صيح في حجراتها	ولتسمعن لها الجرس
فلننضحن أو نقـتلن	عن قدسنا القوم النجس
فاحموا ذمار الملة	البيضاء كالأسد الشكس
واستجمعوا عدداً فما	تجري السفين على اليبس
أعني المراكب والمدا	فع والكتائب والحرس
وتعلموا حيل الحـرو	ب لتغلبو الخصم الشرس
فتأهبوا وتألـبوا	وتلببوا لـوغي ضـرس
واستنصروا الله المهيـ	من في العشي وفي الغلس

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

"ولينصرن الله ممن ينصره" فليحتمس<sup>1</sup>

تفكروا هذه الأبيات تجدوا أنها نموذج للشعر الرائع من حيث المعنى واللفظ كليهما، ويجري على أسلوب العرب وإن نقارنه بشعر معروف الرصافي في الكفاح ضد المستعمرين فستكون خير مقارنة من حيث اللفظ والمعنى.

وله قصيدة ينصح فيها الأتراك ويحثهم على القيام بالمكافحة والسعي البالغ ضد العدو، فالقصيدة كلها مليئة بعواطف الحماسة والوداد الديني ورسالة حية متدفقة للغيرة والحماية الدينية، ونرى في هذه القصيدة بعض الأشعار مما يضاهي بأشعار العرب من حيث الفكرة الأدبية والغيرة الدينية فيقول مثلاً:

هل لا ذكرتم يوم أَلْـ	ـ قيتم أموركم إلينا
كنتم لنا الإخوان إذ	في الدين والود استوينا
نحى الخلافة بالسويو	ف الباترات إذا انتضينا
فربت حدائق مجدها	بدمائنا لما سقينا
هل تأمنونهم فقد	غروكم زورا ومينا
فلئن بدا لكم مسا	لمة العدو لقد أبينا
فالموت خير من حيو	ة تحتوي ذلاً وشينا

ولا يخفى على القارئ بعد قراءة هذه القصيدة أنّ العلامة عبد الحميد الفراهي حاول أنّ يقرض الشعر على طراز عمرو بن كلثوم، فينسج العلامة شعره في الفخر والحماسة ولكن هذا الفخر والحماسة يتعلق بالدين ويعتني شديداً بالموضوع كما يقول:

لم يسيطوا الأيدي إلا	ما كسرنا أو لوينا
لم يرفعوا الأعناق إلا	ما قطعنا أو كويننا

<sup>1</sup> ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي، ص 15-16

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

حتى انثنوا طرا سوى	جمع قتلنا أو سبينا
لو لا الحماسة والحمما	ية قفر ليبا ما امتطينا
فحرورها وصخورها	مما ارتدينا واحتذينا
نصلى بنار الحرب أجس	أدًا صهرنا واشتوتينا
لا نبتغي الدنيا وزهـ	ررتها فبالله اكتفينـ
لا هم في ترف فأسـ	باب الغواية ما ارتضينا
فالله نعبده وعبـ	اد الصليب فقد قلينا

في هذه الأبيات يعتز الشاعر بدينه ويرى أن المسلمين لم يكسبوا العزة والقوة إلا بفضل الحماسة الدينية والحروب التي خاضوا فيها، ولا يرضون بالدنيا وزهرتها بل عبادة الله تكفي لهم ولسعادتهم في هذه الدنيا.

وكتب قصيدة رائعة في الحمد، فيقول في الأبيات الآتية:

أعوذ بالله العظيم الأفضال	الغافر الذنب الشديد الأنكال
من همزات النفس ذات الإيغال	ونفثات كل باغ محتال
وسطوات كل طاغ مختال	وفتنة الجبن وبلبال البال
وفتنة الحرص وطول الآمال	وفتنة الأهل، ومال ميال
وفتنة الدنيا كرقراق الآل	وفتنة العلم وزيف الأقوال
وفتنة الجهل وسوء الأعمال	وفتنة الشيطان رأس الضلال
وفتنة الغاوي المسيح الدجال	وكل طاغوت إمام الجهال

بحرمة محمد والآل

القصيدة تتميز بالأدعية الجميلة فقد تعود العلامة عبد الحميد الفراهي بالله تعالى من همزات النفس، ونفثات المحتالين والفتن الكثيرة في الحرص وطول الآمال



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وفتنة الأهل والمال، وسوء الأعمال، والجهل والشياطين والطغاة الآخرين، وهذه أمور تعوذ منها النبي ﷺ ودلّ على التعوذ منها القرآن الكريم.

وقال في نور الحكمة والإيمان:

لو كان فيكم سامع واع	ما أبلغ القرآن من داع
لنصح والتفكير جماع	كم حكمة فيه وكم مثل
عبد على نهج الهدى ساع	يعمى به الغاوي يهدي به
الأظلام ضرار ونفاع	كالمنز في البرق والودق و

في الأبيات المذكورة أعلاه بين الشاعر بلاغية القرآن في الدعوة، وأنه ملئ بالحكم والنصح والدعوة إلى التفكير، وبه يهدي الله قومًا كما يضلّ به الآخرين، فهو كالمنز الذي يحتوي على البرق والودق بجانب والضرر والنفع.

ثم بدأ يفسّر الآيات القرآنية وتناول ثلاثة أمثلة وردت في سورة النور، على التالي:

فمثل الإيمان يلمع في	قلب سليم للتقي راع
مثل سراج في زجاج كمثل	الكوكب الدري لماع
في وسط مشكوة ويوقد من	زيتونة في خير إقطاع
من البلاد لا بشرقية	ولا بغربية إصقاع
كاد يضيئ زيتها قبل أن	تمسه النار لا شماع
نور على نور ومن يهده	الله له يهتد بإسراع

المثال الأول: الأبيات المذكورة هي تفسير منظوم للآية القرآنية "اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ  
لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ<sup>٣٥</sup>"<sup>1</sup>

وبه امتازت شاعريته بالتعابير القرآنية الجميلة والمعاني السامية المكتسبة من  
كلام الله تعالى، فقد حاول الفراهي إبراز قيمة الإيمان ونوره فهو نور على نور  
يهدي به الله من يشاء ومن يهده الله يهتد بإسراع.

المثال الثاني: ثم استطرد تفسير الآية القرآنية من نفس السورة في الأبيات الأربعة  
والآية هي "وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوا كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ  
لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ"<sup>٣٦</sup>.<sup>2</sup> وقال  
مفسراً لهذه الآية:

ومثل الكفار أعمالهم	كيلمع رقرق بالقاع
يحسبه الظمآن ماء فياً	تیه بإهرع وإيضاع
حتى إذا ما جاءه لم يجد	شيئاً سويأ غير خداع
ووجد الله لديه فوفـ	اه جزاء الصاع بالصاع

المثال الثالث: ثم تناول مثلاً قرآنياً رائعاً آخر ورد في نفس السورة، والآية هي "أَوْ  
كَظَلَمْتُمْ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمْتُ  
بَعْضُ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكْدِ يَرْنَهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ"<sup>٣٧</sup>.<sup>3</sup>  
فقال في تفسير الآية أخذاً بالأسلوب القرآني وبيانه الرائع:

ومثل الكفر عماياته	غطت على قلب وإسماع
كظلمات البحر هاجت به	الأرواح من هوجاء زعزاع

<sup>1</sup> سورة النور، الآية: 35

<sup>2</sup> السورة نفسها: 39

<sup>3</sup> السورة نفسها: 40

## العدد الخاص.....مجلة الهند

يقمص بالفلك على لجه      دفاع موج بعد دفاع  
في ليلة سحماء قد غمها      جماع غيم فوق جماع  
فالجو في ظلماء حالكة      والقلب في الغماء والهاع  
قد مطت الظلمة أطرافها      والطرف لا يمتو مدى الباع  
من أخرج الكف ليصرها      لم يرها، ماذا بمسطاع  
فظلّمات بعضها فوق بعـ      ض طبقت ليست بشعشاع

قال قصيدة في تناول الطليان على طرابلس: هذه قصيدة رائعة جداً وهي عبارة عن تحمس الشاعر الديني كما هي مثال رائع لأخوته الإسلامية وتأمله بالأم المسلمين في أرجاء العالم المعمورة، ومن خلال هذه القصيدة نراه يمثل، وهو صادق فيه، يمثل لقول رسولنا الكريم ﷺ "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (صحيح البخاري ومسلم). لنقرأ الأبيات التالية:

كيف القرار وقد نكس      أعلامنا بطرابلس  
كيف القرار وحولنا      الأعداء ترتقب الخلس  
من كل ذئب أن رأى      من عزة فينا اختلس  
أو أفعوان مطرق      إن لم نبادره نهس

وعندما نكس أعلام الإسلام في طرابلس حزن الشاعر ورأى ذهاب مجد المسلمين واختلاس عزتهم وكرامتهم والأعداء يرتقبونهم فلا يقر له قرار.

فمن مسلمي طرابلس من قتلوا ومنهم من حبسوا وأصبحوا وفيه نساء الأمة والبنات المسلمات ربّات الخدور. يصوّر الشاعر هذا المنظر فيبكي ويُبكي الآخرين فيقول:

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

نبكي على إخواننا      بين القتيل ومن حبس  
كم من تقي طاهر      فهم ونحري نرس  
نبكي لربات الخدو      ر شرقي بالماء السلس  
جرت الحثوف على الألو      ف من الزحوف ومن جلس  
هم أهلنا وعشيرنا      أ فيألمون ولا نحس

ثم يناشد المسلمين أن يشمروا عن ساق الجد لمواجهة الأعداء، لأن الإسلام يتعس هناك، وتزلزل أركانه وتقعع أسسه ويتريص العدو بالإسلام بؤسًا وفقراء:

يا أمة الإسلام يا      أبناء آباء شمس  
هل تنعسون وخصمكم      عن كيد ما إن نعس  
ألا تهبوا اليوم فا      لإسلام يتعس بل نعس  
قد زلزلت أركانه      حتى تقععت الأسس  
فالخصم يجهد أن يرى      الإسلام في بؤس بئس

ويذكر المسلمين في الأبيات اللاحقة تاريخ المسلمين في الأندلس وما حل بهم من الكوارث والنوازل وكيف انقضى وجودهم وكيف شهدوا زوالهم بعد مجدهم الرفيع وبهذا التذكير يتمنى أن يتعظ المسلمون من تاريخهم ومن ثم يحرضهم على القتال والدفاع لأن العدو بعد السيطرة على القسطنطينية سيهاجم على أرض القدس كما يخمن، فالدفاع والتضحية لأجل الأخوة والحفاظ على الأراضي المقدسة أمر لا بد منه:

هل لا ذكرتم ما أصا      ب المسلمين بأندلس  
سلبوكم شطر البلا      د وما لها من ملتمس  
أ فكل يوم ينكص      الإسلام حتى يندرس

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

هل يذهب الحق النقص	في ويغلب الكذب الرجس
هل ترتضون بذل دين	كم وليس بملتيس
والله لا ترضى به	ما دام فينا من نفس
فاليوم إن لم تدفعوا	فليأتين يوم النحس
إنني أرى فتناً تموج	وقد ظهرن لمن حدس
ناراً تأجج في البلا	د وقد تلهبت الأطس
يبغون قسطنطيني	ة وبعدها أرض القدس
قد صيح في حجراتها	ولتسمعن لها الجرس
فلننضحن أو نقـتلن	عن قدسنا القوم النجس

ثم يأتي بالاستنجد، والتهيؤ والتأهب للحرب وأن يعدّ المسلمون لهم من قوة ومن رباط الخيل والسفن والجيش، والمراكب، والمدافع، والكتائب ليرهبوا بها عدوًا لهم وعدوهم، ويناشد المسلمين أن ينصروا الله فينصرهم:

فاحموا ذمار الملة	البيضاء كالأسد الشكس
واستجمعوا عددًا فما	تجري السفين على اليبس
أعني المراكب والمدا	فع والكتائب والحرس
وتعلموا حيل الحـرو	ب لتغلبو الخصم الشرس
فتأهبوا وتألـبوا	وتلبوا لـوغي ضـرس
واستنصروا الله المهيـ	من في العشي وفي الغلس
"ولينصرن الله مـن	ينصـره" فليحـتمس <sup>1</sup>

<sup>1</sup> ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي، ص 15-16

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وله قصائد عديدة في هذا الموضوع وله قصيدة أخرى في عتاب العرب الترك على الصلح بالطلليان، ويرى الفراهي في الصلح تخاذلاً، والعدو هو العدو السابق، حتى يقول إن المسألة ليست بمقبولة لدى مسلمي الهند فيأبونها، ولا حديث معهم ما داموا في أرضنا، وفي هذا النضال نضحي بأنفسنا وأموالنا وحياتنا، فالموت خير من حياة تحتوي ذلاً وشيناً، ولا نخاف الخوض في الحرب مهما كثر عدد الطليان، وعندما نلقاهم في ميدان الوغى نشئت شملهم ونفرق جمعهم ونتركهم صرعى:

أ فبعد ذاك تخاذلو	ن وتذهبون فأين أيننا
إن العدو هم هم	لو تبصرون كما رأينا
هل تأمنونهم فقد	غروكم زورا ومينا
كالصل يطرق ثم يقـ	طرنا به سما وحيننا
فلئن بدا لكم مسا	لمة العدو لقد أبينا
لا سلم بالطلليان حتـ	ى يتركوا بلاداً ثويننا
ننقمهم عن أرضنا	لا نرعوى عما قضينا
فالموت خير من حيـ	ة تحتوي ذلاً وشينا
إننا لأحرار نعو	د القتل للأحرار زينا

ثم يشير إلى تاريخ المسلمين الماضي المشرق، الذي يحفل بالأحداث التي تشهد على بطولتهم وبسالتهم المذهلة فتاريخنا تاريخ مليئ بالبطولات وأحداث الحماسة، يقول الإمام الفراهي:

كم نابنا حرب الملو	ك فلم نمل ولا ونينا
لم يبسطوا الأيدي إلا	ما كسرنا أو لوينا
لم يرفعوا الأعناق إلا	ما قطعنا أو كويننا

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

حتى انثنوا طرا سوى	جمع قتلنا أو سبينا
لولا الحماسة والحمما	ية قفر ليبا ما امتطينا
فحرورها وصخورها	مما ارتدينا واحتدينا
نصلى بنار الحرب أجسـ	أدّا صهرنا واشتوتينا
لا نبتغي الدنيا وزهـ	ررتها فبالله اكتفينـا
لا هم في ترف فأسـ	باب الغواية ما ارتضينا
فالله نعبده وعبـ	اد الصليب فقد قلينا

وكتب قصيدة رائعة في مدح العلامة شبلي بمناسبة تلقيه بـ"شمس العلماء" من الحكومة البريطانية، تدل هذه القصيدة على براعته وقدرته الفائقة على قرض الشعر، فيقول:

ياخير من يسمو إلى العلياء	كالشمس بازغة بوسط سماء
قد كنت قدما للمعالي ساميا	أورثته عن شيمة الآباء
فلئن سموت إلى المكارم والعلـ	فلقد نشأت بعزة قعساء
لاغرو نصل السيف إن يك صارما	أو يستهل البرق باللالأاء
فلأنت بالعزمات سيف صارم	ولأنت برق لامع بذكاء
لاذت بجانبك العلوم فإنها	لو لم تصنها أذنت بفناء
قد أمحلت أرض العلوم وأصبحت	عرصاتها كسمالق البيداء
فجعلت تمطرها بسح واكف	صوب الربيع بديمة هطلاء
فربت رياض العلم منك وأنبتت	مهتزة بغصونها الخضراء

وبعد التغني بفضل الشيخ شبلي وإبراز قيمته العلمية وشخصيته الفذة يدعو ويبارك له ويهنأه قائلاً:

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

فلأسألن الله طول بقاءكم      في كل بكرتنا وكل عشاء  
وأهئناكم بما أعطيتكم      من خير ما وجدوا من الأسماء  
إن كان تلك الشمس شمس سمائها      فلصرت شمس العلم والعلماء  
إذ أنت شمس والعلوم سماءكم      فالشمس شمسي والسماء سماء<sup>1</sup>

وكتب قصيدة طويلة قام فيها بذكر "الملحمة الكبرى" وتناول فيها الفراهي الأحداث الكبرى المتعلقة بالحرب العالمية الثانية التي دارت في أوروبا وحروب هتلر في أوروبا وروسيا في أسلوب أنيق رائع، وهذه قصيدة تطول لأخواتها وهي تحتوي على 42 بيتاً. نذكر فيما يلي بعض أبياتها:

لقد حل بالروم شر شمر      فنار الحروب بهم تستعر  
فهم حصب كالهشيم اليبس      س يصلونها زمرا فزمر  
رحى الحرب تطحنهم والدماء      تدير الرحى مثل جرى النهر

ثم يشير إلى نتائج الحرب التي أدت إلى المجزرة التاريخية الكبرى، فقد لقي فيها الألوف حتفهم، وضاعت الأموال، وانقطعت السبل، وتخربت البيوت التي كانت تضج بالناس، كما نتجت الحرب عن فقر وبؤس سار على المجتمع الإنساني في بلاد عديدة، وإن بدأت الحرب من أوروبا إلا أنها وصلت نارها إلى الشرق وترتبت آثار سيئة على المجتمع الشرقي، كما يقول:

فكم ألف ألف وكم مثلها      قتيل وكم مثلها قد أسر  
وكم ألف ألف وكم مثلها      على مورد ماله من صدر  
وكم بلد عامر قد خوى      وكم هد من أطم مشمخر  
فيا بؤس حرب لروعاتها      ترى كل مملكة تقشعر

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 33-34



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

جنتها أوربا ولكنها  
فهل سمعت أذن مثل ذا  
إلى منتهى الشرق ترمي الشرر  
ك أم خط في أوليات الزبر

ثم أكب على الروم ويحكي حكاية ظلمهم وطغيانهم في الحروب، وكيف أغرت  
حكومة الروم الشعب الرومي للحرب لتلبسهم شيعاً فيذيق بعضهم من البعض  
بأساً، وينتشر فيهم الحقد والحسد:

كذا الروم لما طفوا في البلا  
أتاح لهم ربهم نقمة  
د يعثون في الأرض بحر أو بر  
وكانت قضاء أو أمراً قدر  
وكم نقمة تحتها نعمة  
فأغرى بني أصفر الأقويا  
ليلبسهم شيعاً فيذيق  
فصار التنافس يحشوهم  
من الحقد بين الضلوع الأبر

ويحكي كيف خاضت في الحرب ألمانيا والنمسا، وقامت يبارزهما فرنسا وروسيا  
وانكلترا وكيف تمادت في شرها وما نتجت عن استعمال آلات الحرب من المدافع،  
القنابل الذرية، والغازات، والطائرات التي ترمي بالدخان فيعصى الناس وحلت  
نازلة على بلجيكا حيث سدت عليه الطريق، وما شهد من دمار وخراب:

وألمان أمتة حوله  
فقام يبارز أعداءه  
ونمسا حليف له مستمر  
فرنسا وروسيا وانكلتر  
وكيف اثنتان بحرب الثلا  
وقد جمعوا عدة مدة  
ولم يفش منهم لقوم صبر  
فصاغوا مدافع لما يكن  
وزفلين طيارة في السما  
لها المثل في قوة وكبر  
ء كالفلك مشحونة بالذخر

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

ويرمون أعدائهم بالذخا	ن، يعى ويرهقهم بالحنر
فجاء بهم كصبير الغما	م، أو مثل بحر إذا ما زخر
وبلجيك سدت عليه الطرب	ق، إذا غرها الحلفاء الختر
بوعد الكذاب كلمع السراب	وظل السحاب وريح تمر
وظنوا لها موثلاً أنطور	ب، حصنا على كائديه عسر
فأصبح يرمي على سورها	قنابل، مثل جذوع الشجر
فدمرها وسبى أهلها	وما كان إلا كلمح البصر
فبلجيك صارت كأن لم تكن	كذاك الجزاء لقوم كفر
فقد علم الناس ما أنزلت	على كانجو من عذاب وضر

هكذا ركبت أوربا الهلاك والدمار، ولكن الأشرار لم يبتوا في أوربا بل دسّوا الأراضي المقدسة الشرقية، وأتوا معهم الحرب ونتائجها الوخيمة، فتراجعت روسيا من أوربا وتولت كتائبها الدبر، كما يقول:

ولما قضى النحب منها استمر	غرباً فأضرم فيه السع
فبينما يذيق فرنسا الهوا	ن أفزعه نبأ من آخر
فكر إلى الشرق فاستعجلت	كتائب روس تولى الدبر <sup>1</sup>

وعندما نشبت حرب البلقان وتآمرت الدول الأوروبية على الإسلام والمسلمين نظم عبد الحميد الفراهي عدة قصائد منها قوله:

شبت على بلقان نار الحروب	أشعلها بالبغي أهل الصليب
لم تبق في الأفاق أرض بها	الإسلام إلا نالها من لهيب

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 28-30

قد حزب الشيطان أحزابه	وحثهم لكل شر وحبوب
شنوا على الإسلام غاراتهم	يذهل فيها عن حبيب حبيب
يا كرد يا تاتار يا كابل	يا كل من لله عبد منيب
في مشرق الأفاق أو مغرب	أو في شمال الأرض أو في جنوب
يدعوكم الإسلام جهراً إلى	ذب العدى عنه فهل من مجيب
قوموا لنصر الحق من فوركم	واستنفروا من كل مرد وشيب
مستنصرين الله ينصركم	بنصره الموعد غير الكذوب
كنتم سيوف الله من وقعها	في الكفر والأوثان تبقى تذوب
فالآن يا إخوان ما بالكم	قد مسكم من الجهاد لغوب
ما بالكم لا تنفرون وقد	حل على الإسلام يوم عصيب
يبلوكم الله ببأس العدى	فإن أمر الله يبلو القلوب
إن تصبروا لله لا يخزكم	فإن الله علينا رقيب
يا قومنا إن تصبروا يأتكم	نصر من الله وفتح قريب <sup>1</sup>

ففي هذه القصيدة يرى الشاعر أنه لم تبق في آفاق الأرض مشارقها ومغاربها، شمالها وجنوبها إلا وأخذ الإسلام لهيب الحرب الذي أشعلها عباد الصليب وهم أحزاب الشياطين، حزبهم الشيطان، فشتوا حرباً شعواء ضد الإسلام والمسلمين، ثم يناشد الفراهي الأكراد، والتتار، ورجال كابل والمسلمين كلهم بأية منطقة يقطنونها في آفاق الأرض كلها أن يقوموا لنصر الحق وينصروا الله فينصرهم، كما يؤبّخهم على عدم الخروج من بيوتهم للدفاع عن كرامة الإسلام والذود عن حياضه.

وفي قصيدة أخرى يقول في الرجوع في العقل:

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 24-25

## العدد الخاص.....مجلة الهند

سر مع العقل أينما سارا      در مع الحق حيثما دارا  
لا تهولنك ليلة عكرت      إن بعد الظلام أنوارا  
إن في الليل والنهار وفي      الشمس والنيرات تذكارا  
راكعات مسبحات يد      عوننا للسجود أسحارا<sup>1</sup>

كما يقول في قصيدة في التحذير عن الدنيا:

يا بوس للدنيا شقياً سعيدها      فيا ويل من يسعى لها يستزيدها  
فلا يرجعن إلا إلى الضر نفعها      ولا يرجعن إلا إلى الشح جودها  
فسيان عندي عدمها ووجودها      وصنوان عندي وصلها وصدودها<sup>2</sup>

فستخلص من دراسة هذه النماذج من كلام المعلم عبد الحميد الفراهي أنه كان شاعراً مطبوعاً ويغلب على كلامه الصبغة القرآنية. إنه حاول عن طريق شعره أن يوقظ الإنسان من النوم الشديد.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 35

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 36

## خطبة

### نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان

- المعلم عبد الحميد الفراهي<sup>1</sup>

الحمد لله الذي ظلّل علينا سرادقاً من السماء الزرقاء وعلّق فيها المصابيح زهرا، وزيّنها بالشمس والقمر يقلّبه هلالاً وبدراً، وجعل له منازل شفعاً ووتراً، حساباً، ولتعدّ أيام السنين شهراً فشهرها، وجعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكراً، ووسم آناءهما مواقيت الصلاة عشائين وفجراً، وعشيّاً وظهراً، لنحمد فيها ربّنا ولا ننسى له ذكراً.

والحمد لله الذي وطّأنا من الأرض نمارق خضرا، ورقّش أزهارها نقطاً وسطراً، ولوّنها حمراً وشقراً، وبيضاً وصفراً، لنعمل في بدائع صنع ربنا فكراً، وجعل عليها من الجبال وقرا، التي خلق فيها مما يوقدون عليه وبه فحمًا وحديدًا وفضة وذهبًا ونحاسًا وقطرا، منافع للناس، وأحجارًا يغلون لها سعرا، ويتخذون منها حلّى مرصعة وشندرا.

والحمد لله الذي بثّ في الأرض من السائمة والنعم دثرا، وكساها شعراً وصوفاً ووبراً، لتتخذ منها أثاثاً ولباساً وطعاماً ومتاعاً وفرا، ومن وحش البهائم ذوات حافر وظلف وقرن تحفر الأرض حفرا، بقرّاً عيناً وظباءً عُفرا، ووعولاً تناطح صخرا، ومن الأحناش ما يؤويه جحرا، وما يدبّ وما يمشي على بطنه وما يقفز طمرا، ومن السباع ما أعدّ لها ناباً وظفرا، ذئاباً غبساً وضباعاً غثرا، ونمراً نمرا، وضراغم غلباً تسمعك من الغيل والأجزال زأرا، وخلقاً لا يحصى، أحصاهم الرب ويطعم كلهم فيتضرعون إليه جأراً.

<sup>1</sup> شخصية خصصنا هذا الجزء بسيرتها وأعمالها

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

والحمد لله الذي خلق من ذوات الأجنحة ما عوّج مناقيرها وحدّد مخالبا أشرا،  
صقراً وأجدل ونسرا، وعقاباً تأخذ في شمابخ الجبال وكرا، ومن رواقصها  
وسواجعها ومكلّلة الرؤوس ومزينة الريش كأنها كسيت يواقيت وتبرا، هدهداً  
وطواويس وقمرا، وصلصلاً وحماماً خضرا، فكلّ يحمد الرب وكلّ قد علم صلاته  
وتسبيحه ذبرا.

والحمد لله الذي حسر الماء عن وجه الأرض فجمعه بحرا، وخلق فيه سمكاً ذوات  
زعانف وجردا، وما ألبسها عظمًا وما ألبسها قشرا، سلاحف وتماسيح تشمس على  
الرمال إذا أحسّت قرا، وما يمج مرجاناً وما تجنّ في بطونها ذرا، وما تخرج عنبراً  
فيدسره البحر دسرا، وكثيراً مما يسكن من اليم قعرا، فلا ينسى الرب هؤلاء فيدرّ  
رزقه على جميعهم ذرا.

والحمد لله الذي أجرى في البحر فلگا تشق لججه مخرا، تحمل الناس ليروا من  
آيات الله ويربحوا تجرا.

والحمد لله الذي أرسل الرياح لواقح بين يدي رحمته بشرا، فأنشأ بها سحاباً  
متراكباً مكفها، يريكم البرق فيه خوفاً وطمعاً ويسمعكم الرعد منه يسبح بحمده  
زما، نزل أمر الرب فعصر السحب عصرا، فأرسلت ودقها قطرا، وسكبت مطراً  
ثرا، فأجراه على الأرض نهرا، وسلكه في بطونها ينابيع غزرا، فأحيى به بلدًا قفرا،  
وأنبث به الزرع والخضر والنجم والشجر رزًا وشعيرًا وبرًا، وقضباً وعنباً وتيناً  
وزيتوناً ونخلًا تحمل تمرا، رزقاً لعباده ودلالة على سعة رحمته وحكمته التي  
تدهش العقول بهرا.

فسبحان من نظم الخلق من السماء إلى الأرض بنظام متقن لا ترى فيه تفاوتاً ولا  
فطرا، نفذت كلماته في السماوات فخضعت لها الملائكة الصافين الزاجرين زجرا،  
المسبحين التالين ذكرا، الطائعين لما يأمرهم به فلا يعصون له أمرا، خاشعين  
لربهم فلا يسبقونه بالقول فزعاً وذعرا، من مثل ربنا أو من يخلق كخلقه، كلا لن

يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له بل لن يخلقوا ذرًا، فمن يستطيع أن يحصي عجائب حكمته حصرا- كلا لن تحصى ولو جعل الأشجار أقلامًا وحول اللوح لوحًا وبُدِّل البحر حبرا.

فتبارك ربنا رحمة وبرًا، كما تعالى وتقدس عزة وكبرًا، له الخلق والأمر فيحكم ما يريد نهياً وأمرًا، له الملك والقدرة فلا يملك أحدٌ دونه نفعًا ولا ضرا، أحاط بكل خلق علمًا وخبرًا، وأحصى كل شيء عددًا وقدرًا.

هو الرحيم الكريم خلق الإنسان في أحسن تقويم فأعطاه سمعًا وبصرًا حجرا، وعرف له عرفًا ونكرا، ونفخ فيه من روحه فأعظم له شبرا، وجعله خليفة في الأرض فسواه بشرًا حرا، ليعبده اختيارًا لا إكراهًا وجبرا، ميسرًا له ما أثر لنفسه يسرًا وعسرًا، يزيد هدىً من اتقى وأخذ حذرا، ومتاعًا من الدنيا لمن أخلد إليها وجحد بالآخرة عتوًا وكفرا، كلاً يمدّ هؤلاء وهؤلاء فلم يجعل لعطائه حظرا.

هو الغفور الشكور فوسّع لهم عفواً وغفرا، وذكّرهم بآياته عذراً أو نذرا، ومتعمهم نعمة منه وأمهلهم عمرا، ليتوبوا إليه فيعظم لهم أجرا، ويبدّل سيئاتهم حسنات ويجازي على الواحدة منها عشرا، بل أضعافاً لا تستطيع لها حزرا.

فأتمّ بالقسط فيجمعهم نشرًا وحشرا، ليريهما ما قدّما لأنفسهم خيرا أو شرا، ينبت لهم ما زرعوه بذرا، فيحصدون بما عملوا فوزًا أو خسرا.

هو الغني الحميد غير ظلام للعبيد فهو أكبر وأجلّ قدرا، من أن يضلّهم من قبل ثم يولّهم إثمًا أو يحملهم وزرا، كلا بل خلقهم على الإسلام فطرا، وأخذ منهم على التوحيد إصرا.

فهذا ثنائي لربي وهذا ما أدين به وأدعو إليه جهرا، فإنه كما أثنى على نفسه فلا تتبع فيه الظنون والآراء قفرا، بل كتابه الحكيم الذي أنزله إلينا هدىً وبصيرةً وذكرًا.

ورسوله سيدنا محمد النبي العربي صلى الله عليه وآله صلاة تدوم وسلّم تسليمًا مستمرًا، إلى آخر الأمد ومدى العدد دهرًا فدهرا، الذي أرسله رحمة للعالمين طرا،

سراجاً منيراً فأشرقته بنوره الأرض بحرًا وبراً، مباركاً مطيباً فنشر منه في الأفاق  
نشراً، عطوفاً رؤوفاً فقوي به الضعفاء جبراً، غيوراً صبوراً فقمع به الجبابرة  
كسراً، بعثه بحنيفية سمحاء فأعطاه ديناً يسراً، ووضع به ما كان أغلاً وإصرأ،  
وجعل له أمة مسلمة يتلو عليهم آياته ويزكهم ويعلمهم حكمة وبرأ، أزاح عنهم  
نخوة الجاهلية فلم يترك لبعضهم على بعض بطراً ولا فخراً، إخوة أخلاء لا يحمل  
بعضهم لبعض حقداً ولا وتراً، واختار له منهم صحباً كراماً لهاميم غزاً، أشدَّ لله  
حباً وأوفى ذمة وأكمل صبراً، فأخلصوا لربهم منهم سرّاً، وشدّوا لنبيه أزراً، وأعزّوا  
لدينه نصراً، فأقرَّ الله بهم الصالحين عيناً وأضحك لهم ثغراً، وأهان بهم الظالمين  
وملأ صدورهم وغراً، واستخلفهم متمسكين بكتاب الله وسنة رسوله فرضي الله  
عنهم ونضر وجوههم نضراً.

ثم تلاهم قرن ياثرون العلم عن أولئك أثراً، وهلمَّ جراً، إلى أن خلف من بعدهم  
خلف لم يحملوا من حكمة القرآن ومعجز بيانه إلا نزرأ، فلا تجد في أيديهم من  
الصحابة ولا التابعين إلا تفسير الكلمات أشتاتاً لا يأترون على روابط المعاني  
أطراً، فأين العلم الذي كان يفيض به ابن عباس فيزخر به عبابه زخراً، أم أين  
الحكمة التي يلقيها الحسن إلى النفوس فيزجرها بها زجراً، هيهات لما فات  
واستبدلوا به من الإسرائيليات ما لا تجد لها في الصحاح أصلاً ولا جذراً، واشتغلوا  
من سفاسف الأمور بما صار حجاً دون تدبر القرآن وحجراً.

ثم تلاهم آخرون قد نفثت اليونان في قلوبهم رقاها فسحرتهم زخارف أقوالها  
سحراً، وراقهم ما يتعمق به الفلاسفة سفهاً وما يتشدق به المناطقة هنراً،  
فاختلف بهم الآراء وعميت عليهم الأنبياء ففسّروا القرآن بالرأي فسراً، ورفع كل  
ذي رأي راية وأخذ كل فريق آية وشجر الأمر بينهم شجراً.

ولن تجد لغفلة هؤلاء أو ضلة هؤلاء سبباً إلا أنهم جعلوا القرآن عضين وجزروا  
نظمه الحكيم جزراً، وقد أنزله الله متشابهاً مثاني يفسر بعضه بعضاً، ومحكمًا  
قيماً لا عوج فيه ولا بترأ، وهل يرشد في مساق تأويله من يجهل اتساق تنزيله، كلا



بل يعثر في كل خطوة عثرا، ولا ينبئك من خبير، إني قد تصفحت كتب التفسير  
وسبرتها سبرا، فما وجدت لها إلا كسراب بقية يحسبه الظمان ماء فلم تبرد غلتي بل  
زادت قلبي حرا، وملأت كبدي جمرا.

ففزعت إلى تدبر كتاب الله وسعة معانيه وتركت أقاويل الناس هجرا، وكان بداية  
أمري أنني بينما كنت أجيل الطرف في نجوم الآيات إذ أضاء لي في أفقها الأعلى سلك  
نظامها مثل الخيط الأبيض من الصبح فما ازداد إلا سطوعا وجهرا، فكشف  
الحجاب عن فؤادي أو طهر قدي عن عيني طحرا، فأبصرت قصدي وتبينت  
رشدي وصرت أعمل في أساليب نظامها وأعاجيب رباطها فكرا.

وقضيت على ذلك عصرا، ومن أحسن عمري شطرا، حتى ولّى الشباب ظهرا، وأذاقي  
المشيب طعما مراً، وكرت عليّ الأسقام والأوجاع كرا، ولأمني الصديق ونظر الحقود  
إليّ شزرا، بأنني قد ركبت وعرا، وتولّيت أمراً إمرا، ولكنني لم أزل مشتغلاً بخصيصاي  
لا أقصر عنها قصرا، كأن أمراً من السماء يسوقني إليها قسرا، لا أدري لعل الله وجد  
المسلمين في عمياء مظلمة فأراد أن يرفع عن خرائد القرآن خدرا، وأراد أن يصلح  
آخر هذه الأمة بما أصلح به أولها فشرح من بعضهم لفهم كتابه صدرا، ولولا هذا  
الرجاء لما اقتحمت من هذا الخضم غمرا، ولولا حديث الإلجام لما تصدّيت لأمر لو  
نزل على الجبال لهبطت لعظمته خرا، فتوكلت على الله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ  
حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا.

فإن شاء ربي سيجلي لنواظرك من نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان سفرا،  
بديعاً في خصائصه بكرا، تجد أسفار القوم عن معظمها صفرا، كاشفاً لك عن  
بديع نظام القرآن سترا، متمسكاً بآياته في التأويل فكأنني نذرت نذرا، أن أتمسك  
بآيات الله ونظامها فلا أجاوز عنهما شبرا، ناشراً بين يديك حبرات من معجز بلاغته  
نشرا، مطلعاً بك على ذروة الحكمة التي تعجز الحكماء دونها بهرا، معتصماً  
بأصول راسخة للتأويل يذعن لها أولو النہی إلا غمرا، منتحياً لتأويل واحد فتاركا  
كل رث واهن وأخذاً ما كان محكماً مُمرا، مجتنباً غلوا في الدين فلم أكن متخذ

## العدد الخاص.....مجلة الهند

الباطنية بطانة ولا الظاهرية ظهرا، مفارقاً من لم يفرق بين سنة الله وسنن المخلوقات فكذب ببيّنات القرآن وحرف آياته زوراً ومكراً، قائلاً للمبتدعة كلهم حجراً، وللملحدين جميعهم بهراً.

ذلك، وقد تبرأت من حولي وقوتي إلى توفيق ربي فما أشدنا إليه فقرا، اللهم ربنا لا تؤاخذني بما نسيت أو أخطأت فأنت الغني الحميد، وأنا عبدك الحقير الفقير فلا ترهقني من أمري عسرا، واجعل اللهم ربنا عملي خالصاً لوجهك واجعله لي في الآخرة وسيلة وذخراً.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان (تفسير سورة البقرة)، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائر مير، أعظم كره، الهند، 2000م، ص 19 24

## تفسير سورة الإخلاص

- المعلم عبد الحميد الفراهي<sup>1</sup>

ترجمة من الأردوية: د. هيفاء شاكري<sup>2</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

1. القرآن كلام يمكن أن يطلق عليه "سهل بين" وكذلك "مشكل وخفي". وذلك (فإنه كلام الله) يعرفه الكل ولكن بحيث لا يعرفون، بل فكّر في ذاتك، فقد تشك في شيء ما ولكن لا تشك فيها. ولكن على الرغم من ذلك يقول (الشاعر الأردوي الكبير) غالب:

ہم وہاں ہیں جہاں سے ہم کو بھی کچھ ہماری خبر نہیں آتی

ترجمة: نجد أنفسنا في مكان من حيث لا نعتز على أي معلومة عن ذواتنا. ولقد ذكر القرآن بنفسه أنه سهل بين، ولكنه من ناحية أخرى مستور وعميق، وكذلك يقول عن الله تعالى إنه الظاهر والباطن.

2. من الواضح أنه إن اجتمع النقيضان في مكان واحد فذلك يعني اجتماع الضددين من ناحيتين مختلفتين. لذلك فكون القرآن سهلاً ومشكلاً في آن واحد ليكون من ناحيتين. فمن ناحية التعليم العام والضروري يعتبر القرآن سهلاً جداً، ولكن من ناحية التعليم العالي والمواضيع الدقيقة صعباً للغاية. وهذا هو الأنسب، لأن المواضيع الدقيقة لو كشفت للأشخاص الذين لا يصل مستواهم للفهم الدقيق، لا يمكنهم فهمها والاستفادة منها، بل العكس من ذلك يلحق الضرر بقدرات استفادتهم. هذا لأن مسار الدين مسار باطني، والذي يكون بالتفكير والتدبر. فإذا أخبر شخص مقدماً بالأمور التي سيدركها

<sup>1</sup> شخصية خصصنا هذا الجزء بسيرتها وأعمالها

<sup>2</sup> مشارك في التحرير وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المليية الإسلامية، نيو دلهي

بعد التفكير والتدبر، فإن هذا سيؤدي إلى ضياع قوة تفكيره وتدبره، ولا يمكن له فهم ما أخبر به كما يجب، وسيحرم من التطور القادم. لذلك فقد جعل الله السعي ضروريًا في نظام الكون حتى يصل الإنسان إلى أعلى مراتب التطور والرقى. ويجب أن نولي أهمية كبيرة لهذا الجانب في مجال التعليم، وإلا فسيصبح التعليم كلمة بدون معنى، لأن علمًا كهذا لا يعود بشيء بسبب ضياع القوى العقلية. هذا بالنسبة للعلم الظاهري، وأما العلم البطاني فلنعتبره أكثر من هذا، لأن المعرفة فيه هي كون الشيء موجودًا. إن العلم بالحسن والسيء ثم عدم الشعور بالرغبة والكراهية، معرفته لا يسلم بها الدين. فإن كان الطبيب ليس بالطبيب اسمًا فقط، يفهم هذا. إن سقراط رئيس خماء اليونان كان يؤمن بهذا، وكان يعتبر الذنب والجهل شيئًا واحدًا.

3. فنظرًا للحكمة الإلهية التي تعتبر أساس الرقي الإنساني. جُعِلَ القرآن مجالًا للتفكير والتدبر، وقد نبه إلى الباطن بعد بيان الظاهر فآله سبحانه وتعالى يمنحنا النعم الأولية ثم يأخذ بأيدينا إلى النعم الكبيرة، وكلما اجتهدنا كنا مستحقين للجوائز، وهذا هو العدل، وإلا لما كان هناك تفاوت في الدرجات. وهكذا كلما زاد فهم المرء للقرآن الكريم انكشفت له أسرار القرآن بطريقة واضحة بحيث يضطر لفهمها والاقتناع بها. فالحقيقة أنه من الصواب أن نقول إن القرآن واضح وسهل من ناحية مواضيعه الدقيقة أيضًا، وكونه مستورًا يخبرنا أننا ما زلنا في غطاء (نحتاج إلى مزيد الجهد). لذلك يقول لنا القرآن: "وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ" (سورة محمد: 17) وهذا ينطبق على التعليم العام أيضًا، فمهما كانت العبارة واضحة تعتبر معقدة لمن لم يتعلم إلا قليلًا، ولكن لا يخلو من الظلم بمكان أن نعتبرها معقدة لدى شخص ماهر. ولقد أشار القرآن بنفسه إلى صفته كلامًا عميقًا ومكنونًا. فلقد كتبت في بداية الكتاب حروف ثلاثة لم يتوصل إلى فهم معناها إلى الآن ولو بعد جهد كبير أفرغ لذلك، ويكأنه نقشت في أول خطوات هذا الطريق المعنوي اللوحة التالية:

هشدار كه ره بر دم تیغست قدم را

ترجمة: تخطّ بحذر فإنّ السيف تحت قدميك.

وليس فقط في البداية بل قد نصبت هذه اللوحة في منازل مختلفة لهذا الطريق، حتى إذا فاتها المرء في منزل تذكرها في المنزل الآخر.

4. ولذلك فقد أعلن القرآن واضحاً: ليغرف الكل من هذا البحر قدر المستطاع، ولا يحاولن أحدٌ أن يحسره في إناءه الضيق. وكان الصحابة، رضوان الله عليهم، يدركون هذا الأمر جيداً، فإن لم يفهموا شيئاً في موضع منه، لم يحاولوا التورط فيه بدون حاجة. وهذا لأن القرآن كان سهلاً بيّناً بقدر الاستهداء. فكأنهم كانوا يصلون إلى أهدافهم بعد عبور هذا البحر ولكّهم لم يتمنوا أن يسخروا سعته، لأنهم قد عرفوا أنه لا نهاية له. نعم، كان كل منهم يأخذ من جواهره حسب فهمه وقوة فكره، وكان يحاول استكشاف الجزر المختلفة الواقعة على جانبي الشارع العام، كما يروى عن علي، كرم الله وجهه، أن هذا البحر "لا تنقضي عجائبه".

5. إن الذين يعتبرون القرآن كلاماً عادياً، ويعتقدون أن فهمهم يفوق المعتاد، وأن ذلك يكفي لفهم القرآن، هؤلاء يحرمون من فهم معاني القرآن حرماناً. والبعض منهم يسمي قصور الفهم هذا اعتراضاً. وأما أتباع الأديان الأخرى الذين يفهمون شيئاً من القرآن يشهدون بأن أول خطوة لفهم هذا الكتاب هو أن نعتبره كلاماً أعلى.

وفي مواضع عديدة منه قد ذكر القرآن عن نفسه أنه لن يفهمه من ينكره، وعندما سأل حوارى عيسى، عليه السلام: "لماذا تكلمهم بأمثال؟" أجاب: "لأنه قد أعطي لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السماوات وأما لأولئك فلم يُعط. فإن من له سيعطى ويراد وأما من ليس له فالذي عنده سيوجد منه. من أجل هذا أكلمهم بأمثال لأنهم مبصرين لا يبصرون، وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون. فقد تمّت فهم نبوة إشعياء: تسمعون سمعاً ولا تفهمون ومبصرين تبصرون ولا تنظرون" (متى 13: 10-17). ويقول القرآن عن نفسه: "وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ". وهكذا كان الأمر منذ الأزل، فكلما ظهر الحق

آمن به من كان يؤيده دون كلفة وتقدموا، ومن تردد أضاع هدفه، ومن أعرض عني عن الهدى. لأن العقل الذي كان يحكمه في كل شيء عندما شهد بالحق، أعرض وقال بوجود السحر فيه الذي أفكه، فقدم هواه على عقله وحاول خلق الشبهات والذرائع حتى يبرر حماقاته، لأن الفطرة السليمة بنفسها تنفر من الظلام. فحينما أغلق عين عقله كهذا أضاع ما كان قد بقي له من نور قليل. وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحالة في مواضع عدة، كما أشير إليها كذلك في الإنجيل.

#### تفسير سورة الإخلاص

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝

#### موضوع السورة على سبيل الإجمال

##### 1. المحبة

كما أن لكل عمل هدفًا ومقصودًا ينتهي عليه ذلك العمل، فكذلك هدف الإيمان وتعاليم القرآن هو محبة الله تعالى، وكانت هذه هي أساس وهدف تعاليم جميع الأنبياء. وهذه هي التي تسمى بالحياة الروحية. (لتفصيل هذا الإجمال انظر: تفسير سورة الفاتحة). أما القرآن فهو مليء بهذه الإرشادات، ولكن نجدها بصراحة في التوراة والإنجيل كلمهما. فلما سئل عيسى عليه السلام عن أسعى أوامر التوراة، قال: "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك". (متي: 22)

##### 2. الإخلاص

وكما أن محبة الله هي غاية الدين، فكذلك الإخلاص هو أساسها. فظاهر الإخلاص في المحبة يختلف تمامًا عن كونه راسخًا في القلب وراسيًا في النفس. وصدق الشاعر الفارسي:

خلقى زبان بدعوى عشقش كشاده أند أي من غلام آن كه دلش بازبان يكي است  
ترجمة: تدعي جماعة من الناس بمحبتك، ولكني أنا عبید لمن يوافق قلبه لسانه في  
هذه الدعوى.

لذلك أكّدت التوراة والأنجيل أن تكون هذه المحبة بكل قلبك ونفسك وفكرك.  
ولا شك أن هذا الإرشاد يكفي كأمر عملي. وإن وجدت معه الناحية العملية، أي  
لماذا يجب أن نفعل هذا، فلم تكن هناك حاجة لزيادة شيء. إن القرآن قد أكمل  
هذا الإرشاد، وقد أجّله لأن لكل شيء موعده. فالطفل في بداية حياته يتعلم عن  
طريق العين والإشارة لا بالأذن واللسان. وعندما يبلغ مرحلة فهم اللغة فيؤمر  
وينهى، ويعامل بالأمر على وعود قريبة التنفيذ. ولكنه عندما يعقل، فلا يتوقع منه  
أن يفعل أي شيء بدون فهمه. فيجب إظهار محاسن العمل ونتائجه البعيدة.  
وكذلك الأمر العملي يناسب الزمن الذي يكون فيه عقل عامة الأمة في مرحلة  
الطفولة، ويمثلون لأمر النبي بدون فهم، ويكون من المناسب آنذاك أن تستخدم  
المعجزات بدلاً من الدلائل، ويجب أن تكون عصا المعلم دائماً على رؤوسهم،  
وحالهم أن المعلم إن غاب لفترة بسيطة فيقوموا بعبادة العجل بالرغم من رؤيتهم  
للمعجزات العظيمة.<sup>1</sup> وعندما يطلب منهم ناصحهم العطوف أن يدعوا معه في  
الليلة الأخيرة، فيخذلوهم ويناموا كالأطفال.<sup>2</sup> وفي الأخير يتركهم دون أن يكمل لهم  
تعاليمه بعد قول عبارة قاسية جداً وهي أن "يناموا كالأطفال".<sup>3</sup>

ولكن إذا انتهت الطفولة، وبلغ العقل مبلغه، وأراد المعلم أن يمنح طالبه شهادة  
التكامل ويجعل منه معلماً كذلك، وفي ذلك الوقت يحتاج إلى الحكمة مع الأمر،  
والحجة مع الأصل، لكي تروى شجرة العمل دائماً بماء العلم، ولا يحتاج قصر

<sup>1</sup> إشارة إلى بني إسرائيل

<sup>2</sup> إشارة النصارى وحواري عيسى عليه السلام أنهم قد ناموا ملء جفونهم ليل صلبه إذ كان  
يوافق ودعه

<sup>3</sup> اعتبر عيسى تعليمه غير تام وقال إن النبي القادم سيكمله

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

الهداية إلى أي ترميم أبدًا مثل الجبل الراسخ. وتكتمل بشارة تكميل الحكمة التي بشر بها كل من الكليم والمسيح علمهما السلام.

عندما يقوم العمل على أساس من العلم، فإن ذلك يسعَى الحكمة لكونه مستحکمًا، ويسعَى السكينة والإيمان لاطمئنان القلب والروح والعقل به. لكن إن كان العمل دون أساس من العلم، فكأنه نقش على الماء، لا تحافظ عليه معجزة ولا وعد بالحوار والحجرات، وإن كان له وجود ظاهري فما هو إلا مظهر من مظاهر السراب.

برعكس نهند نام زنگي كافور

ترجمة: عجبًا! يسمّون زنگي كافورًا.

يضرب له القرآن مثلًا فيقول: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٩﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٠﴾" أي أن كلمة الحق تمنح دائمًا النتائج الطيبة بعد أن تتأصل في القلب والنفوس.

### 3. الضرورة إلى المعرفة والحجة لتكميل العلم

كما أن أساس العمل هو العلم، فإن أساس العلم هو المعرفة والحجة، أي المعرفة الصحيحة والإيمان بعد الفهم، وبكلمات أبسط، معرفة الإجابة على "ماذا" و"لماذا". والرد الصحيح على "ماذا" هو المعرفة، بينما الرد الصحيح على "لماذا" هو الحجة. فالمعرفة تعطي تصورًا صائبًا، والحجة تمنح التصديق.

وكذلك فإن القرآن يبين بأسلوب بيانه أن التصور الصحيح يؤدي إلى التصديق الصائب، ونتيجة هذا التصديق الصائب هو صحة العمل، ولذلك ذكر العمل كنتيجة مع الإيمان دائمًا، لأن العمل إن لم يكن موازيًا للإيمان فمعناه أن وجود الإيمان اسم فقط. فبعد أن ذكر ادعاء اليهود بالإيمان وعصيانهم تسائل: هل الإيمان يدفعكم لبعض المعاصي "قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ



مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ (سورة البقرة: 93) أي دعوكم للإيمان باطلة وأن اعتبار هذا الإيمان "إيمانًا" مصطلح وضعتموه ولا صلة له بالواقع، وأن هذا الإيمان الفارغ عن الحقيقة تنبع منه شنائع المساوي.

### فائدة المعرفة

المعرفة بداية العلم، أي إذا لم نعلم ماهية الشيء، فكيف يمكن الحصول على أي علم عنه، لأنه إذا بقي شيء في البداية ولو كان بسيطاً، فذلك يؤدي إلى البعد عن العلم الأصلي في كل خطوة، وتتراكم ظلمات بعضها فوق بعض. إن الخطأ البسيط في الأساس يعتبر كبيراً. وذلك فارسم خطين متوازيين يبدأان من نقطة واحدة، وجعلنا بينهما مسافة بسيطة بقدر الشعرة، نلاحظ أن المسافة تزداد بينهما كلما امتدا إلى الأمام.

خشت اول چون نهد معمار كج      تاثيريا مي رود ديوار كج  
ترجمة: عندما يضع المهندس أول لبنة غير صحيحة فالجدار يصل إلى الثريا معوجاً.  
سمعنا الناس يقولون بأن جميع الأديان، بالرغم من الخلافات الشديدة بينها، تصل إلى هدف واحد. هذا الشيء صحيح من ناحية، ولكن من ناحية أخرى خاطئ تماماً، وأغلب الناس يميلون إلى هذا الجانب الخاطئ. إن بداية الدين، ودون شك، واحدة، ولكن النهاية مختلفة تماماً مثل الخطين المتوازيين اللذين خرجا من نقطة واحدة. ومثله مثل مسافرين خرجا من مدينة واحدة، وتوجه أحدهما إلى الغرب والآخر إلى الشمال، فكذلك الحال في الاختلاف بين الأديان. لذلك إذا أراد شخص أن يبعد الجزئيات والزوائد من جميع الأديان، ويصل إلى الجوامع والأصول، فسيجد جميع الأديان واحدة، وهذا لا يفعله إلا من كان نزياً من التقليد، منكراً لدين آبائه بل منكراً لجميع الأديان الأخرى في آن واحد، وهذا عمل صعب لا يتجرأ عليه صاحب القلب السليم، في حال التقليد لا يمكنه أن يفرق بين الأصل والزوائد، وعدم الفرق هذا يؤدي إلى الاختلافات. (المزيد من الشرح في فقرة 24)

#### 4. فوائد الحجة

ولو أن علم الحجة مبني على علم المعرفة، إلا أن الإنسان يبحث عن الحجة أولاً، ولها يبحث عن المعرفة. وزد عليها أن الحجة الكبيرة تخلق الثبات والإخلاص في العمل. فالمعرفة والحجة عضد لبعضهما، كمثال جناحين لطائر العقل إن انكسر الواحد فلا يكاد يطير. ولنوضح هذا المبحث المهم بالمثال. ذكر في القرآن: "إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ" (سورة العنكبوت: 45) ويثور هنا سؤالان: الأول: ماهي الصلاة؟ (افرض أن الفحشاء والمنكر معروفان لك)، والسؤال الثاني هو: لماذا؟ وجود هذه الصفة في الصلاة. فإذا أجبت عن هذين السؤالين بطريقة صحيحة، فلا شك أن صلاتك صحيحة، وهي لتنهك عن الأعمال السيئة، وأنت لن تتركها أبداً، وذلك لأن رغبة اجتنابك هذه الأعمال السيئة مودعة في فطرتك. فقد جاء في القرآن: "وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ" (سورة البقرة: 165). فمن هو الله؟ ما هو الإيمان؟ لماذا هو محبوب؟ إذا قمت بحل هذه الأسئلة بوضوح، فستصبح مؤمناً حقاً. ويكون الله هو الأحب إليك. ولن تخرج هذه المحبة من قلبك أبداً. وإذا تدبرت ستجد أن الجواب على "لماذا" يأتي من "ماذا"، بمعنى أن المعرفة تأتي من الإدراك، فإذا لم تعلم بطريقة صحيحة من هو الله؟ وما هو الإيمان؟ وما هي المحبة؟، لن تعلم أبداً لماذا الله أحب إلى المؤمنين، وإذا لم يعلم هذا، لم يعلم حصول محبة الله. مع أن "ماذا" تفتح عقدة "لماذا"، لكن كلمة "لماذا" تأتي في القلب أولاً، فإذا لم يأت هذا السؤال فلا يكون هناك بحث عن "ماذا". إن تطور الإنسان الشامل يختفي في هذا السؤال الوحيد، وهذا الذي يفرق بين الإنسان وغيره من الحيوانات، فكأن الفهم والتمييز، والحكمة والنباهة، مفتاحان لخزائن الدين والدنيا كلها.

#### 5. القرآن يهدي إلى الحجة والحكمة

تبين مما سبق مدى أهمية المعرفة والحجة في الدين، وأنه يبني عليهما الهدى والضلال، ومناقشة هذا الأمر بالتفصيل موضوع علم المنطق، ولا مجال لذكره هنا، ولكن أصبح جلياً هنا، وبدون شك، ما هو السبب وراء دعوة القرآن بكثرة

وتأكيداً على التفكير والتدبر، ولماذا يقول: "وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا" (سورة البقرة: 269). وأيضاً لماذا قيل في النبي ﷺ مرات عديدة أنه "وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" (سورة البقرة: 129)، وكذلك لماذا جاء في صفة إبراهيم عليه السلام: "وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ" (سورة الأنعام: 83). وفي القرآن آيات عديدة تدل على ذلك.

#### 6. الضرورة إلى الإخلاص

قد علم مدى ضرورة وجود الصدق والإخلاص في الدين، وأن شيئاً من الكذب البسيط يعتبر هنا سماً، لذلك فيذكر القرآن كثيراً أن الله تعالى يطلع على المستور في القلوب. انظر الآن إلى قضية محبة الله الخاصة، أهم شيء فيها هو الإخلاص. بل الإخلاص المضاعف. أي أنه عندما نذرن كل ما نملك من القلب والعقل والروح لمحبتة وحده فلا يبقى لدينا شيء فكأننا ضحينا بما امتلكننا. ثم انظر من ناحية أنه إن لم يكن وحيداً وكان معه أحد غيره، والثنائية باقية، فالادعاء بالبذل له وحده يكون خاطئاً. فمع الإخلاص المضاعف يجب أن نذكر صفاته التي تبين السبب لالتزامنا به.

#### 7. الحاجة إلى سورة الإخلاص

فإن كان هدف الدين هو محبة الله، وهناك حاجة إلى الثبات والصدق في هذه المحبة، فلا شك أن الحاجة إلى المعرفة والحجة ماسة، وإن كنت تشعر بهذه الحاجة فتدبر سورة الإخلاص. ولو أن هذه السورة صغيرة الحجم في الظاهر مثل الإنسان في العين بالنسبة لسائر البدن، إلا أن عالم الهداية كله منور بها، فالمعرفة والحجة اللتان نحتاج إليهما لمحبة الله تظهران في هذه الآيات جلياً، وأن نور المحبة ودفئها الذي نراه في القرآن كله قد اجتمع هنا في نقطة واحدة. فإذا آمن أتباع الأديان الأخرى بهذه السورة، والإيمان بها مسلم من الناحية العقلية أيضاً، لزال ظلام الضلال ونورت الدنيا بنور الله، وهذه هي الحقيقة لو تدبرناها. فيقول تعالى: "اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ" (سورة النور: 35).

تعتبر هذه السورة لدى المسلمين ثلث القرآن، (انظر الشرح في فقرة....)، وإن كانت هذه السورة موجودة في التوراة أو الإنجيل، لما وقع النصارى في مرض التثليث المهلك، وكانوا في زمن ضلالتهم يعارضونها لدرجة أنهم كانوا، نعوذ بالله، يطالبون باللعنة على الله الذي ذكرت صفاته في هذه السورة إن أرادوا إدخال شخص إلى دينهم. ولكن لا بد للنور أن يغلب الظلام. فنرى أن ذلك كان زمناً قد مضى، ونابه زمننا.... الذي يعترف بحقية هذه السورة، ويشهد في اجتماع النصارى بأن القرآن بدون شك كتاب سماوي. والآن علينا أن ننظر كيف يمكن أن نحصل من هذه السورة على المعرفة والحجة اللازمة لمحبة الله. فعلينا أن ننظر إلى كلماتها ماذا تعني؟ ومن "ماذا" يتضح معنى "لماذا".

#### 8. موضوع كلمات السورة

"هو الله" أي الذي نعبد هو الله، وقد بين القرآن مفهوم هذا الاسم المقدس (الله) بكل وضوح، فيراد به عند المسلمين من هو طاهر جامع لكل الكمال والمحاسن، والذي تنزه عن جميع النقائص، لا يعلوه أحد بل لا يساويه كذلك، وهذه المعاني كلها موجودة في هذا الاسم نفسه، وقد كثر في القرآن بعد بسم الله ذكر أسماء تشرح ذلك وتدل عليه. (انظر معنى اسم "الله")

فإذا شك دهرى (رافض) بأنه كيف يكون هذا المفهوم دليلاً على وجوده؟ وأن هذا من نسج خيالكم، وأن لا توجد ذات تشتمل على جميع صفات الكمال، نقول له: إن هذه المعاني أخذت من الآيات المختلفة من القرآن الكريم، وتوجد فيها دلائل على هذه الدعوى. ويراد هنا فقط بيان أن معبودنا هو الذي يجمع جميع صفات الكمال، والإعلام بالنتائج الضرورية التي تسفر عن ذلك. لذلك يلزم مع الاسم المقدس تصور الكمال. ولأن القرآن قد ذكر الدلائل في شرح هذا الاسم، فتغلب هذه الكلمة المقدسة في قلوبنا هذه الدلائل كلها التي ذكرت معه، ولكن حتى لا يبقى عذر لعدم الفهم فقد ذكر بعد هذا الاسم المقدس الصفات التي تزيل هذه الشبهة والشكوك الأخرى بشكل كامل.

9. إن العرب بل جميع الأقوام الأخرى كانت لديها فكرة وجود معبود أكبر، ولو أنهم انغمسوا في الشرك بسبب عدم فهمهم لعظمته كما كان يجب. (وهذه هي حجة الله عليهم، لماذا أصبحت عقولهم غير مدركة بالرغم من الاعتراف بكمال الألوهية والتسليم للخالق المطلق، فيعتقدون بتصرف الآخر في ملكه، ويعبدون من دون الله بعد أن نسوا التواضع والاستسلام الذي يعتبر من متطلبات العبودية وكونهم مخلوقين، وكأن الذين يعبدونهم قد خرجوا من نطاق عبودية الله تعالى). فلم يكن العرب يجهلون تمامًا مفهوم اسم الله المقدس، إنما كانوا غافلين عن سعته وعمقه، فابتعدوا عنه، وقد أوضح القرآن هذا المفهوم جليًا وبيّن أن الغفلة عن لوازمه هي في الحقيقة إنكاره، وعندما علم معنى هذا الاسم المقدس بهذه الطريقة، بيّن أن من نعبد هو الله. وأصبحت هذه الكلمة تساوي ألف كلمة. مثلاً إذا ذكرت صفات الملك، ولا يحتاج إلى ذكر صفاته المتعددة، إنما يكفي أن يقال أنه الملك.

#### الضرورة إلى تفصيل معنى "الله"

عندما يراد الإبعاد عن الخطأ في الغالب أو بيان الشيء بطريقة جذابة، يفيد التفصيل بعد الإجمال. ولأن التوراة والإنجيل ذكرت فيهما صفات الله تعالى، وقع النصارى في الخطأ، وكذلك المشركون كانوا يؤمنون بعلو الله تعالى، ولكنهم كانوا يشركون معه الملائكة ولو بدرجة أقل دون مساواتهم به.

كان هذا التفصيل ضروريًا جدًّا، وكانت الفائدة الكبرى لهذا التفصيل إعلامهم بأنهم لا يعبدون الله في الحقيقة، وإنما يدعون كذبًا، حتى يعلموا أن الشرك قد أبعدهم عن الله، وقد ذكر هذا المضمون عند الهجرة وقطع العلاقة معهم، (نوقش هذا المبحث في شرح سورة الكافرون) بأن إلهكم يختلف عن إلهنا، وقد بيّن هنا بالقول بأن معبودنا هو الله، أن معبودهم غير الله. ولذلك حتى يوضح لهم أنهم حرموا محبة الله تعالى ذكر مفهوم الاسم المقدس بالتفصيل، لكي يعقلوا ويعودوا إلى الصراط السوي. وهذا هو السبب في اختيار الأسلوب الذي يصحّح الأخطاء مباشرة. فإذا صرفنا النظر عن الأفكار الباطلة فيكفي هنا "هو الله". هذا هو مركز السورة، ولو أن كل فقرة منها رائعة.

### شرح كلمة "أحد"

10. قد ذكر في هذا التفصيل خمسة أمور؛ "أحد"، كان موجودًا عندما لم يكن لأحد وجود، وهو الآن كذلك "أحد"، وتستخدم هذه الكلمة في اللغة العربية في صفة الله تعالى فقط، ويفهم منها كونه واحدًا وليس كمثله شيء من جميع الوجوه. ومضمونها هو العلو والنزاهة من كل علاقة وجدت، فالنظر إليها بنظرة سريعة لا يصح، فإذا تدبرتها ستجد أنه هو القديم وأن البقية مخلوقات، لأن الذي وجد قبل الكل كان منذ الأزل، فالواضح أن من يكون بنفسه .... لا يمكن أن يكون....، لذلك يجب الإيمان بشيئين، الأول أنه وجد منذ الأزل، والثاني أن ما سواه مخلوقات له. وهاتان نتيجتان لكونه "أحد"، وإنكارهما خلاف للعقل. فقولنا أنه "أحد" بمثابة القول بأنه قديم منذ الأزل وخالق للجميع.

11. يشكّ المشركون أحيانًا ويتساءلون عن المعبود الوحيد، فإن وجد آخر غيره من كان قديمًا فتكون دعوى كونه "أحد" باطلة، وللدرد على هذا التساؤل يجب النظر في عدة أمور: (1) إن أساس جميع القوى هو على الذات، والقوى غير المتناهية تناقض الذات المتناهية. وبالنسبة للعقل، فإن "البقاء" مرتبة عليا تصغر عندها جميع المراتب الأخرى. فإن كان "الفناء" علامة للضعف، يعتبر "البقاء" شهادة على القوة الكاملة. (2) إذا اعتبرنا العديدين قداماء، فلن يملك أحد منهم قوة غير محدودة، فالقدرة سوف تقسم وكذلك التصرف، وكل منهم سوف يحكم عالمًا جديدًا.

يك ملك دو شاه برنتابد

ترجمة: لا يكون سيفان في غمد

فأحدهم سوف يتصرف في الرياح، والآخر في الماء، والثالث في النار وهكذا دواليك، وأمن بالعدد الذي تشاؤه من الآلهة. (3) لا يستسلم العقل لشيئين متناقضين أبدًا، فلا يمكن أن تكون ذات واحدة هي المحدودة وغير المحدودة، أو كاملة وناقصة، والآن تأمل، إن القدم يلزمه الكمال، والكمال تلزمه الوحدانية، فإن قلنا أن القديم متعدد فهذا بمثابة جمع النقيضين.

12. سمعنا الدهري يقول بأنه لا يوجد قديم، ففي الدهر يتعاقب المساء والصباح أو الليل والنهار، والصيف والشتاء، الموت والحياة، وهذا النظام كان هكذا وسيبقى هكذا، فسمّه ما شئت، باقياً أو فانيًا. لبت عقل هذا الدهري لم يته بالنظر إلى دوران الكون وما فيه، إن كان فهمه قد تعثر فليته تدبر وفكر في السر وراء الشيء الذي لا يمكنه أن ينقذ نفسه من الفناء ولكنه يعود مرة أخرى بعد هذا الفناء. فالبذرة الصغيرة بعد فسادها تصبح شجرة عالية، وبذرة واحدة نشأ منها العديد من البذور والأشجار، بذرة حقيرة أرمها أينما شئت، ودمرها متى ما أردت، فنيت بعد أن دفنت في التراب، ثم خرجت بشكل مختلف تمامًا. انظر إلى بدايتك ونهايتك، كيف كنت بدون اسم ورمز، والآن تزعم نفسك ...، ولكن الحسرة:

لائی حیات آئے قضا لے چلی چلے اپنی خوشی سے آئے نہ اپنی خوشی چلے

ترجمة: جاء بنا الحياة فجئنا، ورجع بنا الموت فرجعنا. لم نأت برضانا كما لم نرجع برضانا. فكيف يمكن للعقل أن يستسلم أن جميع نظام العالم والذي تعتبر فيه كل ذرة مليئة بالحكمة، أن يسير بدون حكيم قادر يحكمه، فيأتون ويذهبون هباء دون أن يحكمهم أحد. إذا مررت بمدينة ورأيت الناس فيها يعملون بجهد ونشاط، وكل عامل مجبر على القدوم إليها ثم الخروج، ولا أحد يعتبر المقيم الأبدي في هذه المدينة، ألن تتساءل إن كانت هذه المدينة تحت تصرف أحد يرسل إليها العاملين بنظام، وهذا هو المثال لحياة الإنسان والحيوان اللذين يعتبران مخيرين ومتحركين في الظاهر، ونجد فيهما العلامة على عدم كونهما تحت تصرف أي حاكم. فإن كان هذا حالهما، فما بالك بالأشياء التي سخرت تمامًا وهي تعمل عملها، كيف نعتبرها غير خاضعة لتصرف حاكم عليها.

13. كما اتضح من كونه الأول أنه خالق الجميع، تبين كذلك أن جميع النعم هي من عطائه، فهو في غنى عن الجميع والجميع محتاجون إليه، وهو المبدأ والأصل لكل المحاسن أينما وجدت، لذلك يجب لكل محتاج وكلف بالمحاسن أن يتولّى وجهه نحوه.

مفهوم اسم الله أسى بكثير من مفهوم الوالدين

14. اتضح من كونه الأول كذلك أن كل العلاقات المرتبطة بنا مثلاً الوالدين، الأولاد، الأقارب، الأصدقاء، المحسنين وما يتعلق بهم، كل ذلك يعتبر حقيرًا جدًا مقارنة مع علاقتنا بالله، فهذه العلاقات مؤقتة وغير ثابتة بالرغم أنها مما منحه الله بنفسه. فخلافاً للعقل والعدل تمامًا أن نعتبر هذه العلاقة السامية موسمية لدرجة الأب على الأكثر، ولكن يمكن اعتبار الأب مثلاً ناقصاً لله (الواله للغاية)، ويمكن الاستفادة من ذلك في التعليم الابتدائي للدين. ولكن عندما أعطي المفهوم السامي للاسم المقدس، فمنااداته بالأب يدل على أنهم لم يفهموا معنى أعلى من الأب، ولم يصلوا إلى مفهوم "الله".... لذلك لا يملك النصارى كلمة يدعونها بالاسم المقدس، فهم يستخدمون كلمة واحدة لله والملك والحاكم والأمير، وعندما يسمون مريم عليها السلام بأُم الله ترتجف قلوبنا، الله أكبر! أين كبرياؤه من هذا الدنو، فإن كانوا يعلمون مفهوم الاسم المقدس لم يلفظوا هذا الشيء بألسنتهم.
15. بالرغم أن هذه العلاقة هي أحب العلاقات إلينا:

ہم اس کے ہیں ہمارا پوچھنا کیا

ترجمة: نحن أولياؤه فلا نناقش

إلا أن مفهوم وحدانيته لا يجعلنا مغرورين، فنشكره على رحمته الواسعة، ولكن لا نقوم بإنزاله من درجة ألوهيته لندعوه أباً أو أخاً، وهذا هو المفهوم الذي يتبادر إلى الذهن من كلمة "أحد"، وأما المفاهيم الأخرى فتأتي لاحقاً، ولذلك فقد أغلق باب الضلال من البداية.

16. ففهم من هذه الكلمة معنى الاسم المقدس الله بكبريائه وألويته وكونه خالقاً مطلقاً والرحمة العامة وكونه محبوباً، وقد حصلت هذه المعاني من هذه الكلمة تدريجياً، لذلك لا نفهم المعاني الأخرى غير المعنى الأول دون التفكير والتدبر، ولكن القرآن يؤكد علينا أن نتدبر ونتفكر، وقد حثت آيات كثيرة على ذلك. (التفكر عبادة العقل)



### شرح "الصَّمدُ"

17. إن بعض المعاني التي كانت تنعكس في "أحد" والتي فهمت منها بعد التدبر، تم توضيحها بـ"الصمد"، فالبعض بسبب قصور فهمهم واعتبار وحدانيته ونزاهته لم يتوجهوا إلى نعمه التي لا تعد ولا تحصى، واعتبروه منطويًا علة العلل، ولذلك مسّت الحاجة للتصريح بمعنى الصمد، فهو بلا شك غني عن الكل، لكنه يساعد الجميع ويأخذ بأيديهم، فلا قبله سواه للنصرة والمساعدة، وبكونه مصدر القوة والإحسان يمنح عند السؤال، وهو الذي يمنح رغبة السؤال، أي يعطي بعد أن يجعلنا نسأل، بل يمنحنا بدون سؤال، ولكن إن لم يقبل به أحد فهذا خارج من نطاق عمله، فالعبودية مسؤوليتك، ولن يأتي هو ليقوم بالعبودية مكانك. ومن العجيب اعتقاد النصارى بأنه قد كفر عن ذنوبهم، لو كان هذا ممكنًا، لعمل الحسنات لنا، ولجعل حسناته اللامتناهية كفارة لنا.

### المعنى اللغوي لـ"الصَّمدُ"

18. يقال الصمد للصخرة الكبيرة، لأن الناس تلجأ إليها وقت هجوم الأعداء، لذلك قيل لسيد القوم وكبيرهم الذي يحيي الجميع "الصمد"، وقد سمي الله تعالى في الزبور والكتب المقدسة الأخرى بالصخرة أو صخرة النصر، (الدليل على ذلك يوجد في تفسيرنا "نظام القرآن")

### البلاغة في تركيب صفتي "أحدٌ" و"الصَّمدُ"

الأحد والصمد صفتان ثابتتان، وهي تقابل بعضهما في الظاهر، ولكن صفات الله جميعها هي مظاهر لذات واحدة، إذا تدبرت واحدة منها وجدت باقي الصفات قد دخلت فيها، فالصفات المختلفة ليس معناها أنها مركبة، فإن كان هناك تقابل فهو في الظاهر فقط، كما سبق في تفسير "أحد"، وعندما ذكر أحد وصمد في مكان واحد، أزال بذلك الشبهات التي كان بإمكانها أن تضل عن الطريق السوي.

وجعل من هاتين الصفتين المتقابلتين في الظاهر مرآة للمعرفة الإلهية الكاملة. في الحقيقة لأنه لا وجود للثنائية هنا، فتصور هاتين الصفتين مع بعضهما، والثبات على ما ينتج عن ذلك من حالة متوسطة بين الخوف والرجاء أمر صعب جدًا، ويصعب جمع الصفات المتقابلة في صفات الله لأن كل صفة له هي صفة غير متناهية، ولذلك لم يتحملة عقل المجوس وآمنوا بالهين اثنين، والهندوس آمنوا بثلاثة دون الحاجة، المحيي والمحافظ على الحياة والمميت، ولكن عندما جاءت الثنائية ذهب الكمال. ومع ذهاب الكمال رحل البقاء. فاعتبروا وهمًا لا وجود له إلههم، وما الذي يمكن الحصول عليه من الارتباط بالمعدوم.

"لَمْ يَلِدْ"

19. كان هذا الأمر واضحًا، وقد بيّنه من قبل، ولكن شاء أن يخرج ظلال الشرك من جميع الجوانب الضيقة، ويمنح النور الشامل الذي من أجله أنزل هذا الكتاب للعالم كله، حيث بيّن عيسى عليه السلام بعد أن تنبأ عن النبي ﷺ إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كلما يسمع يتكلم به، ويُخبركم بأمور آتية" (يوحنا: 13:16) لذلك فقد أوضح القرآن الحق بشكل كامل، حتى لا يبقى عذر للضالين، ولا يجد الباطل مكانًا يلجأ إليه.

20. منحت الأقوام السابقة الهداية حسب تحملها، كما ذكر آنفًا في كلام عيسى عليه السلام، وكذلك بيّن موسى عليه السلام عندما بشر بالنبي ﷺ "أقيم لهم (إسرائيل) نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به" (تثنية 18:18) لذلك أتم الإرشادات في هذه النبوة الأخيرة، ولذلك نرى كم أصبحت تعاليم التوحيد خالصة مليئة بالنور.

21. لا أعتقد أن هذا الأمر كان غير مفهوم للأمم السابقة، ولكن إذا سألت الأمم الأخرى تجد أن هذا الدرس صعب لهم حتى في زمننا هذا. يكفي أن نذكر هنا

شهادة المؤرخ الشهير غبن الذي يقول: "أما عقيدة محمد فقد خلت من الشك والإبهام. والقرآن شهادة مجيدة على وحدانية الله. ورفض بني مكة عبادة الأصنام من البشر ومن الكواكب والنجوم، تطبيقاً للمبدأ العقلي بأن كل ما يبزغ فهو إلى أفول، وكل ما يولد فهو إلى ممات، وكل ما يقبل الفساد فهو إلى الانحلال والزوال. وقد آمن في حماسه العقلي، كما عبد، في خالق العالم موجوداً خالداً لا حد له ولا شكل ولا مكان ولا عقب ولا شبيه، حاضراً في أسرارنا الخفية، موجوداً بطبيعة وجوده، متصفاً بذاته بجميع صفات الكمال الذهني الأخلاقي. وهذه الحقائق السامية، التي عبر عنها النبي على هذا النهج، آمن بها أصحابه إيماناً لا يتزعزع، وحددها مفسرو القرآن بدقة ميتافيزيقية. وأي فيلسوف يؤمن بوجود إله يمكنه أن يقر بعقيدة محمد المألوفة. وهي عقيدة ربما أسى من عقولنا في الوقت الحاضر". قد أقر غبن بكل وضوح بأن المفهوم السامي والصحيح للاسم المقدس بعيد عن فهمهم، لكن النصارى وأتباع الديانات الأخرى يقرون عملياً بأنهم لم يصلوا حتى الآن إلى هذا المفهوم. ليتهم قبلوا بنور القرآن واختاروا العقيدة السامية الدالة على الحكمة بدل عقيدة الجاهلية الدنيئة.

### الشرك ينافي الفطرة

22. عندما نرى غلبة عبادة الأصنام وعبادة الأموات على الطبائع العامة، نتساءل: هل الشرك من الفطرة؟ وهل عبادة الله الخالصة أسى من العقل البشري؟ لماذا بدأت عبادة الصور في النصارى ولم تمر عليهم ستة قرون بعد، بالرغم من المنع الشديد في التوراة؟ ولماذا عبد اليهود الأصنام مرات عديدة، مع كون التوحيد أول أمر في التوراة؟ ولماذا وضع أولاد إبراهيم أنفسهم الأصنام في البيت الذي عمره محطم الأصنام الأول وهو الذي ترك وطنه وسكن في واد غير ذي زرع لأجل التوحيد؟ والقرآن يؤكد أن التوحيد هو دين الفطرة، ولكن نعلم من النظر إلى أحوال الأديان الأخرى أن التوحيد الخالص أسى من الفهم البشري. فكان من الضروري الإجابة على هذا السؤال. والقرآن عندما يصدع بهذا، يرد على هذا السؤال أيضاً، ومن المناسب أن نذكر إجابة من أكد ونحاول أن نفهمها.

23. قد أكد في سورة الروم (الآيات: 28-54) أن دين الفطرة هو التوحيد الخالص مع بيان الأدلة. فانظر إلى الشرح المفصل هناك، ونذكر هنا ملخص ما قلنا.

إن علامات الحكمة والرحمة التي يراها الإنسان في العالم كله، والانجذاب الذي يشعر به تجاه الرب أثناء المصيبة، تبين له أنه يحصل على الشهادة من الداخل والخارج بوجود حاكم مطلق. ولا يجد مثل هذه الشهادة للأصنام أو الأموات، ولكن الفطرة البشرية ليست مثل الحيوانات الأخرى، فقد جعلوا عبيدًا، ومنح هو الحرية، الحرية التي يلزمها أن يتقدم بكل جهده، فالحيوانات وضعت على طريق معين وهي تلتزم به، ولكن الإنسان ترك في الدنيا بعد أن منح العقل والقدرة. فقدرته هي فطرته، وكل التقدم الذي وصل إليه الإنسان هو من آثار قدرته، ومن ثمار فطرته. ولا يختص أمر كون القدرة فطرة مع الإنسان، فصغير الطاووس الذي لا يعتبر إلا قطعة من اللحم، عندما يبلغ، نعتبر ألوان ريشه الجميل من فطرته، كذلك الطفل الذي يعتبر ضعيف الجسد بل ضعيف العقل مقارنة مع أغلب الحيوانات، لماذا لا نعتبر سلامة فهمه وقوته فطرته عندما يبلغ مرحلة الشباب. فمعنى الفطرة واحد في الإنسان وغيره، ولكنه يختلف عن الباقي في شيء لا يوجد لديهم، يكون في البداية ضعيفًا بدون قيمة، ولكنه في النهاية يتفوق على الجميع. ولم يمكن الوصول إلى منتهى قوته إلى الآن، ولكن هذا بين أمرين ضعيفين، وإن لم يكن كذلك لكان الادعاء الفرعوني غير ملائم له. ومن الممكن أن يضل الإنسان الطريق في الأغلب، فقط يكون فطرته تقطع مراحل كثيرة من التطور، فكانت حرية الرأي وطول الطريق من نصيبه، ومع هاتين المشكلتين كانت هناك مشكلة ثالثة، وهي وقوفه في منتصف طريق الخير والشر، الذي بدونه تعتبر كلمة الحرية لا معنى لها، وكانت الفترة لتقدم المراتب قصيرة، ولذلك كان الجهد والانجذاب من لوازم فطرته، والتقدم بين نزاع الخير والشر، وإخضاع النفس الأمانة والعقل السائب للطاعة من ضرورات فرائضه.

إن الله قد وعد بمساعدة الإنسان بعد وضعه في هذه المصاعب، وأوجد له أسباب الهداية في الداخل والخارج. فكما أوجد مهد الأم للطفل العاجز، بعث الرسل للبشرية، فالإله الذي عطش الأرض الجدياء بالماء، يعمر القلوب الخاوية بكلامه، وكما يفجر

العيون من بعض الجبال العالية، يرسل كلامه الإلهي من بعض القلوب السامية. فإذا انصرف الإنسان عن الله بعد كل هذه الأسباب، فذلك ليس نتيجة للفطرة ولكن بسبب اللامبالاة والغفلة. فإن وجدت في التاريخ أمثلة عبادة الأصنام، وجدت أمثلة أقوى لإبطالها، إن غبار الشرك يستولي على وجه التوحيد رويداً رويداً، ولكن لمسة بسيطة من التوحيد تتغلب على ظلام الشرك. والنتيجة البديهية هي أن الفطرة البشرية تتناسب مع التوحيد، وإلا لما تسارع إليه وأبطأ في الناحية الأخرى.

فقد ثبتت قضية وجود التوحيد في الفطرة، ولكن يبقى السؤال: من أين يولد الشرك؟ ولو أن الشرك ليس جزءاً من الفطرة، إلا أن هذا المرض كثير الانتشار ومهلك مما يجعل من الضروري البحث عن أسبابه. وإلا كان اجتنابه مستحيلاً. وهنا لا حاجة للتفصيل وهذا ليس موضعه، وكفي كأساس أن نعلم أن للشرك سببين فقط: الغفلة والدناءة. الأول عقلي والثاني خلقي، وكلاهما فقد الموهوب، لأن الغفلة هي أن لا يستخدم الإنسان عقله الذي يعتبر أفضل هدية من الخالق. ويتبع الأوهام الباطلة في عقائده والفوائد العاجلة في أعماله. والدناءة هي أنه بالرغم من تتويجه بتاج الخلافة، يتخذ من مخلوق معبوده، وبالرغم من منحه مكاناً في القربى، ينغمس في ملذات العالم الفاني.

شرح "وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ"

بياض<sup>1</sup>

نتائج هذا التعليم في هذا النشء

عندما كان الإله هو الملجأ والملاذ للجميع، والكل في العالم يتوجه له، صار جميع عبيد الله في مستوى واحد من العبودية، ومحيت كل الفروق التي تجعل بني آدم يتفوقون على بعضهم. فأصبح الغلام والسيد في مستوى واحد. وصارت حقوق

<sup>1</sup> توجد صفحة فارغة هنا في مسودة المؤلف، وكأنه تركها للتكميل فيما بعد، ولكن للأسف بقيت الصفحة فارغة.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

الرسول وعامة الأمة واحدة، فقد وزّع النبي ﷺ الفيء بطريقة متساوية بينه وبين بقية المسلمين. وعندما تم اختيار النقباء من الأنصار جعل له نقيباً، ولكن وجب احترام الفروق الفطرية والضرورية. فمثلاً يفرض على الجميع طاعة الرسول. وتم الاهتمام بنوع من العلو الذي يعتبر ضرورياً للأدب وتأسيس المجتمع. مثل وجوب احترام الوالدين والأساتذة. ولكن جعله معتدلاً بحيث لا يمكن النزول عنه، فمنع النبي ﷺ من القيام له كما يقوم العجماء، وكان يتخذ مجلسه حيثما ينتهي المجلس. وكان لا يناقش خادمه في أي أمر. وعندما قام شخص بتقديم الاحترام لكونه رسولاً قال له بأني بشر مثلك. انظر إلى أحوال أبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم جميعاً، كانوا ملوكاً في لباس الفقراء. انظر إلى مشي عمر مع أن رسوله كان راكباً، وحمله الطعام على ظهره إلى بيت امرأة عادية، مع كونه ملكاً لثلاث حكومات عظيمة كانت تدعي بنفسها امتلاك الأرض. إن الإسلام يسقى صبغة الله لأن الاصطباغ به يمعي جميع الألوان الأخرى. وهذا هو الاصطباغ الروحي. وهو ما يسقى بالفطرة البشرية وهي التي سجد لها الملائكة:

بر در میخانه عشق أي ملك تسبیح گو      كاندر آنجا طینتِ آدم مخمری كنند  
ترجمة: أيها الملك: سبّح على عتبة حانوت العشق لأن فيها أبناء آدم يشربون الخمر.  
وهذه هي حانوت العشق التي تسمى بالإسلام والتي تدار فيها كأس التوحيد ويوطأ طاعمها تاج كسرى وتاج قيصر تحت قدميه.

بر در میكده رندان قلندر باشند      كه ستانند ودهند أفسر شاهنشاهی  
ترجمة: شاربوا الخمر باب الحانوت هم الفقراء، لأنهم يجدر بهم هذا وهم كملوك أعظم.

ولكن هذا يحتاج إلى وسع في القلب. فجيلة عندما سمع أمر الخليفة أن الإسلام قد ساوى بين جميع أفراد المجتمع من عال ودان، وأن كلاً من الملك والفقير يقفان هنا في مستوى واحد، لم يتحمل وأصبح نصرانياً. مع أن تعاليم عيسى عليه السلام أيضاً كانت تدعو إلى الوحدة وقد أبلغها إلى العالم من قبل، وهذا هو

السبب في أن أمته كانت جاهزة للإسلام، وقد أخبرهم أن دخول محبي متاع الدنيا إلى هذه الحكومة الإلهية صعب كدخول الجمل في سم الخياط، لأن الحكم فيها يكون بامثال الفقر. وعلى الجمل أن يلج في سم الخياط. فكان التعليم الأساسي هو ترك الأموال وتعويد النفس على التحمل، ومحو حب المال من القلب، حتى إذا منح المال اعتبره حقيرًا. ولكن لا يمكن بناء سفينة نوح من الخشب الفاسد السيء، فبالرغم من مهارة المهندس لم توقّر لهم الأسباب وبالرغم من وضع السفينة قاموا بغرق ما بقي لهم.

أضاعوني وأي فتى أضاعوا

### التوحيد في الحقوق

مع كون الدين من الفطرة البشرية، وأن الإنسان سووي بينه وبين الآخرين وقد جلب إلى فطرته الأولى، فكان من الضروري أن يكون لهم قانون عام واحد، انظر إلى شريعة موسى تجد أن قبيلة لادي خصصت للخدمة الدينية. وبدون شك حددت لهم حقوقهم مثل البراهمة، وكان يلزم كذلك بسبب طريقة العبادة المقررة، ولكن الإسلام لم يجعل فريقًا من رجال الدين، فكان كل شخص كاهن نفسه. وقد اكتفى بتكبيره واحدة للأضحية، وأبطل جميع التصرفات التي كانت مثل الأغلال في الأعناق وكانت تخفي وجه عبادة الله الحقيقي من نثر الدم على المذبح وحرق اللحم والشحم والكلية. وبدل أن يطمئن القلب بوصول الدخان إلى السماء كدليل على وصول النذر إلى الله، بيّن طريقة الأضحية الصحيحة بأن نطعم من يتلوى بنار الجوع من عبيد الله. وأن يرسل بخور شكرهم ودعائهم إلى السماء. فهنا كل قلب يعتبر مذبحًا، إن الذي يضحي والذي يأكل الذبيحة متساويان. ولذلك يتساويان في الأكل. وهذه هي الطريقة الفطرية والحقيقية للدعوة الإلهية. فهو "الأحد" لا حاجة له للطعام، وهو "الصمد" الذي تصل إليه الأضحية إذا أطمع الطعام. إن جميع أعمال دين الفطرة هذا وضعت على أساس سوي واضح بحيث لا يوجد مكان للعلو أو الدنو أو اللف والدوران.

الأهمية

تبين مما ذكرنا أن هذه السورة تعطي درس التوحيد الحقيقي الخالص الكامل، وهذه هي روح الدين، وهذا يكفي لأهمية وعظمة هذه السورة، ولكن تكمن فيها حقيقة كبرى أيضًا، فإنها مثل الإكسير الذي استأصل به أمراض البدع المهلكة، فكأن تعاليم هذه السورة قطعت دابر الضلال الديني واستأصلته، وهذا الإجمال يحتاج إلى مزيد من التفصيل.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> وقد وضع المؤلف الملاحظات التالية للبحث في المستقبل:

1. البدعة البوذية

2. البدعة الهندوسية

3. البدعة اليهودية

4. البدعة النصرانية

وكأنه أراد أن يبين بدعات هذه الأديان الخاصة بذات الله وصفاته، والرد عليها ولكن للأسف بقي هذا المبحث غير تام.



## ترتيب ونظام القرآن الكريم

- المعلّم عبد الحميد الفراهي<sup>1</sup>

ترجمة من الأردوية: د. أورك زيب الأعظمي<sup>2</sup>

كما أنّ أقسام الكلام مختلفة فكذاك تختلف أصول ترتيبها ونظامها فيمكننا أن نوزّع هذه الأقسام إلى صنفين نظرًا لنظامها فأولهما مظهر وهو ما يكشف إلا عن الوقائع أو الحقائق ومثله مثل الكلام الذي يحتوي على الشرائع والأحكام أو التاريخ والقصص أو علوم الطبيعة والحساب. وأما الصنف الآخر من الكلام فهو مؤثر يحرك المرء ويثير فيه الحماس أو الاشتياق، الرغبة أو النفرة، السرور أو الغم. ومثله مثل الكلام الذي يشتمل على النصيح أو النقاش أو المدح والهجو، أو السرور والهم وما شابهها.

ولو أنّ هذه القسمة العقلية توزّع الكلام إلى صنفين مختلفين تمامًا ولكن الكتاب، في معظم الأحيان، يخلطون بعضهما البعض لسبب ما فإنهم، مثلاً، يخفون في صفحات التاريخ ما يحمّس القراء، وعلاوة على هذا نجد في التاريخ وقائع تثير القلوب كمثال شهادة مظلومي كربلاء ولكن الكلام لا دور له فيها حتى ولو اكتفى أحد ببيان واقعة الشهادة فنقول إن هذا الأثر لم يخلقه أسلوب الكلام بل أثارته هذه الوقائع وعلى هذا فلا يكون هذا الكلام سوى ذكر الواقعة أو صورة بيانية لها، ولكنه حينما نحاول أن نقدّم صورة هذه الواقعة بنفس الأسلوب والطريقة التي كان يشهدها الناظرون في تلك الفترة فنضطر إلى ترتيب مختلف وصياغة جديدة، ونصير آنذاك شعراء أو أدباء بدل أن نكون مؤرخين يدوّنون الوقائع.

<sup>1</sup> شخصية خصصنا هذا الجزء بسيرتها وأعمالها

<sup>2</sup> مدير تحرير المجلة وأستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة المليية الإسلامية (نيو دلهي)

فالبديهي أن تكون هناك أصول مختلفة لترتيب هذين الصنفين من الكلام، ولا نخوض في أصول ترتيب الكلام المظهر بهذه المناسبة فلا يعني هنا سوى ترتيب القرآن وأغلبه متعلق بالكلام المؤثر، الذي حرك الماء الجامد للعرب بحيث تحوّل إلى سيل نطح أبواب فاران ولم تمض مُدَيِّدَةً إذ أحاط بالعالم كله وجرف من وجهه دناسة الكفر والشرك. صدق الشاعر الأردوي حالي حيث قال:

وه بجلى كا كركا تما يا صوت هادى      عرب كى زمين جس نے سارى هلادى

ترجمة: كان رعدًا من البرق أو صوتًا من النذير، الذي قد زلزل أرض العرب كلها. فلا نتناول بالبحث إلا ترتيب الكلام المؤثر، ولكن قبل أن نحاول تقديم الفرق بين الكلام المؤثر والكلام المظهر بأمثلة مما يلي --- وبضدها تتبين الأشياء.

هَبْ أَنْ الأدوية المفردة وضعت في دكان العطار بترتيب خاص، لم يفعل العطار كذلك سوى أَنْ يسهل له صيانتها، والبحث عنها، وقنيتها بقدر كبير، ولكن إذا وجدتها مرتبة في علم الأدوية فيراعى فيه الآثار التي تبدو بفطرتها، ولكن إذا رتبها طبيب لكي يعالج مريضًا فيحدّد قدرها فيزيد وزن بعضها كما ينقص زنة الآخر وكذا يبدّل وصفه في بعض الأحيان فيدخل فيها بعض الأجزاء الجديدة ويزيل بعضها القديم لكي يحصل له الأثر الذي يريد خلقه في مزاج المريض فلا يكون ترتيب الطبيب مختلفًا عن ترتيب العطار فحسب بل يكون أكثر تعقيدًا وأصعب فهمًا فإذا أراد رجلٌ جاهلٌ أَنْ يجد فيها ترتيب العطار يجدها مرتبة ترتيبًا أخطب ويجد تناقضًا في مختلف الصفات وعسى أَنْ يقول إِنَّ الطبيب وصف ذات مرة ما خالفه في المرة الثانية، ولكن هذا الترتيب يبدو جليًا إذا عرف أَنْ مزاج المريض قد اختلف باختلاف الحالات وبسببها اختلفت الصفات.

فلا يراعى في ترتيب الكلام المؤثر إلا أثر المخاطب. والآن نريكم مناهج ترتيبها. إِنَّ هذا الكلام يخاطب جماعة خاصة ولذا يوافق وحالتها، وبما أَنْ حالات البشر وحالات القرون المختلفة تتغير فلا يمكن أَنْ يناسب لباسٌ كلّ بدن فلا يؤثر الكلام

من ليس مخاطبه الحقيقي ولا يناسبه فلا يعتقد كل دارس للقرآن عند دراسته سوى أنه هو المخاطب له والحال أنه موجّه إلى جماعة لا توجد فينا حالاتها وأفكارها وعواطفها وأوهامها.

وسائل كشف نظام القرآن: يجب علينا أن نقف تمامًا على مدنية عهد نزول القرآن.

(1) لنعرف أديان وعقائد يهود تلك الفترة ونصارها ومشركيها وصائبها.

(2) لنعرف أوهام العرب العامة.

(3) ولنعرف ما هي الوقائع التي حدثت أثناء نزول القرآن ثم ماذا قالت فرق العرب المختلفة وأدلت به، وما هي الشجارات المحلية والمدنية التي وقعت ومن ثم ما هو النزاع الداخلي الذي وقع بين العرب كلهم.

(4) ولنعرف كذلك مدى وحشية العرب وفظاظتهم ومن ثم أي نوع من الكلام يمكن تأثرهم به؟

(5) وهكذا لنعرف ذوق العرب اللغوي، وأي نوع من الكلام اعتادوا ممارسته، وما هي الطريقة التي كان يطردها خطيبهم خلال الجلسات والمفاخرات وكيف كان يستعمل مختلف أساليب الخطابة من الإيجاز والإطناب، الترصيع والترتيب، وما شابهها.

(6) وفي النهاية لنعرف درجات الأخلاق أعلاها وأسفلها. ولو أنها تفيدنا في فهم أحكام القرآن كثيرًا إلا أنها ينبغي مراعاتها لدى البحث عن نظم القرآن.

ومن هذه الأمور المذكورة أعلاه ما هو متعلق بالتاريخ فتكفيه كتب التاريخ ولا أودّ الحديث بهذا الشأن سوى أنها يجب مراعاتها حين فهم القرآن ولكني أودّ أن أفصّل عن أساليب خطابة العرب.

نثر العرب: لم يتم تدوين نثر العرب سوى بعض الكلمات والخطب الموجزة التي ورثها العرب تبرّكًا بها فلا نمتلك سوى نثر يسير من أمثلة النثر العربي الجاهلي:

(1) مما يعيننا في معرفة طريقة كلامهم فما جمعه الجاحظ من الكلم والخطب لا تتجاوز العشر.

(2) ولا شك أن "نهج البلاغة" يحتوي على الخطب الطويلة إلا أنها كلام رجل واحد فحمل صفاته على صفات الجميع لا يصح وثانيًا أن المحققين من العلماء لا يعتبرونه كلامًا عمره يسبق القرنين الثالث والرابع فأصول الدراية تنفي كونه كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(3) وأما الأحاديث فهي مروية بالمعنى أولًا وثانيًا هي موجزة للغاية وثالثًا هي جوامع الكلم فهي ليست مثل فقرات حماس وارتجال كما اعتاده الخطيب.

وعلى كل حال هذا هو التراث النثري العربي الذي يدل، ولو قليلاً، على أساليب كلام العرب المنتور، ولكن على الرغم من ذلك فالقرآن تراث كامل بنفسه، ولو أننا نحتاج إلى كلام آخر نستدل به على خصائصه كما هي العادة لدى البلاغيين والنقاد ولكنه يمتلك أشياء بإمكانها أن تكون نظراء لها فركزوا النظر فيها واكشفوا عن محاسنها:

أفتاب آمد دليل آفتاب      گر دليلش خواهي ازوے رو متاب

ترجمة: الشمس دليل على وجودها، فإن تبحث عن شاهد عليها فلا تول وجهك عنها. ويبدو مما نجده من نثر العرب ونظمهم أن القرآن كعادتهم فقرات مسجعة في بعض مواضعه مثل سورة المدثر وغيرها من السور المتشابهة. فهذه السور تشابه النثر العربي تمامًا ولكن المواضع التي نجد فيها الكلام سلسًا للغاية ومؤثرًا شديدًا حيث لا يشبه الكلام أمواجًا قصيرة للأنهار بل هي كمثل تلاطم البحر الهياج وشدة وضوء الشلال، يمدّ الكلام ويجزر، يتوسّع نشرًا فيقلص لفًا كما تجده في سورة البقرة وغيرها من السور --- لا تجد نموذجًا لهذا الكلام في نثر العرب ولكن السبب ليس في أن خطب العرب كانت مسجعة ومقتضبة محضًا بل صعب للرواة حفظها وصيانتها فالفقرات المسجعة سهل حفظها ولكن من يقدر على

حفظ الخطب الطويلة التي يصعب ملقيها أن يعيدها فهل كانت خطبة أبي بكر رضي الله عنه في بني سقيفة التي جمع شتات العرب كانت موجزة كمثل ما بلغنا فقد قال عمر رضي الله عنه بنفسه: لم يترك شيئاً أنزل في الأنصار والمهاجرين ولا ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم إلا ذكره". فإن بلغتنا خطب العرب البليغة بكاملها لكانت هي دليلاً على أساليب القرآن وطرق بيانه.

لم خفي نظم القرآن؟: خفي نظم القرآن على العلماء بأنهم إما درسوا القرآن كمجموعة قوانين وأحكام أو اعتبروه كتاباً يضاهي بكتاب علي بحت. وذلك فإن صحف الأنبياء بعض أبوابها تسمى بالوعظ والآخر بالغناء والثالث بالرؤيا والرابع بالتاريخ وهلمّ جرّاً فنجد أساليبها مناسبة لما سميت بها ولكن القرآن الكريم قد ظنّ مجموعة أحكام أو كتاب العلوم فإن كتبت عناوين خاصة لكل سورة أو وزعت السورة إلى قطع وفقرات لظهر الترتيب وفوق ذلك زاد الطين بلة الاعتقاد بأنه نزل منجماً فالبحث عن أي ترتيب ونظام فيه محاولة لا تعود بفائدة.

ومن أسباب خفاء نظم القرآن أنّ العلماء استنبطوا المسائل من كل كلمة قرآنية راغبين في نصية ما استنبطوه منطقياً وعلى هذا فلم يراعوا ما قبلها وما بعدها. مثلهم مثل البخاري الذي ذكر حديثاً في مختلف الأبواب فاستنبط منه المسائل العديدة فكذلك ظنّ المفسرون كل آية منبعاً للمضامين المتنوعة وبهذا صعب لهم احتواء الآية على أمر مركزي وآخر ضمني، وبالجملّة فقد فاتهم نظم الكلام الموجود في الآيات.

ترتيب الكلام المؤثر: المضمون المركزي أو عمود الكلام في كلام مؤثر يكون تارة واحداً وأخرى متعدداً، وبجانب عمود الكلام كثيراً ما يشمل المدخل والختام أجزاء هذا الكلام. وإذا كان عمود الكلام خفياً كما هي عادة القرآن، ولأن المدخل يكون تارة موجزاً وأخرى طويلة، تارة قريبة وأخرى بعيدة، تارة مفرداً وأخرى مسلسلاً، فلا يظهر العمود ما لم نتدبر الكلام كله بإمعان النظر.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

شبه الشاه ولي الله<sup>1</sup> القرآن بفراامين الملوكة التي تشمل مختلف الأوامر والإرشادات حسب الضرورات وطبق الأحوال وبما أنها تفقد العناوين فهي تبدو غير منظمة. وبما أن الناس في تلك الفترة كانوا ملتمين بالأسباب وراءها فكانوا يوقنون بأنها مناسبة للمواقع والضرورات ولكن مناسبتها تلك مختفية اليوم. فكان الشاه ولي الله لم يؤمن بالترتيب ولا اعتبره ضروريًا. هذه الفكرة صائبة إلى حد ما ولكن بجانب هذا يلزم علينا أن نقرر تلك العناوين فنجعل الفقرات (الأحزاب) تابعة لها.

<sup>1</sup> الفوز الكبير للشاه ولي الله الدهلوي (ترجمة عربية: سليمان الحسيني الندوي)، ندوة العلماء، لكتناؤ، 1984م، ص 127-128

## أفكار أثناء ترجمة معاني القرآن

- المعلم عبد الحميد الفراهي<sup>1</sup>

ترجمة من الأردوية: د. أورك زيب الأعظمي<sup>2</sup>

1. الأساليب مشتركة كمثال المفردات مثلاً الاستفهام الإنكاري يأتي بكلتا المناسبتين الزجر والتسكين، ومثلاً أما يستخدم لكلا الهدفين التقسيم والمقابلة.
2. لكل من الإيجاز والإطناب أثران مختلفان فلا بد من مراعاتهما لدى لترجمة.
3. وكذا القصة والتعبير عن العواطف روح للكلام فتغيرهما تشويه لصورة الجملة، وكلام الناصح يختلف عن كلام القائد والخطيب والنبى والله جلّ جلاله وذلك لأن الكلام يدلّ على أهمية وعظمة المتكلم.
4. ويبدو نوع العواطف وقدرها من الكلمات الخاصة والتعابير وتركيبها. ولقد خصّ استعمال الكلمات كمثال أمزجتها وتاريخ الدولة بعض الكلمات والأساليب الخاصة لبعض العواطف والمواقع الخاصة كمثال درجات المتكلم.
5. فتبديل شأن الكلام وعاطفته أكثر ضرراً، ولكن لو عرّيناه من العاطفة والشأن لكان أقلّ ضرراً ومثله مثل تبديل تعبير الملك بتعبير الصوفي فترجمة الشاه عبد القادر الدهلوي أفضل من بعض ترجمات القرآن الممتعة وذلك لأنها خالية عن العواطف وقد زاد الطين بلة كون لغتها قديمة.
6. يجب علينا أن نحصى الأمور التي تخلو منها الترجمة لكيلا يسوء ظن القارئ من كلام الله العزيز، وأتذكر أنّ أحداً حينما قرأ ترجمة القرآن تعجب وسخر منه وقال: هل الله يتحدث كما نجده في هذه الترجمة؟ والحال أنّ كلام الله

<sup>1</sup> شخصية خصصنا هذا الجزء بسيرتها وأعمالها

<sup>2</sup> مدير تحرير المجلة وأستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وأدائها بالجامعة المليية الإسلامية (نيو دلهي)

أشدّ رهبة من رعد البرق وخجخة البحر فلو أنّ قدر العواطف وعلوّها لن يبقيا ولكن لا نبذلن نوعها.

7. لن يمكننا العثور على العواطف إلا أنّ نتبع كلام العرب الجاهلي أو الآيات المتشابهة.

8. ربما تستخدم الكلمة لمعناها الثانوي خارجة عن معناها الأولي فيكون من الخطأ لو ترجمناها إلى معناها الأولي. وفي بعض الأحيان يصعب لنا أن نكشف هل الكلمة استخدمت لمعناها الأولي أو الثانوي، وهل شيء أفصل عن هذا من القرينة أو تتبع كلام العرب (الجاهلي)؟ فمثلاً أريدت بالقارعة القيامة فهل كانت هذه الكلمة تستخدم لمعنى القيامة (في عصر قبل الإسلام) أم جاء به القرآن ذاته، وهل كانت هي تعني "الداقة" من قبل؟ أم قد خرجت هذه الكلمة من معناها الأولي قبل أن استخدمها القرآن وكانت تعني "المصائب"، وينبئ عن هذا "فريع الدهر" و"الإقراع".

9. ربما تشترك كلمة في مدارج معنى للكلمة فيمكن للقارئ أن يريد بها المعاني كلها، وفي هذه الحالة يقع القارئ في ورطة. فمثلاً كلمة "الرب" التي استخدمت للمالك والله في بعض الأحيان، ويمكن كشف هذا المعنى عن القرينة مثل "ربّ الناس"، "ملك الناس" و"إله الناس" فهنا "الرب" يعني "المالك".

10. بعض الكلمات لها معنى مركّب فهي تدلّ مرة على جزء واحد كما تدلّ مرة أخرى على الجزء الآخر مثل "الحمل" الذي يعني مرة "حمل الشيء" والذهاب به، ومرة أخرى يعني "حمل الشيء" ومرة ثالثة يعني "الذهاب به" فإذا وجد القارئ كلمة لها معانٍ مركبة فهو يضطر إلى استخدام أكثر من كلمة للدلالة على معناها المراد، ولكن الترجمة لا تؤثر كما تؤثر الكلمة طبقاً للبند الثاني ليس لأن زيادة الكلمات تثقل القارئ بل لأن التصريح يصير اللون الباهت فاقعاً كمثال كلمة "الحمل" التي تعني "حمل الشيء" والذهاب به" ولكن الترجمة لا تعطي ما يريده القرآن الكريم.



11. النثر المقفى يسمح فيه فقد الترتيب مثل الشعر، لأن جمال العبارة يغطّي هذا النقص فإن كانت العبارة بسيطة في الترجمة فلا يصبر القارئ على فقد الترتيب، وكذا في بعض المواقع تستخدم كلمة ليست بأنسب لمجرد رعاية القافية والتركيب فلم نتبعها في الترجمة، ولكن ترجمة القرآن تتطلب منا مسؤولية كبرى فنضطر إلى استخدام كلمة ليست بأنسب.

12. ولكن الكلمة التي هي أنسب تزيد العبارة البسيطة جمالاً فتكون ترجمة "لم يلد ولم يولد" (نه كسي كا باپ نه كسي كا بيٹا) فالاعتقاد بأن هذه ترجمة (ليس هو بأب لأحد ولا بابن) وأن ترجمة "لم يلد" ستكون غير ذات قبل فإن الفقرة الثانية ثقيلة للغاية باللغة العربية فرجّحت الثانية على الأولى رعاية لمحكم التركيب فهل يناسبنا أن نعيد في الترجمة النقص الذي أزيل في العبارة (القرآنية) فالتركيب الأول أنسب هنا ولكن ليس في اللغة الأردوية كلمة تعادل كلمة "يلد" (المذكر).

13. ينتقل الذهن إلى جنسين مختلفين حيث يستخدم ضميران مختلفان جنساً ولكن إذا اتحد الضمران جنساً فلا يكون كذلك فلا بد من تقديرهما مثل قوله تعالى "فكذبوه فعقروها" (أي فكذبوا النبي فعقروا الناقة: سو بيٽيهر كو جهٽلايا اور اوٺني كوكاٺ ڏالا).

14. في العربية يعطف الفعلان المتواليان بمجرد حرف "الواو" بينما تستخدم صيغة "كز" في اللغة الأردوية مثل "ألقت ما فيها وتخلّت" يمكن أن تترجم بـ "اپڻ اندر ڪي چيزين ٻاهر ڏال ڪر خالي هو گئي" ولكنني أرى ترجمتها بالفصل أنسب في بعض المواضع.

15. في بعض اللغات يكثر استخدام الفعل المجهول ولكن لا يراد به سوى وقوع الفعل، وأما أمر الأردوية فهو ليس كذلك ولذا ترجمة الفعل المجهول بالفعل

المعروف ستكون أصحّ مثل قوله تعالى "وإذا العشار عطّلت وإذا الوحوش حشرت". لم يرد هنا سوى وقوع الفعل ليس نسبتها الأصلية.

16. وصل الجملة وفصلها في النثر المقفى لا يتبع القافية كمثال النظم ولذا ربما نرى في القرآن علامة ٧ في الجملة غير التامة وربما تتم الجملة بدون العلامة فأشير إلى هذا الأمر بالوقف و٧ ولكن لم تراعى الأصول بالالتزام.

تمام الجملة حين تمام القافية وتطابق القافية والخيال في الوصل والفصل يبدو أحسن ولكن الواقع خلاف ذلك فكلّا الأسلوبين أحسن في مواقعهما، بل في بعض المواقع يفضل النثر البسيط على النثر المقفى، فتجاوز الخيال عن القوافي يظهر سلاسة الكلام وربطه وعفوه، ونجد بعض أمثلة هذا النوع في كلام الشعراء المفلّحين،<sup>1</sup> ومجيء مثل هذه الأمثلة في القرآن يشهد بلطافته وسلاسته.

(0=فصل القافية+=فصل الخيال) "ألم غلبت الروم ٧ في أدنى الأرض + وهم من بعد غلبهم سيغلبون ٧ في بضع سنين ٧ لله الأمر من قبل ومن بعد ط + ويومئذ يفرح المؤمنون ٧ بنصر الله ط ينصر من يشاء ط + وهو العزيز الرحيم 0 وعد الله ط + لا يخلف الله وعده ٧ لاكن أكثر الناس لا يعلمون 0 يعلمون 0 ظاهراً من الحياة الدنيا ٧ وهم عن الآخرة هم غافلون 0 + فقد أبدى القرآن هنا ٧ جيداً أنّ القوافي لا تتم الخيال وكذا نجد في هذا المثال متعة عجيبة بأنه إذا أنهيت القراءة على ٧ فيبدو الكلام تاماً ولكنه إذا تقدّمت شيئاً فيرتبط الآخر بالأول. لا نجد هذا الأسلوب الجديد في مكان سوى القرآن الكريم كما لم يشر إليه علماء البديع فينا.

17. يجب أن يمتاز كلام الله عن الكلام العادي ولقد نجد أسلوب القرآن مختلفاً عن الأسلوب اليومي. والبديهي أنّ لغة المحادثة تختلف عن لغة الكتابة دائماً. وهكذا قدم الأسلوب يوافق الرزانة، وعلى هذا فهو المتبوع، فقد ترجم

<sup>1</sup> أمثال المولوي المعنوي وفردوسي وهومر وكلام شيكسبير الأخير.

Epectitus بلغة الإنجيل. وبالجملية فتختلف لغة الرواية عن لغة الرسائل كما تمتاز لغة الخطابة عن لغة العرائض وهكذا لغة الجرائد تتبين عن لغة المناقشة والتاريخ والمقالات العلمية حتى ولا نجد لغة الشعر متشابهة عن لغة النثر فيجب علينا أن نراعي هذه الفروق فلا حرج أن تكون الكلمات بسيطة ولكن تراكيها لتكون مختلفة عن التراكيب اليومية.

18. تضمن بعض التعابير التشبيه كما تحويه بعض الكلمات، ولكن ربما يحرم التشبيه احتواء المعنى على مَرَّ العصور كما يهم مرة ويبرز مرة أخرى. وهذا كله يؤثر في الكلام أثرًا خاصًا. يجب أن نراعي هذا في الترجمة ولكن يصعب علينا أن نعثر على ذلك ويجب علينا ألا نغفل عن التشبيهات إلا قليلًا، ولكن إذا قمنا بترجمة بعض التعابير مع معانيها التشبيهية فلا تعطي المعنى المراد جيدًا فإن التشبيه يعول على ما لا يعول عليه التشبيه في اللغة الهدف، وعلى هذا فلنترجم التشبيه حيث هو بارز ولنترك ترجمته حيث هو غير واضح تمامًا ولكن تجب الحيلة في هذا الأمر فلننتشبت بذيل السياق فإنه أدل.

19. في بعض الأحيان ترجّح الصورة الخاصة لإظهار المعنى الخاص لأن تلك الصورة الخاصة توجد في الأحداث اليومية لتلك اللغة ولذا تكون أقرب إلى الفهم وعلى هذا لوراعيناها في الترجمة لكنت أبعد عن الفهم ولكن يشكل علينا لو تركناها أخذ حياة تلك الدولة اليومية عن طريق الكلام (ولكن يقدم الإفهام على الأخذ) وكذا من مسؤولياتنا أن نعتبر بعض الصور الخاصة عادية.

20. توجد في اللغة الهدف لأداء فكرة تحويها جملة اللغة المصدر جملة لا تمكن ترجمتها اللفظية ولكنها تؤدي معناها الكلي، مثلًا قوله تعالى: "لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه" (ترجمة: اس دن كچه ايسا حال هوگا كه هرايك كو اپنى اپنى پڑى هوگی) أو (اس روز هرايك اپنى اپنى حال میں مبتلا هوگا) فإذا قمنا بمثل هذه الترجمة فلنذكر في الهامش ترجمتها اللفظية، ولكن يجب أن يحذر الترجمة الخيالية ما استطاع.

21. يناسبني أن أبين مدارج الترجمة بصراحة لكي يتبين مرادنا من الترجمة الخيالية. مدارج الترجمة: أذكر فيما يلي مثلاً من كلام العرب. والمثال يبين الأمر أوضح من الأصل. يقول شاعر حماسي:

فدت نفسي وما ملكت يميني فوارس صدقت فيهم ظنوني

مدراج الترجمة هي (1) الترجمة اللفظية، (2) الترجمة النحوية، (3) الترجمة الأسلوبية، (4) الترجمة الخيالية.

1. فداہو جان میری اور جو کچھ، کہ مالک ہے، داہنا ہاتھ میرا، سواروں کو کہ سچا کیا بیچ اپنے گمان میرے۔

2. میری جان اور جس چیز کو میرا داہنا ہاتھ مالک ہے فداہو ان سواروں پر کہ میرے گمان کو جو ان کی بابت تھا سچ کر دیا۔

في هذه الترجمة روعيت نسبة الأفعال وحالة الكلمة إلا أن المترجم اضطر إلى إظهار المقدر مثل (جوان کی بابت تھا) وكذا صار المفعول به مجروراً بسبب النسبة مثل (سواروں پر) وفي الترجمة الأولى وقع الخطأ النحوي الذي أقيم عوجه.

3. ان سواروں پر میری جان اور مال قربان ہو جائے جنہوں نے میرے خیالات کو جو ان کی نسبت تھا، سچ کر دیا۔

في هذه الترجمة لم يراع سوى أسلوب البيان.

4. ان سواروں پر میری جان اور مال قربان ہو جائے جنہوں نے دکھا دیا کہ جیسا کچھ میں انہیں سمجھا کرتا تھا، اس میں سر موفرق نہ تھا۔

في هذه الترجمة لم تراع سوى الفكرة الأصلية، ولم تراع الكلمات.

ففي الترجمة الخيالية نجد سعة كبيرة ويمكننا أن نقوم بترجمات مختلفة، ولكن اللغة الهدف ستحدّد أي الترجمات أوفق بتعابيرها أي إذا تخيل المترجم نفس الفكرة فكيف يؤديها صحيحًا في لغته ولا يتقيد بشيء، ولكن هذا التحديد مفروض ليس أصلاً لأن ناطقي لغة واحدة يؤدون فكرة واحدة بأساليب مختلفة ولو أنّ الأسلوب الأوفق في الواقع لا يكون سوى واحد إلا نادراً. فالترجمة الخيالية، كما بدا، يعتمدها الخلاف وأما الترجمة الأدبية التي سمّيتها بالترجمة الأسلوبية ستكون أنسب ولكن يجب علينا أن نكون حذرين في اختيار التعابير لكيلا يفوتنا أسلوب الكلام ومدلول الأصل فمثلاً "ما ملكت يميني" لا حاجة لها في التعبير الأردوي ولكن لن نتركها ولو أنه يكفيننا طبقاً للتعبير الأردوي "میں قربان جاؤں".

وزد عليها مراعاة الشأن والعاطفة والإيجاز والإطناب (انظر أمثلة الترجمة 2، 3، و4) فقلّم المترجم يخترق هذه النزاعات كلها فربما يضطر إلى اختيار الترجمة الخيالية فيترك الترجمة الأسلوبية ولكن لا يفعل ذلك إلا قليلاً وفي الصور الخاصة أو حينما يجد أنّ الترجمة الخيالية تطابق المعنى تماماً كمثّل قوله تعالى السابق "لكل امرئ منهم شأن يغنيه".

## تعليقات الإمام عبد الحميد الفراهي الخطية على كتاب "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي

- د. محمد أجمل الإصلاحي<sup>1</sup>

ترجمة من الأردوية: سميراء أجمل<sup>2</sup>

قال الشيخ أمين أحسن الإصلاحي عن عادة أستاذه الإمام عبد الحميد الفراهي لاختيار الكتب للقراءة والدراسة:

"كان دائماً يلتقط كتباً ذات مستوى عالٍ للقراءة، وكان يقرأ كل ما قرأ بإمعان نظر وانتقاد دقيق، فكان يعلق على أهمّ مباحث الكتاب بالعربية، سواء كان الكتاب بالعربية أو بالإنجليزية، ولذا فقد ثبت كل ما قرأه من الكتب ذا أهمية بالغة للعلماء والباحثين".<sup>3</sup>

فقد كانت مكتبة الإمام الفراهي الشخصية تحتوي على أجود المؤلفات وأمهات الكتب في جميع الفنون، ولا تجد كتاباً فيها أو رسالة إلا وقد قام الإمام الفراهي بالتعليق عليه مرة أو مرتين. ونفصل الضوء على ميزات هذه التعليقات بمناسبة أخرى إلا أننا نقدّم في هذه العجالة ما قام به الإمام الفراهي من التعليق على "الإتقان في علوم القرآن" للإمام السيوطي رحمه الله وقد نقلت هذه التعليقات من مكتبة مدرسة الإصلاح بسرائ مير في 13/ صفر عام 1395 هـ الموافق لـ 29/ فبراير عام 1975 م.

طبع "الإتقان في علوم القرآن" لأول مرة في كولكاتا سنة 1271 هـ، ثم صدرت له طبعات عديدة، وفي عام 1387 هـ قام المحقق الكبير محمد أبو الفضل إبراهيم بتحقيق هذا الكتاب في أربعة مجلدات بناءً على نسخة خطية من المكتبة الأصفية

<sup>1</sup> باحث هندي كبير للدراسات العربية والإسلامية

<sup>2</sup> باحثة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة علي كره الإسلامية بعلي كره (الهند)

<sup>3</sup> مجموعة تفاسير فراهي، ص 22

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

بحيدرآباد وصدرت هذه الطبعة المحققة من القاهرة، أما النسخة الموجودة لدى الإمام الفراهي فهي كانت قد طبعت من المطبعة الكستلية، مصر سنة 1279هـ، وهي حتى الآن مصونة في مكتبة مدرسة الإصلاح بسرائ مير، الهند، وفي بدايتها ضبط الإمام الفراهي ثمن النسخة وتاريخ الشراء مع اسمه كما يلي:

"اشتريته من حيدرآباد بسبع روبيات عثمانية في شهر ربيع الثاني من 1333هـ-عبد الحميد الفراهي".

وتهمّ هذه الجملة بحيث إنها تعيّن زمن تعليق الإمام الفراهي على هذا الكتاب فإنه توفي سنة 1349هـ أي إنه اشترى هذا الكتاب قبل وفاته بستة عشر عامًا فهذه التعليقات تتعلق بأواخر أيام حياته رحمه الله.

وطريقي في تقديم هذه التعليقات هي أنني أولاً قمت بذكر ملخص المبحث الذي علّق عليه الإمام الفراهي ثم ذكرت تعليقه كيلا يشكل على القراء فهم المراد مما يريد الإمام أن يقول، وإن زلّ قلبي في نقل أي تعليق فالمرجو من القراء أن يقارنوه مع النسخة المصونة في مكتبة مدرسة الإصلاح فإن المرء ليس ببرئ من أن تزل قدماه في مكان ما. وحين نهاية سياق المبحث أحيل إلى طبعة "الإتقان" التي نشر على هامشها كتاب إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني، وبما أن هذه الطبعة متواجدة في الهند فقد أحيل إليها لتسهيل القراء، وأما الإحالة إلى نسخة الإمام الفراهي فقد تمت بعد تعليقاته لما أنها كتبت عليها.

ونسأل الله أن يجعل هذه المحاولة المتواضعة مفيدة لطلاب القرآن الكريم.

1- نقل السيوطي رحمه الله قول الزركشي من كتابه "البرهان في علوم القرآن" (31:1) "وقال الزركشي في البرهان قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم لا أن هذا كان السبب في نزولها فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل لما وقع" (42:1).

تعليق الإمام الفراهي:

أصاب الزركشي رحمه الله (39:1)

2- بعد نقل قول الإمام الزركشي المذكور أعلاه يدلي السيوطي برأيه: يتحرر في سبب نزول الآية أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه (42:1).<sup>1</sup>

تعليق الإمام الفراهي:

أخطأ فيما فهم من سبب النزول (39:1)<sup>2</sup>

3- يقول الإمام السيوطي: أنكر بعضهم كون شيء من القرآن يتكرر نزوله كذا رأيته في كتاب "الكفيل بمعاني التنزيل" (48:1).

تعليق الإمام الفراهي:

لم يذكر اسم المصنف لكتاب الكفيل بمعاني التنزيل (44:1)<sup>3</sup>

4- في الإتيان "وقد ظن كثير من العوام أن المراد بها القراءات السبع وهو جهل قبيح". (66:1)

تعليق الإمام الفراهي:

القراءات السبع ليست التي أريدت من الأحرف السبعة (62:1)

5- وفي الإتيان "أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك" (نقل الإمام الفراهي هذه الجملة بعد تغيير بسيط). (66:1)

<sup>1</sup> ذكر الإمام الفراهي هذا المقتبس الذي يحوي قول الزركشي ورأي السيوطي فيه، في كتابه نظام القرآن (8) أخذاً من الإتيان في علوم القرآن، ولقد أخطأ مترجم فاتحة نظام القرآن في فهم جملة السيوطي ولذا ترجم عكس ما يقصده الكاتب.

<sup>2</sup> للتفصيل يرجى الرجوع إلى فاتحة نظام القرآن فصل (شأن النزول)، مجموعة تفاسير فراهي: 7  
<sup>3</sup> صاحب هذا التفسير العماد الكندي قاضي إسكندرية النحوي المتوفى سنة 720 هـ وقد ذكر في كشف الظنون (1503:2) أنه يقع في ثلاثة وعشرين مجلدًا ضخماً.



تعليق الإمام الفراهي:

أجمع الصحابة رضي الله عنهم على نقل المصاحف العثمانية من المصحف الأول الذي كتبه أبو بكر رضي الله عنه (62:1).

6- يقول الإمام السيوطي "عن عبدة السلماني أنه قال: القراءة التي عرضت على النبي في العام الذي قبض فيه هي القراءة التي يقرؤها الناس اليوم". (66:1).

تعليق الإمام الفراهي:

القراءة الباقية هي على العرضة الأخيرة<sup>1</sup> (62:1)

7- ذكر الإمام السيوطي من بين أوصاف القرآن "العزیز" وبین سبب تسميته فقال: "وأما العزیز فلأنه يعزّ على من يروم معارضته" (68:1) علّق عليه الإمام الفراهي بعدما وضع الخط عليه.

تعليق الإمام الفراهي:

وفي القرآن "لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ". (سورة فصلت: 42)<sup>2</sup>

8- نقل الإمام السيوطي قول الزركشي فقال: "قال الزركشي في البرهان ينبغي البحث عن تعداد الأسماء هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات<sup>3</sup> فإن كان الثاني فلم يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسماء لها وهو بعيد". (73:1)

<sup>1</sup> وقد أدلى الفراهي بنفس الرأي في موضع آخر فقال: "ثم عرض علي جبريل الأمين عرضة أخيرة

بعد تمام القرآن كما جاء في الخبر الصحيح المتفق عليه، تفسير سورة القيامة، ص 28.

<sup>2</sup> وقد جاء قبل هذه الآية (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالَّذِينَ كَفَرُوا لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) ففي هذه الآية وصف القرآن بالعزیز ثم وُضِّحت هذه الصفة في الآية اللاحقة فكأن القرآن نفسه قام ببيان وجه تسمية هذه الصفة.

<sup>3</sup> ويبدو من الرجوع إلى الموضع الآخر من مؤلفاته أن الإمام الفراهي يميل إلى هذه الصورة الأخرى التي استبعدها الزركشي، ا،ظر: فاتحة نظام القرآن، (مقدمة) ص 14 ومجموعة تفاسير فراهي، ص 62

تعليق الإمام الفراهي:

لم يجهل (69:1)

9- نقل السيوطي قول الحاكم: "قال الحاكم والجمع الثالث هو ترتيب السور في زمن عثمان، روى البخاري عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال لعثمان أدرك الأمة قبل أن يختلفوا في اليهود والنصارى فأرسل إلى حفصة أن أرسلني إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك فأرسلت بها حفصة. (78:1)

علّق عليه الإمام الفراهي بعدما وضع الخط على الفقرة "ننسخها في المصاحف".

تعليق الإمام الفراهي:

ليس في رواية البخاري شيء يدل على أن ترتيب السور وقع في زمن عثمان رضي الله عنه فإنه إنما نسخ مما كان قد جمعه أبو بكر رضي الله عنه (74:1).

10- قال الإمام السيوطي فيما يتعلق بترتيب السور "وأما ترتيب السور فهل هو توقيفي أيضاً أو هو باجتهاد من الصحابة خلاف فجمهور العلماء على الثاني". (82:1).

تعليق الإمام الفراهي:

لا يصح أن جمهور العلماء على الثاني وإنما ذهب إليه بعضهم بمجرد الرأي. (77:1)

11- يقول السيوطي "قال البغوي في شرح السنة: "الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئاً خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته فكتبوه كما سمعوا من رسول الله من غير أن قدموا شيئاً أو آخروا أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذه من رسول الله وكان رسول الله يلقي أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية أن

هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا ثم كان ينزله مفرقاً عند الحاجة وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة". (82:1).

تعليق الإمام الفراهي:

أصاب البغوي رحمه الله (77:1)

12- يقول السيوطي "ولا ينبغي أن يستدل بقراءته سوراً ولا على أن ترتيبها كذلك وحينئذ فلا يرد حديث قراءته النساء قبل آل عمران لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب فلعله فعل ذلك لبيان الجواز". (84:1)

تعليق الإمام الفراهي:

رواية قراءة النساء قبل آل عمران لا تصح (79:1)<sup>1</sup>.

13- أخرج عن الحسن أنه كان يقرأ "وَأِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا" الورود الدخول (سورة مريم:71).

تعليق الإمام الفراهي:

غلط الرواة في ظنهم التفسير قراءة، وهذا كثير. (97:1)

14- نقل في بعض الكتب القديمة أن ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوذتين من القرآن فيرد ابن حزم في المحلى "هذا كذب على ابن مسعود وموضوع وإنما صح عنه قراءة عاصم عن زر عنه وفيها المعوذتان والفاتحة. (105:1)

<sup>1</sup> صحيح مسلم (536:1) كتاب صلاة المسافرين، باب "استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل" ويروى عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: «صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلى بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً...» وهكذا في النسائي (198:1) وصحيح ابن حزيمة (340، 272:1) وأيضاً في مسند أبو عوانة (169:2). ولكنها في المستدرک (321:1) وفي شرح معاني الآثار (346:1) بترتيب المصحف، يعني سورة البقرة فال عمران فالنساء.

تعليق الإمام الفراهي:

أصاب ابن حزم (99:1).

15- بعد قول ابن حزم نقل السيوطي قول ابن حجر والذي جمع عدة روايات يبين فيه صحة حذف السورتين المذكورتين فيقول "قال ابن حجر فقول من قال إنه كذب عليه مردود والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل". (105:1)

تعليق الإمام الفراهي:

أخطأ ابن حجر فيما ردّ على ابن حزم. (100:1)

16- نقل السيوطي قول البيهقي فقال "قال البيهقي في الشعب وآخرون: الأفضل الوقف على رؤوس الآيات وإن تعلقتم بما بعدها اتباعاً لهدي رسول الله وسنته، روى أبو داود وغيره عن أم سلمة أن النبي كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية يقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم يقف الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف". (115:1)

تعليق الإمام الفراهي:

الوقوف على رؤوس الآيات هي السنة. (109:1)

17- ادعى ابن خیر الإجماع على أنه ليس لأحد أن ينقل حديثاً عن النبي ما لم يكن له به رواية ولو بالإجازة. بعدما نقل الإمام السيوطي هذه الدعوى طرح السؤال: فهل يكون حكم القرآن كذلك فليس لأحد أن ينقل آية أو يقرأها ما لم يقرأها على شيخ؟ ثم أدلى برأيه فقال: لم أر في ذلك نقلاً ولذلك وجه من حيث أن الاحتياط في أداء ألفاظ القرآن أشد منه في ألفاظ الحديث ولعدم اشتراطه فيه وجه من حيث أن اشتراط ذلك في الحديث وإنما هو لخوف أن يدخل في الحديث ما ليس منه أو يتقول على النبي ما لم يقله والقرآن محفوظ متلقى متداول ميسر وهذا هو الظاهر. (135:1)

تعليق الإمام الفراهي:

القرآن مستغنٍ عن الرواية (129:1).

18- أخرج الشيخان عن عبد الله بن عمرو قال: "قال لي رسول الله: اقرأ القرآن في شهر قلت: إني أجد قوة قال: اقرأه في عشر قلت: إني أجد قوة قال: اقرأه في سبع ولا تزد على ذلك". (137:1)

تعليق الإمام الفراهي:

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الختم في أقل من سبع. (130:1)

19- يقول عن من يريد التحقيق في ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه "على الخائض في ذلك التثبت والرجوع إلى كتب أهل الفن وعدم الخوض بالظن فهذه الصحابة وهم العرب العرباء وأصحاب اللغة الفصحى ومن نزل القرآن عليهم وبلغتهم توقفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا فيها شيء" ثم نقل بعده قصة أبي بكر في الآية (فيها فاكهة وأباً) ومقولته الشهيرة. (149:1)

تعليق الإمام الفراهي:

لا يصح أن كلمة من القرآن خفي معناها على علماء الصحابة لا سيما القريشيون. (141:1)<sup>1</sup>

20- كتب عن عمر قصة فقال "عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر "وافاكهة وأباً" فقال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب ثم رجع إلى نفسه فقال إن هذا لهو الكلف يا عمر". (149:1)

تعليق الإمام الفراهي:

كذب هذه الرواية ظاهر. (141:1)

<sup>1</sup> للمزيد انظر: مفردات القرآن، ص 7، وتفسير سورة عبس، فصل 10 (مجموعة تفاسير فراهي، ص 270).

21- نقل قول الزركشي من البرهان "يحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة أسماء وأفعالاً وحروفاً فالحروف لقلتها تكلم النحاة على معانيها فيؤخذ ذلك من كتبهم وأما الأسماء والأفعال فتأخذ من كتب علم اللغة وأكبرها كتاب ابن السيد ومنها التهذيب للأزهري والمحكم لابن سيده والجامع للقرطبي والصالح للجوهري والبارع للفارابي ومجمع البحرين للصاغاني ومن الموضوعات في الأفعال كتاب ابن القوطية وابن طريف والسرقي ومن أجمعها كتاب ابن القطّاع، قلت: وأولى ما يرجع إليه في ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة". (150:1)

#### تعليق الإمام الفراهي:

أصاب الزركشي رحمه الله. وأما السيوطي رحمه الله فقد أخطأ وغلب عليه حبّ الروايات، والصواب هو الاعتماد على ما ثبت من استعمال العرب، وأما الروايات فأكثرها لم تثبت سنداً، ثم إنها لم تبين معاني الألفاظ وإنما تدلّ على ما هو المراد في مواضع خاصة، وترى فيها اختلافاً شديداً.<sup>1</sup> (142:1)

22- بعد ذلك نقل الإمام السيوطي رحمه الله في حوالي سبع صفحات من كتابه "الإتقان" ما روي من شروح ألفاظ القرآن عن عبد الله ابن عباس عن طريق ابن أبي طلحة "لأنها من أصح الطرق عنه"<sup>2</sup> وعليها اعتمد البخاري في صحيحه مرتباً على السور.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> للنظر إلى رأي الإمام في تحقيق ألفاظ القرآن الكريم يرجى الرجوع إلى فاتحة نظام القرآن (المأخذ اللسانية) مجموعة تفاسير فراهي، ص 42، ومفردات القرآن، ص 5 و9.

<sup>2</sup> كان لدى علي بن أبي طلحة صحيفة تحتوي على التفسيرات المروية عن ابن عباس رضي الله عنه وكانت تسمى بـ "صحيفة علي بن أبي طلحة"، وكان بينه وبين ابن عباس واسطة ولم يسمع منه وهذا من أكبر الضعف للرواية، وقد ذكر أبو جعفر النحاس في "الناسخ والمنسوخ" (ص 13) أن الواسط بينهما كان مجاهدًا تارة وتارة عكرمة، أما السيوطي فيقول: "لم يسمع ابن أبي طلحة من ابن عباس التفسير، إنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير"، أما أهل العلم فقد اختلفوا في علي بن أبي طلحة فابن حبان وأبو داود يثقان في رواياته، وقد نقل مسلم رواية عنه في باب النكاح، أما يعقوب بن سفيان فإنه يرى "ضعيف الحديث ليس بمحمود المذهب" ويقول أيضاً "الشامي ليس هو بمتروك ولا هو حجة" أما أحمد بن حنبل فإنه يقول: "له أشياء منكراة"،

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وضع الإمام الفراهي الخط على الألفاظ المشروحة المذكورة أدناه، الذي يصرح عن تأييده لتلك الشروح ونذكر، فيما يلي، تلك الألفاظ مع شروحها:

### الكلمة      السورة ورقم الآية      الشرح

1. أمرنا مترفمها      سورة الإسراء: 16      سلطنا شرارها<sup>2</sup>

2. ولا تقف      سورة الإسراء: 36      ولا تقل<sup>3</sup>

تهذيب التهذيب (340:7) ويقول الدكتور محمد كامل حسين: "ولعل هذا هو السبب وراء عدم رواية البخاري شيئاً في صحيحه وإن نقل شيئاً عن صحيفة تفسيره فلم يذكر اسمه، وبالجمله فكل متفق على صحة رواية الصحيفة.

وقد روى عنه معاوية بن صالح بن حدير ويقال عنه موثوق ومشكوك، يقول ابن معين في رواية إنه "ثقة" ولكن قال الدوري عن ابن معين: "ليس بمريض"، تهذيب التهذيب (210:10). السند الثالث لهذه الرواية والذي ينقل من معاوية بن صالح كاتب الليث قال أبو حاتم الرازي: سمعت أبا الاسود النضر بن عبد الجبار وسعيد بن عفير يثنيان على كاتب الليث وقال أبو حاتم: أيضاً سمعت عبد الملك بن شعيب بن الليث يقول أبو صالح ثقة مأمون قد سمع من جدي حديثه وكان أبي يحضه على التحديث وكان يحدث بحضرة أبي وقال عبد العزيز بن عمران بن مقلاص كنا نحضر شعيب بن الليث وأبو صالح يعرض عليه حديث الليث فإذا فرغ قلنا يا أبا صالح نحدث بهذا عنك فيقول نعم وقال عبد الله ابن أحمد سألت أبي عنه فقال كان أول أمره متماسكاً ثم فسد بآخره وليس هو بشيء"، تهذيب التهذيب 257:5، 259.

وقد رواه البخاري من أبي صالح كاتب الليث ولكنه استفاد من هذه الصحيفة في شرح ألفاظ القرآن الكريم فقط بوسائط بينهم وبين أبي صالح، أما الطبري فقد استفاد كثيراً من هذه الصحيفة في تفسيره. للتفصيل يرجى الرجوع إلى مقالة الدكتور محمد حسين كامل "صحيفة علي بن أبي طلحة في التفسير" والذي أضافه محمد فؤاد عبد الباقي في بداية كتابه "معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري"، المعلومات عن ابن أبي طلحة منقولة من هذه المقالة بعد التأكد من المراجع.

<sup>1</sup> هذه العبارة (150:1) للسيوطي قد تلد الشك في أن البخاري أخذ عن ابن أبي طلحة في شرح كلمات القرآن، والحقيقة عكس ذلك فقد اعتمد البخاري في شرحه على مرويات أخرى وقد جمعها محمد فؤاد عبد الباقي في كتابه "معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري".

<sup>2</sup> هذا الشرح في طريقة قراءة "أمرنا"، وقد اختار الطبري "أمرنا" ففسر "أمرنا مترفمها بالطاعة، ففسقوا فيها بمعصيتهم لله، وقد نقل عن ابن عباس، قوله: (أمرنا مترفمها) يقول: سلطنا أشرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكهم بالعذاب" (تفسير الطبري، 54:15).

<sup>3</sup> والآية هكذا (وَلَا تُقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) فسّر ابن عباس هذه الآية: أي لا تقل، و"لا تقل" ليس بشرح لغوي ل"لا تقف" بل هو تفسر الآية، وقد روي عن ابن عباس في رواية أخرى "بلا ترم" وقد فسّر الطبري بعد جمع الروايتين (تفسير الطبري 86:15).

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

3. بين الصدفين	سورة الكهف: 96	الجبيلين <sup>1</sup>
4. سويًا	سورة مريم: 10	من غير خرس <sup>2</sup>
5. سريًا	سورة مريم: 24	هو عيسى <sup>3</sup>
6. كل شيء خلقه	سورة طه: 50	خلق لكل شيء روحه <sup>4</sup>
7. ثم هدى	سورة طه: 50	لمنكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه <sup>5</sup>
8. لا يضل	سورة طه: 52	لا يخطئ <sup>6</sup>
9. تارة	سورة طه: 55	مرة <sup>7</sup>

<sup>1</sup> فسّر ابن عباس، قوله (بَيْنَ الصَّدْفَيْنِ) فيقول: بين الجبلين، وعلماء اللغة يقولون: "الصدف" رأس الجبل.

<sup>2</sup> والآية هكذا "قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ لَيْلٍ سَوِيًّا" يعني من غير خرس. أما "سويًا" فعند ابن عباس ثلاث ليال متتابعات "فسوي" في الأولى يعني "من غير خرس" فهذا ليس بشرح لغوي بل تفسير، أما معناه اللغوي فهو "صحيح لا علة".

<sup>3</sup> في كلتا النسختين للإتقان يوجد هذا التفسير وفي نسخته المحققة كذلك، ولكن في تفسير الطبري روي عن علي بن أبي طلحة أنه "هو نهر عيسى" (69:16) والدرر المنثور (268:4) وقد رجّحه الطبري أيضًا، وقد نقل البخاري عن براء بن عازب تفسيره فقال "نهر صغير" (معجم: 88) ربما سقط لفظ "نهر" من متن الإتقان.

<sup>4</sup> راجع: الهامش السابق.

<sup>5</sup> في النسخة المحققة للإتقان (28:2) والدار المنثور (302:4) لفظ "روحه" بدل "زوجه" وهو تصحيح، انظر الطبري، 17:16 وابن كثير، 291:5 وتفسير هذه الآية حسب رواية ابن عباس رضي الله عنه: "قوله (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) يقول: خلق لكل شيء زوجه، ثم هداه لمنكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه ومولده.

<sup>6</sup> والآية هكذا "قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى" عند ابن عباس (لا يضلُّ ربي) يقول: لا يخطئ ربي.

<sup>7</sup> في كلتا النسختين ذكر لفظ "حاجة" ولكن في النسخة المحققة ذكر لفظ "مرة" وهو صحيح، والعجب أنه لم يذكره الطبري ولا السيوطي، الدرر المنثور، 302:4.



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

10. فلا يخاف ظلماً سورة طه: 113 أن يظلم فيزداد في سيئاته<sup>1</sup>
11. جذاً سورة الأنبياء: 58 خطأ<sup>2</sup>
12. سامراً تهجرون سورة المؤمنون: 67 تسمرون حول البيت وتقولون هجراً<sup>3</sup>
13. هباءً منثوراً سورة الفرقان: 23 الماء المهرق<sup>4</sup>
14. طائركم سورة النمل: 47 مصائبكم<sup>5</sup>
15. ادارك علمهم سورة النمل: 66 غاب علمهم<sup>6</sup>

<sup>1</sup> والآية هكذا "ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً وَلَا هَضْماً" فشرح لفظ "ظلماً" في الرواية بأنه "لا يخاف ظلماً" أي زيادة في سيئاته.

<sup>2</sup> والآية هكذا "فَجَعَلَهُمْ جُذّاً إِلَّا كَثِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ"، نقل الإمام البخاري (معجم: 26) عن قتادة في أن "جُذّاً" أي قطعهم، وعند ابن عباس "خطأً".

<sup>3</sup> والآية هكذا "مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَلَباً تَهْجُرُونَ"، ذكر تفسير ابن عباس رضي الله عنه قال: يعني أنهم يستكبرون بالحرم. وقال: (به سامراً)، لأنهم كانوا يسمرون، ويهجرون القرآن والنيّ صلى الله عليه وسلم (الطبري، 41-18:40).

<sup>4</sup> والآية هكذا "وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً"، ذكر تفسير ابن عباس رضي الله عنه "عن ابن عباس، قوله: (هَبَاءً مَنْثُوراً) يقال: الماء المهرق" وقد ترك الإمام البخاري (معجم: 213) هذا الحديث المروي من علي بن أبي طلحة واختار تفسيراً آخر لهذه الآية فقال: "عن ابن عباس، قوله: (هَبَاءً مَنْثُوراً) قال: ما تسفي الريح تَبْثُثُهُ" وقد ذكر الإمام الطبري: (5، 4:19) كلا التفسيرين ورجح هذا التفسير المنقول من عكرمة ومجاهد وحسن البصري أما "الهباء" فهو الذي يرى كهيئة الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كوة يحسبه الناظر غباراً ليس بشيء تقبض عليه الأيدي ولا تمسه، ولا يرى ذلك في الظل.

<sup>5</sup> والآية هكذا "قَالُوا أَظَلَّتْ نَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ"، عند ابن عباس "عن ابن عباس قوله: (طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ) يقول: مصائبكم وهذا ليس بتشريح لغوي بل هو تفسير.

<sup>6</sup> في النسخ الثلاث للإتقان طبع لفظ "ادراك" والصحيح "ادرك" والتشريح منقول من ابن عباس من هذه القراءة، انظر الطبري (7:20) والدار المنثور (114:5). والآية هكذا "بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ ..."، وقد رجّح الإمام الطبري رواية عن ابن عباس على ما روي عن ابن أبي طلحة.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

16. وأضله الله على علم سورة الجاثية: 23 في سابق علمه<sup>1</sup>
17. لا تقدموا بين يدي سورة الحجرات: 1 لا تقولوا خلاف الكتاب الله ورسوله والسنة<sup>2</sup>
18. فتولّى بركنه سورة الذاريات: 39 بقوته<sup>3</sup>
19. سنفرغ لكم سورة الرحمن: 31 هذا وعيد من الله لعباده وليس بالله شغل<sup>4</sup>
20. في الحافرة سورة النازعات: 10 الحياة<sup>5</sup>
21. لن يحور سورة الانشقاق: 14 لن يبعث<sup>6</sup>

<sup>1</sup> والآية هكذا: أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم".

<sup>2</sup> فسر الإمام الطبري لهذه الآية "فأريت من اتخذ دينه بهواه، فلا يهوى شيئاً إلا ركبه، لأنه لا يؤمن بالله، ولا يحرم ما حرم، ولا يحلل ما حلل، إنما دينه ما هويته نفسه يعمل به" (116:26)

<sup>3</sup> في النسخ الثلاث من الإتيان ذكر لفظ "بقوته" وهو غير صحيح والصواب "بقومه"، في تفسير الطبري نقل عن ابن أبي طلحة "لقومه" أو "بقومه" أشك فيه، وفي "الدر المنثور" (115:6) نقل ابن منذر وابن جرير لفظ "بقومه"، وقد اختاره الطبري وينقل الإمام البخاري نفس التفسير (معجم: 74) "بمن معه لأنهم قوته".

والآية هكذا "فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَجَرٌ أَوْ تَحْتُونُ" لم يعن ابن كثير (399:7) بهذه الروايات في تفسير "فتولّى بركنه" وقال: "فأعرض فرعون عما جاء به موسى من الحق المبين استكباراً وعناداً" ودلله بآية من سورة الحج (رقم الآية: 8) "وَمَنْ أَلَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ يَغْيِرْ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ" فكان لدى ابن كثير معنى كلا اللفظين "تولّى بركنه" و"ثاني عطفة" واحد وقد فسر الإمام الفراهي نفس التفسير، انظر "مجموعة تفاسير، 127:126"

<sup>4</sup> هذا ليس بتشريح لغوي بل إزالة لشبهة، والآية هكذا "سنفرغ لكم أيها الثقلان".

<sup>5</sup> (الحافرة) الحياة، هذا ليس معناه اللغوي (الطبري، 330:30) يقال أنه مأخوذ من "رجع فلان على حافرتة" والآية هكذا: "أَعْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ" يفسر الطبري أننا لمردودون إلى حالنا الأولى قبل الممات، فراجعون أحياء كما كنا قبل هلاكنا واستدل برواية ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية.

<sup>6</sup> والآية هكذا: "إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ" شرحه لن يرجع أبداً و"لن يبعث" أي "لن يحيا أبداً" والظاهر أن "لن يحور" ليس معنى لغوياً.

22. من ضريع سورة الغاشية: 6 شجر ذو شوك<sup>1</sup>

23- النوع السابع والثلاثون في الإتقان يتحدث عن ألفاظ القرآن الكريم المأخوذة من لهجات غير لهجة أهل الحجاز (175:1).

تعليق الإمام الفراهي:

فيه أكاذيب (165:1)

24- يذكر الإمام السيوطي عن حكمة وجود ألفاظ معربة في القرآن الكريم فيقول "حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين ونبا كل شيء فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ليتم إحاطته بكل شيء فاختر له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب ثم رأيت ابن النقيب صرح بذلك فقال من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ولم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم والقرآن احتوى على جميع لغات العرب وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير". وأضاف قائلاً: "وأيضاً النبي مرسل إلى كل أمة وقد قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ" (سورة إبراهيم: 4) فلا بد أن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم وإن كان أصله بلغة قومه هو. (178:1)

تعليق الإمام الفراهي:

أخطأ وابن النقيب أكبر منه خطأ. قوله "أيضاً" إلى آخره في غاية الوهن (168:1).

25- خلال البحث عن الوجوه والنظائر ذكر العلامة السيوطي سبعة عشر معنى لكلمة "هدى". (181:1)

<sup>1</sup> في هذه الرواية فسّر الضريع بأنه "شجر من نار" ولكن الإمام البخاري لم يعتمد في تفسيره على رواية ابن أبي طلحة ولكنه قال (معجم: 118) إنه نبت يُقال له الشُّبْرُق، وتسميه أهل الحجاز الضُّرْبُع إذا ببس، ويسقيه غيرهم: الشُّبْرُق، وهو سمّ وقد نقل هذه الرواية الطبري لابن أبي طلحة ولكنه لم يختره بل قال: إنه شُبْرُق (161:30).

تعليق الإمام الفراهي:

في هذه الوجوه ما ليس منها وما هو داخل في غيرها.<sup>1</sup> (175:1)

26- ومن المعاني المذكورة لكلمة "هدى" هو "التوبة" واستدلّ عليه بقوله تعالى "إنا هُدىنا إليك". (186:1)

تعليق الإمام الفراهي:

أخطأ فيما جعل "هدنا إليك" من الهدى وإنما هو من "الهدود"<sup>2</sup> ولعله من السهو فإن عدد 17 يتم بدونه. (175:1)<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ذكر الإمام الفراهي أربعة أوجه لغوية للفظ "هدى"، انظر: مفردات القرآن، ص 72.

<sup>2</sup> هذا من عجائب الأمثلة لترداد الروايات والذي يشهد في كتب التفاسير بكثرة. فسبعة عشر وجهًا للفظ "هدى" الموجودة في أقدم كتاب لهذا الفن وهو "الأشباه والنظائر" لصاحبه مقاتل بن سليمان البلخي المتوفي عام 150 هـ (89-95) ذكر أيضًا لفظ "هدنا" من ضمن هدى، ولا يوجد كتاب أقدم في هذا الفن من هذا الكتاب حتى نعرف هل أخطأ مقاتل أم إنه قام بالنسخ من كتاب آخر، المهم هنا سبعة عشر وجهًا بالإضافة إلى "هدنا"، التصاريف (130:96) الدامغاني (476:473) الزركشي (103:1) ثم قام بنقله السيوطي، إلا أن ابن الجوزي نقل في كتابه "نزهة" (630:626) للفظ "هدى" 24 وجهًا ولم يذكر من ضمنه "هدنا"، وقام ابن الجوزي بالنقد الشديد على هؤلاء (84) بما أن السيوطي والزركشي لم يستطيعا التنبيه على ذلك فلا عجب أن لم ينتبه إليه محققوا الأشباه والنظائر والتصاريف والبرهان والإتقان.

<sup>3</sup> مع أنكم رأيتم أن سبعة عشر معنى المذكورة أعلاه التي يضمّ إليها "هدنا" مأخوذة من الكتب القديمة فهذا ليس بخطأ يختص به السيوطي إلا أن المعنى الأول "ثبات" زائد وقد استدلّ عليه السيوطي بـ "اهدنا الصراط المستقيم" وتوجد هذه الآية لدى الآخرين من بين أمثلة "إرشاد" (التصاريف: 100، والزركشي، 1:103) وإن أضاف السيوطي هذا المعنى في البداية فلا بد أن يكون عدد المعاني ثمانية عشر معنى أو أن يشطب معنى من المعاني المعدودة. وبهذه المناسبة قام محقق "الإتقان" (2:145) بتصريف في النص وضبط تسعة عشر في مكان سبعة عشر فيقول في الهامش: في النسخ المخطوطة هناك "سبعة" إلا أننا ضبطناه بطابق والأوجه المذكورة وأمثله "فقد تعجّل المحقق فلما رأى أن عدد الأوجه ثمانية عشر فقد تحيّر فظن أن "سبعة" لا يكون تصحيف "ثمانية" إلا أنه يمكن أن يكون تصحيف "تسعة" بسهولة، ولقد رأى أمثلة عديدة في تحقيق المخطوطات فبدأ يحصي مرة أخرى فوجد معنى وهو "رسل وكتب" فظنه اثنين في مكان واحد وهكذا أتم تسعة عشر معنى ولو تأذى المحقق شيئًا فراجع "البرهان" للزركشي الذي هو مأخذ

27- أخرج ابن أبي حاتم عن طريق عكرمة عن ابن عباس قال "كل شيء في القرآن الدين فهو الحساب". (188:1)

تعليق الإمام الفراهي:

هذا لا يصح فإنه قال تعالى: "شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ..... " (سورة الشورى: 13). وأيضًا " إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ .... " (سورة البقرة: 132) وأيضًا " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ .... " (سورة آل عمران: 19) وهذا كثير. (178:1).

28- في معرفة معاني الأحرف والأدوات ذكر قوله تعالى: "وَأَنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" فيقول في بيان معنى لـ "على" و "في" "فاستعملت "على" في جانب الحق و "في" في جانب الضلال لأن صاحب الحق كأنه مستعمل يصرف نظره كيف شاء وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام منخفض لا يدري أين يتوجه". (190:1)<sup>1</sup>

تعليق الإمام الفراهي:

أحسن (179:1).

29- "إن تكون للتعليل كـ"إذ" قاله الكوفيون وخرجوا عليه قوله تعالى: "وَأَتَقُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (سورة المائدة: 57) "لَتَدْخُلَنَّ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ" (سورة الفتح: 27) "وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (سورة آل عمران: 139)<sup>2</sup> ونحو ذلك مما الفعل فيه محقق الوقوع.

للاتقان للسيوطي والحوال أنه قد قام بتحقيق "البرهان" قبل قيامه بتحقيق "الإتقان" لعلم أن الزركشي قد ضبط سبعة عشر وجهًا المذكورة أعلاه والمعنى الخامس منها "الرسل والكتب" ولكن المحقق المحترم لم يقم بتعليق على ذلك الموضوع بينما يجب أن يكون عدد الأوجه، عنده، ثمانية عشر وجهًا، وأيضًا راجع الكتب المذكورة حول الوجوه والنظائر.

<sup>1</sup> الكشف (289:3)، ونقله أبو حيان من دون ذكر المرجع (280:7).

<sup>2</sup> للتفصيل يرجى الرجوع إلى الإنصاف، المسألة 88 (632:2) ومأخذ السيوطي هو المغني (40، 39)، يقول أبو حيان إنه يوجد عند مقاتل بن سليمان وأبو عبيدة "إن" في نفس المعنى (101:8، 39:3).

وقد أريد ذلك في مواضع أخرى غير هذه حيث يتحتم وقوع الفعل، يقول الإمام السيوطي رحمه الله "وأجاب الجمهور عن آية المشيئة بأنه تعليم للعباد كيف يتكلمون إذا أخبروا عن المستقبل أو بأن أصل ذلك الشرط ثم صار يذكر للتبرك أو أن المعنى لتدخلن جميعاً "إن شاء الله" ألا يموت منكم أحد<sup>1</sup> قبل الدخول وعن سائر الآيات بأنه شرط جيء به للتهييج والإلهاب كما تقول لابنك: إن كنت ابني فأطعني.<sup>2</sup> (202:1)

تعليق الإمام الفراهي:

جواب الجمهور ليس بشيء. (191:1)

30- ذكر مما ذكر من معاني حرف جر "في" "عن"<sup>3</sup> واستدل عليه بقوله تعالى "فَهُوَ فِي الْأَخِرَةِ أَعْمَى" (سورة الإسراء: 72) أي عنها وعن محاسنها.<sup>4</sup>

تعليق الإمام الفراهي:

فيه نظر (205:5)

31- نقل العلامة السيوطي قول بعض علماء البلاغة فيما يتعلق بـ"كل" فيقول "وحيث وقعت في حيز النفي بأن تقدمت عليها أداته أو الفعل المنفي فالنفي موجه إلى الشمول خاصة ويفيد بمفهومه إثبات الفعل لبعض الأفراد، وقد أشكل على هذه القاعدة قوله سبحانه وتعالى "وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" (سورة الحديد: 23)

<sup>1</sup> وهذا الجواب الثالث نقله أبو حيان (101:8) والقرطبي (29:16) من الحسين بن الفضل البجلي (282:178هـ)، اسمه أبو حيان وعند الزركشي (486:1) "الحسن" وهو غير صحيح.

<sup>2</sup> أبو حيان، 278:2.

<sup>3</sup> هذا المعنى ما ذكره الزمخشري ولا أبو حيان ولا ابن هشام، وقد وهم السيوطي من بعض التفاسير مع العلم بأنه يجب عليه أن لا يتجاوز عن رواية ابن أبي طلحة "من عي عن قدرة الله في الدنيا فهو في الآخرة أعمى" (الطبري، 128:15) فنظرًا لهذا التفسير "في الدنيا.... في الآخرة" ظرفان في كلا الموضعين.

<sup>4</sup> القرطبي، 298:10.

إذ يقتضي إثبات الحب لمن فيه أحد الوصفين<sup>1</sup> وأجيب بأن دلالة المفهوم إنما يعول عليها عند عدم المعارض وهو هنا موجود إذ دلّ الدليل على تحريم الاختيال والفخر مطلقاً". (220:1)

تعليق الإمام الفراهي:

لا معول على من زعم الإشكال. (208:1)<sup>2</sup>

32- النوع 42 من الإتقان يشتمل على قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها وإحداها قاعدة في الضمائر (244:1).

تعليق الإمام الفراهي:

باب الضمائر مهم جداً (231:1).

33- يقول السيوطي رحمه الله "وقد يثنى الضمير ويعود على أحد المذكورين نحو "يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ" (سورة الرحمن: 22) وإنما يخرج من أحدهما" (245:1). الضمير "هما" للمثنى والمراد هنا من "اللؤلؤ" و"المرجان" قسم واحد يخرج من أحدهما الماء المالح.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> من حيث القاعدة المذكورة يكون المعنى "إن الله سبحانه وتعالى لا يحب كل فخور ومختال" يعني أن هناك فخوراً ومختلاً يحبّه الله" وهذا هو الإشكال.

<sup>2</sup> يقول الإمام الفراهي رحمه الله: في بعض الأحيان يأتي ضد المنفي في معنى الإثبات مثلاً "لا يحب" يأتي بمعنى "يبغض" وله أمثلة كثيرة، مفردات القرآن: 63، وأساليب القرآن: 44

<sup>3</sup> مجاز القرآن، 224:2، ومعاني القرآن، 115:3، أنكر الإمام الطبري رحمه الله هذا القول وقال "المراد بـ"البحرين" بحر السماء، وبحر الأرض، لأن اللؤلؤ يتولد من ماء السماء وأصداف بحر الأرض"، إذن الضمير من حيث المرجع مثنى، هذا التفسير منقول من مجاهد وسعيد بن جبير (الطبري، 132:27)، لكن الحافظ ابن كثير (468:7) لم يختار هذا التفسير، بل قال "والمراد بقوله {البحرين} الملح والحلو" وتفسير "منهما" أي من مجموعهما، فإذا وجد ذلك من أحدهما كفى، كما قال تعالى {يَمَعَثِرَ الْحِجْنَ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ} [سورة الأنعام: 130] والرسول إنما كانوا في الإنس خاصة دون الجن وقد صرح هذا الإطلاق وأما قوله: {وَمِنْ كُلِّ تَآكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ جِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا} [سورة فاطر: 12]، فاللحم من كل من الأجاج والعذب، والحلية إنما هي من المالح دون العذب.

تعليق الإمام الفراهي:

لم يصب (231:1)<sup>1</sup>

34- ويقول: "قد يجيء الضمير متصلًا بشيء وهو لغيره نحو "ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين" يعني آدم ثم قال "ثم جعلناه نطفة" فهذه لولده لأن آدم لم يخلق من نطفة". (245:1)<sup>2</sup>

تعليق الإمام الفراهي:

لم يصب، فإن المراد بالإنسان نوعه وكل ما يجري على بعض النوع ينسب إلى النوع. (232:1)<sup>3</sup>

35- فيما يتعلق عن الضمائر يقول: "الأصل توافق الضمائر في المرجع حذرًا من التشتيت". (245:1)

تعليق الإمام الفراهي:

أصل مهم في اختلاف المرجع. (222:1)

36- بعد ذكر الأصل المذكور أعلاه يقول السيوطي "لهذا لما جوز بعضهم في "أن اقذفه في التابوت فاقذفه في اليم"<sup>4</sup> أن الضمير في الثاني للتابوت وفي الأول لموسى عابه الزمخشري وجعله تنافرًا مخرجًا للقرآن عن إعجازه فقال والضمائر كلها راجعة إلى موسى ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هجنة لما يؤدي

<sup>1</sup> وقد نقل صاحب "تدبر قرآن" (135:7) عن مقالة (Pearl) المنشورة في موسوعة بريطانيا فقال "تولد الحشرات التي في الأصداف دررًا ثمينة في المناطق المعتدلة في النصف الشمالي من الكرة الأرضية، الأصداف من المياه العذبة تخرج في الأمم المتحدة الأمريكية عادة من بحيرة مس سسبي... أما في الصين فكانت معروفة في إخراج الأصداف من المياه العذبة قبل ميلاد المسيح"

<sup>2</sup> البحر المحيط، 398:6.

<sup>3</sup> الكشف، 27:3.

<sup>4</sup> هذا القول نقله أبو حيان من ابن عطية، 241:6.



إليه من تنافر النظم الذي هو أم إعجاز القرآن ومراعاته أهم ما يجب على المفسر". (245:1)<sup>1</sup>

تعليق الإمام الفراهي:

لم يصب الزمخشري في إطلاقه، ولكنه أراد مواضع خالية عن القرينة. (232:1)  
37- في باب مرجع الضمير ذكر أمثلة تخرج عن القاعدة المذكورة منها قوله تعالى: "وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا" (سورة الهود: 77) قال ابن عباس: "ساء ظنًا بقومه وضاق ذرعًا بأضيافه" (246:1) يعني الضمير الأول "هم" مرجعه "قوم" والثاني "رسل".<sup>2</sup>

تعليق الإمام الفراهي:

لا يصح ما روي عن ابن عباس. (232:1)

38- ويقول أيضًا فيما يتعلق عن الضمائر "وأما غير العاقل فالغالب في جمع الكثرة الأفراد وفي القلة الجمع وقد اجتمعا في قوله "إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا" إلى أن قال "منها أربعة حرم" فأعاد منها بصيغة الأفراد على الشهور وهي للكثرة ثم قال فلا تظلموا فيهن فأعاده جمعًا على أربعة حرم وهي للقلة، وذكر الفراء لهذه القاعدة سرًا لطيفًا وهو أن المميز مع جمع الكثرة هو ما زاد على

<sup>1</sup> الكشف، 2: 536

<sup>2</sup> هذا التفسير رواه علي بن أبي طلحة من ابن عباس رضي الله عنه، وبحسب السيوطي يجب التمسك بهذا التفسير، وقد نسي السيوطي عندما فسّر في "الجلالين" (296) واختار من التفسير ما قام به الجمهور، والعجب أن الطبري فسّر هذه الآية (81:13) "وَلَمَّا جَاءَتْ مَلَائِكَتُنَا لُوطًا، سَاءَهُمْ مَجِئُهُمْ. وَهُوَ فَعْلٌ مِنَ السُّوءِ. وَضَاقَ بِهِمْ بِمَجِئِهِمْ ذَرْعًا" ولتأكيد ذكر تفسير ابن عباس رضي الله عنه، لم يشر إلى هذه الرواية الحافظ ابن كثير (267:4) ولا القرطبي (74:9) ولا الشوكاني (513:2) وأيضًا الزمخشري وأبو حيان في تفاسيرهم، كأن التفسير من الطبري حتى الشوكاني كان منثورًا على حد سوي، لم يذكر السيوطي هذه الرواية في الدر المنثور (342:3) برواية ابن عباس رضي الله عنه بل نقله برواية قتادة.

العشرة لما كان واحداً وخذ الضمير ومع القلة وهو العشرة فما دونها لما كان جمعاً  
جمع الضمير. (247:1)<sup>1</sup>

تعليق الإمام الفراهي:

أ- عنون الإمام الفراهي هذه القاعدة أولاً فقال: وحدة الضمير المؤنث وجمعه إذا  
كان المرجع جمع غير العاقل.  
ثم علّق على قول الفراء فقال:  
ب- أصاب الفراء وأحسن (233:1).

39- ويمضي السيوطي قائلاً عن الضمائر "إذا اجتمع في الضمائر مراعاة اللفظ  
والمعنى بدئ باللفظ ثم بالمعنى هذا هو الجادة في القرآن". (247:1)  
تعليق الإمام الفراهي:

أصل مهم في اختلاف الضمائر مع اتحاد المرجع (233:1)  
40- بعد ذكر القاعدة ينقل السيوطي عن الشيخ علم الدين العراقي فيقول "قال  
الشيخ علم الدين العراقي ولم يجيء في القرآن البداءة بالحمل على المعنى إلا في  
موضع واحد وهو قوله: "وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم  
على أزواجنا" (سورة الأنعام: 139) فأنت خالصاً حملاً على معنى ما ثم راعى  
اللفظ فذكر فقال محرم. (247:1)<sup>2</sup>

تعليق الإمام الفراهي:

ليس كما ظن، فإن التاء في "خالصة" ليست للتأنيث،<sup>3</sup> فإن ما في البطون غير  
مختص بالمؤنث، فلا حمل على اللفظ بعد الحمل على المعنى. (233:1)

<sup>1</sup> معاني القرآن، 1: 435

<sup>2</sup> نقل أبو حيان (232:4) هذا القول من الشيخ علم الدين العراقي ثم يقول إن هذا القول للمكي  
بن أبي طالب.

<sup>3</sup> نقل الإمام الطبري (194، 148:12) من بعض علماء النحاة الكوفيين أن "خالصة" أتت مؤنثة  
مراعاة "للأنعام"، وذكر أيضاً أن "خالصة" أتت مصدراً كـ "عاقبة" و "عافية"، ولكنه رجح  
القول بأن التاء في "خالصة" للمبالغة وليست للتأنيث.

41- "وقال ابن الجني في المحتسب يجوز<sup>1</sup> مراجعة اللفظ بعد انصرافه عنه إلى المعنى وأورد عليه قوله تعالى: "وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ" (٣٣) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ" (٣٧) ثم قال: "حَتَّى إِذَا جَاءَنَا ...." (سورة الزخرف: 36-38) فقد أرجع اللفظ بعد الانصراف عنه إلى المعنى". (247:1)

تعليق الإمام الفراهي:

لم يصب ابن الجني،<sup>2</sup> فإن الآية ليس فيها اتحاد المرجع، فإن قوله تعالى: "وإنهم ليصدونهم" بيان الجماعة، وقوله تعالى: "ومن يعش" هو بيان الأفراد فرداً فرداً، أي كل غافل عن ذكر الرحمن له قرين، ثم دل ذلك على جماعة القراء فرجع ضمير الجمع إلى هذا المفهوم، فافهم. (233:1)

42- "قري شاذاً قل هو الله الأحد الله الصمد، حكى هذه القراءة أبو حاتم في كتاب الزينة عن جعفر بن محمد". (250:1)<sup>3</sup>

تعليق الإمام الفراهي:

ليس بقراءة، إنما تفسير. (236:1)

43- "أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن أبي بن كعب قال كل شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة وكل شيء فيه من الريح فهو عذاب ولهذا ورد في الحديث (اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً)". (252:1)

<sup>1</sup> العبارة في الطبعة التي كانت لدى الإمام هكذا "وقال ابن الجني في المحتسب يجوز مراجعة اللفظ ...." وحاشية الإمام على نفس العبارة ولذا قمت بذكره كما كان ثم نوهت ذلك هنا وهو "أن" "لا" سقطت من هذه العبارة، علماً بأن اللفظ "لا يجوز" يوجد في الطبعة المتداولة (247:1) والطبعة المحققة (343:2)، إذا وهبنا "أورد" فعلاً مجهولاً فتكون الجملة "قال ابن الجني في المحتسب لا يجوز مراجعة اللفظ بعد انصرافه عنه إلى المعنى". ذكر الإمام هذه الآية بعد اعتراضه على رأي ابن الجني.

<sup>2</sup> الأصح أن يكون في حاشية الإمام "المعتضون على ابن الجني" بدلاً من "ابن الجني".

<sup>3</sup> كتاب الزينة، 39:2.

تعليق الإمام الفراهي:

لا يصحّ هذا الحديث. (238:1)<sup>1</sup>

44- فوّض الجمهور في المتشابه العلم إلى الله ولذا في قوله تعالى: "وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ" (سورة آل عمران: 7) "الرَّاسِخُونَ" جملة استثنائية بينما يقول بعضهم "الرَّاسِخُونَ" معطوف، فيقول السيوطي إن النووي رحمه الله اختار هذا القول فقال في شرح مسلم: "إنه الأصح لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته، وقال ابن الحاجب إنه الظاهر". (4:2)

تعليق الإمام الفراهي:

أخطأ النووي وابن الحاجب فيما خالفا به السلف. (3:2)

45- يقول السيوطي رحمه الله وهو يؤيد الجمهور في هذه المسألة: "ويؤيد ذلك أن الآية دلّت على ذم متبعي المتشابه ووصفهم "بالزيع" و"ابتغاء الفتنة" وعلى مدح الذين فوضوا العلم إلى الله وسلموا إليه كما مدح الله المؤمنين بالغيب". (4:2)

تعليق الإمام الفراهي:

أخطأ في تأويل المؤمنين بالغيب. (3:2)<sup>2</sup>

46- يقول أيضاً: "وأخرج ابن أبي داود في المصاحف من طريق الأعمش قال في قراءة ابن مسعود (وإن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به)". (4:2)

تعليق الإمام الفراهي:

أخطأ فيما زعم من قراءة ابن مسعود وإنما هو تفسير منه. (3:2)

<sup>1</sup> راجع مجمع الزوائد، 135:10، والمطالب العالية، 238:3

<sup>2</sup> راجع تفسير الإمام رحمه الله لسورة البقرة (لم يطبع)، وتدبر قرآن، 90:1.

47- في هذا الفصل نقل السيوطي بعض الروايات المتعلقة بـ "سبعة أحرف"، وأول رواية هي عن الحاكم. (5:2)

تعليق الإمام الفراهي:

روايات تدل على تأويل سبعة أحرف. (4:2)

48- نقل عن الراغب فقال "وقال الراغب في مفردات القرآن الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب؛ محكم على الإطلاق ومتشابه على الإطلاق ومحكم من وجه متشابه من وجه فالمتشابه بالجملة ثلاثة أضرب متشابه من جهة اللفظ فقط ومن جهة المعنى فقط ومن جهتهما". (6:2)<sup>1</sup>

تعليق الإمام الفراهي:

أخطأ الراغب فيما أدخل في المتشابه ما ليس منه. (5:2)

49- نقل عن فخر الدين الرازي فقال: "وقال الإمام فخر الدين صرف اللفظ عن الراجح إلى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل وهو إما لفظي أو عقلي والأول لا يمكن اعتباره في المسائل الأصولية لأنه لا يكون قاطعاً لأنه موقوف على انتفاء الاحتمالات العشرة المعروفة وانتفاؤها مظنون والموقوف على المظنون مظنون والظني لا يكتفي به في الأصول وأما العقلي فإنما يفيد صرف اللفظ من ظاهره لكونه الظاهر محالاً وأما إثبات المعنى المراد فلا يمكن بالعقل لأن طريق ذلك ترجيح مجاز على مجاز وتأويل على تأويل وذلك الترجيح لا يمكن إلا بالدليل اللفظي والدليل اللفظي في الترجيح ضعيف لا يفيد إلا الظن والظن لا يعول عليه في المسائل الأصولية القطعية فلهذا اختار الأئمة المحققون من السلف والخلف بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال ترك الخوض في تعيين التأويل". (7:2)

<sup>1</sup> مفردات: (شبهه) 26.

تعليق الإمام الفراهي:

أخطأ الإمام فيما جعل من المتشابه ما ليس منه. (6:2)

50- في نفس الباب بدأ السيوطي فصلاً بعنوان "أوائل السور من المتشابه". (11:2)

تعليق الإمام الفراهي:

أخطأ فيما زعم أن أوائل السور من المتشابه. (10:2)

51- النوع الرابع والأربعون في الإتقان يتعلق فيما يزعم الكاتب أن في القرآن ما قدّم وأخر، أي قدّم ما حقه التأخير والعكس صحيح. (17:2)

تعليق الإمام الفراهي:

كل ما ذكر فيه التقديم والتأخير ليس فيه تقديم ما حقه التأخير. (16:2)

52- "قد يقدم لفظ في موضع ويؤخر في آخر ومن نكته قصد التفنن في الفصاحة وإخراج الكلام على عدة أساليب كما في قوله: "وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ"<sup>1</sup> (سورة البقرة: 58) وقوله: "وَقُولُوا حِطَّةٌ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا" (سورة الأعراف: 161). (20:2)

تعليق الإمام الفراهي:

لم يصب. (19:2)

53- فيما يتعلق عن العام والخاص ذكر السيوطي قوله تعالى "أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ..." (سورة النساء: 54) أي رسول الله<sup>2</sup> لجمعه ما في الناس من الخصال الحميدة. (22:2)

<sup>1</sup> انظر تفسير الإمام الفراهي لسورة البقرة (لم يطبع) وتدبر قرآن، 82:1، ومقالة الشيخ بدر الدين الإصلاحي "حروف مقطعات"، مجلة "الإصلاح" الشهرية، 10/2: 611-616.

<sup>2</sup> هذا القول ينسب أيضاً إلى عكرمة ومجاهد وضحاك وابن عباس رضي الله عنه، وعند قتادة المراد بـ"الناس" قريش، ولكن الإمام الطبري رحمه الله قال: "أن المراد منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه (276:8).

تعليق الإمام الفراهي:

أخطأ. (20:2)

54- "اختلف في الخطاب الخاص به نحو "يأيها النبي"" "يأيها الرسول" هل يشمل الأمة فقيل نعم لأن أمر القدوة أمر لأتباعه معه عرفاً والأصح في الأصول المنع لاختصاص الصيغة به". (24:2)

تعليق الإمام الفراهي:

أخطأ، فإن التصحيح هو التفصيل حسب الموقع. (22:2)<sup>1</sup>

55- "ذكر هبة الله بن سلامة الضرير أنه قال: في قوله تعالى "وَيُطْعَمُونَ أَلْطَّامَ عَلَىٰ حَبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا" (سورة الإنسان: 8) إن المنسوخ من هذه الجملة "وأسيرًا" والمراد بذلك أسير المشركين فقرئ عليه الكتاب وابنته تسمع فلما انتهى إلى هذا الموضع قالت له: أخطأت يا أبت قال: وكيف؟ قالت: أجمع المسلمون على أن الأسير يطعم ولا يقتل جوعاً فقال: صدقت". (31:2)<sup>2</sup>

تعليق الإمام الفراهي:

حكاية عجيبة ذات فوائد. (29:2)

56- ذكر جماعة من علماء البلاغة بين الإيجاز والإطناب واسطة وهي المساواة يتساوى فيها اللفظ والمعنى وقد مثل لها في التلخيص بقوله تعالى: <sup>3</sup> "وَلَا يَحِثُّ

<sup>1</sup> يعني أنه يفهم من سياق الجملة، للتفصيل انظر: فاتحة نظام القرآن، (مقدمة) ص 5 "تعيين خطاب"، مجموعة تفاسير فراهي: 62، وأساليب القرآن: 14.

<sup>2</sup> لديّ نسختان لكتاب "الناسخ والمنسوخ" لهبة الله بن سلامة ولم يذكر فيهما هذه القصة، فربما نقل السيوطي هذه القصة من كتاب الزركشي (29:2)، والنسخة الموجودة لدى الزركشي كان قد ذكر فيها هذه القصة وقد نقل الطبري (29: 209-210) هذا القول من قتادة وعكرمة وحسن البصري إلا أنه اعتبره راجحاً، وأما ابن الجوزي فقد نقله برواية سعيد بن جبير (نواسخ القرآن: 105) مع أن الطبري نقل قوله بأن المراد من "أسير" هو مسلم وغير مسلم كلاهما.

<sup>3</sup> تلخيص المفتاح، 213

الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ" (سورة فاطر: 43) يذكر السيوطي "إطناب بلفظ السيء لأن المكر لا يكون إلا سيئاً". (70:2)

تعليق الإمام الفراهي:

أخطأ، فإن المكر ربما لا يكون سيئاً ولذلك جاء قوله تعالى: "وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ" (سورة آل عمران: 54). (69:2)

57- ذكر السيوطي من أنواع الحذف ما يسمّى بالاحتباك وهو من أطف الأنواع وأبدعها وقلّ من تنبّه له أو نبّه عليه من أهل فن البلاغة ولم أره إلا في شرح بديعية الأعى<sup>1</sup> لرفيقه أحمد بن يوسف الرعيني الأندلسي، وقال الأندلسي في شرح البديعية من أنواع البديع الاحتباك وهو نوع عزيز وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول كقوله تعالى: "وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٧١﴾" (سورة البقرة: 171) التقدير "ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينطق والذي ينطق به" فحذف من الأول الأنبياء لدلالة الذي ينطق عليه ومن الثاني الذي ينطق به لدلالة الذين كفروا عليه. (71:2)

تعليق الإمام الفراهي:

لقد قرب أسلوباً من العربية عجيباً ولكن خفى عليه ونذكره: وهو حذف ما دل عليه مناسبه، ومنه قوله تعالى: "فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ" أي أذاقها طعم الجوع وألبسها لباس الخوف، وفي الآية رعاية اللف والنشر ومنه قول (الحارث بن حلزة اليشكري):<sup>2</sup>

<sup>1</sup> اسمه "الحلة السيرا" وهي قصيدة بديعية لابن جابر الأندلسي الأعى المتوفى (780هـ)  
<sup>2</sup> عرّف الإمام بهذا الأسلوب في كتابه "أساليب القرآن" (29) بعنوان "حذف جانبيين من المتقابلين لما دل عليه مقابله" وذكر العديد من الأمثلة بما فيها "فأذاقها الله لباس الجوع والخوف" وهذا الشعر، وبسبب هذا الحذف اعترض قدامة بن جعفر في كتابه "نقد الشعر"، نقد العلامة قول قدامة في كتابه جمهرة البلاغة، ص 87



والعيش خير في ظلال النوك ممن عاش كدا (75:2)

58- يذكر السيوطي قاعدة بشأن النفي "أن نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي أصل الفعل وقد أشكل على هذا آيتان قوله تعالى: "وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ" (سورة فصلت: 46) وقوله: "وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا" (سورة مريم: 64). وأجيب عن الآية الأولى بأجوبة أحدها: أن ظلامًا وإن كان للكثرة لكنه جيء به في مقابلة العبيد الذي هو جمع كثرة ويرشحه أنه تعالى قال علام الغيوب فقابل صيغة فعال بالجمع وقال في آية أخرى عالم الغيب فقابل صيغة فاعل الدالة على أصل الفعل بالواحد. الثاني: أنه نفى الظلم الكثير لينتفي القليل ضرورة لأن الذي يظلم إنما يظلم لانتفاعه بالظلم فإذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فلا أن يترك القليل أولى. الثالث: أنه على النسبة أي بذى ظلم حكاه ابن مالك عن المحققين". (101:2)

تعليق الإمام الفراهي:

في جميع الأجوبة دليل على عدم المعرفة بأسلوب كلام العرب.<sup>1</sup> (88:2)

59- قال ابن أبي الإصبع في "تأكيد المدح بما يشبه الذم" "هو في غاية العزة في القرآن قال ولم أجد منه إلا آية واحدة<sup>2</sup> وهي قوله: "قُلْ يَتَاهَلْ أَلَكِتَابِ هَلْ تَنَقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ..." (سورة المائدة: 59) قلت "ونظيرها قوله: "وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَيْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ" (سورة التوبة: 74). (114:2)

تعليق الإمام الفراهي:

ومنه<sup>3</sup> قوله تعالى: "وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾" (سورة البروج: 8) (101:2).

<sup>1</sup> عند الإمام نفي المبالغة هو المبالغة في النفي، انظر: أساليب القرآن، 44

<sup>2</sup> بديع القرآن، 50

<sup>3</sup> وأيضًا نظيره آية سورة الأعراف، "وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا" (رقم الآية: 126).

60- ذكر السيوطي نوعاً في المطابقة فقال: "ومنه نوع يسقى ترصيع الكلام وهو اقتران الشيء بما يجتمع معه في قدر مشترك<sup>1</sup> كقوله: "إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١٩﴾" (سورة طه: 118 و119) أتى بالجوع مع العرى وبابه أن يكون مع الظمأ وبالضحى مع الظمأ وبابه أن يكون مع العرى لكن الجوع والعرى اشتركا في الخلو فالجوع خلو الباطن من الطعام والعرى خلو الظاهر من اللباس والظمأ والضحى اشتركا في الاحتراق فالظمأ احتراق الباطن من العطش والضحى احتراق الظاهر من حرّ الشمس". (122:2)

تعليق الإمام الفراهي:

هكذا قال ابن القيم<sup>3</sup> وفيه تكلف. (108:2)

61- "وقال الزركشي في أوائل البرهان: قد جرت عادة المفسرين أن يبدأوا بذكر سبب النزول ووقع البحث في أنه أيما أولى البداءة به بتقدم السبب على المسبب أو بالمناسبة لأنها المصححة لنظم الكلام وهي سابقة على النزول". (237:2)

تعليق الإمام الفراهي:

هذا موافق بما اخترت في ترتيب الفصول. (220:2)

<sup>1</sup> لم أجد في أي كتاب للبلاغة ما يسقى بـ"ترصيع الكلام" حتى السيوطي لم يذكره في كتابه "شرح عقود الجمان" فالآية التي قدّمها على سبيل المثال والتي نقل شرحها من ابن القيم، نقلها ابن القيم نفسه في كتابه الفوائد (219) تحت عنوان "المقابلة المعنوية"

<sup>2</sup> شرح الإمام هذه الآية في حاشية كتاب العمدة فقال: "في الآية نفى بؤس الدنيا، فإن فيها شتاء وصيفاً، ففي الشتاء يشتد الجوع، ويقل الرزق، ويؤذي الهواء العريان، فيصيبه الأذى في باطنه وظاهره، وكذلك يتأذى في الصيف في جوفه وضاحي جسمه، ونظيره هذه الآية: "لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا".

<sup>3</sup> بدائع الفوائد، 240:3، والتفسير المقيم، 356

### المصادر والمراجع

1. ابن أبي الإصبع: بديع القرآن (تحقيق: حفي محمد شريف)، دار نهضة، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة الطبع لم تذكر
2. ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، المطبع لم يذكر، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1380هـ
3. ابن الجوزي: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (تحقيق: محمد عبد الكريم الراضي)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1404هـ
4. ابن الجوزي: نواسخ القرآن (تحقيق: محمد أشرف علي الملباري)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1404هـ
5. ابن القيم: الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1402هـ
6. ابن القيم: بدائع الفوائد، إدارة الطباعة المنيرية، تصوير دار الكتاب العربي، بيروت، سنة الطبع لم تذكر
7. ابن جرير الطبري: تفسير الطبري (تحقيق: محمود شاکر وأحمد شاکر)، دار المعارف، القاهرة، سنة الطبع لم تذكر
8. ابن جرير الطبري: تفسير الطبري، الحلبي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1388هـ
9. ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، دائرة المعارف، حيدرآباد، 1327هـ
10. ابن حجر: المطالب العالية (تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي)، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة الطبع لم تذكر
11. ابن خزيمة: صحيح ابن خزيمة (تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي)، المكتب الإسلامي، بيروت، سنة الطبع لم تذكر
12. ابن كثير: تفسير ابن كثير (تحقيق: محمد إبراهيم البنا ورفقاؤه)، الشعب، القاهرة، سنة الطبع لم تذكر
13. ابن هشام: مغني اللبيب (تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الخامسة، 1979م

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

14. أبو جعفر النحاس: الناسخ والمندسوخ، مطبعة السعادة، مصر، 1323هـ
15. أبو حاتم الرازي: كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية (تحقيق: حسين بن فيض الله الهمداني)، المطبع لم يذكر، القاهرة، 1958م
16. أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، سنة الطبع لم تذكر
17. أبو عبيدة معمر المثنى: مجاز القرآن (تحقيق: محمد فؤاد سيزكين)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1401هـ
18. أبو عوانة: مسند أبو عوانة، دار المعرفة، بيروت، سنة الطبع لم تذكر
19. أشرف علي التهانوي: ترجمة القرآن الأردوية، مكتبة سليم، نيو دلهي، سنة الطبع لم تذكر
20. أمين أحسن الإصلاحي: تدبر قرآن، فاران فاؤنديشن، لاهور، (الترتيب الجديد)، الطبعة الأولى، 1983م من المجلد الخامس إلى المجلد الثامن، فاران فاؤنديشن، لاهور، (الترتيب القديم)، الطبعة الثانية، 1982م
21. تفسير ابن القيم: التفسير القيم (ترتيب: محمد أويس الندوي)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1398هـ
22. حاجي خليفة: كشف الظنون، مكتبة المثنى، بيروت، سنة الطبع لم تذكر
23. الحاكم: المستدرک، المطبع لم يذكر، حيدرآباد، 1337هـ
24. الدامغاني: قاموس القرآن (إصلاح الوجوه والنظائر، ترتيب: عبد العزيز سيد الأهل)، دار المعلم للملائين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1983م
25. الراغب الإصفهاني: معجم مفردات القرآن (تحقيق: نديم شبلي)، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة الطبع لم تذكر
26. الزركشي: البرهان في علوم القرآن (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعرفة، بيروت، سنة الطبع لم تذكر
27. الزمخشري: الكشاف، الحلبي، القاهرة، 1385هـ
28. السيوطي وصاحبه: الجلالين (على هامش المصحف)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

29. السيوطي: الإتيقان في علوم القرآن (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)،  
الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974 م
30. السيوطي: الإتيقان في علوم القرآن، المطبعة الكستلية، مصر، 1279 هـ
31. السيوطي: الإتيقان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت
32. السيوطي: الدر المنثور، دار المعرفة، بيروت، سنة الطبع لم تذكر
33. السيوطي: شرح عقود الجمان، الحلبي، القاهرة، سنة الطبع لم تذكر
34. الشوطاني: فتح القدير، دار المعرفة، بيروت، سنة الطبع لم تذكر
35. الطحاوي: شرح معنى الآثار (تحقيق: محمد زهري النجار)، دار الكتب  
العلمية، بيروت، سنة الطبع لم تذكر
36. عبد الحميد الفراهي: تفسير سورة البقرة (مخطوط الدائرة الحميدية)
37. عبد الحميد الفراهي: تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الدائرة  
الحميدية، سرائر مير، أعظم كره، الطبعة الأولى، 2008 م
38. عبد الحميد الفراهي: جمهرة البلاغة، مطبعة معارف، أعظم كره، 1360 هـ
39. عبد الحميد الفراهي: فاتحة نظام القرآن، مطبعة إصلاح، أعظم كره، 1357 هـ
40. عبد الحميد الفراهي: مجموعة تفاسير فراهي (ترجمة أردوية: أمين أحسن  
الإصلاح)، أنجمن خدام القرآن، لاهور، 1393 هـ
41. عبد الحميد الفراهي: مفردات القرآن، مطبعة إصلاح، سرائر مير، أعظم كره، 1359 هـ
42. عبد الحميد، الفراهي: أساليب القرآن، الدائرة الحميدية، سرائر مير، أعظم  
كره، 1389 هـ
43. الفراء: معاني القرآن (تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار)، دار  
الكتب المصرية، القاهرة، 1374 هـ
44. قدامة بن جعفر: نقد الشعر (تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي)، مكتبة  
الكلبيات الأزهرية، القاهرة، 1399 هـ
45. القرطبي: تفسير القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1358 هـ
46. القزويني: التلخيص (شرح: عبد الرحمن البرقوقي)، دار الكتاب العربي،  
بيروت، سنة الطبع لم تذكر

## العدد الخاص.....مجلة الهند

47. مجلة "الإصلاح" الشهرية الصادرة عن الدائرة الحميدية، سرائير مير، أعظم كره
48. مسلم: صحيح مسلم (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي)، الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1374هـ
49. معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري (ترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار المعرفة، بيروت، سنة الطبع لم تذكر
50. مقاتل بن سليمان البلخي: الأشباه والنظائر في القرآن الكريم (تحقيق: عبد الله محمود شحاتة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1395هـ
51. النسائي: سنن النسائي، المكتبة السلفية، لاهور، الطبعة الثانية، 1396هـ
52. هبة الله بن سلامة: الناسخ والمنسوخ (على هامش أسباب النزول للواحدي)، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة الطبع لم تذكر
53. هبة الله بن سلامة: الناسخ والمنسوخ، الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1387هـ
54. الهيثمي: مجمع الزوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1402هـ
55. يحيى بن سلام: التصاريغ (تحقيق: هند شبلي)، الشركة التونسية، تونس، 1400هـ

## سلسلة نسب الرسول صلى الله عليه وسلم

### وبعض المباحث الهامة<sup>1</sup>

- المعلم عبد الحميد الفراهي<sup>2</sup>

ترجمة من الأردوية: د. ظفر الإسلام خان<sup>3</sup>

الجزء المتقدم من الأحوال التي سنتعرض لها في هذا الباب، يتفق فيها تاريخنا وتاريخ اليهود في الأدوار المتقدمة. وهناك خلافات في أمور عديدة. وإلى جانب هذه الخلافات، اختلق النصارى - نتيجة التعصب والتنافس الديني - مطاعن جديدة. ولذلك وجب الرد على شبهات اليهود والنصارى. ولكن لا نتعرض لهذه الأشواك في بداية الأمر، بل نقوم أولاً بجمع حقائق الأحوال بصورة بسيطة ثم بعد الفراغ منها سنتعرض، إن شاء الله، لشبهات المعارضين بقدر الضرورة.

#### سلسلة النسب:

سلسلة نسب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى آدم عليه السلام كما يلي:

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن عمرو (الملقب بـ "هاشم") بن عبد مناف بن قصي الملقب بـ "مجمع" بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن

<sup>1</sup> نشر هذا البحث في عددي ديسمبر 1916م ويناير 1917م لمجلة "معارف" الصادرة عن "دار المصنفين" بمدينة أعظم كره بالهند. وكان الأستاذ الإمام آنذاك عميد كلية "دار العلوم" بحيدرآباد الدكن. ويبدو أنه كتب هذا البحث ليستفاد به في "سيرة النبي" للعلامة شبلي النعماني وكذا يبدو من نهايته أنه لم يكتمل. (المترجم).

<sup>2</sup> مفسر هندي ممتاز والذي يختص بسيرته وأعماله هذا العدد

<sup>3</sup> صحفي ومترجم هندي بارز

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد [بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار] بن إسماعيل بن إبراهيم بن آزر بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عبر بن سالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لامك بن متوشالغ بن أخنوخ بن يارد بن صهلانيل بن قبنان بن أنس بن شيث بن آدم.

وتذكر التوراة سلسلتين لنسب آدم عليه السلام، إحداهما سلسلة إلى نوح عليه السلام، وهي التي ذكرناها آنفًا. أما الثانية فمنقطعة وهي كما يلي:

يابال، يوبال، توبال، أبناء لامك بن متوشائيل بن محويائيل بن عيراد بن حنوك بن قايين بن آدم.<sup>1</sup>

وهناك تشابه كبير بين هاتين السلسلتين. وهما روايتان منفصلتان في ظاهر الأمر. وبما أنّ هناك مجالًا واسعًا للتغيير في الحروف العبرانية فلذلك أجري تغيير خفيف في هذه الأسماء لدرء التناقض. وسلسلة النسب من إبراهيم إلى آدم عليهما السلام، المستمدة من التوراة، تتكون من 20 جيلًا فقط وهو أمرٌ مخالف للقياس. ورغم أنّ التوراة تقول إن أعمار البشر في القرون الأولى كانت كبيرة جدًا، إلا أنّ هذا لا يحلّ هذه المشكلة.

عدد السنين من آدم إلى إبراهيم:

3407 سنة طبقًا للتوراة العبرانية

2322 سنة طبقًا للتوراة السامرية

3407 سنة طبقًا للتوراة السبعينية

عدد السنين من آدم عليه السلام إلى الطوفان:

1656 سنة طبقًا للتوراة العبرانية

1307 سنة طبقًا للتوراة السامرية

<sup>1</sup> التكوين 4:



2262 سنة طبقًا للتوراة السبعينية

عدد السنين من الطوفان إلى هجرة إبراهيم:

365 سنة طبقًا للتوراة العبرانية

1015 سنة طبقًا للتوراة السامرية

1145 سنة طبقًا للتوراة السبعينية

إنه لا يمكن الاعتداد بهذه الأرقام مطلقًا، وذلك لأنّ هناك شواهد تاريخية قوية جدًا تدلّ على أنّ وجود بني آدم أقدم بكثير من القرون التي تفترضها التوراة.

والحقيقة هي أنّ سلسلة النسب التي توفرت لليهود كانت تنقصها حلقات كثيرة. وكان الأبناء يسمّون بأسماء أجدادهم المشهورين. وفي التوراة أمثلة كثيرة لذلك، فذكر "بنو إسرائيل" في مواضع كثيرة باسم "إسرائيل". وهكذا ذكر شعيب عليه السلام باسم "يؤز" مرة وباسم "حاب" مرة أخرى. ونتج عن هذه العادة أنّ بقيت أسماء أجداد القبائل في أحيان كثيرة داخل سلسلة النسب بينما سقطت أسماء أخرى من الوسط. ويجب أن نحضرنا هذه النقطة حيث أنّها تحلّ معظم مشكلات الأنساب.

ولقّب قصي بن كلاب بـ "مجمع" لأنّ هذا الشخص المعروف استعاد سدانة الكعبة من جرهم أحوال بني إسماعيل، الذين استولوا على الكعبة بعد وفاة نابت بن إسماعيل، كما قام قصي بن كلاب بجمع أولاد فهر بن مالك المشتتين فأسكنهم داخل بطحاء مكة وخارجها فسمّيت هذه القبائل منذ ذاك اليوم باسم "قريش". ولم تزل سدانة الكعبة التي كانت ميراث إبراهيم ورمز السيادة الدينية في أيدي قريش وحدها.

وبرز أبناء معد بن عدنان فكان فيهم الشرف والنباهة والعدد، وانتشر من القبائل العدنانية ما لا تعد ولا تحصى في أنحاء الجزيرة العربية. ولكن الفروع الواقعة بين

عدنان وإسماعيل عليه السلام لم تثمر كثيراً أو انقرضت، ولذلك قلَّ عدد من يحفظ سلسلة النسب من عدنان إلى إسماعيل فأنحصرت في ذاكرة بعض علماء الأنساب. وكانت النتيجة اللازمة لهذا أن طرأ بعض الخلاف في هذا الجزء من سلسلة النسب فيما يتعلق بتلفظ الأسماء وتعدادها وتقدمها وتأخرها. وسنتناول هذا الجانب بالمزيد من البحث عند الردّ على الشبهات. ويكفي الآن أن نعرف أنه ليس من المستبعد أن يقع خلاف كهذا في الأجزاء العليا من سلاسل النسب. ويوجد مثال له في التوراة نفسها في فترة ما قبل نوح عليه السلام. وهكذا هناك اختلاف في سلسلة النسب بين عيسى وداود عليهما السلام رغم أن زمنهما ليس بقديم كثيراً كما أن سلسلة النسب بينهما ليست بطويلة أيضاً.

والحقيقة هي أن التاريخ ليس بمسؤول عن ذكر الأسماء التي لا ترتبط بها واقعة جديرة بالاعتبار. ومن العبث أن نتوقع أن لا يحدث خلاف ما في ضبط أسماء كهذه وترتيبها. ولكن هذا الاختلاف لا يؤدي إلى أية شبهة فيما يتعلق بمنتهى النسب، كما لا يؤثر في تواتره. فكل يهودي اليوم يؤمن بأنه من "بني إسرائيل" لأنه سمع هذه النسبة أباً عن جد، رغم أنه لا يحفظ سلسلة نسبه. وهذه هي حال كل شعوب العالم. وهكذا لم يكن أنهم لم يحفظوا الجزء الأعلى من سلسلة نسبهم. ويسمى هؤلاء العدنانيون بالعرب "المستعربة" لأن جدهم إسماعيل عليه السلام وفد على الجزيرة العربية من الخارج.

#### علاقة بني إسماعيل ببني جرهم:

كان بنو قحطان يحكمون الجزيرة العربية قبل مجي العرب المستعربة. وهم من نسل (عبر) الذي يقع في الجيل السادس قبل إبراهيم عليه السلام. وكان هؤلاء من سكان الجزيرة العربية منذ مدة طويلة ولذلك يسمّون بالعرب "العاربة". وقد أنشأ بنو قحطان ممالك واسعة وقوية ودامت حكوماتهم من اليمن إلى شمال الشام، ومن دجلة إلى النيل، لمئات السنين فأنشأوا بها حضارات راقية ونهض من بينهم الملك الصالح المشهور "ذو القرنين"، ومنهم ذلك الحاكم الذي سمّي في التوراة "أبا

ملك" والذي رَحَّبَ بإبراهيم عليه السلام وجعله من حلفائه. وفيهم تزوّج إسماعيل عليه السلام في أسرة كريمة كانت تسعى ببني جرهم وتحكم الحجاز.

وليس هناك من شبهة - في ضوء القرائن التاريخية - في أن هاجر عليها السلام كانت من بني جرهم وغالب الظن أنها كانت بنت أبو ملك المذكور آنفًا.

اندماج بني قحطان وبني إسماعيل في شعب واحد:

دخل عنصر بني قحطان في سلسلة نسب بني إسماعيل منذ البداية، وأخذ الدم القحطاني يجري في عروقهم. وكان بنو إسماعيل حديثي عهد بموطنهم الجديد ولكن أكرمهم بنو قحطان. وكان إكرام الضيف عادة قديمة من عاداتهم لدرجة أنها أصبحت جزءً من جبلتهم. وكان يكفهم لإكرام الأجانب أن يلجأوا إلى بلادهم. وبما أن تاريخ إكرامهم لآل إبراهيم طويل وأدى إلى نتائج في غاية الأهمية، فلذلك نذكر بعض الوقائع الخاصة بهذا الإكرام:

1. حين هاجر إبراهيم من بابل ووصل بلاد بني قحطان، مرورًا بكنعان، عاهد معه أبو ملك عهد الأخوة وقدم إليه هاجر.

2. تزوّج إسماعيل - حين كبر - في هذا الشعب، وترعرع أخلافه هنا. وقد ذكر الطبري أن إسماعيل عليه السلام تزوّج "السيدة" بنت مضاض بن عمر الجرهمي، فولدت له اثني عشر ابنًا، هم: نابت، وقيدر، وأدبيل، وميشا، ومسمع، ودما، وماس، وأدد، ووطور، ونفيس، وطما، وقيدمان.<sup>1</sup>

انتشر العرب من قيدمان ونابت وقيدر. وقد ذكر الطبري الاختلاف الوارد في ضبط الأسماء مثل قيدير = قيدار، وأدبيل = أدبال، وميشا = ميشام، ودما = أدما، وماس = مسا، وأدد = حداد، وطما = تيم، ونافس = نفيس، وقيدمان = قادمين. وهناك اختلافات أخرى مثل نفيس = قيس وقافيس.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> تاريخ الطبري، مؤسسة الأعلي، بيروت 1403/1983، 1/220-221 (المترجم)

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 221 (المترجم).

3. حين هرب موسى عليه السلام من مصر قبل نبوته لجأ إلى عربي قحطاني هو شعيب عليه السلام من سكان يثرب فمكث في تربيته عدة سنوات وتركه بعد أن تزوج ابنته. وحين خرج موسى عليه السلام مرة أخرى من مصر مع بني إسرائيل جاء إلى هذا البلد نفسه وعلمه شعيب عليه السلام أسرار الحكم على بني إسرائيل.<sup>1</sup>

4. حين أجبرت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم على الهجرة من وطنه دعاه العرب القحطانيون من يثرب هذه ذاتها - رغم أنف قريش - أن يأتي إليهم وأكدوا له أنهم سينصرونه وبايعوه على حرب الأسود والأحمر، وصدقوا ما قالوا فلقّبهم الله بـ"الأنصار".

وهكذا أصبح العدنانيون والقحطانيون شعباً واحداً بالمصاهرة والمعاشرة. ولهذا التشابك في الأرحام كان أهل يثرب القحطانيون يعدونه صلى الله عليه وسلم من أولادهم، وكانت دعواهم صحيحة بالنسبة لسائر بني إسماعيل إلا أنها كانت قوية بصورة خاصة بالنسبة إلى محمد صلى الله عليه وسلم لأن أحوال عبد المطلب من يثرب.

#### توطن بني إسماعيل في الحجاز وبناء الكعبة:

لكي يستقرّ في أذهاننا الوقائع المتعلقة بتوطن بني إسماعيل في الحجاز وإنشاء مركز للتوحيد في بطحاء مكة بصورة مرتبة يجب علينا أن نبدأ بسيرة إبراهيم عليه السلام لأنه هو مصدر هذه البركات.

<sup>1</sup> لم يذكر لنا المؤلف كيف قرّر أن شعيب عليه السلام كان من سكان "يثرب" التي عرفت فيما بعد بالمدينة المنورة، كما لا نعلم كيف يقرّر المؤلف أن بني إسرائيل بعد فرارهم من مصر لجأوا إلى هذه "المدينة". فشعيب عليه السلام، كما ورد في القرآن الكريم غير مرة، كان من سكان "مدين" التي يعتقد أنها كانت تقع في شمال غرب الجزيرة العربية، ولم يقل أحد من المتقدمين والمتأخرين أنها هي "يثرب" مهجر الرسول صلى الله عليه وسلم (المترجم).

## العدد الخاص.....مجلة الهند

حين خرجت الشعوب السامية من جزيرة العرب وأسست دولة في بابل خرج أجداد إبراهيم عليه السلام أيضًا فأقاموا هناك. وحين غلب رجس الشرك على دين الفطرة، بمضي الزمن، بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام.

وكان بابل مركز الحضارة آنذاك، وكان أبو إبراهيم من رجال البلاط المكرمين لدى الملك. وكان أهل بابل قد صنعوا أصنامًا للكواكب وأقاموا هياكلها في المرتفعات، وكان الملك يعتبر مظهرًا- أي "أوتار" بلغة أهل الهند- لتلك الكواكب المعبودة، وأصبح هو المعبود بالفعل. وبدأ إبراهيم عليه السلام يدعوهم إلى التوحيد وظلّ يعظهم لمدة طويلة.

وجادل إبراهيم قومه، والملك، وأباه، واستمرّ الجدل. ولكن زاد هؤلاء قسوة بمرور الزمن إلى أن ضاق إبراهيم عليه السلام من معاداة أهل وطنه لدعوته ولم يعد يرجو هدايتهم، فعقد العزم على الهجرة. فاصطحب ابن أخيه لوطًا وزوجه سارة اللذين كانا قد آمنا، واتجه إلى بلاد العرب التي هي المركز الأصلي للشعب السامي لكي يبحث في حياة تلك البلاد البسيطة والحرّة- التي تعادي عبادة الإنسان- عن مركز التوحيد الأصلي الذي هو المعبد الخاص بالله تعالى. وكان إبراهيم مشمئزًا بطبعه من الأماكن العالية المتخذة لعبادة الكواكب، وكارهاً لنظام حياة الشعوب المستحضرة. ولذلك اتجه في بادية الأمر نحو الغرب فأقام بضعة سنين بكنعان (البلاد الواطنة) وبارك الله فيه هنا فزاد خرافًا ونعاجًا وخدمًا وأصبح من الرؤساء الأثرياء. وهنا في بعض السهول اتخذته رئيس عربي بتلك النواحي- يسمى أبا ملك- حليفًا له وقدم لخدمته السيدة هاجر. وحفر إبراهيم هناك سبع آبار وزرع بها بعض الأشجار فعرف ذلك المكان بـ"بئر سبع".

وكان عمر إبراهيم عليه السلام قد جاوز الثمانين ولم يرزق مولودًا فدعا ربه ونذر على نفسه التضحية بابنه الأول لله تعالى فأعطاه الله تعالى ابنًا من بطن هاجر فسماه بـ"إسماعيل" (أي "سمع الله").

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وكانت هناك بلدة تبعد بعض الشيء من بئر سبع ناحية الشمال وكانت بها وفرة الثراء والفواحش، فبعث إبراهيم لوطًا عليه السلام إليهم لهدايتهم فأخذ يعظهم مدة طويلة ولكن سكان البلدة لم يقلعوا عن عقائدهم الباطلة وأفعالهم الشنيعة بل أخذوا يؤذون لوطًا عليه السلام. فأوحى إلى إبراهيم ربه بأن العذاب سينزل ببلدة قوم لوط. وألحَّ إبراهيم في دعائه لربه بأنه قد يكون هناك عبد صالح في البلدة فأجيب بأنَّ الكل مذنبون ما عدا بيت لوط، وقد قدرَ لهم العذاب. ورافقت هذا الردَّ بشارة لإبراهيم بأنه ستكون له أولاد من بطن سارة أيضًا وسيكثر نسله. وكان إبراهيم يبلغ من العمر آنذاك تسعًا وتسعين سنة. ومن ناحية أخرى بلغ لوطًا الوحي الإلهي بأن يخرج مع أهله وأولاده من تلك البلدة لأنها ستدمر غدًا. فخرج لوط في الليلة نفسها. وجاءت عاصفة في الصباح فدفنت تلك البلدة كلها تحت الأحجار.

وبلغ إبراهيم خبر نزول العذاب على تلك المدينة فعرف أنَّ من العبث البحث عن مركز التوحيد الذي كان يتمناه في تلك النواحي. ولكن حبلت سارة فولدت إسحاق في السنة التالية حين كان إبراهيم يبلغ من العمر مائة سنة وسارة تسعين سنة.

وبعد قليل من الانتظار والتريث، ترك إبراهيم عياله ببئر سبع واتجه نحو الجنوب، يهديه التوفيق الإلهي، فوصل بطحاء مكة فرأى أنَّ الجبال تحيط بها من الجوانب الأربعة ولكن الطرق مفتوحة في كل جانب، والأرض منخفضة ويابسة وغير مأهولة يتوسطها عين (سميت بـ"زمزم" فيما بعد) فارتاح بها بعض الوقت (وسمى ذلك المكان للأبد بـ"مقام إبراهيم") ووجد وادي بطحاء كلها صورة للهدوء والصمت والسكينة. فهبَّ نسيم الأمل من جهة الغيب وامتلاً قلبه بهجة وسرورًا، ورأى في المنام أنه يضيي بإسماعيل لربه بكل رغبة وسرور، فتذكر نذره وعلم أنَّ هذا تعبيره وأنه يقع هنا البيت العتيق أي المعبد القديم لله الأحد.

وكان "البيت العتيق" هو أول بيت لله في ذلك الوادي، وكان مما قدر له أن ينبذ عباد الباطل بعيدًا. ولذلك حين تحوّل سكانه إلى عبدة أصنام وانتشروا

من جوار مكة أخذوا أحجار ذلك المعبد ليعبدوها. وحين جاء إبراهيم عليه السلام لم يكن قد بقي من البيت العتيق إلا حجر واحد لامع فاتخذته تذكراً وجعله علامة لذلك المكان وعاد من فوره إلى بئر سبع، ثم رجع إلى بطحاء مكة مع ولده إسماعيل الذي كان يبلغ من عمره ست عشرة سنة آنذاك فروى له رؤياه، فقال إسماعيل: افعل ما تؤمر فستجدني صابراً وثابتاً. فترك إبراهيم مركبته وخدمه عند جبل الصفا وأخذ إسماعيل إلى ذلك المكان فأطافه حوله سبع مرّات على سبيل النذر واستعد لذبحه على الجبل المواجه المعروف بمروة فجاءه النداء بأن يكفّ، فقد كان هذا امتحاناً وقد نجحتما كلاهما- أنت وإسماعيل- في هذا الامتحان، فلا تذبح إسماعيل وانظر: هذه فدية موجودة ويكفيك ذبحها، وسيظل هذا تذكراً دائماً.

وكانت هناك غابة تبعد قليلاً عن ذلك المكان فتوجه إليها إبراهيم فوجد كبشاً في أحراشها (يوجد هنا مسجد الكبش) فأحضره وأدى منك التضحية وألهمه الله تعالى بعد ذلك أن يبني معبداً في ذلك المكان وأن ينادي في الناس بأن يأتوا للشهادة بوحدانية ربهم ويقدموا النذور باسمه تعالى، أنّ هذا هو مركز التوحيد، وأنّ إسماعيل الذي نذر به سيكون خادم هذا المركز وسأجعل منه شعباً كبيراً وستخرج اثنتا عشرة أمة من نسله وأنّ سمّ هذا المكان ببكة (أي المكان العامر) وطهراً أنت وإسماعيل هذا المعبد.

وأخذ إبراهيم وإسماعيل يحفران تحت ذلك الحجر التذكاري فوجدا أساساً قديماً فرفعاه، ووضعوا الحجر- الذي رماه البناؤون- في ركن من المعبد. وحين اكتمل البيت أسكن إبراهيم هاجر وإسماعيل في جهة الشرق منه وترك سارة وإسحاق يسكنان ببئر سبع. وكان كثيراً ما يأتي ليقيم عند إسماعيل. وقد جاء في التوراة أنه حين توفيت سارة لم يكن إبراهيم موجوداً عندها، وحين سمع بالخبر عاد فدفنها. ولم يرض اليهود بأن يكتبوا أنه كان عند إسماعيل آنذاك.

انتشار بني إسماعيل في الحجاز ونواحيه:

سرعان ما تحقّق الوعد الإلهي بمباركة إسماعيل. وبينما كان بنو إسحاق لا يزالون عبارة عن بضعة نفوس، ظهرت جماعة كبيرة من بني إسماعيل. وتقول التوراة (التكوين، الأصحاح 37 : 25-28) أنّ يوسف بن يعقوب بن إسحاق لما ألّقه إخوته في "بئر فارغة ليس فيها ماء"، مرّت بها قافلة من الإسماعيليين والمديانيين فأخرج أبناء يعقوب أخاهم يوسف من البئر وباعوه للإسماعيليين بعشرين درهماً من الفضة.

وأخذ بنو إسماعيل يتكاثرون وانتشروا في كل أنحاء الحجاز. وتقول التوراة إن هؤلاء سكنوا بحويلة إلى شور، التي هي قبالة مصر، وعرفت بلادهم وقلاعهم بأسمائهم. وهذا يعني أن كل القبائل من بني إسماعيل سبقت بني إسحاق في الرقي، وأقامت حكومات. ولذلك لا تزال بعض مناطق الجزيرة العربية تعرف بأسمائهم. ولكن هؤلاء انقرضوا تدريجياً أو اندمجوا في بعض أخوانهم. وبقي بنو نابت وقيدار مدة طويلة، ولكن لم يبق من بني إسماعيل في المراحل التالية من التاريخ إلا معد بن عدنان ثم اختصّت ولاية الكعبة بقبائل قريش من بني معد. وحين تكاثرت بطون قريش انحصرت معظم الخدمات الدينية في أيدي بني هاشم. وهكذا لم تزل ولاية الكعبة من بداية أمرها في سلسلة نسب الرسول صلّى الله عليه وسلّم وتقلّص دور الفروع المختلفة في خدمة الكعبة بقدر بعدها عن عمود النسب، لدرجة أن خدمات طواف الكعبة، وبئر زمزم، والصفاء والمرورة ظلت في أيدي قريش، يسمحون بها لمن شاؤوا ويمنعون من شاؤوا. ونظراً إلى هذه الخاصة لقّب هؤلاء بـ"أهل الله" و"عيال الله". وبلغ بهم الأمر أنهم كانوا لا يذهبون في الحج إلا إلى المزدلفة- التي هي في حدود مكة- وكانوا يميزون أنفسهم عن عامة الناس بالقول بأننا أهل الله وبالتالي لا يجوز لنا أن ننفك عن بيته. ولولا أن بيئة جزيرة العرب تعادي عبادة الإنسان لصار هؤلاء آلهة يُعبَدون كما حدث في بابل وغيرها. وكانت الأحوال قد وصلت إلى هذه النقطة وكادت بطحاء مكة، نتيجة خاصيتها



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

القديمة، على وشك أن تنبذهم منها، لولا أن بعث الرسول صلى الله عليه وسلم برحمة إلهية محضة فلم يقض على الشرك والبدع وحدها بل قضى على القدسية الخاطئة لعشيرته وجعلها مساوية لكل أبناء آدم في العبادة والتقرب إلى الله، وبلغ آخر أعاد الكعبة إلى غرضها الأصلي، وطبق من جديد ما أمر به إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام تطبيقاً عملياً.

### شبهات اليهود والنصارى:

والآن نتوجه إلى اعتراضات اليهود والنصارى. يدعي اليهود:

أولاً: لم يدخل إبراهيم جزيرة العرب ولا استوطن بالحجاز وأنّ بئر سبع القريبة من بيت المقدس كانت هي موطن إبراهيم.

ثانياً: كان إسحاق هو الذبيح وأنّ الجبل الذي اختير لذبحه هو جبل موريا ببيت المقدس.

ثالثاً: كان إبراهيم قد طرد إسماعيل وأمه هاجر من البيت فتوجهوا إلى صحراء فاران التي تقع في شمال الجزيرة العربية خارج الحجاز وتوطنا هناك.

رابعاً: كانت هاجر أمة مصرية وأنها زوّجت إسماعيل أيضاً من امرأة مصرية.

هذه هي أقوال اليهود. وكان قدماء النصارى أيضاً يؤيدونهم في هذه المزاعم. وكان اليهود يتوَحَّون إثبات تفوقهم على بني إسماعيل حسداً عليهم. فكانت الأقوال الأنفة الذكر تكفي للحطّ من شأن بني إسماعيل وانتقاص قدرهم. ولكن تنبه المتأخرون من النصارى إلى أن هذه السهام كلها طائشة لا تصيب الإسلام في شيء فاخترعوا اعتراضات جديدة وهي كما يلي:

خامساً: لا شأن للكعبة بإبراهيم عليه السلام بل هي كانت معبداً لعباد الأصنام العرب، ولأنّ هدمها كان يشقّ على العرب فلذلك حطم محمد (صلى الله عليه وسلم) الأصنام وقضى على عبادتها ولكنه أبقى على المعبد مع طقوسه على وجه

الاضطرار واكتفى بالإصلاح الضروري.

سادساً: العرب ليسوا من أولاد إبراهيم، إذ لم يرد هذا الادعاء إلا في القرآن كما جاء فيه أنّ إبراهيم رفع قواعد الكعبة.

سابعاً: سفر التثنية الذي يقول إن النور الإلهي تلاًلاً من جبل فاران، ليس بكتاب موثوق به.

ثامناً: القصص القرآنية حكايات مسموعة من اليهود والنصارى، وهي في معظمها لا تطابق الأصل عمداً أو سهواً، وبالتالي كل الحكايات التي تخالف التوراة لا أساس لها من الصحة.

وإن تكلمنا على هذه الشبهات بالتفصيل خرج هذا الكتاب من مجال التاريخ وتحول ميداناً للمناظرة، وهو أمر لا مكان له هنا. لقد أَلَف المسلمون كتباً مستقلة ردّاً على اليهود والنصارى وقضوا على الشبهات قضاء كاملاً. ولا نريد هنا إلا إزالة ما قد يختلج في نفوس القراء، وباختصار شديد. وبما أن هذه الاعتراضات جاءت من أهل الكتاب فقد استندنا من ردها على كلامهم عمومًا.

#### **نظرة على الشبهة الأولى:**

ذكرت هجرة إبراهيم عليه السلام في الأصحاحين 12-13 من سفر التكوين، ويتضح منها بصورة جلية أنه لم يتوجه مطلقاً إلى القدس بل توجه إلى الحجاز. وخلاصتها أنه جاء من حاران - ومعه لوط وسارة - إلى كنعان ثم مرّ بـ "شكيم" في طريقه إلى مورة فلما وصل إليها أنشأ بها مذبحاً، وضرب خيمته في شرق بيت ايل (أي سكن بها). ثم ارتحل ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب، ومرّ بـ "مصر".

ثم تأتي رواية أخرى تقول إن إبراهيم خرج من مصر متوجّهاً إلى الجنوب ووصل بيت ايل وأرسل لوطاً ناحية الشمال. وفي الروایتين اضطرابٌ غيرٌ يسيرٍ في ترتيب الوقائع. ثم أضيف الأصحاح 14 في محاولة لإثبات أنّ بيت ايل (أي بيت الله) ليس في الحجاز.

إنه ليس في وسعنا هنا أن نتناول هذه التصرفات بشرح وافٍ، مخافة أن يطول الحديث غير أن الكلام على النقاط الهامة منها سيأتي في غضون البحث. أما الذي يهتّمنا هنا فهو تعيين هجرة إبراهيم. وإن تأملت في القصة بأسرها اتضحت لك معالم سفره، من توجهه إلى الجنوب بصورة متوالية، ومروره بمصر، وذهابه إلى المروة، وإقامته في شرق بيت الله، وبلطف آخر إن كنعان مبدأ سفره ومصر ممره، أما المنتهى فهو بيت الله والمروة. وستنكشف الحقيقة بكل جلاء إذا قمنا بتحديد هذه المواضع.

**تعيين كنعان:**

المراد بكنعان في الرحلة الإبراهيمية الأجزاء الشمالية والغربية من الجزيرة العربية. فكان المركز الأصلي لكنعان في جزيرة العرب. ولكن بما أن مساكن الكنعانيين أخذت تمتدّ إلى بلاد بعيدة فتوسعت كلمة "كنعان" وأخذت تطلق على سواحل الشام. وكانت لهم علاقات حرب وصلاح مع مصر في قديم الزمان. وكانت قوافل التجارة العربية المتجهة إلى مصر تمرّ بكنعان. وهنا كان مسكن يعقوب عليه السلام، ومن هنا أخذت قافلة الإسماعيليين يوسف عليه السلام إلى مصر. وقد ورد في النقوش المصرية أن الشعب العبري الذي كان من العرب الرّحل سمح له بالتوطن في مصر. وهذا يصدق توطن بني يعقوب في مصر كما يوضح أن الشعب العبري فرع من العرب، وأنه خرج من بلاد العرب إلى مصر. وإلى هذه البلاد جاء موسى عليه السلام هارباً من مصر وإليها عاد مرة أخرى ببني إسرائيل، ومن هنا أرسل كلباً (بني كلب) إلى الشمال. وكثيراً ما نسب اليهود عيوباً إلى أنساب الشعوب التي حاربوها. وهناك أمثلة كثيرة على هذا. ومن هنا جاء في سفر التكوين (الأصحاح 10 : 6-7) أن بني حام هم كوش و"مصرائم" وفوط وكنعان، وأن بني كوش هم سبأ وخويله وسبته ورعمة وسبتكا.

وجاء في دائرة المعارف<sup>1</sup> عن هذا: "أنه إذا كان المراد من كوش اثيوبيا (الحبشة)

<sup>1</sup> لم يحدّدها المؤلف ولعل المراد طبعة قديمة من دائرة المعارف البريطانية (المترجم).

ومن "مصرائم" (مصر) ومن فوط ليبيا، وإذا كانت كلمة "حام" هي الصورة العبرانية لكلمة "كامت" القبطية فإنّ عبارة سفر التكوين هذه عبارة عن مجموعة من المشكلات، ولكن إذا كانت كوش ومصرائم وفوط في شمال الجزيرة العربية وكان حام اختصاراً لكلمة برحم (جرهم) زالت كل المشكلات. أما بكنعان فنتبيّن بوجه خاص أنه اسم عربي. ومن المحقق أن موجة من بني سام خرجت -كموجة- من بلاد العرب قبل نحو أربعة آلاف سنة قبل المسيح وطغت بابل على وجه اليقين بالإضافة إلى الشام وفلسطين على الغالب، وأن موجة أخرى خرجت من بلاد العرب بين سنوات 2600-2800 ق.م. فاستغرقت الشام وفلسطين إلى جانب بابل، والراجح أنها غلبت على مصر أيضاً. ونرى بعد مدة قليلة من هذا أنّ مؤسس الإمبراطورية والحضارة حمور ابى (أبو جرهم) أصبح أوّل ملك للممالك البابلية كافة. ومما يجدر ملاحظته أن الجزء الأول من اسمه الذي ورد في سفر التكوين "حام بدر كنعان" يدلّ على كونه عربي الأصل.

وبالإضافة إلى الاعتراف الموجود في هذه العبارة بأن كنعان من العرب وأن بلاد العرب هي الوطن الأصلي لبني سام، نفهم أيضاً: كيف وصلت أسرة إبراهيم إلى بابل وأنه حين رأى أن الثراء والسلطة جعلاً قومه غير قابل للإصلاح عاد إلى وطن آبائه ومركزه القومي والديني فوصل كنعان أولاً ثم استمر متوجّهاً نحو الجنوب إلى أن وصل بيت ايل فأحيا من جديد مركز التوحيد القديم.

#### تعيين "مصر":

نزعم أن المراد من "مصر" هنا هو الجزء الشمالي والغربي من جزيرة العرب، فهذه هي المنطقة التي تقع "جنوب" كنعان وليس مصر النيل. وقد جاء في دائرة المعارف<sup>1</sup> أنّ من الواضح من نقوش آشور أن المراد من مصر هو الجزء الشمالي الغربي من بلاد العرب، بينما التوراة تشير إلى مصر النيل. وقد جرت مناقشات طويلة حول

<sup>1</sup> لم يحدّد المؤلف هي الأخرى (المترجم).

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

هذه القضية بين العلماء، وقد سلموا أمر بأن كلمة "مصر" كانت تطلق على الجزء الشمالي الغربي من بلاد العرب. ويرى بعض أهل النظر أن المراد من مصر في جميع المواقع هذه المنطقة. ولكن هذا التعميم ليس صحيحًا (ملخصًا). ونحن لا نقول إنَّ المراد بكلمة "مصر" -كلما وردت في التوراة- الشمال الغربي من جزيرة العرب، ولكن حين نجد في قصة رحلة إبراهيم أنه خرج من كنعان واستمر في مسيرته نحو "الجنوب" مارًا بمصر فكيف يمكن أن يكون المراد هنا هو مصر النيل الواقعة بعيدًا جدًا في جهة الغرب؟

بيت ايل:

كون بيت ايل عند بيت المقدس في فلسطين -كما يدعي أهل الكتاب- لا يمكن أن يكون صحيحًا، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: حصل اليهود على قوتهم أول الأمر في بلاد العرب، ثم فتحوا ممالك الشمال رويدًا رويدًا. ولم تكن فلسطين قد فتحت حتى زمن داود عليه السلام وبقي الشعب اليهودي في شمال بلاد العرب وغربها. وحين تمت السيطرة على فلسطين أنشأ سليمان عليه السلام بيت المقدس هناك، وقد أدخل اليهود فيما بعد روايات كثيرة في صحفهم لإثبات قدسية هذه المدينة الجديدة. وكان من عادة اليهود اختراع روايات حول الأشخاص وأسماء الأمكنة وكانوا يغيرون الأسماء القديمة ويطلقون عليها أسماء جديدة. وبما أن وضع هذه الروايات وإقحامها تم على أيدي مختلفة وفي أزمنة مختلفة، ينكشف تناقضها وعدم ترابطها بكل سهولة. ولقد أدخلوا قصصًا عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام أنهم سافروا من بئر سبع إلى الشمال وجاءوا إلى بيت ايل بالقرب من بيت المقدس. وجاء في دائرة المعارف أن هذه القصص الثلاث قائمة على روايات مزيفة وهي تخالف القياس نظرًا إلى حالة فلسطين آنذاك، ولاسيما الرواية التي تقول إنَّ إبراهيم ذهب إلى بيت المقدس بمناسبة الحرب وأنه قابل

في القدس ملكًا نبيًا يسمّى "ملك صديق"<sup>1</sup> وأدّى له عشر مال الغنيمة فيرى أهل النظر أنها قلقة في موضعها وقد أدخلت فيما بعد. ولم يتوفر دليل على صحة هذه القصة أو قدمها من نقوش الحروف السكافية ولا في غيرها.<sup>2</sup>

ثانيًا: اشتبه الأمر بشأن "بيت ايل" نتيجة روايات اليهود المتضاربة لدرجة أنهم أنفسهم لم يتمكنوا من تعيينه وعيّنوا آخر الأمر مكانًا على بعد أحد عشر ميلًا شمال بيت المقدس، وذلك لكي يقرّروا أنّ بيت المقدس هو المذبح الإبراهيمي، فإنّ عندهم رواية جاء فيها أن إبراهيم عليه السلام خرج من بئر سبع صباحًا ووصل المذبح في اليوم الثالث. ولكنها رواية باطلة أساسًا فلم جعل المذبح بعيدًا بهذه المسافة عن بيت ايل؟ ثم لو كان بيت ايل هو المعبد الأصلي فكيف يمكننا أن نسلم أنّ سليمان ترك المعبد الذي بناه إبراهيم وأسس بيت المقدس على بعد أحد عشر ميلًا منه.

ثالثًا: كتبوا أنّ بيت ايل في حبرون (الخليل)، وكتبوا في مكان آخر أنّ حبرون كانت تسمّى في قديم الزمان بـ "قرية عربا".

#### تعيين موقع المروة:

بما أنّ المروة هو عين المذبح الإبراهيمي، ولذلك من الأهمية بمكان أن نعيّن موقعها بدقة. وقد حاول اليهود كثيرًا أن يثبتوا أنّ هذا المكان في بيت المقدس ولكن هناك اختلافًا كبيرًا حول موقعه. وقد جاء في سفر التكوين (الأصحاح 22 : 2): "واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك". ونلخص هنا أولًا بحث الأسقف كولينز حول هذا الأمر، فهو يذكر اختلاف نسخ

<sup>1</sup> اسمه كما ورد في التوراة (التكوين 14 : 18) هو "ملكى صادق ملك شاليم" (المترجم).

<sup>2</sup> يرى نولدكه وغيره من أهل النظر أن هذه القصة لا أساس لها من الصحة. ولا يمكن، نظرًا إلى الإشكالات الداخلية لهذه القصة، إلا القول بأن هذه القصة أضيفت في فترة متأخرة جدًّا، وهو ما يرى فيلهاوزن وغيره من الكتاب (دائرة المعارف بشأن رحلة إبراهيم إلى الشمال).

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

التوراة حول هذه الكلمة كما يلي:

نسخ التوراة	مكان ورود هذه الكلمة	صورتها
العبرانية	التكوين، الأصحاح 22 : 2	إلى أرض موره
العبرانية	التكوين، الأصحاح 12 : 6	على قرب ميدان موره
العبرانية	التثنية، الأصحاح 11 : 30	ناحية ميدان موره
العبرانية	القضاة، الأصحاح 7 : 1	عند جبل موره
الترجمة السبعينية	التكوين، الأصحاح 22 : 2	إلى الأرض العالية
الترجمة السبعينية	التكوين، الأصحاح 12 : 6	البلوط العالية
الترجمة السبعينية	التثنية، الأصحاح 11 : 30	قريب البلوط العالية
الترجمة السبعينية	القضاة، الأصحاح 7 : 1	عند جبل موره
ترجمة أقولا	التكوين، الأصحاح 22 : 2	إلى الأرض المستعلية
ترجمة سماخوس	التكوين، الأصحاح 22 : 2	إلى أرض الرؤيا

ثم يقول الأسقف كولنز إن كل صحف التوراة لما بعد سليمان وكل صحف الأنبياء والمزامير الأولى تطلق على الجبل الذي أنشئ عليه بيت المقدس اسم "مهيون" ولم يسمّ مقام الهيكل بـ"موريا" في أي منها. ويدعي اليهود أن "موريا" تقع حيث أنشئ (مسجد بيت المقدس) فيما بعد، أما النصارى فقالوا إنه المكان الذي صلب فيه المسيح عليه السلام وقد ورد في المذبح الإبراهيمي أنّ إبراهيم رآه من بعد وأنه جاء من المشرق<sup>1</sup> ولا تنطبق هذه الصفة على هيكل اليهود لأنّ القادم من

<sup>1</sup> الإشارة إلى ما جاء في التوراة (سفر التكوين 22 : 4) أن إبراهيم "أبصر الموضع من بعيد"، ولكن التوراة لا تقول هنا إنه جاء من جهة "المشرق" (المترجم).

الشرق يمرّ عبر وادي هنوم<sup>1</sup> وتقع عيناه على الهيكل حين يقترب منه اقتراباً كبيراً. انتهى قول الأسقف ملخصاً، ثم يقول: إن استأنلى أورد رأيه المنقح هكذا:

"خرج إبراهيم من خيمته الواقعة في بئر سبع ذات صباح وتوجه إلى المكان الذي أمره الله تعالى بالتوجه إليه، وليس هذا هو المكان الذي يدعي اليهود أنه يقع على جبل موريا ببيت المقدس. وأبعد من ذلك ما زعم النصارى أنّ هذا المكان يقع بالقرب من القبر المقدّس<sup>2</sup> وأبعد من هذا ما يدّعيه المسلمون أنه يقع على جبل عرفات. ويقع جبل جريزيم على شكل مذبح، ولعل المذبح الإبراهيمي هو جبل جريزيم الذي معظمه على شكل المذبح، وكان الجبل المذكور معبد اليهود السامريين وهو مقام واسع ومسطّح. ويقول كولينز: ولذلك يرى استأنلى أنّ أفضل موضع ليكون مذبحاً هو هذا الجبل".

يتخلّص هذا الكلام في النقاط الآتية:

أولاً: يختلف العبرانيون واليهود السامريون والنصارى في تحديد موقع المذبح الإبراهيمي.

ثانياً: الجبل الذي أطلق عليه اليهود اسم "موريا" في بيت المقدس لم يكن هو هذا اسمه القديم ولا تنطبق عليه صفات المذبح الإبراهيمي.

ثالثاً: يمكن اعتبار جبل حريزيم الذي كان معبد اليهود السامريين بأنه هو المذبح الإبراهيمي لأن شكله يناسب هذا الغرض أكثر من جبلي صهيون وعرفات.

رابعاً: هناك اختلاف شديد في نسخ التوراة حول اسم موقع المذبح الإبراهيمي.

لا أرى داعياً للتعليق على النقطتين الأولى والثانية، أما النقطة الثالثة فإنه لم يشرح علاقة المذبح الإبراهيمي بالمكان المقترح ولا السبب في اختيار مكان فسيح

<sup>1</sup> هو وادي هينوم Hinnom الذي يتكون منه الجزء الغربي من القدس القديمة (المترجم).

<sup>2</sup> يقصد كنيسة القيامة بالقدس حيث يعتقد المسيحيون أن عيسى عليه السلام دفن بعد صلبه ثم قام حيّاً (المترجم).



لذلك الغرض، وهو أمر ليس بضروري للمذبح، كما أنه لا ينطبق على جبل جريزيم وحده. أما جبل عرفات فلا يدعي أحد من المسلمون البتة أنه المذبح الإبراهيمي، ولذلك لا نحتاج إلى الرد على هذه النقطة. أما النقطة الرابعة فتتطلب شيئاً من التفصيل وينبغي أن نكشف عن وجه الحقيقة ثم نرى كيف طرأت هذه الخلافات.

#### نظرة على الشبهة الثانية:

ما قلناه آنفاً، ردّاً على الشبهة الأولى، يقضي تلقائياً على الشبهة الثانية. فبعد أن ثبت أن المذبح الإبراهيمي هو جبل المروة ببطحاء مكة فلا علاقة لإسحاق عليه السلام بالأمر لأن أهل الكتاب أنفسهم لا يدعون أن يكون لإسحاق أية علاقة بمكة. ولكن هناك أدلة أخرى مستقلة على ما قلنا ونوجزها فيما يلي:

أولاً: التوراة تصرح بأن إبراهيم عليه السلام أمر بالتضحية بابنه الوحيد. وهي تصرح - كذلك - بأن إسحاق عليه السلام ولد حين كان إسماعيل يبلغ من العمر 14 سنة. فكيف يمكن أن يكون إسحاق هو الابن الوحيد؟

ثانياً: التوراة تصرح بأن إبراهيم حين بشر بولادة إسحاق، قيل له أيضاً أن نسله سيتكاثر، فكيف يمكن أن يقال لإبراهيم في الوقت نفسه أن يذبح ابنه هذا؟ ومن العبث هنا أن يقال أن إبراهيم أمر بذبح إسحاق حين أصبح الأخير صاحب أولاد. وقد جاء في التوراة نفسها أن إسحاق رزق ولده الأول حين بلغ من العمر ستين سنة، بينما صرح في قصة التضحية أن الولد الذي استعد إبراهيم لذبحه كان غلاماً. ومثله في القرآن الكريم أيضاً.

أما البشارة بالبركة في أولاد إسماعيل ورقمهم فلم يرد في التوراة أنها جاءت قبل ولادته أو بعد ولادته تَوّاً، وإنما وردت في التوراة بشارة لإبراهيم عليه السلام بالكلمات الآتية: "وقال: بذاتي أقسمت يقول الرب. إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك، أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء

وكالرملة على شاطئ البحر. ويرث نسلك باب أعدائه. ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض. من أجل أنك سمعت لقولي".<sup>1</sup>

ويرى أهل الكتاب أن هذه البشارة لصالح إسحاق بينما الحقيقة أنه قد سبقها البشارة الخاصة بإسحاق، ومن المعلوم أن بني إسرائيل لم يتمكنوا من ردّ أعدائهم من اقتحام أبوابهم، وأسروا مرة بعد أخرى وأخذوا إلى بابل ومصر وداسهم أعداؤهم دائماً. وبصرف النظر عن أنّ هذه البشارة لا تصدق مطلقاً على بني إسرائيل، وهي من حق ذلك الولد الذي كان الذبيح بالفعل. ونريد أن نقول إنه لا يمكن الأمر بذيح ولدٍ بُشِّرَ بكثرة نسله قبل التضحية به.

ثالثاً: رغم أنّ القرايين تمثل الجزء الأعظم من عبادات اليهود الدينية إلا أنّ التوراة لم تذكر في أي مكان أنها تذكر لإبراهيم وإسحاق بل جاء فيها أن موسى هو الذي وضع أساسها، وجاء تفسيراً لذلك أنه بما أن الرب أهلك أباك قوم شعب فرعون فعليهم أن يشكروا ربهم بالتضحية بأول كل إنتاجكم، وأن يذبحوا الحيوانات بدل البشر. أما نحن المسلمين فالحج عندنا فريضة معلومة، ولم يزل قائماً بين العرب من لدن إبراهيم عليه السلام، وبقي في كل مناسك الحج تذكّار لسنة إبراهيم. وسنتناول ذلك بشيء من التفصيل فيما بعد.<sup>2</sup>

#### نظرة على الشبهة الثامنة:

نسلم بأن هناك بعض الخلاف في قصص القرآن الكريم عما ورد في صحف اليهود. ولكن هذا لا يشكك في القرآن الكريم بل يزيدنا ثقة به واعتماداً عليه. وقد ظل المحققون من أهل الكتاب يصرحون منذ مدة طويلة بأن صحف اليهود غير موثوق بها، ولكن حين ظهرت النقوش القديمة في هذا القرن في مصر وبابل والشام وبعض

<sup>1</sup> سفر التكوين: الأصحاح 22: 16-18.

<sup>2</sup> يبدو من هذه الملاحظة أن الأستاذ الإمام - رحمه الله - كان ينوي مواصلة هذا البحث ولكنه لم يتمكن من ذلك (المترجم).

نواحي الجزيرة العربية وانفتح باب جديد لدراسة العصور القديمة، وقع نوع من المصالحة بين ناقي التوراة وأتباعها. وبينما صدقت الكشوف الجديدة التوراة إلى حد ما أصبح من المسلم به في الوقت نفسه أنّ في التوراة الموجودة تحريفًا كثيرًا وإقحامًا لوقائع لا أصل لها. وهذا تصديق لعقيدتنا نحن معشر المسلمين. فنحن نؤمن بالتوراة الأصلية ونقول بأنها خضعت لكثير من التحريف والتغيير بحيث إنّ التمييز بين حقا وباطلها قد أصبح غاية في الصعوبة.

ومما يجدر ملاحظته أن القرآن الكريم يخلو من الروايات التافهة المتناقضة، وأن الوقائع التاريخية - غير قصص اليهود - التي وردت في القرآن الكريم تصدقها النقوش القديمة. أما الروايات فهي من نوعين: أحدهما من مصادر عربية خالصة والآخر مستمد من اليهود. فالتى هي مستمدة من اليهود ليست جديرة بالاعتماد عليها في الغالب. أما الروايات المأخوذة من مصادر عربية فتصدقها أيضًا النقوش القديمة. ومن أمثلة ذلك ما كتب بعضهم يقول: "العرب يروون أن فرعون يوسف كان من العماليق وكان يسمى ريان بن وليد.... وقد اكتشف تمثال في مصر كتب عليها بالحروف الهيروغليفية اسم ريان. ولذلك يقول الدكتور رين والمستركوب دايتهاؤس إن هذه الرواية العربية مبنية على الواقع".

ومنها أنّ مصادرنا تقول إن زوجة فرعون موسى كانت تسمى آسية وأنها كانت من المؤمنين. وعرف من النقوش المصرية القديمة أيضًا أن زوجته الخاصة كانت تسمى آسية وأنها كانت تختلف عنه قومًا ودينًا.

وتدلّ هذه الشهادات على أمرين، أولهما: أن التوراة ليست هي مصدر القرآن الكريم بل هو مصدر مستقل بذاته للوقائع التي يذكرها. والأمر الثاني هو أنه لا مجال للاعتراض على القرآن الكريم إذا خالف التوراة بل هي نفسها موضع الاتهام وعرضة النقص والإبرام.

## كتاب "مفردات القرآن" للفراحي وأهميته في علم غريب القرآن

- د. محمد أجمل الإصلاحي<sup>1</sup>

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإنَّ أشرف العلوم علم كتاب الله عزَّ وجل، فقد أنزله على خير خلقه، بلسان عربي مبين، هدى للمتقين، ورحمةً وشفاءً للمؤمنين. وحثَّ النبي ﷺ على تعلُّمه وتعليمه، فقال فيما روى عنه عثمان بن عفان رضي الله عنه: "خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه"<sup>2</sup>. والذين يعكفون عليه تلاوةً وحفظاً وتدبراً، ويتدارسون، ويمثلون أوامره ونواهيه، سمَّاهم النبي ﷺ (أهل القرآن) وبشَّرههم بأنهم أهل الله وخاصته. فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ لله عز وجل أهلين" قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: "أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته"<sup>3</sup>.

وأول ما يحتاج إليه لفهم القرآن معرفة معاني ألفاظه، ومن ثم كان علم غريب القرآن من أول العلوم التي نشأت ودوّنت في التاريخ الإسلامي.

وقد عني به علماء اللغة وغيرهم عناية عظيمة، فكثرت التأليف فيه كثرة لا يأتي عليها الحصر، ولكن الكتب الأصيلة منها، في ضوء ما وصل إلينا من مصنفات هذا العلم، قليلة معدودة.

<sup>1</sup> محقق هندي كبير مقيم في الرياض

<sup>2</sup> أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه. انظر ط. دار السلام ص 1093.

<sup>3</sup> مسند أحمد 19: 305، وحسنه محققه.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وسيتناول هذا البحث كتابًا ألف في هذا العام في النصف الأول من القرن الماضي، وكان مؤلفه العلامة عبد الحميد الفراهي أحد أفاض العلماء المتأخرين، "ونادرًا في علماء العرب فضلًا عن علماء الهند" كما يقول الدكتور تقي الدين الهلالي رحمه الله.<sup>1</sup> وأجمع معاصروه من شيوخه وأقرانه على نبوغه في علم القرآن وتبحره في علوم العربية. والناظر في مؤلفاته لا يسعه إلا أن يصدق قول القائل: "كم ترك الأول للأخر".

وقد ألف ما يربو على عشرين كتابًا في اللغة العربية، معظمها في علوم القرآن، ومنها هذا الكتاب الذي طبع قبل (45) سنة ونفذ قبل أن يصل إلى العالم العربي، واقتضت أهمية الكتاب أن يعرف به، في العالم العربي، فكسر<sup>2</sup> البحث على تمهيد وفصلين: التمهيد في نشأة علم غريب القرآن وتطوره وتعريف موجز بأشهر الكتب المصنفة فيه، ولما كان مؤلف الكتاب غير معروف عند كثير من الباحثين -ويدل على ذلك أنه لم يترجم في كتاب "الأعلام" للزركلي رحمه الله- خصص الفصل الأول لترجمته، ثم يتناول الفصل الثاني التعريف بكتاب مفردات القرآن وبيان منهجه وميزته وقيمته العلمية.

### تمهيد

عني المسلمون بتفسير ألفاظ القرآن في وقت مبكر، وتفننوا فيه. فصنّفوا كتبًا في تفسير مشكل القرآن وغريبه، وأفردوا كتبًا في لغات القرآن، وأخرى في الوجوه والنظائر، وأقدم الرسائل في كل نوع من الأنواع المذكورة تنسب إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (ت 68هـ). ولا غرو في ذلك فهو ترجمان القرآن وحرر الأمة، فكثرت مروياته في التفسير كثرة ظاهرة، كما كثرت الحمل عليه -أيضًا- في هذا الباب. وقد صرح بعض المتقدمين بتأليف ابن عباس -رضي الله عنهما- في فن الوجوه

<sup>1</sup> مجلة الضياء 2: ص 260.

<sup>2</sup> كسر البحث: قُسِمَ ورتب.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

والنظائر، فقال أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الفرير النيسابوري الحيري (ت 430هـ) في مقدمة كتابه (وجوه القرآن): "والسابق بهذا التصنيف عبد الله بن عباس ثم مقاتل ثم الكلبي".<sup>1</sup> وقد أشار ابن الجوزي (ت 597هـ) إلى أنه "قد نسب كتاب في الوجوه والنظائر إلى عكرمة عن ابن عباس، وكتاب آخر إلى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس".<sup>2</sup>

أما فن لغات القرآن فقد وصلتنا رسالة رواها إسماعيل بن عمرو بن راشد الحداد (ت 429هـ) بإسناده إلى عطاء بن أبي رباح (ت 114هـ) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهي مطبوعة.<sup>3</sup> أما تفسير غريب القرآن بوجه عام، فذكر فؤاد سزكين أن كتاباً لابن عباس - رضي الله عنهما - بتهذيب عطاء بن أبي رباح يوجد مخطوطاً في مكتبة عاطف أفندي بعنوان "غريب القرآن".<sup>4</sup> ومما روي عنه: مسائل نافع بن الأزرق (ت 65هـ) المشهورة، سألها عنها ابن الأزرقي طالباً الاستشهاد على كل مسألة منها بشاهد من كلام العرب. وقد وردت جملة من تلك المسائل في كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد (ت 224هـ)<sup>5</sup> والكامل للمبرد (ت 285هـ) - وقد نقلها من بعض كتب أبي عبيدة (ت 210هـ) وغيره<sup>6</sup> - والوقف والابتداء لابن الأنباري (ت 328هـ) والمعجم الكبير للطبراني (360هـ)<sup>7</sup> وساقها السيوطي بتمامها إلا بضعة عشر

<sup>1</sup> التصانيف، مقدمة المحققة: 28.

<sup>2</sup> نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: 82.

<sup>3</sup> نشرها صلاح الدين المنجد سنة 1946م عن نسخة محفوظة في دار الكتب الظاهرية.

<sup>4</sup> تاريخ التراث العربي، 67/1 ولكن في موضع آخر من الكتاب (ص 90) نسب سزكين النسخة نفسها إلى أبي جعفر بن أيوب المقرئ الذي كان تلميذاً لعبد الملك بن جريج (ت 150هـ). وينسب إلى علي بن عبد الله بن عباس - وكان أصغر أبنائه - (ت 117هـ) كتاب بعنوان "معاني ألفاظ القرآن" في مخطوطة قم. انظر تاريخ التراث العربي، 36: 8.

<sup>5</sup> الإتقان في علوم القرآن، 2: 56.

<sup>6</sup> الكامل، 1144/3 - 1155.

<sup>7</sup> المعجم الكبير، 10: 248 - 256.

سؤالاً - حسب قوله - في كتاب الإتقان".<sup>1</sup>

ويرى بعض الباحثين أنّ الكتب المنسوبة إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - كان بعضها - على الأقل - من تأليفه هو،<sup>2</sup> بينما يرجح آخرون أنها من تدوين الرواة،<sup>3</sup> على غرار ما صنعه السيوطي، إذ استخرج أقوال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير مفردات القرآن مما روي عن طريق علي بن أبي طلحة (120هـ) فجمعها في فصل مفرد.<sup>4</sup> وأياً كان الأمر، فلا شك أن مرويات ابن عباس - رضي الله عنهما - هي التي مهّدت للتدوين في علم غريب القرآن، في وقت مبكر، وهيأت المادة الأولى لكل من ألف فيه.

وإذا رجعنا إلى المصادر للبحث عن أول من ألف في غريب القرآن طالعنا بعضها بثلاثة أسماء من طبقة واحدة، وهي:

- أبو سعيد أبان بن تغلب البكري (ت 141هـ).

- محمد بن السائب الكلبي (ت 146هـ).

- أبو روق عطية بن الحارث الهمداني.

<sup>1</sup> الإتقان في علوم القرآن، 56/2 - 88. وانظر لنسخ من هذه المسائل: تاريخ التراث العربي، 67/1، وقد نشرها محمد عبد الباقي سنة 1950م ملحقة بكتابه معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري 234 - 281 - بعد ما رتب الألفاظ على حروف المعجم. ثم نشرتها بنت الشاطئ سنة 1971م مع دراستها في كتابها الإعجاز البياني في القرآن 269 - 509 - وهناك نشرة مستقلة بعنوان "سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس" أخرجها إبراهيم السامرائي في بغداد سنة 1968م، ولم أطلع عليها. وقد وقفت بأخرة على نشرة أخرى لها بتحقيق محمد عبد الرحيم وأحمد نعام، صدرت من مؤسسة الكتب في القاهرة 1413هـ، بلغ عدد المسائل فيها 250 مسألة بينما هي في الإتقان 189 مسألة حسب ترقيم بنت الشاطئ في كتابها المذكور.

<sup>2</sup> تاريخ التراث العربي، 24/8.

<sup>3</sup> المعجم العربي، 3/1.

<sup>4</sup> الإتقان في علوم القرآن، 54-6/2.

وقد جاء ذكرهم في ترجمة أبان عند ياقوت إذ قال: "صنف كتاب الغريب في القرآن، وذكر شواهد من الشعر، فجاء فيما بعد عبد الرحمن بن محمد الأزدي الكوفي، فجمع من كتاب أبان ومحمد بن السائب وأبي روق عطية بن الحارث، فجعله كتابًا فيما اختلفوا فيه وما اتفقوا عليه، فتارة يجيء كتاب أبان مفردًا، وتارة يجيء مشتركًا. ما عمله عبد الرحمن".<sup>1</sup>

وبناءً على هذا النص يُعَدُّ معظم الباحثين المعاصرين أبان بن تغلب أول من صَنَّف في غريب القرآن،<sup>2</sup> ولكن ليس فيه ما يقطع بذلك، فإن الثلاثة من طبقة واحدة، وهي الطبقة الخامسة من الكوفيين من طبقات ابن سعد،<sup>3</sup> وترتيبهم في الذكر عند ياقوت لا يستلزم تقديم أحدهم على الآخر في التأليف أيضًا. ولكن يعارض أولية هؤلاء ما جاء في غير واحد من المصادر أنَّ أول من أَلَّف في غريب القرآن هو أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 210هـ)، منها كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري (ت بعد 400هـ) الذي يقول: "أول من صَنَّف في غريب القرآن أبو عبيدة معمر بن المثنى... صَنَّف كتاب المجاز، وأخذ ذلك من ابن عباس حين سألته نافع بن الأزرق..."<sup>4</sup> ونقل ابن خير الإشبيلي (ت 575هـ) قول أبي بكر الأَدَفِي (388هـ) إن: "أول كتاب جمع في غريب القرآن ومعانيه كتاب أبي عبيدة معمر بن المثنى، وهو كتاب المجاز".<sup>5</sup>

ولعل الذي يرفع الخلاف بين القولين أنَّ أبا هلال وغيره يقصدون أول من أَلَّف من أهل اللغة فإن الثلاثة الأولين يعدُّون من أهل التفسير، ويشهد بذلك قول ابن درستويه (ت 347هـ): "وذلك أنَّ أول من صَنَّف في ذلك من أهل اللغة أبو عبيدة معمر بن المثنى، ثم قطرب بن المستنير، ثم الأخفش، وصَنَّف من الكوفيين الكسائي ثم الفراء".<sup>6</sup> وقد شهد

<sup>1</sup> معجم الأدباء، 1: 38.

<sup>2</sup> انظر المعجم العربي: 33 ومقدمات كتب غريب القرآن.

<sup>3</sup> طبقات ابن سعد، 6/358، 359، 369.

<sup>4</sup> الأوائل، 2/130.

<sup>5</sup> فهرست ابن خير 134، وانظر ص 60، وانظر الوسائل في مسامرة الأوائل للسيوطي: 112.

<sup>6</sup> تاريخ بغداد، 12: 405.



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

القرنان الثاني والثالث إقبالاً عظيماً على التأليف في غريب القرآن، وعلماء اللغة هم الذين كانوا فرسان هذا الميدان، فقلما نجد منهم من لم يذكر له كتاب في هذا الفن، حتى الأصمعي الذي روي أنه كان يتحرج من تفسير ألفاظ القرآن نسب إليه كتاب في غريب القرآن.<sup>1</sup>

وتسمّى كتبهم في المصادر بأسماء مختلفة القرآن من (غريب القرآن)، و(معاني القرآن)، و(مجاز القرآن)، و(ما يستعجم الناس فيه من القرآن) و(غرائب القرآن)، وهي عناوين كانت متقاربة في مدلولها في ذلك العصر، فكان الكتاب الواحد يطلق عليه أحياناً (مجاز القرآن) و(معاني القرآن) و(غريب القرآن) و(إعراب القرآن) أيضاً، ومثال ذلك كتاب أبي عبيدة معمر بن المثنى. ولعل سبب ذلك أنّ الكتب الأولى التي ألّفت في هذا المجال لم تكن مقصورة على تفسير ألفاظ القرآن فحسب، بل كانت تضم بالإضافة إلى ذلك مباحث النحو والصرف والقراءات، وتفسير ما أشكل من معاني الآيات، ومذاهب العرب في القول؛ على اختلافها في التوسع في إيراد تلك المباحث بحسب اهتمام مؤلفيها وثقافتهم. ويتضح ذلك جلياً من دراسة الكتب الثلاثة التي وصلت إلينا من كتب الأوائل، وهي:

مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت 210هـ).

معاني القرآن للفراء (ت 207هـ).

معاني القرآن للأخفش الأوسط (ت 215هـ).

ثم تتابعت الكتب في القرون التالية وبلغت كثرة لا يأتي عليها الحصر، فقال السيوطي في الإتقان: "أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون"، وسنقف هنا وقفة قصيرة عند بعض الكتب المشهورة في هذا الفن:

ومنها كتاب تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ت 276هـ). وقد جعله مقصوداً على الغريب، غير خالط إياه بمسائل العربية التي ضمّن بعضها كتابه السابق (تأويل

<sup>1</sup> هدية العارفين: 623، وفي الفهرست للنديم: "كتاب لغات القرآن للأصمعي" (ص 38).

مشكل القرآن).

ورتبّه على ثلاثة أقسام: الأول في ذكر أسماء الله الحسنى وصفاته وفسّر فيه ستة وعشرين حرفاً، والثاني في ألفاظ كثر ترادها في القرآن فلم ير بعض السور أولى بها من بعض وفسّر فيه أربعين حرفاً، والثالث سائر الكتاب الذي رتبّه على ترتيب السور في المصحف.

وقد ذكر ابن قتيبة أن كتابه "هذا مستنبط من كتب المفسرين، وكتب أصحاب اللغة العالمين"، واختار في كل حرف، "أولى الأقاويل في اللغة وأشبهها بقصة الآية" نابذاً منكر التأويل ومنحول التفسير.

وكان غرضه في الكتاب الاختصار والإكمال فلم يحش كتابه بالنحو وبالحديث والأسانيد حتى لا يطول الكتاب فيقطع منه طمعاً لمتحفظ وبغية المتأدب.<sup>1</sup>

ومن كتب الغريب التي عدّها الزركشي "من أشهرها" كتاب نزهة القلوب لابن عزيز السجستاني (ت 330هـ) وكتاب الغريبيين لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت 401هـ).<sup>2</sup> أما كتاب ابن عزيز فيقال إنه صنفه في خمس عشرة سنة، وكان يقرؤه على شيخه أبي بكر بن الأنباري، فكان يصلح له في مواضع.<sup>3</sup>

ولعل سبب إعجاب العلماء بهذا الكتاب يرجع إلى أمرين، أولهما: تحرير المعنى باختصار، والثاني: ترتيبه البديع، فقد رتب فيه الألفاظ على حروف المعجم، ولم ينظر فيها إلى أصلها واشتقاقها، غير أنه اتبع في ذلك منهجاً غريباً، وهو أنه يقسم الحرف الواحد إلى ثلاثة أبواب، المفتوح ثم المضموم ثم المكسور، ثم يرتب الألفاظ في كل باب على السور، ولا ينظر إلى الحرف الثاني وما بعده، ولكن لم يسلم له هذا الترتيب العجيب، فاضطرب في مواضع كثيرة، وصعب البحث عن الكلمات فيه.

<sup>1</sup> تفسير غريب القرآن، مقدمة المؤلف، ص 3.

<sup>2</sup> البرهان في علوم القرآن، 291/1.

<sup>3</sup> نزهة الألباء: 232. الإتيقان، 3/2.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

أما الهروي فهو أول من جمع بين غريب القرآن وغريب الحديث، وسَمَّى كتابه (كتاب الغريبين) "ورثته مقفًى على حروف المعجم على وضع لم يسبق في غريب القرآن والحديث إليه" كما يقول ابن الأثير في مقدمة النهاية<sup>1</sup> واشترط في كتابه الاختصار، فقلل الشواهد، وحذف الأسانيد. واستدرك على كتاب الهروي الحافظ أبو موسى المديني (ت 581هـ) في كتابه (المجموع المغيـث في غريب القرآن والحديث)<sup>2</sup> ورتبه حسب ترتيب كتاب الهروي.

وقد بلغ التأليف في غريب القرآن قمته في كتاب المفردات للراغب الأصفهاني (ت نحو 412هـ) وقد عدّه الزركشي من أحسن كتب الغريب،<sup>3</sup> وقال فيه الفيروزآبادي: "لا نظير له في معناه".<sup>4</sup> وكتاب الراغب- كما يقول الدكتور حسن نصار:- "أشبه ما يكون بمعجم كامل للألفاظ القرآنية"،<sup>5</sup> وقد رتبه على حروف المعجم معتبراً فيه أوائل الحروف الأصلية دون الزوائد، ولكن لم يراع ترتيب الحرف الثاني والحرف الثالث من الكلمة. ومنهجه فيه أنه يذكر أولاً المعنى الحقيقي للمادة ثم يتتبع دوراتها في القرآن الكريم فيورد مشتقاتها ويبين مناسبتها بالمعنى الأصلي. وعلى الرغم من أنّ الراغب ذكر في المقدمة أنه استخار الله تعالى "في إملاء كتاب مستوفٍ فيه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجي" فإنه أغفل ألفاظاً كثيرة لم يفسرها، نحو (زين) أو أخلّ في تفسيرها، كما ذكر مواد لم ترد في القرآن الكريم نحو مادة (زعل). فألف شهاب الدين أحمد بن يوسف الشهير بالسمين الحلبي (ت 756هـ) كتاب (عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ) وبناه على كتاب الراغب، ثم زاد

<sup>1</sup> النهاية في غريب الحديث، 8/1.

<sup>2</sup> صدر بتحقيق عبد الكريم العزباوي من جامعة أم القرى سنة 1406هـ.

<sup>3</sup> البرهان في علوم القرآن، 291/12.

<sup>4</sup> البلغة: 91.

<sup>5</sup> المعجم العربي، 44/1.

عليه زيادات كثيرة حسنة، مع إتقان الترتيب وإيراد الشواهد وجمع الأقوال.<sup>1</sup>

ولا يفوتني في هذا التمهيد المختصر أن أشير إلى (معجم ألفاظ القرآن الكريم) الذي وضعه مجمع اللغة العربية في القاهرة، وصدر عام 1390هـ، وهو مرجع جيد في هذا الباب، ولكن لم يتحقق به الهدف الذي ذكره الأستاذ محمد حسين هيكل الذي اقترح وضعه على مجمع اللغة، وقد أشار إليه في تقديمه لكتاب (معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري) للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، فقال: "الفكرة التي قصدت أنا إليها يوم اقترحت وضع هذا المعجم هي أن يقف من يدرس القرآن على معاني ألفاظه عند العرب حين أوحاه الله إلى رسوله ﷺ فكثيراً ما تتغير قيم الألفاظ وإن لم تتغير معانيها تغيراً أساسياً".<sup>2</sup>

وقد ألف في الهند في النصف الأول من القرن الماضي كتاب في تفسير ألفاظ القرآن سمّاه مؤلفه (مفردات القرآن)، وكان مختلفاً عن كثير من الكتب المؤلفة في هذا الفن، فلم يكن الغرض من تأليفه الاختصار أو التسهيل أو الحفظ، وكان من مقاصده ما أشار إليه الأستاذ محمد حسين هيكل، ومع أن الكتاب لم يكمل ونشر عن مسودة، فإنه لجدير بما تضمنه من تحقيقات ونظرات جديدة وفوائد قيمة أن يعرف به في العالم العربي.

وقد ألفه مؤلفه مثل سائر كتبه في علوم القرآن باللغة العربية، ليطلع عليها علماء العالم الإسلامي، ولم يعبأ بإلحاح أستاذه شبلي النعماني وأصدقائه على التأليف بلغة قومه (الأردية) ولكن المؤسف أنه لم يتحقق غرضه، ومما يدل على ذلك أنه لا توجد ترجمة له في المراجع التي ترجمت للأعلام مثل كتاب الزركلي. ومن هنا رأى الباحث أن يعرف بالمؤلف قبل التعريف بكتابه المذكور.

<sup>1</sup> صدرت للكتاب ثلاث طبعات أولها في إستانبول من دار السيد للنشر سنة 1407هـ، بعناية محمود محمد السيد الدغيم، وهي طبعة مصورة من نسخة الكتاب المحفوظة في مكتبة نور عثمانية (إستانبول)

<sup>2</sup> معجم غريب القرآن.

الفصل الأول

ترجمة المؤلف

(1) اسمه ونسبه ونشأته العلمية:

هو عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج علي، حميد الدين، أبو أحمد الأنصاري، الفراهي. نسبة (الفراهي) إلى قريته التي ولد فيها واسمها (فريها) فعزبها، ويرى بعض الباحثين أنَّ أسرته هاجرت من المدينة المنورة إلى أفغانستان، وأقاموا زمناً في (فراه)، فلما نزحوا إلى الهند ونزلوا هذه القرية سمّوها باسم موطنهم، وتحرفت على ألسنة الناس إلى (فريها).<sup>1</sup>

ولد الفراهي صباح يوم الأربعاء السادس من جمادى الآخرة سنة 1280 هـ في القرية المذكورة من قرى مديرية (أعظم جره) في ولاية (أترابرايش) الحالية.

وكانت أسرته من الأسر الأنصارية الكريمة، ويعد أهلها من أعيان المنطقة ووجهائها. وكانت معروفة بنسبها وعلمها ومكانتها الاجتماعية. فنشأ الفراهي وترعرع في رخاء ونعمة. بدأ تحصيله العلمي في منزله - كدأب أبناء البيوتات الشريفة في عهده - بقراءة القرآن الكريم على مؤدبه الأول الشيخ أحمد علي،<sup>2</sup> وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين أو نحو ذلك.<sup>3</sup>

ثم تعلم اللغة الفارسية في منزله أيضاً في مدة تسعة أشهر،<sup>4</sup> أخذها عن مؤدبه الثاني الشيخ محمد مهدي، وكان من علماء الفارسية وشعرائها.<sup>5</sup> وسرعان ما حصلت له

<sup>1</sup> مقال (ترجمان القرآن مولانا حميد الدين فراهي رحمه الله) للدكتور شرف الدين الإصلاحي. مجلة معارف، عدد رجب 1411 هـ، ص 88.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 89.

<sup>3</sup> الترجمة الذاتية للفراهي ضمن مقال (الإمام حميد الدين الفراهي رحمه الله) للأستاذ شير محمد في مجلة الضياء، 7/2، ص 260.

<sup>4</sup> المرجع السابق ص 260.

<sup>5</sup> نزهة الخواطر، 8: 248 وقد اطلعت على نسخة خطية من ديوانه الفارسي عند الشيخ بدر الدين الإصلاحي رحمه الله.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

بذكائه وتوقد ذهنه ملكة قوية في اللغة الفارسية، وامتلك ناصية البيان، فبدأ يقرض الشعر، ولم تمض مدة قليلة حتى أخذ يجاري فحول شعراء الفارسية. فقال قصيدة صعبة الرديف - وهو ابن ست عشرة سنة - عارض بها قصيدة خاقاني الشرواني الملقب بحسان العجم (ت 595هـ)،<sup>1</sup> فلما عرضها ابن عمته العلامة شبلي النعماني (ت 1336هـ)<sup>2</sup> على أستاذه الشيخ فاروق العباسي - من كبار أدباء الفارسية - وسأله عن قائلها، قال: لا أدري ولكن الظاهر أنها لبعض الشعراء المتقدمين.<sup>3</sup>

بدأ الفراهي تعلم اللغة العربية، وهو ابن أربع عشرة سنة، فانتقل من قريته إلى مدينة (أعظم جره) وقرأ فيها أكثر كتب الدرس النظامي على العلامة شبلي الذي كان أكبر منه بست سنين. ثم توجه معه إلى مدينة (لكنّاو) وحضر هناك مدة يسيرة في دروس العلامة الفقيه الشهير عبد الحي الأنصاري اللكنوي (ت 1304هـ)،<sup>4</sup> كما أخذ عن الشيخ فضل الله بن نعمة الله الأنصاري (ت 1312هـ) أحد الفضلاء البارعين في المعقولات.<sup>5</sup>

ثم حداه حادي الشوق إلى التلمذ على أديب العربية وشاعرها المفلح العلامة فيض الحسن السهارةفوري (ت 1304هـ)<sup>6</sup> الذي كان مدرساً في الكلية الشرقية بمدينة (لاهور) فسافر إلى (لاهور) وقرأ عليه بصفة شخصية كتب الأدب العربي. وقد أحب الشيخ تلميذه لفرط ذكائه وحسن أدبه، فأهدى إليه نسخة كتبها وصححها بخط يده من كتابه (رياض الفيض) وهو شرح للمعلقات السبع في ثلاث لغات: العربية والفارسية والأردية.<sup>7</sup> وكان من حبّ الفراهي لشيخه أنه نشر ديوانه العربي سنة

<sup>1</sup> انظر ترجمته في لباب الألباب: 405.

<sup>2</sup> انظر في سيرته كتاب (حيات شبلي) للسيد سليمان الندوي، والأعلام للزركلي، 3: 355.

<sup>3</sup> حيات حميد: 28.

<sup>4</sup> انظر ترجمته في نزهة الخواطر، 8: 250.

<sup>5</sup> نزهة الخواطر، 8: 248 وانظر ترجمته في، 8: 387.

<sup>6</sup> انظر ترجمته في نزهة الخواطر، 8: 389.

<sup>7</sup> هذه النسخة النادرة محفوظة في مكتبة مدرسة الإصلاح، والكتاب مطبوع.

1334هـ على نفقته، وهو أول مطبوعات دار المصنفين بمدينة (أعظم جره).

وبعد ما تخرج في العلوم المتداولة من المنقول والمعقول وعلوم العربية، أقبل سنة 1300هـ- وهو ابن عشرين سنة- على اللغة الإنجليزية والعلوم الحديثة، فالتحق بثانوية (كرنل غنج) بمدينة (إله آباد) ثم بكلية (علي جره) التي تطورت فيما بعد إلى (جامعة علي جره). وكانت العربية والفارسية مواد لازمة لطلاب الكلية، ولكن الفراهي أعفي عنهما، بل كُلف من قبل المسؤولين ترجمة كتابين إلى اللغة الفارسية لإدخالهما في المقررات الدراسية في الكلية التي كان هو أحد طلابها.<sup>1</sup>

وقد عني الفراهي في دراسته في الكلية بالفلسفة الحديثة ونال فيها درجة الامتياز مع اهتمامه بالإنجليزية والعلوم العصرية الأخرى. وقد أخذ الفلسفة من المستشرق الإنجليزي الشهير (توماس أرنولد) الذي كان من أساتذة الكلية، وعمل فيها مدرسًا عشر سنوات.<sup>2</sup> ومن مؤلفاته كتاب (الدعوة إلى الإسلام) الذي نال قبولًا عظيمًا عند الباحثين المسلمين، ولكن الفراهي كان ينتقد هذا الكتاب انتقادًا شديدًا ويرى أن الغرض من تأليفه تجريد المسلمين من روح الجهاد.<sup>3</sup>

وفي أثناء طلبه في كلية علي جره، طلب إليه ترجمة تفسير سيد أحمد (مؤسس الكلية) إلى اللغة العربية، فرفضها قائلًا: "لن أشارك في نشر هذا الإثم".<sup>4</sup> تم درس سنتين علم القوانين الجارية (الحقوق)، ولكنه كان يكره الاشتغال به، فنبذه ولم يكمل تحصيله.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> أحدهما جزء من طبقات ابن سعد ونشر ترجمته الفارسية سنة 1891م والآخر رسالة بدء الإسلام من تأليف العلامة شبلي النعماني باللغة الغربية.

<sup>2</sup> انظر ترجمته في كتاب: المستشرقون، 84/2.

<sup>3</sup> حیات حمید: 34.

<sup>4</sup> المرجع السابق: 36، وقد ذكره من وقائع أيام تدريسه في علي جره، بينما يرى الدكتور شرف الدين أنه وقع أيام طلبه في الكلية. انظر مقاله السابق الذكر ص 92.

<sup>5</sup> مجلة الضياء، 7/2، ص 260.

(2) مناصبه وأعماله التعليمية والإدارية:

تولّى الفراهي بعد إكمال دراسته مناصب عدة تعليمية، وإدارية. فعين سنة 1314هـ مدرساً للعربية والفارسية بمدرسة الإسلام في مدينة (كراتشي)، ودرّس فيها أكثر من تسع سنوات.

ثم عيّن عام 1324هـ أستاذاً مساعداً للعربية في كلية علي جره، وكان أستاذ العربية فيها حينذاك المستشرق اليهودي الألماني (جوزف هورفيتس) ناشر الجزأين الأولين من طبقات ابن سعد وصاحب كتاب (المغازي الأولى ومؤلفوها)<sup>1</sup>، ولعل تعيينهما كان في وقت واحد. وقد أخذ عنه الفراهي اللغة العبرانية، كما استكمل المستشرق عليه العربية. وفي أثناء إقامته في علي جره ألّف الفراهي كتابه (إمعان في أقسام القرآن) ونشر تفسير سورتى القيامة والذهب.

وبعد سنتين عيّن عام 1326هـ أستاذاً للعربية بجامعة (إله آباد) وقضى هناك نحو ست سنوات، أصدر خلالها تفسير سورة التحريم. واختير عضواً في اللجنة العربية للعلوم الشرقية. ولما اقترح 1331هـ تأسيس جامعة عالمية في المدينة المنورة كان هو والعلامة شبلي النعماني من بين العلماء الذين اقترحت أسماؤهم للتدريس فيها.<sup>2</sup> ثم اختارته حكومة (حيدر آباد) عميداً لدار العلوم - وكانت كلية شرقية - فغادر إليها سنة 1332هـ منتدباً من قبل حكومة محافظته، وكان - بالإضافة إلى مسؤوليته الإدارية - يدرّس الصفوف العليا في الكلية.

وكان الفراهي أحد المؤسسين للجامعة العثمانية بحيدر آباد، وهو الذي اقترح أن يكون تدريس العلوم الشرعية باللغة العربية، والعلوم العصرية باللغة الأردية، فوافقوا على الجزء الثاني ولكن لم يوافقوا على الجزء الأول من اقتراحه.<sup>3</sup> وفي

<sup>1</sup> انظر ترجمته في كتاب: المستشرقون، 433/2.

<sup>2</sup> مجلة معارف، عدد رجب 1411هـ، ص 96.

<sup>3</sup> حیات حمید: ص 260.



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

أثناء إقامته بحيدرآباد ألف كتابه (الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح) ومقدمات من تفسيره (نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان)، وكانت له حلقة أسبوعية لتفسير القرآن الكريم يحضرها العلماء والباحثون وطلبة علم القرآن، ويعرضون عليه أسئلتهم فيجيب عنها.

مكث الفراهي بحيدر آباد إلى سنة 1337هـ، ثم استقال من منصبه مع رغبة المسؤولين في بقائه بـ(حيدرآباد)، وعاد إلى وطنه. وقد أشار إلى ذلك في ترجمته الذاتية الموجزة التي كتبها للدكتور تقي الدين الهلالي رحمه الله، حينما زاره في قريته في 17 رمضان سنة 1342هـ قائلاً: «ولما كانت هذه المشاغل تمنعني عن التجرد لمطالعة القرآن المجيد، ولا يعجبني غيره من الكتب التي مللت النظر في أباطيلها، غير متون الحديث وما يعين على فهم القرآن، تركت الخدمة، ورجعت إلى وطني، وأنا بين خمسين وستين من عمري. فيا أسفًا على عمر ضيعته في أشغال ضررها أكبر من نفعها! ونسأل الله الخاتمة على الإيمان»<sup>1</sup>.

بعد عودته من حيدر آباد تولى الفراهي إدارة مدرسة إصلاح المسلمين التي أنشأتها جمعية إصلاح المسلمين في بلدة (سرائ مير)، وقد قامت هذه الجمعية في منطقة (أعظم جره) لإصلاح عقائد المسلمين وإزالة البدع المنتشرة وفض المنازعات والخصومات بين المسلمين، ثم أسست الجمعية مدرسة إصلاح المسلمين - التي سميت فيما بعد بمدرسة الإصلاح اختصارًا - لتخريج علماء ودعاة يحملون رسالتها، فيستمر عمل الدعوة والإصلاح. وقد أسند الإشراف على المدرسة إلى الفراهي وهو في حيدر آباد، فلما رجع إلى وطنه باشر إدارة المدرسة، ووضع فكرتها التعليمية، ورسم لها منهاجًا دراسيًا فريدًا يختلف عن منهاج المدارس الدينية الأخرى في نظامها، ومقرراتها الدراسية، وطريقة التدريس فيها. وفي السنوات الخمس الأخيرة من عمره وقف جزءًا كبيرًا من وقته وجهده على خدمة هذه المدرسة فكان يقيم ثلاثة أيام من كل أسبوع في المدرسة، ويلقي دروسًا لتفسير

<sup>1</sup> مجلة الضياء، 7/2، ص260.

القرآن الكريم على أساتذتها وطلابها الكبار.<sup>1</sup>

ولما توفي العلامة شبلي النعماني سنة 1332هـ واجتمع تلامذته لتنفيذ فكرة أستاذهم لإنشاء مؤسسة دار المصنفين، اختاروا العلامة الفراهي - رحمه الله - رئيساً لها والعلامة سليمان الندوي مديراً.

### (3) صفاته وأخلاقه:

كان الفراهي رحمه الله معروفاً بفرط الذكاء وثقوب النظر وسرعة الإدراك. وكان ورعه وزهده في الدنيا، وقصده في العيش، وعزوفه عن السمعة، وحسن تعبده، مع جود وغنى نفس وتواضع، موضع إجماع من معاصريه.

كان يقول شيخه شبلي النعماني رحمه الله "من جلس إلى عبد الحميد انصرف قلبه عن الدنيا"<sup>2</sup> ويقول السيد سليمان الندوي رحمه الله: "كان رحمه الله آية من آيات الله في حدة الذهن وكثرة الفضل وسعة العلم ودماثة الخلق وسداد الرأي والزهد في الدنيا والرغبة في مرضاة الله".<sup>3</sup> ويقول الأستاذ عبد الماجد الدرابادي: "لم تر عيني مثله في الصبر والشكر والقناعة والتوكل وغنى النفس". وقال في موضع آخر: كانت شخصية الفراهي قوية جذابة، قلما رأينا مؤمناً قانتاً مثله، قيل في وصف أولياء الله إن الجلوس معهم يذكّر الإنسان بالله سبحانه، وكان يصدق هذا الوصف على الفراهي صدقاً تاماً. أما الصلاة فكان قلبه معلقاً بأوقاتها. أقام في حيدر آباد سنوات عميداً لدار العلوم، يتقاضى مرتباً عالياً، وكانت صلته بطبيعة الحال بعلية القوم، لكن لم يتغير شيء مما كان عليه من القناعة والاقتصاد في المطعم والملبس والديانة والصدق والإخلاص. أما مجالسه فلا مجال فيها للغيبة ولغو القول والهزل. وبالجمله فلم يكن له نظير لا في العلم والفضل ولا في الديانة والتقوى".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> حیات حمید: ص 38.

<sup>2</sup> المرجع السابق: 55.

<sup>3</sup> انظر ترجمة الفراهي في كتاب إمعان في أقسام القرآن للفراهي: 15.

<sup>4</sup> مقال الدرابادي في صحيفته (صدق) عدد 19/6/1945م.

وكان يصرف جزءاً من راتبه في شراء الكتب وتجليدها، والجزء الأكبر منه ينفقه على الفقراء واليتامى والأرامل.<sup>1</sup>

وقد أقبلت الدنيا على الفراهي، فتهيأت له فرص لو اغتنمها وسعى إلى ما يسعى إليه أهل الدنيا لنال أجلّ الرتب وأعلى المناصب، وحاز كل ما تطمع فيه النفوس من الأموال والألقاب وحسن الصيت، ولكنه كان زاهداً في كل ذلك، مقبلاً على الله، قائلاً للدنيا ما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "يا دنيا، غري غيري".<sup>2</sup> وكان من تيقظه وحذره في ذلك أنه قال في أثناء تلك الفرص التي يتمنى الناس حصولها في حياتهم مقطوعة رباعية في الفارسية يخاطب نفسه محذراً لها، ترجمتها: "والجاهل مشغول بالبحث عن لذيق المأكّل، والعاقل مصروف همه إلى نيل الصيت والسمعة. أما أنت أيها الفراهي فاجتنب الاثنين، فيوشك أن ترى كليهما قد نشبت حلوقهما في الحباله".<sup>3</sup>

وكان من ورعه وعدله أنه حكم في قضية - جعله الخصم حكماً فيها - على والده، وكان من أبرّ الناس به، وخرج بذلك جزء كبير من ضياعه إلى ملك الخصم.<sup>4</sup>

#### (4) ثقافته وعلومه:

كان الفراهي عالماً متفنناً، ذا ثقافة واسعة متنوعة، فقد برع في العلوم النقلية والعقلية، ومهر في اللغات العربية والفارسية والإنجليزية، وتعلم اللغة العبرانية. وتميّز من بين معاصريه في الهند بأنه درس مع ذلك علوم الغرب وآدابه في اللغة الإنجليزية دراسة الناقد البصير، ثم لم يزد ذلك إلا قوة في الدين واستقامةً عليه علماً وعملاً. لكن العلم الذي غلب عليه هو علم القرآن الذي بلغ فيه إلى منزلة تتقاصر دونها

<sup>1</sup> حیات حمید: 350.

<sup>2</sup> الرقة والبكاء: 198.

<sup>3</sup> نواي فہلی: 40.

<sup>4</sup> حیات حمید: ص 53.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

الهمم. ونكتفي هنا بلمحة موجزة عن ثقافته الواسعة التي امتازت في كل جوانبها بالكيف أكثر من الكم.

قد اعترف أقرانه وشيوخه بعلو منزلة الفراهي في معرفة اللغتين الفارسية والعربية، فيقول الأستاذ عبد الماجد الدريبادي: "قد بدأ العلامة الفراهي في الآداب الفارسية والعربية أقرانه بل شيخه شبلي النعماني أيضًا<sup>1</sup> وقد ذكرنا فيما سبق معارضته - وهو ابن ستة عشر عامًا - للشاعر الفارسي الشهير (خاقاني) بقصيدة صعبة الرديف بهرت أحد كبار علماء الفارسية وخيل إليه أنها لبعض الشعراء المتقدمين. وقد طبع ديوان شعره الفارسي عام 1903 م فأرسل العلامة شبلي النعماني نسخة منه إلى الشيخ حبيب الرحمن الشيرواني وكتب إليه: "طبع شيء من شعر حميد الدين، نرسل إليكم نسخة منه، ولعلكم تنظرون القصيدتين اللتين في آخر الكتاب لتتذوقوا اللسان الفارسي في الأصيل".<sup>2</sup> وقد طبع الديوان مرة أخرى في طبعة أوفى بعنوان (نوائ فهلوي) سنة 1967 م.

وللفراهي ديوان آخر ترجم فيه صحيفة أمثال سليمان إلى الفارسية الفحة التي لا يشوبها شيء من ألفاظ العربية، وقد طبع في حياته في حيدر آباد بعنوان (خردنامه). ومما يدل على تمكنه من الآداب الفارسية رسائل العلامة شبلي النعماني إليه في أثناء تأليفه كتاب (شعر العجم)، يقول في بعضها: "الأبيات التي سترسلها إليّ من شاهنامه الفردوسي، ينبغي أن تفسر الغريب من ألفاظها في مواقعها، فإن أكثر ألفاظها غير مألوفا الآن".<sup>3</sup>

وكتب في رسالة أخرى: "أرسل إلي أمثلة من التخيل في الشعر الفارسي حسب آراء النقاد الغربيين".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> مقالة (مولانا حميد الدين الفراهي) في صحيفة الداعي، عدد 3 ديسمبر 1976 م.

<sup>2</sup> مكاتيب شبلي، 124/1.

<sup>3</sup> المرجع السابق، 28/2، وكتاب شعر العجم في تاريخ الشعر الفارسي في خمسة مجلدات.

<sup>4</sup> المرجع السابق، 18/2.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

أما الإنجليزية فقد أُنقِنَ دراستها، وأُلِّفَ فيها وحاضر، وقد اطلع بواسطتها على كتابات المستشرقين عن القرآن وتاريخ العرب، وعلى الأدب الإنجليزي شعراً ونثراً وبلاغة، وعلى كتب الفلسفة الحديثة وما ترجم إليها من كتب الفلسفة والآداب اليونانية. ومن مؤلفاته بالإنجليزية رسالة في عقيدة الشفاعة والكفارة، ردّها على بعض علماء النصراني<sup>1</sup>.

وقد أقرت ندوة العلماء في اجتماعها السنوي الذي عقد في دلهي عام 1328هـ قرار إعداد ترجمة إنجليزية لمعاني القرآن الكريم، نظراً لأن التراجم الأخرى الموجودة في ذلك الحين تمت على أيدي النصراني. فتألفت لجنة من العلامة الفراهي والنواب عماد الملك البلجرامي والشيخ محمد صالح، على أن يقوم عماد الملك بالترجمة ويراجعها الفراهي والشيخ محمد صالح<sup>2</sup>.

وقد درس الفراهي - رحمه الله - اللغة العبرانية، كما سبق، والذي دعاه إلى ذلك انتشار جمعيات التنصير في عهده في الهند، والرد عليهم من كتبهم يقتضي الاطلاع المباشر على كتب اليهود والنصارى، فاستفاد الفراهي بمعرفته للغة العبرانية ووقوفه على الدراسات المتعلقة بصحف أهل الكتاب في اللغة الإنجليزية، في كشف كثير من تحريفاتهم بنصوص كتبهم، كما نرى في كتابه (الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح) فقد جاء بثلاثة عشر دليلاً من التوراة نفسها للرد على زعمهم بأن الذبيح إسحاق عليه السلام، وناقش علماء أهل الكتاب، وفَسَّرَ ما أشكل عليهم من كتبهم، ومن مؤلفاته التي لم يكملها (الطريف في التحريف) الذي كان يريد أن يجمع فيه جملة من تحريفاتهم.

ومن ثم لما جاءت فكرة الرد على شبهات المستشرقين وأقوالهم على القرآن الكريم وكتب بعض المسؤولين في حكومة (مهوبال) إلى العلامة شبلي النعماني رد عليه بأنه

<sup>1</sup> ذكرها السيد سليمان الندوي في ترجمة الفراهي الملحقه بكتابه (إمعان في أقسام القرآن). انظر دار القلم من كتاب الإمعان: 19.

<sup>2</sup> حيات شبلي: 582.

لا يوجد في الهند كلها من يستطيع أن يقوم بهذا العمل مثل حميد الدين الفراهي.<sup>1</sup> وكتب في رسالة أخرى: "يندر في المسلمين من يجيد الكتابة في اللغة الإنجليزية (مع تبحره في القرآن) ولذلك فإن حميد الدين هو الذي يستطيع أن يقوم بهذا العمل خير قيام".<sup>2</sup>

أما العلوم العقلية: فدرسها الفراهي أيام طلبه؛ إذ كانت جزءاً لازماً من نظام الدرس في عصره، ثم اهتم بالفلسفة الحديثة حينما دخل كلية علي جره، ونال فيها درجة الامتياز، وقد واصل اطلاعه على ما كتبه فلاسفة الغرب. يقول الأستاذ عبد الماجد- وكان من المختصين في الفلسفة الحديثة:- "إن الفراهي قد درس الفلسفة دراسة واسعة وعميقة جداً، وكان يقرأ أحدث كتب الفلسفة والمنطق، ولم يكن يكتفي بالاطلاع عليها، بل يقرأها قراءة بحث ونقد ومقارنة".<sup>3</sup> ومن هنا كان أعرف بخطرها وضررها وضلالها. وقد نبّه على ذلك في كتبه،<sup>4</sup> ثم لما قرر المنهج الدراسي لمدرسة الإصلاح حذف منه كتب المنطق والفلسفة، ولم يترك إلا مبادئها ليعرف الطالب المصطلحات المستعملة في الفنون فيتمكن من الاستفادة من كتب علماء الإسلام في أصول الفقه والكلام. وكان من أعظم كتبه التي لم يكملها كتاب (حجج القرآن)، والأبواب الثلاثة الأولى منه في نقد الفلسفة والمنطق وعلم الكلام، والعلماء والباحثون الذين حضروا مجالسه ومحاضراته في نقد هذه العلوم وبيان زيفها، كانوا يشبهونه بشيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك وفي تبحره في علوم القرآن. أما العربية: فكان فيها إماماً لا يشق له غبار، وكان له في كل علم من علومها من لغة، ونحو، وبلاغة، وعروض، تحقيقات واجتهادات واستدراكات على الأئمة. ونكتفي هنا بالإشارة إلى كتابه (جمهرة البلاغة)، الذي نقض فيه الأساس الذي

<sup>1</sup> مكاتيب شبلي، 1: 25.

<sup>2</sup> المرجع السابق، 1: 254.

<sup>3</sup> مقالته في صحيفة الداعي، عدد 3 ديسمبر 1976م.

<sup>4</sup> منها كتاب المفردات قال فيه: "ومضرت كتب الفلسفة أضلّ وأوغل". (ص 5)

يقوم عليه فن البلاغة عند أرسطاطاليس، وهو نظرية المحاكاة، ويرى الفراهي أن فن البلاغة العربية تأثر بهذه النظرية، فجار عن قصد السبيل. وانتقد في ذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني مع اعترافه بجلالته، ودعا إلى تأسيس فن البلاغة على أسس منبثقة من القرآن الكريم وكلام العرب الأفاضل.

ولما أرسل الفراهي فصولاً من جمهرة البلاغة إلى العلامة شبلي النعماني أعجب به إعجاباً جعله يلخص مباحثه المهمة، وبخاصة نقده لنظرية المحاكاة في مجلة "الندوة" التي كان يصدرها باللغة الأردنية، مع أن النعماني نفسه يعدّ من أشهر النقاد والكتاب ومن الأركان الخمسة للأدب الأردني. وقد نشر الكتاب بعد وفاة المؤلف، ونفذ قبل أن يصل إلى البلاد العربية ليأخذ مكانه من البحث والنقاش، فهو كتاب فريد في تاريخ البلاغة العربية.

وللفراهي ديوان شعر لطيف في العربية، طبع سنة 1387هـ، وقد ذكره الدكتور تقي الدين الهلالي رحمه الله، فقال في مذكراته: "وللشيخ المذكور ديوان شعر، سمعته منه، بليغ مؤثر في استنهاض همم المسلمين، وبث الحياة في قلوبهم، وذكر عداء الإفرنج لهم، وذكر حرب طرابلس والحرب الكبرى، والرجل فصيح في التكلم للغة".<sup>1</sup> أما أسلوبه في الكتابة فيشبه أسلوب الأقدمين في الجزالة والرصانة والإيجاز والإشراق.

أما العلوم الشرعية: فتشهد بطول باعه فيها الفصول التي سوّدها من كتبه: (الرائع في أصول الشرائع)، و(إحكام الأصول بأحكام الرسول)، و(فقه القرآن)، وكان ينوي تدوين فن أصول الفقه على نحو جديد بعد تخليصه مما اختلط به من مباحث الفنون الأخرى. وله تعليقات على كتب الحديث والفقه والأصول وغير ذلك، ولكن العلم الذي استحوذ على عقله وقلبه، فأقبل عليه إقبالاً منقطع النظر هو علم القرآن، وكل ما درسه من علوم المنقول والمعقول وآداب الأمم

<sup>1</sup> مجلة الضياء، عدد رجب 1352هـ.

وفلسفتها سخره لخدمة القرآن الكريم والمنافحة عنه. وقد شرع في تدبر القرآن الكريم أيام طلبه في كلية علي جره، كما ذكر في (فاتحة نظام القرآن)، وكان كتاب الله أحب الكتب إليه، والنظر فيه ألد من كل ما في الدنيا.<sup>1</sup>

وكان يعكف كل يوم بعد قيام الليل على تدبر القرآن الكريم، ويستمر على ذلك بعد صلاة الفجر إلى الساعة التاسعة صباحًا، وظل ذلك دأبه أكثر من ثلاثين سنة. ولما استقال من عمادة دار العلوم بحيدر آباد صار يقضي معظم وقته في تدبر القرآن والتأليف فيه. فحاز السبق في علم القرآن وفتح الله عليه من علومه ما شاء، وبلغ في ذلك شأواً لم يبلغه إلا قليل من أهل العلم، فلقبه معاصروه بـ"ترجمان القرآن". وقد ألفت في تفسير القرآن وعلومه بضعة عشر كتابًا، أجلبها تفسيره (نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان) الذي صدر منه أحد عشر جزءًا في حياته وجزءان بعد وفاته. ولعله لم يشرع في التفسير من أوله إلا في آخر حياته فوافاه الأجل، وهو في تفسير الآيات (47-62) من سورة البقرة.

وله منهج فريد في التفسير أفاض القول في بيان أصوله في مقدمة التفسير (فاتحة نظام القرآن) وكتابه (دلائل النظام)، وأبانت عنه أجزاء التفسير المذكورة.

وقد تكلم على كثير من الموضوعات القرآنية في المقدمة، أما المسائل التي كانت بحاجة إلى بسط القول فيها، فأفرد لها كتبًا مستقلة. منها كتابه في تعيين الذبيح (الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح) الذي سبق ذكره، و(إمعان في أقسام القرآن) الذي تناول فيه قضية القسم على وجه العموم، وذكر أصله وأنواعه وأدواته وبلاغته، وانتهى إلى أن الأقسام الواردة في القرآن الكريم إنما هي للاستدلال والاستشهاد.

وقد خطط الفراهي لتأليف اثني عشر كتابًا في علوم القرآن غير ما سبق، وكتب جملة من فصول بعضها. من أهمها كتاب (حكمة القرآن)، وكتاب (حجج القرآن)، وكتاب (دلائل النظام)، وكتاب (مفردات القرآن).

<sup>1</sup> فاتحة نظام القرآن: 2.



قبل أن نسرد أسماء مؤلفات الفراهي، يحسن أن نشير إلى منهجه في التأليف، فإنه يختلف عن منهج عامة المؤلفين الذين إذا عزموا على تأليف كتاب جمعوا مادته ثم رتبوها في صورة كتاب. أما الفراهي فإن الموضوعات التي رأى ضرورة الكتابة فيها وحل مشكلاتها كانت ماثلة بين عينيه، يديم النظر والبحث فيها، فإذا حقق مسألة أو حل معضلة أو توصل إلى رأي مقنع قيد ذلك وكتب عليه: "من كتاب..." حتى إذا اكتملت جوانب البحث أقبل على تأليفها وتنسيقها. ولذلك كان يؤلف كتباً عديدة في وقت واحد، ومن ثم بقي أكثر مؤلفاته ناقصاً، ومنها ما لم يتخط حدود ذهنه، ولا جرى به قلمه، مع أنه يحيل عليه في مؤلفاته، لأن كل بحث له مكان معين عنده. ونكتفي فيما يلي بإيراد أسماء مؤلفاته العربية المطبوعة:

- 1- أساليب القرآن، الدائرة الحميدية، الهند سنة 1389هـ.
- 2- إمعان في أقسام القرآن، الطبعة الثالثة، دار القلم بدمشق، سنة 1415هـ.
- 3- التكميل في أصول التأويل، الدائرة الحميدية، الهند، سنة 1388هـ.
- 4- جمهرة البلاغة، الدائرة الحميدية، الهند، سنة 1360هـ.
- 5- دلائل النظام، الدائرة الحميدية، الهند، 1388هـ.
- 6- ديوانه العربي، الدائرة الحميدية، الهند، 1387هـ.
- 7- الرأي الصحيح فيمن هو الذبح، الطبعة الثالثة، دار القلم بدمشق، سنة 1430هـ.
- 8 - فاتحة نظام القرآن، الدائرة الحميدية، الهند، 1357هـ.
- 9- في ملكوت الله، الدائرة الحميدية، سنة 1391هـ.
- 10- القائد إلى عيون العقائد، الدائرة الحميدية، الهند، سنة 1395هـ.
- 11 - مفردات القرآن، الدائرة الحميدية، سنة 1358هـ.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

12- نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، وهو تفسيره الكبير الذي صدرت منه الأجزاء الآتية:

أ- تفسير الفاتحة والبسملة، نشر مع فاتحة نظام القرآن سنة 1357هـ.

ب - تفسير سورة الذاريات، مطبعة معارف بأعظم جره، دون تاريخ.

ج- سورة تفسير التحريم، مطبعة فيض عام، علي جره، سنة 1326هـ.

د- تفسير سورة القيامة، الطبعة الثانية، الدائرة الحميدية، سنة 1403هـ.

هـ- تفسير سورة المرسلات، مطبعة معارف، دون تاريخ.

و- تفسير سورة عبس، مطبعة معارف، دون تاريخ.

ز - تفسير سورة الشمس، مطبعة فيض عام، سنة 1326هـ.

ح - تفسير سورة التين، مطبعة معارف، دون تاريخ.

ط - تفسير سورة العصر، مطبعة فيض عام، سنة 1326هـ.

ي - تفسير سورة الفيل، مطبعة معارف، سنة 1354هـ.

ك - تفسير سورة الكوثر، مطبعة معارف، دون تاريخ.

ل - تفسير سورة الكافرون، مطبعة فيض عام، سنة 1326هـ.

م - تفسير سورة اللهب، مطبعة معارف، دون تاريخ.

(6) وفاته وثناء العلماء عليه:

توفي رحمه الله - وهو يتلو القرآن الكريم - في 19 من جمادى الآخرة عام 1349هـ على إثر عملية جراحية أجراها طبيبه الخاص في مدينة (مئورا) ودفن بها.

وقد رثاه عدد من أصحابه وأصدقائه بقصائد عربية وفارسية وأردية. وقد نقلنا فيما سبق أقوال بعض معاصريه عن علمه وخلقه، ونضيف هنا مقتطفات من

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

ثلاث كلمات: أولها للعلامة السيد سليمان الندوي، وهي أقوى ما كتبه في وفيات الأعلام. وقد كتبها في مجلة (معارف) الصادرة من دار المصنفين بأعظم جره بعنوان (الصلاة على ترجمان القرآن) بدأها بقوله:

"(الصلاة على ترجمان القرآن) نودي بذلك قبل نحو ستة قرون من مصر والشام إلى حدود الصين، للصلاة على الإمام ابن تيمية رحمه الله، وحق أن ينادي بذلك مرة أخرى من ربوع الهند إلى بلاد مصر والشام على الأقل، فإن ابن تيمية هذا العصر قد توفي في التاسع عشر من جمادى الآخرة سنة 1349 هـ. (الموافق 11 نوفمبر سنة 1930 م). ذلك الإمام الجليل الذي كانت شخصيته الجامعة بين علوم الشرق والغرب نادرة العصر، شخص واحد اجتمع فيه عالم من العلم والمعرفة، ماهر في العلوم الدينية، ناقد للعلوم العقلية، وحيد عصره في علوم العربية، نسيج وحده في علم القرآن، عارف بحكمته ودقائقه، كنيف ملئ علماً، ولكن لم ينقل من علمه - مع الأسف - إلى الدفاتر والأوراق إلا قليل ..."<sup>1</sup>

والكلمة الثانية للعلامة أبي الكلام آزاد رحمه الله قال فيها: "كان حميد الدين الفراهي رحمه الله من العلماء الربانيين الذين لا تكون بضاعتهم العلم فحسب، بل يجمعون بين العلم والعمل. ويندر وجود أمثال هؤلاء الحائزين للشرفين، كما لا يخفى على أهل النظر. وإني كلما قابلته تأثرت بعمله أكثر من علمه، فإنه كان رجلاً تقياً بكل معنى الكلمة ..."<sup>2</sup>

وقد نقلنا من قبل بعض ما كتبه الدكتور تقي الدين الهلالي في مذكراته، حينما زار الفراهي رحمه الله قبل وفاته بسبع سنين، ومما جاء فيها أيضاً: "... والرجل فصيح في التكلم للغاية، نادر في علماء العرب فضلاً عن علماء الهند ... سمعت منه خطبة تفسيره للقرآن اغرورقت منها عينايا لفصاحتها وحقيقتها، وهو عارف بمسألة الخلافة محقق لها لا يلتبس عليه شيء من أمرها خلافاً لأهل الهند، مجتهد في العقائد

<sup>1</sup> مجلة معارف المجلد 26 عدد السادس ص 322.

<sup>2</sup> انظر مجلة الإصلاح المجلد الأول، العدد الثامن، ص 56 - 61.

والعمليات، لا ينتهي لمذهب لكنه يتعبد على مذهب الحنفية؛ لأنه نشأ عليه ويعتقد أن الأمر في مثل ذلك سهل. ماهر في الإنجليزية والعربية والفارسية والأردية. وبالجمله فهو أعلم من لقيته قبل هذا الحين، وهو 17 رمضان 1342هـ.<sup>1</sup>

## الفصل الثاني

### كتاب مفردات القرآن

سبق في تمهيد هذا البحث أن علم غريب القرآن حظي بكثرة المؤلفات فيه كثرة لا يأتي علمها الحصر، وقد تناولته كتب التفسير والمعجمات العربية أيضًا، فما الذي دفع العلامة الفراهي إلى تأليف كتاب جديد في هذا العلم وجعله جزءًا من مشروعه القرآني العظيم؟ وهل أنجز هذا الكتاب؟ وما منهجه فيه؟ وهل له ميزة على سائر الكتب المصنفة في هذا الفن؟ سنجيب عن هذه الأسئلة في هذا الفصل.

#### (1) أسباب تأليف الكتاب:

يتضح من دراسة كتاب المفردات أن أهم الأسباب التي دعت الفراهي إلى تأليفه ثلاثة:

#### 1- أهمية المعرفة الدقيقة لمعاني المفردات وقصور كتب اللغة والغريب:

تحدث الفراهي في المقدمة الأولى لكتاب المفردات عن أهمية الموضوع وشدة الحاجة إليه، فقال: "لا يخفى أن المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى في فهم الكلام. وبعض الجهل بالجزء يفضي إلى زيادة جهل بالمجموع. ولا يسلم المرء عن الخطأ إذا سدّ جميع أبوابه، فمن لم يتبين معنى الألفاظ المفردة من القرآن، (أ) أغلق عليه باب التدبر و(2) أشكل عليهم فهم الجملة و(3) خفي عنه نظم الآيات والسورة... ثم سوء فهم الكلمة ليس بأمر هين، فإنه يتجاوز إلى إساءة فهم الكلام وكل ما يدل عليه من العلوم والحكم، فإن أجزاء الكلام يبين بعضها بعضًا للزوم التوافق بينها...". ثم أشار إلى "أن كتب اللغة والغريب لا تعطيك حدود الكلمات حدًا تامًا".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> مجلة الضياء، المجلد الثاني، العدد السابع، ص 260.

<sup>2</sup> مفردات القرآن: 4 - 5.

وهكذا لما ذكر المصادر اللسانية لتفسيره في المقدمة الثالثة من كتابه (فاتحة نظام القرآن) صرح أولاً بأن المعاني الشرعية نحو الصلاة والزكاة والصوم وغيرها محفوظة لا خلاف فيها، وأنها لا تؤخذ إلا من الكتاب والسنة".<sup>1</sup> أما سائر الألفاظ فيرجع فيها إلى استعمالاتها في القرآن الكريم وكلام العرب القديم. وهو لا ينكر أهمية كتب اللغة، ولكنه يرى أن مفسر القرآن ينبغي ألا يكتفي بالمعجمات بل يطلع على كلام العرب ويدارسه ويتذوقه، فإن كتب اللغة "كثيراً ما لا تأتي بحد تام، ولا تميز بين العربي الفصح والمولد، ولا تهديك إلى جرثومة المعنى. فمن لم يمارس كلام العرب واقتصر على كتب اللغة ربما لم يهتد لفهم بعض المعاني لكتاب الله".

تبين من ذلك أن أهمية المعرفة الدقيقة لمعاني المفردات في فهم الكلام، وقصور كتب اللغة والغريب في إعطاء هذه المعرفة هو السبب الأساسي الذي دفع العلامة الفراهي إلى أفراد كتاب في هذا الموضوع.

## 2- الرد على الطاعنين من المستشرقين:

كتب المستشرقون كثيراً في ألفاظ القرآن، وزعموا أن عدداً كبيراً منها أخذته النبي ﷺ من اليهود والنصارى، وأن بعضها لم يفهمه النبي ﷺ، فأخطأ في استعماله في القرآن "كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا" (سورة الكهف: 5) وكان العلامة الفراهي - رحمه الله - مطلعاً على كتابات هؤلاء، فردّ عليهم في هذا الكتاب، وقد بين في تفسير بعض الكلمات خطأ علماء اليهود أنفسهم في فهم صحفهم، فيقول في كلمة (هادوا): "زعم الطاعنون في القرآن أن هذه الكلمة خطأ فإن اسم اليهود ليس مأخوذاً من مادة هود، بل هو للنسبة إلى يهودا، فنبين اشتقاق هذا الاسم لتعلم أن طعنهم من سوء فهمهم القرآن وصحفهم.."<sup>2</sup> وكذلك يقول في كلمة (النصارى): "زعم الطاعنون أن القرآن لم يعرف هذه التسمية وجعلها من النصرة

<sup>1</sup> فاتحة نظام القرآن: 12-13.

<sup>2</sup> مفردات القرآن: 70.

لما جاء فيه: "كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ" (سورة الصف: 14). وهذا الطعن منشؤه الجهل بمعنى الآية، فإنها إنما ذكرت أمراً حقاً، ولم تذكر وجه التسمية. نعم، فيها إشارة إلى أن المسمين بالنصارى يجب عليهم نصر الحق، لما في اسمهم تذكّر لذلك، وأمثال هذه الإشارات توجد في كلام الأنبياء". ثم ذكر مثلاً لذلك من إنجيل متى.<sup>1</sup>

### 3- الإحالة في التفسير على كتاب المفردات تجنباً للتكرار:

طريقته في تفسير (نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان) أنه يتناول مجموعة آيات من السورة، ويفسّر أولاً مفرداتها، فالألفاظ التي كان يراها بحاجة إلى تفصيل القول فيها وتكثير الشواهد عليها، أراد أن يجمعها في كتاب المفردات، ليجمع الكلام عليها في التفسير ويحيل الراغب في التفصيل على كتاب المفردات، وقد أشار إلى ذلك في خطبة كتاب المفردات قائلاً: "أما بعد، فهذا كتاب في مفردات القرآن، جعلته مما نحول إليه في كتاب نظام القرآن، لكيلا نحتاج إلى تكرار بحث المفردات، إلا في مواضع يسيرة يكون فيها الصحيح غير المشهور، فنذكر بقدر ما تطمئن به القلوب السليمة".<sup>2</sup>

### (2) بناء الكتاب:

مما يبعث على الأسف أن كتاب المفردات من الكتب التي لم يقدر للفراهي أن يكملها. والدلائل على ذلك كثيرة منها:

أ- أنه يحيل في تفسير بعض الألفاظ عليه، وهو غير موجود فيه، نحو كلمة (المثاني) إذ قال في بعض تعليقاته على نسخته من لسان العرب: "الشواهد على ما قلنا ذكرناها في كتابنا في مفردات القرآن".<sup>3</sup> ولما تكلم في تفسير سورة البقرة على

<sup>1</sup> المرجع السابق: 69.

<sup>2</sup> المرجع السابق: 3.

<sup>3</sup> لسان العرب (ثنى) نسخة الفراهي المحفوظة في مكتبة مدرسة الإصلاح.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

اسم الإشارة (ذلك) في قوله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه) (سورة البقرة: 2) أحال على المفردات،<sup>1</sup> والكلمتان غير واردتين في مسودته التي وصلتنا.

2- ما ورد في الكتاب في الصفحتين 9-10 بعنوان "في ألفاظ القرآن" و"العام والخاص" و"الحروف المقطعات" ليس إلا تذكرة كتبها المؤلف لنفسه، حتى يفصلها في فصول كاملة. ومما يدل على ذلك أنه في "العام والخاص" أشار إلى أنّ في سورة الأعراف مثلاً للعطف ولم يذكر ذلك المثال، وقال في الحروف المقطعات: "وإنا نورد كل ما علمنا من أقوالهم". ولكن لم يورد شيئاً منها هنا، ولا أتم كلامه على الحروف المقطعات.

3 - في الكلام على كلمة (الرحمن) ذكر أن أكثر الناس يزعمون أن العرب في الجاهلية لم تعرف هذه الكلمة، وأن متمسكهم قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ٥٠) (سورة الفرقان: 60)، ثم قال: "والتأويل عندي غير ما فهموه، كما سنذكره بعد إثبات أن العرب عرفت هذا الاسم للرب تعالى".<sup>2</sup> ولكن لم يذكر تأويل الآية.

4- ومما استدل به على قوله: أن العرب "كانوا يسمون بعبد الرحمن في الجاهلية مثل...".<sup>3</sup> وترك البياض.

5- في الكلام على كلمة (لعل) قال: "تأتي للعلة كثيراً"،<sup>4</sup> ولم يزد على ذلك، وأجل ذكر الأمثلة من القرآن وكلام العرب لوقت التبويض.

وبقي الكتاب مسودة إلى أن أسس تلامذة المؤلف بعد وفاته بست سنوات مؤسسة سمّوها (الدائرة الحميدية)، فصدر الكتاب منها سنة 1358 هـ بعدما أضيف إليه

<sup>1</sup> تفسير سورة البقرة، مخطوط.

<sup>2</sup> مفردات القرآن ص 40.

<sup>3</sup> المرجع السابق.

<sup>4</sup> المرجع السابق ص 63.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

بضع وعشرون كلمة من تفسير نظام القرآن وغيره من كتب المؤلف. ونلقي نظرة هنا على بناء الكتاب في صورته المطبوعة.

الكتاب في (74) صفحة، وطبع طبعة حجرية بالخط الفارسي.

ويمكن أن يقسم محتواه إلى أربعة أقسام:

أ- روابط الكتب الخمسة ص 1-2

ب - خطبة الكتاب ص 3

ج - المقدمات ص 4-10

د - الألفاظ القرآنية 11-74

أما العنوان الأول (روابط الكتب الخمسة) فليس من أصل الكتاب، ولكن لما كان هذا الكتاب أول "الكتب المتعلقة بلسان القرآن من حيث دلالاته على معانيه" وهي ثلاثة: (مفردات القرآن)، و(أساليب القرآن)، و(أصول التأويل)؛ كتب عنها المؤلف هذا الفصل على غلاف مسودة المفردات، وأشار فيه إلى موضوعات هذه الكتب وعلاقة بعضها ببعض. ثم ذكر أنه وضع كتابين: (تاريخ القرآن)، و(دلائل النظام) "لدفع الظنون التي بنيت على الأوهام الناشئة عن قلة النظر والتأمل في روايات جمع القرآن ومواقع تنزيلها. فهي خمسة كتب في فهم ظاهر القرآن وتلخيص سبعة كتب في علوم القرآن وأولها "كتاب الحكمة" وقد تكلم على الكتب السبعة في أول كتاب الحكمة، كما تكلم على الكتب الخمسة في أول كتاب المفردات.

في خطبة الكتاب ذكر المؤلف سبب تأليفه ونوع الألفاظ التي سيفسرها فيه، فصرح بأنه لن يفسر، "في هذا الكتاب من الألفاظ إلا ما يقتضي بياناً وإيضاحاً ... وأما عامة الكلمات فلم نتعرض لها وكتب اللغة والأدب كافلة به".

تلي خطبة الكتاب ثلاث مقدمات: الأولى في مقصد الكتاب والحاجة إليه، والثانية "في الأصول اللسانية" ذكر فيها مواضع الوهم من الكلمة، وقسمها إلى أربعة



أقسام: المشكلة، والمشاركة، والجامعة، والمرادفة. ثم شرح كل قسم بذكر أمثله مع الدلالة على ما يعين على فهم معناها. ومن ذلك قوله في المرادفة: "ثم المرادفة لغيرها، وهي قسمان: المطابق لمرادفه من جميع الوجوه، وهذا قليل جداً. والثاني ما يوافقه من بعض الوجوه، وهذا كثير جداً، وفيه معظم الوهم. فربما يظنونهما متحدتين، وكثيراً ما يكون بينهما فرق لطيف لا يفتن له غير الممارس للسان. ومن أنفع شيء في هذا الباب معرفة تفسير الصحابة والتابعين، فإنهم كثيراً ما فسروا كلمة بمرادفها حسبما أريد في موضع خاص، وظن المتأخرون أنهما متحدتان ومتطابقتان من جميع الوجوه، فأخطأوا صحيح معنى الكلمة".

أما المقدمة الثالثة فهي "في كون القرآن خالياً عن الغريب"، أثبت فيه المؤلف أن القرآن ليس فيه ألفاظ حوشية غريبة، وبين أن العلماء الذين صنفوا في غريب القرآن قصدوا غرابة بعض ألفاظه بالنسبة للأعاجم ومن قلّ علمه بالعربية، ثم ذكر أسباباً أخرى لاعتقاد الناس بوجود الغريب في القرآن ورد عليها.

بعد هذه المقدمات وما ألحق بها من الفصول الناقصة التي أشرنا إليها من قبل، شرع المؤلف في تفسير الألفاظ، وهي 78 كلمة أولها لفظ (الآلاء) وآخرها لفظ (يثرب). وقد رتب الألفاظ على حروف الهجاء دون النظر إلى أصولها.

### (3) منهج المؤلف في تفسير الألفاظ:

قد يكون من التجوز أن نتحدث عن منهج المؤلف في تفسير المفردات القرآنية، فإن الكتاب لم يكمل، ولم يتمكن المؤلف من تحرير المادة التي قيدها، في أوقات مختلفة لإعداد كتابه، ولا أعاد النظر فيها، فلا يمكننا أن نجزم مثلاً بأن هذه الكلمة أو تلك قد ظفرت من جهد المؤلف في البحث فيها والاستدلال على ما ذهب إليه واستيعاب وجوه الكلام فيها بما كان يتوخاه ويتطلع إليه، فنخشى - إن فعلنا ذلك - أن نكون قد ظلمنا الكتاب ومؤلفه. ومع ذلك لا بأس بالتنويه بالسمات البارزة لمنهجه في معالجة المفردات القرآنية في ضوء ما فسّره في هذا الكتاب، وبعض الأصول التي ذكرها في كتبه الأخرى:

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

١- أبرز سمات الكتاب أصالته، وتلك سمة عامة لمؤلفات العلامة الفراهي، فهو لا يقتصر في تحقيق الألفاظ القرآنية على ما ورد في كتب التفسير واللغة، بل يرجع بالكلمة إلى المصادر الأولى، وقد صرح بذلك في مقدمة تفسيره عندما ذكر مصادره فقال: (الكلام) فأما في سائر الألفاظ فال مأخذ فيه كلام العرب القديم والقرآن نفسه".<sup>1</sup>

والمؤلف ينوه بأهمية الشعر الجاهلي وممارسته للوقوف على دلالة الكلمة إبان نزول القرآن الكريم، ولم يغب عنه أنّ جزءاً من هذا الشعر منحول، ولكن لا يصعب التمييز عنده بين المنحول والصحيح على الماهر الناقد، فينبغي لنا ألا نأخذ معنى القرآن إلا مما ثبت".<sup>2</sup>

وقد حرص المؤلف على اقتناء كل ما صدر في عهده من دواوين الشعر الجاهلي، ودارسها مدارسة دقيقة، وقيد على طرورها إشارات وتعليقاته. ويتدبره المتصل في القرآن الكريم وممارسته الطويلة للشعر الجاهلي توصل في تحقيق بعض الألفاظ إلى نتائج تختلف شيئاً ما عما ورد في كتب اللغة والتفسير. انظر مثلاً تفسيره للألفاظ الآتية: (اللاء، الحرد، الأخرى، العصر).

وقد كثرت الشواهد الشعرية في كتاب المفردات وزاد عددها على مائة شاهد. وميزة هذه الشواهد أنها جميعاً منسوبة إلا ما ندر، وأن معظمها للشعراء الجاهليين أو المخضرمين، وأنّ عددًا كبيراً منها شواهد جديدة لم ترد في مظانها من كتب التفسير والغريب.

ولكن لا يعني ذلك أن المؤلف يتبع في تفسير كل كلمة منهجاً واحداً وهو أن ينظر أولاً في استعمالاته في القرآن، ثم يستشهد بكلام العرب لا محالة. فإن نوع الإشكال في الكلمة هو الذي يحدد طريقة معالجتها.

<sup>1</sup> فاتحة نظام القرآن ص 12.

<sup>2</sup> المرجع السابق.

وقد استشهد المؤلف في عدة مواضع بالأحاديث أيضًا منها:

- "اتقوا النار ولو بشق تمرة" (الاتقاء، ص 19)

- "لقد أوتيت مزميرًا من مزامير آل داود" (الآل، ص 13).

- "إن رأسه حبك حبك" (حبك، ص 33).

- "ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتها" (الصغو ص 51).

2 - أشار في تذكرة له في مفردات القرآن إلى بعض أصول منهجه فقال: "إذا اشتبه المعنى فطريق التوضيح تتبع استعمال لفظه، كما فعلنا بلفظ (عصر) و(آلاء)، والنظر في أصله واستعماله في أخوات العربية كالعبرانية والسريانية".<sup>1</sup>

وقد استفاد المؤلف بمعرفته للغة العبرانية في تحقيق بعض الألفاظ التي هي من المواد المشتركة بين العربية وأخواتها. وردّ على المستشرقين الذين زعموا أنها ألفاظ غير عربية أخذها القرآن من اليهود والنصارى. انظر مثلاً تحقيقه لكلمة (الأب) و(السفرة) و(الدرس) و(الصلاة).

3- من أصوله أيضًا: عدم الالتفات إلى المعنى الشاذ. يقول في ذلك: "يجب أن نترك المعنى الشاذ الذي لم يثبت في اللغة،<sup>2</sup> ومن أمثلة ذلك تفسير كلمة (العجل) في قوله تعالى: (خلق الإنسان من عجل) (سورة الأنبياء: 37) بالطين والحماة، فإنه لم يثبت هذا المعنى في اللغة".<sup>3</sup> وهذا هو الأصل الثاني من الأصول الأولية للتأويل عند المؤلف.

4- وقد ذكر المؤلف من الأصول المرجحة للتأويل "الأخذ بأثبت الوجوه لغة"، فقال في كتاب التكميل: "المعنى الذي كثر في كلام العرب لا ينبغي تركه إلا لصارف قوي،

<sup>1</sup> مفردات القرآن: ص 9.

<sup>2</sup> انظر فاتحة نظام القرآن: 13.

<sup>3</sup> انظر مفردات الراغب: 548، والتكميل في أصول التأويل: 52.

فإذا تساوى الوجوه الآخر وهي النظم والموافقة بباقي القرآن وصريح العقائد فلا بد أن نأخذ المعنى الشائع .. ومن أمثلته (وانحر) في قوله تعالى: (وفصل لربك وأنحر) فقالوا: أمر بوضع اليد على النحر... ومناسبة ذلك بالصلاة لا يغرّن أحدًا، فإن الأمر بالأضحية أحسن مناسبة وأوسع...<sup>1</sup>

5 - يلحظ المتدبر في القرآن الكريم أن بعض المعاني يرد فيه في مواضع مختلفة مقروناً بمعان مختلفة، نحو (الصلاة)، فإنها تقترب كثيراً بالزكاة، وأحياناً بالصبر، وتارة بالإيمان، وأخرى بالنحر وهكذا.

ويدل ذلك على أن الصلاة ذات جهات، فهي ترتبط بالزكاة من جهة، وبالصبر من جهة، وبالإيمان من جهة.

وكذلك (الصبر) قرن في كتاب الله بالصلاة، والشكر، والمرحمة، والحق، والصدق، فالصبر له صلة بكل من هذه الأمور باعتبارات مختلفة. وكان من منهج الفراهي في كتاب المفردات ذكر جهات اللفظ هذه بالنظر في سياقاته في القرآن الكريم، حتى لا يتعرض لها في تفسيره إلا بقدر الحاجة، كما فعل في تفسير سورة الكوثر، فإنه لما تكلم على المناسبة بين الصلاة والنحر قال: اعلم "أن للصلاة والنحر وجوهاً كثيرة دلنا القرآن عليها، ولا حاجة إلى استقصاء الوجوه ههنا، وتجدها في كتاب المفردات، وإنما نذكر الآن هاهنا ما يدل على المناسبة بينهما.<sup>2</sup>

ليست كلمة النحر في المفردات، أما الصلاة، فقد ذكر فيه بعد تأصيلها لغويًا اثني عشر وجهًا من وجوهها بعنوان "جهات الصلاة" منها أن الصلاة إقرار بالتوحيد، وأنها ذكر لعهدنا بالعبودية الخالصة لله، وأنها شكر لربنا، وأنها رجوع إلى الرب،

<sup>1</sup> المرجع السابق " 62. وانظر في وجوه المناسبة بين الصلاة والنحر تفسير سورة الكوثر للمؤلف:

<sup>2</sup> تفسير سورة الكوثر: 16.

وأنها تقرب وحضور. وقد شرح كل هذه الجهات مستدلًا بالآيات الكريمة.<sup>1</sup> ومن الألفاظ التي ذكر المؤلف وجوها في المفردات: كلمة (الإسلام)، فقال: "معناه ظاهر وبين، وهو الطاعة والخضوع، ولكن القرآن رفع هذه الكلمة، فخصّها بطاعة الله مثل كلمة (الدين)، فإنه الطاعة في أصل اللغة، وقد استعمله العرب لطاعة الله. ثم لهذا المعنى البين وجوه ونتائج وتاريخ، والقرآن دلّ على كل ذلك، فنذكر ما يتعلق بهذه الكلمة من وجوها....<sup>2</sup> وكذلك ذكر بعض جهات الزكاة.<sup>3</sup>

#### (4) القيمة العلمية للكتاب:

على الرغم من أن العلامة الفراهي -رحمه الله- لم يتيسر له تأليف كتاب المفردات على الوجه الذي أراده، لا من ناحية عدد الألفاظ ولا من ناحية استقصاء القول في الكلمات التي تضمها المسودة، على الرغم من ذلك لا يخفى على من نظر في الكتاب قيمته العلمية ومكانته الجليلة بين كتب غريب القرآن، فإنه ليس من نوع التأليف المكرر بالشرح أو التلخيص أو التيسير، وإنما يتسم بالأصالة والجدة، ويحفل بتحقيقات بارعة وفوائد نفيسة تخلو منها الكتب الأخرى، فهو -على صغر حجمه وقلة مادته- جدير بأن يرجع إليه ويستفاد منه.

ولكي تتضح القيمة العلمية لكتاب المفردات، ويتبين ما يضيفه إلى المعجم العربي من نظرات جديدة في تحقيق بعض المفردات القرآنية، ومالها من أثر في الكشف عن بلاغة الكلام في الآيات التي جاءت فيها تلك المفردات، نورد ثلاثة نماذج من الكتاب:

#### المثال الأول: كلمة الألاء (ص 11-12)

قد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم 34 مرة: مرتين في سورة الأعراف (69، 74) ومرة واحدة في سورة النجم (55) والمواضع الباقية في سورة الرحمن. وأجمع أهل

<sup>1</sup> المفردات: 52-54.

<sup>2</sup> مفردات القرآن: 22.

<sup>3</sup> المرجع السابق: 41.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

اللغة وعامة المفسرين على أن معناها: النعم، ولكن العلامة الفراهي رحمه الله يقول: "إن القرآن وكلام العرب كلاهما يأبى هذا المعنى" والظاهر عنده أن معناه: "الفعال العجيبة، ولما كان غالب فعال الله تعالى الرحمة ظنوا أن الآلاء هي النعم، والرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما حملتهم على هذا، ولكن السلف إذا سئلوا أجابوا حسب السؤال والمراد المخصوص في موضع مسؤول عنه". وقال في موضع آخر: (... ولما كانت الرحمة من أغلب شؤون الرب عز وجل غلب استعمال هذا اللفظ في معنى النعم، ولكن العربي القح هو الأول، وبه نزل القرآن".<sup>1</sup>

وقد استدلل المؤلف على ما ذهب إليه القرآن الكريم وكلام العرب، فقال: "أما القرآن فقوله تعالى: "فَبَآئِيَ ءَالَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَى ﴿٥٦﴾" (سورة النجم: 55-56) بعد ذكر إهلاك الأقوام، وهكذا في سورة الرحمن". الآية المذكورة من سورة النجم، سبقها ذكر إهلاك الأمم في خمس آيات وهي قوله تعالى: (وأنه أهلك عادًا الأولى \* وثمودًا فما أبقى \* وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى \* والمؤتفكة أهوى \* فغشاهما ما غشى) (سورة النجم: 50-54) ووجه الاستدلال بها واضح لا غموض فيه. فإن قيل إن كلمة الآلاء في الآية المذكورة تشير إلى ما قبل الآيات السابقة أيضًا، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿٥٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٥٤﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزُّوجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٥٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿٥٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ﴿٥٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴿٥٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ﴿٥٩﴾﴾ (سورة النجم: 43-49) فذلك وجه، وهذه الآيات أيضًا تؤيد قول المؤلف رحمه الله.

أما في سورة الرحمن فجاءت كلمة الآلاء في خلال ذكر يوم القيامة وعذاب جهنم في الآيات (33-45) آخرها قوله تعالى: "هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٣٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٣٤﴾ فَبَآئِيَ ءَالَاءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٥﴾". ولما أشكل مجيء

<sup>1</sup> تعليقاته التفسيرية: 434.

الآية في هذا الموضع أولوها بأنه "لما كان إنذاره لهم عن عذابه وبأسه مما يزجرهم عما هم فيه من الشرك والمعاصي وغير ذلك، قال ممتنًا بذلك على برئته".<sup>1</sup>

وقد فطن بعض أهل التفسير قديمًا بأن هذه الكلمة ليست في الأصل بمعنى النعمة فروى الإمام الطبري عن ابن زيد أنه قال: "الآلاء: القدرة".<sup>2</sup> والغريب أن الطبري رحمه الله أورد هذا القول ضمن الروايات التي احتج بها على معنى النعم، ثم التزم تفسيرها بالنعم في جميع المواضع إلا واحدًا، وهو بعد قوله تعالى في سورة الرحمن "فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ" (سورة الرحمن: 37)، فقال في تفسيرها: "يقول تعالى ذكره: فبأي قدرة ربكما معشر الجن والإنس على ما أخبركم بأنه فاعل بكم تكذبان؟" ووضح هنا أن الطبري رحمه الله لاحظ أن معنى النعم لا يستقيم في هذه الآية، ففسرها بالقدرة.

وقد تساءل العلامة فخر الدين الرازي مرة بعد أخرى في تفسير الآية إذ جاءت بعد ذكر عجائب خلق الله وقدرته، ثم أجاب من وجوه منها: "أن الآية مذكورة لبيان القدرة لا لبيان النعمة".<sup>3</sup> وقال في موضع آخر: (وفي الجواب قولان ... الثاني أن نقول: هذه بيان عجائب الله تعالى لا بيان النعم".<sup>4</sup>

أما كلام العرب فاستدل المؤلف بثمانية شواهد منها قول طرفة بن العبد يمدح الحارث بن همام بن مرة رئيس بني بكر:

كامل يحمل آلاء الفتى      نبيه سيد سادات خضم<sup>5</sup>

ومنها قول الأجدع الهمداني يصف فرسه:

<sup>1</sup> تفسير ابن كثير، 4: 278.

<sup>2</sup> تفسير الطبري، 27: 124.

<sup>3</sup> مفاتيح الغيب، 29: 99.

<sup>4</sup> المرجع السابق، 29: 103.

<sup>5</sup> ديوانه: 110.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

ورضيْتُ آلاء الكميت فمن يبيع فرسًا فليس جوادنا بمباع<sup>1</sup>

وعَلّق عليه الفراهي بقوله: "قال الجوهري في هذا الشعر: آلاؤه: خصاله الجميلة، ولكنه لم يثبت على هذا المعنى الذي هو أصله، فقال في مادة (الآ): والآلاء النعم، فاتبع ما فهم المفسرون عن ابن عباس رضي الله عنهما". يقول الباحث: وقد فسّر بذلك قبل الجوهري الأخفش الأصغر (ت 315هـ) في الاختيارين فقال: آلاؤه خصاله الصالحة التي فيه".<sup>2</sup> وبه فسّره الجواليقي في شرحه لأدب الكاتب.<sup>3</sup>

ومن شواهد المؤلف قول فضالة بن زيد العدواني وهو من المعمرين:

وفي الفقر ذل للرقاب وقلمما رأيت فقيرًا غير يكس مذمم  
يلام وإن كان الصواب بكفه ويُحمد آلاء البخيل المدرهم<sup>4</sup>  
يقول المؤلف: "أي يحمدون صفات البخيل وفعاله، وهذا البيت أوضح دلالة مما ذكرنا قبله على معنى الآلاء".

ومنها قول الخنساء:

فبَغّي أخاك لآلائه إذا المجد ضيَّعه السائسونا  
يقول شارح الديوان - وهو ثعلب في ما زعمه محقق الديوان - في تفسير البيت:  
"لآلائه أي لغنائه وبلائه ومجده".<sup>5</sup>

ومنها قول الحماسي:

<sup>1</sup> الأصمعيات: 69.

<sup>2</sup> الاختيارين: 469.

<sup>3</sup> شرح أدب الكاتب: 227.

<sup>4</sup> الحماسة البصرية، 2: 82.

<sup>5</sup> ديوانها: 353، ويرى الدكتور محمد جبار المعبيد أن الشرح ليس لثعلب (ت 291هـ)، وإنما هو لمؤلف عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري في بلاد فارس أو تردد عليها، وقد يكون لأبي سعيد الضيرير. انظر مقاله في مجلة المجمع العلمي الأردني، السنة 20 العدد 50.



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

إذا ما امرؤ أثنى بآلاء ميت فلا يبعد الله الوليد بن أدهما  
فما كان مفراحاً إذا الخير مسّه ولا كان منأناً إذا هو أنعماً<sup>1</sup>  
يقول الفراهي: "فسّر ما أراد من الآلاء بذكر أنه لم يكن مفراحاً إذا مسّه الخير،  
ولا منأناً إذا أنعم".

وعند كاتب البحث شواهد أخرى تؤيد قول المؤلف، يصرف النظر عنها خشية الإطالة.

### المثال الثاني: كلمة العصر (ص 56 - 57)

أطبقت كتب اللغة والغريب على أن العصر هو الدهر، لا فرق بينهما.<sup>2</sup> أما العلامة الفراهي فقد هداه تذوقه لمواقع استعمال كلمة العصر في كلام العرب والنظر في مشتقات مادته إلى أن العصر له معنيان: "الزمان الماضي، وآخر النهار". وقد اكتفى بذلك في كتاب المفردات ثم أورد الشواهد على قوله، ولكنه فصل القول في تفسير سورة العصر في فصل عقده بعنوان "دلالة كلمة العصر"، ومما قال فيه: "اعلم أن كلمة العصر اسم للزمان من جهة ذهابه ومروره، كما أن الدهر اسمه من حيث مجموعه. ولذلك يستعمل العصر كثيراً للأيام الخالية" وساق بعد ذلك خمسة أبيات من الشواهد المذكورة في كتاب المفردات ثم قال: "ومن هنا (الإعصار) للريح السريعة من جهة المرور والذهاب، و(عصر المائع): إمراره، و(العصر) لآخر النهار من جهة ذهاب النهار و(العصارة)، ومنه (عنصر) الشيء. فكلمة العصر تذكرهم الأيام الخالية وتوجههم من صفات الزمان إلى زواله وسرعة ذهابه. والأولى عبرة لهم بما جلب على الإنسان من حكم الله فيهم حسب

<sup>1</sup> حماسة أبي تمام 1: 452 وقد سمي الشاعر في إحدى نسخها: تميم بن بدر.

<sup>2</sup> أما الفرق الذي ذكره أبو هلال في كتاب الروق (ص 265) وهو أن الدهر جمع أوقات متوالية مختلفة كانت أو غير مختلفة، والعصر لكل مختلفين معناهما واحد مثل الشتاء والصيف والليلة واليوم والغداة والسحر، فهو كما ترى.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

أعمالهم، والثانية تحرّضهم على التشمير لكسب ما ينفعه من زمان أجلى صفته  
سرعة الزوال".<sup>1</sup>

ومن الشواهد التي أوردها في كتاب المفردات قول ربيع بن ضبع:

أصبح مني الشباب قد حسرا      إن ينأ عني فقد ثوى عُصراً<sup>2</sup>  
وقول أبي خُزابة:

وكنا حسبناهم فوارس كهمسٍ      حيوا بعد ما ماتوا من الدهر أعصرا<sup>3</sup>

وقول مسعود بن مَصاد الكلبي:

قد كنتُ في عُصْرٍ لا شيء يعدله      فبان مني وهذا بعده عُصْرُ<sup>4</sup>  
وفسّر الفراهي بقوله: "أي هذا الزمان بعد ذلك أيضاً ماض وماز".

ومن الشواهد التي علّق عليها الفراهي خلال قراءته لدواوين الشعر الجاهلي قول  
عبد الله بن سلمة الغامدي من قصيدة له:

فإن تشب القرون فذاك عصر      وعاقبة الأصاغر أن يشيبوا<sup>5</sup>  
علّق عليه بقوله: "فذاك عصر، أي فذاك الدهر شأنه أن يمر".

ومن أوضح الشواهد التي وقعت عليها قول لبيد من اليمس الغساني:

<sup>1</sup> تفسير سورة العصر ص 3 - 4.

<sup>2</sup> حماسة البحتري: 201.

<sup>3</sup> اللسان (كهمس).

<sup>4</sup> كتاب المعمرين رقم 49.

<sup>5</sup> المفضليات: 104.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

نحن كنا الملوكة في عصر الدهر وكنتم - فيم الأناء - عبيدا<sup>1</sup>

والشواهد على ما ذكره المؤلف كثيرة جداً. ومن دقة تعبير المؤلف أنه قيد استعمالها للزمن الماضي بالكثرة، وقد تتبع الباحث قديماً استعمالها في كثير من دواوين شعراء الجاهلية، فلا يتذكر أنها جاءت للدلالة على الزمن الحاضر إلا في قول علقمة بن عبدة:

طحا بك قلب في الحسان طروب بُعيد الشباب عصر حان مشيب<sup>2</sup>

ثم كلام المؤلف على مشتقات مادة (عصر) يبين أن العصر بمعنى الزمن و(عصر المائع) و(العنصر) كل ذلك من أصل واحد، بينما جعله ابن فارس أصولاً ثلاثة: الأول دهر وحين، والثاني ضغط شيء حتى يتحلب، والثالث تعلق شيء وامتسك به، ومنه العصرة بمعنى الملجأ، وجعل العنصر من الأصل الثالث.<sup>3</sup>

### المثال الثالث: كلمة درس (ص 38 - 93)

جاءت مادة (درس) في القرآن الكريم ست مرات وكلها بمعنى القراءة، أما في اللغة فمن معانها غير القراءة: البلى، والجرب، والدياس، والأكل الشديد. وقد زعم بعض المستشرقين أن الدرس بمعنى القراءة أخذه النبي ﷺ من اليهود،<sup>4</sup> فرد عليه الفراهي في كتاب المفردات بأن "النبي ﷺ كيف يكلم قومًا بلسانهم ثم يزيد فيه ما ليس منه، والقرآن يصرح بأنه عربي مبين، فلا يكون فيه إلا ما عرفته العرب". ثم بين أصل المادة ومشتقاتها في العربية فقال: "أصله الحك والمشق، ومنه للخط، قال أبو داود:

ونؤي أضرب به السافياء كدرس من النون حين امحي<sup>5</sup>

<sup>1</sup> الأنوار ومحاسن الأشعار، 1/198.

<sup>2</sup> المفضليات: 391.

<sup>3</sup> مقاييس اللغة، 4: 340.

<sup>4</sup> انظر جيفري: 283.

<sup>5</sup> انظر لسان العرب (سفا).

أي كخط النون. ومنه كثرة الاستعمال بالقراءة. وهذا يتضح من استعمال الكلمة في كلتا اللغتين: العربية والعبرانية. ومن أصل المعنى: الدرس للجرب والحكمة. والمدرّس: الفراش الموطأ، والدرس للأكل الشديد. ومنه درس الطعام: داسه... ودرس الصعب حتى راضه. ودرست الكتاب بكثرة القراءة حتى خف حفظه. فالدرس: كثرة القراءة... كما قال تعالى: (وليقولوا درست) (سورة الأنعام: 105) أي بالغت في قراءتك عليهم. وأما أنها لا توجد في هذا المعنى في أشعار العرب، فذلك لأن للشعر مجاري محدودة ومعاني خاصة، فقلما يذكرون القراءة فضلاً عن إكثارها".

وقد ذهب الراغب إلى أن الأصل في مادة درس قولهم (درس الدار) بمعنى بقي أثرها، ولما كان بقاء الأثر يقتضي انمحاءه في نفسه فسر الدروس بالانمحاء ثم قال: "وكذا درس الكتاب ودرست العلم: تناولت أثره بالحفظ. ولما كان تناول ذلك بمداومة القراءة عبر عن إدامة القراءة بالدرس... ودرس البعير: صار فيه أثر جرب".<sup>1</sup> فكان أصل المعنى لهذا اللفظ عند الراغب: بقاء الأثر، ومنه تفرعت المعاني الأخرى، ولا يخفى ما فيه من التكلف والبعد. أما ابن فارس فجعل أصل المعنى الخفاء والخفض والعفاء، وقال: "ومن الباب درست القرآن وغيره، وذلك أن الدارس يتتبع ما كان قرأ، كالسالك للطريق يتتبعه".<sup>2</sup>

وفي الكتاب أمثلة أخرى لتأصيل الكلمات التي زعم المستشرقون أنها مأخوذة من أهل الكتاب نحو: سفرة، وسبح، والصلاة، والركوع.

#### (5) مأخذ على الكتاب:

لا يخلو كتاب - مهما أحكم صنعه وأتقن تأليفه - من خطأ أو سهو أو خلل، فكلما نظر فيه مؤلفه بدا له الحذف والزيادة، والتغيير والتبديل، والتقديم والتأخير. وربما رأى عند تأليف كتابه رأياً كان يزعم أنه هو الرأي المبرم، فإذا به عندما يعيد

<sup>1</sup> مفردات الراغب، ص 311.

<sup>2</sup> مقاييس اللغة، 2: 267.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

النظر فيه ينقضه نقضًا. فكيف بكتاب لم يكتب له التأليف أصلاً، وإنما هي فصول متفرقة، وكلمات مقتضبه، قيّدت في أزمنة مختلفة، ليعاد إليها، فيؤلف منها كتاب؟ وأشير هنا إلى بعض ما وقع في هذا الكتاب من ضروب الوهم والسهو:

1 - قال المؤلف في تفسير كلمة (الضريع):<sup>1</sup> "يابس العشرق" واستشهد بقول قيس بن عيّارة الهذلي:

وحُسن في هزم الضريع فكلّها      حدباء بادية الضلوع حَرودُ  
والصواب أن الضريع: يابس الشبرق، والظاهر أن المؤلف اعتمد فيما قال على شرح أشعار الهذليين للسكري، الذي ورد فيه في شرح البيت المذكور: "الضريع: يابس العشرق وقالوا: الشبرق".<sup>2</sup> ولا شك أن الذي قالوه هو الصواب.<sup>3</sup> أما كونه يابس العشرق فلم أجد ما يؤيده، وأراه وهمًا محضًا.

2 - قال في تفسير كلمة (الصلاة) - وهو يذكر معناها في أخوات العربية - إنها "في العبرانية بمعنى الصلاة والركوع".<sup>4</sup> وذلك تجوّز، فإن الصلاة بهذا المعنى من الألفاظ الآرامية التي وردت في العهد القديم.<sup>5</sup> أما العبرانية فالكلمة الشائعة فيها بمعنى الصلاة والدعاء والتضرع هي (تَفَلًا). انظر مثلاً: الملوك الأول 8: 33، الثاني 6: 17، عزرا 1: 10.

3 - استشهد المؤلف في تفسير كلمة (العصر) بقول عبيد بن الأبرص:<sup>6</sup>

فذاك عصرٌ وقد أُراني      يحملني بأزلّ شُبوب

<sup>1</sup> مفردات القرآن.

<sup>2</sup> شرح أشعار الهذليين: 598.

<sup>3</sup> انظر تفسير الطبري، 30: 161 ولسان العرب (ضرع - شبرق)، وكتاب الصيدنة في الطب للبيروني: 251.

<sup>4</sup> مفردات القرآن: 52.

<sup>5</sup> انظر جزيئوس: 1109.

<sup>6</sup> مفردات القرآن: 56.

كذا أورد البيت، والصواب في رواية الشطر الثاني:

تحملي نهدة سُرحوب<sup>1</sup>

4 – أورد في كلمة (يثرب) قول سلامة بن جندل السعدي:

ألا هل أتى أفناء خندق كلِّها وعيلان إذ ضمَّ الحنين بيثرب<sup>2</sup>  
ولعله نقله من كتاب شعراء النصرانية.<sup>3</sup> فالشطر الثاني فيه هكذا محرف،  
والصواب:

وعيلان إذ ضمَّ الخميسين يثرب<sup>4</sup>

5 – قال في الكلام على (التين): "وكما أخطأ الدينوري في بيت النابغة فكذلك  
أخطأ صاحب معجم البلدان في بيت أبي صعتر، فقال: إنه أراد بالجودي موضعًا  
في اليمن..."<sup>5</sup>

وذلك سهو من المؤلف رحمه الله، فإن قول ياقوت في معجم البلدان نصه:  
"والجودي أيضًا: جبل بأجأ أحد جبلي طيء، وإياه أراد أبو صعتر البولاني  
بقوله..."<sup>6</sup>

### الخاتمة

في خاتمة هذا البحث يمكن تلخيص ما تضمنته الصفحات السابقة في النقاط الآتية:  
1. علم غريب القرآن من أول العلوم التي اشتغل بها المسلمون ودونوا فيه

<sup>1</sup> انظر ديوان عبيد بن الأبرص: 17 وجمهرة أشعار العرب: 466.

<sup>2</sup> مفردات القرآن: 73.

<sup>3</sup> شعراء النصرانية: 491.

<sup>4</sup> ديوان سلامة بن جندل: 214.

<sup>5</sup> مفردات القرآن: 32.

<sup>6</sup> معجم البلدان، 2: 180.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

الكتب، وكثير التأليف فيه كثرة لا تحصى.

2. ممن أَلَف في هذا العلم في القرن الماضي: العلامة عبد الحميد الفراهي رحمه الله، من كبار علماء الهند، وأفذاذ الرجال علمًا وفضلًا وديانةً. اشتهر بنبوغه في علم القرآن، وانقطاعه إليه، واسم كتابه: (مفردات القرآن).
3. توفي الفراهي قبل إكمال الكتاب، فنشر بعد وفاته عن مسودته بعد ما أضيف إليه كلمات فسّرها في مصنفاته الأخرى.
4. كان من مقاصد تأليف الكتاب: تحقيق معاني الألفاظ التي كانت تستعمل فيها عند نزول القرآن، وتأصيل الألفاظ التي زعم المستشرقون أنها أعجمية وأن القرآن أخذها من أهل الكتاب.
5. يعتمد المؤلف في تفسير الألفاظ على تتبع استعمالها في القرآن وكلام العرب، ويستشهد أحيانًا بالحديث، كما يرجع في تأصيل الألفاظ المشتركة بين العربية وأخواتها إلى العبرانية والسريانية.
6. الكتاب - مع كونه ناقصًا - من الكتب الأصيلية في بابهِ، فإنه حافل بتحقيقات جديدة ونظرات دقيقة في اللغة والتفسير.

مراجع البحث

أ - المراجع العربية:

1. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتب العصرية، بيروت، 1408هـ.
2. الاختيارين، الأخفش الأوسط، تحقيق: فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1404هـ.
3. الأصمعيات، تحقيق: أحمد شاکر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، 1979م.
4. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأثرق، عائشة بنت الشاطي، دار المعارف بمصر، 1971م.
5. الاعلام للزركلي، دار الملايين، بيروت، 1984م.
6. إمعان في أقسام القرآن، الفراهي، دار القلم بدمشق، 1415هـ.
7. الأنوار ومحاسن الأشعار، الشمشاطي، تحقيق: السيد محمد يوسف، الكويت، 1397هـ.
8. الأوائل، أبو هلال العسكري، تحقيق: وليد قصاب ومحمد المصري، دار العلوم، الرياض، 1400هـ.
9. إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، أبو بكر بن الأنباري، تحقيق: محيي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية بدمشق 1971م.
10. البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت.
11. البلغة في تراجم أئمة النحر واللغة، الفيروزآبادي، تحقيق: محمد المصري، الكويت، 1407هـ.
12. تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين (الترجمة العربية) جامعة الإمام محمد بن



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

- سعود الإسلامية الرياض: المجلد الأول 1403 هـ، المجلد الثامن 1408 هـ.
13. تاريخ بغداد، الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت.
14. التصاري، يحيى بن سلام، تحقيق: هند شليبي، الشركة التونسية، 1979 م.
15. التعليقات التفسيرية، الفراهي، نسخة مصورة في مكتبي.
16. تفسير ابن كثير، دار عالم الكتب، الرياض، 1416 هـ.
17. تفسير الطبري، دار الفكر، بيروت، 1408 هـ.
18. تفسير سورة البقرة، الفراهي، المخطوطة المحفوظة في الدائرة الحميدية، سراي مير.
19. تفسير سورة العصر، الفراهي، مطبعة فيض عام، 1326 هـ.
20. تفسير سورة الكوثر، الفراهي، مطبعة معارف، أعظم جره.
21. التكميل في أصول التأويل، الفراهي، الدائرة الحميدية، 1388 هـ.
22. جبهة أشعار العرب، أبو زيد القرشي، تحقيق: محمد علي الهاشمي، دار القلم بدمشق، 1406 هـ.
23. حماسة أبي تمام، تحقيق: عبد الله عسيلان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1401 هـ.
24. حماسة البحتري، دار الكتب العربي، بيروت، 1387 هـ.
25. الحماسة البصرية، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب بيروت، 1403 هـ.
26. ديوان الخنساء، تحقيق: أنور أبو سويلم، دار عمار، الأردن، 1988 م.
27. ديوان سلامة بن جندل، تحقيق: فخر الدين قباوه، المكتبة العربية بحلب 1387 هـ.
28. ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية بدمشق، 1975 م.
29. ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق: حسين نصار، الحلبي، القاهرة، 1377 هـ.
30. الرقة والبكاء، ابن قدامة المقدسي، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم بدمشق، 1415 هـ.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

31. سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد بن عباس، تحقيق: محمد عبد الرحيم وأحمد نعامه، مؤسسة الكتب الثقافية، القاهرة، 1413هـ.
32. شرح أدب الكاتب، الجواليقي، دار الكتاب العربي، بيروت.
33. شرح أشعار الهذليين، السكري، تحقيق: عبد الستار فراج، دارالعروبة، القاهرة، 1384هـ.
34. شرح ديوان الحماسة، المرزوقي، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1387هـ.
35. شعراء النصرانية، لويس شيخو، بيروت، 1890م.
36. صحيح البخاري، طبعة دار السلام، الرياض، 1417هـ.
37. طبقات ابن سعد، دار صادر، بيروت.
38. فاتحة نظام القرآن، الفراهي، الدائرة الحميدية، سراي مير، 1357هـ.
39. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، دارالافاق الجديدة، بيروت، 1403هـ.
40. فهرست ابن خير، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1399هـ.
41. الفهرست لابن النديم، تحقيق رضا تجدد، مكتبة الأسد، طهران، 1971م.
42. الكامل، المبرد، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ.
43. كتاب الصيدنة في الطب، البيروني، تحقيق: الحكيم محمد سعيد ورانا إحسان إلهي، مؤسسة همدرد، كراتشي، 1973م.
44. لسان العرب، ابن منظور، ط. دار صادر، بيروت.
45. اللغات في القرآن، لابن عباس، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت 1398هـ.
46. مجلة المجمع العلمي الأردني، السنة 20 العدد 50.
47. المستشرقون، نجيب العقيلي، دار المعارف بمصر، 1980م.
48. مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وأصحابه، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ.
49. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي،

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

بيروت، 1993هـ.

50. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
51. المعجم العربي، حسين نصار، دار مصر للطباعة، 1988م.
52. المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، الموصل، 1404هـ.
53. معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري، محمد فؤاد عبد الباقي، الحلبي، القاهرة، 1950م.
54. المعمرون، السجستاني، تحقيق: عبد المنعم عامر، الحلبي، القاهرة، 1961م.
55. مفاتيح الغيب، الرازي، دار الفكر، بيروت، 1405هـ.
56. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب، تحقيق: صفوان داودي، دار القلم بدمشق، 1418هـ.
57. المفضليات، تحقيق: أحمد شاکر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، 1979م.
58. مقال "الإمام حميد الدين الفراهي رحمه الله" للأستاذ شير محمد، مجلة "الضياء" الصادرة من ندوة العلماء، لکناؤ، عدد رجب 1352هـ.
59. مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، قم، إيران.
60. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت 1404هـ.
61. نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات بن الأنباري، تحقيق: السامرائي، مكتبة، المنار، الأردن، 1405هـ.
62. نزهة الخواطر (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام)، عبد الحي الحسني، دار عرفات، الهند، 1412هـ.
63. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، تحقيق: الزاوي والطناحي، المكتب العلمية، بيروت.
64. هدية العارفين، البغدادي، مكتبة المثنى، بيروت.

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

65. الوسائل في مسامرة الأوائل، السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1406هـ.  
ب- المراجع الأجنبية.
66. "الصلاة على ترجمان القرآن"، افتتاحية مجلة "معارف"، العدد الثامن من المجلد السادس والعشرين.
67. جزيبيوس A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, Gesenius, Oxford Pres
68. جيفري The Foreign Vocabulary of the Quran, by Arthur Jeffery Baroda.
69. حيات حميد، الدائرة الحميدية، سرائ مير، 1973م.
70. حيات شبلي، السيد سليمان الندوي، دار المصنفين، أعظم جره، 1983م.
71. صحيفة "صدق"، لکناؤ، عدد 1945/6/19م.
72. صحيفة الداعي، بومباي، عدد 3 ديسمبر 1976م.
73. لباب الألباب، محمد عوفي، تصحيح وتعليقات: سعيد نفيسي، طهران، 1355م.
74. مجلة الإصلاح، المجلد الأول، العدد الثامن، 1936م.
75. مقال (ترجمان القرآن مولانا حميد الدين فراهي رحمه الله) للدكتور شرف الدين الإصلاحي، مجلة "معارف"، دار المصنفين، أعظم جره، عدد رجب 1411هـ.
76. مكاتيب شبلي، إعداد السيد سليمان الندوي، دار المصنفين، أعظم جره، 1966م.
77. مكتوبات سليمان، إعداد عبد الماجد الدرابادي، لکنار، 1963م.
78. نواي بهلوي، حميد الدين فراهي، الدائرة الحميدية، سرائ مير، 1967م.

## منهج الإمام الفراهي في كتابه "تعليقات في تفسير القرآن الكريم"

- محمد شفاء الرحمن<sup>1</sup>

### مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد!

إن كتاب "تعليقات في تفسير القرآن الكريم" للإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله من أهم مؤلفاته في السلسلة القرآنية. والكتاب مطبوع من الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح في أعظم جره سنة 2010م في مجلدين مما يقارب ألف صفحة.

وهذا المقال يستعرض لما في هذا الكتاب من محاسن وأسلوب للتفسير ومنهج للمؤلف في بيان الآيات، وما فيها من معاني الألفاظ والأحكام والوجوه النحوية والمسائل البلاغية والأحكام الفقهية والحكم التي تخفى على كثير من الناس. وكل ذلك بإيجاز مع بيان مثال أو مثالين لذلك من الكتاب.

أول ما يجدر به الذكر في هذا الأمر أن الكتاب ليس تفسيرًا كاملاً، بل هو تعليقات مختصرة، وهي عبارة عن خواطر وأفكار ظهرت له في أثناء تدبر القرآن الكريم، كما يظهر من اسمه، أعدّها المؤلف لنفسه لا لقصد النشر والتوزيع، ولكن نظرًا لما فيه من المعاني والأفكار طبع الكتاب لاحقًا بعد سنين من وفاته رحمه الله.

وأهم ما في هذا الكتاب والذي يدور حوله هذا التفسير هو النظم بين أي القرآن الكريم. فهو أول ما يذكره الإمام ويعتني به في كل مكان: بين الآيات فيربط بعضها ببعض، وبين السور كذلك ليتبين أن القرآن كلام الله العزيز الحكيم، لا من كلام البشر.

ويؤثر المؤلف تفسير القرآن بالقرآن نفسه، ولا يعنى بالروايات والأقوال غير الطائفة، كما يقول في المقدمة: "نفسر القرآن بآياته وجعلت نظم القرآن نورًا به

<sup>1</sup> باحث، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المليية الإسلامية، نيودلهي

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

أهتدي إلى حكمه وغوره"<sup>1</sup>، ويذكر سبب تأليف هذا الكتاب بقوله، "ومما حثني على هذا أني رأيت فرق المسلمين مزقوا كلام الله تعالى شذر مذر، فتمسكت كل طائفة بما أعجب هوى نفسها، وحق عليهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾ (سورة الأنعام: 159)، ووجهوا الآيات خلاف سياقها فحق عليهم قوله تعالى: ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ (سورة النساء: 46).<sup>2</sup>

ويتكون هذا المقال من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

الفصل الأول: لمحات موجزة عن حياة وأعمال الإمام الفراهي رحمه الله.

الفصل الثاني: النظم المقدر بين أي القرآن والسور.

الفصل الثالث: في بيان المحتوى وتقسيمه والفكرة الرئيسة للسورة.

الفصل الرابع: في تفسير الآيات من حيث البلاغة والنحو واللغة.

وأما الخاتمة فذكرت فيها خلاصة منهج الإمام الفراهي رحمه الله.

### الفصل الأول

#### لمحات موجزة عن حياة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهي<sup>3</sup>

اسم الإمام الفراهي ومولده:

هو عبد الحميد بن عبد الكريم الأنصاري الفراهي. ولد في أعظم جره في قرية تسمى "فريها" سنة 1280 هـ في أسرة كريمة الأصل شهيرة بالعلم ومكانتها الاجتماعية. ونشأ فيها في السعة والرخاء في رحاب العلم والتربية الإسلامية حتى أصبح من أشهر علماء قرنه. وكان ابن خال العلامة الشهير المؤرخ شبلي النعماني، فاستظل بعطفه واستفاد من علمه طول حياته.

<sup>1</sup> تعليقات في تفسير القرآن الكريم (المقدمة)، 7/1.

<sup>2</sup> المصدر نفسه (المقدمة)، 7/1.

<sup>3</sup> تفسير نظام القرآن المترجم باللغة الأردية للفراهي رحمه الله، (مقدمة) الدائرة الحميدية

بمدرسة الإصلاح، سرائ مير، بأعظم جره، يوبي، الهند، 1990م، ص 9-26

صفاته وأخلاقه:

كان الإمام الفراهي تقيًا ورعًا، سليم الطبع ذا خلق حسن، بارًا بوالديه منذ صباه، صابرًا راجح الأناة سديد الرأي والقول لم يكن يخاف في الله لومة لائم. قضى حياته على التقشف والبساطة في اللباس والطعام والشراب. كانت أكثر مصاريفه في شراء الكتب واستضافة الفقراء من العلماء والطلاب. وقد أشرب في قلبه البحث والتحقيق فلم يكن التصنيف من عادته إلا بالبحث والتمحيص وبعد التدقيق.

حياته العلمية:

تلقى تعليمه الابتدائي في بيته، فحفظ القرآن الكريم، وتعلم اللغة الفارسية حتى أتقنها في زمن يسير، وبدأ يقرض الأشعار فيها فكان يجاري الفحول من شعرائها وهو ابن ست عشرة سنة. ثم تعلم اللغة العربية فدرس علومها وتلمذ على كبار العلماء في العلوم العربية والإسلامية أمثال العلامة شبلي وعبد الحى اللكنوي وفيض الحسن السهارنفوري، ورحل إلى لکناؤ ولاهور في ذاك السبيل وبرع فيها وهو دون العشرين.

ولم يقتصر الإمام الفراهي على اللغتين العربية والفارسية، بل تعلم اللغة الإنجليزية ورحل لذلك إلى كلية علي جره وأتقنها فدرس العلوم العصرية الحديثة. كما تلمذ على المستشرق الدكتور آرنلد ودرس الفلسفة الحديثة. ونال شهادة البكالوريوس من جامعة إله آباد. وكذلك تعلم الإمام الفراهي اللغة العبرية حينما كان أستاذًا للغة العربية في علي جره، واستفاد منها كثيرًا في البحوث وتأليف الكتب وعلوم القرآن.

بدأ الإمام الفراهي التدريس في مدرسة الإسلام بکراتشي ومكث هناك عدة سنوات في تدريس اللغة العربية. ثم عاد إلى كلية علي جره لتدريس اللغة العربية ورحل بعد سنوات إلى جامعة إله آباد حتى ارتحل إلى دار العلوم بحيدر آباد أكبر مدرسة حكومية هناك وأصبح فيها رئيس المدرسين. وكانت رؤيته بناء جامعة تدرس العلوم الإسلامية مع العلوم العصرية في اللغة الأردوية، فتجسدت فكرته بصورة

الجامعة العثمانية بحيدر آباد. ثم أسّس مدرسة دينية في قريته تعرف اليوم بـ"مدرسة الإصلاح"، يهدف منها تحسين طريقة تعليم اللغة العربية والتركيز على دراسة العلوم القرآنية والبحث عن معاني القرآن وأحكامه ونظمه وحكمه.

#### آثاره العلمية:

أسهم الإمام الفراهي في مجال العلوم القرآنية والعلوم الأخرى كثيرًا، وكانت جلّ مؤلفاته في اللغة العربية التي هي اللغة العامة لجميع علماء الإسلام في أي مكان وزمان. وكان "فهم القرآن الكريم" غايته المنشودة التي نراه في كل مؤلفاته بصورة جلية. تربو مؤلفات الإمام الفراهي على عشرين مؤلفًا في العلوم القرآنية وكتابه "تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" أكبر شاهد بتفوقه العلمي في العلوم القرآنية والنظم القرآني على وجه الخصوص. وله مؤلفات في علوم البلاغة والنحو والعروض وبعض الدواوين في اللغة الفارسية والعربية. وله عديد من المؤلفات لم تكتمل حتى نهاية العمر بسبب المرض وغير ذلك من الوجوه، إلا أن الدائرة الحميدية تعني كل العناية بها وتعترم بطباعتها ونشرها ليستفيد الناس وتكون هي صدقة جارية للإمام إلى يوم يبعثون. وأذكر بعض كتبه المطبوعة وهي كما يلي:

- 1- تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان
- 2- فاتحة نظام القرآن
- 3- مفردات القرآن
- 4- إمعان في أقسام القرآن
- 5- الرأي الصحيح في من هو الذبيح
- 6- جمهرة البلاغة
- 7- أسباق النحو
- 8- ديوان حميد
- 9- دلائل النظام



## العدد الخاص ..... مجلة الهند

- 10- أساليب القرآن
  - 11- أصول التأويل
  - 12- القائد إلى عيون العقائد
  - 13- حجج القرآن
  - 14- كتاب الحكمة
  - 15- في ملكوت الله
  - 16- كتاب الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ
  - 17- ديوان أبي أحمد الأنصاري
  - 18- الرائع في أصول الشرائع
  - 19- إحكام الأصول بأحكام الرسول
  - 20- كتاب العقل وما فوق العقل
  - 21- أسباب النزول
  - 22- تاريخ القرآن
  - 23- أوصاف القرآن
  - 24- فقه القرآن
  - 25- رسالة في إصلاح الناس
  - 26- فلسفة البلاغة
  - 27- سليقة العروض
  - 28- النحو الجديد
- وفاته:

توفي رحمه الله سنة 1349. الموافق سنة 1930 م وهو مكب على أخذ ما فات من العلماء، وإنارة الطريق بنور القرآن وكلماته في كل حين. وخلف وراءه آثارًا علمية قيمة يستفيد الناس منها إلى يوم يبعثون. تغمدته الله برحمته الواسعة وتجاوز عن زلاته القلمية وأخطائه البشرية، إنه سميع قريب.

الفصل الثاني

النظم المقدرين أي القرآن والسور

سبق القول في المقدمة أنّ المؤلف رحمه الله كان يعتني كل العناية بالنظم الموجود في آيات القرآن الكريم وسوره كذلك. وعلى الرغم من أن النظم وجه من وجوه البلاغة، فضلنا أن نفصل له تفصيلاً حتى تتبين عناية المؤلف بالنظم بعناية بالغة، ويتضح النظم مع الأمثلة.

النظم بين آيات القرآن الكريم:

فمن أمثلة النظم الموجود بين آيات القرآن الكريم في هذا الكتاب أن المؤلف يقول في تفسير سورة الفاتحة: [ثم انظر في حسن النظم: أول المعرفة هو العلم بالنعم، وأول الفرائض الشكر. ومن هنا ينشأ العلم بكون الخالق رحماً ورحيماً. وتكرار الرحمة نبّه على رحمة تكون على الشاكرين. فنّبّه على الجزاء وحثّ على الدعاء. وغاية التضرع التفويض والتوكل، ولكن ما أحسن التوكل بعد حسن الظن].<sup>1</sup>

كما يذكر في تفسير الآية ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَأْخِرُونَ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (سورة البقرة: 4): [من كان إيمانه بالعقل والبصيرة كما علمت في معنى الإيمان بالغيب لزمه الإيمان بما قبل وبما بعد فأمن بجميع الكتب الإلهية والرسل، وأمن بما في المستقبل من المعاد].<sup>2</sup> كما في الآية السابقة ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ كَوْمًا رَزَقْتَهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (سورة البقرة: 3) فذكر المؤلف ما يربط الآيتين بعضهما البعض وفسّر النظم الموجود فيهما.

النظم بين سور القرآن الكريم:

يرتاب كثير من الناس في ترتيب سور القرآن الكريم: هل هذا الترتيب حقاً صحيح كما كان في عصر النبي ﷺ أم أنه من أعمال أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما؟

<sup>1</sup> المصدر نفسه (سورة الفاتحة)، 12/1-13

<sup>2</sup> المصدر نفسه (سورة البقرة)، 18/1

والنظم خير دليل لهؤلاء المرتابين أن النظم في القرآن الكريم ليس محصوراً بين الآيات فقط، بل هو موجود بين السور كذلك، وليس هذا الترتيب إلا رباني وليس عثمانياً. وفصل المؤلف القول في هذا النظم كما يلي ذكره مع بيان الأمثلة.

أما النظم بين السور فأمثل لذلك ما ذكره المؤلف في سورة الفاتحة وسورة البقرة: [فهذه سورة الشكر، والبقرة سورة الإيمان].<sup>1</sup> فإن من واجب الشكر الإيمان؛ من شكر الله آمن به، ومن لم يشكره فقد كفر. [والشكر بناء الإيمان، كما قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾ (سورة النساء: 147). وهو أول الواجبات وأول المعارف، وهو إيفاء العهد الأول الذي هو الإقرار بالربوبية].<sup>2</sup>

والمثال الثاني للنظم بين السور ما ذكره المؤلف في نهاية سورة الحجر أن موضوع ومحتوى وخاتمة هذه السورة استهزاء الكفار والمشركين بالنبي ﷺ، وأن الله سبحانه يعلم أن رسوله يكتئب من استهزائهم ويحزنه إصرارهم على الشرك بالله، كما قال تعالى: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة الحجر: 93-97) ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (سورة الحجر: 97-99) فدلّه على العلاج والدواء وهو التسبيح والسجود لله سبحانه حتى يأتي أمر الله ووعد من النصر، قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (سورة الحجر: 98-99)، ثم قال عز وجل في بداية سورة النحل - وهي التي بعد سورة الحجر - ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (سورة النحل: 1)، أي حان واقترب، فسورة النحل تقريب الإنذار المذكور في السورة السابقة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> المصدر نفسه (سورة البقرة)، 18/1

<sup>2</sup> المصدر نفسه (سورة البقرة)، 10/1 و20

<sup>3</sup> المصدر نفسه (سورة الحجر)، 1/340-341

الفصل الثالث

في بيان المحتوى وتقسيمه والفكرة الرئيسة للسورة

نذكر في هذا الفصل منهج الإمام الفراهي في بيان المحتوى وتقسيم السورة من حيث الموضوع وكيف كان له مسلك خاص يسلكه في تفسير السورة حتى يترسخ كل شيء في النفوس ولا تستقر صعوبة في فهم المحتوى في الأذهان.

تسمية السور بأسماء عديدة:

يبدو للقارئ في أول وهلة أن المؤلف رحمه الله كان يسمي سور القرآن بأسماء عدة نظراً لما يحتوي عليه الآيات في داخلها من الموضوعات المختلفة. يقول صاحب التفسير في سورة العنكبوت: [السورة حسب ظاهر معناها مدنية، وهكذا يعلم مما روي في شأن نزولها. هذه سورة الجهاد 6، والهجرة 26، 56؛ والفتنة 3 و6 و10، ووعد النصر<sup>1</sup>]. فذكر سورة العنكبوت بهذه الأسماء إذ السورة تحتوي على هذه الموضوعات.

بيان أن السور مكية أو مدنية:

ويذكر المؤلف في بداية السور أنها مكية أو مدنية، ويذكر الخلاف إذا ورد، ويأتي مع ذلك بقوله الصريح ما يفصل بين الخلاف أو يزيل الخلاف إلى حد ما. يقول المؤلف في بداية سورة البقرة [اعلم أن السورة مدنية بالاتفاق ويدل عليه مضمونها، والخطاب فيها إلى أهل الكتاب، ومنهم معظم أهل النفاق] وكذا في بداية سورة النحل: [في سورة النحل إشارات إلى أنها نزلت قبيل الهجرة. انظر الآيات: 1، 41، 106، 113، 126]<sup>2</sup>، فهذه دلائل من داخل السورة على أنها مكية.

بيان الفكرة الرئيسة:

ومن ميزات هذا التفسير أن المؤلف يبين الموضوع الرئيسي في بداية كل سورة بإيجاز، كما يبين في سورة الفاتحة قائلاً: [سورة الفاتحة جامعة كالديباجة، ففيها مفتاح لجميع ما في القرآن]<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> المصدر نفسه (سورة العنكبوت)، 50/2

<sup>2</sup> المصدر نفسه (سورة البقرة)، 14/1، و (سورة النحل)، 341/1

<sup>3</sup> المصدر نفسه (سورة الفاتحة)، 9/1

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

وذكر في سورة البقرة: [سورة الإيمان المطلوب، وهو الإيمان ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، .... ثم معظم المنافقين هم اليهود. فاحفظ هذه الأمور لفهم تأويل آياتها].<sup>1</sup>، وهكذا ترى في بداية كل سورة.

وكذلك يبيّن في بعض الأحيان الملخص الجامع للسورة في النهاية ويذكر النقاط المهمة في صفحتين أو ثلاث ليتبين محتوى السورة من كل وجه ويتذكر القارئ مرة أخرى كلّ ما درسه في السورة على وجه التفصيل. وأقتبس هنا على سبيل المثال بعض النكات من سورة ص:

[ (1-8) بيان شقاقهم وعزتهم، وذكر أسباب إعراضهم عن استماع القرآن إجمالاً. منها استعجالهم بكون النبي بشراً وأمره بعبادة الله الواحد القهار خلافاً لسننهم وسنة آبائهم الأولين.

ومنها حميتهم الجاهلية واستمسكهم بسنة آبائهم واتباع آثارهم ولو كانوا غير مهتدين. ومنها غرورهم بزخارف الدنيا وزعمهم أنّ الذكر لا ينزل إلا على رجل من القريتين عظيم. ... ثم ذكر قصص إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ليتضح للنبي صلى الله عليه وسلم أنّ العاقبة للمنيبين إليه والصابرين على أذى الأعداء]<sup>2</sup>

ولا يفسّر المؤلف كلّ لفظ وكلّ كلمة كما هو واضح من الكتاب. وكذلك لم يتعرض لتفسير الحروف المقطعات في بدايات بعض السور مثل الم والمص وكهيعص وغيرها، كما فسّر المفسرون الآخرون بذكر الأقوال الكثيرة والتأويلات المتكلفة. **تقسيم السورة في فصول:**

ومما يجدر به الذكر أنّ المؤلف رحمه الله يفسّر آيات القرآن الكريم أو بعض قطعه عدة مرات: يفسّر قطعة من آية من ناحية ثم يعود مرة أخرى فيفسرها من ناحية أخرى كما ترى فيما يأتي حتى يتضح لك الأمر:

<sup>1</sup> المصدر نفسه (سورة البقرة)، 14/1

<sup>2</sup> المصدر نفسه (سورة ص)، 154/2-155

ويقسم المؤلف الآيات في فصول ويبين موضوع كل فصل حتى يتضح الأمر للقارئ ويتيسر له فهم آيات القرآن. فصل سورة البقرة في فصلين؛ الأول من البداية حتى الآية 151 وفيه تمهيد الشرائع، والثاني في بيان الشرائع من الآية (152) حتى نهاية السورة؛ ويذكر هذه الشرائع وهي الذكر والصلاة والصبر والحج والعمرة وغيرها، ويقول: فهذه أربعون حكمًا (يذكر كل حكم واحدًا بعد آخر) إجابة لما دعا إبراهيم عليه السلام ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾<sup>1</sup> (سورة البقرة: 129). وكذلك يقسم السورة بين التمهيد والبداية والخاتمة كما ترى في تفسير سورة الحجر يذكر الآيات (85-95) أنها كالخاتمة تجمع ما مرّ من مطالب السورة... جاء في سور آخر بأساليب مختلفة مفيدة كما في الذاريات، وحم السجدة.<sup>2</sup>

ربما يؤجل المؤلف تفسير آية إلى آية أخرى في سورة أخرى لأجل التفصيل أو التطويل أو لأسباب أخرى، كما يقول في تفسير الآية من سورة البقرة ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ (سورة البقرة: 104): [في 46 من النساء تفسير هذه الآية.<sup>3</sup> تفسير المتشابه من السور:

ومن سور القرآن ما هو مشابه بعض السور الأخرى من حيث المضمون والآيات فذكر المؤلف الفرق بينهما إيضاحًا للأمر وإثباتًا أنّ القرآن ليس فيه حشو ولا لغو كما يتفوه به المستشرقون والطاعنون في القرآن الكريم. يقول المؤلف في بداية سورة الأعراف: [هذه السورة مثل المثل ذلك الكتاب في بعض الأمور. ولكن تلك داعية وهذه منذرة بالعذاب والقيامة وتنهى عن الشرك، كما قال في (2-3)،<sup>4</sup> [من سورة الأعراف]. وقال

<sup>1</sup> المصدر نفسه (سورة البقرة)، 1/24 - 25

<sup>2</sup> المصدر نفسه (سورة الحجر)، 1/336

<sup>3</sup> المصدر نفسه (سورة البقرة)، 1/41

<sup>4</sup> المصدر نفسه (سورة الأعراف)، 1/207

أيضاً: وفي ذلك ذكر قصص الأمم المكذبة واليهود معاً<sup>1</sup> ولما تكررت قصة آدم عليه السلام مع الشيطان اللعين في سورتي البقرة والأعراف ذكر المؤلف وجهاً لذلك: [راعى جانب الإنذار في ذكر قصة آدم وأمر الخلافة في سورة البقرة].<sup>2</sup>

أما القصص المفصل من السور فهي متشابهة الموضوع والمحتوى؛ بعضها يترابط ببعض إلى ثلاث أو أربع أو خمس سور. يقول الإمام الفراهي في هذا الصدد: [اعلم أنّ قران السور ربما يكون من جهة العمود، وربما يكون من جهة الخصائص أو البيان أو أسباب آخر غير ذلك كما هو مبسوط في موضعه. ذكر الإنفاق في هذه السور من جهة كونه ابتلاء وتعليماً وكونه أصلاً عظيماً في الدين تالياً للتسبيح بل فرعاً منه].<sup>3</sup>

ويقول في سورة الحديد: [من الحديد إلى التحريم عشر سور في أمر المنافقين، وتحذير المؤمنين عن عاداتهم وكفهم عن مودتهم. ففي هذه السورة منع عن البخل وحبّ متاع الدنيا، وبشّرههم بالملك والنصر، وعلمهم أن الإنفاق هو سبيل العروج، وهذه السور في اليهود].

ثم يقول: [اعلم أن هذه السور العشر من الحديد إلى التحريم متشابهات وكلها مدنية. فمهن خمس ذوات التسبيح وخمس لواحق لكونها من صنفها، ومزج بينهما ليعلم أنّ كلها من قسم واحد... ونرى تقديم «سبح» على «يسبح». ولا يخفى عليك أنّ «يا أيها النبي» في معنى «يا أيها الذين آمنوا». وكذلك «يا أيها النبي» الثانية إلا أولها. وذلك يدل على التسوية بين العباد في التزام الطاعة، ويدلّ على كون النبي صلى الله عليه وسلم من أنفسهم. فخاطبه كزعيم قومه والحامل لأعبائهم. وفيه تسلية للمؤمنين وتنبيه النبي على ثقل ذمته].<sup>4</sup>

<sup>1</sup> المصدر نفسه (سورة الأعراف)، 21/1

<sup>2</sup> المصدر نفسه (سورة الأعراف)، 209/1

<sup>3</sup> المصدر نفسه (سورة التغابن)، 357/2

<sup>4</sup> المصدر نفسه (سورة الحديد)، 319-318/2

ربط الأمور بالأسباب:

ومن هذا القبيل ربط الأمور بأسبابها وذكر السبب بين الآثار والمؤثرات الذي تراه كثيرا في هذا التفسير الوجيز، كما ترى في تفسير الآية - مثلاً - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٧﴾ [بيان سنة الله من فطرة الأمور وربط الآثار بالمؤثرات]. ثم قال: [وبيان هذه السنة على العموم كثير في القرآن، وهو أن الإنسان أعطاه الله الهداية أولاً، ثم هو يزيدها أو يطفئها بالشكر أو الكفر، كما قال تعالى (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرًا وَإِمَّا كَفُورًا ٥) ... وقال (وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى). فجعل الله الإنسان مختاراً يجلب على نفسه الهداية والضلالة حسب ترتيب الآثار والمؤثرات]<sup>1</sup>

وبيّن حقيقة الكفر أن الكفر ينبع ويصدر من كفران النعمة كما قال تعالى: (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) وقبله (إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ). والكفران ينبع من التكبر، وهو الأصل والأساس للكفر، [بينما الصلاة هي الأصل للتقرب وهي المركز، وروحها التوحيد. ومركز الصلاة السجدة، فالسجدة تزيل الكبر الذي هو المانع عن الشكر الذي هو باب الإيمان].<sup>2</sup>

ذكر الآيات في نفس المعنى والسياق:

وكذلك إذا ذكر المؤلف آية أو قطعة منها ذكر معها كل ما في معناه من الآيات في نفس السياق، وبذلك يفسر القرآن بالقرآن. يقول المؤلف رحمه الله في تفسير الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ (سورة البقرة: 6): ونظير هذا الكلام من أول السورة إلى قوله (عظيم): قوله تعالى: ﴿يَس ١ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ ءَابَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ٦ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٧ إِنَّا جَعَلْنَا

<sup>1</sup> المصدر نفسه (سورة البقرة)، 19/1

<sup>2</sup> المصدر نفسه (سورة الأعراف)، 209/1



فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَوِّشِ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ (سورة يس: 1-11)<sup>1</sup> وهكذا قال مرة أخرى في نفس الآية: [(إن الذين كفروا) كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٤﴾ (سورة النحل: 107 و 108). وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِرَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿١٦﴾ (سورة الإسراء: 45 و 46). وكما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (سورة الصف: 5)، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (سورة الزمر: 3)<sup>2</sup>

وكذلك في سورة النحل في ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ﴾ (سورة النحل: 13) ذكر مع ذلك ما ورد في سورة الرعد (4-الرعد). ويقول في سورة الرعد: ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي علماء أهل الكتاب، (43)، و 17 من هود، و 10 من الأحقاف<sup>3</sup>

#### بيان الحكم وراء الأحكام الإسلامية:

وبيّن المؤلف كذلك الحكم التي تخفى على كثير من الناس في الأحكام الإسلامية التي يطعن بها الطاعنون في كل زمان. وقد قيّد الإسلام تهمة الزنا بأربعة شهداء على الأقل لأن هذا الأمر عظيم، وعظم المقول يقتضي عظم الشهادة كما في سورة

<sup>1</sup> المصدر نفسه (سورة البقرة)، 20/1

<sup>2</sup> المصدر نفسه (سورة البقرة)، 26/1

<sup>3</sup> المصدر نفسه (سورة الرعد)، 319/1

النور الآية: 13، ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾<sup>١</sup>. كما يقول في سورة البقرة ﴿وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (من سورة البقرة: 190، 240) من ههنا شرع في وجوب القتال، وبناء على دفع الفساد والفتنة لكي يدخلوا في السلم كافة. فالقتال لنفي القتال، وجعل الحج لذلك. وبين أن القتال إنما هو مع من قاتل وبقدر عدوانهم<sup>١</sup>.

ربما يفصل المؤلف الكلام في تفسير آية من عند نفسه تفصيلاً حتى يتبين الأمر. يتحير الناس في اختيار الأمور بين الصلح والفساد، يغلط العقل مرة ويغلط الفؤاد أخرى، ولكنهما يتحدان في بعض الأحيان في اختيار الشر والإيقان بالباطل. وبين المؤلف أن القرآن الكريم قد دلّ على هذه الأصول كلها في الآية الكريمة ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّلَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾<sup>٢</sup> (سورة النجم: 23). وكما يفسّر أسباب الشرك قائلًا: [أصل الشرك عمد التعقل، وأصله العكوف على الدنيا. وأصل ذلك عدك الإحساس بإحسان المنعم واعتراف المنّة، وذلك أصل الكفر والظلم والاستكبار السيئ، وإذا لا يسمعون فالإعراض عمن أعرض أنفع].<sup>3</sup>

#### الاستدلال بالجغرافيا:

ومن ميزات هذا التفسير أن صاحبه ربما يفسّر بعض الأماكن من حيث الجغرافيا استدلالاً بآيات القرآن الكريم. يقول الإمام الفراهي في سورة الحجر ﴿وَكَاثُرًا يَنْجُتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾<sup>٤</sup> (الآية: 82): [كانت قريش تمر بقرى مهلكة لقوم لوط، وقوم شعيب... ويعلم من ههنا أن أرض لوط كانت قريباً من مكة، ثم أرض شعيب، ثم أرض ثمود. وأرض بقرب يثرب، فالأغلب أن أرض لوط ليست ببعيد من مكة. ويؤيد ما قلناه قوله تعالى: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا

<sup>1</sup> المصدر نفسه (سورة البقرة)، 63/1

<sup>2</sup> المصدر نفسه (سورة النجم)، 299/2

<sup>3</sup> المصدر نفسه (سورة النجم)، 301/2

أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿١٩﴾ (سورة إبراهيم: 45)، ووقوله تعالى بعد ذكر قوم لوط وشعيب عليهما السلام: ﴿وَعَاذًا وَتُؤَدًّا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسَكِينِهِمْ﴾ (سورة العنكبوت: 38).<sup>1</sup>

#### الاستشهاد بالأشعار العربية أحياناً:

ربما يحتج المؤلف في تفسير الآيات بالشعر العربي أو يورده أثناء التفسير تأييداً لتأويله أو في المسائل النحوية. ولكن يكره هو أن يورد هذه الأشعار تكريراً للقرآن الكريم. يقول في تفسير الآية ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ (سورة النجم: 10): في هذه الآية تعانق كما في قول عمرو بن معدي كرب:

ليس الجمال بمـئزر فاعلم وإن رديت برداً<sup>2</sup>

ويقول في ضمير جمع المذكر إذا استعمل للنساء استدلالاً بشعر امرئ القيس: [الضمير في ﴿أتعجبين﴾، و﴿عَلَيْكُمْ﴾ (من سورة هود: 73) لامرأة إبراهيم عليه السلام: وضمير جمع المذكر يستعمل للنساء كثيراً وخاصة إذا عبر عنها بأهل، كما ترى في سورة الأحزاب: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الآية: 33). ومن ينظر في أشعار العرب يجد كثيراً من الأمثلة: قال امرؤ القيس:

فلو كان أهل الدار فيها كعهدنا وجدت مقبلاً عندهم ومعرسا

وقال عمر بن ربيعة القرشي وقد جمع بين الخطابين كما في الآية:

فوالله ما للعيش ما لم ألا قكم وما للهوى إذ ما ترى تزارين من طعم

ألم تعلمي ما كنت أليت فيكم وأقسمت لا تخلين ذاكرة باسمي<sup>3</sup>

<sup>1</sup> المصدر نفسه (سورة الحجر)، 335/1.

<sup>2</sup> المصدر نفسه (سورة النجم)، 258/2.

<sup>3</sup> المصدر نفسه (سورة هود)، 289-288/1.

ثم يقول: [ولولا كراهة ذكر الأشعار لسردت كثيرًا في هذا الباب. وهكذا في قصة موسى في سورة القصص].<sup>1</sup>

كما يذكر بعض الأقوال والأمثال الفارسية تأييدًا لقوله. يقول في تفسير سورة الفلق: [...] فإن الشر لم يخلق إلا تبعًا لغيره كالحزن بعد الخطيئة الداعي إلى التوبة والألم بعد الجراحة الداعي إلى المداواة. ولنعم ما قال بعض أولي الألباب: عاشقم برهمه عالم كه همه عالم او اوست].

#### الفصل الرابع

##### في تفسير الآيات من حيث البلاغة والنحو واللغة

بينت في هذا الفصل خصائص هذا التفسير من الناحية البلاغية والنحوية واللغوية التي نجد فيها للمؤلف رحمه الله منهجًا خاصًا. أما شرح الكلمات والمفردات فلا يشمل جميع الكلمات لا من حيث اللغة ولا من حيث النحو ولا من الناحية البلاغية. وفيما يلي ذكر منهج المؤلف في هذه الأمور بقدر من التفصيل.

##### تفسير الكلمات:

أما إذا نظرنا في هذا التفسير من الناحية اللفظية واللغوية وجدنا أن المؤلف رحمه الله يسلك منهجه الخاص في البحث اللغوي ولا يذكر جميع الألفاظ إلا إذا رأى نكتة أو جوابًا لسؤال مقدر. يقول المؤلف في تفسير الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: ["كفروا" يدل على الاستمرار والرسوخ، أي الذين ألحوا على الكفر ورسخوا فيه، وهذا الاستعمال عام في الماضي، مثلًا قوله تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يدل على دوام كونه غفورًا رحيمًا].<sup>2</sup>

<sup>1</sup> المصدر نفسه (سورة هود)، 289/1

<sup>2</sup> المصدر نفسه (سورة البقرة)، 26/1

وكذلك في تفسير الآية ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (من سورة المؤمنون: 1) ذكر ثلاثة معانٍ للكلمة (أفلح)؛ فاز وعاش بالنعمة وبقي. ولم يفصل القول إلا لأن كل هذه المعاني الثلاثة يدل عليه قوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ حتى الآية العاشرة، ففي البداية الفلاح وفي النهاية البقاء في الفردوس في عيشة النعيم.<sup>1</sup>

ويقول في تفسير الآية ﴿ويمدهم في طغيانهم﴾ (من سورة البقرة: 15): تفصيل وعطف بيان. وقال: لا فرق بين "مده" و"مدله". قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ (سورة مريم: 75) أيضًا: ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ﴾ (سورة مريم: 79) فهذان بمعنى الزيادة.<sup>2</sup>

ويقول في سورة التغابن في تفسير الآية ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَذْوًا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ (سورة التغابن: 14) في استعمالات أداة "إن" وجوابها بالفاء: [هذا أسلوب يستعمل كثيراً في القرآن، وهو: «إن...» «فإن...». ومعناه جامع لكل ما يصح لأن يستدل عليه بما بعد «إن». مثلاً «إن تعفوا يرض به الرب فإنه غفور».<sup>3</sup>

#### الغرض وراء التمثيل:

ويقول في بيان التشبيه والتمثيل في القرآن في قصة المنافقين: [والمثل في القرآن لا يكون تشبيه شيء بشيء. إنما هو ذكر شيء أو حالة يهدي إلى مطابقتين، فلا حاجة إلى التقدير كما تكلفوا].<sup>4</sup> ويعلم من هذا القول أن المؤلف يميل إلى العبرة بعموم اللفظ دون تأويله إلى بعض الناس وتعيينهم، كما هو من مناهج بعض المفسرين إيراد الأقوال السخيفة المتكلفة ليعلموا من هم المنافقون والذين نزلت فيهم الآية على وجه التعيين، وورد فيهم التشبيه بالظلمة.

<sup>1</sup> المصدر نفسه (سورة المؤمنون)، 430/1.

<sup>2</sup> المصدر نفسه (سورة البقرة)، 28/1.

<sup>3</sup> المصدر نفسه (سورة التغابن)، 357/2.

<sup>4</sup> المصدر نفسه (سورة البقرة)، 29-28/1.

بيان النظم في وجوه الإطناب والإعجاز:

والإطناب والإيجاز نوعان من أنواع البلاغة إلا أن بعض الإطناب في القرآن يتحول إلى الإيجاز بسبب النظم الموجود فيه. يقول المؤلف رحمه الله في تفسير الآيتين من سورة البقرة 55-56 ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ حتى الآية ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة البقرة: 55، 56) [ننظر في هذا النظم إيجازاً عجيباً، ومن لم ينظر في التوراة يعدّه من الإطناب. وهذا قلبي: أن كل إطناب في القرآن فهو إيجاز من جهة أخرى، فإنه لا يكون معناه إلا أضعاف ما في لفظه]<sup>1</sup>.

بيان حذف ما هو مفهوم من السياق:

ومن أساليب البلاغة حذف ما هو مفهوم من السياق، وهذا في القرآن كثير، ذكره المؤلف أثناء التفسير حيثما ورد، كما في الآية ﴿وَحَرَّمَ عَلَىٰ قَرَبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (سورة الأنبياء: 95) [أي حرام على القرية المهلكة (أن يرجعوا)، إنهم لا يرجعون. فحذف جزءاً دل عليه ما بعده]<sup>2</sup>.

الاستدلال بالظاهر على الباطن:

ومن الوجوه البلاغية التخليص والاستدلال بالظاهر والاعتبار بالباطن وقد حث القرآن على هذا الأمر كثيراً كما يذكر المؤلف ذلك في مواضع مختلفة. يقول في سورة النحل الآية: 9 ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ كما هيأ لكم ما يبلغكم إلى بلاد الدنيا فكذا هيأ لكم ما يهديكم في الدين. هذه الآية من التخليصات اللطيفة، وقد كثر في القرآن الحث على الاعتبار من الأمور الظاهرة إلى الباطن.

ذكر بيان الإعراب:

ويذكر المؤلف في باب النحو في تفسير الآية الكريمة رقم 162 في سورة النساء ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ (سورة النساء: 162): [أخطأ (الشاه عبد القادر رحمه الله) في

<sup>1</sup> المصدر نفسه (سورة البقرة)، 35/1

<sup>2</sup> المصدر نفسه (سورة الأنبياء)، 414/1

ترجمة (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ) وظن أن "المقيمين" منصوب على المدح كما قال سيبويه ... ونصب (والمقيمين الصلاة) بفعل ﴿سَنُؤْتِيهِمْ﴾ (من سورة النساء: 162). فإن المفعول إذا قَدِّمَ على فعله والفعل علق بضمير يرجع إلى المفعول جاز في المفعول المقدم وجهان: النصب والرفع على الابتداء، فهكذا هنا.<sup>1</sup>

#### شرح الوجوه النحوية:

وكثيراً ما يرى من يدرس هذا التفسير أنّ صاحبه رحمه الله يبيّن الوجوه النحوية أثناء التفسير. ربما يشرح أدوات الشرط ومواضعه التي تستعمل فيها وغيرها من أدوات النفي وغيره إذا وردت هذه الأدوات في معنى آخر، كما في تفسير الآية ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ (سورة الأنبياء: 31) أوضح استعمالات كلمة «أن».<sup>2</sup>

ويقول في تفسير الآية ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة البقرة: 91): [أي لستم بمؤمنين. الشرط يستعمل على وجوه. وفيه دلالات جمّة: .... ومنها إظهار الإنكار من القائل، مثلاً قوله تعالى: ﴿يَتَسَمَّيَا بِأُمْرِكُمْ بِهِزَ إِيْمَانِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة البقرة: 93) أي لستم بمؤمنين، فإن إيمانكم يأمركم بالسوء. وهذا المثال يجمع الدالّتين (أي إلزام أمر بإقرار المخاطب، وإظهار الإنكار من القائل) وتشدّ إحداها الأخرى. وفيه إشارات جمّة]<sup>3</sup>

شرح الضمائر والمراجع:

كما ترى المؤلف يفسّر بعض الضمائر، وهذا قليل، بذكر ما تعود إليه. ومثال ذلك ما تراه في تفسير الآية ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾ (سورة البقرة: 132)

<sup>1</sup> المصدر نفسه (سورة النساء)، 139/1 - 140

<sup>2</sup> المصدر نفسه (سورة الأنبياء)، 412/1

<sup>3</sup> المصدر نفسه (سورة البقرة)، 40/1

فالضمير في كلمة (بها) يرجع إلى الملة أو بتلك الكلمة. وأتى بكلمة (بنيه) بعد يعقوب تبياناً للعطف؛ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب بنيه.<sup>1</sup>

أما مصدر المؤلف ومرجعه في بيان التفسير وشرح الألفاظ فهو مفردات القرآن، والقائد إلى عيون العقائد، ودلائل النظام وهذه الكتب الثلاثة للمؤلف نفسه، وأساس البلاغة للزمخشري على الأكثر وبعض الكتب الأخرى كما ترى في الحاشية.

الانتقاد على بعض المفسرين:

ومن يدرس هذا التفسير يطلع على أن المفسر رحمه الله ينتقد في بعض الأحيان بعض المفسرين الآخرين كما انتقد على الشاه عبد القادر رحمه الله في ترجمة قوله تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ (سورة النساء: 162) وظن أن "المقيمين" منصوب على المدح كما قال سيبويه. ولكن المراد بالمخصوص بالمدح هو ما يقدر قبله "يعني" فهو المنصوب بهذا المقدر<sup>2</sup>، كما ينتقد لذكرهم بعض ما هو باطل من الأقوال أو الروايات أو ما لا يجدر به الذكر من الإسرائيليات. ومن هذا الأمر يتجلى لنا أن المؤلف لم يكن يحب ولا يعتني بذكر الروايات من غير فائدة، وإنما قصده الإيجاز في كل ما يذكر في تفسير القرآن إذا كان فيه فائدة لعامة الناس حتى لا يزلوا عما يفيد إلى ما لا فائدة فيه.

بيان الاختلاف في تفسير الآيات:

وفصل المؤلف الكلام في بعض الأحيان في آية ورد في تفسيرها اختلاف، وينهي الكلام بقوله كما ترى في تفسير الآية ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ (سورة الحجر: 87). ابتدأ تفسير الآية وانتهى بقوله، وذكر القول المشهور في السبع المثاني أنها سبع آيات الفاتحة. وهذه التأويلات على فرض صحة ذلك الحديث،

<sup>1</sup> المصدر نفسه (سورة البقرة)، 47/1

<sup>2</sup> المصدر نفسه (سورة النساء)، 139/1



لكن من المحتمل أيضاً أن يكون المراد بالسبع هي السور السبع دون الآيات لتعينات آخر، مثل سبع أل حم، أربع عشرة من سورة البقرة إلى سورة الحجر.<sup>1</sup> وكذلك الأمر في تفسير كلمة (المقتسمين) و(القرآن) في نفس السورة ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ٩٠ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ٩١﴾ (سورة الحجر: 90، 91). فيقول في كلمة (الْمُقْتَسِمِينَ) نقلاً عن الإمام الرازي يذكر روايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما: أولاهما أنهم الذين اقتسموا طريق مكة يصدون عن الإيمان. وثانيتهما أنهم هم اليهود اقتسموا القرآن بأنهم قالوا نؤمن بما يوافقنا ونكفر بما يخالفنا. وعندني، والله أعلم أنهم اليهود اقتسموا قرآنهم فجعلوه عضين ليلبسوا الحق كما تعلم من النظر في كتبهم، ثم قال: [والقرآن يطلق على كتب الله، كما قال في سورة الرعد الآية: 31، وأي آخر. وهكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما]<sup>2</sup>

ربما يفصل المؤلف الكلام في تفسير آية من عند نفسه تفصيلاً حتى يتبين الأمر. يتحير الناس في اختيار الأمور بين الصلح والفساد، يغلط العقل مرة ويغلط الفؤاد أخرى، ولكنهما يتحدان في بعض الأحيان في اختيار الشر والإيقان بالباطل. ويبيّن المؤلف أنّ القرآن الكريم قد دلّ على هذه الأصول كلها في الآية الكريمة ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ٢٣﴾<sup>3</sup> (سورة النجم: 23).

وكما يفسر أسباب الشرك قائلاً: [أصل الشرك عمد التعقل، وأصله العكوف على الدنيا. وأصل ذلك عدك الإحساس بإحسان المنعم واعتراف المنّة، وذلك أصل الكفر والظلم والاستكبار السيئ، وإذ لا يسمعون فالإعراض عمن أعرض أنفع].<sup>4</sup>

<sup>1</sup> المصدر نفسه (سورة الحجر)، 337/1.

<sup>2</sup> المصدر نفسه (سورة الحجر)، 338/1.

<sup>3</sup> المصدر نفسه (سورة النجم)، 299/2.

<sup>4</sup> المصدر نفسه (سورة النجم)، ص 301.

بيان الكلمات المترادفات:

وكذلك يفرق بين الكلمات القريبة المعاني في القرآن الكريم، وينقل كلام العلماء فيها، ويرد عليه إذا كان الفرق مخالفاً للنصوص الشرعية، ومنها الرسول والنبي، فيبين الفرق قائلاً: "فرقوا بين النبي والرسول بأن الرسول صاحب الشريعة، والنبي يتبع شريعة من كان قبله. ولكن القرآن يبطل هذا الرأي. وأظن أن الرسول من أرسل إلى قوم وإن لم يكن نبياً كرسل عيسى المذكورين في سورة يس.<sup>1</sup>

خاتمة:

ولم ينس الإمام الفراهي النظم في آخر القرآن فذكر بكل عناية ما يربط سورة الناس بسورة الفاتحة. يقول في تفسير سورة الناس: ابتدأ القرآن بالاستعاذة وختمه بها. ثم يفصل أقسام الوسواس وينهي التفسير بقوله: هذه أبواب الشرك، فدل على دلائل التوحيد من الآيات الدالة على الربوبية والملك والألوهية. وذلك يجمع الأمانة بالسوء والساهية عن الذكر. وهكذا ذكر النظم والرباط بين فاتحة القرآن وبين نهايته.

هذا هو منهج الإمام الفراهي في تعليقاته والذي بينته مع الأمثلة كل أهم ومهم على سبيل الاختصار، سواء يتعلق ذلك بالبلاغة أو النحو أو الدلالات اللفظية والاستعمالات اللغوية لأدوات النفي والشرط وغيرهما. وما قصدت الكمال في هذا العمل ولا بلغته فإن الكمال لله الواحد القهار. وأحتسب من الله العزيز أن ينفع بهذا الكتاب الأمة الإسلامية إلى يوم الدين، ويجعله في ميزان حسنات الإمام الفراهي، ويتجاوز عن زلاته القلمية وأخطائه البشرية، إنه هو الغفور الرحيم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

<sup>1</sup> المصدر نفسه (سورة النساء)، 140/1

## قراءة في رسائل في علوم القرآن

(المجموعة الثانية لرسائل الإمام عبد الحميد الفراهي)

- د. عرفات ظفر الأعظمي<sup>1</sup>

إن الإمام عبد الحميد الفراهي -رحمه الله- (1863-1930 م) كانت له أعمال علمية جلية في مجالات علمية مختلفة، ولكن اشتغاله بالقرآن الكريم وعلومه جعله ممتازاً حتى اعترف به كل من اطلع على كتاباته وأمعن النظر فيها، سواء في ذلك العرب والعجم. فصدر من مؤلفاته "إمعان في أقسام القرآن" و"الرأي الصحيح في من هو الذبيح" من دار القلم بدمشق، وأخيراً طبع كتابه "مفردات القرآن" وتفسيره المسمى بـ"نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" في مجلدين من دار الغرب الإسلامي في بيروت وتونس، وسوف تصدر في القريب العاجل -إن شاء الله- الأعمال الكاملة للإمام الفراهي من نفس الدار لأن صاحبها الشيخ الحاج الحبيب اللمسي (رحمه الله)<sup>2</sup> الذي لقيته أثناء زيارة في الرياض، وجدته مولعاً بمؤلفات الفراهي ومعتزلاً بعبقريته.

إن الثروة العلمية التي تركها العلامة الفراهي ورائه، لم تر النور حتى بعد مضي عقود من الزمان على وفاته، فقد قام الشيخ بدر الدين الإصلاحي -رحمه الله- قبل

<sup>1</sup> أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة لكتناؤ، لكتناؤ، الهند

<sup>2</sup> الحاج حبيب مسعود اللمسي (1930-2017 م) ولد بتونس وتلقى العلوم الشرعية في جامعة الزيتونة، ثم خاض في مجالات مختلفة وأخيراً أتقن مهنة النشر وأسس "دار الغرب الإسلامي" في عام 1979 م بتونس ولبنان ونذر نفسه وماله وصحته للكتاب ونشره وتميز بنشر أهم كتب التراث العربي والإسلامي حتى اشتهر بلقب "شيخ الناشرين العرب". إنه قام بنشر أعمال بعض أعلام الهند ومنهم عبد الحميد الفراهي والعلامة عبد العزيز الميمني والشيخ أبو محفوظ الكريم معصومي، وكان له ولع شديد بالكتب القيمة والمخطوطات النادرة، فكانت عنده خزانة كتب نفيسة. انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم 18 من شهر مايو عام 2017م

مدة من الزمان بجمع ونشر بعض رسائل الفراهي القرآنية، إلا أن الفضل في جمعها وترتيبها وطبعها من جديد في هذا الزمان يرجع إلى حفيد الإمام، الأستاذ الدكتور عبيد الله الفراهي، رئيس قسم اللغة العربية بجامعة لکناؤ سابقاً، فجزاه الله خيراً وأطال عمره لخدمة دينه وكتابه العظيم - فنحن مدينون له لكتب الإمام الفراهي؛ لأنه نذر حياته كلها لنشر أفكار الإمام الفراهي وآثاره، وأعانه في ذلك الشيخ أمانة الله الإصلاحي، أستاذ اللغة العربية وعلومها في نيجريا سابقاً والدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي، باحث ولغوي كبير نزيل الرياض - السعودية - حالياً، حفظهما الله تعالى ورعاهما.

أما هذه المجموعة فهي ثمانية اثنتين لمجموعات رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن،<sup>1</sup> وقد تم نشرها في عام (2011م) من الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح في محافظة أعظم جراه (الهند)، وتشتمل على ثلاث رسائله في علوم القرآن، وهي كالتالي:

**الأولى: الرائع في أصول الشرائع.**

**والثانية: إحكام الأصول بأحكام الرسول.**

**والثالثة: الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ.**

وفي السطور التالية حاولت أن ألقى بعض الأضواء على أهم مباحث هذه الرسائل الثلاث، لكي يتعرف بها المشتغلون بعلوم القرآن وتفسيره، والمهتمون بأعمال العلامة الفراهي وآثاره، ولكي يستفيد منها طلاب الخير والمعرفة ويتيسر فهم القرآن والعمل به.

<sup>1</sup> أما المجموعة الأولى من رسائل الفراهي في علوم القرآن، فقد صدرت أولاً بمناسبة الندوة العالمية حول حياة وأعمال الإمام الفراهي، التي انعقدت في (مدرسة الإصلاح) في شهر أكتوبر (عام 1991م) وإنها أيضاً تشتمل على الرسائل الثلاث، وهي نظام القرآن وأساليب القرآن والتكميل في أصول التأويل.

وبادئ ذي بدء أود أن أوضح أن هذه الرسائل الثلاث في الحقيقة رسائل غير مكتملة، وُجِدَت في أوراق ومسودات الإمام الفراهي في صورة مذكرات وملاحظات، ولم يوفق المؤلف - رحمه الله - لإتمامها، وكان من عادته أنه كان يكتب مذكرات وملاحظات حول موضوعات مختلفة في آن واحد، فكلما خطر بباله نقطة أو لمعت في ذهنه فكرة، ثبتها على ورقة، فمعظم رسائله عبارة عن تلك المذكرات والملاحظات، وبهذا السبب لا نجد أحياناً في مباحث هذه الرسائل ترتيباً منطقياً أو ارتباطاً حيوياً؛ ولكنها مع هذا كله نافعة جداً لفهم القرآن وتوضيح حكمة الشريعة.

ومن العجيب أن هذه المجموعة الثانية خالية من أي تعريف وتقديم أو كلمة جامع، إذ كان مسؤولية القائمين بجمعها ونشرها أن يكتبوا مقدمة أو يضيفوا إليها كلمة ضافية، لكي يطلع على حقيقة هذه الرسائل ونوعيتها من هو غير مطلع على تفاصيل رسائل الإمام الفراهي وطريقة تأليفه وما تجشموه من عناء في جمع هذه الأوراق والمذكرات، وإعدادها بهذا الشكل. ولعل الجامع رأى أن تطبع هذه الرسائل بأسرع وقت مستطاع، وتصل إلى أيدي القراء الكرام بدون أي تأخير مزيد؛ لأن الطلب كان يتزايد يوماً فيوماً من قبل أصحاب العلم والفضل، والمهتمين بأفكار الإمام الفراهي وآثاره، وكذلك يبدو من دراسة هذه المجموعة أن بعض كتاباتها ومباحثها المتعلقة بمواضيع هذه الرسائل مأخوذة من تفسير الإمام الفراهي ورسائله الأخر.

على كل حال، إن الرسالة الأولى التي تتكون منها هذه المجموعة الثانية لرسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن سمّاها المؤلف "الرائع في أصول الشرائع" وإنها تبحث في الأصول والحكم في الشريعة الإسلامية.

ومن المعلوم أن الشريعة الإسلامية وغيرها من الشرائع السماوية الأخرى منزلة من الله - عز وجل - فلا بد أن يكون وراء كل حكم من الأحكام الشرعية أصول معينة وحكم خاصة، ولكن الاطلاع عليها والوقوف بها أمر صعب؛ إذ الحقيقة هي أن العبد إذا عرف هذه الحكم والمصالح للأحكام الشرعية يزداد إيماناً بها وشوقاً إليها، ومن خلال هذه

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

الرسالة حاول الإمام الفراهي أن يوضح الأصول ويبرز الحكم المتواجدة في أحكام الشريعة الإسلامية، مع أنه لم يقدر له إتمام هذه الرسالة، وتشتمل هذه الرسالة على إفاداته ومذكراته فقط، إذ هي أكثر الرسائل ضخامة في هذه المجموعة.

وقد تناول المؤلف في هذه الرسالة من الموضوعات مثل حاجتنا إلى الشرائع وإلى معرفة أصولها وموضع الشرائع على عمومها، وعلاقتها بالإيمان، وأصل العبودية والتقرب إلى الله، لنعلم حكم التكليف بها.

وإضافة إلى ذلك أنه ألقى الضوء على مواضيع مثل أصول التشريع، وبناء وجوب الشرائع، ووضع الحدود والتعزيرات، والحكمة في ترك التسارع في بعض التفصيل، وموضع الصلاة في الدين قائلاً "إن الصلاة أول الشرائع ومظهر التوحيد والشهادة به" وبين الحكمة وراء أعداد الصلاة وأوقاتها وركعاتها، وأتى بإفادات قيمة وحكم جمة، وفي هذا السياق له قول ممتع في الأعداد وأهميتها في الدين والشريعة، وجاء بآيات عديدة من القرآن الحكيم، وأوضح فيها أهمية العدد. وفي صدد ذلك أوضح أن أوقات صلاة الأنبياء السابقين كانت توافق مواقيتنا، واستدل عليها بما جاء في الزبور، كما بين أهمية القبلة وحكمتها، وأوضح أن الكعبة أول قبلة، وكانت قبلة اليهود أيضاً، وذكر السورة التي قرأها النبي الكريم ﷺ في الصلوات، وفصل القول في مسئلة قصر الصلاة في السفر.

ومن المعروف أن المسلمين عامة، وفيهم العلماء أيضاً، يرون أن الصلاة مجرد عبادة لله - عز وجل - ولكن الإمام الفراهي - رحمه الله - يختلف في رأيه عن هذا القول السائد، فيقول: "قد ذكرنا في مواضع من وجوه الصلاة، وههنا نذكر وجهًا خاصًا، وهو أن الصلاة صورة للنظم السياسي، وطرف من الإسلام، وهو الطاعة الكاملة والانقياد فنجعل إمامًا نتبعه في كل مسجد، ثم نتخذ إمامًا للجامع، ثم للعيد، ثم للحج، فانتظم بالإمام الواحد جامع إسلامي ديني، وبعضهم فوق بعض".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> رسائل في علوم القرآن للإمام عبد الحميد الفراهي، المجموعة الثانية، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، أعظم جراه، الهند، عام 2011، ص 21

ونرى أن الفراهي جاء في هذه الرسالة بمواضيع تتعلق بالفقه الإسلامي والحديث النبوي الشريف، فتحت عنوان "شدة حاجة التفقه في فهم الأحاديث" يقول: "قد يترك الراوي أهم شيء في الحديث، فلا يتبين صحيح المعنى، ولكن إذا كثرت الرواية لأمر واحد يوضح بعضها بعضاً، ولكن من أين لنا بالكثرة في كل واقعة؟ وقد بقي اختلاف الرأي في الصحابة - رضي الله عنهم - لما أن بعضهم أخذ ببعض الروايات وبعضهم بأخرى في واقعة واحدة، وترك الخصوص أكثر، وترك الاستناد منه أعسر، وترك ما يفهم من الكلام أيسر، وقد بني لسان العرب على ترك الفضول، ولكنه ربما يشكل على غير عارف بلسان العرب وإيجازه".<sup>1</sup>

فقد كثر الخلاف بين الأمة في مسألة الإجماع والتقليد والنظر، ونرى أن الفراهي لا ينكر الإجماع البتة، ولم يعطه من الأهمية والوسعة الذي يجعله من العوائق في سبيل الاجتهاد، فيقول: "لا شك أن لإجماع الأمة لا سيما السلف الصالح شأنًا عظيمًا، ولكن في الإجماع المطلق التباسًا، ولذلك أنكره بعض فرق الإسلام كالمعتزلة والإمامية".<sup>2</sup>

ولا شك في أن الاجتهاد ضرورة لكل قوم حي، يطمح إلى المعالي، ويعتزم على القيام بأعمال جسام، ونرى أن الإمام الفراهي، خلافاً لما ذهب إليه عامة العلماء، يرى الاجتهاد من ضرورات كل عصر، فيقول في هذا الصدد: "معرفة أدلة الأحكام وحكم العقائد واجبة على الأمة كفاية، ولا بد لها من مجتهد في كل عصر، فإن وجوه المسائل غير محدودة، والجهل لا يؤمن شره".<sup>3</sup>

وقام المؤلف - رحمه الله - في هذه الرسالة بالمقارنة بين الشريعة الإسلامية السمحاء والشرائع السماوية الأخرى المحرفة، تحت عنوان "مقابلة شرائعنا بشرائع من قبلنا من الطائفتين" وأزاح الستار عن الزيغ والضلال والتحريف في الشريعتين السابقتين، وأوضح فضيلة هذه الشريعة الأخيرة.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 61

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 69

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 94

والجدير بالذكر أن هذه الرسالة المسماة بـ"الرائع في أصول الشرائع" تشمل مبحثاً للإمام الفراهي، كتبه ردّاً على استفسار العلامة شبلي النعماني -رحمه الله- بعنوان "حكمة بعض الشرائع المتعلقة بفرائض الزوجين" فيقول في نهاية هذا المبحث: "ولم أكن لأرسل هذه النبذة المختلصة من مضائق الفرصة إلى أحد؛ لأنني لا آمن على نفسي الزلل فيما استعجل به القول في التفسير له خطر عظيم، ولكني إذا أرسله إلى حضرة الأستاذ، لا أخاف زلاتي لكمال إصابة رأيه وصحة نقده، فيميز السمين من غثه والمتين من رثه".<sup>1</sup>

وعلاوة على ذلك بيّن "علة نقص نصيب المرأة" قائلاً: "المرأة جزء من المرء من جهة، ولا تترك إلا في حفظ المرء، ويلزم على الرجال حفظ النساء والمواساة لهن، لأنهن حملن خدمة عظيمة من تربية الإنسان، فخفف عنهن، وحمل الرجال مؤنة احتياجهن، ولذلك للرجال نصيبان: لهم ولهن، فالنساء لا يستوعبن المتروك".<sup>2</sup> كما أوضح في نهاية الرسالة أن العقيقة هي الضحية، فالعقيقة تجري منذ زمن إسماعيل -عليه السلام- حتى جاء الإسلام وأبقاه.<sup>3</sup>

فما من شك في أن هذه الرسالة تحتوي على مطالب مهمة ونقاط علمية وأسرار شرعية، وهذه كلها نافعة جداً للمشتغلين بعلوم القرآن وأسرار الشريعة، وههنا اكتفيت بالإشارة إلى بعض منها.

أما الرسالة الثانية التي تحويها هذه المجموعة الثانية، فسماها المؤلف -رحمه الله- "إحكام الأصول بأحكام الرسول". وهذه الرسالة تتكون من جزئين: أما الأول، فعنوانه إحكام الأصول بأحكام الرسول، والآخر في بيان أسباب النزول.

ويبدو أن الجزء الأول من الرسالة لا يتعلق بعلوم القرآن؛ بحيث يشتمل على مبحث من علم أصول الفقه، ولكن الواقع أن الرسالة بجزئها لها علاقة وثيقة

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 84

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 90

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 104



بعلوم القرآن؛ فإن الجزء الأول يدل على أن الرسول ﷺ كان يستنبط الأحكام من القرآن الكريم، فمعرفة هذه الاستنباطات وطرقها وكيفيةها من مباحث علوم القرآن، ولم يعتن العلماء السابقون به اعتناءً كافياً، والجزء الثاني لا يحتاج إلى قول قائل؛ فإنه من أهم أبواب علوم القرآن.

وهذه الرسالة تبدأ بمقدمة تشتمل على الحكم والفوائد التي تحصل بمعرفة طرق استنباط الرسول ﷺ، فيذكرها الفراهي أولاً بقدر من التفصيل، ثم يلخصها قائلاً: "وإن شئت سرد ما قد ذكرناه من فوائد العظيمة، فاعلم: (1) أن فيه تأسيساً لعلم أصول الفقه الذي يعم الشرائع والعقائد، وهو المعنى الأعلى للفقه، وبه يتم التأسي بالرسول فيما علمنا من الكتاب والحكمة، (2) وأن فيه اعتصاماً بعروة وثيقة في تأويل الكتاب بنفس الكتاب، (3) وأن فيه كشف قناع عن رفيع منزلة الرسول وعلو محل كتاب الله الحكيم العلامة، (4) وأن فيه رفع نزاع من بين العلماء في تطبيق السنة بالكتاب، (5) وأن فيه إطاعة لما أمرنا الله به من الرجوع إلى الله والرسول عند التنازع، (6) وأن فيه خروجاً من اختلاف ربما يفضي إلى خلاف -أعاذنا الله منه- وهو الغاية التي يجري إليها أكثر ما أصنّف، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، وإياه أدعو وهو نعم المجيب".<sup>1</sup>

فقد بسط الإمام الفراهي الكلام في هذا الموضوع، وأكد أن النبي ﷺ كان يستنبط من القرآن الكريم، ففي بعض الأحيان صرح الرسول ﷺ بأنه حكم الكتاب، وحيثاً آخر لم يصرح فيه، ولكن وجه استنباطه من الكتاب ظاهر على العارف بدلالات الكلام، والقسم الثالث فيه ما لا نجده في الكتاب، ولكن الزيادة به محتملة، فجعلنا السنة فيه أصلاً مستقلاً لأن الله تعالى أمر الرسول ﷺ بالحكم بما يريه الله تعالى سواء كان بالكتاب أو بالنور والحكمة التي ملأ الله بها قلبه، وهذا القسم الثالث أيضاً مأخوذ من القرآن، ولكنه مكنون.

فخلاصة القول: إن الله هدى نبيه بالقرآن من جهة مكنونة أيضاً وهذا ما أشار الله عز وجل بقوله "وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا، ما كنت تدري ما الكتاب

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 112

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم (الشورى: 52) فأحيى الله قلب نبيه ﷺ بهذا الروح، وهداه بهذا النور، فعلمه ما لم يكن يعلم.<sup>1</sup>

ثم استدل المؤلف على موقفه بقول الإمام الشافعي "إن فتاوى النبي ﷺ كانت مستنبطة من القرآن" وأن الشافعي - رحمه الله - استدل في ذلك بقوله تعالى "فاحكم بينهم بما أنزل الله".<sup>2</sup>

ثم يقول المؤلف: "سواء صح هذا الاستدلال أو لم يصح، لا شك أن النبي ﷺ كان يستنبط من القرآن، وذلك بدا لي من مطابقتٍ وجدتها بين قول النبي ﷺ والقرآن، والآن نذكر منها، فنقدم بعضًا منها على سبيل المثال:

1. قول النبي ﷺ: "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم" أصله في القرآن: "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه" (التوبة: 100)
2. جاء في الحديث الشريف أن "الكلمة الطيبة صدقة" فهذا مستفاد من الآية: "قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى" والآية: "فارزقوهم منه وقولوا لهم قولًا معروفًا".

هذه بعض الأمثلة من استنباطات الرسول ﷺ من القرآن الكريم وهناك أمثلة أخرى ذكرها الفراهي في هذه الرسالة بقدر من التفصيل، ومنها حديث موسى وحديث السبع المثاني وأحاديث الرضاع، وأحاديث تحريم الجمع بين المرأة وأختها وعمتها وخالتها، وأحاديث الرجم وتغريب عام، وهذه كلها مستنبطة من القرآن الحكيم.

ويختم الفراهي هذا المبحث بذكر "أصل راسخ" وهو حكمة الله - عز وجل - في الشريعة وأحكامها، فالرسول ﷺ كان يعرف هذه الحكم معرفة كاملة، وأحكامه

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 113-114

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 126

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

كانت مبنية على رعاية هذه الحكم التي ذكرت في القرآن صراحة أو بدونها، وفي نهاية هذه الرسالة أضاف المؤلف رسالة من عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري-رضي الله عنهما- وهذه الرسالة مملوءة بالحكم والمعارف.

أما الجزء الثاني لهذه الرسالة: -كما سبق ذكره- فهو ما سمّاه المؤلف بـ"أسباب النزول" ويتعلق بكتاب أحكام الأصول بأحكام الرسول، ومن المعلوم أن أسباب النزول لها أهمية كبيرة في فهم القرآن وتفسيره، وقد ألف العلماء في هذا الموضوع قديماً وحديثاً، وبالرغم من كثرة التأليف في هذا الموضوع لم تحل المشكلة بعد، وكثيراً ما يحدث أن يكون سبب نزول الآية حجاباً دون فهم مطالب نفس الآية، بدلاً من أن يكون عوناً في ذلك، مع أن الإمام الفراهي لم يكمل خطته في هذا الموضوع، إلا أنه قدّم معالم واضحة وأفكاراً نيرة في هذا الشأن.

فبدأ المؤلف الكتابة في هذا الموضوع وجاء بنقاط مهمة، ومنها "وجوه الضلالات من التسامح في أخذ أسباب النزول"، ويذكر في ذلك وجوهاً ثلاثة، أولها: أن السبب الباطل ربما يغيّر المعنى ويبطله، وقد حفظ الله كتابه، وآيس المبطلين من تحريفه، فلم يجدوا سبيلاً إلى الإضلال إلا باختلاق القصص وضّمّها بمواقع نزول الآيات، ولذلك أمثلة كثيرة، وثانيها: أن السبب الباطل حجاب على نظم القرآن، فإن القصص الباطلة كثيراً ما تخالف نظم القرآن..... فالذي يتشبهت بمحكم القرآن وينظمه لا يزعه القصص الباطلة التي سمّوها أسباب النزول تسمية باطلة. وثالثها: أن الأسباب الباطلة سدّ دون فهم القرآن، فإن ضعفاء العقول زعموا أن الروايات الضعيفة أوثق من مجرد الرأي، فيتركون ما يفهم من ظاهر القرآن، ويقبلون ما هو أضعف رواية ودراية".<sup>1</sup>

إن الإمام الفراهي تحدث بإسهاب عن حد أسباب النزول وتعريفها وشدة الحاجة إلى معرفتها، واختلف كثيراً في هذا الباب عما هو شائع في أوساط المفسرين فيقول: "ليس المراد من سبب النزول ما لأجله نزل الوحي، إنما هو شأن الناس

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 128

وأمرهم والحالات والوقائع التي بينها وبين ما نزل نسبة، وهذا هو معنى السبب في الصحيح من كلام العرب، ولذلك كانت العلماء يذكرون كل ما يتعلق بمضمون الآية ولكن المتأخرين لم يفهموا منه إلا معناه المولد، فضاق عندهم فحواه<sup>1</sup>.

وبعد إلقاء الضوء على موقفه من أسباب النزول استعرض المؤلف آراء الإمام الزركشي، والشيخ الواحدي، والعلامة السيوطي في هذا الخصوص، ونبه على ضعف أقوالهم، ورد على الإشكالات التي تنشأ بسبب الاختلافات في الروايات في هذا المجال، ويعرض من قبله حلاً جميعاً لمثل هذه الإشكالات والتعارضات، ويقدم أصليين في هذا الصدد، فيقول: إن الاختلافات التي تنشأ في تأويل القرآن، لا يمكن أن تحل بدون رعاية لأصليين:

الأول: لا يعتمد إلا على رواية صحيحة،

الثاني: يستخرج شأن النزول من سياق الكلام ونظمه<sup>2</sup>.

إن موقف الفراهي في أسباب النزول يحلّ تلك الإشكالات والتساؤلات التي تثار في هذا الموضوع، ومن ميزته أنه يبحث عن شأن النزول في القرآن نفسه، وبذلك لا يمكن أن يخرج الكلام من ظاهره، بل يكون تعيين الكلام بسياقه ونظمه، ولا يعينه شيء آخر، كما أنه يعتمد على الصحيح من الروايات في سبب النزول.

فقد عالج الإمام الفراهي في هذه الرسالة مسألتين مهمتين، وإن لم يقدر له إتمامهما، إلا أنه قدّم نقاطاً لطيفة وآراء مفيدة جداً في الموضوعين، وهذه كلها بأسلوب رائع وبلغة فصيحة، فهذه الرسالة تستحق عناية الباحثين واهتمام الدارسين.

الرسالة الثالثة والأخيرة من هذه المجموعة هي التي يعنونها المؤلف -رحمه الله- بـ"الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ"، وتستوعب هذه الرسالة مطالب مهمة ومباحث قيمة ومذكرات متفرقة من علم الناسخ والمنسوخ، وبالإضافة إلى ذلك إنها تشتمل على تعليقات قام بها الفراهي على كتاب "الناسخ والمنسوخ" لأبي جعفر النحاس.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 129

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 135

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

إن موضوع النسخ والمنسوخ من أهم مباحث علوم القرآن، واختلفت في هذه القضية أقوال العلماء والمفسرين قديمًا وحديثًا، وكتب كثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين حول هذا الموضوع، ومن العلماء الهنود ناقش هذه القضية الإمام الشاه ولي الله الدهلوي والسير سيد أحمد خان أيضًا.

فقد بدأ الإمام الفراهي التأليف في هذا الموضوع حسب مشروعه التفسيري العظيم، ولكن لم يتم وفق خطته ومنهجه، فهذه الرسالة ليست إلا بعض الإشارات والنقاط في هذا المجال.

وفي بداية هذه الرسالة أعطى المؤلف خطة وضعها للكتابة حول هذا الموضوع وحسب خطته تنقسم هذه الرسالة إلى بابين: الباب الأول في الكليات، والثاني في آيات تتعلق بالنسخ، وتحتمل فصول وعناوين فرعية متفرقة، وأول ما نلاحظ في هذه الرسالة النقطتان المهمتان، وبهما يتضح موقف المؤلف من هذه القضية، فيقول: أولًا - غير القرآن لا ينسخ القرآن، وثانيًا - أن النبي ﷺ فصل ما كان محكمًا، وأفتى مستنبطًا من القرآن في أمور كثيرة، وفيما ليس فيه قرآن ترك سنة واضحة. فاتضح من النقطة الأولى أن الآيات القرآنية لن تنسخ من غيرها من السنة والإجماع، كما تبين من الثانية أن السنة كلها مأخوذة ومستفادة من القرآن ولا يمكن أن يزيد عليه الرسول ﷺ شيئًا يخالفه.

وتحت عنوان "أصول تتعلق بالنسخ" يقول الإمام الفراهي: رأيت اختلافًا شديدًا بين العلماء في أمر النسخ، فمنهم من يوسع، ومنهم من يضيقه، ومنهم من ينكره، ربما يؤول اختلافهم إلى نزاع لفظي، فلا بد من بيان أصول بينة<sup>1</sup>.

فوضع المؤلف أصولًا أربعة لحسم هذا الخلاف وهي كما تلي:

الأصل الأول: لا يصار إلى إبطال الحكم إذا أمكن التوفيق بين عام وخاص أو مفصل ومجمل، أو زائد ومزيد عليه.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 146

الأصل الثاني: يصار من الحسن إلى الأحسن عند التفاوت الثابت عقلاً، ولقوله تعالى "ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها" (البقرة: 106).

الأصل الثالث: الشريعة تتزايد تمامًا بالتدرج، والتدرج من السهل إلى الصعب أرفق وأسهل، فإن كان خلاف ذلك فلمصلحة وحكمة وخاصة، ولا بد من بيان ذلك في الكتاب.

الأصل الرابع: دلالة في نفس الكلام على تعيين الناسخ والمنسوخ.<sup>1</sup>

فهذه الأصول الأربعة مهمة جدًا، ومن الذي راعى هذه الأصول يرى أن كثيرًا من الخلافات التي تنشأ في هذا الباب تنتهي تلقائيًا بمراعتها فقط.

وقد قسم الإمام الفراهي النسخ في نوعين: أولهما: نسخ الشرائع السابقة وآخرهما نسخ بعض أحكام القرآن ببعضها، ثم يذكر بأن الأول أهم وأكبر من الثاني وقد غفل عنه أكثر المفسرين، وبعدئذ يقول:

"إن الله تعالى بين لنا في القرآن أنه مصدق لما أنزل من قبل، ومع ذلك مهيمن عليه،..... فأنزل الله تعالى فيه قسمين من النسخ: الأول: بتشريع ما هو خير من الحكم السابق، ليرتقي به الإنسان، والثاني: برد ما نسوه من أصل شريعتهم".<sup>2</sup>

ويقول الإمام الفراهي تحت عنوان "نسخ بعض أحكام القرآن ببعضها" إن القرآن كما نسخ بعض أحكام الشرائع السابقة، نسخ بعض ما نزل على هذه الأمة في أول الأمر، ويستدل بأن الأصل واحد، فإنه كما أن لنوع الإنسان سموًا وصعودًا طبقًا على طبق، فكذلك للأمة الواحدة منهم سير وسلوك، والذي أنكر النسخ في هذا الدين فإنما أخذ للنسخ معنى خاصًا محدودًا".<sup>3</sup>

فالواضح من قول المؤلف أنه يستعي التدرج في الشريعة نسخًا، ويزداد الأمر وضوحًا حينما ننظر في الأمثلة التي ذكرها من تحريم الخمر وعدد المقاتلين، فإنه يقول:

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 146-147

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 157-158

<sup>3</sup> المصدر نفسه، 157

"ولا شك في أن كثيراً مما سقاه العلماء نسخاً ليس إلا زيادة على الحكم السابق، كتحريم الخمر بالكلية بعد أن حرم أن يقربوا الصلاة وهم سكارى، أو كتخفيف عدة المقاتلين بعد أن دخل في الإسلام كثير ممن لم يبلغوا مقام السابقين منهم وضعفت أحوالهم".<sup>1</sup>

ثم يقول الفراهي: إن النسخ لا يخلو من حكمة، وهي كما يتبين من القرآن اثنتان: الأولى -هي ابتلاء العباد ليتفرق المحسن من المسيئ، والثانية -هي هداية الناس إلى الصراط المستقيم، ثم يذكر فوائد النسخ، وهي، كما عدّها في هذه الرسالة، خمسة، وأضاف قائلاً: إن حكمة الابتلاء باقية بعد ختم النبوة في إبطال البدع والأهواء، فيجب على علماء هذه الأمة أن يردوا الأمة إلى كتاب الله والسنة الراشدة، كما أنه رد في هذه الرسالة على من أنكر النسخ في القرآن.

وفي نهاية المطاف ذكر المؤلف قسمًا ثالثًا من النسخ، وذلك نسخ ما أدخلوه في الشريعة من المحدثات والمفتريات التي كثر وقوعها في الأديان، وكان أكبر هم الأنبياء إبطالها ورد الشريعة إلى أصلها، فإن أكثر أنبياء بني إسرائيل لم يأتوا بشريعة جديدة، والقرآن كثيراً ما نسخ من مفترياتهم في العقائد والأعمال، أما العقائد، فأمثالها: إن الله ثالث ثلاثة، وأن اليهود أبناء الله وأحباؤه، وأن الله تعالى استراح يوم السبت بعدما مسّه من اللغوب من خلق السماوات والأرض وما بينهما، وما إلى ذلك.<sup>2</sup>

وفي نهاية هذه الرسالة جاءت تعليقات قام بها الإمام الفراهي على كتاب "الناسخ والمنسوخ" لأبي جعفر النحاس، كما ذكرت في البداية، وهذا الكتاب من الكتب القديمة التي ألّفت في هذا الموضوع، لأن صاحبه قد توفي في عام 338 للهجرة. ومنهج الفراهي في التعليق على هذا الكتاب بسيط جداً، فيبدو كأنه يقرأ الكتاب ويعلق عليه آراءه القيمة، ففي هذه التعليقات نراه يخالف أبا جعفر النحاس، ويدلي بآرائه بالقوة والاختصار، وفيما يلي نقدّم بعض الأمثلة لهذه التعليقات.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 162-163

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 168-169

ص 20: باب ذكر قوله تعالى "كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون" (البقرة: 183) قال الفراهي: الآية عندي منسوخة، وذلك أن الله تعالى فرض صوم عاشوراء كما كان في التوراة، فلما حوّل القبلة وجعل فرقاناً بين المسلمين واليهود، وهدى المؤمنين إلى الصراط المستقيم، حوّل زمان الصوم من عاشوراء إلى شهر رمضان، وعاشوراء ليست بعاشوراء التي ابتدعوها في شهر المحرم، إنما هي في شهر يهودي حسب الحسب الشمسي.<sup>1</sup>

ص 21: "وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين" (البقرة) قال: كان الرجل يصبح صائماً أو المرأة في شهر رمضان، ثم إن شاء أفطر وأطعم مسكيناً، فنسختها..... قال الفراهي: "في شهر رمضان" هذا لا يثبت؛ فإن على الذين يطيقونه في الآية السابقة، هي في صوم عاشوراء.<sup>2</sup>

فالآن اكتفي بهذا القدر من النماذج، وإن دلّت هذه كلها على شيء فإنما تدل على أن للإمام الفراهي نظرة ثاقبة في فهم القرآن وتفسيره، ورسالته هذه المسماة بـ"الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ" من رسائله القيمة في علوم القرآن ومع أنها غير مكتملة تشمل مباحث قيمة، وإشارات دقيقة، وأفكار نيرة، ولغتها سهلة بسيطة لا غموض فيها ولا تعقيد، وهي في حاجة شديدة إلى دراسة جادة من قبل الباحثين والمشتغلين بعلوم القرآن وتفسيره.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 169

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 170



مع الإمام الفراهي في كتابه:

## القائد إلى عيون العقائد

- د. محمد عناية الله أسد سبحاني<sup>1</sup>

هذا الكتاب القيم النفيس، الذي يحلو لنا أن نتحدث عنه ونعرفه لإخواننا الأعزّة، هذا الكتاب من بنات أفكار الإمام العلامة عبد الحميد الفراهي رحمه الله، ومن أبنكار مخترعاته.

طرق فيه الإمام الفراهي الموضوعات الرئيسة في علم العقائد، وتناولها في ضوء القرآن الكريم.

وقبل أن يدخل الفراهي في صلب الموضوع مهّد لهذا العلم الجليل تمهيداً، وذكر له أسساً وقواعد متينة صارمة تضمن للسالك في هذا الطريق سديد الخطى، وكأنّه يمشي في رونق الضحى، وتضمن له الثبات على متن الجادة، والسير على واضح المحجة. وليس ذلك مقصوراً على كتابه هذا، فتلك عادته رحمه الله في سائر العلوم التي عُني بها، وتحدث عنها في كتبه، حيث نقّحها تنقيحاً، وتدارك ما فيها من نقص، وأقام ما فيها من أود، ووضع لها أسساً متينة، وقواعد علمية ثابتة حتى تتقدم تلك العلوم وتزدهر، وتنمو على الوجه الصحيح. فمن إفاداته رحمه الله:

### الإفادة الأولى:

"إن الله تعالى أمرنا بالإيمان بما بيّنه، وفطر عقولنا وقلوبنا بالقبول له، فلم يجعله مشتتاً لا في كتابه ولا في عقولنا، وهو جماع العقائد من التوحيد والرسالة والمعاد.

<sup>1</sup> كاتب هندي كبير للدراسات الإسلامية

ثم ذكر تفاصيل لهذه الأمور، منها ما لا سبيل إلى علمه إلا بالخبر، ومنها ما لا سبيل إلى تصويره لقصور علمنا وتجربتنا، فلم يكلفنا بتأويله بل رضي عنا بالإيمان الإجمالي، وردّ ما اشتبه إلى المحكم الذي بيّنه وشيّد، فالرسوخ في العلم أن تثبت على المعلوم، ولا تهالك على المظنون الذي يصوّره الظن والتخمين." (موضوع الاعتقاد - ص: 6)

فيرى الفراهي أنّ العقيدة في أصلها تدور حول التوحيد والرسالة والمعاد، ومن شأنها أن تكون بيئة واضحة لا غموض فيها ولا غبش، ولا التواء فيها ولا تعقيد. فقد بينا الله في كتابه بياناً واضحاً، وفطر عقولنا وقلوبنا بحيث تستوعبها وتدرّكها بكل يسر وسهولة، وتستعذبها وتسكن إليها.

هذا إجمال القول في العقيدة، وإذا دخلنا في التفاصيل، فهناك أمور لا يتوصل إليها إلا عن طريق الخبر، وهناك أمور يعجز العقل البشري عن تصورهما واستيعابهما، فليس المطلوب منا إلا أن نؤمن بهما إجمالاً من غير تعنت ولا تكلف، وليس من شأننا أن نتعب أنفسنا حرصاً على تفاصيلها التي لا تقدّم شيئاً ولا تؤخر.

#### الإفادة الثانية:

وقال الفراهي: "طريق العقل تشتمل على مسائل مخلوطة من اليقين والمشتبه. وأما طريق الوحي، فبيئة إذا لم يخالطها القياسات المظنونة، فلا بد من التوقف في كل ما لم يثبت من جهة صريح العقل ونص الوحي..." (موضوع الاعتقاد - ص: 6) فالفراهي لا يقبل الظن والتخمين في مسائل العقيدة، ولا يريد لها إلا قائمة على أرض اليقين، بعيدة عن المشتبهات كل البعد، ويوصي بالتوقف في الأمور التي لم تثبت بنص صريح من الوحي، كما يوصي بالتوقف في الأمور التي تخالف صريح العقل. فالعقل له مكان في شرع الله، ولا يمكن الاستغناء عنه بحال من الأحوال، وله دور لا ينكر في فهم دين الله وكتابه.

الإفادة الثالثة:

وقال الفراهي: "العقيدة ليست إلا ما يعتقده القلب، وذلك لا يكون اللفظ المحض، بل لا بد له من معنى، وأقل ذلك المعنى المجمل.

فأما الألفاظ المحضة كاليد والساق وغيرها، فلا تدخل في العقائد، والقول بهذه الألفاظ بدعة. إنما جاء الوحي بالجماليات، فلا نزيد عليها، فنقول: (يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) ولا نقول: إن الله تعالى يدًا وقدمًا وساقًا وغير ذلك. والفرق بين القولين ظاهر." (من إفاداته: 6)

"العقيدة ما يعتقده القلب، والألفاظ المفردة كاليد والساق وغيرها، لا تدخل في العقائد، والقول بهذه الألفاظ بدعة."

تلك نكتة ظريفة رائعة ألقيت في روع الفراهي، وهي تستحق أن تكتب بماء الذهب. ولا غرو إذا وفق الفراهي إلى هذه النكتة الرفيعة، فالفراهي إذا خطَّ بيمينه قامت الألفاظ في خدمته، وتلببت المعاني لدعوته، وفتح الله عليه من علوم كتابه ما لا يفتحه إلا على ذي حظ عظيم.

إن الناس عزبت عنهم تلك النكتة البارة، فكهم تعبوا في تأويل تلك الكلمات المفردة وأتعبوا، وكم حاروا وحَيروا! وكم كانت بينهم حول تلك الكلمات مناظرات فارغة ومشاجرات عقيمة لا مبرر لها.

كانت بينهم مناظرات ومشاجرات في إثبات الوجه لله، وفي إثبات العين والأعين لله، وفي إثبات اليد، واليدين، والأيدي لله، وما إلى ذلك.

والموقف الأسلم والأحكم في تلك الأمور هو موقف الفراهي، حيث لم يثبت الله لنفسه هذه المفردات، وإنما هي عبارات وكنائيات عن معانٍ شامخة أراد الله سبحانه أن يبينها للناس.

الإفادة الرابعة:

وقال الفراهي: "لا يكفي أن نعرف الحق والباطل على إطلاقهما، بل لا بد لنا أن

نضمّ إليه معرفة أهلهما والقائمين بهما. قال تعالى فيما علّمنا من الدعاء الوافي: "أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" فهذا هو الحق على إطلاقه، ثم ضمّ إلى ذلك قوله تعالى: "صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ" أي: النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، كما بيّن في سورة النساء. والقرآن يفسّر بعضه بعضاً، فهذا تعريف الحق بأهليه، ثم ضمّ إلى ذلك تعريف الحق بذكر أصحاب الباطل، وبضدها تبين الأشياء. فقال: "عَبَّرَ الْمُغْضُوبُ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ" وقد فسّر القرآن والحديث من هم أولاء الذين نسأل الله تعالى أن يبعدنا عن صراطهم. (العقيدة في السلف الصالحين - ص: 16)

تلك لفظة بارعة رائعة، فالحق لا يعرف معرفة واضحة شاخصة إلا بمعرفة حامله، والباطل لا يعرف معرفة واضحة شاخصة إلا بمعرفة أصحابه.

وهذا هو السر في أن الله سبحانه وتعالى فصلّ في كتابه الكريم أمر الحقّ بذكر مواقف أهل الحقّ من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وبذكر حسن عاقبتهم، وفصلّ الباطل بمواقف أحزابه وأشيعاه، وبذكر سوء عواقبهم.

فكم فصلّ الله في كتابه أحوال اليهود والنصارى، وكم فصلّ أحوال المشركين المستكبرين، وكم فصلّ ما آل إليه أمرهم من ذل وخزي وشقاء، وما فصلّ تلك الأحوال وما آلت إليه إلا ليتعرى الباطل بجميع سوءاته، ويتجلى الحق بجميع ملامحه، ولا يبقى عليهما شيء من غبار.

#### الإفادة الخامسة:

وقال الفراهي: "النبي عليه السلام شهد بالله وكتابه وما فيه. وأصحابه شهدوا لمن تبعهم. وهذا إلى الآن.

فهذه الشهادة أمانة عظيمة عليهم، وبذلك ميثاقهم، كما جاء مصرحاً. وأعظم هذه الشهادات كتابه وتعليمه. وأوجب أمر على الأمة الإيمان بهذه الشهادة وذوئها. والمنكر بالشهداء ينكر بالشهادة، ولذلك لا إيمان للشيعة بالكتاب. وإنما وقعوا في هذه الضلالة لإنكارهم بالشهداء." (الشهادة - ص: 17)

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

كلام في غاية الروعة، ومنتهى الأهمية في مفهوم الشهادة، وفي متطلباتها وعظم مسؤوليتها. فلا تتحقق الشهادة إلا بالقيام بمتطلبات الشهادة، ولا تتحقق إلا بالاعتراف والتقدير لمن قاموا بها قبلنا، وأحسنوا القيام بها.

وأما من كان يحمل الغلّ في قلبه لمن قاموا بتلك الشهادة، وبذلوا لها كل ما كانوا يملكون من غالٍ ونفيس، فهذه أن يكون له نصيب من هذه الشهادة!

والشيعة ما صاروا إلى ما صاروا إليه إلا بسبب بغضهم وكراهيتهم للرعيّل الأول من أصحاب رسول الله، الذين كانوا خلف صدق لرسولهم الكريم عليه الصلاة والسلام، والذين قاموا بمهمة الشهادة أحسن قيام، وكانوا شهداء على الناس بمعنى الكلمة.

\*\*\* \*\*

تلك لفات بارعة، وإفادات قيّمة زيّ بها الفراهي جيد كتابه: (القائد إلى عيون العقائد) وبعد هذه الإفادات القيمة واللفات المهمة دخل في صلب الموضوع، واستهلّ الباب الأول، وهو باب في الألوهية، بتلك الكلمة الرائعة:

الله نور السماوات والأرض:

"ما يرى شيء إلا بالنور، ولكن النور نفسه لا يرى، وربما لا يلتفت إلا إلى ما يرى، وحينئذ ربما ينكر النور، فالكافر يرى الخليفة بالله، ولكن ينكره، ومن المؤمنين من لا يلتفت إلى ما سواه، فيوشك ألا يرى إلا النور، فسبحان الذي ظهر على قلب، واستتر عن قلب مع ظهوره." (ص: 20)

كلام عميق شامخ مثل قمم الجبال!

كلام مركّز في غاية الروعة والجمال!

كلام له حلاوة، وعليه طلاوة تهتزّ له النفس، ويتحرك له الوجدان!

ثم طرق الفراهي موضوعات هامة متنوعة تتصل بعلم العقيدة، منها ما يلي:

- 1- طريق الاستدلال بالقرآن.
- 2- الطريق الأول، وهو الاستدلال بأسمائه تعالى.
- 3- أصل الاستدلالات مبني على أسماء الله تعالى.
- 4- الطريق الثاني، وهو الاستدلال بصفاته تعالى.
- 5- صفات الله تعالى.
- 6- النظر في صفات الجلال والجمال.
- 7- الطريق الثالث وهو المعرفة من نسبة الأفعال إلى الله تعالى.
- 8- بيان أن الحسن والقبح بأمر الله ومشئته، وهو لا يريد إلا الحق والقسط، ولا يأمر إلا بالعدل.
- 9- الرحمة والنعمة والعدل.
- 10- الرحمة والغضب.
- 11- باب الشبهة على العدل والرحمة والقدرة والعلم.
- 12- مسألة وجود الشر في العالم، أي: وجود المصائب والمعاصي.
- 13- الهداية والضلال من الله تعالى.
- 14- الشبهة العامة في الهداية والإضلال.
- 15- الإجبار والاختيار.
- 16- دلائل الإجبار ونقدها.
- 17- تكليف ما لا يطاق.
- 18- رؤية الله سبحانه وتعالى.
- 19- خصائص زمان البعثة.
- 20- تعريف النبي وفتحة أمره.
- 21- الدلائل على صحة الوحي.
- 22- عصمة الأنبياء.
- 23- الشفاعة.

تلك بعض الموضوعات التي طرقها الفراهي في كتابه الذي أسماه: (القائد إلى عيون العقائد)

وتلك الموضوعات تكفي لإدراك أهمية الكتاب وخطورة شأنه.

ويفرض علينا الموقف أن نقبس هنا قبسات مشعة من هذا السفر النفيس حتى يكون القارئ على بصيرة من أسلوب الفراهي في تناول قضايا العقيدة في كتابه.

ما هو الحسن والقبیح؟

قال الفراهي، وهو يسلط أضواء على موضوع الحسن والقبیح:

"زعم من أصحابنا طائفة أن الحسن والقبیح محولان إلى الشريعة وإلى أمر الله تعالى، وكل ما يفعل الله تعالى فهو حسن، فإن أضل الناس وعذبهم من غير جرم، فهذا أيضاً حسن، حتى أنه تعالى-نعوذ بالله منه- إن كذب أو خدع فليس في شيء من القبح. هو الحاكم على كل شيء، وهو خالق الشرائع، فكيف يكون تحت حكمها؟

قال الفراهي: هذا كلام مخبوط ومخلوط، أوله حق وآخره باطل. لا شك أن مآل الحق والحسن إليه تعالى، فكل ما يفعل ويأمر هو خير، ولكن القول بأنه إن أضل الناس وعذبهم من غير جرم كان ذلك حسناً، قول باطل. ومنشؤ الخطأ فرض ما هو محال، كما يقال: إن الله تعالى قادر على كل شيء، فهو قادر على خلق إله مثله.

قال الفراهي: ويلزم هذه الطائفة أن ينكروا كونه تعالى عادلاً ومحباً للقسط والحق إلا أن يؤولوا الألفاظ عن ظواهرها، وقد فعلوا.

ثم يلزمهم أن ينبذوا معيار صدق الشريعة وتمييز الحق من الباطل، فإن وجدوا أسوأ شيء دانت له أمة مثل أكل الربا، وقهر الأيتام وأكل لحوم الأسارى، وسائر المنكرات والفواحش لم يكن لهم أن ينبسوا بكلمة خلافه، وقلوبهم موقنة ببطلان ذلك الدين المكروه، لأن أمة دانت له تقول إن الله أمرنا بهذا.

وقد صرح القرآن بشناعة هذا القول، فقال:

وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ

عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾

ثم يلزمهم أن يكذبوا ببداهة قلوبهم في الأخلاق وبداهة عقولهم أيضًا، فإن الخالق لعله خدعهم ووهب لهم عقولًا مضلة، فهذا سوء الظن بالرب تعالى، وهو الجهل الأكبر والضلال الأضل.

قال الفراهي: وإنما دعاهم إلى هذا الرأي الفاسد طول خصامهم وشدة كراهيتهم للمعتزلة الذين جعلوا العبد خالقًا آخر، وأوجبوا على الله تعالى حكمًا وشريعة، فشدّ نكير أهل السنة على مخالفهم، وفروا كل الفرار عن مذهبهم حتى بعدوا عن أصل الصدق ومركز الحق.

قال الفراهي: وقول أهل السنة بأن الله تعالى أرفع من أن يجب عليه حكم قول حق، ولكن لا يلزم منه أن يكون فعله خلاف العدل، ولا حاجة إلى كل هذه المخالفة للمعتزلة، بل يرجع الرأيان إلى وسط، وهو أن لا يقال - معاذ الله - أنّ أمرًا أو حاكمًا غير الله تعالى أوجب عليه شيئًا، ولكنه تعالى كما قال عز من قائل: كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ - (سورة الأنعام: 54)

وذاته المقدسة على كمال الحسن والكرم، فلا يحب خلافه، ثم لا يشاء ضد مشيئته، وقد علمنا أنّ مشيئته العدل والفضل، وبذلك أمرنا حيث قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (بيان أن الحسن والقبح بأمر الله - ص: 55-57)

إن موضوع الحسن والقبح موضوع شائك جدًّا، اختلف فيه العلماء اختلافًا عظيمًا، ولم يتوصلوا إلى رأي سديد يرضي الجميع ويفصل بينهم، وينور الطريق أمامهم. وكلما اختلفوا فيه ازداد الأمر سوءًا، وازداد تعقّدًا حتى صار أعقد من ذنب الضب!

وكان الفراهي موقفًا جدًّا، حيث اتخذ موقفًا وسطًا بين الإفراط والتفريط، وجاء



برأي سديد ثاقب يليق بعظمة الله سبحانه وتعالى، ويتلاءم مع أسمائه الحسنى، ويتفق مع طبيعة شرع الله.

زد إلى ذلك أنه لا تصحبه تلك الإشكالات العضال التي أشار إليها الفراهي.

لا يكلف الله نفساً إلا وسعها:

وقال الفراهي: قوله تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)

هذا بيان سنة الله في حمل الشرائع مطلقاً، فإنه تعالى أكرم من أن يظلم عبده فإن الحسنات كلها منه، كما قال: وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا – (سورة النساء: 79)

وهكذا يظهر من موقع تلك الآية ونظائرها. قال تعالى في سورة الطلاق:

لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ (سورة الطلاق: 7)

ولما كان هذا الدين تكميلاً جاء على أصل سنة الله، وهو أن لا يكلف نفساً إلا وسعها. (القائد: 101)

لا تفيد سورة الذهب ما ذهبوا إليه:

وقال الفراهي في (تفسير سورة الذهب) تحت عنوان: "لا دلالة في السورة".

"قد تمسكت الأشاعرة بهذه السورة في وقوع تكليف الله عباده ما لا يطيقون، خلافاً للحنفية وبعض الأجلة من الشافعيين كالإمام أبي محمد الأسفرائيني والإمام أبي حامد الغزالي رحمهما الله. وإنما قالوا بذلك لجداولهم مع المعتزلة الذين يقولون إن العدل واجب على الله تعالى، فاشمأزت نفوس أكثر فرق أهل السنة عن شناعة هذا الإيجاب، فقالوا إن الله تعالى هو الحاكم، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وهو الذي خلق كل شيء فهل يوجب عليه مخلوقه حكماً ويقضي عليه قضاء؟

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

قال الفراهي: وبلغ إنكارهم لقول المعتزلة كل مبلغ كما تكون نتيجة الجدل والخصام، فتمسكت الطائفتان بكل غث وسمين، وألزموا خصمهم ما لزم وما لم يلزم. ولأن هذا الخلاف فرع من خصامهم في مسألة العدل فعليه استمرار اللجاج واسطر العجاج، فلا يتضح الحق فيه من الباطل إلا بالكشف عن أصل بحث العدل وفروعه.

وهذا المقام لا يتحملة، فلنكتف هنا بما يتعلق باستدلالهم بهذه السورة.

قال الفراهي: فاعلم أن الإمام أبا الحسن الأشعري استدل بما أخبر به هذه السورة على وقوع التكليف بما لا يطاق، فقال رحمه الله تعالى في كتابه المسمى بالإبانة:

كلام أبي الحسن الأشعري:

"ويقال لهم: (أي: للمعتزلة) أليس قد قال الله تبارك وتعالى:

تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب)، وأمره مع ذلك بالإيمان، فأوجب عليه أن يعلم أنه لا يؤمن، وأن الله صادق في إخباره عنه أنه لا يؤمن، وأمره مع ذلك أن يؤمن ولا يجتمع الإيمان والعلم بأنه لا يكون ولا يقدر على أن يؤمن، وأن يعلم أنه لا يؤمن. وإذا كان هذا هكذا فقد أمر الله سبحانه أبا لهب بما لا يقدر عليه: لأنه أمره أن يؤمن، وأن يعلم أنه لا يؤمن."

(الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط1، 1397م: 195)

قال الفراهي: ولا يخفى أن بناء هذا الاستدلال على فرض أمرين:

الأول كون أبي لهب مخاطبًا بهذه السورة ومأمورًا باليقين بأنه لا يؤمن.

والثاني: نزول هذه السورة قبل تبين إصراره وإعراض النبي عليه السلام عن دعوته. وكلا الأمرين مدفوع، فالاستدلال مختل في مادته.

كلام الإمام الرازي:

قال الفراهي: هذا وزاد الإمام فخر الدين الرازي هذا الاستدلال قوة من جهة الصورة، فأفرغه في قالب الجمع بين النقيضين ليبين كونه محالاً بالبداهة، والمحال لا طاقة عليه.

وإذ أمر الله بالمحال فلا بد أنه كلف بما لا يطاق. فقال رحمه الله:

"اِخْتَجَّ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى وَفُوعِ تَكْلِيفٍ مَا لَا يُطَاقُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَلَّفَ أَبَا لَهَبٍ بِالْإِيمَانِ، وَمِنْ جُمْلَةِ الْإِيمَانِ تَصْدِيقُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرَ عَنْهُ. وَمِمَّا أَخْبَرَ عَنْهُ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَقَدْ صَارَ مَكْلَفًا بَأَن يُؤْمِنَ بِأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَهَذَا تَكْلِيفٌ بِالْجَمْعِ بَيْنَ النَّقِیْضَيْنِ وَهُوَ مُحَالٌ." (التفسير الكبير: 32/353)

وذكر الرازي من جانب المعتزلة جوابين مهمين ثم ردّهما، وقال في الأخير: هذا الإشكال قائم.

قال الفراهي: نقول إن الاستدلال على جمع النقيضين ساقط من وجوه.

ثم ردّ الفراهي هذا الاستدلال بأسلوب قوي مفحم من خمسة وجوه. والردّ طويل لا يتسع المقام لذكره.

انظر: (تفسير نظام القرآن - ص: 612-615)

منشؤ الخطء:

والأشاعرة ومن نحا نحوهم وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب ظنهم أن سورة اللمم نزلت في إبان النبوة، جواباً لقول أبي لهب، حيث قال للنبي عليه الصلاة والسلام: تبّاً لك!

فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ،

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

يَا بَنِي عَدِيٍّ - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ  
أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «رَأَيْتُكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ  
خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّئْنَا عَلَيْكَ إِلَّا  
صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ  
الْيَوْمِ، أَلَيْهَذَا جَمَعْتَ نَا؟ فَانْزَلَتْ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ}.

(صحيح البخاري-رقم الحديث: 4770)

مال فريق من العلماء نظرًا إلى تلك الرواية وأمثالها إلى أن سورة اللهب نزلت في  
أول عهد الدعوة، وكانت عقوبة لأبي لهب على سوء خلقه، وسوء موقفه من نبينا  
محمد عليه الصلاة والسلام.

علمًا بأن هذه الرواية وأمثالها من المراسيل. ومراسيل الصحابة وإن كانت مقبولة  
عند فريق من العلماء، فهي لا تخلو من ضعف، وابن عباس رضي الله عنهما لم  
يكن موجودًا في وقت الحادث، ولم يكن شاهد عيان لما جرى في الساحة.

ولقد فصل الفراهي وجوه ضعفها في تفسيره لسورة اللهب.

زمان نزول السورة:

ويرى الفراهي أن سورة اللهب وإن كانت قد نزلت وهو على قيد الحياة، فهي لم  
تنزل إلا متأخرة، ولم تنزل إلا بعد تبليغ الرسالة وإقامة الحجة، وإصرار أبي لهب  
على كفره وعناده، حتى لم يبق رجاء في إيمانه.

ولعل الصحيح الراجح في زمن نزول هذه السورة أنها نزلت بعد موت أبي لهب،  
فقد مات أبو لهب بعد غزوة بدر، وما لبثت امرأته حتى ماتت قبله أو بعده بقليل.

فانزلت السورة بعد غزوة بدر، وهي الغزوة التي صُدمت بها قريش صدمة عنيفة،  
وتمزقت بها كل ممزق، وبعدها مباشرة كان مصرع رئيسهم أبي لهب بصورة  
مخزية، وهو في ماله وأولاده!

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

فكان إتماماً للهلاك والتباب الذي كتب لجنود الكفر، وكان إيذاناً بأن الإسلام بدأ ينتصر، وبدأ يزدهر، وسينتصر وسيزدهر حتى تشرق الأرض كلها بنور ربها. وبذلك يزول الإشكال، وتنتهي المشاكل كلها، وتهدم فكرة تكليف العبد ما لا يطيقه رأساً على عقب.

\*\*\*

\*\*\*

تلك قبسات وجيزة من كتاب الإمام الفراهي في عيون العقائد، ولعل فيها غنية وكفاية لمن أراد أن يدرك قيمة الكتاب وأهميته في مجاله، وما كان الفراهي مبالغاً حين أسعى كتابه: (القائد إلى عيون العقائد) فالكتاب تحتل حقاً مكان القيادة من بين كتب العقائد.

ولا يفوتنا التنبيه إلى أن هذا الكتاب لم يقدر له أن يأخذ صورته النهائية المتكاملة على يد صاحبه، فقد عاجلته المنية قبل أن يكمله ويهذه ويلبسه ثوبه القشيب الفاخر الذي كان يريد أن يلبسه.

وعلى أية حال، فالكتاب في صورته الموجودة حقيق بأن يعتبر "مذكرات" للكتاب القيم الذي كان يريد أن ينشئه الفراهي، ولكنه لم يقدر له ذلك. والله في خلقه شؤون.

وهذا لا ينقص من أهمية الكتاب، فمذكرات الجهابذة توزن بالذهب!

والكتاب له ميزته، وله مكانته، وهو جدير بأن يحرص عليه كل عالم، وحقيق بأن تقتنيه كل مكتبة. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

## تعليقات في تفسير القرآن الكريم<sup>1</sup>

- البروفيسور عبيد الله الفراهي<sup>2</sup>

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله، وأصحابه أجمعين.  
أما بعد، فإنّ ما وصل إلينا من تراث الإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله في تفسير القرآن الكريم ثلاثة أقسام:

الأول: بضع عشرة سورة أكمل تفسيرها حسب منهجه، وطبع معظمها في حياته، وبعضها بعد وفاته، كل سورة في جزء مفرد، طبعة حجرية بالخط الفارسي. وكانت نافذة منذ زمن طويل، فأعادت الدائرة الحميدية طباعتها جميعاً في مجلد واحد قبل سنتين.

الثاني: سور كثيرة شرع في تفسيرها، ولكن لم يتم، وأهمها تفسير سورة البقرة، وقد كتبها حسب الخطة التي ارتضاها أخيراً لترتيب مطالب التفسير. فكل مجموعة من الآيات تكلم عنها تحت سبعة عناوين:

1. المقدمة (بيان عمود السورة، ونظامها ومواقع نزولها ووجوه خطابها، وغير ذلك من الأمور الكلية).
2. الكلم (تفسير المفردات).
3. النحو (بيان تأليف الكلم).
4. البلاغة (دلالة الأساليب على معاني تناسب المحل).
5. التأويل (حمل الكلام على مراده حسب المحل).
6. التدبر (ذكر المبادئ والنتائج أي اقتضاء النص وإشارته).

<sup>1</sup> قام البروفيسور الفراهي بجمع هذه التعليقات. تاريخ الكتابة: 22 ربيع الآخر سنة 1431 هـ

<sup>2</sup> بروفيسور، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة لكناؤ، الهند

7. النظم (بيان موقع جملة من الكلام ورباط بعضها ببعض).  
وقد وصل في تفسير هذه السورة إلى قوله تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هادوا).  
وقد صدر هذا التفسير من الدائرة سنة 1420هـ.

ومنها تفسير سورة آل عمران، وقد فسّر قدرًا كبيرًا منها مرتين. وسور أخرى كتب في تفسيرها فصولًا عديدة، وسنطبع تفسير هذه السور قريبًا في مجلد مستقل إن شاء الله.  
الثالث: تعليقات مختصرة، وهي عبارة عن خواطر وأفكار ظهرت له في أثناء تدبر القرآن الكريم، قيدها تذكرة لنفسه، لا للنشر. وقد وضع بين كل ورقتين من مصحفه ورقة بيضاء أو أكثر، يدوّن فيها تأملاته بالقلم الرصاص كعاداته. ويبدو أن ثلاثة مصاحف كهذا كانت عنده. هذه المصاحف ليست بين أيدينا، فإن الشيخ أمين أحسن الإصلاحي رحمه الله قد أخذها معه عندما انتقل إلى باكستان. وقد نسخ زميله الشيخ أختر أحسن الإصلاحي رحمه الله تلك التعليقات من مصاحف شيخه مميّزًا بين المتقدمة منها والمتأخرة. هذه النسخة عندنا، ونسخة أخرى بخط المدير السابق للدائرة الحميدية الشيخ بدر الدين الإصلاحي رحمه الله.

على هاتين النسختين اعتمدنا في إخراج هذه التعليقات للراغبين في تدبر كتاب الله، محافظين على ترتيبها فيهما، فقدّمنا التعليقة الأولى، ونهنا على غيرها في الهامش بأنها التعليقة الثانية أو الثالثة.

ثم ضمّنا إليها من القسم الثاني ما كان مختصرًا جدًّا، فإنه لم يكتب في تفسير بعض السور إلا فصلًا أو فصلين، كما في تفسير سورة يوسف والحجر والنحل والإسراء وغيرها، فرأيناه أليق بهذه المجموعة، وقد نهنا في آخر هذه الفصول بأنها «من تفسيراته».

وقد وجدنا دفترًا فيه تفسير آيات من سور مختلفة، فوضعنا تفسير كل آية منها في موضعه بين حاصرتين، مع التنبيه في الهامش على أنها "من تفسيراته".

وكان المؤلف رحمه الله قد كتب في مواضع من مصحفه إشارات تحت الآيات،

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

فضمناها أيضًا إلى هذه المجموعة، مع التنبيه على أنها "من إشارات تحت الآية".  
وعلاوة على ذلك، أضفنا إلى هذه التعليقات كل ما وجدنا في كتب المؤلف المطبوعة والمخطوطة من كلام أو تذكرة أو إشارة في تفسير آية من الآيات، فزدناه في الموضوع المناسب بين حاصرتين مع الإحالة على مصدره في الهامش.  
وتفضل بعض الإخوان مشكورًا لهم بتخريج الأحاديث والأقوال والأبيات الواردة في هذه المجموعة.

وقد تجشم مراجعتها العالم الجليل فضيلة الشيخ أمانة الله الإصلاحي مع ما يكابده من أمراض وأوجاع، وهو من أخص تلامذة الشيخ أختار أحسن الإصلاحي، فأحسن الله إليه، وأطال عمره صحيحًا معافي.

وقد تولى القيام بمهمة نشر هذه المجموعة، كغيرها من مطبوعات الدائرة الحميدية، الشيخ إشفاق أحمد الإصلاحي مدير مدرسة الإصلاح، والأخ الفاضل أبو طلحة الإصلاحي صاحب "منشورات البلاغ"، فجزاها الله خير الجزاء.

وأخيرًا أحب أن أنبه على هذه التعليقات لم يقيد بها المؤلف رحمه الله للنشر، وإنما هي كالمذكرات كما سبق، وقد يكون رجع عن بعض أقواله الواردة فيها، ولعل بعض أقوال المفسرين التي ذكرها فيها لا لموافقتها لهم فيها، بل لنقدها، أو حاجة أخرى في نفسه. ومن ثم لم يكن تلميذه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي رحمه الله يحبذ نشرها، كما بلغنا عنه. ولكن لما كان المؤلف رحمه الله لم يكمل تفسيره، وتناولت تعليقاته هذه سور القرآن كلها؛ ثم قد اشتملت على كنوز وجواهر استخرجها إمام نابغة كان نسيج وحده في علم كتاب الله رأينا من حق الدارسين علينا أن نظهرها لهم، لينتفعوا بما فيها من الحق والصواب، وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلوات الله عليه وسلامه.

ونسأل الله عز وجل أن يوفقنا للعمل بما علمنا، وأن يجعل القرآن العظيم حجة لنا، لا حجة علينا، وهو الموفق وهو المستعان.



## التكميل في أصول التأويل

- الشيخ بدر الدين الإصلاحي<sup>1</sup>

حامدًا ومصليًا. وبعد، فإن هذا الكتاب لأستاذنا الإمام الفراهي رحمه الله، قد أفردته لذكر أصول راسخة لتأويل القرآن إلى صحيح معناه. فموضوعه: الكلمة والكلام من حيث دلالته على المعنى المراد. وغايته: فهم الكلام وتأويله إلى المعنى المراد المخصوص، بحيث أن ينجلي عنه الاحتمالات. وهذا من جهة العموم، فإن قواعد التأويل تجري في كل كلام، ونفعها عام يتعلق بفهم معنى الكلام من أي لسان كان، ولكن النفع الأعظم منه فهم كتاب الله ومعرفة محاسنه للاعتصام به.

وكان الباعث عليه أنه لما رأى أن العلماء قد اختلفوا في فهم معنى القرآن اختلافًا كثيرًا وذهبوا في تأويله مذاهب شتى، حتى جعلوه كتابًا مشتبهاً، ملتبساً، لاح له أن لم يكن ذلك إلا لعدم تأسيس أصول التأويل العامة التي يعتمد عليها في كل ما يستنبط من القرآن، لو كانت عندهم أصول عامة للتأويل لم يختلفوا فيه ولم يقولوا ما قالوا.

فأحسّ بشدة الحاجة إلى تأسيس هذا الفن، واجتهد فيه وبتوفيقه تعالى، قد أسسه على أصول راسخة، بنيت على قواعد اللسان وأساليب القرآن، تهدي إلى سواء السبيل، وتعين على فهم المعنى المراد وتعصم من الزيغ في التأويل وتحفظ عن التفسير بالرأي وتكون كالمعيار والميزان لكل ما يؤخذ من القرآن.

لا شك أن طرفاً من علم التأويل كان مستعملاً في فروع الشرائع كعلم جزئي. ولكن لم يستعملوه في فهم معاني القرآن كميزان يرجع إليه ويعتمد عليه، وإن كان أحق به وأجدر. فلذلك وقع الخلل الفاحش في بناء العلم الذي جعلوه أساسهم

<sup>1</sup> مدير الدائرة الحميدية الأسبق

للتأويل، حتى استغنوا عن تحقيق وجوه الألفاظ والمعاني وأعرضوا عن طلب الوجوه للربط والنظام بين أجزائه، وتولّوا عن النظر في الأخذ بأحسن الوجوه وما كان أوفق بالمقام وعمود الكلام، وغير ذلك من التمسك بسياق الكلام وسباقه، وحمل النظر على النظر، ولا يخفى أن رعاية هذه الوجوه كانت أساساً وحييداً لفهم المعنى المراد من أي كلام كان، وإذ لم يراعوها ذهبوا حيث شاءوا وتشبثوا بكل ما راقهم وأعجبهم، حتى أولوا القرآن إلى آرائهم المختلفة وفرّقوا دينهم وكانوا شيعاً. كلّ حزب بما لديهم فرحون.

إن هذه الأصول التي استنبطها أستاذنا الإمام لتأويل القرآن وجمعها في هذا المجموع فقد سدّت أبواب الاختلافات في فهمه ونفت الاحتمالات عن تأويله وتبيّنت أنّ القرآن قطعي في دلالاته وليس لعبارة إلا مدلول واحد. ولكن الأسف كل الأسف أن لم يتيسر له أن يتمها ويكملها، وذلك ما خسرت به الأمة، ولكن مع ذلك ما حقق منها، إن لم يعط به ما كان ينبغي له من العناية، قد أحاط بأكثر مما يقتضيه هذا الفن، فالرجاء أنه إن سبرنا غوره وجدناه كافياً إن شاء الله.

## القائد إلى عيون العقائد

- الشيخ بدر الدين الإصلاحي<sup>1</sup>

حامدًا ومصليًا، وبعد، فإن هذا المجموع يشتمل على أفكار قيمة لأستاذنا الإمام الفراهي رحمه الله، قد ابتكرها في ضوء القرآن لكتابه "القائد إلى عيون العقائد"، ولكن لم يتيسر له أن يرتب الكاتب ويضع هذه الأفكار في مواضعها، فكانت مبثوثة في مخطوطاته. والآن لما وفقني الله تعالى لنشر هذا التراث الكريم جمعتها من هنا وهناك، حتى أبرزتها في هذه الصورة التي بين يديك. فإن أصبت فبتوفيق ربي، وإن أخطأت فمن نفسي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليم.

لا يخفى أن العقيدة ليست من العلوم المحض، بل هي مما يعتقده القلب، فبذلك هي داخلة تحت إرادتنا، وعلينا مدار رغبتنا ونفرتنا. فإن صلحت صحت علومنا وأعمالنا، وإن فسدت زاعت قلوبنا وأبصارنا. فلا بد لنا أن نعرف ما يصلحها وما يفسدها لكيلا نضل في علومنا ولا نشقى بأعمالنا.

إن علمائنا المتقدمين قد صنفوا في علم العقائد كتبًا كثيرة ولا شك أنهم قد أفرغوا جهدهم في هذا المجال، ولكن مما لا شك فيه أيضًا أنهم لم ينجحوا في جهودهم. وذلك لكثرة اشتغالهم بالمعقول وقلة اهتمامهم بالمنقول. وأنها شر فتنة وقعت فيها الأمة بعد القرن الأول حينما شاعت الفلسفة بينهم وذهبت حكمة القرآن عنهم. فإنهم لاشتغالهم بالملاحدة فزعوا إلى ما يجنح إليه العقل لكي يسلمه الخصم فقلت عنايتهم بالنقل، فتركوه وإن لم يتركوه قريبًا أولوه عن صحيح معناه فزارًا عن اعتراضات الخصم. ولما لم يمكنهم تطبيق المعقول بالمنقول صاروا يعتقدون بما يخالف ظاهر القرآن حتى قال بعض رؤسائهم إنه لا اعتماد على ظاهر القرآن، لعله يكون من المتشابهات. فبئس ما فهموا، وبئس ما قالوا، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا.

<sup>1</sup> مدير الدائرة الحميدية الأسبق

إذا كان ظاهر القرآن غير معتمد عليه فأَيُّ شيء تحت السماء وفوق الأرض يعتمد عليه؟ أم زخرفات الفلاسفة أم خزعبلات المنطقيين؟ إن هذا القرآن هو الذي قد أنار العالم حين تكاثفت عليه ظلمات الجهل والغرور، ونور عقول العالمين حين ضلت في خرافات الجاهلين، وطهر قلوبهم حين تدنس من أدناس الأباطيل، حتى أخرج من بيتهم بنور تعليمه أمة صالحة، تقية طاهرة، ذكية عاقلة ذات لبّ وحكمة، لم توجد مثلها من قبل ولا من بعد. فمن أين حصلوا هذه الخصائل، ومن أين وجدوا هذه الفضائل؟ نحن نعلم أنه لم يكن لهم مرشد في ذلك إلا كتاب الله. وهو الكتاب الوحيد الذي أعطاهم العقائد الصحيحة، وأرشدهم إلى العلوم النافعة والأعمال الصالحة، وأسعدهم في الدنيا والآخرة. وكانوا في غنى عما سواه لأنه كان لهم كافيًا وهاديًا في كل ناحية من نواحي الحياة، ولكن أخلافهم الذين جاؤوا من بعدهم اتبعوا ما تتلو الشياطين واتخذوا هذا القرآن مهجورًا. فكانت نتيجة ذلك أن ظهر الفساد في الأمة فتفرقت كلمتها، وانشقت عصاها، وتبددت فرقًا وأحزابًا. واتخذت كل فرق منها مذهبًا خاصًا متميزًا لها، واعتقدت أن كل ما يخالف مذهبها فهو باطل، حتى أنهم اجتروا على أن أولوا القرآن إلى مذاهبهم وإن كان مخالفًا لها، وأنكروا كل ما كان خلاف مذاهبهم وإن كان من حججه البازغة وبراهينه القاهرة. والشاهد على ما قلنا جميع المؤلفات الكلامية الموجودة في مكتباتنا ومدارسنا تدرس وتدارس فيها إلى الآن. وإنهم لم يؤلفوها إلا لإثبات الحق، وإبطال الباطل، ورفع الاختلاف في ما بيننا، ولكن لم ينجحوا في تحقيق آمالهم لأنهم تركوا القرآن الحكيم الذي كان منارًا للعلم واليقين، ومالوا إلى العقليات الفاسدة التي ليس في جعبتها إلا الشك والتخمين.

فما الدواء لهذا الداء العضال؟ إن أستاذنا الإمام قد أفرد هذا الكتاب لدواء هذا الداء، وأراد أن يذكر فيه مسائل العقائد كلها في ضوء القرآن على النهج الذي يكون قاضيًا لنزاعهم، وجامعًا لهم على ما كان عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتابعوهم. ولكن لم يتيسر له إتمامه كما أسلفنا فوا أسفاه. ولكن مع ذلك إن تدبرنا بإمعان النظر في ما بيّنه في هذا الكتاب، وتفكرنا فيه بقلب سليم

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

فالمرجو منه أن يرشدنا في هذا العلم إلى سمته الصحيح، وجمعنا على كلمة واحدة تحت راية القرآن، وما ذلك على الله بعزيز.

إن أستاذنا الإمام في هذا الكتاب قد نهىنا أولاً: على أن لا نميل في مسائل العقائد إلى مذهب خاص، كالمعتزلة والماتريدية والأشاعرة والظاهرية وغيرها من المذاهب الكلامية. بل نجعل القرآن وحده مرجعاً لها ومستدلاً فيها، فنأخذ القرآن بالنواجد، حتى نسلم عنان عقولنا واختيارنا إليه، ونساق معه شوقاً وحناناً إلى حيث يسوقنا ويذهب بنا. ولا يكون لنا زاد في هذا السفر إلا سنة نبينا وما كان عليه أصحابه صلى الله عليه وسلم.

ثم وجهنا ثانياً: إلى أن نكتفي فيها بما ثبت من صحيح النقل وصرح العقل وإن كان مجملاً، ولا نبسط فيها اللسان أبداً، فإن بسط اللسان في العقائد يجرّ إلى القول على الله بما لم يثبت من القرآن واستنتجوا من بعض النصوص ما يخالف بعضاً آخر، وذلك لم يكن إلا لأنهم قد خاضوا لتأييد مذهبيهم في ما لم يكن لهم إليه سبيل. ثم أكد لنا ثالثاً: أن نؤمن بالله مع صفاته الحسنة، ولا نعتقد فيه صفة تكون معارضة لصفاته الحسنى، فإنها تجلب له المحبة والرجاء والحمد والشكر. وبذلك يتعبد له العبد محبة، وشوقاً، وأدباً، وتسليماً، وتوكلًا، وخشوعاً، ويكون الرب في قلبه كريماً، رحيماً، عفواً، غفوراً، ضاحكاً، متبسماً، فيسكن إليه، ويرغب في قربه، ويشتاق إلى لقائه. وهذا أصل غاية وجود العبد.

ثم أرشدنا رابعاً: إلى أن لا نعتصم في العقيدة والعمل إلا بمحكمات القرآن، ولا نتبع ما تشابه منه ابتغاء تأويله، لأنه خلاف دأب الراسخين في العلم، ولأن تأويل المتشابهات لا يعلمه إلا الله، ولأن الله تعالى لم يكلفنا تأويله، بل رضي عنا بالإيمان الإجمالي، وأمرنا أن نؤمن بما بيّنه وفطر قلوبنا وعقولنا على قبوله، فعلينا أن نثبت في مسائل العقائد- أي الألوهية والرسالة والمعاد- على المعلوم، ولانتهاك علة المظنون. فتعتقد بما يدل عليه صحيح النقل ظاهراً، وما يصح من صريح العقل واضحاً.

فهذه أصول راسخة لحل مشكلات الفتن التي أثاروها في مسائل العقائد. وقد حلّ أستاذنا الإمام على هذه الأصول بعض المشكلات المهمة في عديد من المسائل

المعقدة نحو مسألة الحسن والقبح، والهداية والإضلال، والجبر والاختيار وغيرها. ونأمل أنه ستتحل العقد وتنجلي المشكلات ولن تبقى مسألة من مسائل العقائد معضلة إن شاء الله تعالى إذا عالجتها في ضوء هذه المبادئ الأساسية الراسخة. وأما الذين لم يراعوا هذه المبادئ والأصول فانظر كيف خطبوا في تبين المسائل واختلفوا اختلافاً كثيراً مثلاً اختلفوا في مسألة الهداية والإضلال: فقال فريق منهم: إن من اهتدى فقد اهتدى بهداية الله، ومن ضل فقد ضل بإضلال الله، وأرادوا منه أن الهداية والإضلال كلاهما من الله تعالى. وقال فريق آخر: إن الاهتداء فعل العبد وكذلك الكفر، فمن اهتدى زاده الله هداية. ومن لم يهتد سلبه الله الهداية لكفرانه، وإنهم أرادوا منه أن الله تعالى هدى الخلق أجمعين مؤمنهم وكافريهم. ولكن المؤمنين تقبلوها فزادهم الله هدى، والكافرين أعرضوا عنها فزادهم عى، وهذا الإعراض فعل المرء، وهو يقدر على تركه. إن ما قاله الفريق الآخر هو موافق للعقل، والقرآن يؤيد ذلك. فإنه قد علمنا أن الهدى له معنيان: بدء الهداية، وإتمامه. والله تعالى بدأ بها عامة، ثم أتمها لمن تقبلها كما قال: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۖ﴾<sup>1</sup> وأيضاً قال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۖ﴾<sup>2</sup> ولكنهم إذا لم يستعينوا فيها بالقرآن جعلوها معترك الاختلاف، وإنها كانت في القرآن واضحة كالمرآة لا غبار عليها.

وهكذا اختلفوا هل يجوز تعذيب عبد مطيع أم لا؟ فمنهم من جوزه عقلاً لا شرعاً، ومنهم من لم يجوزه مطلقاً لا عقلاً ولا شرعاً. فقال: لا يجوز في بداهة العقول تعذيب المطيع، وقال الآخر لو وقع تعذيب المطيع لم يكن ذلك من الله ظمناً لأنه متصرف في ملكه بالتعذيب وتركه، فله ما يختار منهما، والقرآن قد هدانا أنه لو أهلك الله تعالى جميع خلقه لم يكن خلاف صفة العدل فإنه المالك، ولكنه لو عذب عباده من غير ذنب كان خلاف رحمته وهو الرحيم، ولو عامل بالبر والفاسق سواء كان خلاف حكمة العدل، ولذلك قال: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۚ مَا لَكُمْ

<sup>1</sup> سورة محمد: 17

<sup>2</sup> سورة الإنسان: 3

كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾<sup>1</sup> والذين فهموا من قوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾<sup>2</sup> إن الله تعالى إن عَذَّبَ أَحَدًا من غير ذنب لم يكن ظلمًا منه فليس معنى الآية ما فهموه، فإن نظام الآية ياباه صريحًا، ويخالف هذا المعنى ما جاء في موضع آخر: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾<sup>3</sup>

وهكذا اختلفوا في أعمال العبد هل هي مخلوقة لله تعالى أم لا؟ قال قوم: هي مخلوقة لله تعالى، واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجِتُونَ﴾<sup>4</sup> وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ<sup>5</sup> فقالوا: إن كانت عبادتهم للأصنام من الأعمال كان عملهم هذا مخلوقًا لله تعالى لما قال (خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) فثبت منها أن الأعمال مخلوقة لله تعالى. والذين خالفوهم أنكروا ما قالوا وتفصيله في كتب القوم. وإنما نشأ هذا الاختلاف بينهم لأنهم لم يتفكروا في معنى الآية، ولو تدبروا فيها بسياقها وما اقتضاه نظامها لم يستدلوا بها على خلق الأعمال لله تعالى. فمعنى هذه الآية إن الله تعالى قد خلق ما تعبدونه كما خلقكم، فكيف تعبدون مخلوقًا مثلكم، وإنما عبّر عنه بقوله "ما تعملون" ليبين لهم فعلهم، فإنهم يعبدون ما نحتوه بأيديهم. فالمراد بما تعملون ما تصنعونه كما جاء في موضع آخر: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾<sup>5</sup> فليس المراد به الأعمال فإن الأعمال لا يقال لها إنها مخلوقة. فانظر كيف اضطروا لتأييد مذهبهم إلى خلاف ما تدل عليه الآية، وتركوا ظاهر معناه جورًا واعتسافًا.

ولو استقصيت كتب القوم لم تجد فيه مسألة من المسائل، أكانت من الألوهية أم من الرسالة أم من المعاد، ألا وهي مجروحة بسهام الاختلاف ولا شك أن هذه

<sup>1</sup> سورة القلم: 35-36

<sup>2</sup> سورة الأنبياء: 23

<sup>3</sup> سورة الفرقان: 16

<sup>4</sup> سورة الصافات: 95-96

<sup>5</sup> سورة سبأ: 13

الجروح كلها أم أكثرها قد أصابها لمحض أنهم لم يجعلوا القرآن قاضيًا لما شجر بينهم، بل انصرفوا منه وذهبوا إلى ما ذهب بهم مذهبهم، ولم يستعملوا للقرآن حيث قال: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>1</sup>.

فيجب علينا أن نرجع إلى كتاب الله ونترك ما سواه، فإن الحق المحض ليس إلا فيه، والحق لا يناقض بعضه بعضًا، فلا يمكن أن يكون التناقض في القرآن، وإذا وجدنا عقيدة لا توافق ظاهر القرآن فعلينا أن نأولها إلى القرآن ونجعلها موافقة له، ولا نأول القرآن إليها أبدًا ولا نجعله موافقًا لتلك العقيدة، بل يجب علينا أن نصلح تلك العقيدة حتى تصبح موافقة للقرآن، أو ننظر مرة بعد أخرى في القرآن لعل الله يهدينا إلى التوفيق بينهما، أو نتوقف، أما صرف القرآن عن معناه الظاهر فهو التعرض للتحريف ولا يجوز أبدًا، أعاذنا الله منه.

ولا شك أن صرف القرآن عن ظاهره هو الباحث الحقيقي لهذا الفساد الذي ظهر في الأمة. فتفرقت فرقًا مختلفة حتى صارت قومًا بورًا. فالدواء الناجح الوحيد لها إن شئت أن تعود إليها حالتها الأولى أن تجعل القرآن نصب عينها، ولا تنظر أبدًا إلا إليه، ولا تعتصم إلا به، فالاعتصام بالقرآن هو الذي ينجي الأمة الإسلامية من طوفان التشتت والاختلاف إلى شاطئ التضامن والائتلاف كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾<sup>2</sup>.

ولتحقيق هذا الغرض العظيم تريد الدائرة الحميدية أن ترتب هذا العلم مجددًا، وتدوّن مفضلًا في ضوء القرآن على المناهج التي قررها الأستاذ الإمام في هذا الكتاب وفقها الله تبارك وتعالى، والله ولي التوفيق.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> سورة النساء: 59

<sup>2</sup> سورة آل عمران: 103

<sup>3</sup> نشر هذا الكتاب في 1395هـ



## في ملكوت الله<sup>1</sup>

- الشيخ بدر الدين الإصلاحي<sup>2</sup>

حامداً ومصلحاً. وبعد، فإن هذا المجموع يشتمل على مباحث مهمة لأستاذنا الإمام الفراهي رحمه الله تعالى، اخترتها لكتابه "في ملكوت الله". ولا شك أن علم الملكوت كما قال أستاذنا الإمام رحمه الله: من أعظم المعارف القرآنية وأهمها، لا يستقيم الدين الحق ولا يطمئن القلب والعقل إلا بها. وهي معرفة ملكوت الله وعدله، وأن الله حاكم في الأرض والسماء، وليس شيء خارجاً عن ملكه، وكل شيء يجري حسب رضاه وإذنه وتصريفه ولا شك أن الإيمان بصفاته تعالى من كمال قدرته وإحاطة علمه، وحبّه للعدل والحق، لا يدع محلاً للشك في أن كل شيء يجري حسب حكمه وحكمته، ولا تصرف في الأرض ولا في السماء لأحد على ضد حكومته. ثم قال: إن جماع علوم الدين معرفة الرب تعالى بصفاته الكاملة وأهمها تفردده بالملك. وملكه بالعدل والرحمة، وتام الرحمة والعدل في الدنيا كافلة بإتمامها في الآخرة، فهي صورة ملكوته، كما أن أحوال وقائع الدنيا صورة ملكوته المبنية على أصول الحكمة والعدل والرحمة والتربية.

فبعد الوثوق بأن أمور العالم وحوادث الأمم تحت حكومة إلهية، ينبغي لنا أولاً أن نعلم الأصول التي تدور عليها الحكومة الإلهية في أمور الأمم من عروجهم ونزولهم. ثم نؤسس قواعدها السياسية موافقة لها ونسوس الملك بها، ليكون لنا رحمة وللأرض بركة.

ولا يخفى أن كل ما يقع من الوقائع في الدنيا لا يكون إلا مترتباً على ترتيب أخلاقي، فلا تسمو ولا تهبط أمة إلا حسب أخلاقهم. والقرآن ملآن من ذكرها، وهو

<sup>1</sup> قام بجمع هذه الرسالة. تاريخ الكتابة غرة المحرم سنة 1391 هـ

<sup>2</sup> مدير الدائرة الحميدية الأسبق

لا يذكر من خير أو شر، من نفع أو ضرر، من عز أو ذل نزل بقوم إلا وينسبه إلى حالتهم من الطاعة والعصيان. وينتبه على أنّ العالم كله تحت قدرة الله تعالى وتصرفه، وأنّ أمور العالم كلها تجري حسب حكمه وحكمته. فيجب علينا أن نجعل أساس حكومتنا عليه. لو أسست حكومتنا على هذا الأساس لكانت أبحث على الخير وأنفع للعالم، ولكنهم إذا لم يبنوها عليه بل قصرُوا النظر على ظواهر الوقائع وربطوها بأسباب غير صحيحة فخاب سعيهم ولم ينجح عملهم.

وإذ لم يتعرض لهذا العلم أحدٌ من علمائنا فأراد أستاذنا الإمام رحمه الله أن يكشف القناع عن وجهه ويدوّنه على نهج يتيسر لنا به فهم تاريخ الدين والدنيا، وفهم ما يعامل به الله عباده في الهداية والضلالة، والرحمة والعذاب، وفهم ما جعل الله من التعلق بين الأحوال الدنيوية والأحوال الدينية وعلم سياسة فاضلة موافقة لسياسة إلهية وغير ذلك من المعارف العظيمة التي تتعلق بهذا العلم. ولكنه لم يفز بها من دون إشارات حقّقها لكتابه هذا. لو تيسر له إتمامها لكان لهذا الكتاب شأن عظيم لفهم معارف مهمة من علوم القرآن.

ولكن مع ذلك إذ كانت هذه الإشارات تشتمل على أكثر مسائل مما يتعلق بهذا العلم من موضعه في الدين، ومن منافعه في تربية النفوس وتصحيح الأعمال، ومن فوائده في فهم الأمور الدينية والدنيوية والتعلق بينهما، وتهدينا إلى تأسيس قواعد السياسة، وتبيين ما هو أساس الملك؟ وما هي الخلافة؟ وكيف يكون حاملها؟ وإلى متى تكون هذه الأمانة مع قوم، ثم كيف تسلب وتعطى قومًا آخر؟ وغير ذلك من المطالب المهمة التي تعين على فهم أصل الحكومة وتاريخ الدين والدنيا. فعزمت أن أجمع هذه اللآل وأنظمها في سلك ثم أعرضها على طلبة القرآن. ليكون لهم دراسة جديرة في علم الملكوت فجمعتها من خزانته العلمية، ورتبتها حسب ما رأيت مناسبًا لها في هذا المجموع. ولا شك أنه بهذه الإشارات قد أعطانا مفتاحًا لفهم ملكوت الله وأصولًا لتأسيس القواعد السياسية موافقة لها لو تدبرنا فيها. رحمه الله رحمة واسعة.

تدشين الجزء الأول للعدد الخاص لـ "مجلة الهند" عن الإمام  
عبد الحميد الفراهي في الندوة الدولية بكلية شبلي الوطنية  
بأعظم كره

- إعداد: د. محمد معتصم الأعظمي<sup>1</sup>

قد تم تدشين الجزء الأول للعدد الخاص لـ "مجلة الهند" في ندوة دولية عقدتها كلية شبلي الوطنية بأعظم كره (ولاية أترابراديش، الهند) يوم السبت الرابع والعشرين من شهر مارس 2018م. نظمت كلية شبلي بأعظم كره بالتعاون مع "المجتمع لتعليم المسلمين" وبالمساعدة المالية من "المجلس الوطني لترويج اللغة الأردوية" التابع لوزارة تنمية الموارد البشرية للحكومة الهندية، ندوة دولية لفترة يومين حول موضوع "الإمام عبد الحميد الفراهي: آثاره العلمية والفكرية" في الفترة ما بين 24-25 مارس/آذار 2018م. أقامت الكلية الجلسة الافتتاحية في قاعاتها للمؤتمر وشارك فيها الأساتذة والباحثون من الجامعات الهندية المختلفة والأستاذين من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر.

بدأت الندوة بتلاوة آي من القرآن الكريم تلاها الأخ زياد أحمد، ثم ألقى مدير الندوة الأستاذ الدكتور محي الدين آزاد الفراهي كلمات الترحيب بجميع الحضور والضيوف الكرام وتحدث عن شخصية الإمام عبد الحميد الفراهي وأعماله بإيجاز، كما ألقى الأستاذ الدكتور اشتياق أحمد الظلي خطابًا عن خدمات الإمام عبد الحميد الفراهي فقال في خطابه: إن شخصية الإمام عبد الحميد الفراهي جليلة بحيث تقصر الألفاظ عن بيان جلالته وعبقريته فكان عبقرية هندية فذة أثنى عليها العلماء العرب" وقال الشيخ شكيل أحمد الأعظمي مدير مدرسة الهيثم

<sup>1</sup> مدرس ضيف، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة بردوان، بنغال الغربية، الهند

## العدد الخاص ..... مجلة الهند

بالباحرين: الإمام الفراهي موجز إلى حد بعيد في كتاباته فإن كتب صفحة حول موضوع أو فن فلا نكاد نفسرها إلا بمقال أو كتاب".

ثم ألقى كلمته الدكتور حسن يشو وهو أستاذ مساعد في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية لجامعة قطر فقال فيها إن الإمام عبد الحميد الفراهي كان بحرًا يفقد الساحل واندesh العرب بأعمال الإمام حتى اليوم". ثم تحدّث ضيف الشرف الدكتور محمد إقبال فرحات وهو أستاذ مشارك في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية لجامعة قطر فقال إن الإمام عبد الحميد الفراهي له درجة أولى في مجال البحث والتحقيق العلمي، وما تركه الإمام علينا -وخاصة على أهل مديرية أعظم كره- أن يقوموا بنشره والسير على طريقه العلمي البحث".

وفي نهاية الجلسة الافتتاحية ألقى الأستاذ الدكتور الطاف أحمد الأعظمي كلمته الرئيسية، وقال فيها: إن الإمام عبد الحميد الفراهي جعل القرآن الكريم موضوعًا لتحقيقه وجهده وهو كان ماهرًا في الدراسات القرآنية كما كان له اليد الطولى في العلوم القديمة والحديثة وكان نابغة من نوابغ عصره وبدل على هذه الدعوى أن الإمام قام بإشارة إلى أخطاء الفيلسوف الكبير اليوناني أرسطو وأثبت موقفه في دلائل القرآن الكريم بينما لم يجرؤ كبار العلماء على نقده". وفي النهاية أوصى العلماء أن يختاروا طريقته للبحث والتحقيق.

ثم دُشِّنَ الجزء الأول للعدد الخاص لـ "مجلة الهند" عن حياة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهي. هذه المجلة تصدر من بنغال الغربية (الهند) تحت إدارة الدكتور أونك زيب الأعظمي، وهي مجلة بحثية محكمة تعنى بالبحوث والتحقيقات عن الإسلام وعلومه. هذا الجزء الأول يحتوي على أربعين مقالة بحثية وقصيدة والمقالات تتناول حياة الإمام عبد الحميد الفراهي ومختلف أطوارها وأعمال الإمام الفراهي ففي المقالات الأولوية ذكرت مختلف أطوار حياته بينما المقالات الأخرى تبين المنهج العلمي الذي اختاره في تفسير القرآن الكريم وشرح معانيه وبيان بيّاته والكشف عن أسرار بلاغته. ومن حسن الحظ أن العدد الملموس من هذه المقالات

## العدد الخاص.....مجلة الهند

كتبها العلماء العرب من السعودية العربية والعراق وقطر. وبما أن الإمام كان بارعاً في مختلف العلوم فستجدون في هذه المقالات ما هي تتحدث عن موقفه من الاقتصاد الإسلامي وروعته في الشعر العربي وبدعته في النحو العربي وبالجمله فالمقالات كلها بحثية ودقيقة وتحوي معظم جوانب حياة وأعمال الإمام الفراهي وسينشر الجزء الثاني منها في نهاية مايو لهذا العام.

وفي ختام الجلسة قدّم الدكتور غياث أسد خان عميد الكلية كلمة الشكر والامتنان لجميع الحضور والضيوف. ويمكن قراءة هذا العدد الخاص في موقع الدكتور أورك زيب الأعظمي. (<http://azazmi.com>)

مقطوعات على وفاة الإمام عبد الحميد الفراهي

- أبو النعمان عبد الرحمن المئوي<sup>1</sup>

﴿1﴾

إذا مات علامنا ذو التقى      إمام الهدى السيد الخائف  
تفكرت في عامه هائماً      فأرشدني الغائب الهاتف  
فألقيت رأس البلا قانلاً      قضى نحبه المرشد العارف<sup>2</sup>

﴿2﴾

قضى نحبه بحر العلوم محمّد      حميد البرايا ذو الكمال حميد  
عفا عنه مولانا الحميد فإنه      برحمته فيما نظنّ حميد  
فقلت برأس الأم تاريخ فوته      تخلى إلى المولى المجيد حميد<sup>3</sup>

﴿3﴾

قضى نحبه شيخ وليّ مفسّر      حميد السجايا ذو الكمال أديب  
وذاك حميد الناس حجة قومه      خبير بأسرار العلوم أريب  
لقد قلت محزوناً لعام وفاته      تخلى إلى المولى المجيب نجيب<sup>4</sup>

<sup>1</sup> أحد شعراء الهند للعربية من محافظة أعظم كره

<sup>2</sup> ذكر فراهي للدكتور شرف الدين الإصلاحي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير،

أعظم كره، 2001م، ص 471

<sup>3</sup> المصدر نفسه والصفحة ذاتها

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 472